

نزل فن المغرب

# القصة:

الدكتور  
عباس بن عبد الله الجباري  
أستاذ بكلية الآداب  
جامعة محمد الخامس

## كلمة شكر

أتوجه بها للفاضل المحترم الحاج  
عبد القادر المكناسي الذي أنفق على  
طبع هذا البحث فأتاح له ان يعرف النور



إلى أبي

## تصدير

بقلم الدكتور عبد العزيز الالهوانى

اختلف موقف القدماء من الادب العامى وما يتصل به اختلافًا يسترعى النظر . فلو بدأنا بفرع من فروع هذا الادب - يعتبر اقرب ما يكون للادب المغرب وهو التوشيح - لوجدنا أن أحد المؤلفين الاندلسيين، وهو أبو الحسن بن بسام ، يرفض أن ينقل منه شيئاً في كتابه «الذخيرة» ، على الرغم من أن ابن بسام ألف هذا الكتاب غضباً لاهل الاندلس ودفاعاً عنهم ، وعلى الرغم من أن رأى ابن بسام فى الموشحات الاندلسية أنها «أوزان تشق على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب» وحبته فى رفض هذه الاوزان أن «أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب» لذلك اسقط الموشحات من ديوانه ، وراها خارجة عن غرض تأليفه .

ومع ذلك فقد عاش فى القرن السادس نفسه شاعر مصرى كبير ، هو ابن سناء الملك ، وقف من هذا الفن الجديد موقفاً مناقضاً لزميليه الاندلسى ، فقد أفرد ابن سناء الملك كتاباً خاصاً لفن التوشيح ، هو كتابه «دار الطراز» استقبل فيه هذا الفن الاندلسى استقبالا رائعاً جعله يقول : «ان الموشحات مما ترك الاول للآخر ، وسبق بها المتأخر المتقدم ، وأجلب بها أهل المغرب على أهل المشرق ، وغادر بها الشعراء من متردم» ويمضى ابن سناء الملك فى التعبير عن إعجابه الشديد بالموشحات فيقول عنها «صار المغرب بها مشرقاً لشروقها بأفقه ، واشراقها فى جوه ، وصار أهله بها أغنى الناس لظفرهم بالكمر الذى ذخرت له الأيام ، وبالمعدن الذى نام عنه الانام ..»

وإذا كان موقف ابن بسام هو هذا من التوشيح الذي يستخدم اللغة العربية أداة للتعبير ، فماذا يكون موقفه من فن الزجل الذي يستخدم اللغة العامية ، والذي ينشر أصحابه من الاعراب نفورا جعل ابن قزمان يرى أن الاعراب «أقبح ما يكون في الزجل ، وأثقل من اقبال الاجل» ؟

ومع ذلك فإن أبا محمد البحارى الاندلسى - وهو من عصر ابن بسام أيضا - قد أودع كتابه «المسهب في غرائب المغرب» عددا ضخما من الأزجال ، فضلا عن الموشحات ، نقل منها وأضاف إليها ما أضاف على بن سعيد في كتاب «المغرب في حل المغرب» ، وكذلك ألف ابن الدباغ المالقي «ملج الأجلين» ثم ألف لسان الدين بن الخطيب «جيش التوشيح» وذكر ابن خالون ألفين في مقدمته ، ونقل نصوصا منهما .

وكذلك كان موقف القدماء من الأمثال العامية : يفرد لها أبو يحيى الزجالي القروطبي فصلا في كتابه «رى الاوام» وابن عاصم الغرناطى في «حدائق الأزهري» ويتحاشى ذلك غيرهما ممن مؤلفى كتب المسامرات والمحاضرات .

وما يقال عن فنون الادب العامى في المغرب يقال عن نظائرها في المشرق ، وعن مواقف مؤرخى الادب المشاركة منها . وما يقال عن المؤرخين يقال أيضا عن الادباء من شعراء ونثرين ، فمنهم من شارك في النوعين جميعا ، ومنهم من اقتصر على الادب التقليدى أو الرسمى وحده ، ومنهم من انقطع الى الادب العامى دون سواه .

ولا شك أننا واجدون أسبابا شخصية أو فردية وراء كلا الموقفين حين نريد معرفة الدوافع التى جعلت أحد الادباء يتجه وجهة غير التى يتجه إليها الآخر . ولكن هذه الاسباب الشخصية والمواقف المتناقضة بين أصحاب الاقلام من المؤرخين والادباء ، ومن يمتلكون القدرة على التدوين والتصنيف ، لا ينبغي أن تعجب عنا القضية الكبرى .

تلك القضية هى أن عبقرية الامة ، ممثلة في جماهيرها الفقيرة ، لابد أن تجد لها متلفسا ومثلا للتعبير عن مشاعرها ، ولابد أن تصطنع لها

من أساليب الفنون ما تصور به ذات نفسها . فإذا ما سد أمامها باب فتحت  
لنفسها بابا آخر ، وإذا كثرت العقبات والعراقيل في طريق سلكت طريقا  
آخر ، وإذا لم تجد عند الاديب المتفصح الاستجابة الكاملة لذوقها وشعورها  
وفهمها بحثت عن الاديب العامي والفنان الشعبي ، غير مقتصرة على فن  
القول وحده ، بل متجاوزة ذلك الى فنون التعبير الاخرى من موسيقى وغناء  
وتصوير ونحت وعمارة وزخرفة وصنائع يدوية . وكل هذه الفنون ، جملة  
وتفصيلا ، ميراث لهذه الامة ، يحمل فيضا من مواهبها ، ويبرز جوانب من  
عبقريتها ، ويظهر سمات وخصائص من حياتها الطويلة العريضة .

وقد أتى على الامة العربية حين من الدهر صار فيه أدباء العربية  
- لاسباب كثيرة - في عزلة أو شبه عزلة عن مجموع الشعب . لقد أخذ  
هؤلاء الادباء يدورون حول أنفسهم في نطاق ضيق خائق من الموضوعات  
ومن المعاني والاخيلة ، ويعنون بالصنعة اللفظية ، ويتلاعبون بالصيغ أو  
الحيل البلاغية تلاعبا باعد بين أدبهم وبين الحياة العامة . وهناك اتسع  
المجال أمام الآداب الشعبية ، فعوضت هذا النقص بما انتجه مواهب أصحابها  
في ميادين القصص والحكايات والخرافات ، وفي ميدان الشعر بأنواعه  
المختلفة وأساليبه المتعددة ، وكان الازدهار الذي يعرفه مؤرخو هذه الفنون  
ابتداء من القرن السادس الهجري وما تلاه ، فلما عاد أدباء العربية في  
نهضتهم الحديثة الى ممارسة مهمتهم الاصلية ، والى أداء رسالتهم الثقافية  
الكبرى نحو أمتهم ، أخذت حواجز العزلة ترتفع ، وأخذت الصلات الطبيعية  
بين صاحب الفن وشعبه تعود سيرتها الاولى شيئا فشيئا ، واقتربت المسافة  
بين الادب الرسمي والادب الشعبي ، وأصبح الاخير مصدر الهام وإيحاء  
للاول ، بل اقتربت المسافة بين لغة الثقافة ولغة الحديث اليومي ، اذ ارتفع  
مستوى الاخيرة بانتشار التعليم وذيوع الثقافة ، ومالت الاولى الى السلاسة  
والمرونة وابتعدت عن التكلف والتعقيد ، وفي هذا كله ما فيه من كسب  
ثقافي ومن تفاعل مشر خصب ، ومن رد الامور الى مجاريها الاصلية .

وهذه الظروف الثقافية والاجتماعية التي ردت أدباء العربية الى

مشاركة الجماهير تعبيراً وأداءً في العصر الحاضر ، هي أيضاً التي جعلت المحدثين من مؤرخي الادب العربي يعيدون النظر في تاريخ أمتهم الثقافي ، فلا يقفون بهذا التاريخ عند حدود الادب الرسمي وحده ، وإنما يمدون دراساتهم الى الآداب الشعبية ، ليشعروا أبناء الجيل الحديث بأن تراثهم الادبي أكثر غنى وثراء وخصوبة وتنوعاً مما كانوا يظنون من قبل ، فتعود اليهم بذلك الثقة بآمتهم وبماضيها وتراثها . هذا فضلاً عن أن دراسة هذه الآداب الشعبية واجب مفترض على كل مؤرخ متى كان عارفاً بحدود مهنته ، صادقاً في أداء مهمته التاريخية .



وهذه الدراسة المستفيضة التي بين أيدينا للدكتور عباس الجراري حلقة في سلسلة طويلة لدراسات جامعية شملت كثيراً من أقطار العروبة ، نهض بها وينهض أبناء من علماء تلك الاقطار . ولقد أخذ كثير من هذه الدراسات طريقه الى المطابع شرقاً وغرباً .

ولا شك أن الجهد الذي بذله الباحث جدير بكل تقدير وثناء ، وأنه به يسدى لنا الى تاريخ الثقافة العربية ، لاسيما وميدان هذه الدراسة هو هذا المغرب العربي الذي قام بدور رائع في الادب العامي ، حيث استحدثت فنين ذاعا في الوطن العربي كله ، هما التوشيح والزجل ، بل ان اثرهما تجاوز الوطن العربي الى الآداب الاوربية في القرون الوسطى ، فكان لهما فضل - يعترف به اليوم - على تلك الآداب .

ومطالعة هذه الدراسة وقراءة النصوص التي اشتملت عليها يؤكد لدارسي الادب العربي حقيقتين :

أما أولاهما فهي أن هذا الادب العامي قد استوعب الى حد كبير الثقافة العربية في أصولها الكبرى ومنابعها الاصيلية . لقد وجد الشاعر العامي في القرآن الكريم وفي الاحاديث النبوية وسيرة الرسول والخلفاء من بعده معيناً لا ينضب ، كما وجد في أخبار فرسان العرب وعشاقهم في الجاهلية والاسلام نماذج يشيد بها ، بل اننا لنجد هذا الشعر العامي وثيق الصلة بالشعر العربي فيما يتصل بالاغراض والموضوعات من غزل ووصف



وخمريات ومديح وورثاء ، وفيما يتصل بالمعاني والصور البيانية والاختيلة  
 وأساليب المعالجة ، فضلا عن المثل العليا المشتركة ، وذلك الى ما يضيفه  
 هذا الادب العامي من أصالة وصداق ، ومن وثبات للمواهب تنطلق بين  
 حين وحين هنا وهناك ، ومن تعبير رائع عن الجماعة التي عاش فيها بكل  
 ما لها من أحلام وآمال .

أما الحقيقة الثانية ، وهي بغیر شك مرتكزة على الأولى ، فهي هذه  
 القربى بين الادب العامي في المغرب والآداب العامية في المشرق ، فالدراسة  
 السريعة المقارنة بين هذه الأشعار المغربية ونظائرها في الجزيرة العربية  
 والعراق والشام ومصر تكشف عن تشابه لا يمكن أن يكون عرضيا ،  
 وأحسب أنها لا تتردد الى مجرد الشبه الحضاري القائم فعلا بين هذه  
 المجتمعات كلها في ماضيها وحاضرها ، بل اعتقد أن شعراء العامية هؤلاء  
 كانوا يتدارسون تراثا عاما مشتركا ، وكانوا على صلة مستمرة فيما بينهم  
 وإن بعدت الدار . ولعلنا نجد مصداق هذا فيما ذكره ابن سعيد من أنه رأى  
 أنجال ابن قزمان القرطبي مروية ببغداد أكثر مما رآها بحواضر المغرب ،  
 ويؤكد هذا أيضا العناية الفائقة التي خص بها صفى الدين التتلي أنجال  
 المغرب في كتابه عن الفنون العامية المسمى «العاطل الخالي» .

وكم كنت أتمنى أن يبذل الدكتور عباس الجراري جهدا آخر في  
 الكشف عن صلة هذا الشعر المغربي بالشعر العربي ، وفي مقارنته بالشعر  
 العامي المشرقي ، ولكن من الحق أن يقال أننا لا نزال اليوم في مرحلة الجمع  
 والدراسة في نطاق البيئات الخاصة . حتى إذا قطعت أشواط في هذه المرحلة  
 جاءت المرحلة التالية : مرحلة المنابع والدراسات المقارنة . وحسبنا أن نجد  
 هؤلاء الدارسين من أولي العزم في كل قطر عربي لنظامن الى أن ما نطرح  
 اليه من دراسة شاملة مقارنة سيجيء حتما ، وفي وقت قريب ، وأملنا في  
 صاحب هذا البحث وزملائه كبير .

القاهرة في مارس 1970

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مقدمة

لكل امة تراث هو عنوان شخصيتها الوطنية يعبر عن قدرة عقليتها ، ويحدد مدى عبقريتها ، ويكشف عن قوة ارادتها ويبرز طابعها القومي الاصيل في مجالى الحضارة والثقافة . وقد مضى زمن غير يسير كان الناس - عامة وخاصة - يظنون ان هذا التراث لا يتمثل في غير ما الف العلماء من كتب تحويها بطون الخزائن والمكتبات ، وفيما اقامت الاجيال خلال حقبة التاريخ من آثار لم يتلفها توالى العصور والازمان ، ويغفلون جانبا من التراث ، لعله لا يقل عن هذين الجانبين في توضيح معالم كيان الامة وملامح وحدتها وابرار مقوماتها وقيمها ، ان لم يكن اكثر منها عكسا لروحها القومي وذاتيتها الجماعية ، وهو الجانب الممثل في الآداب والفنون التى صدرت عن الشعب فردا وجماعة ، متخذة وسيلتها في التعبير الوانا من القول والكلام والنغم والايقاع والحركة والاشارة والرسم والتشكيل .

وانطلاقا من هذه الحقيقة بدأنا نهتم بالتراث الشعبى فى المغرب ، نحاول جمعه ودراسته ، فالفينا مادته متنوعة غزيرة ، وهى على تنوعها وغزارتها تنقرض وتضيع فى غمرة التيار الحضارى الجديد الذى بهر الناس بريقه فجعلهم يدوسون هذا التراث ، جاهلين او متجاهلين انهم يدوسون فيه مقومات ثقافتهم الوطنية ومظاهر حضارتهم الاصيلية .

وكانت رغبتنا ملحة واكيدة حين عزمنا على اختيار موضوع لرسالة الماجستير ، ان نتناول جانبا من الادب الشعبى ، وهو أدب يغرينا ويجذبنا اليه فنحس له ميلا غير قليل ، فقد رافقنا رفقة عمر منذ عرفناه ترنينا فى

المهد ، لاندركه ولا نعيه ، الى ان طربنا له واعين روعته ومدركين جماله ، فأحببناه وغدونا من حبه نشعر بمزاج متجاوب معه ومنسجم بالطبيعة وأنسليقة دون ما تكلف او تصنع . ولكننا لم نحس الجرأة على مواجهة الجمهور المثقف المغربي بمثل هذه الدراسة ، لاسيما بعد تجربة سابقة عانينا فيها الكثير وكنا قد نشرنا (1) بحثنا مسلسلا عن «الفولكلور» .

عدلنا في الما جستير عن الادب الشعبي وسجلنا موضوعا في الادب المغربى ، متصلنا بعهد الموحدين ، ادركنا دراسته حول الشاعر الامير ابى الربيع سليمان الموحدى ، ولكننا وعدنا نفسنا بضرورة انجاز بحث الدكتوراة فى احد فروع التراث الشعبى .

وهانحن نفى اليوم بهذا الوعد حيث تقدم اطروحة جعلنا موضوعها لونا من الادب الذى اتخذ اللهجة العامية اداته .  
وتعتبر هذه الاطروحة خلاصة جهود متواصلة فى الاعتناء بهذا الجانب من التراث الشعبى أكدت لنا الدوافع التى كانت حافزنا الى الاقبال عليه ، وهى :

- 1 - ان الادب الشعبى صورة للشخصية الوطنية ، مهما كانت باهتة فهى اوضح من الصورة التى يعكسها الادب المدرسى المثقف .
- 2 - ان دراسته تعزيز لاقليمية الادب وتقرير لمذهبه الذى تؤيد الداعين له منهاجا للكشف عن ادب الاقاليم العربية المختلفة وسبيل الامة العربية الى لم شتات ادبها المبعثر المجهول .
- 3 - ان الادب الشعبى مكمل للادب المدرسى وان من شأن دراسته ان تساعد على الربط بين الادبين واجتياز الهوة الكبيرة التى تفصل بينهما .



وقد صادفنا فى انجاز هذه الرسالة متاعب ومصاعب ، بعضها يتصل بموقف المثقفين فى المغرب من الادب العامى ، واغلبها يتصل بمصادر الدراسة اما موقف المثقفين فواجهنا فيه انكارا مطلقا علينا ان نتخذ الزجل (1) فى مجلة «دعوة الحق» وفى ثلاث حلقات ابتداء من عدد نوفمبر 1962 (السنة السادسة)



موضوعا لرسالة جامعية ، وحاول كثير من الباحثين الاصدقاء تحويل فكرنا عنه واغراءنا بموضوعات في الادب العربى المغربى او بما يروونه التراث الحقيقى الاصيل . وهم فى هذا بين عدم معتبر للآداب والفنون الشعبية من التراث ، لا يمثل قيمتها ولا يراها جديرة بالبحث ، وبين معترف بها ومقتنع بجدية الدراسة التى ندير عليها ، ولكن يراها تستهدف التسلية والترويح وتأتى بذلك فى المرتبة الثانية بعد التراث المدرسى ، لا يعدو الاهتمام بها أن يكون ترفا للعقل وترفيه عن النفس ، وآخر يرى ان العامة اثر من بقايا فترة التآخر والانحطاط ورواسب عهد الاستعمار ، وان الاعتناء بها يعرقل سير التعريب الذى يسعى المغرب الى تحقيقه ، وانه لا يمثل غير حركة رجعية هدامة تستتر خلف المحافظة على الآداب الشعبية .

ولعلنا ان نؤكد لهؤلاء جميعا ان الادب الشعبى جزء ركين من التراث وأنه تعبير عن مقومات الشخصية الوطنية والذاتية الجماعية ، وان الاهتمام به اهتمام بهذه الذاتية وتلك المقومات ، وانه لو لم يكن كذلك ما حاول الاستعمار ان يعنى ببعض جوانبه ليتسنى له ان يتسرب من خلالها اليها ليفهم عقليتنا ويدرك اعماق ثقافتنا واصول حضارتنا لينسفها من الاساس ونحن مع استاذنا الجليل الدكتور عبد الحميد يونس نخطئ من تصور ان الآداب والفنون الشعبية «تستهدف التسلية والترويح عن النفوس المكدودة بعد عمل النهار الطويل تلتئم لها المواسم وتنتخب لها اماكن التجمع . ان التسلية والترويح وظيفة ثانوية ، اما الوظيفة المحورية فقومية على الدوام تطلب المحافظة على ذات الفرد العزيز فى امته وتطلب المحافظة على الجماعة كلها فى آن واحد (1)» .

ولعلنا ان نؤكد كذلك ان العامة ليست مظهرا من مظاهر اللغة الفصحى فى صورة منحنى متأخرة ، وانها مزيج مركب من العربية كما وفدت الى المغرب ومن اللغة المحلية يومئذ ونعنى بها البربرية ، وان العربية التى وفدت لم تكن الفصحى وحدها وانما كانت معها لهجات عربية قبلية ،

(1) من المقال الافتتاحى لمجلة (الفنون الشعبية) بعنوان «المأثورات الشعبية» العدد الاول السنة الاولى 1965

وان الصراع اللغوى الذى دار فى المغرب لم يكن بين الفصحى والبربرية وانما بين هذه ومختلف اللهجات التى كان يتكلم بها العرب الوافدون .  
ومن هنا - واذا ما تهيأت دراسة اللهجات العربية فى كل الاقاليم -  
أمكن التعرف الى صفاتها وخصائصها والى ما بها من عناصر أصيلة ،  
واتضح بالتالى كثير من ظواهر اللهجات العربية القديمة ، بل اذا ما تهيأت  
هذه الدراسة سهل تحديد مناطق التقريب بين العاميات وتوحيدها وسهل  
كذلك تطوير الفصحى وامدادها بكثير من الجديد .

ولعلنا ان نؤكد بعد هذا حقيقة أخطأ فى ادراكها من كان يتصور ان  
الاستعمار كان يحاول القضاء على الفصحى لحساب العامية ، فمن المؤكد  
انه كان يقصد الى محوهما جميعا ليحل لغته وينشرها اداة للتخاطب والفكر  
على السواء . ولسنا فى حاجة الى القول بأنه لم يعد يخشى على الفصحى  
ان يقضى عليها او تزول بعد ان عادت سيادة الوطن العربى الى ابنائه ،  
فاللغة العربية الفصحى هى الرابط الجامع لشمل العرب وعماد قوميتهم  
وعنوان وحدتهم ، وهو واقع لاينكره الا الجاهلون والمعادون ومن بقيت  
فى نفوسهم وأفكارهم رواسب الاستعمار ، ولكنه انكار لا يؤثر على هذا  
الواقع فى شىء .

وحقيقة اخرى فى نفسنا نرجو ان نصرح بها للذين يرفضون دراسة  
الزجل خشية على العروبة ولغتها ، وهى ان اتخاذ المغاربة للهجة عامية  
عربية اداة للتعبير الشعرى دليل واضح وقاطع على عروبتهم وحيويتهم  
وحبهم للغة العربية ، ولكن حذار الظن بأننا ندعو لها لغة للفكر ، فهى قاصرة  
وعاجزة عن أن تتعدى نطق ذلك التعبير . ثم اننا فى غنى عنها بلغتنا  
الفصحى التى يتوفر لها من الامكانيات ما يجعلها قادرة على استيعاب كل  
جديد .

واما المصادر فعلى اربعة انواع :

1 - الابحاث التى تتصل مباشرة بالدراسة ، وهى جد قليلة لاتتعدى  
بضع مقالات . وكان قد ذكر لنا الاستاذ محمد الفاسى انه مهتم منذ  
خمس وثلاثين سنة بوضع عروض للشعر الملحون المغربى فاعتبرناه بذلك

راند البحث فى الادب الشعبى ، وسألناه اكثر من مرة - بالاتصال الشخصى  
وانوسائط والرسائل - ورجونا والحننا فى الرجاء عساه يمدنا بما قد  
يفيد ، ولكنه كان ابدا يردنا ويصدنا مهولا لنا امر هذا الادب ، بخيلا علينا  
بما قد يكون جمع من نصوصه او كتب عنه ، وشحيجا حتى بالكلمة الطيبة،  
تنير لنا الطريق او تبعث التشجيع فى نفسنا على الاقل .

2 - الاشياخ : سواء منهم اشعراء أو الرواة . وقد اتصلنا فى  
مختلف المدن المغربية بعدد منهم غير قليل ، وكان اعتمادنا عليهم كليا فى  
التعرف الى الزجل والزجالين ، ولكننا وجدناهم يختلفون فى العلم الى  
حد التناقض فى بعض الاحيان ، ويروون اخبارا اقرب الى الخوارق  
والخرافات منها الى الحقائق . وكان علينا ان نلظم مانأخذ عنهم ممن  
معلومات واخبار ، فوضعنا فهرسين بالجذاذات احدهما خاص بالزجل  
وانانى بالزجالين مرتب ترتيبا تاريخيا ، وكان علينا بعد هذا ان نصفى  
ما نأخذ عنهم من معلومات ونغربلها وننسق فيما بينها . ومع اننا وجدنا  
فى ذلك مشقة وصعوبة ، فقد تمكنا فى النهاية ان نصل الى تحديد مقاييس  
الزجل وقواعده والتاريخ له .

### 3 - النصوص الزجلية وتمثل فى :

أ - النصوص المطبوعة : وهى جد قليلة لاتتعدى ديوانا صغيرا وبضع  
قصائد متفرقة .

ب - النصوص المخطوطة : تتضمنها مجموعة الكنائيش التى وقفنا  
عليها فى المكتبات العامة والخاصة . ونسجل هنا اننا لم نتمكن من الاطلاع  
على مجاميع الخزانة العامة المرقمة فى حرف د : 474 - 1426 - 1504  
1535 ، وقد تبين لنا بعد البحث الطويل عنها انها اخرجت من الخزانة  
وانها فى حوزة الاستاذ الفاسى . وخاطبناه فى ان يسمح باطلاعنا عليها  
ولكنه لم يستجب . كذلك سألناه اكثر من مرة ان يمدنا ببعض القصائد  
وخاصة قصيدة - المصرية - وهى قصيدة طويلة لا يحفظها الاشياخ كان  
قد نظمها محمد بن على العمرانى فى احتلال بونا بارت لمصر . وكنا سألناه  
عنها فأخبرنا انها مدونة لديه . وطلبنا منه - شفاهها وكتابة - ان يطلعنا

عليها او على جزء منها ولكنه للأسف لم يفعل .

ج - النصوص المروية وقد جمعنا منها عددا غير قليل بواسطة التسجيل الصوتي والتدوين الكتابي سواء من الاذاعة أو من أفواه الشعراء والمنشدين . وقد لاحظنا ان الاذاعة لا تتوفر الا على عدد قليل من القصائد بسبب حداثة عهدنا بنظام التسجيل الصوتي ، كما لاحظنا ان محفوظات الاشياخ تدور في نطاق عدد معين من القصائد لا تخرج عما يرغب الجمهور في الاستماع اليه ، بل ان تقرير جمعية -- هواة الطرب الملحون -- بمراكش لسنة 64-65 يثبت ان محفوظ اعضاء الجمعية - منشئين ومنشدين وهواة - لا يتعدى سبعا وتسعين ومائة قصيدة ، وان اكثر الشعراء حظا وهو التهامي المدغري لا يحفظ له اكثر من اثنين وثلاثين قصيدة . ويثبت تقريرها للسنة التالية ان عدد الاشياخ الذين انشدت اشعارهم لا يتعدى الخمسين .

ولم يكن سهلا علينا ان نفهم هذه النصوص ، وخاصة منها المدونة ، بسبب تطور اللهجة وعدم معرفتنا بمعاني كثير من الكلمات وكيفية النطق بها وطريقة قراءة البيت بما يقيم الوزن . وحتى بالنسبة للنصوص المفوظة فقد كان الامر غير يسير ، اذ ان الحفاظ يختلفون في نقل النص الواحد ، وغالبا ما يروونه محرفا غير صحيح الا من كانوا منهم عارفين بالفن مدركين لمقاييسه ، ومثل هؤلاء يحاولون التصرف في النص بالتبديل والاصلاح .

وكان احساسنا بهذه الصعوبة قويا حين حاولنا - مجتهدين فسي الغالب - ان نضبط النماذج التي اوردنا ونشكلها لتسهيل قراءتها ويقرب فهمها (1) ولنفس الغاية حاولنا كتابة النصوص حسب نطقها او بالاحرى حسب النطق الذي اهتمدنا اليه ، بالاضافة الى اننا قدمنا شروحا لما رأيناه غامضا من الكلمات والتراكيب ، والى اننا لجأنا في باب الموضوعات الى نشر ما استشهدنا به من نصوص .

4 - ما كتب بالعربية او غيرها في الموشحات والازجال واللهجات والتاريخ والتراجم والآداب . وقد حاولنا ان نقف فيها على تجارب الآخرين وخبراتهم العلمية والعملية عسانا نستخرج منها بعض ما قد يساعدنا فيما (1) الاسف شديد اننا لن نتمكن من اثبات الشكل في هذه الطبعة لان الحروف المستعملة في الطباعة بالمغرب لا تتيح ذلك .

نحن بصدد من دراسة لموضوع بكر جديد . وقد اتيح لنا خلال الرحلة العلمية التي قمنا بها لتركيا واسبانيا ان نقف في خزائن اسطنبول ومديرية والاسكوريال على مصادر انارت لنا بعض مسالك السير . وكان املنا ان نجد في مصادر الأدب المغربي القديمة بعض النصوص الزجلية ، ولكننا وجدنا المؤلفين يعرضون عن ايرادها بل حتى عن ايراد الموشحات على حد مايقول عبد الواحد المراكشي متحدثا عن عبد الملك بن زهر : واما الموشحات خاصة فهو الامام المقدم فيها ، وطريقته هي الغاية القصوى التي يجرى كل من بعده اليها ، هو آخر المجيدين في صناعتها ، ولولا ان العادة لم تجر بايراد الموشحات في الكتب المجلدة المخلدة لاوردت له بعض مابقى على خاطري من ذلك» (1)



وكان المنهاج الذي سمرنا عليه في البحث هو نفس المنهاج الذي ندعو له في دراسة كل ادبنا وتراثنا عامة ، ويتلخص في اربع مراحل ، يحتاج انجازها - كلها او بعضها - الى جهود فردية وجماعية تعمل في تكتل وتناسق وتكامل ، وهي :

- 1 - التعرف الى المصادر والتعريف بها بوضع فهارس لمخطوطات الخزائن العامة والخاصة .
- 2 - اخراج النصوص مجردة أو محققة ان امكن .
- 3 - دراسة هذه النصوص دراسة تحليلية تقوم على الوصف والتقرير
- 4 - دراستها دراسة نقدية ومقارنة .

فقد بدأنا بحصر مصادر الزجل الموجودة في كل المكتبات العامة وبعض الخزائن الخاصة ، بالاضافة الى ما سجلناه من الاذاعة وافواه الاشياخ ، وتجمع لنا من ذلك نحو الف نص ، منه مايقرب من ربعة مكرر ، ولكن تكراره اتاح لنا مقابلة بين النصوص التي وقفنا منها على اكثر من نسخة . وقد صنفنا هذه النصوص ووضعنا لها فهارس على هذا النحو :

(1) المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص 92 مطبعة الاستقامة - القاهرة  
سنة 1949

- أولا : فهرس لكل مجموع او كناش .
- ثانيا : فهرس بالجداول للقصائد مرتب حسب الموضوعات .
- ثالثا : فهرس للقصائد مرتب حسب الشعراء .
- رابعا : فهرس للقصائد المنشدة .
- خامسا : فهرس للقصائد التي لم نهتد لاصحابها .
- سادسا : فهرس للقصائد التي يروى الحفاظ المغاربة لبعض زجالى الجزائر ، وكانوا فى معظمهم كثيرى التردد على المغرب والاتصال بأشياخه وجماهيره .
- وفى كل من هذه الفهارس اشرنا الى عنوان القصيدة ولازمها واسم صاحبها ومرجعها وكذلك اسم المنشد ومدة الانشاد بالنسبة للقصائد المسجلة بالصوت .

**بهذا التحديد للمصادر وتسهيل الرجوع اليها فيما نظمنا من فهارس، مهدنا السبيل امام الذين يرغبون فى اخراج النصوص ونشرها ، وما كان فى استطاعتنا أن نقوم بذلك ونحن بصدد انجاز الرسالة لاسيما وأن عددها كثير .** لهذا حاولنا ان نمثل اثناء الدراسة بنماذج متعددة ومختلفة من النصوص وخاصة فى باب الموضوعات . وقد كان فى نيتنا ان نقتطف منها مختارات نلحقها بالرسالة ، ولكننا اعتبرنا الحاق -- دليل للزجل -- أهم من الحاق مختارات . والامل عندنا -- اذا ما أتيحت لنا فرص النشر -- ان نخرج هذه النصوص سواء فى مختارات او فى دواوين بالنسبة للشعراء الذين تجمع لنا من قصائدهم عدد كثير .

**ورأينا ان تكون دراستنا للزجل وصفية تسجيلية** نقصد منها فى المقام الاول الى التعريف بالزجل تقريريا وتحليلا ، دون محاولة لمقارنته بالادب العربى او ادب اللهجات العامية الاخرى ، وهى طريقة تتفق والمنهاج الذى فرض نفسه علينا بعد ان خططناه والذى اقتضى منا فى هذه المرحلة من الدراسة ان نركز على الوصف والتقرير والتحليل ، وهى مرحلة نراها ضرورية فى الكشف عن اى ادب مجهول . وعسى ان نوفق فى المستقبل الى القيام بدراسة مقارنة يكون اساسها ما أمكننا حصره من الوان الشبه بين

الزجل المغربي والزجل الاندلسي او بينه وبين الادب العرب وما أشار به علينا استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني اثناء اشرافه على الرسالة وتتبعه لمراحلها المختلفة .

وما نقوله عن الزجل نقوله كذلك عن لغته ، فقد حاولنا من خلال اتبعنا ان نتعرف اليها حيث سجلنا بعض ظواهرها وخصائصها في محاولة أولية للوصف بعيدا عن مقارنتها بغيرها من اللهجات والحكم عليها بأى لون من ألوان الحكم أو محاولة استنباط قواعدها وقوانينها التي خضعت لها . وقد احسبنا في المحاولة البسيطة التي قمنا بها فى هذا المجال أن أمر المرحلة الوصفية ليس باليسير ، يحتاج انجازها الى لجان من المتخصصين لا الى فرد او مجموعة أفراد ، وأنه متى تهيأ انجاز هذه المرحلة امكن تقديم مادة أولية لدارسى اللهجات وعلمها المقارن .



**واقضى منا منهاج البحث ان نقسم الدراسة الى مدخل وثلاثة ابواب**

وان نشفعها بملحق :

**المدخل : القصيدة الزجلية والغناء الشعبى .**

استعرضنا فيه مختلف انواع الغناء فى المغرب وتناولنا القصيدة الزجلية كلون من اهم ألوان هذا الغناء وما يقوم عليه انشادها من نوبات الموسيقى الاندلسية وميائزها ، وما يصاحب هذا الانشاد من آلات وكيفية ادائه . وناقشنا شعبية الزجل شعرا وغناء ، واثبتناها على الرغم من ان جمهوره لم يكن محصورا فى العوام ، وعلى الرغم من اننا نعرف اسماء منشئيه ، ومن ان بعض قصائده مدونة .

**الباب الاول : الشكل**

ويتكون من ثلاثة فصول :

**الفصل الاول : مفهوم الزجل وانواعه**

وهو جزءان

1 - مفهوم الزجل .

اوضحنا فيه مدلول كلمة الزجل سواء فى اللغة او الاصطلاح الادبى ،

وعلمنا لإطلاقنا هذه الكلمة على الادب الشعبي المغربي بدلا من تسميات أخرى كثيرة يعرف بها عرضناها كذلك .

## 2 - انواع الزجل

تناولنا فيه اهم انواع الزجل المغربي بعد ان بينا أننا سنقصر البحث على نوع واحد منها وهو القصيدة المنظمة التي يعرف منشئها .

### الفصل الثاني : اللغة والفنية .

جعلناه خمسة اقسام :

1 - مراحل التعريب : تحدثنا فيه عن الظروف والعوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في المغرب منذ الفتح الاسلامي حتى عهد الموحدين الذي اعتبرناه آخر مرحلة شهدت تمام استعراب المغاربة .

2 - نشأة العامية : تناولنا فيه طبيعة اللهجات وأسباب نشأتها وأوضحنا ان العربية حين وفدت الى المغرب لم تكن معربة ونقية كما قد يظن وأنها كانت تتمثل في الفصحى لغة القراء وفي لهجات الفاتحين القبلية ، وأوضحنا كذلك ان انصراف اللغوى في المغرب لم يكن بين البربرية ولغة القراء وانما كان بينها وبين لهجات الفاتحين .

3 - خصائصها : جعلناها على نوعين :

أ - خصائص عامة تشمل اللهجة الدارجة المنتشرة في اهم المدن والمناطق المغربية .

ب - ظواهر خاصة بلغة الزجل كما طورها الزجالون وطوعوها لتعبيرهم الفني .

4 - جوانب بلاغية : عرضناها بعد ان بينا أن البلاغة قد تكون في اشعر العرب والعامى على السواء ، وتتمثل عند الزجالين المغاربة في :

أ - التجنيس أو الجناس .

ب - التصريف وهو ان يتصرف الشاعر في كلمة باستعراض عدد من اشتقاقاتها

ج - التضمين أو التلزيم وهو أن يجعل القافية على أكثر من حرف

د - الأنشوب وهو أن يستهل الشاعر الشطر بكلمة أو بكلمتين من



الشطر الذي قبله والبيت بشطر من البيت السابق عليه .

هـ - استخدام نوع معين من الكلام كأن ينظم الشاعر قصيدة كل حروفها مهملة أو كأن يلتزم بدء كل بيت من قصيدته أو انهائه بكلمات معينة .

5 - فنية الأسلوب - وتتمثل في :

أ - التشبيه والمقارنة .

ب - الحركة والحيوية والتشخيص .

ج - الحوار .

د - القصة .

هـ - الرمز .

كما اصنفنا إليها بعض الممحآت النقدية التي لاحظناها على لسان الاشياخ سواء منها ما يتصل بالشعر أو الشاعر .

### الفصل الثالث : العروض

ويتكون من ثلاثة اجزاء :

#### 1 البحور

ناقشنا في اول هذا الجزء مايقال من ان بحور القصيدة الزجلية غير محدودة ومايقال كذلك من انها محدودة في نطاق عروض الخليل ، وانتهينا الى ان هذه القصيدة لا تفسر على تفعيلات هذا العروض في تناسقها المعروف ولا تخضع لأوزانه ، وان كانت لا تبتعد عن ايقاعه . ثم فصلنا القول في البحور التي تعارف عليها الزجالون ، وهي :

أ - المبيت : وينقسم الى المثنى والثلاثى والرباعى والخماسى .

ب - مكسور الجناح .

ج - المشتب .

د - السوسى .

2 - بناء القصيدة :

ويتكون من :

أ - مقدمة يطلق عليها السرابة .

ب - اجزاء القصيدة ، وهى :

1 - الدخول .

2 - الحربة (اى اللازمة) .

3 - الاقسام (من حيث عددها وعدد الابيات داخل كل قسم)

ج - مقدمات الاقسام ، وتمثل فى :

1 - العروبي .

2 - النواعر .

د - القسم الاخير : ويضمنه الشاعر اسمه - تصريحاً او رمزاً

بالحروف والارقام - وتاريخ النظم واهداء السلام والصلاة والدعاء

وهجاء الخصوم .

هـ - الدريكة : وتتضمن - حين توجد - مايتضمنه القسم الاخير

فى العادة .

وختمنا هذا الجزء بنموذجين يوضحان البناء : احدهما من المبيت

والثانى من مكسور الجناح .

3 - نظام القافية :

تناولنا فيه :

أ - براعة الشاعر فى التقفية ، وتمثل فى نظم القصيدة كلها بقافية

واحدة وفى استعمال قوافى داخلية فى الابيات .

ب - القافية فى الاقسام حيث تتبعنا نظامها فى مختلف البحور .

ج - القافية فى المقدمات .

د - القافية فى الدريكة .

هـ - عيوب القافية ، وتمثل فى :

1 - القوافى الصيادية وهى التى لاتستوحى حرفها من موضوع القصيدة

2 - اتخاذ الهمزة قافية .

3 - الخلط بين الحروف المتشابهة المخرج .

**الباب الثانى : الموضوعات**

ويتكون من أربعة فصول :

## الفصل الاول : المرأة

عرضنا فيه لاربعة جوانب :

- 1 - المحبوبة : يمثل هذا الجانب نظرة الزجال المغربي للمرأة وافتتانه بجمالها كما تهواه نفسه وليس كما هو في الواقع ، فجاءت بذلك الصورة التي رسم لها نموذجاً لا تختلف ملامحه من شاعر لآخر .
- 2 - المحب : تتبعنا في هذا الجانب حال الشاعر في معاناته من حب المرأة ، ضعيفا ذليلا يقاسى مختلف ألوان العذاب ويسعى للوصول اليها بشتى الوسائل .
- 3 - الحب : ويبدو تمثل المحب له قويا طاغيا ومتجبرا لا يقوى على مواجهته .

4 - ملاحظات ، تناولنا فيها :

- أ - تغزل الشاعر في النص الواحد بأكثر من امرأة واحدة .
- ب - التغزل بالمذكر .
- ج - الزمن بالغزل في المرأة الى معنى سامي .
- د - مدى صدق الشاعر في غزله .

## الفصل الثاني : في الحياة

حددنا فيه نظرة الزجال المغربي للحياة في جانبها الحسي والتجردى:

- 1 - الجانب الحسي : ويمثل ابتسامه للحياة واستمتاعه بملذاتها ، وتناولنا فيه :

أ - اقباله على الخمر .

ب - افتتانه بالكون والطبيعة .

وختمناه بملاحظة عن شعر الفكاهة .

- 2 - الجانب التجردى : وجعلناه عن «الزهد والحكمة» . فقد عبّر

بهما الشاعر عما يعتمل في نفسه من برم وضيق بحال الدنيا وسلوك المجتمع وما يعلل به للوقائع والاحداث في استسلام لقضاء الله وقدره وعمل يراه وعظا ناجعا للناس عساهم يحسنون سلوكهم ويقتنعون بأن الدنيا ليست غير دار عبور لا يغتريها الا مغفل مجنون .

3 - وذيلنا الفصل بملاحظات عن :

أ - مدى اتصال الزجال المغربي بالحياة في أبسط مظاهرها واصغر مشاكلها .

ب - لجوئه في الوعظ إلى أسلوب الخطاب يوجهه لنفسه أو لغيره .

ج - تخصيصه قصائد للتذكير بعظمة الله وقدرته بقصد تنبيه

الغافلين المتهافتين على الدنيا .

### الفصل الثالث : مع الناس

تناولنا فيه :

1 - المدح : وهو فن لم يعن به الزجال المغربي لما احس فيه من فتور العاطفة وتكلف التعبير وزيف الدوافع وخلوه نتيجة ذلك من امتاع الذهن والشعور .

2 - إثناء : وهو كالمدح لم يقبل على النظم فيه ، بل انه كان اكثر منه عرضة للضياع لعدم مناسبة موضوعه للانشاد والترديد .

3 - الهجاء : وكان من اكثر الموضوعات التي الهبت قريحة الشعائر وجذبت المنشد والجمهور لما يبدو فيه من صدق الدافع وانطباع شخصية صاحبه عليه ولما يترك في نفس السامع من احساس بالمتعة وهو يشاهد عروض المنافسة . ويلحق به القخر و «السولان» وهي قصائد في السؤال والالغاز ، والخصام او «المحاورة» وهي قصائد في المفاخرة والمنافرة .

والحقنا بهذا الفصل ملاحظة عن مدى ولوع الشاعر الشعبي بفن الخصام ، اذ لم يقصره على الاشخاص فقط ، وانما تخيله كذلك في النبات والحيوان والجماد وبعض مظاهر الكون .

### الفصل الرابع : في حمى الله والرسول

تبعنا فيه مع الشاعر الشعبي حبه للرسول عليه السلام واستعراضه لوصافه وشتمائله وجوانب من سيرته كالمولد والوفاة والمعراج ، وماخصه به من صلاة . . . وهو في ذلك لا يسعى الى غير زيارة قبره والفوز بشفاعته يوم القيامة ، وهي غاية جعلته يتحدث عن هول هذا اليوم وعن شوقه والحنين

الى البقاع المقدسة . ثم انه لا يلبث ان يكشف عن حال ضعفه ورجائته  
الملح في ان ينقذه الله ويعفو عنه متخذا وسيلة اليه او الى رسوله الكريم  
وساطات مختلفة من الاشراف والاولياء يتوسل بهم ويمدحهم كذلك .  
وختمنا الفصل بملاحظة عن العشق الالهى الذى يكاد لا يوجد الا نادرا  
وعند بعض الزجالين المتصوفين .

### الباب الثالث : الاعلام

قصدا منا الى التعريف بتطور القصيدة الزجية من خلال التعريف  
بأعلامها ، وجعلناه ثلاثة فصول تمثل ثلاث مراحل :

#### الفصل الاول : مرحلة النشأة

وجعلناه جزئين :

##### 1- اسماء ونصوص قديمة .

استعرضنا فيه بعض الاسماء والنصوص التى امكننا العثور عليها منذ  
عهد الموحدين فى اوائل القرن السادس حتى عهد المرينيين قبيل  
منتصف القرن التاسع الهجرى .

##### 2 - الاصول الاولى للقصيدة الزجلية .

حاولنا فيه - استنادا الى ما اهتمينا له من اسماء ونصوص - أن نرى  
ان كانت القصيدة الزجلية المغربية امتدادا للزجل الاندلسى أم  
محاكاة مباشرة لفن التوشيح كما عرفه المغاربة ام تأثرا بشعر اهل  
الامصار العرب الوافدين الى المغرب أم استمرارا لعروض البلد الذى  
استحدثه أهل المدن بالمغرب أم تطورا للاغانى والمرددات الشعبية  
المحلية ؟ وانتهينا الى ان هذه الاغانى والمرددات هى الاصل الاول  
للقصيدة وانها قد تكون حاكت عروض البلد وتأثرت بأشعار العرب  
الوافدين وخاصة منهم الهلاليين وحلفائهم ، ثم بالزجل الاندلسى  
فيما بعد حين انتقلت من البيئات الشعبية الصرف الى بيئات راقية

#### الفصل الثانى : مرحلة التطور .

بدأت قبيل منتصف القرن التاسع على يد عبد الله بن احساين  
وامتدت زهاء ثلاثة قرون حيث وقفنا بها عند المصمودى فى اوائل القرن

الحادى عشر . وهى مرحلة كانت القصيدة الزجلية تكتسب خلالها كثيرا من الجديد وتحاول احراز كيانها انذى ستتستقر عليه سواء من حيث الشكل أو المضمون .

ولاحظنا فى ختام الفصل ان هذه المرحلة توقفت ، وان توقفها دام زهاء قرن ونصف ، وملنا فى تحليل ذلك الى اهمال الحفاظ لرواية ازجال المغاربة واقبالهم على ازجال الشعراء الجزائريين الذين وفدوا الى المغرب فى هذه الفترة ، وكانت لهم مكانة فى الدولة . وخاصة منهم سعيد التلمسانى . كما لاحظنا ظاهرة انتشار الزجل فى بيئة المتصوفين المغاربة

**الفصل الثالث : مرحلة الازدهار .**

بدأت على عهد السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى ، وتجدد ازدهارها فى الربع الاخير من القرن الثالث عشر على عهد سيدى محمد بن عبد الرحمان الذى كان بدوره من الزجالين . وكان آخر بريق لنهضة الزجل فى هذه المرحلة فى اوائل القرن الحالى ايام السلطان المولى عبد الحفيظ الذى كان من كبار علماء عصره وزجاليه .

وتعتبر هذه الفترة من اخصب فترات الزجل لكثرة مانبغ فيها من الشعراء ، وقد حاولنا ان نستعرض اعلامهم الذين آتيج لنا ان نهتدى الى بعض اخبارهم وأشعارهم ، فبدأنا بالجيلالى امتيرد ، وختمنا بالحاج محمد العوفين . وذيلنا الفصل باستعراض لاسماء كثير من الزجالين المعاصرين مرتبة حسب مدنهم ، ولاحظنا ان الزجل عند هؤلاء تجمد فى صور ونماذج تقليدية بعيدا عن أية محاولة للتعبير عن الاحساس الذاتى والتكيف مع روح العصر بله التطوير والتجديد .

#### ملحق :

وقد ارتأينا ان نذيل الرسالة بدليل ضمناه جميع الفهارس التى سبق أن أشرنا اليها (1) .

وبعد ، فلسنا نزع اننا قلنا جميع مايمكن قوله فى الموضوع ولا اننا (1) نأمل نشره على حدة ان شاء الله .

أتينا بالقول الفصل فيه • وحسبنا اننا فتحنا بابا جديدا للبحث الادبي في المغرب ، واننا بذلنا في سبيل ذلك جهدا يشهد الله أنه كان مخلصا ومتواصلا . وأملنا ان يجد الدارسون من زملائنا الشباب في هذه الرسالة ما يغريهم بمواصلة البحث من أجل احياء التراث بجميع أنواعه ، وأن يجد فيها المسؤولون عن جامعة محمد الخامس ما يقنعهم بضرورة ادراج ادب المغرب الشعبي في مقررات كلية الآداب الى جانب أدبه المغرب الذي نتحمل عبء تدريسه بها •

وواجب علينا ان نرجي الشكر جزيلا الى أستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني الذي كان لاشرافه ما انار لنا السبيل وشجعنا على المضى والاستمرار ، والى سيدنا الوالد حفظه الله لما قدم لنا من نصائح وتوجيهات وفوائد وما بذل من جهد - باتصالاته العديدة وخلال مختلف أسفاره - في البحث لنا عن مزيد من النصوص ، والى زوجتنا الحبيبة التي ساعدتنا في التسجيل والتدوين وتحملت في صدق وصبر وتقدير ما كانت تفرضه ظروف انجاز الرسالة من استغراق كلى في البحث وانشغال عما سواه ، والى كل من أمدنا بنص أو أشار علينا بفائدة أو دلنا على مصدر ، الى الاساتذة الاجلاء السادة : ادريس بن الماحي وعبد السلام بن سوادة ومحمد الهسكوري ومحمد المنوني وعبد الله گنون وعبد الوهاب بن منصور وسعيد اعراب وعبدالله الرجراجي وابراهيم الكتاني والمهدي الديرو ومحمد السفيناني والصمدى المزوار وحسن الرجراجي وجعفر الكتاني وعبد القادر زمامة ومحمد الشليخ والاخ عبد الواحد الجراي والدكتور عبد السلام الهراس ، والى اشياخ الزجل الافاضل السادة الحاج محمد بن عمر الملحوني وبنعيسى الدراز ومولاي احمد بن عبد السلام العلوي واحمد سهوم والحاج محمد العوفير وعبد القادر الجراي ومحمد بن الهاشمي وادريس المروني وهاشم السفيناني ومحمد حسن التطواني •

والله نسأل ان يوفقنا للخير ويهدينا للصواب •

القاهرة 28 ذى القعدة 1388 - 15 فبراير 1969  
عباس بن عبد الله الجراي

مدخل

---

القصيدة الزجلية

والغناء الشعبي



يمكن تقسيم الغناء فى المغرب الى انواع تختلف لغة ونغما واداء باختلاف مناطق هذا الغناء . ومن الالوان التى تتخذ العربية اداتها فى التعبير نستطيع ان نذكر :

1 - القصيدة الزجلية التى اتخذناها موضوعا للرسالة ، وسنتناول انشادها فى هذا المدخل .

2 - المواويل والعروبيات والسلامات والعيطة والطقطوقة وأعيوع والدقة وغيوان بن يازغة والمزوكى : وسنتحدث عنها كأنواع للزجل فى الجزء الثانى من اول فصل فى الرسالة .

3 - الموسيقى الاندلسية وتسمى «الآلة» تطرب لها مختلف الطبقات، وهى تمثل لونا من التراث الذى انتقل الى المغرب من الاندلس ، فحافظ عليه المغاربة و اضافوا اليه . وسنستعرض نوباتها وميازينها بعد سطور .

4 - الغناء العصرى وهو متأثر فى أغلبه بالغناء المشرقى والمصرى خاصة .

5 - اغانى العمل وارقاص الاطفال وما اليها من المرددات البيئية اليومية

6 - الاغاني والانشادات الدينية ، وتنقسم قسمين :

أ - الامداح وأغلبها فى المدح النبوى - ومن هنا جاءت تسميتها - وقد اشتهر بأدائها منشدون يطلق عليهم «المسمعين» وهى ابيات ومقطوعات تنشد حسب نوبات وميازين الموسيقى الاندلسية ، ولكن دون أن تصحبها الآلات الموسيقية .

ب - أناشيد الطرقيين وفقراء الزوايا ، وهى اشعار فى الذكر أغلبها لابن الفارض والششتري والحراق ، او اوراد وأقوال لاشياخ الطرق ، تعتمد فى تلحينها على بعض الطبعوع الاندلسية يصحبها رقص الذاكرين ، وهو رقص يختلف حركة وقوة وحدة باختلاف

إبطوانف ، فإذا كان مثلاً رقص درقاوة والغاسميين هادئاً ليس فيه غير الهز العمودي للجسم والاحتاف فإن رقص احماشة وعيساوة يعتمد على تحريك قوى للجسم والاطراف مع الضرب العنيف بالاقترام على الأرض . وغانياً ما يصاحب الانشاد والرفص عزف على الآلات الموسيقية ، وتختلف هذه الآلات باختلاف الفرق ، فآلات درقاوة مثلاً هي آلات الموسيقى الاندلسية وأن قل اعتمادهم عليها ، والغاسميون يعتمدون على الطبل ، أما عيساوة واحماشة فعلى النغير والغيطه والطبل والدعدوع .

وتعتبر القصيدة الزجلية من أهم ألوان هذا الغناء يطرب لها العامة والخاصة من الناس ، يقوم انشادها على نوبات الموسيقى الاندلسية ومياريها . وعلى الرغم من أنه لم تنهياً لنا دراسة موسيقية من شأنها ان تتيح لنا تناول هذا الجانب الفني عن دراية وادراك ، فقد ارتأينا - تكميلاً لمختلف أطراف الموضوع - أن نشير في استعراض سريع الى هذه المياريين وتلك النوبات ، تسعيناً في ذلك بعض المصادر (1) التي عنيت بتسجيلها وبعض

(1) وهي : (1) مجموع يضم قصائد وموشحات في المديح النبوي مرتب على نوبات في الانشاد جمعه احمد بن محمد العربي احصري المراكشي (مخطوطة خاصة بالكاتب)  
(2) كتاب «الانيس المطرب فيمن ثقيه مؤلفه من أدباء المغرب» لابي عبد الله محمد بن الطيب العلمي ت سنة 1134 هـ لدى ترجمة ابي عبد الله سيدي محمد البوعصامي (ط حجرية غير مؤرخة) .

(3) كتاب الحايك في الموسيقى الاندلسية ، وهو مخطوط ، وكان اعتمادنا على مخطوطة الخزنة العباسية . وقد نشره فرناندو مارتينز ولكنه اقتصر على ايراد كلام الحايك في التعريف بالنوبات وترجمته دون ايراد النصوص :

El concionero de AL-HA'IK : Fernando Valderrama Martinez  
Instituto General Franco de estudios E investigation hispano-  
Arabe Tetuan 1954

(4) منظومة قصيرة للحوات مخطوطة بالكتابة الملكية رقمها 4229 ، اولها :

وها أنا رتبته منظمة نظم لآل في سيلوك محكمة

(5) منظومة لعبد الواحد الونشريسي اولها :  
=

المعلومات التي اخذناها من المتخصصين في هذا اللون من الموسيقى بالمغرب .

اما **النوبات** فاحدى عشرة ، هي :

(1) **رمل الماية** : ذكر الحايك عن احد طبوعه (1) وهو الحسين ، انه يستعمل

«فى جميع الاوقات ونغمته الذ النغمات والحانه اطيب الالحن» (2)

(2) **الاصبهان** : ويقال «ويقال ان ملائكة الرحمن يسبحون بهذه النغمة ،

ونغمته حادة رقيقة حلوة» (3) ويقال كذلك ان مرددات المتسولين قائمة

عليها وأن باب الجنة يطرق بنغمتها لملاءمة رقتها للتذلل والرجاء والاستعطاف

(3) **الماية** : قال عنها الحايك «انها تجلب النوم» (4) وتنذر بالفراق ،

لذلك فهي غالبا ما تؤدي فى العشايا والامسيات . ويقال ان السلطان

الحسن الاول كان يتشائم منها ويدعو الى عزف نوبة العشاق بدلا منها ،

واشتهر ذلك حتى قيل فى المثل : «عكس لقضيا افلعشيا» .

(4) **رصد الذيل** : وقد شاع عن رجال الفن انه «اذا طال الليل فعليك برصد

الذيل» وهي قولة تدل على ان هذه النوبة تساعد على السهر وما يقتضى

طبائع مافى عالم الكون اربع ففى مثلها اضرب للطبوع مجملا

وهي واردة فى : أ - مخطوط بالمكتبة الوطنية بمديرية رقمه

5307

ب - كتاب الحايك مخطوط الخزانة العباسية ص 12 - 13

ج - مجموعة احضرى ص 20 (بترتيب مختلف للايات

منسوبة للإمام الوجدى ، ولعله خطأ فى انتساخ اسم

عبد الواحد)

(1) لكل نوبة مجموعة من الطبوع . يقول الحايك : «ان الطبوع

فى هذا الزمان بهذا المغرب الاقصى اربعة وعشرون طبعا

ويزاد طبع الصيكة وهي من اعذب مايكون ، ولكل تواش

وأغنية وطبوع كثيرة ... منها الجرعة والرهاوى والراست

والروكة ... وطبوع كثيرة يطول ذكرها وتنتهى الى

ثلاثمائة وستين كما وقفنا عليه فى غير ما تأليف» (ص 52

من *El Concionero de AL-H'AlK* وفى رأى بعض المعتنين أن

الطبوع تبلغ ستة وستين وثلاثمائة على عدد ايام السنة

الشمسية بما فى ذلك السنة الكبيسة .

(2) المصدر السابق ص 85

(3) المصدر السابق ص 92

(4) المصدر السابق ص 99

من صبر وتحمل لفراق الاحبة .

(5) الاستهلال : ويعتبر مما أضافه المغاربة الى الموسيقى الاندلسية على عهد دولة السعديين ، وهو عند الحايك «من الطبوع المجهولين ويقال ان الذى استخرجه هو رجل يسمى بالحاج علال البطلة فى اوائل ايام مولانا السلطان الاعظم أمير المؤمنين عبد الله محمد بن الشيخ الشريف الحسنى ... استخرجه لمدينة فاس» (1) ويقال فى سبب تسميته انه كان يستهل به (6) الرصد : يقال انه يوحى بالدلال والعناد ، وانه «رقيق النغمات حلو الالحان» (2)

(7) غريبة الحسين : وهى نوبة حزينة يقال ان مستخرجها سلطان اسمه الحسين كانت له جارية «تسمى بالغريبة لانفرادها عن أهلها وأوطانها وكان السلطان مغرماً بها فلذلك سميت بغريبة الحسين ، ولها من الاوقات طلوع الفجر ، وهذا الطبع نغماته وألحانه تؤثر فى قلوب السامعين الرافة والحنان وسكان عبر المقل» (3)

(8) الحجاز الكبير : ويعرف بـ «الحجاز» يوحى بالعمق والسمو (9) الحجاز المشرقى : ويعرف بـ «المشرقى» قال عنه الحايك انه «يستعمل فى سائر الاوقات وانغامه حلوة رقيقة مفرحة» (4) وقال عنه احضرى : «فيه تفريح لسامعه لانه يزيل الغم ويسلى عن المصيبة» (5) (10) عراق العجم : ذكر الحايك ان مستخرجه صيكة بن تميم العراقى وانه «رقيق النغمات حلو الالحان وله تأثيرات فى نفوس المستمعين ويدخل للقلوب الفرح والسرور ويجلى عنها الهموم ... ويكسب الفضل للنفوس والشرف ويقوى عزمها على الخير والعفاف ، وما من انسان كريم الشيم سمعت نفسه نغماته الا طربت اعضاؤه ورشحت انامله» (6)

(1) المصدر السابق ص 111

(2) المصدر السابق 117

(3) المصدر السابق ص 124 - 125

(4) المصدر السابق ص 138

(5) صفحة 24

(6) صفحة 144

11) انغمساق : قال عنه احضرى : «نغمته حلوة لذيدة وله من الاوقات

من ابتداء الصبح الى الزوال» (1)

وهنا المآزير التى تؤدى عليها كل نوبة فخمسة ، هى :

1 - البسيط .

2 - القائم ونصف .

3 - البطايحي .

4 - القدام .

5 - الدرج .

وتكاد اغلب القصائد تؤدى فى الدرج ، وهو ميزان لا يوجد فى غير الموسيقى المغربية ، اذ لا اثر له فى «المألوف» و «الغرناطي» وهما الاسمان اللذان يطلقان على الموسيقى الاندلسية التى انتقلت الى تونس والجزائر . ويؤكد اكثر المختصين انه من اضافات المغاربة لهذه الموسيقى ، وقد ذكر احضرى فى مجموعه انه تفرع من «البطايحي» (2)

وتصاحب انشاد قصائد الزجل آلات يطلق عليها «لماعن» او «لمواعن» (3)

نجد ذكر بعضها عند الشعراء على حد مايقول المدغرى فى «الساحي» :

ماهزك توشيح \* والبستان القحيح

والعيدان اتصيح \* والرباب اللى نايبح

ويقول فى «الصبوحى» :

شف العود والقانون وانجناح اجنك (4) اامنجا واستتر احداها

وارباب امع الآلى ايجاوبو بنغايم لوتار

شف الآلى موسيقتو شبات اعلى حسن انغايمو فى ميزان احضاها

واكمل اصبوحننا اعلى الرضا ماغزلو حرار

ويقول فى «الكاس» :

(1) صفحة 24

(2) صفحة 12

(3) أصلها المواعين ج ماعون .

(4) لم تعد هاتان الآلتان تستعملان (الجنك والجنج) ولم نوق الى التعرف اليهما ، وقد بدالنا من سؤال بعض المختصين انهما

كعب الخمر الكافج \* اصاحى واتراوح \* بالنعريجا واكباح  
ويقول الرجراجى فى «الساقى» مشيرا الى بعض الطبوع :

شف القانون امع الرباب شف الجنك الجناح

وانظر للكمنجا او شمواف العود ارجيح

ينغم بالموال والرصد والسانو مصلوح

شف اصبهان امع الحسين والمايا فى تنقاح

شف العشق الصافى الزم انعفا باش اتريح

والتوفيق من الكريم نعم الحى الصبوح

وفد تقل الآلات او تكثر حسب الاجواقى ، لكنها لاتخرج عن نطاق

الآلات المستعملة فى معظم الوان الموسيقى المغربية وهى :

#### اولا : آلات النفخ :

1 - النيرة او الليرة : وهى نوع من الناي ، تصنع من القصب  
المجوف وتكون مفتوحة من الطرفين وبها ثقب يتراوح عددها بين خمسة  
وسبعة .

2 - الغيطة : وهى نوع من المزمار تتخذ من الخشب ، تبدأ ضيقة فى  
طرفها الاعلى ثم تأخذ فى الاتساع حتى طرفها الاسفل . تثبت فى فمها  
قطعة مدورة من العاج او العظم بها فتحة منها يكون النفخ . ويكون بها فى  
الغالب سبع ثقب ستة من فوق متساوية الابعاد وواحدة فى الاسفل . وهى  
شبيهة بالمزامير المصرية التى تتخذ احجاما مختلفة وتسمى :

(أ) المزمار البلدى وهو اطولها .

(ب) المزمار الصعيدى : متوسط .

(ج) السببس : وهو اصغرهما .

3 - النفير : وهو فى شكله كالغيطة الا انه طويل ومصنوع من معدن

---

آلتان وتريتان شبيهتان بالهارب Harpe والليير Lyre  
الغربييتين ، وبالسسمية التى تستعمل فى بور سعيد ، والطنبورة  
المعروفة فى نوبة مصر ، وهما من معروضات متحف مركز  
الفنون الشعبية بالقاهرة ، وقد أفدنا من هذه المعروضات فى  
المقارنة بين الآلات المغربية والمصرية .

النحاس فى الغالب ، وتؤدى به النغمات الغليظة العميقة .

**ثانيا : الآلات الوترية ، وهى نوعان :**

**1 - داىستخرج نغمها بواسطة القوس ، وهى :**

(أ) الرباب الفاسى : وهو عبارة عن صندوق خشبى من كتلة واحدة تغطيه قطعة جلد ماعز ويكون فى طرفه الاعلى مشط معوج يشد اليه وتران غليظان يمران وسط الصندوق ، ويثبت فى طرفه الاعلى مفتاح لشد الوترين يتخذ شكل زاوية .

(ب) الرباب السوسى : وهو عبارة عن دائرة خشبية تغطيها من الجهتين قطعة مثقوبة من جلد الماعز ، ويمر فى وسط التجلد الاعلى مشط ثبت فى طرفه مفتاح لشد الوتر وهو وتر واحد مصنوع من شعر الخيل ، اما القوس فتضيب من خشب معوج بعض الشيء يشد طرفيه وتر من نفس النوع .

(ج) الكمان او الكمنجة : وهى آلة معروفة .

**2 - ماىستخرج نغمها بالنقر والنبر (1) وهى :**

(أ) العود : وهو معروف .

(ب) اتقانون : وهو معروف كذلك .

(ج) الماندولينه : وهى اصغر من العود وليس لها جوف كبير ، وتكاد تكون اشبه الآلات بالقيتارة الغربية فى رقة نغمها وحدته الا ان جوفها صغير ومستدير .

(د) الكمبرى : وهو عبارة عن قيتارة بجوف خشبى صغير مغطى بقطعة جلد ماعز مثقوب تشد اليه ذراع طويلة بها مفتاح لشد الاوتار ، وهى لاتزيد عن اثنين او ثلاثة . وذكر هذه الآلة وارد عند ابن بطوطة فى رحلته (2) وعند الدنا حفظه الله ان الكمبرى نوعان : «هجهوج يحتوى اوتارا ثلاثة ، وسويسد ويحتوى وترين ، واللفظة بربرية الاصل ، جوفها مسن خشب كغالب الآلات واحيانا تتخذ من ظهور السلحفاة . والذى يظهر انها

---

(1) قد يكون النقر والنبر بالمضارب او ما يطلق عليه : الصدعة والوتره

والريشة ، وقد يكون بالاصابع وهو ما يسمى بالحس .

(2) ج 2 ص 190 وج 4 ص 106 ط باريز حيث ذكر القنابر .

آلة مغربية ، ربوأسطتها والدس على اوتارها يبتدىء المتعلمون دراسة الفن» (1)  
ومن انواع الكمبرى كذلك «السنيتير» وقد وجدنا ذكره عند العلمى فى  
«الانيس المطرب» حيث قال : «وأما الآلات التى اتخذت للغناء فكثيرة منها  
العود وهو اشهرها والرباب والشبابة والجنّاح والسنطير وغير ذلك مما هو  
شهير» (2) .

#### ثالثا : الآلات الإيقاعية ، وهى الآلات التى تعرف بالصدمية :

(أ) البندير : وهو عبارة عن دائرة من الخشب شدت عليها قطعة من  
جلد الماعز غير مدبوغة يمر فى وسطها قطريا ومن الداخل بعض الاوتار  
عددا اثنان فى الغالب ، تزيد الصدى حدة حين الضرب . وبالأطار الخشبى  
ثقبه يدخل منها الضارب ابهامه حتى يتمكن من مسك الآلة . ويكون الضرب  
باليمنى على وسط البندير او على اطرافه مما يعطى نغمتين احدهما  
رقيقة حادة والثانية غليظة عميقة . ويطلق على البندير فى المدن اسم  
الطارة وغالبا ما يكون اطارها أعرض . وتجدر الاشارة الى ان هذه الآلة تعرف  
فى مصر بنفس الاسماء حيث يطلق عليها البندير والطارة .

(ب) الدف : وهو عبارة عن مربع صغير مغلق بجلد من الجهتين ،  
ولعله قريب من الآلة الطبلية التى كانت معروفة عند العرب بالمربع .

(ج) الطر : وهو بندير صغير توجد فى اطاره ثقب بها ازواج من  
الصنوج المعدنية الرقيقة تضيف الى النغم صدى وحدة وزخرفة ، وهو  
المعروف فى مصر بالمزهر والرق والدف .

(د) الطبل : وهو معروف ويطلق عليه فى مصر الطبل البلدى . وتجدر  
الاشارة الى انه يضرب عليه بقضيبين احدهما غليظ ومعوج الرأس يسمى  
«السأهلا» والثانى رقيق ويسمى «الربيب» .

(هـ) الطبله او الطبلية : وهى عبارة عن نقارتين او طبلين صغيرين  
ومن حجم مختلف ، يتخذان من الطين الناضج ، تغطيهما قطعة جلد يوقع  
عليها بقضيبين رقيقين ، وهى أشبه بالنقاير فى مصر ، الا ان هذه تتخذ  
1 من مادة «الآلة» (الموسيقى) التى كتب لموسوعة المغرب العربى التى  
يشرف عليها المكتب الدائم للتعريب فى الرباط .



من معدن النحاس فى الغالب وتكون منفصلة •

(و) التعريجة : ويطلق عليها فى لهجة اهل الرباط «لگوال» وهى الآلة المعروفة فى مصر بالطبله وغالبا ماتوضع فوق الركبة او فى راحة اليد ويضرب عليها بالوسطى والسبابة ، وتعتبر اهم آلة يضبط عليها منشد الزجل الايقاع •

ولعل اصل تسمية «لگوال» : «القول» او «الجوال» وهما افتراضان يدلان على أهمية الدور الذى كانت تؤديه هذه الآلة فى مصاحبة المنشد •  
ومن انواعها :

1 - الدربوكة : وهى معروفة •

2 - الهرازي : ويطلق عليه فى لهجة اهل الرباط «الدعدوع» وهو عبارة عن تعريجة كبيرة توضع فوق الكتف ويضرب عليها بكلتا اليدين •  
(ز) الهندقة : وتعرف فى مصر بالصاجات وهى عبارة عن زوجين من الصنوج تشبت فى الابهام والوسطى من كلتا اليدين ، وغالبا ماتتخذ من المعدن لانه يقوى النغم ويحليه ، وقد تتخذ كذلك من الخشب او العظم •  
بهذه الآلات وعلى تلك الانغام يؤدى المنشد القصيدة ، والعادة الا يكون الناظم ، ويطلق عليه «شيخ النشاد» و «الحفاظ» (1) وقالوا فى امثالهم : «السجاي تيولد والحفاظ تيربي» يقصدون ان الزجل ينشئ ولا يستطيع ان ينشد ويحتاج فى ذلك الى الراوى الذى يروج له قصائده •

(1) من اشهر المنشدين المعاصرين المرحوم المعطى لحسوك من مراكش والمرحوم محمد بوزوبع وانتهاى الهروشى وهما من فاس • وقد ذكرنا اسماء غير قليل منهم فى فهرس القصائد المنشدة بآخر الدليل الملحق بالرسالة • وتجدر الإشارة الى ان كثيرا من الشيوخ اشتهروا بحفظ الزجل وانشاده نذكر منهم : فطومة الشرقاوية ومريم الشاوية وسلطانة الاسلامية (كانت يهودية وأسلمت) وهن من فاس ، والحجوية وملكة وزهور الضخامة والحاجة زينب والجامعية وفطومة الرباطية وهشومة بزغانو والسعدية الوزانية وبلارة وابريكة ومشطونة وطاطا الغالية التى يقال انها كانت مقربة للسلطان المولى عبد الحفيظ ، والحاجة بنت العنبر وهن من الرباط • ويبدو انهن فى الاصل من فاس وهاجرن الى الرباط بعد ان اوقفهن الباشا البغدادي عن العمل فى فاس •

والمنشد لا يحفظ القصيدة ونضامات الحانها إلا سماعاً ، أو «بالسمعي» كما يقولون ، وحتى لا يقترب في الميزان كسراً أو «تركيباً» على حد اصطلاحهم فإنه يستمع الى اللحن ويردده ليستأنس به وتألفه اذنه حتى «ايطيب الميزان» اى يطبخه ان صح التعبير .

ومن براعة المنشد ان «ايركب» اى ان يتسلم الغناء من منشد سابق عليه بقصيدة اخرى يؤديها على نفس الميزان الذى ادى عليه هذا المنشد . ومن براعته كذلك ان «ايفجج» اى يستعرض نغمات وطبوعاً مختلفة فى القصيدة الواحدة ، وهى عملية اطلقوا عليها «لبدال» ومنه ما يقدم به بعض المنشدين قصيدة «المزيان» التى يقول العلمى فى حربتها (1) :

حن واشفق واعطف برضاك يا لمزيان \* لا اسماحا ميعاد الله يالهاجر  
فانهم يبدؤونها على طبع الاستهلال ثم ينتقلون الى رمل الماية فالحجاز فالصبيكة .

وقالوا عن المنشد انذى لا يستطيع ذلك انه يغنى «اعلى جنب واحد» وهو دنيل على قصر باعه . ومع هذا ففى رأى المنشدين أن بعض القصائد لا تحتمل تغيير الميزان ، او على الاصح جرت العادة بعدم تغييره فيها ، ويذكرون منها :

1 - «خال وشاما» للمدغرى وحربتها :

اللايم لاش اتلوم رح سالم دعنى كف نلام ما حجت امن اغرامى  
بين خال وشاما

فانها لا تؤدى الا على عراق العجم .

2 - ومثلها قصيدة «الكتاوى» للمدغرى كذلك ، وأولها :

معظم ذاك اليوم فاش صدوا ناسى وامشاوا

تركونى نواح فالرسام اضميرى كاوى

يحسن عون اللى امشاوا ناسو من بعد اكوا

ويقولون ان بعض المنشدين حاول اداء هذه القصيدة على ميزان رمل

---

(1) الحربة اللازمة (انظر الجزء الخاص ببناء القصيدة من فصل «العروض» ) .

المائة ولكنه افسدها .

3 - قصيدة «الهاجر» التي يقول العلمى فى حربتها :

أش عملت اسلطان مهجنى حتى سلمت افخلطتى واضحيت من ساحتى اجفيل  
راقب فيا وجه الله عف يهاجر لوكر مسجونك سرحو اتقوز بحسانه  
فانها لاتنشد الا على الحجاز المشرقى .

4 - قصيدة «التوبة» لابن سليمان ، وحربتها :

ياراسى لاتشقى \* التاعب لابد من لفراق  
لاتامن فالدنيا \* ابناسها غسرا  
فانها لاتنشد الا على عراق العجم .

5 - قصيدة «خناثة» للحبابى ، وحربتها :

عشقى فخنائى \* ياترا فالعاهد والقول ثابتا  
من تاهت بجمالها احياتى \* راحت روحى الصايلا عل لبدر بنعوت  
فانها لاتنشد الا على الصيكة والحجاز .

ومن قصر باع المنشد ان يؤدى الميزان «امصور» اى غير متقن لاتنسجم  
نغماته مع طبقة صوته ومع كلمات القصيدة ولايتجاوب معه الجمهور  
وانعازفون ، والتجاوب عندهم دليل الاتقان ، ويقولون عن الميزان السدى  
يؤدى فى انسجام انه «انفق» .

والعادة ان يبدأ المنشد البارع باحدى هذه المقدمات :

1 - السرابية (1) وهى قطعة قصيرة تؤدى على غير ماتؤدى به  
القصيدة ، وهى اربعة انواع :

(أ) المزلوك : وتنشد رقيقة حادة .

(ب) الكباحى : يصاحبها ضرب قوى متواصل بالكف ، وتكاد اغلب  
السرارب اليوم تكون من هذا النوع .

(ج) الحضارى : تنشد فى استرسال سريع .

(د) السماوى : يستهل انشادها ببطء كالموال ثم يأخذ صوت المنشد  
فى العلو والارتفاع كأنه يصعد بها الى السماء . ويطلق على هذا النوع  
(1) سنتحدث عنها فى الجزء الثانى من فصل «العروض» لدى الحديث  
عن بناء القصيدة .

«السرارب الحسنوايين» • ويقال ان اشياخ فاس كانوا مشهورين بانشاده  
2 - الموالم : والمالم ان يكون فى لغة معربة ، ومن الامثلة عليه قول

الشاعر (1)

ومن عجب انى احن اليهم \* واسأل شوقا عنهم وهم معى  
وتشتاقهم عينى وهم فى سوادها \* ويطلبهم قلبى وهم بين اضلعى  
وقد يكون فى لغة ملحونة كقولهم (2) :

تاتحبك ونهواك \* وفى امسبتك اكرهونى  
ماراحتى حتى نلقاتك \* عليك يتحلوا عيونى

3 - اتمهويلة : ويقولون ان لكل قصيدة تمويلة تكون على قالبها  
وميزانها ، ويذكرون منها :

(أ) تمويلة قصيدة «التوبة» لابن سليمان ، وقد تقدمت حربتها ، وتنشد  
على ميزان عراق العجم :

آمالى يامالى أسيدى ياسيدى  
للا يامولاتى للا  
أمالى مصبرنى  
اغرايى لامونى

(ب) تمويلة لقصيدة «المرسم» لابن على وتنشد على الصيكة :

أنا يامالى للا يامولاتى للا ادوى  
حيانا واجا ايلامى قاوت ابلمى اوجيتنا بالغزال  
وهذه حربة القصيدة :

أنا والمرسم ياحمام ثائننا فالزهو انت

---

(1) ذكرهما العمرى فى «مسالك الابصار وممالك الامصار» منسوبين  
لابى الصفا خليل الصفدى • (الورقة 59 ظهر من مخطوط جامعة  
اسطنبول رقم 4355 لا ٥) حيث اورد الشطر الثانى على هذا  
النحو :

واسأل شوقا من آتى وهم معى  
(2) انظر الموالم كنوع من أنواع الزجل فى الجزء الثانى من الفصل  
الاول من باب «الشكل» •

المرسوم يبكي اعلی السماء وانت تبكى اعلی النشا ونا على لغزال  
وبنفس التمويلة يقدم كذلك لقصيدة «خناثة» للجبابى ، وقد سبق  
ذكر حربتها .

والاسف أن هذه المقدمات فى طريق الضياع بسبب جهل المنشدين  
أيا نتيجة قلة تداولها .

وتجدر الإشارة الى ان قصائد مكسور الجناح والسوسى - باستثناء  
الحراز - يستهل انشادها بمثل هذه العبارات : «قال يانا سيدى» و  
«وهو ياسيدى» ويطلقون عليها «الدخول» . ومن الامثلة على ذلك قصيدة  
«ام الغيث» للحاج ادريس لحنش ، وحربتها :

قولوا للاغيثا مولاتسى \* رف بوصالك عل لعشيق يام الغيث  
فان انشادها يبدأ على هذا النحو :

قال ياناسيدى عمدا على لعشيق الكاوى كيفى ابنار لبنات  
مهما اتقول نارو بردت واطفات  
حين ينظر زين الخودات  
كيراهها زندت واكدات

ومنها كذلك قصيدة «القاضى» التى يقول المدغرى غى حربتها :  
اقاضى قصا اجرات لى معناها \* ماجرات الحد افناس لغرام  
ولفى لك ادعائى

فان انشادها يبدأ هكذا :

وهو ياسيدى قصا اجرات لى نحكيها الهل لغرام  
بينى وبين بوخال اكحل لرماق  
قصتى فيها ماينساق  
للرخاخ اصماير لمساق  
ناس لشواق

وقريب من هاتين العبارتين عبارات اخرى تسمى عندهم «التشجيرة»  
و «الترويجة» يضبط بها ايقاع الميزان او «يشد» و «يقبض» كما يقولون ،  
وغالبا ماتوؤديها المجموعة او من يطلق عليهم «الشدادا» وكأن المنشيد

يחס بنقص فى الميزان وعدم انسجام الكلمات معه فيعوض بهذه العبارات،  
علما بأنه يلجأ الى اطالة مقاطع بعض الكلمات ومدّها حسب احتياجه للنغم،  
وهى عملية لاشعورية تقترب مما يسمى بـ «الكم» فى العروض العربى ،  
على حد ما يبدو من بحر الطويل حيث تحذف نون فعولن الثانية وتصبح  
فعول ولكن المنشد يمد اللام تعويضا لسكون النون المحذوف . ومن الامثلة  
عليها :

- 1 - ياسيدنا : ونجد الشيخ عمر شد بها بين اشطار قصيدته فى  
«مولاي بوبكر» على حد ما يبدو من الحربة التى يقول فيها :
- تاك اليقبال والسرور اسلوانسى \* ياسيدنا \* بخلافت عالى لقدر  
نجل الملك طلعت البدر السانى \* ياسيدنا \* سيدى مولاي بوبكر
- 2 - اسيدنا سيدنا : على حد ما عند التهامى المدغرى فى سرابته التى  
يقول فى أولها :

اسيدنا سيدنا	داك اللايمنى فعشوق ولفى وال حال الهالك
أسيدنا سيدنا	ماذا وعظت فيك ماكفيت امن اعتابك
اسيدنا سيدنا	انصحتك افلحديث مأردتى لى سالك
اسيدنا سيدنا	واليوم ابلاك ربنا شف اخدود اغزالك

- 3 - ياللا ياللا : وقد جعلها المدغرى بين اشطار أبيات قصيدته  
«عشية الجمعة» كما يبدو من حربتها التى تقول :

ياللا ياللا	أنا اعشيت الجمعة شاب اشبابى
ياللا ياللا	هلكتنى عزبا وشابا
ياللا ياللا	من شاهدهم يسخا بشبابو

- 4 - دادامى الالا اهياللا : وهى تشحيرة «طامو» للمدغرى ، وتردد  
بعد حربتها التى يقول فيها :

جيش لغرام ياطامو مانقدر اعلى الطامو  
دادامى الالا اهياللا

ومن الشد ان يلتزم الشاعر كلمة أو أكثر فى البيت تبدو فى سياقها  
كأنها من صميم الموضوع وصلبه ، وهى قد تتغير فى كل الابيات وقد  
(3)

للتغيير ، من ذلك :

1 - قصيدة بوعبيد الشرقي فانه التزم فيها كلمة «الفقى» فى أول البيت ووسطه ، يقول فى أول أبياتها :

الفقى جيت لك تنظر شرقى      الفقى  
من خاطرى ابغيت انسالك  
ألفقى افتى لى نعرف ذوقك      الفقى  
الخمير واش عندك سالك  
ألفقى الخمير فى اشرابو عشقى      الفقى  
نبغى انحللو بمقالك  
ألفقى لحضرت لمدام اترقى      الفقى  
افتى امن احسان اكمالك  
ويقول فى حربتها :

ألفقى لوشفت اعويشا تسقى      الفقى  
والكاس من يدها يحلالك

2 - قصيدة «صارم الطعن» للشاوى وحربتها :

آش را من لاجرد صارم الطعن \* ويركب اسفون لحروب وايعيط داني  
ها حنا هنا      ويكون ادراعو ابحال السانو  
فان القصيدة من البحر الثلاثى ، ولكنه اضاف اليها بين الشطرين  
الثانى والثالث عبارة يتوهم منها أن القصيدة رباعية ، فى حين أن هذه  
العبارة لا يقصد منها غير قبض الميزان حيث كان يمكن ان يقول بدلا من  
«ها حنا هنا» : «أسيدنا» وبلغت براعة الشاوى حدا انه فعل ذلك فى كل  
الابيات وبعبارات مختلفة على حد ما يبدو فى دخول القصيدة حيث يقول :  
آش را من لابات امساهر الجفن \* والفكرا جايلافراخر لمعانى  
بالمفاتنا      باش ايسود اعلى لوشا فازمانو  
آش را من لابحث افجهدها مامكن \* واعمل مايرتضى القاصى والدانى  
والفراعنا      يقطع زى ازعيطا بوزانو  
آش را من لالهل الطايلا اركن \* واترك فزوايت لهمل هل لضغانى

والمراكنا  
وأعمل هل لعلوم من رفقانو  
آش را من لاصحب الثابت الدهن \* يسلك به الطريق جهر اکتمانی  
وقتما بنا  
یبنى بنیانوا على یتقانو  
آش را من لاله اشياخ افلوطن \* واروی منها اکما اروینا بعلائی  
من اشياخنا  
اقلیل الطاعا امزدری شانو

والعادة ان ينشد آخر القصيدة - وخاصة اذا كان ادريكة - (1)

سريعاً وقويا على طريقة الكباحی التي تكون عليها السراية .

والجدير بالملاحظة ان بعض القصائد لاتنشد وتغنى وانما تتلى وتسرد  
ولا يكون ذلك الا فى القصائد الطويلة من امثال «هول القيامة» لعبد العزيز  
المغراوى التي حربتها :

لسم الله المعين افلستار يهدينى منهاج لقوام

وقصيدة «الذرة» لابن على وحربتها :

ياالساھى من نومك فق سبح الرب لمتا وانت تايه افلغور لواب  
الصلاة والسلام اعلى اخيار لنسب سيدنا محمد طه اشفيح لعراب

وقصيدة «الجمهور» لعبد القادر العلمى وأولها :

يامن يشفى اضرار عبديو بعد السقم ويفرح من اقوات فالصدر احزانو  
والغالب ان تتم «السراية» فى زاوية او مسجد او «لمسيد» كما  
يقولون (2) وفى مناسبات دينية وخاصة ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة  
والسلام .

وللسراية مثل الانشاد أسلوب معين وانغام خاصة تختلف من قصيدة  
لاخرى ، وتقتضى التركيز على بعض المقاطع والضغط على حروف القافية  
واطالة اواخر الكلمات بعنا للتأثير فى نفس السامعين .

ونلفت النظر الى احدى قصائد «السراية» فريدة من نوعها فى البناء  
جمعت أقسامها بين أبيات معربة وأخرى ملحونة ، وهى القصيدة «الفياشية»

(1) انظرها فى الجزء الخاص ببناء القصيدة فى الفصل الثالث من

باب «الشكل» .

(2) المسيد هو الاسم الذى يطلق على الكتاب القرآنى ، ولعل اصله

المسجد .



التي تنسب للشرقي والتي حربتها :

أنا مالي فياش أناش اعليا منى

فقد قدم لكل قسم منها بيتين معربين على حد ما يبدو في القسم الثاني منها حيث يقول :

يقول لما شاء كن فيكون	ويبدى سبحانه ويعيد
ويحكم في خلقه ما يشا	ويفعل في ملكه ما يريد
في ظلمة الارحام	صورنى من نطفا
وابدانى بالانعام	نعما من كل صفا
واخلق لى ما واطعام	وانعائم مختلفا

وكما انفردت هذه القصيدة في بنائها فكذلك انفردت في طريقة تلاوتها ، حيث يسرد البيتان على غير طريقة سرد بقية ابيات القسم ، وتكاد تكون تلاوتهما مجرد قراءة خالية من كل لحن على عكس بقية الابيات . ونظن في غير قليل من الميل للترجيح أن هذا الاسلوب السردى اثر باقى من الطريقة التي كان يؤدي بها الزجل في مراحله الاولى ، وقبل ان يغنى به ، نقصد من ذلك الى القول بأن تلحين قصائد الزجل واستخدامها في الغناء تم في مرحلة متأخرة لعلها بدأت في الربع الثاني من القرن العاشر ، حين حكم الاشياخ على قصائد بوعمر و الغزلية ان تنحى من ميدان السرد في المجالس العامة ، عقابا على نظمه فى المرأة . وسنرى (1) أن هذه القصائد انتقلت الى مجالس خاصة كان جمهورها النساء والشباب ، وأن الشعائر اضطر الى مسايرة جمهوره الجديد فأخذ ينظم له قصائد غنائية خفيفة ، لعلها كانت السبب في تحويل انظار الزجاليين الى اتخاذ قصائدهم للغناء . وفى هذا العصر سنصادف عند الحاج اعمارة - وهو متأخر فى الوفاة عن بوعمر - بيتاً يدعو فيه راوى شعره الى التغنى به دون خشية من خصومه ، يقول فى آخر قصيدة «فاطمة» :

ياراوى لبيات عنى غنى اوصول لاتخشى من عديانى

وللحاج اعمارة قصيدة فى رثاء بوعمر و يصفه فى احد ابياتها أنه خير

---

(1) فى الفصل الثانى من باب (الاعلام) لدى الحديث عن بوعمر و .

من غنى وشدا بالشعر وهو قوله :

النبيل الفد النشاد      سيد من غنى او اشدا

بل انا سنرى (1) ان الزجل المغربى حتى بداية الربع الثانى من القرن التاسع لم يكن يخضع لنظام معين فى الوزن والقافية ، وهما حجرا الاساس لتلحين اى كلام . وسنجد عند عبد الله بن احساين - وهو أول من سبق للاوزان فى الزجل (2) - رفضا لنوع من الشعر لم يكن يخضع للوزن يبدو من تسميته أنه كان يعتمد على القص والحكاية ، وهو «كان حتى كان» يقول ابن احساين فى أول بيت من أول قصيدة موزونة :

نبدا لسم الله انظامى يالى ابغى لوزان

لوزان خير لى انايا من قول كان حتى كان  
ويزيد فى تأكيد هذا الرأى أن القصائد تغنى على انغام الموسيقى الاندلسية كما بينا ، ونحن لانستطيع القول بأن انتقال هذه الانغام الى المغرب تم قبل انهيار الاندلس وهجرة مسلميها الى بلاد الشمال الافريقى ، بل انا لانجد قبل الحايك - وكان يعيش فى القرن الثانى عشر للهجرة - من غنى بهذه الموسيقى وجمع شتاتها من ميازين ونصوص . ولسنا نزعم ان الغناء بالزجل تأخر حتى هذا القرن ، فميازين تلك الموسيقى كانت معروفة لاشك قبل ان يجمعها الحايك ، ولكننا لانعرف ان كانت تلاحين قصائد بوعمر و معاصريه قائمة على هذه الميازين ام انها كانت لها نغمات خاصة . و الاسف اننا لانستطيع معرفة اللحن الذى بدأ به غناء الزجل ، كما أننا لانستطيع معرفة الاسلوب الذى كانت تؤدى به القصائد قبل اتخاذها للغناء ، وان كنا لانشك فى ان «السرادة» اثر لهذا الاسلوب . والسبب ان الزجل الذى وصلنا ملفوظا لايسير على غير ميازين الموسيقى الاندلسية .

مهما يكن فان القصيدة الزجلية غدت غناء شعبيا يطرب له الجميع ،

والسر فى ذلك انها جمعت امرين :

- (1) فى الفصل الاول من باب (الاعلام) .
- (2) حسب ما وصلنا اليه فى البحث .

1 - كلمات يفهمها العوام وانحواس من الناس .

2 - الحان قائمة على ميازين الموسيقى الاندلسية ، وهى أغنى وأعذب

الوان الموسيقى فى المغرب .

من هنا كان جمهور الزجال أوسع من جمهور الشاعر المثقف الذى ينظم لطبقة معينة هى طبقة المتعلمين المتقنين للغة العربية ، ومن هنا كذلك كان الزجال يحاول ان يرضى هذه الطبقة الخاصة فيقتبس من لغتها غير قليل من المفردات والتراكيب ، ويضمن قصائده ألوانا من البلاغة وفنية الاسلوب (1) . وليس هذا فحسب بل انه كان يحاول أن يقدم لها معلومات تاريخية او فقهية ، لاشك انه - وهو أمدى فى الغالب - كان يتعب فى جمع مادتها بالسؤال والبحث ومجالسة العلماء وحضور دروسهم .

وسنرى حين نتعرض فى الموضوعات لقصائد التى تناولت السيرة النبوية (2) مثلا ان الزجال كان يبذل جهدا غير يسير فى عرض جوانب من هذه السيرة تجعل المثقفين لا يرضون عن تلك الازجال فحسب ، وانما يقبلون عليها ويفتحون لها آذانهم وقلوبهم وبيوتهم كذلك .

ويزيد فى الدلالة على هذا الجهد ما يلجأ اليه بعض الزجالين من استعراض أسماء بعض الكتب والمؤلفين ، ومن خير الامثلة على ذلك هذه الابيات من آخر قسم فى قصيدة «الجدول» للحاج الصديق المسفيوى ، وهى قصيدة شبيهة بـ «الحراز» أخبرته فيها حبيبته بواسطة وصيفتها انها محرزة بسبعة عفاريت ولن يستطيع الوصول اليها اذا لم يهزمهم ، فعزم على مواجهة هؤلاء العفاريت ودرس علم الجدول وما يتصل به من علوم يمكن ان تفيده فى الوصول الى مفاتيح النصر . يقول :

حلا انشيتها ياراوى

للعاشقين واللى هاوى

فتراجم الباقا واعقل والميز والرشادا

صنعت الدهرى افقير

---

(1) انظر الفصل الثانى من باب «الشكل»

(2) انظر الفصل الرابع من باب «الموضوعات» .

- قارى علم التوحيد اعلى لشيخ ارويتو  
واقريت الالفيا والمواق (1) الشهير  
وابن عاشر واقريت الرسالا (2)  
والخزرجى او كيد (3)  
وابن عطاء الله والسمرقندى واعلوم لكتوب (4)  
والدمياطى وامشاكل الزناتى  
والسريانى اعلى اوفاه انحقو (5)  
وابن سيرين والموطا وكذلك ابلبلاغا ندرى سيدى خليل (6)  
والبخارى وامعاه دعوت البسمل (7)  
واكمل بالرضى مقصودى  
واظفرت بالسعادا

على أنا لانريد ان ننفي عن الزجال غاية اخرى من هذا الجهد ، غير  
ارضاء المثقفين ، كان يقصد بها الى افادة العوام وتنوير فكرهم وفتح  
ذهنهم وعيونهم على جنبات من عالم الخواص ، وهم فسى الغالب - وعلى  
الرغم من عاميتهم وأميتهم - على جانب غير يسير من الثقافة ، وخاصة منها

- 
- (1) الفية محمد بن مالك الجيانى (ت سنة 672 هـ) فى النحو . اما المواق  
فهو احد شراح مختصر خليل فى الفقه .
  - (2) عبد الواحد بن عاشر صاحب المنظومة المشهورة فى الفقه والتوحيد .  
والمقصود بالرسالة رسالة ابي زيد القيروانى فى الفقه كذلك .
  - (3) ضياء الدين الخزرجى السبتي صاحب المنظومة «الخزرجية» فسى  
العروض ، وتعرف فى المشرق بـ «الرامزة» .
  - (4) يقصد ابن عطاء الله السكندرى صاحب الحكم «السمرقندى» المشهور  
فى علم البيان .
  - (5) الدمياطى والزناتى والسريانى اسماء مشهورة فى علم الجدول وسر  
الحرف .
  - (6) محمد بن سيرين المشهور فى الرؤيا وتعبيرها ، وصاحب «منتخب  
الكلام فى تفسير الاحلام» ، اما الموطا فهو كتاب الامام مالك ت سنة  
178 هـ ، ولعله من الغريب ان يذكر علم البلاغة ويعتمد على مختصر  
خليل ، وهو كتاب فى الفقه ، وما نظنه الا يقصد الى مهارته فى فهم  
بلاغة هذا المختصر وحل رموزه ومعانيه .
  - (7) الامام البخارى صاحب الصحيح المشهور .

ما تحتم معرفته ضروريات الدين .

ولعلنا ان نضيف غاية أخرى لامجال لاغفالها هي وليدة المنافسة التي كانت بين الزجالين ومحاولة اظهار تفوق بعضهم على بعض ، وهو جانب يؤكد لنا الصراع الذي كان ينشب فيما بينهم والذي سنعرض له لدى الحديث عن فن الهجاء (1) .

ولم يكن الزجال يحاول ارضاء المثقفين فحسب ، وانما كان يحاول كذلك ارضاء الحكام والامراء والملوك يسعى الى قصورهم يتمتعهم ويؤنسهم بقصائده ، وهي ظاهرة اضطرته الى ان يبتعد عن واقع مستوى الشعب ، مصورا حياة القصور تارة ومحلقا بخياله تارة اخرى (2) ولاجئا الى الرمز والتلميح والاشارة تارة ثالثة .

ومن المتوقع عندنا ان مثل هذا الجمهور الواسع المتباين فى مستوى حياته وتفكيره قد يدفع البعض الى الطعن فى شعبية الزجل المغربى او الشك فيها على اقل تقدير .

ومن المتوقع عندنا كذلك أن تكون ظاهرة تدوين بعض قصائد هذا الزجل ذريعة لكى يتخذ آخرون مثل هذا الموقف من شعبيته ، معتبرين وجوب التداول الشفوى فى كل ادب شعبى .

ومن المتوقع عندنا بعد هذا ان معرفة أسماء منشئ هذا الزجل قد تدعو غير هؤلاء وأولئك الى اتخاذ نفس الموقف من شعبيته ، لان تلك المعرفة - فى رأيهم - تنفى عنه الجماعية التى تعتبر السمة البارزة لكل أدب شعبى والتى تقتضى أن يكون مؤلف هذا الادب مجهولا .

ولسنا ننكر ان كل هذه ظواهر واضحة فى الزجل المغربى لامجال لتجاهلها أو اغفالها ، ولكننا لانرى فيها ما يبعده عن الشعر والغناء الشعبيين فليس فرضا على أى عمل ليكون شعبيا أن يظل محصورا فى نطاق طبقة العوام الاميين ، ولعله من التحجير على الفنان الشعبى أن نجسه فى هذا النطاق ولانبیح له أن يربط علاقات وصلات بطبقات اخرى راقية ،

---

(1) الجزء الثالث من فصل «مع الناس» .

(2) انظر فصل «المرأة» والجزء الاول من فصل «مع الحياة» .

وأن يتسرب اليها بفنه ويؤثر عليها ويتأثر بها فى محاولة لاكتساب بعض الجديد مما لاعهد له به فى بيئته . بل انا نذهب الى أبعد من ذلك فى النظر الى هذه الظاهرة بما فيها من رغبة للاقتباس والتنويع ، وفى خلط غير منظم ولامدروس ، فنعتبرها دليلا مؤكدا لشعبية هذا اللون من الشعر . ثم ان المؤلف الشعبى يعبر عن واقع مجتمعه ، ولكن لامناص له من النظر الى عمل غيره والاستفادة منه وتقليد اشكاله وموضوعاته ، وخاصة تلك التى حظيت عند الجماعة بالقبول وغدت انماطا ينسج عليها ، وقد يسرف فى ذلك فيغدو عمله مجرد نقل وتقليد . وهو كفنان لامناص له كذلك من تحكيم تجربته والاستنتاج منها ، وهى كلها اشياء قد تبعد قليلا او كثيرا عن الواقع .

ومانظن تدوين بعض نصوص هذا الشعر يؤثر على شعبيته طالما أن الجماهير توارثته عبر القرون والايال وتداولته عن طريق الرواية الشفوية، لم تلجأ فى ذلك الى ماهو مكتوب . ولايساورنا أدنى شك فى أن الذين قاموا بتسجيل نصوص من الزجل فى كنانيش هم من غير طبقات العوام ، وأنهم فعلوا ذلك اعجابا بهذا الزجل او تلبية لرغبة الكبراء والحكام . اما معرفة منشاء الزجل فلانرى فيها مايتنافى والجماعية ، فليست الجماعية ان يجهل الفرد وتهدر الجماعة حقوق انتاجه وتمتص فنه وابداعه فيه ، وانما الجماعية أن تتبنى الجماعة انتاج الفرد الذى يستطيع ببراعته وعبقريته ان يقنعها به ، فتقبله وتعجب به ، وترتضيه وتتداوله وتذيعه وتحافظ عليه ، طالما ان هذا الانتاج الفردى يلائم ذوقها ، وطالما انه لايصبح له كيان مالم توافق عليه (1) .

---

(1) لعنا ان نشير الى ان انتشار الطباعة اليوم سيؤثر على وسائل تداول هذا الشعر ، وسيحافظ على اسم صاحبه وحقه فى الانتاج ، لاسيما ونطاق محور الامية أخذ فى الاتساع .

الباب الاول

الشكل

## الفصل الاول

# مفهوم الزجل وانواعه



## أولا : مفهوم الزجل

إذا رجعنا الى النصوص القديمة نحاول البحث فيها عن ورود كلمة «الزجل» فانا نجدها مستعملة منذ العهود الاولى للعربية . حقا اننا لانعثر لها على ذكر فى القرآن الكريم ، ولكننا نصادفها واردة فى الحديث النبوى الشريف . يقول ابن كثير فى تفسيره لدى اول حديثه عن سورة الانعام: «... قال شريك عن ليث عن شهر عن اسماء قالت نزلت سورة الانعام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى مسير فى زجل من الملائكة وقد طبقوا ما بين السماء والارض ...» وقال ابوبكر بن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا ابراهيم بن درستويه الفارسى حدثنا ابوبكر بن احمد بن محمد ابن سالم حدثنا ابن أبى فديك حدثنا عمر بن طلحة الرقاشى عن نافع بن مالك بن أبى سهيل عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نزلت سورة الانعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والارض بهم ترتج» . ورسول الله يقول : «سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم» ثم روى ابن مردويه عن الطبرانى عن ابراهيم بن نائلة عن اسماعيل بن عمر عن يوسف بن عطية بن عوف عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نزلت على سورة الانعام جملة واحدة وشيعها سبعون الفا من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد» (1) ويقول ابن الاثير : «زجل (هـ به فيه) انه اخذ الحربة لابي بن خلف فزجله بها أى رماه بها فقتله ، ومنه حديث عبد الله ابن سلام : فأخذ بيدي فزجل بى اى رمانى ودفع بى (ن) ، وفى حديث

---

(1) تفسير القرآن العظيم لاسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ت سنة 774 الجزء الثانى صفحة 122 الطبعة الثالثة مطبعة الاستقامة القاهرة

الملائكة) لهم زجل بالتسبيح اى صوت رفيع عال» (1)

كذلك نجد الكلمة واردة فى الشعر الجاهلى ، يقول الاعشى :

تسمع للحلى وسواسا اذا انصرف  
أى ريح مصوطة •

ويستعرض الزبيدى فى «تاج العروس» معانى كلمة الزجل فيقول :

« (والزجل محرّكة اللعب والحلبة و) خص به (التطريب) وانشد سيبويه  
له زجل كأنه صوت حاد اذا طلب الموسيقى او زمير

(و) الزجل ايضا (رفع الصوت) وللملائكة زجل بالتسبيح والتهليل  
اى صوت رفيع عال وقد (زجل كفرح) زجلا (فهو زجل وزاجل) وربما وقع  
الزاجل على الغناء • قال : وهو يغنيها غناء زاجلا (ونبت زجل صوت) كذا  
فى النسخ والصواب صوتت (فيه الريح) • • • • • والزجل محرّكة نوع من الشعر  
معروف محدث • • • • • (2)

ومثل هذا نجده فى كتب الادب على حد ما نقرأ فى «العاطل الحالى  
والمرخص الغالى» حيث يقول صفى الدين الحلى : «والزجل فى اللغة الصوت،  
يقال سحاب زجل اذا كان فيه الرعد ، ويقال لصوت الاحجار والحديد ايضا  
والجماد زجل • قال الشاعر :

مررت على وادى شيات فراعنى • به زجل الاحجار تحت المعاول  
تسلمها عبل الذراع كأنها • جنى الدهر فيما بينهم حرب وائل  
فقلت له شلت يمينك خلها • لذكر او مخبر او مسائل  
منازل قوم اذكرتنا حديثهم • ولم أر احلى من حديث المنازل» 3

ويحاول الحلى أن يجد تعليلا للربط بين الاستعمال اللغوى والاستعمال  
الاصطلاحي فيضيف : «وانما سمي هذا الفن زجلا لانه لا يلتذ به ويفهم

---

(1) النهاية فى غريب الحديث والاثار للمبارك بن محمد الجزرى المعروف  
بابن الاثير الجزء الثانى صفحة 122

(2) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدى مادة زجل  
الجزء السابع ص 355

(3) مخطوط مكتبة بايزيد باسطنبول رقم 5542 الورقة 17 ظهر

مقاطع أوزانه ولزوم قوافيه حتى يغنى به ويصوت فيزول اللبس بذلك» (1) وليس من شك في ان بداية استعمال كلمة الزجل في معناها الاصطلاحي مرتبطة بظهور هذا الفن . واذا رجعنا الى مختلف المصادر التي عنيت بالاشارة الى نشأته فاننا نجدتها تكاد تجمع على أن الذي اخترعه هو ابن قزمان . وليست تهمنا في الواقع معرفة اسم السابق الى نظمه بقدر ما يهمنا أن نعرف كيفية انتقال اللفظ الى الاستعمال الاصطلاحي الادبي - هنا يعرض احمد الرباط في كتاب «العقيدة الادبية في السبعة فنون المعنوية» حكاية تقول « ان أول من تناشد به الشيخ أبوبكر بن قزمان المغربي ، وقيل لما انه كان في الكتاب وكان مراهق السن ، فدخل على شيخه الفقيه غلام جميل الصورة حسن الوجه حلو الجانب فنده عليه ابن قزمان وأجلسه بجواره ثم صار يحييه بالسلام ويؤدده بالحديث فبص الفقيه ففهم وعرف ما في ضمير ابي بكر من الحب للغلام فعبس الفقيه في وجه ابي بكر وأمر الى العريف بضربه ، فضرب العريف ابن قزمان فلما فرغ العريف من ضربه اخذ أبوبكر لوحه ومسك القلم وقد كتب هذا الوزن ، وهو أول اوزان الزجل :

الملاح أولاد اماره \* والوحاش أولاد نصاره

وابن قزمان جا يغفر \* ما قيل له الشيخ غفارة

فأحس الفقيه على ابي بكر فأخذ اللوح من يده فرأى فيه ماتقدم ذكره،

فقال الفقيه :

«هيجيتنا يابن قزمان بكلام مزجول يعني مقطع ، فسموه زجلا» (2) .

- 1) مخطوط مكتبة بايزيد باسطنبول رقم 5542 الورقة 17 ظهر و 18 وجه . ونفس الكلام نقرأه في «بلوغ الامل في فن الزجل» صفحة 68 مخطوطة الزيتونة رقم 4467 . ونقرأه كذلك في «تاريخ خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر» لمحمد المحبي لدى ترجمة ابي بكر بن منصور بن علي العمري الدمشقي المتوفى سنة ثمان واربعين والـ الف حيث تعرض للفنون السبعة المستحدثة ومنها الزجل (الجزء الاول 108 - 109 - 110 المطبعة الوهبية بمصر سنة 1284) .
- 2) مخطوط اسعاد افندي (السليمانية - اسطنبول) رقم 2867 الورقة 6 ظهر 7 وجه

ولكننا نجد أستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني يرى انه استعمل قبل ابن قزمان وفي نوع من الشعر الشعبي غير الزجل ، يقول : «ولعل لفظ الزجل كان في الاصل يطلق على النوع الشعبي ثم أطلق على النوع الشبيه بالتوشيح لفظ (هزل) ثم اختلط اللفظان فيما بعد (1)» ويعتمد في ذلك على نص ينقله من كتاب «جميع نواميس الكنيسة والقانون المقدس» منسوخ سنة 1046 اي قبل وفاة ابن قزمان بما يقرب من قرن كامل ، جاء فيه : «لايجوز للقلاريق ان يحضروا الملهي والزجل فسي العرائس والمشارب بل يجب عليهم الانقلاب قبل دخول تلك الاطراب والازقان والتنحي عنهم» (2) ويعلق على هذا النص بقوله : «وهذا نص فيما نعتقد عظيم الاهمية ، وقيمته ليست في أن الزجل كان موجودا قبل ابن قزمان فحسب بل انه كان شعبيا له مكانة في العرائس بين الموسيقى والرقص والاغاني» (3) .

ومن لطيف ما يستأنس به في البحث عن أصل التسمية ماذكر لنا احد المعتنين من أن لها صلة بسيدي «زجل» صاحب الضريح المعروف في شمال المغرب . وقد وجدنا له ذكرا عند سليمان الحوات في «ثمرة انسي في التعريف بنفسي» حيث قال عنه : «... سيدي زجل دفين بومنا من القبيلة التي تنسب اليه (بنى زجل) وقد قدم على المغرب مع موسى بن نصير سنة تسعين من الهجرة في خلافة الوليد بن عبد الملك واسمه محمد ولقبه زجل وكان خيرا عالما شاعرا...» (4)

ومع هذا فان المغاربة لا يطلقون الزجل في الغالب على غير النوع الاندلسي المعروف ، أما شعرهم الشعبي فيطلقون عليه أسماء أخرى أهمها «الملحون» . فهذا سيدي ابراهيم التادلي في «فتح الانوار في بيان مايعين على مدح النبي المختار» يقول : «واعلم ان المديح النبوي يكون بالاشعار

- (1) الزجل في الاندلس صفحة 59
  - (2) مخطوط المكتبة الاهلية في مدريد رقم 4879 ورقة 333 وجه . ويشرح القلاريق بأنهم Clérigos اي رجال الكنيسة
  - (3) الزجل في الاندلس صفحة : 59
  - (4) من مخطوطة خاصة للاستاذ سعيد اعراب - اللوحة الرابعة .
- (4)

الموزونة ذات البحور الخمسة عشر . . . . . ويزاد ما اخذ من هذه البحور كمخلع البسيط ومجزو الرمل ومشطور الرمل ومشطور الكامل . ويكون أيضا من الازجال والموشحات وكذا الملحون كالقصائد والبراول لكن الملحون منه ما يوافق الاوزان الخمسة عشر المتقدمة ومنه ما يخالفها .» (1)

ونجد التفرقة بين النوعين الاندلسي والمغربى واضحة عند اصحاب الموسيقى الاندلسية الذين يفرقون فى الاشعار التى تنشد فى هذه الموسيقى بين الازجال ، يقصدون بها الشعر الاندلسي المعروف بهذا الاسم ، وبين البراول (2) ، وهى اشعار عامية مغربية تنشد فى بعض ميازين هذه الموسيقى .

لهذا قد يلاحظ علينا فى اتخاذ اسم «الزجل فى المغرب» عنوانا لرسالة تبحث فى لون من الشعر الشعبى المغربى ، طالما أن المغاربة لا يطلقون «الزجل» على شعرهم الشعبى ، وطالما انهم لا يقصدون من هذه التسمية غير النوع الذى عرف فى الاندلس . ولكننا نرد على مثل هذه الملاحظة بما يلى من نقاط :

اولا : على الرغم من أن لفظ الزجل شاع اسما للفن الشعرى الذى سبق اليه الاندلسيون ، مجردا من الاعراب متعدد القوافى متجدد الاوزان ، فانا لانشك فى أنهم كانوا يطلقون هذه التسمية على كل ماكانوا ينظمون باللغة العامية . وقد سبق أن ذكرنا ما ذهب اليه استاذنا الجليل الدكتور الاهوانى من أن الزجل كان فى الاصل يطلق على النوع الشعبى وان الهزل كان يطلق على النوع الشبيه بالتوشيح . ونجد الحلى ينسب التعميم لغير الاندلسيين حين يقول معقبا على ذكر الموشح والزجل والمزمن والمكفر : «وباقى البلاد لايعتبرون هذا الفرق بل يسمون كل ما اعرب موشحا وكل ماخلا من الاعراب زجلا وما اشترك فيه الاعراب واللحن مزنا فى أى فن قصد الناظم» (3) . بل انه نجد احمد الرباط يذهب الى «ان الشعر هو أصل كل فن معرب وأن الزجل هو أصل كل فن ملحون» (4) . كذلك نجد الحلى

- (1) مخطوط خزانة الرباط العامة رقم 3285 D صفحة 27 - 28 .
- (2) سنعود اليها فى الجزء الثانى من هذا الفصل كنوع من أنواع الزجل .
- (3) العاقل الحالى الورقة 19 وجه 4) العقيدة الادبية الورقة 18 ظهر .

يعتبر من الزجل شعرا عاميا لايسير على نظام الزجل المعروف ، ويعتبر نظم هذا الشعر مرحلة سابقة على نظم الزجل ، فهو يقول : «أول ما نظموا الازجال جعلوها قصائد مقصدة وأبياتا مجردة على عروض العرب بقافية واحدة كالقريض لا يغيره بغير اللحن واللفظ العامي وسموها القصائد الزجلية ...» (1) ثم ذكر ان لمدغليس فى ديوانه ثلاث عشرة قصيدة من هذا النوع أشار الى مطالعها (2) ، ومنها قوله :

مضى عنى من نحبو وودع \* ولهيب الشوق فى قلبى قد اودع  
ثانيا : اطلق بعض المغاربة لفظ الزجل للدلالة على ماينظمون من شعر بالعامية ، فعند الشاعر الشعبى سعيد التلمساني فى إحدى قصائده متحدثا عن نفسه :

اذا كنت زجال فيها كيف تريد (3)

وعند زجال آخر اسمه على يهجو ويفخر (4) :

انكمل زجلى ولى فالزجول \* انكمل زجلى  
قولوا للعكلى يترك لفضول \* قولوا للعكلى  
والاديب على ايفوق فى لغزول \* والاديب على

وفى «نشر المثانى» لابی عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري لدى ترجمة الشيخ ابي عبد الله محمد بن مبارك الزعري دفين تاسوت: «وخاطبه سيدي محمد الشرقى :

يالساكن ارض البوادي \* لاتتعداشى الموارد  
اصحب هداة الطريقا \* تحصل له كل الفوائد  
فأجابه صاحب الترجمة بقوله :

تالله ما كان هذا \* الا من مجدوب سالك

- 
- (1) العاقل الحالى الورقة 22 وجه .
  - (2) المصدر السابق من الورقة 22 حتى 25 . ويبدو ان الحلى خلط بين الزجل والشعر الملحون الذى كان معروفا فى الاندلس والذى سنعرض له بعد سطور .
  - (3) مخطوطة خزانة الرباط العامة ك 1644 صفحة 70 .
  - (4) من مجموع مخطوط بالمكتبة الوطنية فى مدريد غير مرتب رقمه 5307 .

يسقى خمر الرجالا \* مملوك من الحق مالك» (1)

ثم قال بعد ذلك : «وماجلبه من قوله : يالساكن الخ ... هو زجل فى وزن المجتث» (2) • وعند ابن عسكر فى «الدوحة» لدى ترجمة محمد بن يحيى البهلولى (3) ان «له زجليات» (4) • ويقول محمد الكانونى فى «جواهر الكمال فى تراجم الرجال» فى ترجمة احمد بن على الغنيمى : «له قصائده ملحونة (ازجال)» (5) •

ويقول ابن زيدان فى ترجمة عبد القادر العلمى (6) : «وماينسب للمترجم من الازجال هو له حقيقة» (7) •

ثالثا : يبدو أن المغاربة على الرغم من ميلهم للتمييز بين الفنون ، وقعوا فى خلط بينها وتصور ان لم يكن خاطئا فهو على الاقل غير واضح • يقول التادلى فى «فتح الانوار» متحدثا عن أركان السماع واولها الشعر : «ان الكلام الذى يتكلم به الانسان من حيث هو اما معرب او ملحون ، وكل منهما اما منظوم او منثور ، لكن جرى فى الاصطلاح ان الموزون يطلق على النظم المعرب والملحون يطلق على النظم غير المعرب ... والملحون هو موشحات وبراول وقصدان» (8) • حيث جعل الموشح لونا من الوان الشعر الملحون (9) • كذلك نجد القادري فى «نشر المثنى» فى تعليقه على الابيات

(1) الجزء الاول صفحة 47 طبعة فاس • وانظر المساجلة كذلك فى «ممتع الاسماع» صفحة 128 - 129 لدى ترجمة محمد بن مبارك الزعمرى •  
(2) المصدر السابق •

(3) سنعود اليه فى الفصل الثانى من باب «الاعلام» • (4) ص 46 •  
(5) ص 26 وسنعود اليه فى الفصل الثالث من باب «الاعلام» لدى ترجمة المدغرى •

(6) سنترجم له فى الفصل الثالث من باب «الاعلام» •  
(7) اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج 5 ص 340 •  
(8) صفحة 4 - 5 - 7 •

(9) مع اعتبارنا ان هذا خلط نشير الى ان الموشح الملحون عرف فى اليمن على حد ما يذهب صاحب «سلافة العصر» من أن لاهل اليمن نظما يسمونه الموشح غير موشح اهل المغرب ، والفرق بينهما ان موشح اهل المغرب يراعى فيه الاعراب بخلاف موشح اهل اليمن فانه لا يراعى فيه شئ من الاعراب بل اللحن فيه اعذب وحكمه فى ذلك حكم الزجل •  
صفحة (243) •

السابقة يذهب الى ان الزجل كلام مغرب وملحون حيث يقول : «هو زجل في وزن المجتث على طريقة الازجال من كونها ملفقة من الكلام الملحون والمغرب» (1) .

رابعاً : لم يطلق المغاربة تسمية معينة على شعرهم الشعبي وانما اطلقوا عليه تسميات كثيرة سنستعرضها ونمثل لها بعد قليل .

خامساً : قد تكون لتسمية الملحون الغالبة على الشعر الشعبي المغربي وما يوحى به الشبه بينها وبين تسمية الملحون التي تطلق على القصائد التي كانت تنظم في الاندلس خالية من الاعراب ، ما يدعو الى الظن بأن الشعر الشعبي المغربي ربما كان امتدادا لهذا اللون من القصائد وبالتالي امتدادا للتسمية . ولكننا حين ننظر في الشعر الملحون الاندلسي والشعر الملحون المغربي ، نقيسهما بالزجل في الاندلس ، نجد الملحون المغربي في تعدد اوزانه وتنوع قوافيه وعدم خضوعه لبحور الخليل اقرب الى الزجل منه الى الملحون الاندلسي الذي التزم شكل القصيدة المعربة لم يختلف عنها الا في ابتعاده عن الاعراب . فعند ابن سعيد متحدثا عن احد الشعراء بعد ان اورد له زجلا قال : «وله شعر ملحون على طريقة العامة منه :

صحبتي والعنق لمليح لمخلخل \* حبي منك ثابت وديني لمخلخل  
وعلام بعث ديني ابحك \* لو عطيت مرغوبي فيك لس اتسال  
فلقد عندك حلاوى لى منوع \* وجمالا طوع الامر يخذل» (2)

سادساً : ليس من شك في أن اسم الزجل غدا في العصر الحديث وفي معظم البلاد العربية يطلق على كل ألوان الشعر التي تنظم باللهجات العامية المحلية ؛ على الرغم من بعد هذه الألوان شكلا ومضمونا عن الزجل الاندلسي الذي لم يعد ينظم، وليس من شك في أن الناطقين بالعربية في البيئات المختلفة يحسون الفوارق اللغوية التي تحول دون توحيد سنتهم ، وان حماة هذه اللغة يسعون جاهدين الى هذا التوحيد وخاصة في مجال المصطلحات

---

(1) الجزء الاول صفحة 47 - 48 .

(2) الجزء الثاني من المغرب صفحة 222 ومثل هذا الشعر هو الذي اطلق عليه الحلي «القصائد الزجلية» (انظر العاقل الحالي الورقة 22 وجه)



ونحن نرى فى هذا خطوة بعيدة نحو توحيد الرؤية والتفكير والتعليم فضلا عن محو فوارق التفاهم والتعبير ، ونرى كذلك ان دراسة الاشعار العامية بصفة خاصة واللهجات العربية المحلية بصفة عامة هى السبيل الموصل إلى الوحدة اللغوية المنشودة .

لذا ، واعتمادا على هذه التعليقات ، فانا نفضل اطلاق «الزجل» على كل أنواع الشعر الشعبى المغربى ، وندعو الى هذه التسمية بدلا من أية تسمية اخرى تطلق عليه مهما بلغت من الذيوع والانتشار . ويشجعنا على ذلك اننا لازلنا فى المرحلة الاولى للبحث عن التراث واستخراجه وتنظيمه ووضع معايير ومصطلحاته ثم دراسته والتعريف به ، وهى مرحلة اشبه ماتكون بمرحلة وضع الحجر الاساسى لاي بنية . واذا كنا نقول هذا بالنسبة للتراث عامة ، فانا نلح عليه بالنسبة للتراث الشعبى خاصة ، لاسيما فى بلد كالمغرب لايغنى فيه بهذا اللون من التراث ، بل لانبالغ اذا قلنا انه لايعترف به مادة جديرة بالدرس والبحث او أى مظهر من مظاهر الرعاية والاهتمام ، وهو موقف يكاد يتساوى فيه العامة والخاصة من الناس اما الاسماء التى يعرف بها هذا الشعر فى المغرب ، سواء عند الجمهور أو عند الاشياخ منشئين ومنشدين فهى :

#### اولا : الملحون :

يقول بوعمرى فى آخر القسم الثالث من قصيدة له فى الاخلاق والطباع :

ملحونا اقتنادل تضوى فالداج ماخطا سرداق

والناس رايدا تطفى نور اقتادلو افكل اغسيق

ويقول حسون وتير من ابيات يعرض فيها ببوعمرى :

ملت امن السجيا ولي فيها العار والشنار

واغضب اعلى الشعر الملحون اللى ناظموا فاضها

ويقول المصمودى فى آخر قصيدة «الجار» :

انا حر افقلب كل اكريه ازنجار

لوينظم بالذهيب انا لو عيار

بالميزان الرجيج نعرف غايت ملحوني

ويقول المدغرى :

فالملاحون اعليه لنظار

واعلى اللفاظ والمعنى حق انظارو

نعنى جوهر تاج خنار

بها عل لعوارم تفخر خنارو

ويقول عبد الرحمن بن لقيه فى آخر قصيدة «للاحسنا» :

خذ الحافظ اتراجمنا

من اصميم لفكر عبد الرحمان بالميازن

خترعها فى اتراجم الملحون

ولعلنا ، قبل الانتقال الى الالفاظ الاخرى التى اطلقت على هذا الشعر  
أن نقف قليلا عند اصل التسمية بالملحون . والحقيقة أنا فى محاولة التعليل  
أمام افتراضين مصدرهما معنيان من معانى اللحن ، هما الغناء والخطا  
النحوى وقد استبعد الأستاذ محمد الفاسى ان تكون التسمية مشتقة من اللحن  
بالمعنى الثانى حين قال : «والحقيقة ان لفظة الملحون هنا مشتقة من اللحن  
بمعنى الغناء لان الفرق الاساسى بينه وبين الشعر العربى الفصيح  
أن الملحون ينظم قبل كل شئ لكى يغنى به» (1) وقال كذلك : «اول ما يتبادر  
للذهن انه شعر بلغة لاعراب فيها فكأنه كلام فيه لحن ، وهذا الاشتقاق  
باطل من وجوه لاننا لانقابل الكلام الفصيح بالكلام الملحون ولم يرد هذا  
التعبير عند أحد من الكتاب القدماء لا بالمشرق ولا بالمغرب . والسدى أراه  
أنهم اشتقوا هذا اللفظ من التلحين بمعنى التنغيم لان الاصل فى هذا الشعر  
الملحون أن ينظم ليتغنى به قبل كل شئ . ونجد ما يؤيد هذا النظر من قول  
ابن خلدون فى المقدمة فى الفصل الخمسين فى أشعار العرب وأهل  
الامصار لهذا العهد بعد ان تكلم على الشعر باللغة العامية فقال : وربما  
يلحنون فيه ألقانا بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية» (2) . ونحن  
1 مقال : «نظرة عن الادب الشعبى بالمغرب» - مجلة البينة - السنة  
الاولى العدد الرابع غشت 1962 .  
2 مقال : «الادب الشعبى المغربى الملحون» - مجلة البحث العلمى - العدد  
الاول السنة الاولى (يناير - ابريل 1964) .

يرى على العكس من هذا ان التسمية اشتقت من اللحن بمعنى الخطأ النحوي ونعلل لذلك مناقشين رأى الاستاذ الفاسى من وجهات ثلاث :

الاولى : ان هذا الشعر لم يكن ينظم اول الامر ليفنى به وان اتخذه للغناء تم فى مرحلة تالية ، وقد فصلنا فى ذلك القول فى المدخل .  
الثانية : اننا حقا لانقابل الكلام الفصيح بالكلام الملحون لان الفصاحة قد تكون فى الملحون ، وغير الملحون ، كما سنتعرض لذلك فى الفصل الثانى من هذا الباب . وقد جانب الاستاذ الفاسى الصواب حين استعمل كلمة «فصيح» ليقابل بها كلمة «ملحون» وما نظنه يجهل ان الذى يقابل الشعر الملحون هو الشعر المعرب وليس الفصيح .

اما ثالث هذه الوجهات فهى ان استعمال هاتين التسميتين : المعرب والملحون متعارف عليه عند كل الذين تعرضوا للونين من الشعر . فابن سعيد يقول متحدثا عن بعض الشعراء : «وله شعر ملحون على طريقة العامة» (1) ، والحلى يتحدث عن الفنون المستحدثة فيقول «وهى الفنون التى اعرابها لحن وفصاحتها لكن وقوة لفظها وهن ، حلال الاعراب بها حرام وصحة اللفظ بها سقام» (2) ويقول : «... وبعض البلاد لا يعتبرون هذا الفرق بل يسمون كل ما عرب موشحا وكل ما خلا من الاعراب زجلا ومما اشترك فيه الاعراب واللحن مزنا فى أى فن قصد الناظم» (3) ثم يقول : «ثم تداوله العامة ومن لانس له بالقواعد ومن عجز عن الاعراب حتى صاروا ينظمونه ملحونا» (4) ، بل انا نجد الشعراء انفسهم يستعملون الاصطلاحين على حد ما يقول ابن مقاتل فى نهاية احد ازجاله :

كم خصم فى المقاتل \* صابوا بن مقاتل \* وكم ذا فى المحافل  
قد انشأ غصن حافل \* من حل بيت فى مربع \* ملحون بألف معرب (5)

(1) الجزء الثانى من المغرب - ص 222 .

(2) العاقل الحالى - الورقة 15 ظهر .

(3) المصدر السابق - الورقة 18 ظهر .

(4) المصدر السابق . (5) روض الآداب لاحمد بن الحجازى مخطوط

آيا صوفيا (السليمانية - اسطنبول) رقم 4017 الورقة 101 ظهر .

أكثر من هذا. إن المغاربة استعملوا الملحون في مقابل المغرب على حد ما نقرأ عند التادلي في «فتح الأنوار» حيث يقول : «والملاحون يطلق على النظم غير المغرب» (1) .

أما استدلال الأستاذ الفاسي بكلام ابن خلدون فمطعون فيه من ثلاثة وجوه :

أولها : أن كلام ابن خلدون لا يقصد به الشعر العامي المغربي ، فهو يقول : «فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعراب على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطولات .. فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالأصمعيات .. وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي وربما يلحنون فيه الحانا بسيطة» (2) .

ثانيها : إن ابن خلدون لم يذهب إلى أن اللحن الموسيقي والغناء من خصائص هذا الشعر ومميزاته اللازمة له ، وإنما ذهب إلى أنه قد يتخذ للغناء في بعض الأحيان ، وهذا ما يفهم من استعماله «وربما» .

ثالثها : أن ابن خلدون حين تحدث عن «عروض البلد» الذي استحدثه أهل الأمصار بالمغرب ونسجوا عليه في أشعارهم الشعبية لفت النظر إلى خلق هذه الأشعار من الأعراب ولم يشير إلى أنها كانت تغنى ، ولو كانت كذلك لما أهمل مثل هذه الإشارة ، فقد قال : «فاستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الأعراب الذي ليس من شأنهم وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه أصنافا» (3) .

**ثانيا : العلم الموهوب ،** يقصدون أنه هبة من الله مصدره الإلهام :

يقول التلمساني يرثى المغراوي :

بستان الزهر صاحب السر المكنون ۞ علم الموهوب ماتنهيه اقراطس (4)

ويقول المدغري في إحدى قصائد «الساقى» :

(1) صفحة : 5 .

(2) المقدمة صفحة 510 طبعة بولاق .

(3) المصدر السابق صفحة 530 .

(4) الكناش ك 1644 صفحة 31 مخطوط خزانة الرباط العامة .

واسلام الله اعلى الشراف واعلى الطلبة ناس لحديث واعلى شراحو  
واعلى من يتلى قول ربنا واقرأ بالترتيل  
واعلى ناس الموهوب كافة واعلى من قصد النبي اوزار افمر كاحو  
واعلى ملت لسلام كلها يبقى جيل افجيل  
ويقول شاعر لعله احمد اجوات فى آخر قصيدة «الحب احرك لى  
بجيوش» :

واسلامر بنا للشرفا والقاريين \* واعلى اهل العلم الموهوب  
ثاننا : السجية :

يقول بوعمرو :

فامهامه انسجيا نغرس حرجات كلها روناق  
بالنور والنواور والطيب والشجر لبسيق  
والقلب فالسجيا قوتو وامعيشتو اعلى نسق  
والفاهمين طرز الغايا يديرو قولتى تحقيق  
ويقول حسون وتير من ابيات يعرض فيها ببوعمرو :  
ملت امن السجيا ولى فيها العار والشنار  
ويقول الجيلالى امتيرد فى آخر قسم من خلخاله :  
ماضرت اعلى طلبا اولا مشى لى عمرو خلخال  
غير ابدىوان اشطارتى وعقلى واكمال اسجيتى وترتيب اشغالى  
جلست فى هذا الحلا ودرتها فرجا للعقال  
ويقول ابن على فى آخر قسم من محاورته :

بطافا واسجيا جبت هذا القطعا بالفاظها ومعناهم  
اذكى امن الزهر واحلا من سكر فقلوب اهل التسليم ولجود اتجيههم زقوم  
وابعا : لكلام ، يقصدون انه الكلام الحق الصادق ، وكأنهم باستعمال هذه  
التسمية على صيغة التعريف المطلق لايعتبرون ماسواه من الكلام .  
يقول المغراوى فى آخر قسم من قصيدة له فى الاشتياق لمكة المكرمة :  
ماهوشى من والى اللى ايجيب لكلام  
واعسى اللى قاصر فى اهوى افنون الكذب

ويقول ابن على فى آخر الحجام :

وامشالى عند الناس يرحأمو

يذكر فى ابساط الملوك اكلامنا ويروى القلب الملهوف

ويقول محمد بن على بن ريسون :

واللى يحفظ هاذ لكلام \* ينجا من كل اعذاب

ويقول المدنى التركمانى فى دريدكة قصيدته فى «السولان» :

وانهيت لكلام افختم السولان

**خامسا : النظم أو النظام :**

يقول المغراوى فى «حول القيامة» :

نرجع لحديثنا المنظوم \* فتمام امشاهد لقصيد

ويقول كذلك فى قصيدة الشوق لمكة المكرمة :

يامن يهجرنى هكذا انصيح النظام \* نعت الدر المنظوم فى اسلوك الذهب

ويقول المدغرى فى آخر قسم من الزهو :

خذ طرز اختيم العنوان

للرواسخ فيه اعلوم لكتوب لانقصانى

لازيادا نظم اترجمان

ويقول ابن على المسفيوى فى آخر «المرسول» :

يالحافظ نظمى بين لمحافل اتصول \* كررو بلسانك بكرا مع لصلا

**سادسا : الشعر :**

يقول بوعمرو :

الشعر فيه اشفا لمريض ايلا افنا وزاد ارقاق

ايصيب فيه لونيس الناطق بالسكات والتحقيق

ويقول ابن على فى اول سولانه :

بسؤالى استفخر واتلق كل من ايعاتب

الى ايعاتبك كنو عاتبنا \* وغاتبك كنو غاتبنا \* وهكذا فالشعر اكتبنا

ويقول فيه كذلك :

وانسال امن ادعاو اعلى علم الشعر ولمواهب

ويقول فى اول قسم من المحاوره :

افراجا مقصيا اكما اسمعت انعاود للسامعين ترضاهم  
برجاحت لعقل وابلاغت لجبار جبت اخصام الخودات فى انهايت شعرى منظوم  
سابعاً : القريض :

يقول الحاج اعمارة فى آخر قسم من فاطمة :  
ياراوى لبيات عنى \* غنى اوصول لاتخشى من عديانى  
انظامى وقريض وزنى \* شلا ايطيق عنو مظموس اعدانى  
ويقول ابن عمر الكفيف فى حربة «الداعى» :  
انا زنجار فى اعيون امن ادعباً \* قول للايم الوغد الداعى  
برضا ناس لقريض حزت اشجاعا وبراغا

ويقول احمد ابجيوات فى «عرصة الرضا» :  
افلمواهب لقريض \* ساسو طايح لهلا اينوضو

ثامناً : لوزان : اى الاوزان

يقول العلمى فى آخر «المزيان» :  
لو امدحت من لعجام ارديل فى لوزان \* ايعود ساخى مهما فقصايد ينظر  
ويقول كذلك فى ختام قصيدة «كأن اخلاكى هانى» :  
واتهلا فوزانى \* واكتم ابياتها عن هل لعقول لخشان  
ويقول ابن على المسفيوى فى نهاية «الورشان» :  
والحاضرين رحموا ناظم لوزان \* فى بابكم ديما مسؤول  
تاسعاً : اللغا : يقصدون الكلام ، وهى فى الاصل اللغة .

يقول امتيرد فى «ضيف الله» :  
قال افصيح اللغا الحبر الجيالى \* لفقت اجواهر النظام  
ويقول ابن على فى اول قسم من الشمعة :  
يستغرب من لاتحدثو بخطابك \* لغريم فاللغا يسطابك  
ويقول ابن سليمان فى آخر قسم من «خدوج» :  
ولعبير اسلامى \* لاهل اللغا اعمامت هامى  
والجاحدين تحت اقدامى

ويقول ابن عمر الكفيف في آخر «الداعي» :

ياحافظ اللغا اتواضع \* لاهل المعنى اتريغ  
بل انا نجد عبد الله بن احساين في أول قسم من قصيدة له في  
مدح الرسول عليه السلام يستعرض ثلاث تسميات هي : اللوغ واللغا  
واللغوا ، فيقول :

مداح مادحو بلساني والشوق ليه من لكان  
والمادحو اذهب اكنانسو يرضاه ما اعياء بلسان  
اللوغ واللغا واللغوا بين اللهامع لسان  
والحب د الشفيغ الشافع فالقلب او لدخال اتصان  
وقد شرح لنا بعض الاشياخ هذه الاسماء فذهب الى ان المقصود  
باللوغ العربية الفصحى وباللغا العربية الدارجة وباللغوا اللهجة البربرية .  
**عاشرا : العلم الرقيق :**

يقول المدغرى في آخر قصيدته في الخصام بين الزهور :  
نهيت حلتى لارباب العلم الرقيق  
**الحادى عشر : لكريجة ، سموه كذلك لصدوره عن القريجة .**  
يقول محمد بن الوليد التنسيطي الدرعى في حربة احدى قصائده :  
ناديت بكريحتى اصوتى \* وارفعت اكفوفى الرب الملكوت وادعيت  
اقلت فى ادعوتى \* يامن نجيت يونس ابطن الحوت  
اما قبل الموت وما بعد الموت ياربى كن لى اقموتى



## ثانياً : انواع الزجل

يقدم لنا عبد الرحمن الفاسى فى «الاقنوم فى مبادئ العلوم» تحت عنوان «علم ميزان الملحون» (1) انواعاً من هذا الفن يوصلها الى خمسة عشر ينظمها فى قوله :

علم بأنواع من الملحون \* وردها لضابط الموزون  
له من الاوزان خمسة عشر \* على الذى كثر فيه واستهر  
اولها الشرقى الكبير والثانى \* شرقى صغير باختلاف الاوزان  
والثالث الشرقى الذى قد طرزا \* من وزن ذاك العروبي برزا  
والرابع الشرقى الصغير صاحب \* التاء فيه زائد يناسب  
والخامس العواد والمرشوق \* ثم المزوج الذى يليق  
وبعد البهلون (2) والمسنوى \* وبعده القفر كذا العذراوى  
وبعده الحورشة العشاري \* ثم العروبي والقصيد الجارى  
ولكننا باستثناء العروبي الذى سنتحدث عنه بعد سطور ، وباستثناء القصيدة التى هى مدار هذه الرسالة ، لانعرف من هذه الانواع الا العذراوى، وهو من القطع التى تنشده فى الموسيقى الاندلسية ، وقد يكون موشحاً او زجلاً .

فمن التوشيح العذراوى مانجده ينشد فى صنعتى الدرج والبسيط من نوبة الاصفهان ، وهو (3) :

(1) من أواخر الجزء الثانى من «الاقنوم» مخطوط الخزانة العامة بالرباط D 24 11 والاقنوم عبارة عن دائرة معارف نظم فى حوالى خمسة آلاف بيت مقسمة على مائتين وواحد وثمانين علماً او باباً . وقد كتب عقب الايات المذكورة «بياض قدره ورقة» مع ان الناسخ يقول انه نسخ من نسخة المؤلف .

فى نسخة اخرى من «الاقنوم» رقمها ك 15 : البهلون

(3) انظره فى «نوبة الاصفهان» ص 20 و 29 تنظيم Arcadio de Larrea .

يامن ملك عقلى رهين \* رأيت على خده اليمين  
الزهر والورد والسوسان والياسمين

قلت له آش ذاك اعلى خدك \* قال لى القمر  
قلت له آش ذاك اعلى ثغرك \* قال لى الدرر  
قلت له آش ذاك اعلى شفرك \* قال لى الحور  
وما هو تحت الجبين \* حاجبين امعرقين  
قلت له انت المليح بالحق \* قال لى مليخ  
قلت له انت كحيل الحدق \* قال لى وقيح  
قلت هل بالوصال تشفق \* قال لى شحيح  
قلت له اما تلين \* وتنيل العاشقين  
الزهر والورد والسوسان والياسمين

ومما ينشد زجلا من العذراوى هذه القطعة (1) :

لسم المالك الديان \* نعم المستعان \* نبدا فى اطر يز لوزان  
نمدح سيد الثقلين \* ذو النور والبيان \* والآيات والبرهان  
لسم الملك الاعلى \* جل البسمل \* نبدا فى النظام اولا  
نمدح سيد الرسلا \* مصباح العلا \* احمد سيد الفضلا  
من به نرغب المولى \* يوم الزلزلا \* ينقدنا من الوحلا  
بدرة لرسال \* غدا يلى صولا  
نرجا من المتعال \* قوتى على الملا  
وانقول غير محال \* لارب غير الله

يبدأ على هذا النحو ثم تستمر الاقسام على حروف مختلفة فى

Palacin بمساعدة الفريد البستاني - نشر معهد الجنرال فرانكو  
للابحاث العربية الاسبانية تطوان سنة 1956 . وانظره كذلك فى  
كتاب «الحايك» ص 47 (مخطوطة الخزانة العباسية) وانظره بعد هذا  
غير تام فى الكناش المخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم D 1518  
ص : 41 .

(1) الكناش رقم 2097 ص 1 - 2 (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط) .  
انظر بنفس المصدر نمودجا آخر مما يستعمل من عذراوى الحجازى  
الكبير (ص 57) .

القافية مع التزام قافية النون فى البيتين اللذين يبدأ بهما القسم .  
كذلك يقدم لنا ادريس الادريسي فى كتابه «كشف الغطا عن سر  
الموسيقى ونتائج الغناء» تقسيما لالوان لكريجة يقول فيه : «فن لكريجة هو  
الفن الشائع فى المغرب والمعمول به فى مدنه وحواضره وهو المعبر عنه ايضا  
بالمحون وذلك لان جميع الاشعار التى تستعمل فيه ملحونة يعنى الاشعار  
الجارية على ألسنة العامة والخارجة عن البحور الستة عشر وعن الاوزان  
الملحقة بها ، وهذه الاشعار لاتقل عن أربعة فنون هى الزجل والكان كان  
والموالي والقوما» (1) .

وهو تقسيم غريب وبعيد عن واقع المغرب وحقيقة الفن فيه ، بدليل  
أن المؤلف حاول ان يخص كلا من هذه الفنون بفقرة فلم يجد غير نقل ماقاله  
المشاركة ، دون محاولة للبحث عن نماذج مغربية لهذه الفنون - ان كانت  
موجودة - باستثناء فن الزجل الذى مثل له بيتين للشيخ محمد النجار(2)  
او محاولة للبحث عن شبيهه لهذه الفنون فى المغرب . ولسنا ننكر ان فن  
الزجل موجود فى المغرب ، وهو المعروف بالمحون ، بل انا نعتبره شاملا  
لكل الاشعار الشعبية ؛ ولسنا ننكر كذلك ان للفنون الاخرى ما يماثلها ،  
فعندنا الموالي وكان حتى كان ، وعندنا اناشيد ونداءات ومرددات وألوان  
مختلفة من الاغانى والاشعار ، ولكن هذا لايكفى لحصر انواع الكريجة فى  
تلك الفنون كما لايكفى لجعلها فنونا مغربية خاصة وأنها غير معروفة بهذه  
الاسماء .

والحقيقة أنه يصعب استقصاء كل ألوان الشعر الشعبى فى المغرب ،  
والسبب ان له مواطن مختلفة وأدوات متباينة ، فهناك المدن والقرى  
والبوادي والجبال ، وهناك السهول والريف والاطلس وسوس ، وهناك  
لهجات متباعدة ، الريفية والشلحية والسوسية والعربية مع تباين بين  
البيئات التى تتحدثها سواء فى المدن او خارجها . ولكل لهجة من هذه  
اللهجات شعر شعبى خاص ، ولكل موطن من تلك المواطن أدبة الذى يختلف

(1) صفحة : 108 الطبعة الاولى (مطبعة الرباط) سنة : 1935 .

(2) انظر صفحة : 109 - من المصدر السابق

شكلا ومحتوى عن أدب المواطن الأخرى • وعلى الرغم من أنا قصرنا هذا البحث على نوع واحد من الزجل هو القصيدة المنظمة المقننة المعروف منشئها ، فانا نرى - خاصة ونحن بصدد فصل تعريفي - ان نستعرض اهم ألوان الزجل الأخرى الصادرة بلهجة عربية ، لان قصد الى حصر او استقصاء ولا الى دراسة مفصلة وانما نقصد الى التنبيه اليها وتحديد أهم الملامح المميزة لها •

ولعلنا نستطيع أن نقسم أنواع الزجل المغربي الى شقين : احدهما يعرف منشئه وهو القصيدة التي جعلناها مدار هذا البحث ، والثاني لا يعرف منشئه وقد وقفنا منه على هذه الألوان :

### اولا : البرولة :

ولعلها أقرب الانواع الى القصيدة من حيث الميزان ونظام التقوافى والابيات ؛ وهي من صنائع (1) الموسيقى الأندلسية يغلب وجودها فى ميزان القدام والدرج (2) ، وتعتبر بالنسبة لهذه الموسيقى كالدريدكة بالنسبة للقصيدة (3) • واذا كانت مجهولة المؤلف فليس لانها من انشاء جماهير الشعب كما هو الشأن بالنسبة لالوان الأخرى المجهولة المؤلف وانما لان اسم منشئها ضاع ولم يعن بذكره ، والسبب ان الكلام فى الموسيقى الأندلسية يأتى فى المرتبة الثانية بعد النغم ، بل لا يقصد منه الا الى حفظ اللحن ، وهذا ما يفسر ظاهرة انشاد القطع قبل عزفها بالآلات (4) • وقد اخترنا نموذجين من البرولة : الاول ينشد فى قدام الاستهلال والثانى فى الحجاز المشرقى :

- (1) الصنائع ج صنعة وهي القطعة فى الموسيقى الأندلسية •
  - (2) ميازين الموسيقى الأندلسية اربعة هي : أ) البسيط ب) القايم ونصف ج) البطايحي د) القدام • وزاد المغاربة عليها ميزانا خامسا سموه الدرج وهو غير معروف فى الموسيقى الأندلسية التي انتقلت لتونس والتي يطلق عليها (المألوف) وغير معروف كذلك فى الموسيقى الأندلسية التي انتقلت للجزائر والتي تعرف بالغرناطي •
  - (3) انظر الجزء الثانى من الفصل الثالث من هذا الباب •
  - (4) وهو ما يطلق عليه «لجواب» فى الموسيقى الأندلسية •
- (5)

(1) برولة من قدام الاستهلاك

بالعنس طلعت بدر التمام \* يادات المحيا الجميل  
فاق اجمالك طلعت التريا \* والشمس الواسما-  
حرمتم اجمالك ياقد لعلام \* يامولات التهليل  
زرنى يازيننت اسميا \* بجمالك حاكما  
اغزالى كان غشاك لنام \* مازال الليل اطويل  
خدى راحا سندی اعليا \* مولاتى فاطما  
ربى اعطاك صولى \* بالحسن ياغزالى  
سمعى اغنا اسجولى \* والنوم مازهالى  
لاتنهري ارسولى \* يا عنس لغوالى  
حضرا انقيم ياريم \* يالحظ الرشأ الناييم  
سالى اسليم مانى اهميم \* بين السرور والنعايم  
فرح لكريم لنا ايديم \* ايعود فرحنا دايم (1)

(2) برولة من الحجاز المشرقى :

غدر كاس الجريال \* زار احببى واعطف وجاد هذا الوقت ازيان  
احى الدبلا ياساقى واستقى جمع الغزلان \* ارى لى كاس امكان  
نشرب من كف اغزال \* خمرا تضوى فالكاس لونها مثل الشمس اتبان  
واتلوح اعلى خد مليح تشعل كيف العقيان \* وتطرد كل احزان  
نعت البرنسى الخصال \* مول الهمة والسر ولبها والزيين الفتان  
اغزالى اللى خدو اشريف نحكيه البلعمان \* او الورد افلغصان  
فى اعيونى سحر احلال \* واغعينى النوم احرام ما نرمش عمرى لجفان  
طول الديجور انبات كانراعى للفجر ايبان \* غير اموله حيران  
يتبسّم عن الآل \* جوهر منظوم انفيس فى الماء احكىت المرجان  
والمبسم خاتم من اذهب صنع الله الرحمان \* فيهم حارت لدهان (2)

- 
- (1) كناش 8 صفحة 152 (مجموعة الجراى) .  
(2) مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 2097 صفحة 71 ، وانظر كذلك  
كناش رقم 17 صفحة 62 (مجموعة الجراى) .

### ثانيا : العروبي :

ولعله تحويل لرباعي ، وكأنه كان فى الاصل ينظم على شكله ، وهو فى الواقع لايتقيد بعدد معين من الابيات ولايخضع لنظام ثابت للقافية ، كما هو الشأن فى العروبي الذى يتخلل القصائد (1) وانما ينطلق فى الالسنه قصيرا أو طويلا ، متعدد القوافى أو محدودها ، ولكنه مع هذا يمتاز بخصائص فى انشاده أهمها أنه يستهل بـ «آنانانا» ويختم بالولاويل والزغاريذ • وهو بعد هذا غناء خاص بنساء المدن يرددنه فى حفلات التنزه حين يخرجن للحقول والبساتين ، وفى المواسم والاعياد والمناسبات وخاصة موسم «الطيش» الذى يقام فى البيوت والمنتزهات طوال ايام عيد الاضحى، حيث تعلق «المطيشة» (2) لتركبها البنات واحدة تلو الاخرى ، وتأخذ المغنية فى الانشاد ، وهى فى الغالب أم أو جدة أو خالة ، فتستهل بمثل هذا القول :

آنانانا والمحبوب اللى اهويت

يبقى ديمى قدامى

وبعد ان تستعرض بعض أوصاف الطائشة ومحاسنها تذكر اسمها

على هذا النحو :

هاذيك هى «افلانة»

لمضويا اعليا قلبى واعيانى

والمستعرض للعروبيات — بعد هذا — يجدها تعكس فى الغالب وبصدق عاطفة الحب عند المرأة ونظرتها للرجل وتعلقها به ، وكأنها فرصة أتاحتها لنفسها لتعبر عما يخالج قلبها ، بعيدا عن أى حرج ، طالما أنها لاتنشد فى غير الحفلات والمناسبات الخاصة بالنساء ؛ ومن نماذج هذه العروبيات :

1) سنعرض له فى الفصل الثالث من هذا الباب لدى الحديث عن بناء

القصيدة •

2) وتسمى فى المشرق «المرجيحة» وينطقها أهل الرباط بفتح الميم وكسر

الطاء • أما أهل فاس فينطقونها بضم الميم وفتح الطاء على صيغة

التصغير •

- (1) اطريق سيدى مخلوف \* واطريق سيدى داود  
اتنزهوا يا لبنات \* رالصغر مايتعاود
- (2) اوليد عمى اوليد عمى \* ياوريدا فى كمى  
كان الدى بينتنا \* واش جابو لامى  
اوليد عمى اوليد عمى \* يا وريدا فالكاس  
كان الدى بينتنا \* واش جابو للناس  
اوليد عمى اوليد عمى \* يالله البرا  
انعلقو المطيشة \* فالليمون بوصرا
- (3) ارميت عينى الدراكم ولاصبت انجيكم  
\* وليت من وحشكم كيف المطعوما (1)  
لو كان صبت طير ايحوم من جهتكم  
\* وايقول شخبار ولكم وكيفانتما  
وامحبتكم فى قلبى ملموما  
\* وامحبت غيركم اعلى محروما
- (4) الطير الطير ابنيت لوشباك احريز  
\* ولا انويتو ايطير بعد ما والف  
اخوا قفزي وعمر اقفز الغير  
\* وارمانى فى لبحور خلانى تالف (2)  
لاصارى لاقلوع لاباش انقاذف
- (5) الطير الحر شفتك فالدلالا  
واش دوك العينين امكحلين ولا اخليقت مولانا  
كنت فالما انصيفط لك (3) سبع اطيور عواما  
كنت فالسما انصيفط لك زوج اطيور حواما  
متى نبني اعليك زليجا وارخاما  
ابقيت عايش ما ناخذك غيرانا

- (1) المسحورة •  
(2) ضائع هائم •  
(3) أرسل لك •

(6) قدك يسوا اميا

وخذك يسوا ثلث اميا

وادراعاك يازينت الوقفا

يسوا آلف

ألف فى غشوا

والف فى عشهوم

والف من خادم تكدى فالنار

يامحروبى ودنى نوبا فالشهر

واعطينى كلما من لحديث متمورا (1)

دخلت اعليك ابعينك واحواجبك يالبدر

دخلت اعليك بالنبى زين انصورا

يما ياميمتى للا امنيين الزين

يغلب على لعمورا

وقد عنى الاستاذ محمد الفاسى بفن العروبيات فترجم منها الى الفرنسية نحو مائة وخمسين اخرجها بعنوان «الاغنيات القديمة لنساء فاس» (2) ولكننا نأخذ عليه أنه لم يقدم النص العربى واكتفى بالترجمة ، فكان أن ضيع فرصة التعرف الى هذا الفن فى قلبه ولفظه الاصيلين .

### ثالثا : المزوكى (3) :

يكثر انتشاره فى مناطق السهول ، وهو كالعروبي فى البناء لا يختلف عنه الا فى الاداء حيث لا يستهل بـ «آنا-آنا» ، وانما يغنى البيت او الشطر فتجيب المجموعة بـ «يوى» وينتهى مثله بالزغاريد . ويبلغ الشبه بين النوعين أن كلماتهما تختلط الى حد انه لا يفرق بينهما . أما التسمية فيبدو انها من ازكا اى صوت وصاح .

(1) جدية من التمارا بمعنى الجذ .

(2) « Chants anciens des femmes de Fès » Editions Seghers  
Paris 1967.

(3) سمعناه ينطق كذلك بتاء بدل الميم : اتزوكى .



#### رابعاً : الموال :

وقد سبق أن رأينا (1) أن الموال عند المغاربة - سواء أكان مستقلاً أو تقديماً للقصيدة - غالباً ما يكون بالعربية الفصحى وقلما يكون عامياً .  
والموال المغربي شبيه بالموال المشرقي من حيث الشكل لا يختلف عنه إلا في الأداء واللحن . ومن خصائصه أنه يستهل بـ «آنانانا» كالعروبي ، وهذه بعض نماذجه :

- (1) تـانـحـبـك ونـهـواك \* وفي امسبتك (2) ايكـرهـونـي  
ماـراحتـي حتـى نلقاك \* واعليك يتحلو اعيونـي
- (2) مصابـنـي (3) طـيـر طـيـار \* واجوانحـي تونـسيـة  
وانطـير من ابلاد لبلاد \* وانعود ماساربـيا

#### خامساً : السلامات :

جمع اسلام ، وهي في الغالب لاتتعدى بيتاً يتضمن التحية والشوق ، تكون أول كلماته «صفطت لك اسلامي» أي أرسلت لك سلامي ، وهي قريبة في أداؤها من العروبي . ومن السلامات :

- (1) صفطت لك اسلامي فالشمشأش  
واش (4) احبيبي فالقلب ولما ابقاش
- (2) صفطت لك اسلامي فالفتح  
واش احبيبي اهنا ولا راح
- (3) صفطت لك اسلامي فالشموم  
واش احبيبي فارح ولا مهموم

#### سادساً : العيطة :

بمعنى النداء من عيط اذا نادى . وقد تحدث عنها الادريسي في «كشف الغطا» فقال : «والعيطة نوعان : ملالية ومرساوية ، اما الملالية فمكانها بنى ملال والجبال المجاورة لها وبعض النواحي من تادالا ، ونغماتها

- (1) انظر المدخل لدى الحديث عن انشاد الزجل .
- (2) سبيك .
- (3) ليتنى .
- (4) هل .

دائما فى غاية العلو والارتفاع شبيهة بصياح النذب والبكاء ، والالفاظ المستعملة فيها فى الغالب ممزوجة بكلمات بربرية ، ويتولد منها السوسى ، وهو عبارة عن خفة الميزان وانصراف الدور ، وأما العيطة المرساوية فانها بخلاف ذلك تماما ومكانها بسائر قبائل العرب المتمدنة وهى تفوق الاولى فى كثير من المواد والتأثير كما انها اجملها فنا والطفها صناعة • وكثير منها يقبائل الحوز كعبدة ودكالة والرحامنة والشاوية • والمركز الاصلى لها والذى تنشأ فيه وتنظم هو عبدة • ثم من هناك تتفرق فى القبائل وتذاع، ويوجد مركز آخر بالشاوية قريب من سطات يسمى قبال وبالوادى الاخضر . . . وتتشكل العيطة المرساوية الى أنواع تتردد فيها وتتحصر وهى اكباح ويؤخذ منه الثلثى وهو عبارة عن الميزان الحضارى ثم السوسى ثم الحريزى وهو خاص بقبائل الشاوية» (1) •

وقد حاول الادريسى أن يخضع فن العيطة الشعبى بكلماته وألحانه للشعر العرب على حد ماشرح فى حديث كان القاه بالمؤتمر الاول للموسيقى العربية المنعقد بفاس فى سادس مايو 1939 ، حيث قال : «من بضع سنوات وأنا أفكر فى فن العيطة وكيف يمكن لى اصلاحه ، والتقدم به سريعا السى الامام حتى لايبقى محتقرا فى نظر المتمدنين ممقوتا لدى الفضلاء وأرباب المروءة والوقار فوجدت الامر لا يخرج عن مسألة واحدة وهى ابدال الالفاظ المستعملة فى أدوارها بالابيات الشعرية. فى الادب والاخلاق ، اذ كل ما نشاهده من التأخر والتقهقر الواقع بالعيطة وبالمشتغلين بها ليس الا من ناحية تلك الالفاظ الشنيعة والاقاويل المملوءة سفها وقبحا» (1) •

ويبدو هذا الرأى مشروحا فى مقال كتبه الاديب العباس الشرفى مشيدا بما قام به الادريسى اذ «اعتبر أن مقام به اصلاح كبير على فن الموسيقى المغربية التى هى الطرب الوحيد الشائع بكثير من جهات القبائل المترامية الاطراف المعبر عنها فى لسان العامة بالعيطة ، وذلك باجراء ادوارها فى الشعر العربى الفصيح بدلا من الكلام العامى المبتذل المشتمل

(1) كشف الغطا صفحة 117 - 118 •

(2) المصدر السابق - 119 •

فى الغالب على ألفاظ يستحى من ذكرها ومن سماعها لما فيها من السفه والحث عليه • وقد يكون فى المجلس الرجل وولده والرجل وصهره والتلميذ وشيخه مثلا فيصير ذلك الطرب المقصود به التسلية والانشراح فى نظرهم وسيلة من وسائل الكدر والاتراح يجب نبذه والتنزه عن مجلس يحتوى عليه اذا المؤمن لا يقف مواقف التهم • اما الآن بعد أن ادخل عليها مولاي ادريس المذكور هذا الاصلاح الكبير الذى تلقاه أرباب الفن بجزيل السرور والابتهاج فقد اصبح فنا أدبيا لا يستحى منه ولا ينهى عنه •••» (1)

ولكن المؤلف لم يورد لنا نماذج من هذه الاشعار التى أخضعها لادوار العيطة ، كما أنه لم يذكر ولو نموذجا واحدا من العيطة فى لهجتها المحلية • فكان أن ضاعت ، خصوصا وأن الاذاعة لم تحتفظ بشيء منها لانها لم تكن قد عرفت التسجيل الصوتى فى ذلك الوقت ، وخصوصا كذلك وان هذه العيطات لم تستمر طويلا على لسان المغنين البدويين الذين لاشك أنهم لم يستسيغوا الشعر العرب فهما واداء • وكان ممكنا تطهير كلمات هذا الفن فى اطار العامية ، فلعل ذلك كان سيخدم العيطة ويطورها ويطهرها من الشوائب • واذا كنا نقول مثل هذا الكلام فليس لاننا ننكر ادخال الفصحى الى العيطة أو الى أى لون آخر من ألوان الغناء الشعبى ، بل لاننا نرى أن الاحتفاظ بفن من الفنون يقتضى الاحتفاظ بأداته ، وأداة العيطة اللغة الشعبىة • ومن الممكن التطوير داخل هذه اللغة أو بالاحرى اختيار النقى منها والقريب الى الافهام فى البيئات المجاورة •

ثم ان عملا مثل هذا يحتاج الى دراسة موسيقية لهذا الفن يتعرف منها الى المقامات والنغمات التى يؤدى عليها ، ويحتاج بعد ذلك الى تأليف كلمات تناسب هذه المقامات والنغمات • ثم ان تأليف كلمات لغناء شعبى بدوى كالعيطة ينبغى ان يستوحى البيئة التى تطرب لهذا الغناء ، وتتذوقه حتى تنسجم الكلمات مع اللحن وحتى يتجاوب المطرب وجمهوره مع هذا اللحن وتلك الكلمات • أما أن يأتى أحد الى هذا الفن ويحاول اخضاعه للغة لا يستسيغها أداء واستماعا فتلك جناية على الفن لخدمة له •

والعينة كما سجلنا من أفواه المغنين نوعان : قصيرة وطويلة :  
أما القصيرة فتتكون من بيت واحد يكون في الغالب قصيرا ومتضمنا

أمثالا أو حكما وعظات ، مثال ذلك قولهم :

- 1 - مادا بنا \* كون اتاويننا (1)
- 2 - ياك اخونا \* ابغأو اي فرقونا
- 3 - أنا انتم \* وانت تفهم
- 4 - ابقى فيا لكرين \* اتوسدوه اخرين
- 5 - كملت لك الكليب \* لا تخرج عيب

على ان سهولة نظمها جعلت كثيرا من الناس ينشؤونها الى حد خرج  
بها كثير من المتطفلين عن روحها الحكمى الوعظى بل خرج بها بعضهم الى  
انهزل والى ما فيه السفه وينكره الذوق السليم ، مثل قولهم :

- 1 - قلبك عامر \* فيه لماسمر
- 2 - الروزى (2) لحنين \* تىخلى دين
- 3 - الدرى مزوينو \* شارب البينو (3)

وأما الطويلة فأقرب الى القصيدة من حيث نظام التقفية والتبنييت  
واللازمة ، وان كانت بعيدة عنها فى اللحن والاداء • ومن نماذجها ماغناه  
المرحوم بوشعيب البيضاوى فى نفى المغفور له محمد الخامس وعودته  
الى الوطن :

- 1 (1) وامن لقنيطر المكناس \* تم اتحفر الساس
- لمعمرين ولغراس \* شبعوا عافيا (4) وقرطاس (اسيدى)
- أياخوتنا لسلام \* هزوا بنا لعلام \* سيرو بنا الكدام
- دابا مول الحق ايمان (5)

---

(1) معنى البيت : ليتنا كنا نتفق •  
(2) النبذ الاحمر والكلمة من الدخيل •  
(3) الدرى بمعنى الصبى أو الشاب ، مزوينو أى ما اجمله • أما البينو  
فالحمر ، والكلمة من الدخيل الاجنبى •  
(4) العافية بمعنى النار •  
(5) سوف يظهر صاحب الحق • وهذا البيت هو لازمة العينة

وجدنا والريف \* كل شئ اظريف \* ابن يوسف يرجع بالسيف  
سیدی سیدی تم اتصاب هو والدراری  
أیا خوتنا لسلام ...

الملك امشى وارجع \* العديان اقبضهم لوجع  
لقلوب ابدات اتشفع \* لكلاوى والمقرى لقرع  
(ياسیدی)  
أیا خوتنا لسلام ...

ارجع احببى للرباط \* والناس اتحيه ابلغوات 1  
حيو الملك الشجيع \* هو والامرا اجميع  
أیا خوتنا لسلام ...

الله ينصر السلطان \* اولدو مولای الحسن  
ويزين لوطيان \* دابا مول الحق ابيان  
أیا خوتنا لسلام ...

(2) انا زینى یازینى زینى غالهاما  
سیدی مولای السلطان  
نرسل لیه احماما  
أیا خوتنا لسلام ...

رحموا الشهدا اللى امشوا \* عبد الله والزرقطونى اقضاوا  
والفدائيين اللى ابقوا \* فيهم هماالرجالا اللى اسواوا  
أیا خوتنا لسلام ...

أیا خوتنا لمسلمين \* عينوا الفدائيين  
ولو ابلكلام الزين \* ينصرهم رب العالمين  
أيانا يانا اوين اوين كلا (2) يلغى بلغاه

أیا خوتنا لسلام ...

والله مانتحسر ولانرد القلبى  
خلى لهموم اتصرف

---

(1) ابلغوات اى بصوت مرتفع .  
(2) كل واحد .

دأبا يفرج ربي

أياخوتنا لسلام

أيانا يانا أوين أوين أوين كلاً يلغى بلغاه

ينشد المغنى البيتين ثم تردد المجموعة اللازمة ، ويستمر كذلك مرتين أو ثلاث مرات أو أكثر تنشد المجموعة بعدها اللازمة مع عزف موسيقى قوى وحاد - أو كمباحى كما يقال - وينتهى بذلك جزء من العيطة ليبدأ جزء آخر على نفس الأسلوب والنظام . ويلاحظ انه يشد (1) البيتين فى البداية أو فى النهاية أو فيهما معا بكلمة يقبض (2) بها النغم (سيدي) أما فى نهاية العيطة أى فى الجزء الأخير فالغناء كله كمباحى وسريع مع ترديد كلمات القبض (أنا يانا ٠٠٠) وأما العزف فيبدأ بجرات للكمان تعقبها موسيقى سريعة تعتمد التعريجة والطارة والهندقة ثم يبدأ الغناء .

### سابعاً : الطقطوقة (3) :

وهى نوع من الغناء الخاص بالجبل فى شمال المغرب ، ولكنها اخذت تنتشر حتى فى المدن وتجد عليها كثيراً من الاقبال . وهى عبارة عن مقطوعة تتكون من عدة مقاطع يتركب كل منها من بيتين بقافية واحدة ، والغالب ان تختلف المقاطع فيما بينها تقفية ومعنى . أما الانشاد فيبدأه المغنى ثم تتلو المجموعة تردد المقطع بعده ، على انه تضاف عند الغناء فى نهاية الشطر الاول من كل بيت عبارة «يالولاد» أو «ياسيدي» حتى يشد الميزان ، كما أنه يفصل بين المقاطع بعبارة كهذه «أيامولات الدلال» يقصد بها المغنى الى أن يسوى الميزان أو «بخاويه» على حد تعبيرهم .

---

1 - 2) سبق فى المدخل ان تعرضنا للشد والقبض فى الانشاد  
(3) تجدر الإشارة الى أن الطقطوقة نوع من الاغانى الشعبية المعروفة فى مصر . وقد قامت السيدة بهيجة صدقى رشيد بتدوين كلماتها وأنغامها فى مجموعة بعنوان : (الطقاطيق الشعبية) وقالت عنها فى المقدمة (أن أصلها قطقوطة وهو ما يطلق على الشيء الصغير وانها نوع من الاغانى الخفيفة بسيطة فى تركيبها الموسيقى انتشرت فى الربع الاول من القرن العشرين) (ج 1 نشر اللجنة الموسيقية العليا - سلسلة تراثنا الموسيقى) .

وقد اخترنا من الطفطورة هذا النموذج :

ياالولاد) لسم الله ابدينا

وعلى النبي صلينا

سيدنا محمد

هو الشافع فينا

(أيا مولات الدلال)

ياالولاد) يالقايل قل الله

به عمر اوقاتك

(ياسيدي) ماتوجد غير الله

عند موتك واحياتك

(أيا مولات الدلال)

ياالولاد) أيا نجوم القبالا

هاذى مورا هاذى

(ياسيدي) ارفعت عيني لله

يوفى لى مرادى

(أيا مولات الدلال)

ياالولاد) أيا جيبيل زرهون

فيه لحجر فيه الديس

(ياسيدي) الله يقوى حرمو

سيدنا مولاي ادريس

(أيامولات الدلال)

ياالولاد) جاني النوم وتكيت

فالظل دا لمسكيا

(ياسيدي) دوك لعيون الكوخل

حرقوا التوب اعليا

(أيامولات الدلال)

ياالولاد) أيا بنات العدو

لعدو دايير بكم  
سيدي علال الحاج  
هو احجاب اعليكم  
(ياسيدي)  
(أيامولات الدلال)

### ثامنا : أعيوع :

وأصله الجبل عند بني عروس وبني امسور وجبل حبيب ، ولكنه انتقل الى مدن الشمال . وهو أقرب الانواع الى الطقطوقة بل هو مثلها من حيث أنه مجموعة مقاطع تتكون من بيتين بقافية واحدة قد يكون بينها رابط وقد لا يكون ، والغالب أنه لا يكون وخاصة في الموضوع ، بل انه قد يفتقد أحيانا حتى داخل المقطع الواحد حيث يكون الشطر الاول او البيت الاول كله بعيدا في كلماته عن موضوع بقية المقطع ، ولكن الامر عندهم لا يهم طالما أن الوزن يستقيم والقافية تتحد .

ولاعيوع مناسبات ينشد فيها ، هي :

- (1) الصيف ، ويقصد به فصل الحصاد حيث يخرج الرجال والنساء والاطفال للحقول يحصدون ويعيعون (1)
- (2) الزيار ، أي موسم زيارة الاولياء وخاصة مولاي عبد السلام .
- (3) مناسبات الافراح كالأعراس .

اما انشأده فقد يكون فرديا او ثنائيا او جماعيا ، ولكنه حتى حين لا يكون جماعيا فان المجموعة تردد ؛ وفي كل الأحوال تلتزم اثر البيت او المقطع كلمة «آياه» ومن الامثلة على أعيوع :

- (1) اجديدا السبنيا (2) \* اجديدا وماشي انبيعا (3)
- ماتسالوشي اعلى الزين \* سالوا على الطبيعا
- (2) زوج دا المسمرات اجينود \* فالحيط مارا موشي
- وخا (4) ايجيونسى عشرا \* ابحالك (5) مايكونوشي

- 
- (1) يغنون أعيوع . (2) المنديل
  - (3) أصلها نبيعها ولكنهم يحذفون الضمير .
  - (4) ولو . (5) مثلك .



- (3) التففحات دا الحمر \* بين لحزام لايبانو (1)  
ذوك لعيون الكوحل \* هما اديالو كانو (2)  
(4) رانى افراس النخلا \* ريح لهوا يدينى  
عطت يا محمد \* من دالعباد نجينى  
رانى افراس النخلا \* ريح لهوا يدينى  
عينى اعلى كل اطريق \* آش من اخبر ايجينى  
(5) يالله امعايا يالله \* يالله امعايا نلحوز (3)  
الظل والما يجرى \* والنزاها تحت الجوز  
(6) صلوا على محمد \* صلوا على نبينا  
سيدنا محمد \* هو احباب اعلينا  
(7) يايلى احيبى العالى \* عالى اوفيه انزاها  
ياد العم ياخوتى \* غالا (4) انساعف واهـ  
سيدى مولاي عبد السلام \* عالى اوفيه انزاها  
الجلسا امع لحباب \* عمرى مانسها

**تاسعا : الدقة :**

وهى خاصة بمدينة مراكش وتعرف بالدقة المراكشية ، والواقع انها من حيث الشكل والكلمات لا تختلف عن الطقطوقة او أعيوع ، ولكنها تختلف عنهما فى طريقة الاداء حيث يسبق الانشاد ويعقبه «التكفاف» . اى الضرب بالاكف ، ومن هنا جاءت تسميتها بالدقة . ومن الدقة هذه الاغنية التى تؤديها احدى فرق مراكش :

آش اداك (5) تمشى للزين

- 
- (1) نهود البنات الحمر اما اضافة لا «فى لايبانو» فتفيد عندهم الحال والاستمرار .  
(2) اديالو بمعنى له .  
(3) يستعملون النون بدل لا م الجر .  
(4) تضاف غاللا للمضارع فيفيد الحال والاستمرار وهى عندهم ك : «لا» السالفة الذكر فى «لايبانو» .  
(5) حملك وأخذك .

وانتيا راجل مسكين  
والزمان يغلبك فالحين  
ماسمعتشى آش ادانى

كان فالاول حب ازوين  
يجمع ما بين القلبين  
واصبح العاشق مسكين  
فالآخر اصبح نصرانى

درتها (1) بيديا واعلاش (2) مانخم (3)

كون ماجابونى رجلى ما نجى ليه  
الى دارها بيديه ايفكها ايسنيه  
درتها بيديا واعلاش مانخم

عيني تبكى  
دمعى يحكى  
لما حبو ادمى قلبى  
ادمى قلبى

تمضى ليام  
وايمر العام  
جسمى فنيان  
ياناس دا حرام

ولما العين شافت فالعين  
قلت لو يازين أنا مسكين  
قال لى صافى  
صافى صافى

عاشرا : غيوان بن يازغة :

اي غناء بن يازغة ، وهو منتشر فى مدينة صفرو ومنطقة البهاليل

- (1) عملتها  
(2) اعلاش بمعنى لماذا وأصلها على اى شىء •  
(3) خم بمعنى فكر •

ويازغة والمنزل • ومن اشهر مقطوعاته «فاطما وردا معروفًا» وهى تتكون من ثلاثة اشطار بقافية واحدة ثم شطر رابع بقافية مختلفة :

فاطما وردا معروفًا

هى السلسلا دالشرفا

ماصلحت لى نخطفا (1)

وانعبي لبنات فحوص (2)

ومنها هذه المقطوعة مكونة من أربعة أشطار بقافية واحدة ثم شطر خامس بقافية مغايرة :

خرجوا يالشبابيا

لبلاد شدت الحريا

وازهو قبطت الصينيا

اتكب غير لك اوليا

كل واحد ايشد كاسو

وقد تكون المقطوعة من ثلاثة اشطار فقط يتفق الاولان فى القافية ويختلف عنهما الثالث كقولهم :

كانخمم والقيت الراس كاع (3) خاوى

كانموت وسلطان الزين كايداوى

او ما الطبا (4) والو ماعرفوا اشيبا

ومثلها قولهم :

كانخمم والقيت الراس فيه لفوات (5)

اشحال من كيا فيها اديال حب لبنات

مايداويها حد ابلا اطبيب تدوا

هذه ألوان من الزجل لم نقصد من ذكرها الا الى اظهار مدى انتشاره

- (1) أصلها، نخطفها ولكنهم يحذفون الضمير •
- (2) انعبي بمعنى ناخذ وفحوص من حوص اى خطف وسرق •
- (3) كله •
- (4) الاطباء •
- (5) لفوات بمعنى الزائد أى أنه غير طبيعى •

وتكيفه مع مختلف البيئات لغة ونغما وأداء ، وهو انتشار لو شئنا تحديد مداه لاضطررنا الى تتبع كل المرددات والاغنيات . واذا كنا قد قسمنا الزجل الى نوع يعرف منشئه ، وهو القصيدة التي جعلناها مدار هذا البحث وآخر لايعرف منشئه ويمثل بقية اللوان ، فان هناك نوعا آخر من الزجل خاصا فى شكله وموضوعه يعرف منشئه ولكنه بعيد عن القصيدة وعن كل الانواع الاخرى ولايغنى به ، وهو «الحكمة» ويتكون من بيتين غالبا مايكونان مصرعين ومتضمنين لحكمة او اكثر . وقد اشتهر بنظمه الشيخ عبد الرحمن المجدوب (1) الى حد اصبح ينسب له كل مايردد من حكم بين الناس حتى ولو لم تكن له . ومن الامثلة على حكمه :

- (1) سافر تعرف الناس \* واكبير القوم طيعو  
اكبير الكرش والراس \* ابنص فلس بيعو  
(2) ولد ابنادم لا تربيه \* بعد ماتربيه نادم

(1) توفي سنة ست وسبعين وتسعمائة للهجرة ودفن بمكناس . انظر فى ترجمته وحكمه :

أ - مناقب محمد بن احمد الحضيكي ج 2 من صفحة 190 حتى 197 (الطبعة الاولى)

ب - مرآة المحاسن من أخبار الشيخ ابي المحاسن لابي حامد محمد العربى بن ابي المحاسن الفاسى صفحة 11 - 13 - 18 - 19 - 20 43 - 189 - 190 (الطبعة الحجرية)

ج - كتاب ممتع الاسماع فى ذكر الجزولى والتباع ومالهما من الاتباع من صفحة 101 حتى 107 (ط حجرية) .

د - ابتهاج القلوب بخبر الشيخ ابي المحاسن وشيخه المجدوب لعبد الرحمن الفاسى حيث خصص لترجمته الباب الاول (الباب الاول فى التعريف بالشيخ المجدوب رضى الله عنه) ويستمر من صفحة 14 الى 65 (مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 326 ك) وتوجد من الابتهاج نسخة اخرى بنفس الخزانة مسجلة تحت رقم ك 2302 ويبدو أنها متأخرة عن الاولى .

هـ - القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجدوب . تصنيف نور الدين عبد القادر المطبعة الثعالبية بالجزائر .

و - Les gnomes du Medjdoub - H. Decastries Paris 896

ز - Les quatrains de Medjdoub — : le sarcastique, Poète maghrébin du XVI=siècle par J. Scelles-millie et B. Khelifa G. P. Maisonneuve et Larose - Paris 1966.

- ياسايلنى اعلى الغول \* الغول هو ابنادام  
 (3) المال يا المال \* اليه لبنات مالوا  
 اللى ما عندوشى المال \* مايعمل حتى كلبى ابخالو  
 (4) احفر السرك ودكو \* فالارض سبعين قاما (1)  
 خلى لخلایق ايشكوا \* الى يوم القياما  
 (5) من لايطعمك عند جوعك \* ولايحضر لك فى امصايب  
 لاتحسبوا من افزوعك \* قد (2) حاضر قد غايب  
 (6) الغرب امريض \* وابوذنى اسمعت انذيرو  
 والله ما يتمنوا لمغاربا \*  
 غير اللى كان شميرير اعلى شمريرو (3)  
 (7) ياسيلنى اعلى قرن الثالث عشر  
 \* اكحل مافيه مارا  
 الكسوا اكسوت لمسلمين \* ولقلوب اقلوب النصارا  
 (8) يااذ الزمان يالفدار \* ياكاسرنى امن اذراعى  
 طيحت من كان سلطان \* وركبت من كان راعى  
 (9) اقبض الاجر اقبل الدوا \* واترك اعليك احديث اللى هاوى  
 لمريض اذا ابـرا \* ينسى خير لمداوى  
 (10) البس قدك والعب امع ندك \* واشرب او كل ماتريدو  
 وماتخالط غير اللى يعرف \* قيمة اباك وجـدو  
 كذلك اشتهر بالنظم فى هذه الحكم الشيخ محمد الشرقى (4) . ومن  
 اقواله :

- (1) القامة من مقاييس الطول .  
 (2) قد بمعنى سواء .  
 (3) الشميرير القبعة وهى كناية عن النصارى والكفار .  
 (4) توفى سنة عشر وألف ودفن بجعيدان من بلاد تادلة . انظر فى ترجمته وحكمه :  
 أ - كتاب صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر لمحمد  
 ابن الصغير الافرانى صفحة 25 - 26 - 27 (ط حجرية) .  
 ب - مناقب الحضيكى - الجزء الثانى صفحة 91 - 92 - 93  
 (الطبعة الاولى) .

- (1) احفظ العلم واقراءه \* الجهل ظلما اعظيما  
من لا يقرأ ما يلو جاء \* فى ادنيتهو كالبهيما  
(2) حب الناس ريح افريح \* من ريحهم اسقيت لمراير  
واللى ايكيل امن الريح \* ماتمتللو اغراير  
(3) خلطت الناس تفسد الدين \* ياصاحبى رد بالك (1)  
وايفرقوا بين لثنين \* وايضيعوا راس مالك  
(4) لابد من يوم معلوم \* ترتد فيه لمظالم  
أفرحت من كان مظلوم \* أويل من كان ظالم  
(5) اطلع الفجر وعلا \* يالغابطين فالنعاسي  
انبات نسجد ونركع \* اياك (2) نجا ابراسي

---

ج - مرآة المحاسن صفحة 266 (ط حجرية) •  
د - نشر المثاني لمحمد بن الطيب القادري الجزء الاول صفحة 47 - 48  
(الطبعة الحجرية) •

هـ - ممتع الاسماع من صفحة : 110 الى 115 •  
و - كناش مخطوط بخزانة الرباط العامة رقم ك 3027

(1) خذ بالك وانتبه •

(2) علنى أنجو •

## الفصل الثاني

# اللغة و الفنية

## مراحل التعريب

لا يخفى ان الفتح الاسلامى كان يستهدف أمرين : نشر الدين من جهة ، ونشر العربية أدواته ولغة القرآن من جهة ثانية . وكان طبعيا - واللغة تسائر الفتح وتواكبه - أن تستقبل بسهولة ويسر حيث يستقبل بسهولة ويسر ، وأن ترفض بقوة وعنف حيث يرفض بقوة وعنف .

لذلك تعرضت حركة التعريب فى المغرب لمختلف الهزات والانتكاسات التى تعرض لها نشر الدين (1) ، بل أكثر من ذلك نستطيع أن نقول انها سارت أبطأ منه ، خلافا لطبيعة الامور وما كان ينبغى أن يكون ، لسبب بسيط هو أن فاتحى المغرب لهذا العهد الاول كانوا فى أغلبهم جنودا «يدخلون اليه غزاة مجاهدين على ظهور خيولهم فيقتضون الوطء من فتح الاقطار والامصار ثم ينقلب جمهورهم الى وطنهم ومقرهم من جزيرة العرب» (2) .

لهذا كان ينص على عدد رجال العلم الذين يصاحبون جيوش الفتح حين يوجذون على حد ما يروى من أن موسى بن نصير ترك فى البربر ،

- 1) لم يكن أمر الفتح الاسلامى يسيرا فى المغرب كما قد يظن ، ففي الوقت الذى استطاع المسلمون أن يقيموا خلال بضع سنوات دولة واسعة الرقعة فى المشرق ، فانهم ظلوا زهاء قرن من الزمان يحاولون تثبيت دعائم الدين فى بلاد الشمال الافريقى والمغرب خاصة . ويكفى للدلالة على ذلك أن نعرف أن البربر ارتدوا اثنى عشرة مرة على حد قول ابي زيد القيروانى ، وأن اسلامهم لم يستقر الا بعد فتح الاندلس (انظر تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 110) ، وأن نعرف أن الحملتين اللتين وجهتا لفتح المغرب أو بالاحرى لمواجهة تفشى المذهب الخارجى فيه سنة 122 - 123 لقيتا فشلا ذريعا حيث هزمت الاولى فى معركة طنجة وقضى على الثانية عند وادى سبو وكانت بقيادة كلثوم .
- 2) الاستقصا ج 1 ص 165 طبعة القاهرة .



«سبعة عشر رجلا من العرب يعلمونهم القرآن والاسلام» (1) ؛ وعلى حد ما يروى كذلك من ان عمر بن عبد العزيز بعث مع اسماعيل بن أبي المهاجر «عشرة من التابعين أهل علم وفضل ومنهم عبد الرحمن بن نافع وسعيد بن موسى التجيبي» (2) .

ويذكر أبو عبد الله المالكي في «رياض النفوس» أسماء تسعة من هؤلاء الفقهاء العشرة هم :

- أبو الجهم عبد الرحمن بن نافع (3)
- أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي (4)
- أبو عبد الرحمن الحيلي (5)
- اسماعيل بن عبيد الانصاري المعروف بتاجر الله (6)
- موهب بن حي المعافري (7)
- حيان بن أبي جبلة القرشي (8)
- أبوتامة بكر بن سودة الجذامي (9)
- أبو سعيد جعثل بن عاهان بن عمير (10)
- اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر (11)

وأغلب الظن أن ما يقال من أن حسان بن النعمان «دون الدواوين» (12) ونشر العربية وجعلها لغة البلاد الرسمية لا يخلو من مبالغة ، وأغلب الظن أن ما يقال كذلك من ان خطبة طارق بن زياد دليل على انتشار اللغة العربية بين البربر لا يخلو بدوره من مبالغة .

وربما كان تسرب المذهب الخارجي الى المغرب في هذه الفترة (13)

- (1) البيان المغرب ج 1 ص 37 طبعة لبنان .
- (2) المصدر السابق ص 45 - 46 .
- (3) ص : 72 (4) ص : 66 - 67 (5) ص : 64
- (6) ص : 69 - 72 (7) ص : 73 (8) ص : 73
- (9) ص : 74 (10) ص : 75 (11) ص : 75 .
- (12) البيان المغرب ص : 29 .

(13) ما كادت حركة الفتح تبدأ في المغرب حتى بدأت فئات الخوارج المنهزمة في المشرق تفد عليه وخاصة منها الاباضية والصفيرية تحاول الترويج لمذهبها الذي وافق طبيعة البربر الاستقلالية وميلهم الى رفض كل سيادة تفرض عليهم سواء كانت عنصرية أو دينية .

عاملا من أهم عوامل تأخر حركة التعريب عن أن تساير نشر الاسلام ، والسبب أن أمر الدين والمذهب غلب الخوارج وسيطر عليهم ولم يدع لهم مجالا لنشر اللغة ، فقد أغفلوا امرها ولم يكونوا ينظرون اليها سوى أنها لغة الكتاب المقدس ولغة العلم لاحاجة تدعو اليها فى الحياة العامة • ولعل هذا ما يفسر لنا سر بقاء كثير من المناطق التى انتشر فيها المذهب الخارجى على لهجتها البربرية لم تحاول ابدالها بلغة الدين الجديد •

وربما كان من الادلة على ان اللغة كانت لاتزال تتعثر أن العملة التى ضربت فى نهاية القرن الاول للهجرة والتى كان بعضها يحمل اسم موسى ابن نصير ، كانت مكتوبة باللاتينية ، على الرغم من أنها متأخرة عن حركة الاصلاح النقدى التى قام بها عبد الملك فى المشرق (1) ، بل انه توجد سبع رسائل بعثت من رومة الى رجال الدين المسيحي فى الاقاليم الافريقية مؤرخة فى منتصف القرن العاشر الميلادى ومكتوبة باللاتينية ، مما يدل على أن الذين تلقوا تلك الرسائل كانوا يعرفون هذه اللغة (2) •

ومهما يكن ، فقد استطاع المغرب على عهد الادارسة ان يعيش فى ظل نوع من الاستقرار ساعد على توطيد الاسلام ونشر اللغة فى مناطق غير قليلة ؛ ونستطيع أن نعزو توسع حركة التعريب فى هذا العهد الى خمسة عوامل :

1 - **حالة الاستقرار** التى سادت مناطق نفوذ الادارسة ، خاصة وأن مؤسس دولتهم لم يدخل المغرب غازيا وانما دخله لاجئا ، وخاصة كذلك ان البربر سعوا اليه وولوه امرهم وباعوه عن رضى وطواعية •

## 2 - **عروبة الادارسة •**

3 - **انشاء جامع القرويين** الذى كان له دور كبير فى النهوض باللغة العربية والفكر الاسلامى فى المغرب • وربما كان ذلك الدور ضعيفا فى هذه

---

(1) انظر مقالا حول تعريب الشمال الافريقى لوليام مارسي W. Marçais « Annales de l'institut d'études orientales ». Faculté des lettres de l'université d'Alger T 4 1938 P. 8

(2) المصدر السابق ، ومن أهم ماتفيده هذه الرسائل انه كان يوجد سنة 1050 م خمسة قساوسة وأنه لم يبق منهم سنة 1076 الا ثلاثة •

الفترة ولم يقو الا فى الفترات التالية ، ومع ذلك لانريد ان ننكره حتى فى مراحلہ الاولى ، خاصة ونحن نعرف أن المساجد جميعها وفى كل البلاد الاسلاميه كانت تعتبر مدارس علم الى جانب انها مراكز عبادة • نذكر لاينبنى - ونحن نشير الى هذا العامل - أن تغفل اثر الجوامع الأخرى ، وخاصة فى سبتة التى ظلت تحمل مشعل الثقافة فترة غير قصيرة •

4 - خروج المغاربة على وصاله عليه السلام الى المشرق والقيروان والاندلس وعودتهم الى بلادهم وقد صقلت سنتهم وزودوا بأفكار وعلم جديدة لم يكن لهم بها عهد من قبل ، نذكر منهم :

أ - دراس بن اسماعيل الفاسى ، رحل الى المشرق والقيروان والاندلس ، دارسا ومدرسا ، وعاد الى فاس حيث توفى سنة 357 •  
ب - أباجيدة بن احمد اليزنسى الفاسى ، رحل الى المشرق وكان عالما بالفقه المالكى والشافعى ، وهو صاحب كتاب «الفتوى» الذى ألف فى الوثائق على المذهب الشافعى توفى بفاس سنة 365 •

ج - عبد الرحيم بن احمد الكتامى السبتي المعروف بابن العجوز ، رحل الى الاندلس والقيروان ، وكان من فقهاء المالكية ، توفى سنة 413 •

5 - ثورة توفوق القروية التى قصدت فاسا فى هذا العهد ، قادمة اليها من الاندلس ، والقيروان • أما القيروانيون «وكانوا ثلاثمائة أهل بيت» (1) فقد وفدوا حوالى سنة 189 وأقاموا فى العدو اليسرى ، وعمروها حتى عرفت بعدوة القرويين • وأما الاندلسيون «وكانوا جما غفيرا» يقال أربعة آلاف أهل بيت» (2) فنزلوا بالعدوة اليمنى وعمروها حتى أصبحت تسمى عدوة الاندلس ، وكانوا قد هاجروا من بلادهم على اثر ثورة الربض التى قامت على عهد الحكم بن هشام سنة 206 • ويعرض ابن ابى زرع أسماء بعض القبائل والأشخاص الوافدين فيقول:

(1) الاستقصا ج 1 ص 73 •

(2) المصدر السابق •

«وفى سنة تسع وثمانين ومائة وفدت على ادريس رضى الله عنه وفود العرب من بلاد افريقية وبلاد الاندلس فى نحو الخمسمائة فارس من القيسية والازد ومدحج وبنى يحصب والصدف وغيرهم ، فسر ادريس بوفادتهم وأجزل صلاتهم وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر فاعتز بهم لانه كان فريدا بين البربر ليس معه عربى فاستوزر عمير بن مصعب الازدى وكان من فرسان العرب وساداتها ولابيه مصعب مآثر عظيمة بأفريقية والاندلس ومشاهد فى غزو الروم كثيرة ، واستقضى منهم عامر بن محمد ابن سعيد القيسى من قيس عيلان وكان رجلا صالحا ورعا فقيها سمع من مائث وسفيان الثورى وروى عنهما كثيرا ثم خرج الى الاندلس برسم الجهاد ثم جاز الى العدو فوفد بها على ادريس فيمن وفد عليه من العرب ؛ ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر من جميع الآفاق فكثر الناس وضائق بهم مدينة ويلي» (1) .

ولعلنا نستطيع أن نضيف الى هذه العوامل اربعة عوامل أخرى لاشك أنها ساعدت على التعريب :

#### 1 - قرب اللهجة البربرية - وقد تأثرت بالفينيقية - من اللغة

العربية .

2 - عدم مقاومة اللهجة البربرية للغة العربية الا فى المناطق الداخلية النائية ؛ اما فى المدن والسواحل والمراكز الهامة فقد كان السكان لا يرون بأسا فى تعلم اللغة الجديدة طالما انها لغة الفاتحين ، فقد الفوا اتخاذ لغة الفاتح ومزجها بلغتهم ، اذ ليس من شأن هذه الطبقة من السكان - وهى طبقة لها مصالح - ان تقاوم ، بل انها تهادن وتداهن وتملق لتبلغ اغراضها وتحقق مصالحها . ومن هنا كانت هذه الطبقة اسرع من غيرها الى تعلم اللغة العربية .

ولعل مما يعطى اهمية لهذا العامل ان اللغة لا توجد فى الواقع

---

(1) «الانيس المطرب القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» لابی عبد الله محمد بن عبد الحليم المعروف بابن ابى زرع : مطبوع على الحجر بفاس دون تاريخ . صفحة (14) .

ولاتمارس ولا تنطلق الا فى المدن والمراكز المتجمعة حيث يتحرك الناس ويتحدثون ، على عكس البوادي حيث يغلب الصمت على الفلاحين الذين يقضون الساعات الطويلة فى الحقول متباعدين ساكتين .

3 - تقدير المقاربة المسلمين للقرآن الكريم واعجابهم بلغته واعجازه .

4 - تهجير افواج من المقاربة فى شكل سبى الى المشرق وعودة بعضهم الى المغرب وقد تعلموا اللغة العربية فقد «قال الليث بن سعد : لما قدم موسى بن نصير الى افريقية قبل فتحه الاندلس ومعه جماعة من الناس اخرج ابنا له يسمى عبد الله الى بعض نواحيها فأتاه بمائة الف رأس ثم وجه ابنا له آخر يسمى مروان الى ناحية اخرى فأتاه بمائة الف رأس ، ثم توجه بنفسه الى ناحية اخرى فأتى بمائة ألف رأس ، فبلغ الخمس يومئذ ستين ألف رأس . قال الليث فلم يسمع بمثل سبايا موسى بن نصير فى الاسلام . قال أبوشيبه الصدفى : قدم مروان بن موسى بن نصير من السوس الاقصى وهو يجر الدنيا جرا بالسبى ، فلما قدم رسوله على موسى خرج معه وجوه الناس تتلقاه فلما التقيا قال مروان بن موسى : مروا لكل من يلقانى مع أبى بوصيفة وصيفة ، فلما أمر بذلك سمع موسى للناس ضوضاء وصياحا ورأى لهم حركة فقال : ما هذا ؟ قالوا : مروان ابنك امر للناس بوصيفة وصيفة ، قال موسى : مروا لهم من عندى بوصيف وصيف . فانصرف الناس كلهم ومع كل واحد منهم وصيف ووصيفة» (1) .

وليس من شك فى ان المغرب - لهذه العوامل مجتمعة وخاصة قدوم الاندلسيين فى هجرة منظمة تضم كثيرا من الفقهاء ورجال العلم - قطع مرحلة فى التعريب لا يستهان بها ، كان من المنتظر أن تعقبها مراحل اخرى لولا انه تعرض فى أواخر أيام الادارسة وبعدها لاضطراب شديد ظل يعانيه حتى عهد المرابطين .

(1) ضمیمة فى بحث الدكتور محمود مكى :

Egipto y la historiographia arabico - espanola

صفحة 224 (مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمديرية - العدد الخامس سنة 1957 عدد خاص بمناسبة مرور خمس سنوات على انشاء الصحيفة) .

وكان محتما ان يتأثر سير التعريب بهذا الاضطراب ، خاصة وأنه كانت لاتزال للبربر قوة ومنعة ومراكز لم تخضع بعد للإسلام . ومن غريب الامر أن تكون العوامل التي ساعدت - وكان من الممكن أن تساعد أكثر - على نشر اللغة العربية هي نفسها العوامل التي خلقت هذا الاضطراب وأضرمت ناره . فقد بدأ العرب - بعد أن عزوا وكثر عددهم - يستبدون بالامور ، ويوزعون بينهم المناصب واخذتهم النخوة العربية والعصبية القبلية فكان أن شق المغاربة لهم عصا الطاعة ، وكان أن دخلت البلاد في عهود مظلمة من الفوضى نتج عنها أن تأخر أمر اللغة وأمر الدين كذلك .

وبعد قرون من الاضطراب والخمول ، أتيح للمغرب أن يعرف على عهد المرابطين حياة مستقرة لم تلبث أن خلقت نهضة شاملة اثرت في مختلف مجالات الحياة وخاصة في مجالى اللغة العربية والثقافة الاسلامية . وأظننا نستطيع أن نعزو هذه النهضة التي شملت التعريب الى عوامل أهمها :

1 - **قوة الدولة** في مجالات الدين والسياسة والاقتصاد ومانتج عن هذه القوة من استقرار بعث الطمأنينة في نفوس المغاربة وثبت العقيدة في قلوبهم وأتاح لهم فرص التعلم والدرس .

2 - **الوحدة مع الاندلس** وما حملت الى المغرب من روافد في جميع ميادين العلم والحياة فتحت للمغرب آفاقا حضارية وثقافية ، فقد اقبلت وفود العلماء والفقهاء والادباء من الاندلس الى المغرب في تدفق لم يكن له مثيل ، ووفد على ابن تاشفين «من كل علم فحوله حتى أشبهت حضرته حضرة بنى العباس في صدر دولتهم واجتمع له ٠٠٠ من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة مالم يتفق اجتماعه في عصر من الاعصار» (1) . وكذلك فعل ابنه على ، فلم «يزل ٠٠٠ من أول امارته يستدعى أعيان الكتاب من جزيرة الاندلس وصرف عنايته الى ذلك حتى اجتمع له منهم مالم يجتمع لملك» (2) .

3 - **انشاء المدارس والرباطات** في مختلف المراكز بقصد تثبيت الوعي

---

(1) المعجب لعبد الواحد المراكشى تحقيق العلمى والعريان (ط القاهرة) صفحة 163 - 164 .

(2) المصدر السابق صفحة : 173 .

الدينى والاصلاح الاجتماعى ، وبقصد نشر التعليم وتعميم الثقافة .  
وأهم هذه المعاهد كلها جامعة ابن يوسف التى أسسها على بن يوسف بن  
تاشفين فى مدينة مراکش .

4 - **عناية المرابطين بالثقافة** ، فقد كانوا شغوفين بالعلم محبين لرجالهم فى  
كثير من الصدى والتفانى والاخلاص . ولاعجب فالدولة قامت على  
اساس من العلم والاصلاح . واذا كان يوسف بن تاشفين قليل المعرفة باللغة  
والثقافة العربيتين ، فانه كان - باجماع المؤرخين - محبا للعلم مقربا لاهله،  
ونقول قليل المعرفة ولانقول جاهلا - كما يحلو لبعض الباحثين ان يصفوه  
- لانه لاشك نال من هذه المعرفة قسطة ابان دعوة ابن ياسين ومرابطته معه  
ومع ذلك فالباحث فى كتب الطبقات سواء منها الاندلسية او المغربية  
لايلبث ان يكشف النقاب عن أسماء كثير من أمراء الدولة وكبرائها الذين  
كانت لهم عناية خاصة بالعلم امثال :

زاوى بن مناذ بن عطية الله بن منصور الصنهاجى المشهور بابن  
تقسوط (1) .

خلوف بن خلف الله الصنهاجى (2) .

- عمر بن امام بن المعتز الصنهاجى الملقب بالفقيه القائد (3) .
  - الامير المنصور محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجى اللمتوني (4) .
  - الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين المعروف بابن تعيشت (5) .
  - ابوبكر بن ابراهيم المعروف بابن تافلويت (6) .
- ولعل حركة التعريب سارت بعيدا على عهد الموحدين حيث نشط نظم

---

1 التكملة لكتاب الصلة لمحمد بن الابار القضاى ج 1 صفحة 89 طبعة  
كودير .

2 الجدوة لابن القاضى صفحة 115 طبعة حجرية .

3 التشوف الى رجال التصوف ليوسف بن يحيى التادلى المعروف بابن  
الزيات تحقيق ادولف فور نشر معهد الابحاث العليا المغربية سنة  
1958 صفحة 198 .

4 التكملة ج 1 صفحة 193 .

5 المصدر السابق ج 2 صفحة 616 ووفيات الاعيان ج 2 صفحة 488 .

6 مقدمة ابن خلدون صفحة 519 - 520 .

مسائل اللغة العربية ، وحفظ متونها ، وازدهرت ، دراستها ودراسة العلوم اللسانية المتصلة بها ، وشاعت في لغة التخاطب بين مختلف طبقات الشعب لدرجة أن من يتتبع المقابلات التي أوردها ابن هشام في كتاب «لحن العامة» بين الكلمات العربية والكلمات المغربية العامية لا يجد الفروق كامنة الا في المعنى الجديد الذي اكتسبه اللفظ العربي من جراء انتقاله من بيئة الى بيئة أخرى مغايرة ومختلفة .

ومع ذلك فقد لجأ الموحدون الى البربرية وسيلة للاتصال بالجماهير والتأثير عليها ؛ فالمهدى يدرس بالبربرية ويؤلف بها كتبه في المذهب ويأمر بالنداء للصلاة بها على حد اتهام المأمون له (1) ، وعبد المومن يكتب لولاته بأن «يؤمر الذين يفهمون اللسان الغربي ويتكلمون به ان يقرأوا التوحيد بذلك اللسان» (2) و «كانوا لا يقدمون للخطابة والامامة الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري» (3) . ولكننا نرى ان مجال البربرية كان محدودا لا يتعدى الدعوة الدينية ، وان العربية لانتشارها كانت قد غدت أداة الدولة في جميع المصالح والمرافق .

ونستطيع أن نعزو هذا الانتشار الى العوامل الآتية :

#### 1 - هجرات بني هلال وبني سليم للمغرب ، وكان قد استقدمهم المنصور (4)

- (1) الاستقصا ج 2 ص 212 (2) رسائل موحدية صفحة 39 نشر بروقنسال
- (3) القرطاس لابن ابي زرع ، صفحة 46 .
- (4) انظر تفاصيل اخبار هاتين القبيلتين في الاستقصا ج 2 من ص 145 الى 158 والقرطاس صفحة 154 وتاريخ ابن خلدون ج 6 صفحة 12 . ويبدو أن استدعاء العرب واستقدامهم للمغرب بدأ على عهد عبد المومن (انظر المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ص 172 - 173 تحقيق عبد الهادي التازي) وعلى عهد يوسف بعده (المصدر السابق ص 412 - 413 - 414 - 415) . ويقول ابن صاحب الصلاة ان يوسف امر في مراكش «بدخول اشياخ العرب والوفود للمبايعة واخذ العهد عليهم في ذلك فدخلوا ٠٠٠ وتمت بيعتهم» (ص 433) وكان قد امر «٠٠٠ بتمييز العرب المذكورين وان يحضروا بين يديه في رحبة قصره العتيق بدار الحجر داخل حضرة مراكش ٠٠٠ فابتدأوا بالدخول عليه ٠٠٠ على ترتيب توحيدهم اولا في قبائلهم السابقة لهذا الامر العزيز وعشائهم فكان الذي ابتدأ أول يوم قبيلة زغبة لتقدمهم في التوحيد وأمروا ان يدخلوا في كل يوم بعدد معلوم مسن



بعد أن قدموا الطاعة اثر انتصاره على حليفهم ابن غانية . وكان لهذه الهجرات اثر كبير جعل ابن خلدون يرى ان «العرب لم يكن المغرب لهم فى الايام السابقة بوطن وانما انتقل اليه فى أواسط المائة الخامسة أفاريق من بنى هلال وسليم اختلطوا فى الدول هناك فكانت أخبارهم من أخبارها . . . وأما آخر مواطن العرب فكانت برقة» (1) ومثل هذا يراه ابو القاسم الزياني حيث يقول انه « لم يكن بالمغرب كله أحد من قبائل العرب الى ان جرحهم المنصور الموحدى بمكيذة الجهاد» (2) .

- 2 - وفود جماعة من غز مصر (3) ، وهم طائفة من الموالى اتراك الاصل حالفوا بنى هلال وبنى سليم فى انضمامهم لثورة ابن غانية .
- 3 - وفود جماعة من عرب بنى معقل كانوا بدورهم حلفاء لبنى هلال (4) .
- 4 - زيادة توافد الاندلسيين على المغرب بعد ان تمغربت الاندلس .

كل هذه العوامل كان لها اكبر الاثر فى انتشار اللغة العربية على نطاق واسع شمل الحواضر والبادى والجبال والسهول حيث عاش الوافدون مع البربر حياة واحدة جعلتهم يتجانسون معهم ويتبادلون أساليب العيش والاعراف ، مما زاد فى تغلغل العربية وتمكنها من اللسنة لدرجة اصبح البربر كلهم على حد قول الفريد بيل يتقنون اللغة العربية فى جبال

---

القبيل المأمور له فتمادى تمييزهم على هذا الترتيب الغريب مدة خمسة عشر يوما يدخلون غدوة حتى صلاة الظهر ثم يرجعون بطائفة اخرى من بعد صلاة الظهر الى آخر النهار على ترتيب القبائل المذكورة والعشائر» (ص 434 - 435) .

- (1) ج 6 ص 4 من تاريخ ابن خلدون .
- (2) الترجمانة الكبرى فى أخبار المعمور برا وبحرا صفحة 69 نشر الاستاذ عبد الكريم الفيلالى (وزارة انباء المغرب سنة 1967) وقد علق الناشر على هذا الكلام برأى غريب قال فيه : «يلاحظ ان المؤلف لم يصل علمه الى ان قبائل بنى سليم وبنى هلال ورباح وصباح وبنى معقل وهى قبائل قدمت منذ الفتح العربى الاول من صعيد مصر الى عموم المغرب توجد خصوصا بالجنوب» .
- (3) انظر المعجب صفحة 288 .
- (4) انظر الاستقصا ج 2 من صفحة 159 حتى 162 .

الاطلس (1) وغدوا - كما يقول كوتبي - يستنكرون الأصل البربري ويرفضون الانتساب اليه ولا يكتفون باستعمال اللغة العربية فحسب بل يؤكدون انهم عرب وأنه لا تجرى في روثهم نقطة من الدم ليست بعربية (2) وهو رأى يؤكده ماجاء في دائرة المعارف الاسلامية من أن البربر «تغيروا تغيرا عظيما لاختلاطهم بالعرب حتى ليستحيل تمييزهم في أغلب الاحيان (3)

---

A. BEL

(1)

LA RELIGION MUSULMANE EN BERBERIE

(établissement et développement de l'Islam en Berbérie)

P 204

F.F. Gantier (2)

LES SIECLES OBSCURS DU MAGHREB

P 410

(3) الترجمة العربية مادة : بربر .

## نشأة العامية

لسنا نريد أن نذهب أبعد من هذا فى تتبع مراحل التعريب ، فليس من شك فى أن عهد الموحدين شهد تمام استعراب المغاربة ، وليس من شك كذلك فى أن هذا الاستعراب سار فى اتجاهين :

**الاول :** انتشار العربية الفصحى لغة للكتابة والعلم : وتتمثل فى نصوص القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والعلوم والآداب ، وهى لغة مشتركة بين أبناء العربية والاسلام فى كل الازمنة والاقاليم . ولسنا بصدد التعرف الى هذا الاتجاه .

**الثانى :** انتشار العربية لغة للتخاطب والحياة العادية اليومية ، وهى لغة لم تكن معربة بأى حال من الاحوال ، وانما كانت لهجة دارجة (1) تختلف فى المغرب عن غيره من الاقاليم ، وهى التى يهمنا ان نتعرف اليها . و «اللهجة فى الاصطلاح الحديث هى مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى الى بيئة خاصة ويشترك فى هذه الصفات جميع افراد هذه البيئة . وبيئة اللهجة هى جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً فى مجموعة من الظواهر اللغوية التى تيسر اتصال افراد هذه البيئات بعضهم ببعض وفهم ماقد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التى تربط بين هذه اللهجات . وتلك البيئة الشاملة التى تتألف من عدة لهجات هى التى اصطلح على تسميتها باللغة . فالعلاقة بين اللغة واللهجة هى العلاقة بين العام والخاص» (2)

(1) كان علماء العربية القدماء يطلقون على اللهجة : اللغة واللعن . أما ما نسميه نحن لغة فكان يطلق عليه «اللسان» وبه ورد معناها فى القرآن الكريم .

(2) «فى اللهجات العربية» للدكتور ابراهيم انيس ص 13 الطبعة الثانية لجنة البيان العربى - القاهرة سنة 1952 .

وتتميز اللهجات داخل اللغة الواحدة بثلاثة عناصر :

**اولا :** طبيعة الاصوات •

**ثانيا :** مبنى بعض الكلمات •

**ثالثا :** معنى بعض الكلمات •

على أنه مهما اختلفت اللهجات في الاصوات ، فانه ينبغي ان تظل مشتركة - ولو الى حد - في مباني الكلمات ومعانيها ، لانه متى اتسع نطاق الاختلاف في بناء الكلمات ودلالاتها واصبح كبيرا ومبعدا للفهم ، استقلت اللهجة لتصبح لغة •

ونستطيع ان نعزو تكوين اللهجات الى عوامل أهمها :

**اولا :** توارث الكلام جيلا اثر جيل •

**ثانيا :** طبيعة الاقاليم •

**ثالثا :** الاحتكاك بالاعاجم والاتصال بهم ومدى هذا الاتصال وما ينقل

به من كلمات وتراكيب اجنبية •

**رابعا :** اختلاف الالسنه والحناجر قوة وضعفا وصلابة ورخاوة •

وقد تنبأ ابن حزم الى بعض العوامل حين قال : «... والعربية التي هي لغة مضر وربيعه لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن اهلها فحدث فيها جرش (1) كالذى يحدث من الاندلسى اذا رام نغمة اهل القيروان ومن القيروانى اذا رام نغمة الاندلسى ومن الخراسانى اذا رام نغمته • ونحن نجد من سمع لغة أهل فحس البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد ان يقول أنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة • وهكذا فى كثير من البلاد فانه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها بتديلا لا يخفى على من تأمله • ونحن نجد العامة قد بدلت الالفاظ فى اللغة العربية بتديلا وهو فى البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق فنجدهم يقولون : فى العنب العنب وفى السوط اسطوط وفى ثلاثة دنائير ثلثدا • واذا تعرب البربرى فأراد أن يقول الشجرة قال السجرة واذا تعرب الجليقى ابدل من العين والحاء هاء فيقول مهمدا اذا اراد ان يقول محمدا • ومثل

(1) الجرش الحك ويريد احتكاك اللغات بعضها ببعض •

هذا كثير • فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن ان اختلافها انما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل الفاظ الناس على طول الازمان واختلاف البلدان ومجاورة الامم وانها لغة واحدة في الاصل» (1) •  
ويذهب الدكتور ابراهيم انيس الى أن تكون اللهجات يعزى الى عاملين رئيسيين هما :

« 1 - الانعزال بين بيئات الشعب الواحد •

2 - الصراع اللغوى نتيجة غزو أو هجرات» (2) •

حقا لقد اتسع نطاق العربية باتساع رقعتها في بلاد مختلفة فصلت بينها حواجز طبيعية وسياسية جعلت اتصال أبناء هذه البلاد محدودا • فكلان أن نشأت في كل اقليم وبعد فترة ما - طويلة او قصيرة - لغة جديدة متطورة عن اللغة الاصلية تطورا يخضع لطبيعة البيئة والسكان وظروف الحياة في مختلف نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية •

وحقا كذلك ان الصراع بين العربية ولغات البلاد المفتوحة يختلف قوة وضعفا من اقليم الى آخر • ولكن من الخطأ الظن بأن العربية حين وفدت الى هذه البلاد كانت معربة ونقية بل انها كانت تتخذ شكلين :

**الاول :** اللغة المعربة المتمثلة في القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وما حمل الفاتحون من علوم •

**الثاني :** لغة الفاتحين ، وتمثل لهجات مختلف القبائل والطبقات التي شاركت في الفتح •

ولعله من الانصاف أن نقول ان الصراع بين العربية واللغات المحلية لم يكن صراعا بين لغة القرآن وتلك اللغات ، وانما كان بين هذه وبين اللغة التي كان يتكلم بها الفاتحون ويتخاطبون في حياتهم اليومية العادية ، أى بين اللغات المحلية وبين مجموعة من اللهجات العربية ؛ اذ من الخطأ الظن

---

(1) «الاحكام فى اصول الاحكام» لابی محمد على بن حزم الظاهرى ج 1 ص

31 - 32 الطبعة الاولى مطبعة السعادة • مصر •

(2) «فى اللهجات العربية» ص 18 •

بأن هذه اللهجات لم تكن موجودة ، بل انها كانت تعايش العربية الفصحى في موطنها الاصلى ومنذ أول عصورها حتى في غير التخاطب • فليس من شك أن العرب في جاهليتهم كانت لهم اشعار غير تلك التي وصلتنا والتي تمثل مرحلة نضج الشعر والتي يرجع تاريخها الى حوالي قرن ونصف قرن قبل البعثة ؛ وليس من شك كذلك أن هذه الاشعار التي لم تصلنا كانت بمختلف اللهجات العربية ولم تكن بلغة قريش وحدها لان قريشا لم تكن قد تمت لها السيادة • وحتى بعد ان أصبحت للغة قريش مكانتها في بلاد العرب - وهي المكانة التي عززها الاسلام حيث أصبحت لغة الدولة والدين - لم يقض على اللهجات القبلية الدارجة •

ومع ذلك كان العرب في صدر الاسلام يأنفون من الابتعاد عن النطق الفصيح • فقد كان اللحن على عهد الرسول صلوات الله عليه يعتبر ضلالا ، ويروى عنه أنه قال ، وقد لحن احد المسلمين بحضرته : «ارشدوا اخاكم فانه قد ضل» و «يروى ان عمر رضى الله عنه كان يضرب على اللحن • فأما العرب فاذا لحن الواحد منهم لقربه من الحاضرة ونزوله على طريقة السابلة سقطت عند اهل اللغة منزلته ودفعت ورفضت لغته» (1) • وكان بنو مروان يبعثون اولادهم للبادية حتى تنشأ السننهم مستقيمة ، فانه يروى أن عبد الملك الزم ابنه هشام ومسلمة بالبادية فكانا فصيحين • أما ابنه الوليد ومحمد فلم يخرججا فكانا لحانين • وكان يقول : «أضر بالوليد حبنا فلم نوجهه للبادية» ويروى كذلك انه : «قيل لعبد الملك بن مروان : عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف لايعجل على وانا أعرض عقلى على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ، يعنى خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من أمور» (2) •

- 
- (1) «نقد النثر» لابی الفرج قدامة بن ابى جعفر الكاتب البغدادى • تحقيق د • طه حسين وعبد الحميد العبادى • نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة 1938 •
  - (2) «البيان والتبيين» للجاحظ ج 1 ص 135 طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - سنة 1948 - تحقيق عبد السلام هارون •

وماكاد امر الدولة الاموية ينتهى - وهى الدولة العربية الخالصة - حتى تفشت العجمة وانتشر اللحن ، فقد غلب الطابع الاسلامى على دولة بنى العباس ، وهى دولة فارسية ما فى ذلك شك ، اتاحت فيها فرص المناصب الكبيرة ومراكز السلطة لغير العرب ، فلم يكن غريبا ان تتعرض اللغة لهزات عنيفة وتواجه انماطا من اللغات ومن اللهجات ، ولم يكن غريبا بالتالى أن يصيب العربية تغيير كبير أبسط مظاهره شيوع الاخطاء وتفشى اللحن وانتشار الاساليب المولدة . يقول ابوبكر محمد الزبيدى فى «لحن العوام» : «ولم تزل العرب فى جاهليتها وصدر من اسلامها تبرع فى نطقها بالسجية وتكلم على السليقة حتى فتحت المدائن ومصرت الامصار ودونت الدواوين فاختلط العربى بالنبطى والتقى الحجازى بالفارسى ودخل الدين اختلاط الامم وسواقط البلدان فوقع الخل فى الكلام وبدأ اللحن فى السنة العوام» (1) .

وبذلك دخلت الفصحى فى صراع مع العاميات كان من نتائجه أن بدأ الناس - وحتى المتعلمون منهم - يعتبرون العربية النقية التى لم تتأثر بالتيارات الجديدة لغة خشنة جافة ، واصبح اللحن يغتفر . يقول قدامة : «وربما اغتفر فى دهرنا هذا اللحن والخطأ للانسان فى كلامه لكثرة اللحن فى الناس وانه قد فشا وعظم وفسدت الفصاحة بمخالطة العرب الاعاجم والاقباط وسائر الاجناس (2)» . بل اصبح يجب على المتكلم ان يلحن فى بعض المواقف وفى هذا يقول قدامة : «وأما المواضع التى يجب أن يستعمل اللحن فيها ويتعمد له فى أمثالها ويكون ذلك مما يوجبه رأى فهو عند الرؤساء الذين يلحنون والملوك الذين لايعربون ، فمن رأى لذى العقل والحكمة والحكمة والتجربة الا يعرب بين ايديهم وأن يدخل فى اللحن مدخلهم ولايريههم أن له فضلا عليهم ، فان الرئيس والملك لايجب ان يرى احدا من تباعه فوقه . . . ومن ذلك مايحكى عن بعض من تكلم فى مجلس بعض الخلفاء الذين كانوا يلحنون فلحن فعوتب على ذلك فقال : لو كان الاعراب

(1) صفحة 4 طبعة اولى - القاهرة سنة 1964 تحقيق د . رمضان

عبد التواب .

(2) نقد النشر ص : 143 .

فضلا لكان أمير المؤمنين اليه أسبق (1)» .

لذا لم يكن عجيبا ان نرى انجاحظ يتحدث في «البيان والتبيين» عن لغة مختلف طبقات الناس ويجعل بابا للحن وآخر للحنين البلغاء ، ويذكر انه «قيل لأبي حنيفة : «ما تقول لرجل اخذ صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله ، اتقيده به ؟» قال : «لا ولو ضرب رأسه بأبا قبيس (2) وأن أبا شيبه قضى واسط قال : «أتيتونا بعد أن أردنا أن نقم (3)» .

ولم يكن عجبا كذلك ان نرى مجموعة من العلماء في حدود المائة الثالثة تؤلف في لحن العامة امثال أبي عبيدة وأبي حنيفة الدينوري وأبي عثمان المازني وأبي قاسم السجستاني والفراء والمفضل بن سلمة ، وان نرى مجموعة أخرى تؤلف فيما بعد عن لحن الخاصة امثال ابي هلال العسكري والحريري ، في وقت ظل آخرون يؤلفون في لحن انعامه امثال ابي بكر الزبيدي (ت سنة 379) وأبي منصور الجواليقي (ت سنة 539) .

يتضح لنا من هذا كله أن اللغة العربية التي انتشرت في المغرب كانت تتخذ شكلين :

**الاول :** مغرب تمثله النصوص المدونة والمروية ، وقد تكيف - ولو الى حد - بالاقليم الذي القى بظلاله عليه وأكسبه طابعا محليا يميزه عن غيره .

**الثاني :** عامي ، وتمثله خمس مجموعات من اللهجات :

- 1 - لهجات الفاتحين الاول .
- 2 - لهجات الوافدين من الاندلس والقيروان .
- 3 - لهجات بني هلال وبني سليم وحلفائهما .
- 4 - لهجات المغاربة الذين كانوا يحاولون أن يتعلموا اللغة العربية في المغرب .
- 5 - لهجات المغاربة الذين رحلوا الى المشرق أو الاندلس والقيروان وعادوا الى بلادهم .

---

(1) المصدر السابق ص 144 .

(2) البيان والتبيين ج 2 ص 212 .

(3) المصدر السابق ص : 222 .



ولعلنا نستطيع ، مما نعرف من مواطن نزول مختلف الوافدين ، أن نذهب الى ان لهجات أهل الاندلس والقيروان كانت منتشرة في فاس والمناطق المتاخمة لها في الشمال ، وأن لهجات بنى هلال وبنى سليم كانت منتشرة في الجنوب . ومع ذلك فالواقع ان من كل هذه المجموعات ومن اللغة العربية الفصحى كذلك ، وبالتأثر لاشك باللهجة او اللهجات البربرية المحلية ، «نشأت بالضرورة لغة للتفاهم لايمكن ان نصورها بسهولة كافية الا اذا ضربنا مثلا *Lingua franca* أو *Pidgin english* او غيرهما من اللغات المصطنعة لتقريب التفاهم عند الضرورة . وقد استعانت لغة التفاهم المذكورة بأبسط وسائل التعبير اللغوى فبسطت المحصول الصوتى وصوغ القوالب اللغوية ونظام تركيب الجملة ومحيط المفردات وتنزلت عن التصرف الاعرابى واستغنت بذلك عن مراعاة أحوال الكلمة وتصريفها كما ضحت بالفرق بين الاجناس النحوية واكتفت ببعض القواعد القليلة الثابتة في مواقع الكلام للتعبير عن علاقات التركيب (1)» .

---

(1) «العربية دراسات في اللغة واللهجات والاساليب» تأليف يوهان فك : *Johann Fuck* ترجمة استاذنا المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار، مطبعة دار الكتاب العربى . القاهرة سنة 1951 .  
وفى تعليق بنفس الصفحة ان *Lingua Franca* اصطلاح اوروبى يقابله في بلاد الشرق تعبير اللغة الافرنجية ، وهى خليط من الكلمات الايطالية والفرنسية واليونانية وغيرها ، يستعمله المشارفة في التفاهم مع الاوربيين . و *Pidgin english* اصطلاح على لهجة انجليزية مبسطة محررة من القيود اللغوية يجرى التفاهم بها بين الانجليز والاجانب على الاخص في بلاد الشرق الاقصى .  
و *Pidgin* كلمة محررة عن *business* الانجليزية .

## خصائصها

الاسف شديد أنا لانعرف حال العامية حين نشأت في المغرب ولاحين تطورت عبر القرون - وما أسرع ما تتطور - طالما أنها غير مقيدة بكتابة او قواعد . ولسنا نجد من وصفها الا اشارات عابرة خفيفة كالتى قدم المقدسى حين تحدث عن اقليم المغرب فقال : «ولغتهم عربية غير انها منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الاقاليم ، ولهم لسان آخر يقارب الرومى . . . والغالب على بوادى هذا الاقليم البربر وأكثرهم بكورة السوس وهم قوم على عمل الخوازمية لايفهم لسانهم ولاترضى طباعهم (1)» .

كذلك نجد ابن هشام اللخمي في «لحن العامة (2)» يتعرض للغات العامية في مختلف الاقطار ومنها المغرب . وقد نشر استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني بحثا بعنوان «الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة (3)» اختار منه بعض الالفاظ الاعجمية التى تسربت اللهجة المغربية الاندلسية من البيئة المحلية كما اختار بعض الالفاظ التى اكسبتها هذه البيئة معنى جديدا .

ولو شئنا أن نتعرف الى حال هذه اللهجة بعمق واستقصاء وتفصيل لاحتاج منا ذلك الى بحث مستفيض ومجال واسع لايتهيأ لنا فى هذا الفصل ولايتيحهما موضوع الرسالة نفسه . لذلك فآنا نكتفى بالقاء الضوء على بعض الخصائص التى من شأنها أن تقرب هذه اللهجة الى القارئ البعيد عنها وتسهل فهمها عليه .

وقد قسمنا هذه الخصائص الى قسمين : احدهما عام يشمل اللهجة

(1) «أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم» ص 343 طبعة ليدن 1909 .

(2) مخطوط بالاسكوريال حيث توجد منه نسختان رقم الاولى 46 ورقم الثانية 99 .

(3) مجلة معهد المخطوطات المجلد الثالث سنة 1957 .

اندرجة المغربية ، ويقصد اللهجة العامة المنشورة في أهم المدن والمناطق ،  
والثاني خاص باللهجة الزجل ، وهي تدخل في نطاق اللهجة العامة لاختلاف  
عنها الا في بعض الجوانب التي حاول الشعراء تطويرها او اضافتها تطويعا  
لعتهم حتى تسعفهم في التعبير الفني .

أولا : خصائص عامة (1) :

1 - فتح عين اسم الفاعل فيقال في :

صالح = صالح (بفتح اللام)

عالم = عالم (بفتح اللام)

باستثناء لهجة الجبل فانها تحتفظ بالكسر .

2 - تسكين عين فاعله فيقال في :

جاريه = جاريه (بتسكين الراء)

قابلة = قابلة (بتسكين الباء)

نادمة = نادمة (بتسكين الدال)

3 - حذف ياء مفاعيل مع تسكين الميم وفتح العين ، فيقال في :

مفاتيح = مفاتيح (بتسكين الميم وفتح التاء)

مزامير = مزامير (بتسكين الميم الاول وفتح

الميم الثاني)

4 قلب ( ا ء ) انتهائية الى تاء تانيث مربوطة فيقال في :

حمراء = حمرة

ثلاثاء = ثلاثة

صحراء = صحرة

5 - حذف الياء في وادى فيقال : واد بتسكين الدال

وكذلك في جوارى فيقال : جوار بتسكين الجيم والراء

- 1) انظر في ذلك : I — Louis Brunot ; a) Introduction à l'arabe marocain. G-P. Maisonneuve et Cie Paris 1950  
b) Sur le thème verbal F'al en dialectal marocain Mélanges W. Marçais Paris 1950 P. 56.  
2 — G. S. Colin : Notes de dialectologie arabe Hesperis - T. X 1930. Fas I.

6 استخدام صيغة المثنى للجمع فيقال :

ويدان (ج واد )

فيسان (ج فاس)

7 - استخدام الجمع للمثنى فيقال في :

ضربتهما = ضربتهم ابزوج (تضاف ابزوج لتأكيد التثنية)

قرأتهما = أقرتهم ابزوج

8 - استخدام الجمع بمعنى المفرد ، فيقال في :

جنة = جنان

قبر = قبور

روض = رياض

خلق = اخلاق

عضو = اعضا

9 - نطق اسم الموصول : الذى = الى ، وهو نطق تكاد تشترك فيه

جميع اللهجات العربية •

10 - التزام بعض الاسماء الخمسة لحالة واحدة ، مثل :

اباك - خاك

احموك

11 - خضوع الاضافة لاسلوبيين :

1 - مركب باستخدام كلمة متاع او ديال ، فيقال في :

كتابى = الكتاب اديالى

دارنا = الدار امتاعنا

2 - بسيط باستخدام الضائر والتمزام الحركات على هذا النحو:

أ - النصب في حالة الخطاب فيقال :

عمك - خالك - كتابك - دارك •

ب - الرفع في حالة الغائب المفرد ، فيقال :

راسو - جدو - بيتو •

ج - السكون في بقية حالات الغياب فيقال :

حبيبها - رجلها (للغائبة)

بلادهم - دارهم (للغائبين والغائبات)

12 - ورود اسم الإشارة على هذه الصيغ :

هاذوك

هاذول

ذوك

ذوكا

13 - تسهيل الهمز ، فيقال فى :

رأس = راس

بئر = بير

14 - تشديد الضمير الغائب المفرد ، فيقال :

هو - هى

15 - نطق حرف الجر (فى) دون مد الفاء مع ميل الى فتحها ،

وكتابتها - ان كتبت - متصلة دائما بمجرورها : فالدار -

فالبيت •

16 - نطق (له) و (به) على حالتين :

1 - له بكسر اللام وتسكين اتياء (ومثلها به)

2 - لو بالضم والمد (ومثلها بو)

17 - ابدال هاء الغائب واوا فيقال فى :

كتبه = كتبوا (مع تسكين التاء)

ضربه = ضربوا (مع تسكين الراء)

وقد تحذف هاء الغائبة كذلك فى لهجة الشمال ومنطقة صفرو

والبهاليل فيقال فى :

كتبها : كتبوا (مع تشديد الباء)

ضربها : ضربوا (مع تشديد الباء)

18 - تسكين أواخر الكلمات وعدم اتخاذ الحركات وجواز التقاء

الساكنين •

19 - ورود الفعل المضارع فى حالة المتكلم المفرد على صيغة الجمع ،  
فيقال :

نكتب - نلعب (بتسكين آخر الفعل)

20 - ورود الفعل المضارع فى حالة الجمع على نفس الصيغة مع مد  
آخر الفعل وضمه فيقال :

نكتبو - نلعبو

21 - حذف نون الجمع فى المضارع ، فيقال فى :

ياكلون : ياكلوا

يمرحون : يمرحوا

22 - زيادة حرف (الكاف) أو (التاء) فى أول المضارع للدلالة على  
الحال والاستمرار ، فيقال :

كيخدم - تيقرا

ويلاحظ أن لهجة الشمال تزيد (اللام) وعبرة (غالا) فتقول :

لايلعب - غالا يقرأ

23 - اضافة حرف الشين للتعبير عن النفي فيقال :

ماتلعبش - ماتجريش - (بتسكين الشين أو كسرهما)

24 - استخدام صيغة افعال للدلالة على الصيرورة ، حيث تبني  
عليها :

1 - افعال مشتقة من الالوان ، فيقال :

احمار : صار احمر

اصفار : صار اصفر

2 - افعال مشتقة من بعض الصفات ، فيقال :

اعراج : صار اعرج

ارطاب : صار رطبا

أطوال : صار طويلا

احماض : صار حامضا

اصلاح : صار صالحا

25 - استعمال صيغة مفعول (بفتح الميم وكسرهما) لمجرد الوصف ،  
فيقال :

محساد - مغيار - مبراص - مزيان

#### ثانيا : ظواهر خاصة :

نظرا لان اللغة العامية لاتستعمل الا للشؤون العادية فانه «من الصعب على من يريد التعبير بواسطتها عن احساساته الخاصة وأفكاره أن يكتفى بمفرداتها المحصورة فيضطر الى الاقتباس من اللغة الفصحى ، ولم يتأت هذا بالطبع في أول الامر الا لشعراء كانوا من المثقفين الذين تعلموا العربية الفصحى وأجادوها مثل سيدى عبد العزيز المغراوى فى القرن العاشر» (1) فقد ادخل اشياخ الملحون - والمثقفون منهم خاصة - كثيرا من المترادفات وكثيرا من الغريب . وجاء الاميون منهم فقلدوهم فى استعمال هذه الالفاظ . ثم ان هؤلاء الاميين كانوا يجلسون الى العلماء ويستفيدون من الدروس والمجالس مما قوى ثروتهم اللغوية . ومع ذلك لم يكونوا يتيقدون وكانوا يتصرفون فى الصيغ والنراكيب . ومن هنا نلاحظ جملة ظواهر ، منها انهم :

(1) جمعوا قصيدة على قصدان وأنملة على نمول وكأس على كيوس وحاجة على حيجان .

(2) لجأوا الى الصفات وسموا بها كقولهم للقلب الخبير والساكن ، وللبحر الزخار والمآلى ، ولشمس العشية الذهبية ، وللغزال الحذار أى الذى يحذر الصياد ، وسموه الجفال والشرود . وكثر ذكر الغزال فى شعرهم لتشبيهه المحبوبة به فأطلقوا عليه الدامى والدروج والربراب والريم والزهام والزهموم والمها والصياح والعراض والعمهوج وانقرهوب والشادى وشارد العفا والشرشة والشريد والوسنان واليطلول واليعفور .

من هذا قولهم فى أسماء العيون : أبصار وأتماد وأحداق وأرماق

---

(1) مقال «لغة الملحون» لـاستاذ محمد الفاسى - مجلة البحث العلمى عدد 4 - 5 السنة الثانية يناير غشت 1965 .

وأرماش وألحاظ وأعيان وأغلاس وأغناج وتمود ورموق ورواق

ومقلات وانجال ونجلات ونواجل ونيام •

(3) اشتقوا من الاسماء صفات فقالوا : رجيل للرجل الشجاع الصابر ،

ورجول لكامل الرجولة • وقالوا : مبشور - مشتقة من البشر -

اي فرح مبتهج ، واشتقوا من الادب : مدوب •

(4) استعملوا المفرد بمعنى الجمع وخاصة في صيغة فاعول ، فقالوا : حسود

يقصدون الحساد وجحود بمعنى الجاحدين •

(5) استعملوا صيغة تفعال في المصادر فقالوا :

التحقق بمعنى التحقيق

التجفال بمعنى التيه والصد

التغراد بمعنى التغريد

التفرد بمعنى الانفراد

(6) استعملوا صيغة تفعيل في غير المعنى الذي تؤديه هذه الصيغة فقالوا:

التزهيد بمعنى الزهد

(7) استعملوا صيغة فاعيل بمعاني :

1 - فاعل فقالوا : جهيل بمعنى جاهل وحسيد بمعنى حاسد

2 - منفعل فقالوا : سكيب بمعنى منسكب •

3 - متفعل فقالوا : حبيك بمعنى متشدد •

(8) استعملوا صيغة افعال بمعنى استفعل فقالوا :

اسقام بمعنى استقام •

(9) استعملوا مركبات اضافية للدلالة على بعض الكلمات والمعاني ، فقالوا:

للقلب أمير الاكنان وأمير الحشا وأمير الاسيار (اي الدواخل) ،

وللخمر بنت الدوالى ، ودم العنقود ، وللمحجوبة ام التيوت (اي

الشعور السوداء) وأبو دلال وأبو دواح (اي صاحبة الحلق) وللفراشة

أم الوبرات •

(10) استعملوا بعض الالفاظ في معاني معروفة في العربية فقالوا :

الاحبار بمعنى الشعراء الكبار •



- البطارق بمعنى العلماء الراسخين •
- الميز بمعنى الذكاء مع لباقة وظرف •
- 11 استعملوا كلمات عربية في غير معانيها المعروفة مثل :
  - الوسنان للغزال •
  - العانس للفتاة الجميلة
- 12 تصرفوا في بعض الالفاظ اخضاعا لها للوزن والقافية ، فقالوا في :
  - البنفسج : بلفجج وبلغجوج وبنفججيج •
  - اتماد : تمود •
- 13 أضافوا ياء الى بعض الكلمات ، مثل :
  - اطوادي : في اطواد بمعنى الجبال •
  - كتمانى : فى كتمان
- 14 استعملوا التنوين في بعض الظروف : قبل وبعد •
- 15 استعملوا التنوين في بعض الافعال : ليس • وتكون بمعنى ما النافية وبمعنى لم • وجعلوها تدخل على الماضي • ومع ذلك فكثير استعمالها بدون تنوين •
- 16 استعملوا ذى في هذه •
- 17 استعملوا اللذى فى الذى
- 18 استعملوا لان او لان (بنون ساكنة مشددة او مخففة) فى لان
- 19 استعملوا كن فى كأن
- 20 ثم انهم توسعوا فى لغتهم «فاستوعبوا أسماء الازهار والالوان والاطعمة والطيور والحيوانات والاشجار والملابس والاسلحة وآلات الموسيقى وأواني المنزل والاثاث وأدوات الصنائع فأدخلوا كل ذلك فى لغتهم حتى صارت من أوسع اللغات وأغناها بل حتى صار ذلك من العوائق عن تفهمها وتذوقها لكثير ممن ليست لهم ممارسة ومعرفة خاصة بهذا الانتاج الادبى الضخم» (1) •

---

(1) مقال «لغة الملحون» للاستاذ محمد الفاسى — مجلة البحث العلمى عدد 4 — 5 السنة الثانية — يناير غشت 1965 •

## جوانب بلاغية

تنطوى اللغة العامية بطبيعتها على شفافية وفعالية ومرونة وحيوية تجعلها قادرة وباستمرار على امتصاص المعاني والأفكار الجديدة واكتساب الالفاظ والتراكيب الوافدة ، يساعدها فى ذلك عدم تقيدها بقواعد وقوانين متجمدة تحول دون تكيفها مع الواقع واستقبال كل الروافد واحتضان أى جديد .

ولكنها مع ذلك لا تكون صادقة وساحرة وجميلة الا اذا كانت متصلة بمنشئها محتفظة برهافتها وقدرتها على التعبير فى مستوى بلاغى رفيع . أما الاتصال فليس من شك فى «أن اللغة اذا كانت منفصلة أو شبه اجنبية بالنسبة للشاعر فقد بطل سحرها فى نفسه وسقط التجاوب العاطفى بينه وبينها فأصبحت عاجزة أو أصبح هو عاجزا عن أداء هذا التعبير الوجدانى فى صورته التامة الكاملة الدقيقة التى تشعر بالراحة وتزيح عن صدره ما يجثم عليه ويمتلىء به من انفعال وجدانى . . ان الشاعر لابد أن يمتلك أدواته اللغوية امتلاكاً كاملاً ليكون قادراً على تصريفها فى أغراضه واستخدامها فى نظمه» (1) .

وأما البلاغة فان الحديث عنها قد يثير غضب الذين لايعترفون باللغة العامية اداة للتعبير الجميل ، وهم كثيرون . وقبل أن نكشف لهؤلاء عن جوانب البلاغة ومظاهرها فى شعر اداته اللهجة الدارجة ، فاننا نرى أن نستعرض أقوالا لابن الاثير وابن خلدون لعلها أن تخفف من حدة غضب الرافضين للعامية وأدبها وأن تبعث فى نفوسهم بعض الاستعداد للنظر فى هذا الادب .

---

(1) «ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار فى الشعر» لاستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الهمادى ص 16 - 17 - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة سنة 1962 .

يقول ابن الاثير متحدثا عن الطبع والآلات ، وهى العلوم ، ومنها اللحن : «وملاك هذا كله الطبع فانه اذا لم يكن ثم طبع فانه لاتغنى تلك الآلات شيئا ، ومثال ذلك كمثل النار الكامنة فى الزناد والحديدة التى يقدح بها ، ألا ترى أنه اذا لم يكن فى الزناد نار لاتفيد تلك الحديدة شيئا (1)» . ويقول كذلك مبينا أن اللحن لايقدح فى الفصاحة والبلاغة : «... أن الجهل بالنحو لايقدح فى فصاحة ولابلاغة ولكنه يقدح فى الجاهل به نفسه ، لانه رسوم قوم تواضعوا عليه وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم ، والدليل على ذلك أن الشاعر لم ينظم شعره وغرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول أو ماجرى مجراهما وانما غرضه ايراد المعنى الحسن فى اللفظ الحسن المتصفين بصفة الفصاحة والبلاغة . ولهذا لم يكن اللحن قادحا فى حسن الكلام لانه اذا قيل : جاء زيد راكب ، ان لم يكن حسنا الا بأن يقال : جاء راكبا - بالنصب - كان النحو شرطاً فى حسن الكلام ، وليس كذلك ، فتبين بهذا أنه ليس الغرض من نظم الشعر اقامة اعراب كلماته وانما الغرض أمر وراء ذلك ، وهكذا يجرى الحكم فى الخطب والرسائل من الكلام المنشور (2)» .

والى نفس الرأى يذهب ابن خلدون فى قوله : «ان العلم بقوانين الاعراب انما هو علم بكيفية العمل وليس هو العمل ، ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة المهرة فى صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين اذا سئل فى كتابة سطرين الى اخيه أو ذوى مودته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربى . وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الكلمة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لايحسن اعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولاشيئا من قوانين صناعة العربية فمن هذا تعلم أن تلك الملكة هى غير صناعة العربية وانها مستغنية

- 
- (1) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر «لابى الفتح ضياء الدين بن الاثير ج 1 ص 8 طبعة الحلبي مصر سنة 1939 .
  - (2) المصدر السابق ص 18 - 19 .

عنها بالجملة (1)» .

ويضيف مدافعا عن شعر أهل امصار المغرب من العرب ومحددا معنى البلاغة : «... ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول والمتأخرون والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد وخصوصا علم اللسان يستنكر هذه الفنون التي لهم اذا سمعها ويمح نظمهم اذا انشد ويعتقد أن ذوقه انما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الاعراب منها ، وهذا انما اتى من فقدان الملكة في لغتهم ، فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه ببلاغتها ان كان سليما في الآفات في فطرته ونظره ، والا فالاعراب لآمدخل له في البلاغة ، انما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولتقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالا على الفاعل والنصب دالا على المفعول أو بالعكس وانما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة فاذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحت البلاغة ، ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ماعدا حركات الاعراب في أواخر الكلم (2)» .

ومثل هذا يؤكد مختصرا في تاريخه حيث يقول : «... الا ان الخاصة من أهل العلم بالمدن يزهدون في روايتها ويستنكفون عنها لما فيها من خلل الاعراب ويحسبون أن الاعراب هو أصل البلاغة وليس كذلك (3)» اما مظاهر البلاغة (4) في القصيدة الزجلية فيحصرها الاشياخ النقاد

- (1) المقدمة (فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم) ، ص 492 طبعة بولاق .
- (2) المقدمة (فصل في اشعار العرب وأهل الامصار لهذا العهد) ص : 511
- (3) تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 18 طبعة بولاق .
- (4) يجدر بالذكر أن الشاعر الشعبي استعمل كلمة بلاغة . يقول ابن علي في أول قسم من «المحاورة» :

افراجا مقصيا اكما اسمعت انعاود للسامعين برضاهم  
برجاحت لعقل وابلاغت لجبار جببت اخصام الخودات في انهايت  
شعري منظوم

ويقول كذلك في آخر قسم من «الحجام» :

غير ابلاغا فاشعر وانظامو  
عمرى ماوشمت ولانعرف واشما ولانا داخل لكلاف

فى أربعة عناصر (1) :

**اولا : التجنيس او الجناس ، ولا يكون عندهم الا تاما .**

ومن الامثلة عليه قول الكندوز فى «غاسق لنجال» ، وهو اكثر الشعراء براعة فيه :

بجفاك عمدا لى عدت انجيل

ماشفك تعذابى اولا محانى

سيف لجفا امحانى

لعباد لامحانى

فامحانى الاولى جمع محنة ، والثانية فعل محا فاعله السيف ،  
والثالثة فعل لمح بمعنى رأى فاعله العباد . ومن الامثلة عليه كذلك :

دمعائك القلب الدامى ملو الحوف

واتمزق لكسا واكذاك الحافى

والردا وقماش الحافى

ازحفت من ذا القدم الحافى

فالحافى الاولى بمعنى الغطاء والثانية بمعنى الفراش والثالثة بمعنى  
حافى القدمين .

ومن الجناس الوارد فى هذه القصيدة :

كمن امليح به اصيارى باتو اهتوف

واغضبت عن النفس وقلت اكتافى

انت اسباب اكيود اكتافى

وبلمليح احماوا اكتافى

فاكتافى الاولى فعل أمر من اکتفى ، والثانية بمعنى التقييد من كتف

أى كبل وقيد ، والثالثة بمعنى الاكتاف ج كتف .

ومنه كذلك قول ابن احساين فى قصيدة «فاطمة» :

كيفى يانا انهار ناموا \* عيني فعيون موحرام

(1) نلفت النظر الى أنا سنعود الى هذه المظاهر البلاغية فى «الباب  
الثالث» لنرى نشأتها وتطورها .

واعقلى من الهام هام \* بالحال اللى اقلب شاما  
فوق الورد الناسما

فالهام الاوى بمعنى الرأس والثانية فعل الهيام .  
ويقول الزلايحي فى «الدعى» :

نهزم الدعى دون اتصال \* حتى يرضى بالقهرا عن افعالى  
وانفصلوا افعالى

فافصالى الاوى من الفصل والمفاصلة ، والثانية جمع فصلة ، اى  
قطعة .

#### ثانيا : التصريف :

وهو فى الواقع نوع من الجناس حيث يتصرف الشاعر فى كلمة  
باستعراض عدد من اشتقاقاتها ، وغالبا مايفعل ذلك باسم الحبيبة . يقول  
المدغرى فى «زهرة» :

مانظرت اغزالى زهرا  
انجمت الزهر  
او لنظرت الخد فزهرا  
ابطيب ازهاروا  
ويقول فى «مسعودة» :

كولوا المسعودا ياطلوع اكواكب لسعاد  
انا من سعدى اسعادتك وانت مسعودا  
انت بدر السعود وانت لالهلال اسعود  
ويقول ابن على فى «كنزة» :

ماكيف اوصالك كنز  
وافضل من مال ايلا كنزوا  
عالجنى ياشمس لحاسن ياكنزوا  
ومن التصريف فى غير اسماء الحبيبات قول عباس بن بوسنة فى  
حربة قصيدة له تأملية :

لاتغرب فالغرب امع لمغاربا \* الغرب اغريب سايرا فيه اغريبا  
من اغرايبوا عن اهلو غربا

ثالثا : التضمين او التلزم :

وهو أن يضمن الشاعر القافية اكثر من حرف ويلتزم ذلك في كل القصيدة او في بعض اقسامها. وهو ما يسمى في الادب العرب بلزوم مالا يلزم. وقد برع فيه انحاج احمد الغرابلي ، ومن خير الامثلة على تضمينه قصيدة «ملكة» يقول في القسم الاول منها ملتزما حرفي اللام والكاف :

يامن اطلوع اهللك  
يفجى اظلام لحلاك  
نحكي اشموس لفلاك  
لله جد لي بوصالك  
ننكي ابزورتك عدالك  
لنى اغلام حسن اجمالك  
قبل انصيام يامولاتى وناغلام مملوك  
ومن لفراق مهلوك  
ويلا تزورنى تتعافا ذاتى الهالك  
لو تجفى قلبى ايواصلك  
ويلادزتنى ابقى العار اعليك

وفى القسم الثانى منها يلتزم حرفى الراء والكاف ، فيقول :

امحاسنك واسرارك  
فتنا الكل من راك  
وابهاك ليس يدراك  
لازلت نرتجى بشارك  
ياتى المرسى بخبارك  
وايفيدنى ابصح امزارك  
وانقول سعد سعدى واكمل قصدى ابيوم مبروك  
واضحى الرقيب متروك  
انجدد لفراح ونغنم ساعا امباركا  
وانقول لك الله اينصرك

من ارقى متواك مامعاه اشريك

رابعاً : النشيب ، وهو ثلاثة انواع :

1 - نشيب كلمة ، وهو ان يستهل الشطر بكلمة من الشطر الذى قبله والبيت بكلمة من البيت السابق عليه وغالبا ماتكون آخر كلمة فى الشطر او البيت ، وهكذا وكأن القصيدة سلسلة مرتبطة الحلقات • ويطلق على الاجزاء المنشوبة : «لطارش» (1) وقد برع فيه محمد بوزيان • ومن خير الامثلة على نشبه قصيدة «المحبوب» التى يقول فى احد أقسامها :

محبوب خاطرى من فكده عمدا لى \* عمدا لى والنوم ضج من لنجال  
نجال على الخد دمعها سلسالى \* سلسالى يهو اكما لمطر هطال  
هطال امن افراك اللى زاد اهبالى \* اهبالى من فكده امن اهويت اغزال  
اغزال اقلبها غيرو مايحلالى \* يحلالى وصلو ايلا نعم بالوصال  
ومن هذا النوع كذلك ماجاء فى قصيدة «الجار» للكبير بن عطية المراكشى:  
امن اهواك هيح وجدى وافنانى \* وافنانى خلا امدامعى طوفان  
طوفان فوق خدى والنوم اجفانى \* واجفانى محبوب خاطرى ببيان  
بيان ياهلى واش اعطف جيرانى \* جيرانى تغذر عيب للجيران  
جيران ماتدوز الجار \* والجار ما بقى مهجور  
مهجور بين صهه النار \* والنار تتزيد اشروور  
اشروور ماظننا بامطار \* وامطار امن اماج ابهور  
ابهور فايشا زادت تمحانى \* تمحانى زاد بالتيهان  
2 - نشيب كلمتين : على حد مانجد عند الحاج احمد الغربلى فى

قصيدته «عين الرحمة» ومنها :

أعين الرحما الرحما ياقرت لنيام \* ياقرت لنيام جد لى يابحر التعظيم  
يابحر التعظيم والفضل ياعين الرحما

(1) لعلمها من الطرش بمعنى القذف وكأنه يقذف بها من شطر لآخر • وعند بعض الاشياخ أن «لطارش» تطلق على كل الكلمات التى يقصد الى تكرارها حتى ولو على غير نظام النشيب كقول الدراز فى حربة «زهرة» : بمزارى بمزارى - جد لى بوصالك نبرا - يامولاتى زهرا



3 - نشب شطر ، وقد برع فيه التهامي المدغري ، وخاصة فى قصيدته «فارحا» التى يقول فى أحد اقسامها :

سلتك ببهاك يالرايح \* مالك سكران دون راح  
ونا عقلى امعاك راح \* بايت من ليعت لجرايح  
ساهر والناس رايجا

بايت من ليعت لجرايح \* عقلى بهواك ما ارتاح  
وانبرد ابغير أح أح \* بين التنهاد والجوايح  
كاوى بجمار لافحا

بين التنهاد والجوايح \* بالشوق اتكمد لجراح  
اللى من دكت اللماح \* والغالب مابقى ايسامح  
ولايدري امسامحا

الغالب ما بقى ايسامح \* سيفو مملوك اللكفاح  
وخيولو تكلب لمراح \* بين المسمار والصفايح  
كمن قومان طايجا

بين المسمار والصفايح \* واسنون الهند والرماح  
تزلغ من شوفها الماح \* قولوا لصبيغت اللوامح  
عطفى بخلاك فارحا

قولوا لصبيغت اللوامح \* ياغصن ايميس فالدواح  
أمهر اشروود اقلب طاح \* رفدى ياللا الطايح  
باللى سماك فارحا

ولم يكتف الشاعر الشعبي بهذه المظاهر يكشف بها عن قدرته على التعبير الفنى الجميل ، وانما حاول اظهار هذه القدرة فى استخدام نوع معين من الكلام ، وهى محاولة لاتخلو من تكلف ولاتعنى غير تطويره للغة وبراعته فى ذلك ومهارته . وقد وقفنا من ذلك على نوعين :

أحدهما أن ينظم الشاعر قصيدة كل حروفها مهملة (1) ، ومن الامثلة

---

(1) هذا قريب مما ذكره الرباط فى «العقيدة الادبية» لدى ذكره أنواع الصنعة فى الموالم حيث قال : «صنعة المخزوم وتعريفها أن يجعل

على ذلك قصيدة للنجار يقول فى حربتها :

ململا لعلا الصمد الاء

عل الماحى صلى واعطاه سر ملكو

ويذكرون أن الشيخ محمد بن الشليخ السلوى عارضها بقصيدة كل  
نقط حروفها من فوق وأن الشريف البقائى المكناسى عارضها بقصيدة كل  
نقط حروفها من أسفل ، والاسف انا لم نتمكن من الوقوف ولو على بيت  
واحد من هاتين القصيدتين .

ومن الامثلة كذلك على الشعر الخالية حروف كلامه من النقط قصيدة  
للكبير بن عطية تسمى «الناشمة» يقول فى حربتها :

روم حرم الهادى واسع امكارم احماه

لمرام اموصل والود ولمكارم

مامسى محروم الساعى لوراد احماه

والثانى أن يستعمل الشاعر اسلوب «الختم» ، وهو ان يلتزم بدء  
أبيات القسم او انائها بكلمات معينة ، على حد مانجد عند بوعمرى فى  
قصيدته «زهرة» حيث يقول بادئا كل بيت بـ «زهرة»

زهرا زهوا للذات ❀ مصباح الخودات

---

الناظم جميع أحرف مواله مهملة عدا آخر حروف القوافى معجمات .  
ومثاله أقول :

أحمد محمد رسول مرسل ومدحه لز

واعمل اكما اعمل العالم واهل العز

كم له مدد كم هلك ساحر وسهمه حز

ورمحوكم دحا حاسد واعدها دز» . (الورقة 149) (ظهر)

وتجذر الاشارة الى ان المغاربة عنوا باظهار مثل هذه البراعة حتى فى  
غير هذا المجال على حد مانجد عند المرحوم احمد بن العياشى اسكيرج  
فى رسالتين الفهما بالحروف المهملة هما :

أ) مطالع الاسرار لمدارك الاحرار فى شرح صلاة الفاتح لما اغلق  
(مطبوعة على الحجر) .

ب) مدد الوصول لادراك السؤل على حل كمال الصلاة على رسول  
الله على روحه السلام (مطبوعة على الحجر بفاس سنة 1332) .

زهرا عل لبنات \* حازت لبها وثباتا  
زهرا شمس انبات \* بالحسن اتجلات  
زهرا من عدات \* زين عبلا وخناتا  
وعلى حد مانجد كذلك عند الشريف محمد بن لحسن فى قصيدة «هنية»  
فقد ختم كل بيت من أبيات القسم الاخير منها باسم «هنية» ، يقول :  
خذ ارأوى روض لفنان \* فمديح للا بوتيتين اهنيا  
بها زال الهول واهوان \* صعبى واشهدت باللحطين اهنيا  
وقد برع فى ذلك التهامى المدغرى الذى يقول مثلا فى قصيدة «طامو»  
بادئا كل شطر بكلمة : «مال» =

مال جفنى ساهر طول البهيم \* مال جفك فسرور امقيما  
مال خدى ساقط ورقو اسقيم \* مال خدك ففراح انعيما  
ويقول فى قصيدته «مير لغرام» بادئا الفراش بكلمة «أنت» والغطا  
بكلمة «أنا» :

أنت اغلا وزين من الياقوتا الضاويا  
ونا بزین غالى مملوك اولاً يلى احميا  
أنت ابها من الشمس المرفوعا الغاليا  
ونا بنار شمس خبودك كاوى بنار حيا  
ومن اروخ ما نظم الشعراء على هذا الاسلوب قصيدة ينتهى كل بيت منها  
بـ «اقفل» فى الشطر الاول و «قفلو» فى الشطر الثانى . وقد ذكر لنا منها  
الشيخ بنعيسى الدراز هذا البيت :

ياحاضى (1) باب افلخلا من غير اقفل  
مايحضى باب غير من كان ابقلو  
وأخبرنا أنه عارضها بقصيدة على نفس الاسلوب لم يذكر منها  
غير بيت واحد يقول فيه :

عندى مفتاح به نفتح كل اقفل  
لو يجتمعوا جميع لقفال ايقفلو

## فنية الاسلوب

نسناً نريد أن نختم هذا الفصل عن لغة القصيدة الزجلية وفنياتها دون

أن ننف عند بعض خصائص الاسلوب فيه ، وهى :

- 1 - التشبيه والمقارنة .
- 2 - الحركة والحيوية والتشخيص .
- 3 - الحوار .
- 4 - القصة .
- 5 - الرمز .

والحقيقة أنا سنبسّط الحديث عن هذه الخصائص فى «باب الموضوعات» عرضاً وتمثيلاً ، ونتتبعها فى مختلف المواطن التى وردت فيها بما يعطى عنها صورة واضحة الملامح مكتملة الاجزاء ، ولكننا مع ذلك نرى لزاماً علينا فى هذا الفصل أن نقف عند تلك الخصائص وقفات قصيرة تكون بمثابة اشارات تنبيه لما سيأتى مفصلاً فى ذلك الباب ، وهى وقفات نراها ضرورية لاسيما وان تتبعنا فيه لهذه الخصائص ، رغم ما سنعمد اليه من تفصيل ، سيجىء خاضعاً لتقسيم الموضوعات وتابعا لسيرها وما يقتضيه تسلسلها .

### أولاً : التشبيه والمقارنة :

لم يترك الزجال المغربى أى شىء لم يخضعه للتشبيه والمقارنة ، مستعينا بكل ماحوله فى الحقيقة والواقع او بما وجود عليه به خياله ، سواء فى ذلك باستعمال أدوات التشبيه أو عدم استعمالها . فقد شبه المرأة بالغزال واطائر والياقوتة والقمر والزهرة والمصباح ، وتتبع جميع ملامحها فشبه الشجر بعقد الجواهر ، والقدر بالراية وغصن الآس ، والخذ بالوردة ، والخال بالغلام ، والغرة بالبرق ، والانف بزهر السوسان وعصفور صغير ، والصدر بقطعة رخام ، والبطن بقماش صائف مرقوم ، والنهدين بالتفاح ، والذراعين

بالسيوف ، والاصابع بالاقلام ، والسرة بالكاس سالت عنها الخمر ، والافخاد بأعمدة من ذهب ، والسيقان فى حمرتها بقطعة من البلور اشعلت فيها شمعة كبيرة ، واللون الابيض بالعاج ، والاسمر بالخمير او ماء الذهب ، ثم عكس فعمد الى هذه الاشياء المشبه بها فشبهها بمفاتن المرأة •

ونظر فى مظاهر الطبيعة والكون وتأملها فشبه الشمس حين تغرب بفرس شقراء ارخى عنانها فغدت تغير على الروابى والسهول ، وحين تتجلى فى كبد السماء كعذراء فى عنفوان النمو وعز الجمال • وشبه الفجر عند الطلوع ببدر مضى وعروس برز من الحجاب وحوله الكواكب كالفاتنات وشبه الليل بسultan من السودان يقود جيوشا من الفرسان تمتطى خيولا دهماء • وشبه الارض فى حلتها الربيعية الجميلة بعروس سلطنة ، واديمها المنور بزراوى مفروشة من نسيج الخالق • وشبه النخلة بعروس بكر وعناقيدها بالياقوت والجواهر والعقيان ، فى حين شبه عناقيد الدوالى بالثريات • وحين تأمل الدنيا وجدها كالحسناء الفاتنة يعشقها كل الناس • ولم يكتف الشاعر الشعبى بالتشبيه المجرد فحسب ، وانما عمد كذلك الى المقارنة فاعتبر جمال محبوبته يفوق الشمس والقمر ، وأن البدر يغار من نور جمالها فيحتجب ، وأنها ياقوتة يتضاءل أمامها الجواهر والذهب والفضة • وحاول أن يقارن بين حاله وحال محبوبته فقابل بين قلبه المشتعل وقلبها المرتاح ، بين لونه الاصفر الذابل ولونها البهى الجميل ، بين سهره يرعى النجوم ونومها الهادى ، بين سلوها وانشغاله ، بين قوتها اللذيذ وقوته المر ، بين صحتها ونشاطها ومرضه ووهن عظمه ومزاجه •

وقارن كذلك بين حاله المعذب وقد فارقتة الحبيبة وبين بعض الاشياء الاليفة لديه كالشمعة المحترقة لفراق مملكتها ورعاياها ، والحمام الباكى لهجر انثاه ، والرسم الخالى من الاحبة •

وقابل بين الصبح والليل ، بين الصبح فى قدومه كسلطان ارخى ذيل ازاره لابساً حلة من الديباج وبين الليل فى توديعه كغراب أسود شابت عذاره ، بين الصبح كنسر يعلو فى تحليقه وبين الليل سال دمع غرابه • وقابل كذلك بين نفسه ومظاهر الطبيعة فبعث فيها من ذاتيته ما جعلها

تعكس حال نفسيته وحيوية عاطفته فى تجاوب وامتزاج مع هذه المظاهر  
كتشبيهه الشمس فى غروبها وذبول لونها بالحبيب الذى هجرته محبوبته  
فاصفر لونه •

### ثانيا : الحركة والحيوية والتشخيص :

يكاد هذا العنصر فى الواقع يطفى على القصيدة الزجلية ، فالمحبة  
ليست نائمة فى خدرها او محجبة ، وانما هى دائمة التحرك تصول بجمالها  
فى قوة واعتزاز ، وتتبختر فى ثيابها وتميل بقدها مع هبوب النسيم •  
والمحب فى حاله المضنى كسفينة تتقاذفها الامواج ، وهو لا يفتأ عن الحركة  
سعيًا للوصول الى حبيبته ، يذهب الى المنجمين ويقصد الاضرحة ويزور  
محبوبته ليلا متنكرا فى هيئة «ضيف الله» فتنهض من منامها ، وتدخله  
وتكرمه ؛ وقد لا يتهيا له ذلك فيتنكر فى صفات أخرى يحاول بها ان يغرى  
محزرها ؛ ثم انه دائب الحركة فى البحث عن التذكار الذى اعطته محبوبته  
اياها يوم جادت عليه بالوصال فضيعه •

والحب سيف قاطع وسلطان طاغية يهجم فى جماعة من الابطال ،  
وأمر جائر مروع يقود الجنود للقتال وقد لمعت اسلحته وخفقت أعلامه ،  
وبحر هائج لانهاية لحدوده ما مخرت عبابه سفينة الا اغرقها وشتت الواحها  
وشخص مايعانى المحب من التيه والضنا والشغف والهيام فجعلها  
ملوكا للعشق تطفى وتجور • كذلك بعث الحياة فى الشمعة فجعلها تتكلم  
وتحاور ، وفى الدوالي فصورها تتمايل معربة بل جعلها تتزوج وتنجب  
بعد أن شخصها وشبهها فى نموها بصبيات يكبرن فى حجر امهاتهن  
وصونهن • والحركة فى مجلس الشرب لا تفتقر ، فمن العربة الى الوقوع  
على الارض الى النهوض الى الموسيقى والغناء والرقص •

أما الطبيعة والكون فحاول تشخيصها وابرار اوصافها فى صور حسية  
ملموسة نابضة بالحركة والحياة ، فالليل يهجم والشمس تروح وتشرق ،  
وضموء الصبح يطرد الظلام ويزيحه ، والربيع يقبل ويحيى الارض بعد موتها،  
والطر يتزوج الارض فتحمل منه وتنجب •

وينعكس هذا العنصر حتى على الهجاء حيث يستوحى الشاعر معانيه

من المعارك الحربية فينظم قصائد «البوغان» و «الرامي» و «المهران» (أي المدفع) والقرصان (أي السفينة الحربية) والغطاس (أي الغواصة) ، وهى قصائد لا تشتمل منها إلا رائحة القذف والضرب والتحطيم .

#### ثالثا : الحوار (1) :

وهو نوعان :

- 1) حوار قصير يمكن أن نقول انه يأتى عرضا غير مقصود لذاته ، كالذى يجريه الشاعر بينه وبين محبوبته يشكو اليها فيه مما يقاسى فى حبها عارضا لحاله المذهب ، فتجيبه ناشئة عن أوصافها من خلال مفارقة مع حاله هو ؛ ومثله الحوار الذى يديره مع انشعة والحمام .
- 2) حوار طويل يقصد الشاعر اليه كالذى نجده فى قصائد «الحراز» حيث يتنكر المحب فى هيات مختلفة ، وفى كل مرة يدخل مع محرز حبيبته فى حوار .

ومثل «الحراز» المرافعات كقصائد «القاضى» التى تصور لجوء المحب الى ممثل القضاء عساه ينصفه من جور محبوبته ، وكقصائد «الخصام» او ما يطلق عليه «المحاورة» . والحوار فيها قد يدور :

أ - بين اناس كما بين الحضرية والبدوية ، والخدام والحر ، والزمنية والعصرية ، والشابة والعجوز ، والسراء والبيضاء ، والطويلة والقصيرة ، والسمنية والنحيفة .

ب - بين نباتات كالورود والزهور .

ج - بين طيور .

د - بين جمادات كالقطة والغراف .

هـ - بين مظاهر كونية كالليل والنهار .

- و - بين أشياء وهمية يشخصها الشاعر كالحوار الذى اجراه المدغرى للتيه والضنا والشغف والهيام مع محبوبته التى رفع اليها المحب دعوى ضد هذه الاطراف ، وقد جعلها ملوكا للعشق اغتنمت فرصة غياب محبوبته فاستقرت فى قلبه ؛ وتستمتع المحبوبة الى شكوى حبيبها والى
- 
- 1) انظر الفصل الثالث من باب «الاعلام» لدى ترجمة الجيلالى اميرد .

دفاع خصومه ثم تجيب تنبت في الامر وتحسمه .  
وقد كانت تتخذ بعض هذه القصائد لادوار تمثيلية او ماكان يطلق  
عليه «البساط» . والحوار في كلا النوعين يتعدد مجاله بتعدد الاطراف  
المشاركة فيه ، وهو في الغالب حوار مباشر يقدم له بفعل القول .

#### رابعاً : القصة (1) :

يبدو الشاعر الشعبي مغرماً بالأسرد والقص مستوحياً في ذلك الخيال  
أو الواقع أو التاريخ .

- (1) فمن القص الخيالي ما يحكيه في قصائد «الحراز» و «الخصام» و  
«الخلخال» و «الدمليج» وقصائد «الحجام» و «الفصادة» و «الوصال» .
- (2) ومن القص الواقعي ما يحكيه عن الخمر متتبعا مختلف مراحلها منذ  
غرست الدالية الى أن نمت ونضج عنبها وعصر وعثق ثم عرض  
للشرب .

ومن هنا كذلك ما يحكيه مثلاً في قصيدة «المطر» (2) عن الفقير

ومعاناته من البرد والمطر في فصل الشتاء .

- (3) ومن القص التاريخي نظمته لصفحات من السيرة النبوية في قصائد  
«لخلوق» و «الوفاة» و «المعراج» او نظمته لنكبة الحسين أو لبعض  
الحوادث والاحداث التاريخية على حد ما فعل الكفيف الزرهوني في  
هزيمة ابي الحسن المريني في القيروان .

ويدخل في هذا النوع ما يطلق عليه «القصائد الايوبية» أو  
«الغزوات» وهي التي تحكى قصص الانبياء والاولياء ومحاولات ابراز  
ما فيها من خوارق وكرامات . ويقول الاشياخ ان المغراوي كان اكثر  
الشعراء نظماً في هذا الباب ، ويذكرون له أسماء قصائد منها :  
«المؤودة» و «الشداذية» و «جرير بن جرير» . ويذكرون كذلك  
«النباش» للجيلالي امتيرد و «العيواجية» للكبير بن عطية و «الكهفية»

---

(1) انظر الفصل الثاني من باب الاعلام لدى ترجمة محمد بن عبد الله بن

احساين وكذلك الفصل الثالث لدى ترجمة الجيلالي امتيرد .

(2) انظر تحليلها في الفصل الثاني من باب «الموضوعات» (ملاحظة) .



لغانم القصرى و «النمرودية» للغرابلى و «البغدادية» للمكى بنـ  
القرشى ؛ ولكنه لم يبق من هذه القصائد الا الاسم ، والسبب أمران :  
أولهما : انها قصائد طويلة يمكن ان يطلق عليها : «ملاحم» ومن شأن  
القصائد الطويلة أن يقل حفظها والا يقبل على سماعها فتضيع .

**الثانى :** مذكره الاستاذ محمد الفاسى حين قال : « وقد كان رجال  
الاستعمار أيام الحماية يمنعون انشاد هذه القصائد فى الاسواق ، وكان  
المراقبون اذا تقدم لهم أحد المداحين يطلب الاذن فى السفر للتجول فى المدن  
والقبائل قصد ترويح بضاعته اول مايسألونه عنه هل يحفظ «الغزوات» فان  
أجاب بالنفى اعطى الاذن والا منع لانهم كانوا يخشون بعث العاطفة الوطنية  
والدينية فى النواحي التى كانت ماتزال بعيدة عن اثر الدعة الاستقلالية» (1)  
**خامسا : الرمز (2) :**

ويتمثل فى ثلاثة جوانب :

(1) رسوم الوشم ، وتصور حيوانات وأسلحة واباطالا وبساتين ، وهى  
وغيرها أشياء يقصد الشاعر أن يرمز بها الى مختلف حالات المحب ،  
فالغزال للهجر والنفور ، والخيول والاسلحة لمدى القوة والمقاومة ،  
والاغراس والورود للوصال .

(2) الجفريات : وهى القصائد التى تأمل فيها الشاعر أحوال المجتمع  
والناس واستعرض المناكر والعيوب ، ولكن فى رمز وإشارة وتلميح .  
وغالبا مايلجأ فى ذلك الى الحيوانات ، فيمثل بالصفادع والذئاب  
والبوم للسفلة الذين غدوا سادة وبالسباع والنسور لكبار القوم  
الشرفاء الذين أذلهم الدهر .

(3) بعض قصائد الخصام ك «النجمة» للفيلسوف (3) ، وهى تمثل خصاما  
بين الليل والنهار وصراعا من أجل الفوز بالنجمة ، وهى قصيدة

---

(1) مقال «الادب الشعبى المغربى الملحون» مجلة البحث العلمى - عدد 1

سنة اولى . يناير - ابريل 1964 .

(2) انظر الفصل الثالث من باب «الاعلام» لدى ترجمة العميرى .

(3) انظر تحليلها فى آخر فصل «مع الناس» من باب الموضوعات .

وطنية رمز الشاعر فيها بالنجمة الى الحرية وبالليل للاستعمار  
وبالنهار للوطن •

والجدير بالإشارة أن الشاعر لا يلبث في قصيدته أن يفك الرمز  
ويخرج منه الى التوضيح والتصريح بالرأى والفكرة وهو ما يطلق عليه  
الاشياخ النقاد «الدسميس د المعنى» كأنه يدس المعنى للسامع حتى لا يظل  
يبحث عنه ويحاول الوصول اليه او ما يسمونه «تيحسس على المعنى» ومن  
الامثلة على ذلك ماورد في قصيدة جفرية لعبد الله اعلى يقول في أولها  
رامزا الى أن الاحوال تغيرت وأن الدنيا صفت للسفلة فغدوا سادة :

فرعنت اليوم اعلى البيزان اتولت •

بينت انيابها ودركت الصولا •

والسبع اخشى امن الضبع بعد الزهرات •

لزم التحدير خاف من ولد الغولا •

ويستمر كذلك في رمزه بالحيوانات ثم يكشف في الآخر عما يقصد

اليه من نقد لواقع الناس والزمان فيقول :

لمساجد كتعود افلنعات •

ترجع لقوام عن القبلا مشغولا •

يقوا لبنى عند لتجار لطغات •

ويكثر المال ولثياب المشكولا •

الى جانب هذه الفنية وتلك البراعة والمظاهر البلاغية نلاحظ عند اشياخ

القصيدة الزجلية لمحات نقدية مختلفة نستطيع أن نجعلها في فرعين :

أحدهما خاص بالشعر والثاني بالشاعر •

أما ما يخص الشعر فيتمثل في تقسيمهم له من حيث جودته ووضوح

معانيه وأفكاره واستقامة وزنه الى الاقسام التالية :

(1) كلام بالغ : بمعنى بليغ

(2) كلام مرصع : بمعنى منمق جميل (مرصع)

(3) كلام ابيض : بمعنى بسيط واضح المعاني لاغموض فيه

(4) كلام اكحل : بمعنى معقد وصعب

- (5) كلام امسلس : بمعنى مستقيم لا كسر فى ميزانه  
ونظروا الى الشعر بعد هذا من حيث لغته فاعتبروا من عيوبها استعمال  
الاعراب والكلمات الفصيحة أو ما اطلقوا عليه «البرص» (1) .
- وأما ما يخص الشاعر** فيتمثل فى تفريقهم بين السجى والوهبى أى  
بين صاحب السجى والموهبة . وعندهم أن السجى هو الذى ينظم شعرا  
فيه عواطف ومعانى وأفكار . وفرقوا فى السجى بين أنواع ثلاثة :
- الاول** : المنقول وهو ان يروى الشاعر ما فى الكتب وينظمه كما هو  
الشان فى قصائد مولد الرسول عليه السلام ووفاته ، وهى  
قصائد تحكى ماورد فى السيرة النبوية .
- الثانى** : الهىض وهو أن يصف الشاعر الواقع وينقل الحقيقة كما فى  
المحاورات .
- الثالث** : الغيظ وهو أن ينقل الشاعر أحاسيس نفسه وانفعالاتها كما  
فى القصائد التى تملأها العاطفة سواء كانت عاطفة حب أو دين .
- أما الوهبى فهو الذى له قدرة على النظم فى سهولة ويسر ، دون أن  
تكون له عواطف ومعانى وأفكار . ومن هنا قالوا «لامعرب على وهبى» أى  
لاجدوى من مناقشته فى المعانى .
- ويذكرون أن من الشعراء الوهبيين أحمر المريق وهو من كبار أشياخ  
مراكش المعاصرين (2) . وكان يملئ على حفاظ شعره فى وقت واحد خمس  
قصائد أو أكثر ، وكأنه المدرس يملئ آيات القرآن الكريم على التلاميذ فى  
الكتاب . وذكر لنا الشيخ محمد بن عمر المراكشى أن من الامثلة على شعره  
الوهبى قوله فى قصيده من باب (السما فوقنا والارض تحتنا) :
- شوف اولاد اليوم من كثر لحرام اعموا  
ماقبطو فيما نهم غير الله ايداوى

---

(1) وهو كالتزنييم بالنسبة للموشح والزجل (انظر العاقل الحالى الورقة  
17 ظهر و 18 ظهر) .

(2) كان من جلساء السلطان المولى عبد الحفيظ . توفى سنة 1365 هـ ،  
ولقب بالمريق لانه كان دائما فى حالة جذب يبلل الريق لحيته .

وايلاغب الصبح لأطبيب ايداوى بدوا

واش المركب دون رايس وقومانو ير ساوا

واش لغنم ابدون سارح ترعى لخطاوى

ويعتبر الشيخ محمد الجابري فى فاس كالشيخ المرياق فى مراكش ،

اذ يحكون عنه أنه كان درازا وكان يملى على صناعه أكثر من قصيدة فى

الوقت الواحد وهو امام منواله ينسج •

وكما فرقوا بين السجاي والوهبى فكذلك فرقوا بينهما وبين نوعين

آخرين من الشعراء ، هما : السلاخ والمساخ •

أما السلاخ فهو الذى يسطو على شعر غيره فيحتفظ بالمعاني ويبدل

فى الالفاظ ، ويطلقون عليه كذلك «الخياط» أى الذى يخيطة ويربط بين

ماأخذ من هنا وهناك ؛ وقالوا فى أمثالهم عن عمله «أخيطة مزيانا احسن

امن اسجيا امذبرا» يقصدون ان خياطة مثقنة خير من سجية غير ناضجة •

وأما المساخ فهو الذى يسرق شعر غيره ويمسحه بمحاولة القلب فى

المعاني والالفاظ •



الفصل الثالث

العروض

## البحر—ور

يظن كثير من الناس انه لاحد لبحور الزجل ولاحصر لها ، وأن «صاحب الف وزن ليس بزجل (1)» . ويظن آخرون أن عروض الزجل محدود لا يخرج عن نطاق بحور الخليل ، وأن من الممكن تطبيق تفعيلات هذه البحور وأوزانها عليه .

أما أن بحور الزجل غير محدودة فقول لا يخلو من مبالغة وتهويل وتعجيز . حقا ان الزجالين - سواء في المغرب أو غيره - نظموا اشعارهم على أوزان لا نجد لها مثيلا في العروض العربى الذى حدده الخليل ، وحقا كذلك انهم مزجوا فى الزجل الواحد بين اكثر من وزن ، وهى ظاهرة تبدو معها بحور الزجل كثيرة وجديدة وبعيدة عن العروض العربى ؛ ولكننا مع هذا لانرى لا نهائية لتلك البحور ، بل على العكس من ذلك نحس ونحن نستمع الى ما ينشد عليها - مهما كان جديدا - أنه لا يختلف عما الفنا سماعه فى الشعر المغرب ، تكيفه نفس الروح ويضبطه نفس الايقاع ، بل نحس - فى ظن غالب - ان الذوق العربى العام يستسيغ موسيقاه ويطرب لها ويرتاح حتى عند الذين لا يفهمون كلماته .

وأما أن أوزان الزجل محدودة فى نطاق العروض العربى لدرجة امكان تطبيق تفعيلات الخليل عليه ، فقول نراه بدوره جانب الصواب ، والسبب أن الذين يذهبون اليه يغفلون أمرا لعله أهم عنصر فى هذا الشعر ، الا وهو موسيقيته التى لاتتيح مثل ذلك التطبيق ، بل تتكسر وتضيع لمحاولاته . وليس يخفى أن فى تفعيلات الخليل وما نشأ عنها من أوزان جانبها صناعيا أساسه الاسباب واللاتاد وما تتعرض له من علل وزخافات . وقد بلغ هذا الجانب عند الفراهيدى - وهو جانب تأثر فيه بعلم الصرف ومقاييسه -

---

(1) هو قول شائع ، وقريب منه ماورد فى «العقيدة الادبية» من ان «الحافظ لالف وزن فشلان» (الورقة 24 ظهر) .

درجة جعلته يعتبر «مستفع لن» و «فَاع لاتن» تفعيلتين مستقلتين عن «مستفعلن» و «فاعلاتن» مع ان الايقاع واحد . بل اكثر من ذلك نجد العروضيين يفترضون لبعض البحور اصولا تطورت عنها كقولهم فى المديد أن اجزاءه ثمانية هى :

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن (مرتين)

ولكنه لم يرد فى الشعر الا مجزوءا حيث سقطت التفعيلة الاخيرة ، وكقولهم فى الوافر ان اجزاءه ستة ، وهى :

مفاعلتن مفاعلتن (مرتين)

ولكنه لا يرد صحيحا حيث تقطف عروضه فتصير مفاعل ، ثم تحول

الى فعولن .

ومثل هذا وذاك يقال فى الهزج والسريع والمضارع والمقتضب ، بل انه لا تكاد توجد قصائد على الوزنين الاخيرين ، ولم ترد فيهما الا ابيات متفرقة ، لعلها بقايا أوزان عربية قديمة ، مثلها فى ذلك مثل الشواهد الشاذة فى اللغة أو النحو أو غيرها ؛ ومن يدرى فقد تكون من اختلاق بعض الرواة العابثين الذين كانوا يحاولون اثبات سعة روايتهم وارضاء الامراء والخلفاء واتحافهم بالطريف النادر ولو باختلاقه . ومع ذلك نجد الخليل يعتمد هذه الابيات المتفرقة القليلة ويعمل فيها صناعته ويضع لها وزنا وأصلا لهذا الوزن .

لذا ، فانه ليس من السهل القول بأن الزجل يسير على التفعيلات العربية ، او بالاحرى انه يسير عليها فى تناسقها المعروف . ومع ذلك فمن المؤكد انه يخضع لايقاع العروض العربى وليس الى أوزانه وتفعيلاته ، فأوزانه تختلف ، وتفعيلاته تتباين فى العدد والمقدار . وهذا ما يجعل من الصعب ، بل من المستحيل ، أن نزعم أن هذه القصيدة او تلك من بحر الكامل أو الوافر أو غيرهما . ولو هيء للاوزان المجزأة من يحييها ويدرسها وينظمها لتمكن ارجاع بعض قصائد الزجل الى أنماط من هذه الاوزان .

ويزيد فى خطأ الرأى الذى يذهب الى ان اوزان الزجل محدودة أن

اتخاذ مثل هذا الرأي يقتضى بآدى ذى بدء حصر كل النصوص الزجلية ،  
اذ عملية تحديد الاوزان لا يمكن ان تتم الا بعد جمع هذه النصوص واستقراء  
ما تسير عليه من بحور . ومادامت هذه العملية غير ممكنة ، طالما ان ما بين  
ايدينا من نصوص لا يمثل الا نسبة ضئيلة مما انتجه الزجالون ، فمن العبث  
والخطأ أن نسطر احكاما مسبقة ونحاول اخضاع الازجال لها ، وانما العكس  
هو الصحيح والصواب ، أى أن نستقرى ما عندنا من ازجال ونحاول أن  
نستنبط منها احكاما ونستخرج قواعد .

ثم انا لانرى جدوى - ونحن نريد أن نتعرف الى عروض القصيدة  
الزجلية فى أن نثبت مطابقتها أو مخالفتها للعروض العربى المعروف ، طالما  
أن لاشياخ الزجل التقاد ميازين تعارفوا عليها ، نرى من الانفع والاجدى أن  
نعرضها ، بعيدا عن أية مقارنة بالبحور العربية أو حتى مقاييسها وحركاتها  
الموسيقية ، لان ادراك نسب الايقاع وابعاده فى الزجل يقتضى الاستماع  
اليه ودراسته ملفوظا ومعنى به ، وهو شرط لا يتوفر لنا الا فى حالات نادرة  
معروفة .

وللزجالين المغاربة تفعيلات خاصة يزنون بها أشعارهم ، أساسها النغم  
والايقاع (1) ، يطلقون عليها «الصروف (2)» وهى نوعان :

(1) لعلها لاتخرج عما ذهب اليه اخوان الصفا فى الرسالة الخامسة من أن  
«قوانين الغناء والالحان ... ثلاثة أصول وهى السبب والوتد  
والفاصلة . فأما السبب فنقرة متحركة يتلوها سكون ، مثل قولك :  
تن تن تن ، ويكرر دائما . والوتد نقرتان متحركتان يتلوها  
سكون مثل قولك : تن تن تن . يكرر دائما والفاصلة ثلاث نقرات  
متحركة يتلوها سكون مثل قولك تن تن تن تن تن فهذه الثلاثة هى الاصل  
والقانون فى جميع ما يركب منها من النغمات وما يركب من النغمات  
فى جميع اللغات من الالحان وما يتركب منها من الغناء فى جميع  
اللغات» (رسائل اخوان الصفا وعلان الوفا ط صادر - بيروت -  
الرسالة الخامسة من القسم الرياضى فى الموسيقى ص 197 - 198)  
وقد استعرضت الرسالة بعد ذلك جميع أنواع الايقاع المركبة من هذه  
النقرات وانتهت الى أن منها ثلاثة مفردة وتسعة ثنائية وعشرة  
ثلاثية .

(2) يطلق هذا الاسم اساسا على القطع المعدنية التى تتخذ مقاييس لوزن  
الكيل أمثال الكيلو ونصفه وما اليهما .



1 - الدندنة : وهى قائمة على «دان دانى» وهو مقياس موسيقى صرف . ومن الامثلة على تطبيقها قولهم بالنسبة لهذا البيت من شمة ابن على :

الا باكيا بسقامك شوفى اسقام حالى  
من قيس وارثو بعد افناه اغرام حب لىلى  
أدان دان دانى دانى يادان دان دانى  
أدان دان دانى دانى يادان دانى  
وقولهم بالنسبة لحربة «المزيان» للعلمى :  
حن واشفق واعطف برضاك يالمزيان  
لا اسماحا ميعاد الله يالهاجر  
دان دانى يادانى دان دان يادان  
دان دانى يادانى دان دان دانى

## 2 - مالى مالى :

ويبدو أنهم وجدوها لا تكفى وحدها لضبط الايقاع الموسيقى ، فأضافوا اليها بعض الكلمات مثل : «الرادا - العادا - سيدنا - للا مولاتى للا ٠٠٠» أو ما اليها مما يشد به الميزان ، كما سبق أن رأينا فى الانشاد (1) . والغالب فى قياس الميزان أن يبدأوا بهذه الكلمات ثم يختتموا بـ : «مالى مالى» . ومن الامثلة على ذلك قولهم فى هذا البيت من «وردة ابن سليمان» :

لاتلومونى فى ذا الحال جيت نشهد وانودى  
ياعدولى فالموت اسبابى خد الورد  
للا يامولاتى للا ويامالى مالى  
للا يامولاتى للا ويامالى مالى  
ومع ذلك فالشعراء حين ينظمون لا يقيسون بهذه «الصروف» ، وانما يقيسون ببعض القصائد المشهورة التى غدت نماذج أو شبه نماذج لهذا الوزن أو ذاك . ومثل هذا نلاحظه حتى عند المنشدين ، فانهم لقلة معرفتهم

(1) انظر المدخل

الموسيقية لا يدركون ميازين الانشاد الا بهذه الطريقة ، كقولهم ان «فضيلة»  
للحاج ادريس نحنش من قياس «الباكي» للتهامي المدغرى ، وكقولهم ان  
«وقت الزهو» لمحمد بن على على قياس «الزهو فبنات وشبان» للمدغرى  
كذلك .

والعروض عند الزجالين المغاربة يقوم على بحور وعلى أنواع من  
الميازين داخل كل بحر . وأطلقوا على البحور «لرمات» جمع مرمة ومعناها  
المنوال وهو الآلة الخشبية التى يستعمل النساك والدرار ، وأطلقوا على  
أنواع الميازين داخل البحر الواحد «قياسات» جمع قياس (1) .  
ويمكننا تقسيم بحور هذا العروض الى اربعة أنواع هى :

1 - المبيت .

2 - مكسور الجناح .

3 - المشتب .

4 - السوسى .

اولا : **المبيت (2)** : أى القائم على عدد معين من الاشطار فى البيت وعلى  
عدد من الابيات يلتزم فى كل قسم من أقسام القصيدة ، وهو الغالب فى  
استعمال الشعراء . وربما كان أقرب من غيره الى شكل بحور الشعر  
المعرب ، ويتفرع هذا النوع الى أربعة أشكال من حيث عدد الاشطار التى  
تكون البيت :

1 - **المثنى** : أى الذى يتركب البيت فيه من شطرين ، يطلقون على  
الاول «الفراش» وعلى الثانى «الغطاء» (3) . وله «قياسات» متعددة لاسبيل

(1) أى القياس .

(2) واضح أن التسمية مأخوذة من البيت . ونجدها عند ابن على فى  
آخر «المرسوم» حيث يقول : «من حبر معلم» \* يا حمام اروي المعنى لمبيتنا»  
ونجد عند الحاج عمارة فى آخر قسم من فاطمة :

«ياراوى لبيات عنى \* غنى اوصول لاتخشى من عديانى»

(3) من عجيب أنا نجد مثل هذه التسمية معروفة فى فن الموالم المصرى على  
حد ما نقرأ عند ميلاد واصف فى «قصة الموالم» حيث يقول : «أما  
مواويل الفرش والغطا» وينشدها أكثر من مغن فهى تنظم على طريقة  
«الموالم النعمانى» فى أسلوب التقفية الا ان كل قطعة تتكون من ثلاثة

==

الى حصرها ، أسأسها النسب الايقاعية فى موسيقى البيت • ومن نماذجها:

أ - قصيدة «الحجة» لابن احساين ، وحربتها :

يالحضرا قولوا بالسر والجهار \* الصلا والسلام اعلى النبى المختار  
وهو أسهل «قياسات المثني» ، سواء فى النظم أو الاداء ، ويطلقون  
عليه «قياس لمشركى» (1) ويصفونه بأنه «لحويط لقصير» أى الحائط  
الصغير القصير ، وهى عبارة تقترب فى مدلولها من قول العروضيين فى  
بحر الرجزانه «حمار الشعراء» •

ومنه كذلك قصيدة «الهاوى» لابن على ، وحربتها :

ياالهاوى تهوا من لا ايليه سطوا \* تب ياراسى وارجع للغنى القوى

ومثلها قصيدة «فروح» للمدغرى ، وحربتها :

مانروح اللفراح ولاانروح بالراح \* دون راحت روحى حور اللوامح افروح

ب - قصيدة «زهرة» لبوعمرو وحربتها :

زورينى قبل الا نقبار \* ياهلال الدار زهرا

ج - قصيدة «الوردة» لابن سليمان ، وحربتها :

لاتلومونى فى ذا الحال جيت نشهد وانودى

يااعدولى فالموت اسبابى خد الورد

د - قصيدة ابن على «صلوا على الصديق الصادق» ، وفى حربتها

يقول :

صلوا على الصديق الصادق جد الشراف نور العين

امام تنبيا بلقاسم محبوب ربنا الرحمان

ه - قصيدة «الساقى» لامتيرد ، وحربتها :

---

مواويل كل موال على حدة يتحد الشطر الاول والثانى والثالث  
والسابع فى قافية وينشد كل موال من القطعة احد المغنين • يبدأ  
المغنى الاول بالموال الاول وهو «الفرش» عارضا مشكلته فى الحياة  
فيرد عليه المغنى الثانى بـ «الغطا» شارحا رأيه الخاص فى قضية  
زميله • أما المغنى الثالث فيعقب عليهما بـ «القفلة» او المغزى العام •  
(انظر صفحة 57 - 58) •

(1) انظر الفصل الثانى من باب الاعلام لدى الحديث عن الحاج اعمارة •

الساقى وكض لريام رد بالك للنوبا لاتغيب عن مولاها  
كب ياساقى راح الليل

ويلاحظ أن «الفراش» أطول من «الغطا» .

و - قصيدة «الديجور» للمدغرى ، وحربتها :

شف الشكايا شى اشكا ابهجرو شى بالتيهان شى ابعشغو واغرامو  
شى بانفرگا شى جايب لهديا يرحل ويكيم  
وفيها يلاحظ كذلك أن «الفراش» أطول من «الغطا» ، بل أكثر طولاً  
من «فراش» القياس السابق .

ز - ومن المثني ما يبدو رباعى الاضطار ، وهو فى الواقع ليس أكثر من  
من «فراش» و «غطا» ، وأن قسم كل منهما قسمين ، على حد مانجد عند  
امتيرد فى «انعيد اصيامى» حيث يقول :

انعيد اصيامى ، وانكلع كفارت لوزر  
عنقت اغزالى ، فالدجا حتى بان الحال  
وعلى حد مانجد كذلك عند ائشاوى فى قصيدة «صارم الطعن»  
وحربتها :

آش را من لاجرد صارم الطعن ، ويركب سفن لحروب وايغيظ دانى  
هاحنا هنا ، ويكون ادراعو ابحال السانو

فالفراش هو قوله «آش را ٠٠٠ دانى» ، وهو مقسم قسمين :

والغطاء هو «ويكون ادراعو ابحال السانو»  
أما «هاحنا هنا» فمجرد «تفريشة» شد بها الميزان كان يمكن الا يضيفها  
الناظم ويترك «الشدادا (1)» يقولونها او يقولون غيرها من العبارات التى  
يشد بها الميزان .

2 - الثلاثى : اى الذى يتكون البيت فيه من ثلاثة اضطرار ، ومن

«قياساته» :

أ - قصيدة «عبله» لبوعمرى ، وحربتها :

---

(1) انظر المدخل حيث الحديث عن الانشاد .

ايلا تعذبت اعذابى من انواجلى \* ويلايانا اهنيث واسعدنى فالسى

اسبابى افلهنا اغزالى عبلا

ب - قصيدة «ذابل لعيان» للعلمى ، يقول فى حربتها :

رؤف ادابل لعيان \* يابو حجيين امعرقا اوزينا

زور لعشيق يراك امن التيهان ياغزيل

ج - قصيدة الحمري فى «التصلية» ، وحربتها :

صلى الله اعليك يلهادى خاتم لرسال \* عد ادواب البر والاسماك اللى فالمالى

العايش واللى امضى ومن هو مازال اكبيل

د - قصيدة «زينب» لابن على ، يقول فى حربتها :

يابدر ماغطاك احجاب \* فى ادجا ياشمس اتنهال السعيد يازنوبا

فاين العهد يازينب

ويلاحظ أن الشطر الثانى أطول من الاول والثالث .

ه - قصيدة «راحا» للمدغرى ، وحربتها :

ياعيون المهرا ياسالف الظليم اجيد الصياح

أطاوس بين ادواح ، ياقر ساحى

اقطيب الياس أخذ الشقيق ياراحا

ويلاحظ أن الشطر الاول طويل وان اثنائى قسمان ، وهو تقسيم

التزمه الشاعر فى القافية ، أما فى الانشاد فالشطر واحد :

و - قصيدة «الباكى» للمدغرى ، وحربتها :

شهدوا بين ايلا فنيت وامضيت من الوجنا وخالها واخدود الجلار

والشاما والخال والشفر \* لهوا خدوج ولغزال السعديا

ويلاحظ أن الشطر الاول جد طويل .

3 - المربوع أو الرباعى : أى الذى يتكون البيت فيه من أربعة أشطار .

ومن «قياساته» :

أ - قصيدة «باها» لحسون وتير ، يقول فى حربتها :

غاوى الباهى \* من ابها من لالها اشبيه

مولاتى باها \* الحايض اصغر وزين وجاه

ب - قصيدة «آمنة» للحاج محمد بن عمر المراكشي ، يقول فيها :  
أَمِينَا حَبْكُ نِيرَانٍ \* أَعْلَى نِيرَانٍ \* كَادِيَا فَاصْمِيمِ الْوَجْدَانِ  
فَاصْمِيمِ اكْنَانِي

ج - قصيدة «طامو» للعلمي ، حربتها :

طَامُو يَا بَهِيحَ الْخَدَادَا \* الْحَرَّ الْمَسْرَارَا يَا غَايْتَ الْمَجِيدِ  
دِيرِي اللَّعَاشِقِ أَمْرَادُو \* يَنْكِي بِكَ كُلَّ أَحْسُوْدِ

د - قصيدة في «التصليّة» لابن احساين ، يقول في حربتها :  
صَلَّى اللّٰهُ اَمَعَ اَمَلَايَكُو عَلَّ لِحَبِيبِ السَّارَى \* وَامَرَ هَلَّ لِيَمَانِ افْلَبَشَرِ  
بَصَلَاتِ الْهَادِي اَمَعَ اِسْلَامُو بَايَاتِ اسْوَارُو \* صَلَّى اللّٰهُ اَعْلِيْهِ وَافْرَا  
وَيَلَاخِظُ اَنْ الشُّطْرَيْنِ الْاَوَّلِ وَالثَّالِثِ اَطْوَلُ مِنْ اِثْنَانِي وَالرَّابِعِ .

ومثلها قصيدة في «التصليّة» للغرابلي ، يقول فيها :  
لَسْمَ اللّٰهُ الْوَاحِدَ لِعَظِيمِ الْحَيِّ الْجَوَادِي \* نَنْشُدُ حَلَا طَيْبِهَا اَشْدَا  
لَسْمَ اِلّٰهُ اَسْمًا اَمْعَظْمَا بِهَا يَبْدَا الْبَادِي \* وَيُنَالُ اَمْرَادُو اَمَّا اَبْدَا  
هـ - قصيدة «فارحا» للمدغري ، يقول في حربتها :

دَسْنِي تَحْتَ لَخْلَالٍ بَيْنَ اَدْرُوْعِكَ لِمَلَاخِ \* وَاللِّبَا وَالسَّدَوَاخِ  
اَنْهِيْدَاتِكَ تَفَاخَا \* اَنَا خَايِفُ اَمْنِ اَعْيُونِكَ اِيْجِرْحُونِي يَا فَارْحَا  
وَيَلَاخِظُ اَنْ الشُّطْرَيْنِ الْاَوَّلِ وَالرَّابِعِ اَطْوَلُ مِنْ الثَّانِي وَالثَّالِثِ .

و - قصيدة «حجوبة» لابن علي ، حربتها :

يَا لَلِي زَيْنِكَ فَتَقَّ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ اِفْلَحْجَابِ \* صَلَّتِي بِحُرُوفِ اَعْجَابِ  
صَنَعُ لَوْجَابِي \* عَالِجَنِي بِوَصَالِكَ يَا لَرِيْمِ حُجُوبَا  
ويلاحظ كذلك أن الشطرين الاول والرابع أطول من الثاني والثالث .

4 - خامس نشطار أو الخماسي : أي الذي يتكون البيت فيه من

خمسة أشطار . ومن «قياساته» :

أ - قصيدة «فاطمة» لابن احساين ، وحربتها :

قَالَتْ يَمَا اَتَقُوْلُ طَامُو \* قُلْتُ وَأَبِيكَ يَا لَطَامِ  
يَا قَدْ اَعْلَامُ فَالْطَامِ \* قَالَتْ تَرَا يَقُوْلُ طَامَا

تَرَاتِ اَيَقُوْلُ فَاطَمَا

ومنها قصيدة «فارحا» للمدغرى ، وفى حربتها يقول :

سلتك ببهاك يالرايح \* مالك سكران دون راح  
أنا عقلى امعاك راح \* بايت من ليعت لجرايح  
ساهر والناس رايجا

ب - قصيدة «أساداتى اولاد طه» للحاج ادريس بن على ، وفى  
حربتها يقول :

أساداتى اولاد طه \* برضاكم عالجوا الحال  
ياناس الجود ولفضال  
أنا فى عار للافاطما \* الزهرا الطاهرا  
وقد يختلط مع الثلاثى اذا ما ضم الشطران الاول للثانى والرابع  
للخامس ، ولكنه ليس ثلاثيا .

ومنها قصيدة الطيب الواسترى المعروفة بـ «تاج لملاح» ، وفيها يقول:  
رغبوا تاج لملاح فيا \* ايجينى غير بالسلام  
ويراعى صلت لكرام

لاخير فاللى اجفا احيبو \* واغدر بعد لموالفا  
ومن هذا القياس ماقد يختلط مع الرباعى اذا ما جمع الشطران  
الاولان كقصيدة «زهرة» للغرابلى ، وحربتها :

أنا فى عارك أهلال الدارا \* ياكوكب السحار  
يازهرت دوحى لزهار \* أما قاسيت امن امراير  
وانت لليوم هاجرا

ثانيا : مفسور الجناح :

وفيه يتكون قسم القصيدة من أربعة اجزاء :

1 - الدخول : وهو عبارة عن شطر فى استهلال القسم لاغطاء له ،  
يبدو كالمطائر الذى كسر احد جناحيه . ويؤكد هذا التعليل فى التسمية  
أن الاشطار التى تأتى بعد الدخول غير مبيتة ولاغطاء لها فكأنها هى الاخرى  
مكسورة الجناح .

2 - مجموعة من الأشعار القصيرة تسمى «لطيلعات» أو «لكراسا(1)»

3 - بيت على وزن الحربة وقافيتها كأنه تمهيد لها .

4 - الحربة أى اللازمة .

ومن الأمثلة على مكسور الجناح قصيدة «المزيان» لابن على ، وهذا

أول أقسامها :

1 - الدخول : ته بجمالك عل لقمار .

2 - لطيلعات : الشمس اتغير ايللا اتشوف زينك .

لبدر امن اجبينك والبان غار منك

اسبغ من الظليم الوفرا

واضوا من لكواكب غرا

والحاجيين فوق الطرا

نحسابهم نونين

وامعرقين باثنين

واشفار فوق وجناتك ناموا

3 - البيت :

اصوارمو استلو من لجفان \* واجفانك غلبو يافهيم شوف اجفانى

ولخدود اسبغهم الجلار \* عل لبياض احمرار

4 - الحربة :

ليا قال المزيان \* وصف هذا الحسن ياللى تهوانى

قلت يا دابل لشفار \* توصافك لايحصار

ومثلها قصيدة «غيثا» للحاج ادريس ابن على ، وقد بلغ من براعته

فيها أنه التزم قافية التاء فى كل القسم بل فى كل القصيدة ، والعادة أن

تنوع القافية داخل القسم وان تختلف من قسم لآخر كما سنرى بعد .

يقول فى القسم الاول منها :

1 - الدخول : عمدا اعلى لعشيق الكاوى كيفى ابنار لبنات

(1) ولكنها غير لكراسا التى يقدم بها للاقسام كما سنرى فى الجزء الثانى

من هذا الفصل .



2 - **المطيلعات** : مهما تقول نارو بردت واطفات

حين ينظر زين الخودات

كيراها زندت واكدات

حتى عاشق مسكين ماسطاب امنام اول قوت

غير ايشاهد لبنات كيشاهد بيان الموت

والزين اعلى المملوك ليس يرثي

سلطان كيجور ويعدل ويامو اعطاتو

3 - **البيت** : ونافساير اوقاتى \* نسعى ارضاه واقف ولا نقول مليت

4 - **التجربة** : قولوا للاغيثا مولاتى \* رف بوصالك عل لعشيق يام الغيث

**ثالثا : المشتب :**

ويتكون القسم فيه من بيت يفصل فيه بين أول أشطاره وبقيتها  
بمجموعة من الاشطار القصيرة تسمى كذلك «لمطيلعات» فكان داخل البيت  
محشو بهذه الاشطار الزائدة ، وهذا هو الاصل فى التسمية اذ الشتب  
ما تملا به «اللعوف» و «المضربات (1)» .

ومن الامثلة عليه قصيدة «التوبة» لابن سليمان ، وفى أول أقسامها  
يقول :

1 - **اول البيت** : مافيه مايبقى

2 - **المطيلعات** : غير نعم الباقي

ياغفيل مالك شاقى

لاين تاتزيد احماقى

وين من غرتهم بالمال والنصر

مافازوا غير ابلقبر

مانفعهم فيها تدبير

آسعادت من دار الخير

نال سلوان

واعليه ماصعاب هان .

---

(1) جمع «مضربة» وهى المرتبة فى اللهجة المصرية .

3 - بقية البيت : وانت ارمتنى لهلاكى فى ذا الاسواق

نلحقها مخليا

اولا وجدت اعمارا

ويتضح لنا البيت بشبهه وقربه من الحربة التى تقول :

ياراسى لاتشقى

التاعب لايد من لفراق

لاتامن فالدنيا

ابناسها غرارا

ومنها قصيدة «قمر الدار» لعبد السلام الجربى ، وحربتها :

واجب لى نعدار لا تلوموى فى حال لغرام يدا أناسى مايبا

غير قمر الدار

وفى القسم الاول منها يقول :

1 - اول البيت : صاك ابعسكر جرار

2 - لطيمات : للطام اتانى

مايخن من تمحانى

ونانجيل وفانى

غير نرتى وادموع العين حايفا

من فوق الوجنات ساجفا

نعنى لسواقى

وهيجت نيران اشواقى

اولا وجدت الدايا راقى

اعجز طبى

والجسم صار امهيبى

اكسانى الظما ياناسى

3 - بقية البيت : جسمى اسقام

واخلاكى كطعيا

اولا وجدت ايمارا

رابعاً : السوسى (1) :

ويتكون القسم فى قصيدته من ثلاثة اجزاء :

- 1 - بيت من شطرين يستهل به القسم .
  - 2 - مجموعة من الاشطار المرسلة دون تقييد فى العدد والوزن والقافية  
لايخضع لغير تسلسل الانشاد .
  - 3 - بيتان أو ثلاثة أبيات على نفس الوزن والقافية ، تكون كالتمهيد للحربة التى تتحد واياها فى الوزن والقافية .
- ومن الامثلة عليه قصيدة «الزمنية والعصرية» لحسن اليعقوبى ،  
يقول فى أول أقسامها :

1- بيت من شطرين : يا حضرا سمعوا ماصار

بين زوج ابنت افلكحار

2 الاشطار المرسلة : شابا عصريا بكرا

والاخرى زمنيا عذرا

فرجونى بين الحضرا

وكنت حاضر

نصغى لخصامهم

نسمع العصريا

اتقول للزمنيا

يا جارتى اهتيا

سمعى منى اخبار

من يوم اسكنت احداى جارا

وانتيا فاشفار

ياحسبى لله سألبا بخصامك جمع لفكار

عمرى ماشفت اتقول شى مدرسا

ولا احضرت مجالسا

ولا اهواتك الدراسا

---

(1) بعض الاشياخ يطلق عليه «المزلوك» ومعناه فى الاصل الخيط الرقيق .

ايلا اهواتك

بك اعوار الناس

جارحا بلسانك فات لقياس

مشغولا بيا

ولا العنت شيطانك الشرير

خوذيني نصفاك تتشتمى فيا

جهرا بلا خفيا

فالستا ساعى لعشيا

عند اغروب النهار

قالوا للشتام النار

بلسانك قلت اعلى الشكارا

3 - بيتان : أ - مصحوبا ديما امعايا مملو ابلكتوب عل لفتخار

سابقا بالمعيار

كابرا أميا فالسب الغتب والزورا

ب - لالك المدرسيا فايقا عل لبكار

ياتسمعى لخبار

بالزمنيا غشيا اموخرا للورا

4 - الحربة : آش را من لارا لبنات يوم قاموا لكحار

زوج هيقات اصغار

شابا عصريا وامع الحاجبا فالجورا

ويكثر السوسى فى قصائد «المحاورات» مثل «الحراز» و «الخصام»

بل يكاد يكون خاصا بها ، ولكن مع ذلك نبدى ثلاث ملاحظات :

الاولى : أن بعض قصائد «الحراز» نظمت فى غير السوسى مثل حراز

الشاوى ، وحربته :

شف حراز الريم حجوبا \*

بارت احيالو واطفرت ابدات لجمال بعد العز ولعجباب

وحراز مولاي الحسن ، وحربته :

شف حراز الدامي كيف صار لو \* حتى بارت حيلتو وحزت ام ادلال  
وحراز خديجة للفلوس ، وحربته :

حراز اخديجا سابغ الشمر حرزها يامن اتسال عن شوف انجالي  
واغلبتو بعيالي او حزت ولفى سابغ لنجال

**الثانية :** ان بعض قصائد «الخصام» نظمت في غير السوسى مثل  
«العربية والمدينية» لمحمد بن على ، وفى حربتها يقول :

ما بين العربية امع لمدينا حاضر افلخصام واماهاهم  
حتى اتعايرو ودار المعيار من بعد اخصام الباهيات فالصلح اجريت لهم  
**الثالثة :** ان قصائد نظمت على هذا الوزن ، وهى ليست من المحاوره

كقصيدة «الربيعية» لمبارك السوسى ، وحربتها :

يوم الجمعا خرجو اريام من بهجت فاس البالى

سربات ايحيروا لعقل نحكيهم غزلان

يوم الجمعا خرجو اريام

ومثلها قصيدة «الجدول» للحاج الصديق المسفيوى ، وحربتها :

لله يارسول سال الدامي واش ماعند خاطر باس

أما بعد هذا فيقال فى أصل تسمية هذا الوزن بالسوسى قولان :  
(1) انه نسبة لمبارك السوسى لسبقه الى النظم فيه ، مع ان الراجح لدينا  
أن الشيخ امتيرد هو الذى سبق اليه (1) .

(2) انه شبيه بالفرد السوسى المنسوب لمنطقة سوس ، ومعروف أن سكان  
هذه المنطقة مشهورون بالتجارة والاقتصاد ؛ ووجه الشبه ان الجزء  
المرسل فى هذا الوزن - على الرغم من عدم وجود تبين وتقفية  
لضبطه - يحتوى على مراكز يقف عندها المنشد فى ايقاع معين كأنه  
يعد الفلوس على طريقة السوسيين .

---

(1) حسب ما انتهينا اليه فى البحث .

## بناء القصيدة

### اسم القصيدة :

يسمى الزجال المغربي قصيدته «لقصيدا» أو «لقصيد» ويجمعها على «قصدان». يقول الجليلي امتيرد في آخر قسم من «خلخال اعويشا» :  
والى سالك عن ناظم لقصيدا ❧ قل افصح اللغا الجبر الحيلالى  
ويقول ابن سليمان في آخر قسم من «الرعدة» :

أحافظ لقصيدا زد التقلا اعلى لبهايم  
احضى اعقول لهل الدعوات الذاكرين لحسان

ويقول المغراوي في آخر «التوسل» :

وامدحتك فى باب روضتك ابهاذ لقصيد

ويقول المدغرى في آخر بيت من «أم كلثوم» :

أنت ليا مملوك واغلامى ❧ ونا كذاك لك احببنا خدى الخدها وقصيدى متموم

ويقول ابن علي في آخر بيت من «القرصان» :

وعلى الجاحدين حجا افقصدانى

ويذايجول فاسلوع يلقاها اموضعا بشهور وتبيان

ويقول العلمى في أول القسم الاخير من «كان الخلائى هانى» :

أحافظ قصدانى ❧ سلى اجوارحك قبل ايغموك لكفان

ويسمىها كذلك «القطعة» على حد قول ابن علي في آخر قسم من «المحاوره» :

بلطفنا واسجيا جبت هذا القطعا بالفاظها ومعناها

اذكى من الزهر واحلا من سكر فقلوب هل التسليم ولجود اتجيههم زقوم

### مقدمة القصيدة : السرابية :

يقدم الزجال المغربي لقصيدته بقطعة قصيرة تكون في نفس البحر

يمهد بها لضبط ايقاع الوزن الذى سينظم عليه ، تسمى «السرابية» (I)

والغالب أن تتكون من هذه الاجزاء :

I - أبيات تمهيدية يطلق عليها «الدخول» (2)

(I) لعل أصلها من انسرب وتسرب بمعنى دخل .

(2) انظر «الدخول» بعد سطور لدى استعراض أجزاء القصيدة .

2 - « ناعورة » (I) وهى أبيات قصيرة نادرا ما تكون أكثر من ثلاثة .

3 - بقية الابيات

4 - « الردمة » (2) وهى الشطر الذى يختم به ، ويكون كالفاصل

بين السراية والقصيدة .

وعند الاشياخ أن الذى لاينظم السراية لقصيدته لا يستطيع ضبط ميزانه بل لايعتبر شيئا ، وقالوا فى ذلك «من لا يوزن بسرارب ميزانو يبقى عايب» . ومع أنها تتفق مع القصيدة فى الوزن والموضوع فانها تختلف عنها فى الانشاد ، وقد سبق أن رأينا (3) مختلف أنواعها فى الانشاد ، وهى :

I - السماوى .

2 - الحضارى .

3 - الكباحى .

4 - المزلوك .

ويلاحظ اليوم - نتيجة ضعف مستوى النظم والرواية - ان الشعراء لم يعودوا يقدمون لقصائدهم بالسرارب وان المنشدين لا يمهدون بها كذلك ، وان فعلوا فانهم يخلطون ، حيث ينشدون سراية هذه القصيدة لتلك ، حتى ولو لم تكن منسجمة معها فى الموضوع ، فكان أن تعطلت هذه المقطوعات وضاع أكثرها ، وما بقى منها ينسب فى الغالب لغير أصحابه أو لا يعرف قائله . ويطلق على السرارب التى يجهل اسم منشئها اسم «اسرارب أحرأمين» ، وكان بعد هذا أن بدأت السراية تنفصل عن القصيدة وغدت تعتبر عند البعض نوعا مستقلا من الزجل .

وكنموذج لهذه المقدمة نمثل بسراية لحمد بن على جعلها تمهيدا لقصيدته «دامى لجدار» يقول :

### 1 - الدخول

أقلبى كن عن امصابك صبار :: الصبر مفتاح الكنوز والدخيرا  
محبوبك لا تعاتبو ولو جار :: وارتجا وصلو بعد السوايع لعسيرا

(I) انظر « النواعر » فى الحديث عن مقدمات الاقسام

(2) انظر « الردمة » بعد سطور عند ذكر العروبي (3) فى المدخل

لو طال الهجر لا غنى من لزار \* يا لى ما جبت لهل لغرام سـيرا  
انشوف اجمالى واقفا انجيرا

## 2 - الناعورة

يا عمهوج لجـدار \* ما هو عمهوج الراتع لقفار  
يا شنيار الصغار \* يا بدر اتجلى فكمال دارا  
يا كوكب السحار \* يا من حبو فى ساكنى اتوارا

## 3 - بقية الابيات

يا سالب مهجتي ولاجاب اخبار \* لا تشوق بصرى فى ذاتك لنيرا  
لا مان اطلبت امن الحال والشفار \* جرحوا ذاتى جرح اليلوا جبيرا  
ازديت الكى عن اجراحى بالنار \* آش يطفى نارى واغصايصى اكثيرا  
واهوايا ما ستار \* لهوى طالب يفدى الثار  
هذا عشقى ولا وجدت ما نختار \* عشقى فاسميتى تفتار  
الا وقت اتجور على القلب نارو \* يشتد القلب امن اكدارو

## 4 - الردمة :

( توجدى كانقول يا ستار )

## أجزاء القصيدة :

يقسم الزجال المغربى قصيدته الى عدة اقسام ، ويطلق على عملية التقسيم اسم «لفصالا» (I) والغالب أن تبدأ القصيدة بمطلع يسمى «الدخول» ولا يعتبره من الاقسام ، تتلوه «الحربة» ثم تتوالى الاقسام بعد ذلك تفصل بينها الحربة فى الانشاد . والعادة أن يضمن القسم الاخير اسمه والصلاة على الرسول والدعاء للاشياخ والعلماء والمنشدين والهجو للخصوم ، وقد يشير فيه الى تاريخ النظم .

وبعض الشعراء لا يnehون قصائدهم باآخر قسم منها وانما يضيفون له جزءا يختمون به قد يطول وقد يقصر ، ويطلقون عليه «الدريكة» . وفيما يلى نتبع كل هذه الاجزاء التى تتكون منها القصيدة :

---

(I) اشتق منها فعل «فصل»



**أولاً : الدخول (I) :** ويطلق على أول جزء من القصيدة (2) ، وسيتضح لنا من خلال النموذجين اللذين سنمثل بهما لبناء القصيدة في آخر هذا الجزء من الفصل ، وهما قصيدة «هنية» من المبيت لمحمد بن الحسن و «الذهبية» لانبجار من مكسور الجناح .

والجدير بالاشارة ان الشاعر الشعبي كثيراً ما يستهل الدخول بالبسملة أو الخطاب يوجهه لنفسه أو غيره ، والغالب أن يستهل بالبسملة في قصائد المدح النبوى والتوسل والتصلية والمعراج وما إليها مما يعبر عن عاطفة دينية . من ذلك قول محمد بن احسان في أول «تصليته» :

بسم الله ابديت حلتى يا من صاغ اشعارى \* محلاها مفتاح للشعر  
ومنه قول المغراوي في اول قصيدته له في مدح الرسول عليه السلام :  
بسم الله الجواد \* به ابديت السلام \* عليك فى دالمقام  
ومنه كذلك قول العلمى فى توسل له :

بسم الفتح المعبود رب الوجود الودود الدايم المرشاد  
ومثله عند الفلوس فى أول قصيدته فى «سيدنا الحسين» حيث يقول :  
ابديت باسمك يا من هو اعليم لسرار \* فى امديح الماحى نور لعضا وليقين  
وعند عبد القادر الجرارى فى «المعراج» اذ يقول :  
ابديت بسم المولى لمقسم لرزاق \* رب لكوان الحق الدايم لحقيق  
اما الخطاب (3) فقد يوجهه لنفسه أو غيره .  
ومن الخطاب الذى يوجهه لنفسه قول المغراوي فى قصيدته «فى الشوق لمكة المكرمة» يحدث عينه وقلبه :

ابدل نومك ياعين بالسهر ولنواح \* احمل يا قلب اكسدارى

---

(I) نشير الى ان اصطلاح الدخول معروف فى الموسيقى الاندلسية وهو البيت الاول من الصنعة الخماسية والسباعية اى التى تتكون من خمسة أبيات وسبعة .

(2) ويطلق كذلك على أول بيت فى القسم .

(3) سنرى فى الفصل الثانى من باب الموضوعات ان الشاعر الشعبى لجأ فى الوعظ الى الخطاب (انظر الملاحظة الثانية فى آخر هذا الفصل) .

من هم الغربا والجفا وبعد لملاح \* أين عرفا يا نصارى  
هطلوا بالدمع ابصارى

ومنه قول المدغرى يخاطب «اللايم» :

الايم لاش اتلوم \* روح سالام  
دعنى كف لمام \* ما حجت امن اغرام  
بين خال وشاما

ومنه قول امتيرد يخاطب السائل فى «مصباح الزين» :

اسايل لا تسال ترك اجوابى واسئالى \* وانظر حالت حالى  
وجهى يوريك ما فقلبى من غير اغشاشا

ومنه كذلك قول الفلوس فى «حراز خديجة» يخاطب المولع بالزهو :

يا من هو مولوع بالزهو اتراجم لغرام صغ لبيات اسجالى  
واتأمل كيف اجرى القصة الحراز الختال

ومثله قول ابن على يخاطب «الشعمة» :

سلتك لله عدلى شجرالك \* واعلاش باكيا مادالك  
واش كان قصتك واش انهوداك

**ثانيا : الحربة :** وهى اللازمة ، وبها تعرف القصيدة وتميز عن غيرها من القصائد التى قيلت فى نفس الموضوع ، ومكانها من القصيدة بعد جزء «الدخول» ثم تكرر فى نهاية كل قسم وبها ترد المجموعة على المنشد .  
ويزعم بعض الاشياخ ان اسم الحربة تحريف لـ «خروبة» ولكنه افتراض لا يفهم منه ما يوحى باللازمة أو التكرار او حتى الانشاد والغناء . وربما كان أقرب الى القبول الافتراض الذى أبداه أستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهوانى من انها قد تكون تحريفا للخرجة المعروفة فى الموشحات والازجال الاندلسية .

والمفروض ان تكون الحربة على «قياس» ابيات القصيدة اى من نفس

الوزن ، مثال ذلك حربة قصيدة زهرة لبوعمرو وهى من المثنى :

زورنى قبل الانقبار \* ياهلال الدارا زهرا

فان ابياتها تسير على نفس «لقيام» حيث يقول فى أول بيت من

القسم الاول :

مال قلبى يرمى بشرار ❖ شاعلا فى قلبو جمرا  
وهذه حربة قصيدة «فاطمة» لابن احساين من البحر الحماسى :  
قالت يما تقول طامو ❖ قلت وايبك يالطام  
يا قد اعلام فاللطام ❖ قالت ترا يقول طاما  
ترات ايقول فاطما

وفى أول بيت من قسمها الاول يقول على نفس «القياس» :  
قولوا لى اقوا ملامو ❖ لو كان انظرت بالنيسام  
مولاتى باشت الريم ❖ ما تلقى افلهوا املاما  
ولا تصغى املاوما

وقد سبق ان رأينا فى الجزء الاول من هذا الفصل انه فى «مكسور  
الجناح» يختم القسم ببيت يكون على وزن الحربة ويمهد لها ، وكذلك رأينا  
بالنسبة «للسوسى» حيث يختم القسم ببيتين أو ثلاثة على وزن الحربة وتمهيدا  
لها . ومثل هذا يقال عن «المشتب» الذى يكون فيه البيت على وزن الحربة .  
ومع هذا فانا نصادف «حربات» لا تتفق مع أبيات القصيدة فى عدد  
الاشطار ، ويطلق عليها : «الحربات المثنية» حيث يضيف لها الشاعر شطرا  
أو اكثر . ومن النماذج على هذا النوع ما نجده عند المغراوى فى «هول القيامة»  
وهى قصيدة مبيتة من فراش وغطا ، يقول فى أول اقسامها :

نعم القيوم خالق اكوان الكونين ❖ وسير امسيرها على وفق امرادو  
ولكنه أضاف فى الحربة شطرا ثالثا فقال :

صلوا وسلموا على شارق لنوار ❖ محمد شافع لسلام

انهار البعث والقياما

ونجده كذلك عند الكندوز فى قصيدة مبيتة من فراش وغطا يقول  
فيها :

يا حباب انشالو صدوا مع الطريق ❖ كيف يزها لى عاد العيش

فقد عمد الى حربتها واضاف لها شطرا ثالثا فقال :

يالى قبلتو الصادق الصديق ❖ خبروه ابحالى بكمال جودكم

سيدنا محمد سيدى وسيدكم

ومثل هذا نصادفه عند الجراري في «المعراج» حيث يقول في أول

بيت من القسم الأول :

بعد تمجد المجد انوضح حُبر \* على المعراج اصاح افيلت السرا

ويقول في الحربة وقد جعلها ثلاثية الاشطار :

الصلاة اعلى الهادى راكب لبراق \* سيدنا محمد لمشرف الصديق

من اسرى من حرم الحرم افلغسيق

وقد يضيف الشاعر أكثر من شطر الى الحربة على حد ما فعل ابن على

في قصيدة «الذرة» وهى مبيتة من قياس لمشركى ، يقول في أول «الدخول» :

سبح المولى تسبيح اللسان والقلب \* وقدر المولى تقديس النجاء لقرب

ومع ذلك فقد جعل الحربة من بيتين فقال :

يا ساهي من نومك فق سبح الرب \* لما واثت تايه افلغرور لسواب

الصلاة والسلام على اخيار لنسب \* سيدنا محمد طه اشفيح لعرب

**ثالثا : الاقسام :** وسننظر فيها من جانبين أولهما عددها وعدد ابياتها

والثاني مقدماتها :

#### 1 - عدد الاقسام والابيات :

قد يكثر في القصيدة عدد الاقسام أو يقل ، كما ان عدد الابيات داخل

القسم الواحد قد يكثر أو يقل حسب نفس الشاعر وحسب ما يقتضى الموضوع

ومما عند الشاعر أن يقول فيه ودوافعه اليه ، وهو تعليل يطلقون عليه

«السبب والمعنى» .

والغالب ان يتراوح عدد الاقسام من اربعة الى عشرة ، وكذلك يكون عدد

الابيات داخل القسم الواحد . ومع ذلك فان عدد الاقسام قد يرتفع في بعض

القصائد التى تكون مادة موضوعها غزيرة متوفرة ؛ وقد وقفنا من هذه

القصائد على اربعة هى :

أ - قصيدة «هول القيامة» لعبد العزيز المغراوي فانها تتضمن ستة

وعشرين قسما ، وهى التى يقول فى حربتها :

صلوا وسلموا على شارق لتوار \* محمد شافع لسلام

انهار البعث ولقياما

ب - القصيدة «الفياشية» لمحمد الشرقى ، وتشمل تسعة وعشرين قصما ، وهذه حربتها :

انسا مالى فياشي ❖ آش اعليا منى

ج - قصيدة فى التوسل لعبد القادر العلمى تعرف بـ «الجمهور» بلغ عدد أقسامها اثنين واربعين ، وهى التى يقول فى اولها :

يا من يشفى اضرار عبديو بعد السقم ❖ ويفرج من اقوات فالصدر احزانو

د - قصيدة «سيدنا الحسين» لمحمد العيساوى الفلوس ، قان عدد أقسامها خمسة واربعون ، وفى حربتها يقول :

يا حضرا سمعوا وفات نور لنوار ❖ ولد فاطما الزهرا سيدنا الحسين

أما بالنسبة لعدد الابيات فى القسم الواحد فانه قلما يزيد على عشرة . وقد بلغ فى قصيدة «الشمعة» للشريف مولاى التايك ستة عشر بيتا فى القسم الاول واحد عشر فى الثانى وثلاثة عشر فى الثالث واربعة عشر فى الرابع والاخير . ومثل هذا الاختلاف بين الاقسام شاذ ولكن الاشياخ يعلنونه بـ «السبب والمعنى» كذلك . وسنكتفى بعرض القسم الاول وهو يحكى قصة النحلة على لسانها حيث تقول :

بلسان حالها قالت لى نهكى لك ❖ اشخى عما حملت من لـسـدراك
ويلا اتصيفشلا توصف فوصافك ❖ عن حالى وماكان لى اقبل لحراك
وانت اغرايى عاودها بلسانك ❖ وضح ليفادا واشرحها بلغناك
واخبر بكرحتى فالناس الى سالك ❖ لا تكتم سولان حدث امن اصغاك
ازمان كنت فقصر محبوبك امشابك ❖ واكذاك انايا فصورت التشبهاك
بكمال صورتى صورنى صوارك ❖ شهدا معلوما افملك من لـملاك
بعمالتى انصول اسلطانى ما لك ❖ واجناد ابطالى اتروح التيباك
وظفرت بالسعادة فزمان امبارك ❖ ما ضاها ملاكتى املك لتـراك
وامنين راد ربى بالوعد السالك ❖ كسروا جندى ماتلا انفع لـسراك
وابهن فى ابساطى بهاز ابخالك ❖ كانوا يعتادوه ناسنا فتـسراك
بعد لهلاك عصرونى عصرا محابك ❖ واهدت اعسولى آولا وجدت افكاك
ولاوا دوبرونى بالصهد الهالك ❖ طرحونى حتى اصفيت للتـدلاك

واصفات لوضايح وارجعت اسبابك \* ولى داي يا شيخى اكثر من ذاك  
كألوا انت اعروسا لفتيلا تاجك \* بها يشرق نور مهجتك واضيالك  
بها افكل حضرا يعلا مرتابك \* واعلى الزاهى ماتلا ايفيد اغمالك

## 2 - مقدمات الاقسام :

من براعة الشاعر ان يقدم لاقسام قصيدته بأبيات قليلة يمكننا تقسيمها  
الى نوعين : احدهما «العروبي» والثانى «النواعر» :

### أ - العروبي :

وهو غير «العروبي» الذى تغنيه النساء والذى اعتبرناه نوعا مستقلا  
من الزجل (I) . ويقولون انه كان فى الاصل يقدم به لاقسام المبيت المثنى  
ولكنه لم يعد كذلك ، حيث نصادفه حتى فى غير المبيت . ويتركب من عدد  
من الابيات تنتهى بشطر يتيم يطلق عليه : «الردمة» و «التديرة» و «التذيلة»  
وهى كلها كلمات توحى بمعنى الختم والانهاء .

وعند الاستاذ محمد الفاسى ان العروبي الذى يقدم به للقسم يتكون من  
بيتين كل واحد منهما بشطرين يضاف اليهما شطر خامس (2) . وهذا تقييد  
لا أساس له . حقا ان العروبي قد يكون محصورا فى قالب الذى ذكره الاستاذ  
الفاسى ، على حد ما نجد عند الشيخ إمتيرد فى «فاطمة» اذ يقول مقدمــــــــــــا  
للقسم الاول :

أنا يا فاطما احسانك ما نسماه \* وانت لحسان من تليتو من ناسه  
اكشفتى سرنا ولو حتى بغطاه \* عيار الحب طابعك كشف انحاسه  
حتى بنيان ماعلا دون الساسو

ولكننا وقفنا على «عروبيات» يتعدى ابياتها هذا التحديد، واثبات الدليل  
يقتضى منا ان نعرض نماذج من هذه العروبيات ، وهى مكونة من :

I - ثلاثة ابيات والردمة كما فى «التطوانية» للحاج ادريس لحنش على  
حد قوله فى عروبي آخر قسم من القصيدة :

ايا حماة ديننا لعنو الشيطان \* هذا الغفلا اعلى اعداكم حتى ليسن

(I) انظر الجزء الثانى من الفصل الاول من باب «الشكل»

(2) انظر مقدمة «الاغانى القديمة لنساء فاس» .

ما تفتكروا انهار دخلوا التطوان \* وخرج فيها الكافر المسلميين  
وابقات الناس حائرا بين الطرقتان \* وهل ليمان كاتقول ابصوت احنين  
الله ايجود بالنصر لعلام الدين

2 - اربعة ابيات والردمة ، ونجدها عند العلمى فى «التوسل» حيث

يقول فى عروبي أول اقسام القصيدة :

يا من رسى اجبال وارصدها بصخور \* وابحور الطاميا ابقيرو محصورا  
ما يرشفها حفير ما يمنعها سور \* وافراتن موجها افماها مكسورا  
واحجب ضو النهار بظلام الديجور \* واهزم لغسيق ابلفجر باهى الصورا  
يا عالم ما بدا وما تخفى لصدور \* سلتك بملايك لحجوب المشهورا  
احفظ ذات لهما من كل اضرورا

3 - خمسة ابيات والردمة كما هو عروبي احد اقسام «الجمهور» للعلمى،

وفيه يقول :

عبد القادر وصاحبو مول الحلوات \* بو وحشيا ومن افقربو من لسياد  
وعلى والحاج والاسعد باهى الخصلات \* سيدي عبد العزيز لمام الاستاذ  
يصرخ ويغيث ويحمى عند الحزات \* ويحل ابقدت لمهيمن كل اعقصاد  
والشيخ الى ابراهنو كالشمس اضوات

مول البركا الظاهرا سيدي عياد

وارجال اخبرين فى امانزلها اختفات \* اسألت ابحق جاهم خالق لعباد  
يوفى قصدي ولا يخيب لى مراد

4 - ستة ابيات والردمة على حد ما نجد فى نفس قصيدة العلمى السالفة

الذكر حيث يقول :

يابن عزو يا لكوكب السدرى \* الحاج الطيبى اتوافى مظنونى  
العدويا وجارها سيدي بصرى \* والخزيو الصالحا والقرموسى  
سيدي النجار والاشقرثم البدوى \* والشبلى طيب الشذا زهر افنونى  
سيدي الجزار طلعت البدر الزهرى \* بوطيب منو شمس قلبى واعيونى  
والوالى ابن عبود والشيخ الحضرى \* والشيخ الجنان لا تجهل ملحوسى  
عطفوا عطفنا مختبرا تشرح صدرى \* وادعوا بدعوتى الله وعينونى  
عبد ارضاكم ما نظن اتهيونى

5 - احد عشر بيتا والردمة كما فى قصيدة «سيدنا الحسين» حيث يقول  
الفلوس فى عروبى آخر قسم من القصيدة :

مهما دخلوا اضريح لحبيب المهتاد \* قالوا يا جدنا الهادى محمد  
لوريت شين صار بنا دون افناد \* فى كربلا امع اجيوش الا تنحده  
قتلوا الانصار والاصحاب مع الاولاد \* وابن هاشم كلها يا محمد  
قتلونا دون حق فامهامه لوهاد \* واحنا فالشوم ولعطش يا محمد  
وقطعوا روس آل بيتك هل لعناد \* تركوا لشيخ افلوطا يا محمد  
سفكوا دم لشراف واعصوا الاحد \* سبوا على المرتضى يا محمد  
لوريت شين كان دار ابن زياد \* هو واهلو وشيعتو يا محمد  
طعن الحسين كل من كان افلجناد \* ولا رحموا اطفالنا يا محمد  
قطعوا راسو ولا اخشاو من الجواد \* داسوا بالخيول مهجتو يا محمد  
كشفوا حريم دون لعدا والخصاد \* وبعدها اسبوننا يا محمد  
داروا لنا اقبال واغلال ولكياد \* ما شفقوا من احوالنا يا محمد  
وجهناهم للقوى يا محمد

6 - ثلاثة عشر بيتا والردمة (I) على ما نجد عند العلمى فى «الجمهور» حيث  
يقول فى عروبى أحد اواخر اقسام القصيدة :

اللهم ارضى اعلى خلایف عز الدين \* قد انجوم السما قد احماس الديجان  
قد اعداد لشجار واعشوب البحرين \* وما فالبحر امن اعجايب عل للوان  
قد اعداد لرمال فاقفار الارضين \* وما من هايمه اتسيح اعلى لوطان  
اللهم ارضى اعلى ملوك الحرمين \* اعداد ما فكل تراب من بستان  
واعداد انسيم زهرها بعد الفجرين \* وانغام اطيوارها اترج اعلى كندان  
قدما سبحو السمارس وامقنين \* والحرمل والسرند والظير الحسان  
ما غنى اليتروك وارقص بالجنحين \* مهما شاف لهزار لحسن بالثرنان  
وما بات لحمام اعلى البرج اينين \* باصوات امرخما اتبكى بالتحنان  
واعداد النحل والنمل وادوا باخرين \* وانوار اعلى لصناف بارزامن لغصان  
(I) لا توجد فى النص الذى بين ايدينا ردمة لهذا العروبى ولكننا عرضناه  
على بعض كبار الاشياخ فدلنا عليها .



اللهم ارضى اعلى اهل السر المبين \* رضوان الا ينتهى عن طول ازمان  
ما حملت امن اخلايق اجواف الثقلين \* بملايك طايعا او حش وانس وجان  
اللهم ارضى على كوكب هل ليقين \* ابا بكر الزكى وعمر وعثمـان  
وابن ابى طالب الافضل قوم الشجعان

ابن عم المجتبى الشافع فالعصيان

وانصر يا ذا الجلال لماس السلطان

ويلاحظ أن بعض الشعراء التزموا نفس «الردمة» فى كل عروضيات  
القصيدة على حد ما فعل الحاج ادريس لحنش ، فانه التزم قوله «الله ايجود  
بالنصر لعلام الدين» فى كل عروضيات قصيدته «التطوانية»

ب - النوع (I) : ويسمى كذلك السويرحات ولكراسا (2) :

I - الغالب ان تكون مكونة من ثلاثة ابيات قصيرة مكونة من شطرين  
أو ثلاثة أو اربعة فمن الامثلة على ذات الشطرين ما قدم به الشاوى فى  
أول قسم من قصيدة له فى «التصلية» حيث قال :

وجدو من هو حى واجـد \* قبل لوجود وظهر للخلق اوجدادو  
جعلو محبوب احبيب ماجـد \* كرمو وفضلو واهدى به اعبادو  
ويح من اعصاه وكان جاحـد \* جهنم اجزاء فيها مقعدادو  
ومن السويرحة ذات الثلاثة أشطار قول المدغرى مقدا لاول قسم من

«الساحى»

(I) من لطيف المصادفة ان نجد عند الرباط فى «العقيدة الادبية» ذكرا  
للناعورة تكون فى الموال يقول عنها : «صنعة الناعورة وتعريفها ان  
يجعل الناظم اربعة أغصان مواله رتبته كل غصن خمس كلمات مطلع  
كل كلمة ميم ويجعل الميم حلقا فى الوسط ويطالع من الحلق مجرى  
كل كلمة فيصير الموال مثل الناعورة (الورقة 149 ظهر 150 وجه) .

(2) ج كرسى. ولكراسا فى مقدمات الاقسام هى غير الكراسا التى تكون فى  
مكسور الجناح والمشتب كما سبق أن أشرنا الى ذلك فى الجزء الاول من  
هذا الفصل .

وتجدر الإشارة الى ان الكرسى فى الموسيقى الاندلسية هو الشطر الاول  
من البيت الثانى من الصنعة الثنائية أى المكونة من بيتين ويكون مميـزا  
فى تلحينه .

شف البدر الواضـح \* بين انجومو راىـح

لغروبو رخف الجناح

وانجوموا لوضايـح \* بالفرحا تدالـح

حست بنسيم الصباح

والديجور الجانـح \* تلقى اسريع اجوانـح

وهرب بخيالو وراح

ومن السويرحة ذات الاربعة اشطار ما نجد عند امتيرد فى «الكاس»

حيث يقول فى تقديم أول قسم من القصيدة :

طاب اشراب كاسـى \* بوجود لعناسـى

واحبابى وناسـى \* اجميع بالوجد ايميسوا

مصباح الغلاسـى \* داحت عن اسياسـى

واتفاجا اكباسـى \* اكل عاشق بونيسـو

رتخا كل كاسـى \* واذهب شر باسـى

انصبـح انماسـى \* الكل سلوان اعريسـو

2 - وقد تكون مركبة من اربعة أبيات ، كل بيت :

أ - من شطرين كما عند عبد السلام الزفرى فى «خلخال يامننا»

حيث يقول فى تقديم أول اقسام القصيدة :

ابقيات جـوالا \* لفكار وين تعمل هذا الخلخال

اهميم لا حـالا \* خوفى عليه من لعدو والعدال

قلت بمقـالا \* عندى اخزائنى فالصونا بقفال

دون لـسـالا \* بالزرد ولقنا وسيوف العسـال

ب - أو من ثلاثة اشطار على حد ما نجد عند العلمى فى «الساقى»

حيث يقول فى سويرحة ثانى قسم :

راح الليل اولا ابقـى \* الا وقت لمعانقـا

كب ورا وارخى الرواق

والاطيار الناطقـا \* عل لشجار الباسقا

عمرت بلغاها اسواق

كـب الخمر الخارقـا \* في كيسان ابناقـا  
من زاج ابلاد العراق  
تظهر خمرا بارقـا \* فلـاوانى شارقـا  
كلون اسحق الرماق

3 - وقد تكون مركبة من خمسة ابيات كما عند المصمودى فى مقدمة  
أول قسم من قصيدة «الجار» وفيها يقول :

ما يشبهنى عاشق الجـار \* بالحب سرت ديوانى واخلاعى اصفر  
نار الحب اقوى امن النار \* منها اعذاب قلبى يا صاح ينزبر  
من قوتها سارت اجـمـار \* بين لحشا اوسط المهجا وامع الصدر  
نار اتمادى فيه بشرى \* واعيت ما نلاهى وانكابد فالصبر  
جيت انزور احمامت السـدر \* لا حى لا مونس لا غاشى لا خـبر  
القسم الاخير :

قد يطول أكثر من بقية الاقسام ويتضمن فى الغالب اسم الشاعر  
وتاريخ نظم القصيدة واهداء السلام والصلاة والدعاء وهجاء الخصوم :  
أولا : ذكر اسم الشاعر : وقد يكون بالتصريح أو الرمز :

1 - فمن الذكر الصريح للاسم قول المغراوى فى آخر مرثيته للمنصور  
السعدى المعروفة بـ «لعزو» واصفا نفسه بالفصيح :  
وارحم المغراوى الناظم افصيح لعراب \* بالبلاغا غير الجهاد أيلفحو  
ومنه قول الحاج ادريس بن على فى «فضيلة» واصفا نفسه بالاديب  
وقصيدته بعذراء متوجة :

وختمت القطعا ايقول لاديب الحاج ادريس بن على بهاجر الذيل

حلايا حفاظ صايلا \* كعداد تاجها امكلى تكليلا

ومنه قول الحاج اعمارة فى «فاطمة» مشيرا الى أنه مقيم فى مدينة فاس:

والاسم على اسألنى \* الحاج بن الحاج اعمارة ومكانى

ارض الياقوتا الساطعا سلسالت لكرام

مولانا يدريس بن ادريس البدر الضاوى

الرضوان عليه عد مازاروه امن اقوام

ومنه قول عبد الرحمان القرى فى «زهرة» داعيا الله ان يحفظ.

مدينته مراکش :

واسمى ما يخفى القسرى \* عبد رحمان طالب لغنى فاشعاره  
يحفظ بهجتنا الحمرا \* ابجاه النبى وازواجو واصهاره  
ومنه قول الحاج عبد الفضيل المرينسى فى «جهور الخودات» واصفا نفسه  
بالذكى وبان خبره مشهور ومصرحا بتلمذته للنجار :

واسمى معروف الحاج عبد الفضيل المرينسى الا اخفات اخبارو

الذكى تلميذ النجار

2 - اما الرمز للاسم فقد يكون بالحروف أو بالأرقام أو بهما معا :

أ - فمن الرمز بالحروف قول الجيلالى امتيرد فى «طرشون» رامزا الى  
الجيلالى بالجيم واللامين وواصفا نفسه بأنه أفصح الاشياخ ورئيس الشعراء :

قال افصيح لشيخ جيم الامين رايس لخبار

ومنه قول امبارك السوسى فى «زهرة» مستعرضا حروف مبارك

ومصرحا بالسوسى :

واسمى لى يقر انبينو ميم وباللعارفين تفسارو

والرا امورخا والكاف افتشهار

والكنواسوسى

ب - ومن الرمز بالأرقام (I) قول محمد بن على ولد اريزى فى «الطاهرة»

واسمى اثنين وتسعين فالحروف ظاهرا \* واصحاب ابجد حاضرا

والحرف الاول رفعو مشهور

(I) بناء على قيمة حروف أبجد ... وترتيبها عند المغاربة كالاتى :

80	70	60	50	40	30	20	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
ف	ع	ص	ن	م	ل	ك	ي	ط	ح	ز	و	هـ	د	ج	ب	ا

1000	900	800	700	600	500	400	300	200	100	90
ش	ظ	غ	ذ	خ	ث	ت	س	ر	ق	ض

وقد ورد فى القاموس المحيط للفيروزبady أن «المشاركة» يكتبونها على

الترتيب المعروف فى اللغة الآرامية والعبرية وهو :

أبجد هوز حطى كلمن سغفص قمرشت تخذ ضظغ .

فائنان وتسعون هى مجموع قيمة حروف م ح م د بالإضافة الى أنه ذكر رفع الحرف الاول .

ومنه قول مولاي على البغدادى فى «خدوج» :

واسمى ظاهر فاميا اشرح منهاجى تسبى البدھاج

فالعين بسبعين واللام بثلاثين ومجموعها مائة .

ومنه قول محمد بن على المسغوي فى «المحبوب» :

واسمى فبجد محسوب يالمحبوب اربعا والخمسا والزوج فى احسابى

فكتابة الاربعة والخمسة والاثنين متتابعة ( 4 - 5 - 2 ) تعطى رقم

اربعة وخمسين ومائتين وهو مجموع قيمة حروف م ح م د ا ب ن ع ل .

ج - ومن الرمز بالارقام والحروف قول المذنى التركمانى فى

«الزھو» :

واسمى ما يخفى اشهير فبجد المن اقراه

(صين جب) والجليل من لا يسها وينام

فقد رمز بـ «صين جب» فالصناد بستين والياء بعشرة والنون بخمسين

والجيم بثلاثة والياء باثنين فيكون مجموعها خمسة وعشرين ومائة ، وهى

قيمة حروف ا ل م د ن ومنه قول احمد بن رقية فى «الشمعة» .

فى رمز النون اسمى يا سالك : زد جيم لى سالك

فقيمة النون خمسون تضاف اليها ثلاثة فيصبح المجموع ثلاثة وخمسين

وهى مجموع قيمة حروف ا ح م د .

ومنه ما نجد عند محمد العيساوى الفلوس الذى كان يخفى اسمه فى

قصائده الوطنية بمثل هذه الرموز :

I - اسمى للل والبا امضمنا

أى بثلاثة لامات وباء ومجموع قيمتها اثنان وتسعون وهى قيمة حروف

م ح م د

2 - اسمى كعب

فالكاف بعشرين والعين بسبعين والياء باثنين فيكون مجموعها اثنين

وتسعين . ومن هذا ما نجده كذلك عند الشيخ محمد بن عمر المراكشى الذى

يرمز لاسمه فى الغالب بـ : «بمن» فالياء باثنين والميم بأربعين والنون

بخمسين ومجموعها اثنان وتسعون وهى قيمة حروف محمد .  
يلاحظ أن بعض الشعراء سكتوا عن اسمهم ولم يذكروه لا رمزا  
ولا تصريحاً ، وهؤلاء هم المدغرى والعلمى والسلطان سيدى محمد بن عبد  
عبد الرحمان والسلطان المولى عبد الحفيظ العلويان .  
ويقولون عن السبب فى ذلك بالنسبة للمدغرى وسيدى محمد بن  
عبد الرحمن ان المدغرى كان صديقاً لهذا الامير الذى كان بدوره ينظم ، ولكنه  
لم يكن يريد ان يعرف عنه ذلك . وحتى تنسب قصائده للمدغرى طالب  
منه ان يعدل عن ذكر اسمه فى قصائده . ومثل هذه الظاهرة لو ثبتت -  
ستجعلنا نشك فى القصائد التى تنسب للمدغرى ، فان بعضها - على الاقل -  
من نظم سيدى محمد بن عبد الرحمان . ويذكرون من هذه القصائد -  
«عزبا وشابا» التى يزعمون ان الامير نظمها حين شاهد «بزقاق لحجر»  
فتاتين تطلان من الشباك ، وكان فى طريقه لزيارة الاضرحة بفاس على  
عادة الامراء والملوك العلويين ، وهى عادة لم تنقطع الا بنفى محمد الخامس  
سنة 1953 .

اما العلمى فانا وقفنا على قصيدتين يصرح فيهما باسمه ، هما :

أ - قصيدة «الشافى» وفى آخرها يقول :

والباحث عن اسميتى بعد السلوان ❖ عبد القادر اعلام رب الفوقانى

ب - قصيدة «سم الفتاح المعبود» ، وفى آخر شطر منها يقول :

وارحم نساج لقصيدة العلمى

واما المولى عبد الحفيظ فيعلن فى قصيدة «الزين» ان من عادته اخفاء

اسمه :

والناظم طبعو يخفى اسميتو فسجلا ❖ خذ صافى در وعقيان

ومثل هذا يقول سيدى محمد بن عبد الرحمان فى «الزهو» :

الحافظ ويلا سالك تالف العنوانى ❖ اسمى صونو بالكتمان

كذلك يلاحظ ان بعض الشعراء أشاروا الى اسمهم فى اول القصيدة أو

وسطها وليس فى الآخر . فابن سعيد فى «التوسل» يذكر اسمه فى البيت

الرابع من «الدخول» فيقول :

ابن سعيد السرى جد يالسلطان \* غر عنى يانجل ابن الديبح طاها  
وامتيرد فى «لفصادا» يذكر اسمه فى وسط القصيدة على لسان الفاتنات :  
قالت اريام الحضراوين عز لشيخ \* لفصيح الجيلاى شندگ لغزارا  
على أن ذكر اسم الشاعر فى الزجل تقليد معروف (I) حتى عند المشاركة  
على حد ما نجد عند ابن مكانس فى وسط زجل له حيث يقول (2) :  
يوم وهو جاني بضجـة \* وجبين معقود وعابس  
قال لى والله مانت حجـة \* فى الهوى يابن مكانس  
تبقى تشكى لاي من جا \* وآخرو ما قلت امس  
وعلى حد ما نجد كذلك عند ابن مقاتل فى آخر زجل له اذ يقول (3) :  
كم خصم فى المقاتل \* صابوا بن مقاتل  
وكم ذا فى المحافل \* قد أنشأ غصن حافل  
من حل بيت فى مربع \* ملحون بألف معرب  
وهو تقليد معروف كذلك عند شعراء أهل امصار المغرب من العرب  
اذ يذكرون اسمهم فى اول القصيدة كقولهم :  
قال الشريف بن هاشم على \* ترى كبدى حرا اشكت من اذيرها (4)  
.....  
تقول فتاة الحى ام سلامـة \* بعين اراع الله من لارئى لها (5)  
.....  
يقول بلا جهل فتى الحى خالد \* مقالة قوال وقال صواب (6)  
ثانيا : تاريخ نظم القصيدة :

- (I) فى «بلوغ الامل فى فن الزجل» ص 9 لدى الحديث عن ابتداعات الزجالين : «ذكر اسم الانسان نفسه فى آخر زجله ويسمونه» الاستشهاد ويشئى فيه على نفسه الشاء البالغ .
- (2) روض الآداب للحجازى مخطوط آياصوفيا رقم (4017) الورقة 103 وجه.
- (3) المصدر السابق الورقة 101 ظهر .
- (4) مقدمة ابن خلدون ص 511
- (5) المصدر السابق ، ص : 518
- (6) المصدر السابق ، ص : 517

وقد يكون بالتصريح أو الرمز :

1 - **فمن التصريح بالتاريخ** ما سجل به المغراوي قصيدته في

«المدح والتوسل» حيث قال :

الشريف ورخ هذا القصيد السعيد \* ليلاية عشر والحاد  
سنة خمسة عشر والـف عام \* سلمك لله جود

2 - **ومن الرمز اليه** قول النجار في «الخلق» :

تاريخ انظامي ما اخفى اثلاثين المن يقراه

القاف ونصف الرا \* زد الف تكمل حساباتو للهادي نهديه

فاذا أضفنا الى ثلاثين قيمة القاف وهي مائة ونصف الراء وهي مائة

كذلك اذ الراء بمائتين ، وزدنا كل ذلك على الف يكون تاريخ نظم القصيدة

ثلاثين ومائتين والف .

ومنه قول الفلوس في قصيدة «سيدنا الحسين» :

خذ تاريخ النظم افعام - شرق - بجهار \* ورمز - حا - و - الالف - وبعدهم ستين

فقد رمز ب - شرق - و - حا - و - الالف - فالشين بألف والراء بمائتين والقاف

بمائة والحاء بثمانية والالف بواحد ، ثم زاد عليها ستين ، وبذلك يكون

المجموع تسعة وستين وثلاثمائة والف .

**ثالثا : اهياء السلام والصلاة والدعاء :**

يقول ابن علي في -التصليّة- مهديا سلامه للعلماء الفاهمين للقرآن

الكريم والاشراف والطلبة وأهل الوفاء والاحسان :

واسلامنا اعلی ناس العلم الماهرين فالمبين

واعلى لشراف واعلى الطلبة وهل لوفاء وهل لحسان

ويقول العلمي في «طامو بهيج الحداد» يطلب من حافظ القصيدة ان

يهدي سلامه للمنشدين وأهل المعاني والطلبة .

أهدي سلامنا للنشادا أهل المعاني والطلبا يامن احفظ لقصيد

ويقول محمد بن الوليد في قصيدة له في «مدح المصطفى» عليه السلام

مهديا سلامه للخلفاء الراشدين ولأصحاب الرسول العشرة وازواجه

وللمهاجرين والانصار والابناء فاطمة ، ومصليا على الرسول الاكرم ، ثم



مسلماً على الشعراء .

واسلام ربنا يتهيا فى كل حال دايم

اعداد ما فعلمو سبحانو ربنا العالم

وارضا على لخلافا

ابوبكر الصديق اعثمان اعلى اعمر

الى ايجهد فالسبيل امعاك :: والرضى للعشرا المهاجر الانصار

واعلى اسيدنا لعرب التياك :: والازواج ابجلا والطاهرين لقمار

اولادلا بهم الاستمسك :: الصلاة والسلام افكل ليل وانهار

اعليك يالهادى طيب لمساك :: قد لرياح قد ارعدها المطار

واعداد القلم واللوح الفلاك :: والعرش والكرسى وكندامياه لبحار

واعداد ماخلق فالدنيا من ياك :: دايم مادام الملك لغنى القهار

بالطيب ولعير وعنبر وامساك :: والسلام انهيبو للمهدين لحبار

#### رابعاً : هجاء الخصوم :

ويطلقون على القسم الاخير اذا اشتمل على الهجاء «الزرب» تشبيها له

بالسياج الذى يحيط بالحدائق والبساتين ويحميها ، فكان هذا الزرب

يحمى القصيدة ويرد عن صاحبها الخصوم .

يقول ابن على فى «صلوا على الصديق الصادق» واصفا قصيدته بأنها

ديباج ودرة تضىء لم يملك مثلها سلطان ، وطالبا من حافظها الا يخشى

المدعين العاجزين :

خذ ادباج ياحفاظ لدرار فى اسلوك الجين

درا على الترائى تضىء ماضم زيتها سلطان

يا حافظ اللغا لا تخشى داعى اعليه هاذى دين

لعديم عرفو مديانى والى اعديم ما يودان

فعسى الى انعرفو ما فجيابو الجين ولاعين

فخلاص ابن على ماد الوييقى ايجول كل اوطان

ويقول امثرد فى «خلخال اعويشا» يطلب من الراوى أن يصول

بقصيدته التى شبهها بالابريز وان يهمل الجهلة الجاحدين الفارغين الذين

لا يفقهون رمزا ولا يدركون معنى ، ومتألمًا لحال الفوضى الذى أصبح عليه  
الشعر بعد ان كثر مثل هؤلاء المدعين الذين لا موهبة لهم ولا فهم :  
خذ ارأوى يبريز منظم —وم ❖ غنى اوصول بين ارباب اليضمار  
والغنى من لا لو قول مفهوم ❖ عقلو اكفينخ دمر ماجاب اخبار  
قولو ما بين الناس مدموم ❖ ولا يشبهو متمد نكار  
الجاحد اعماه ولادا يفادا ما بين اقماهر اللغا جبجو خالى  
ما يفقه رمز ولا يحق معناه عكلى هرتال  
اولا هى ساب لكلام وامضاو اهلو واتفرقوا وليس اجبر والى  
واقوات البدعا ولججود كثر و الفن اقلال  
قل للداعى عادم لمواهب لو فيد كرفت لوغا ما يقوالى  
وقت اما شلا فى اعطاء يصدف دكت لنبال

#### الدريكة (1) :

وهى حين توجد تتضمن ما يتضمنه القسم الاخير فى الغالب ، وقد  
تكون طويلة او قصيرة .  
فمن الامثلة على الدريكة القصيرة ما يقول ابن على فى آخر «المزيان»:  
ما تخفانى طرغان \* سالك فيها ببيان \* شفتها بعيانى  
بالبكا والصوم اتكدار ❖ والفرغا والتفكار  
والوهم امع الجولان ❖ والفرغ مع الصومان ❖ والسقام اكسانى  
رقت النفس امثيل اشعار ❖ ابسر الذات اشهار  
والسانى كترجمان ❖ ولا مثلى ندمان ❖ والطبع سيسانى  
مايشح العاشق بمزار ❖ ايوصلو لو يهجار  
ولا ينكر سولان ❖ ولا يرحم رقبان ❖ فالقضا والدانى  
عفت لصحاب النوار ❖ مازالوا فى لقطار  
والاسم فالتبيان ❖ ابن على فالعنوان ❖ شاهر عنوانى  
والسلام اللامت لجبار ❖ مافاح انسيم ازهار

---

(I) من درك اذا ضرب برجله سريعا على الارض ، وربما سميت كذلك لانها  
تنشد بسرعة .

ومن الامثلة على الدريكة الطويلة قول الشاوى فى نهاية «التصليصة»

مشبهها قصيدته بعذراء يستعرض اوصافها :

صلى الله اعلى المهـمـدى	✽	امام من ادنى وسيد امن اتنادا
واعلى الخلفا هل المجدى	✽	واعلى الصحاب واعلى الالاف ليعادا
اصلاة زنديها افنشدى	✽	للصادق لمصدق كهف التوادا
من عشقى واشواقى اوجدى	✽	وامحبتى وغيوانى وامعن هذا
نتهاى العدى افرصدى	✽	فبساط هل المعنى دايرا وقادا
تسقى هل لمحبا اصرخدى	✽	واعلى اعشيقها تفجى كل انكادا
بتيوت اتبيح نار فكدى	✽	واكمال قدها يشبه للطرادا
واجبين ايلوح ونار تكدى	✽	غرامع لحواجب واعيون اسرادا
والانف احكى تو طير فردى	✽	والمرشقين قرمز واخود اورادا
والشعر اجواهر امن افرندى	✽	والجيد جيد مهرا تاكت شرادا
وامعاصم كبرقين تزدى	✽	واضعود كانعوت اصوارم لهنادا
واصدر عشق المغروم يبدى	✽	حقين فيه تنمايح خرق العادا
والسرا من راها ايسودى	✽	فمحاسن البطن تسلب هل لعبادا
والخصر من خسران يفدى	✽	واردافها اتردف والورك ازىادا
وارفاغ اقلون ارخام هندى	✽	سيقان والقدام امن اوطاوه سادا
بها رفرف فالجو بندى	✽	فمنازل السعادا تاكت سعادا
لرباب الفن السلام نهدى	✽	بالصدق ولوفا وامعانى وايفادا
والجاحد ما يقوى الجهدى	✽	ايلا اطغى ابجهدو باقى يتادا
ويح الداعى من نار وقدى	✽	خلات فى اعضاء املاهب لهادا
ويلا شال يمسى افكيدى	✽	شدها للمضايق عرت لوغادا
امقلد بحسامى وزردى	✽	يوم لوغى انهد امن ابغى يتمادا
يعرفنى وامعايا وعنىدى	✽	ليس نمشى انعيرو كيف المرمادا
لفظ ارباعى انظامو امسدى	✽	فمنازل الصفا برضات النشادا
افحصن احماهم فاح ندى	✽	واكملت بالرضى واثباتا وانجادا
واصفا شربى من هل الودى	✽	حبر الزمان حاشا مثلى يتعادا

اراحم ترحم ضعف جسدى \* يوم النشور من زفرات الكهادا  
كمل لى ياكريم قصدى \* «هزم» (I) دوزو فزمام السعادا  
نمودجان للايضاح :

وهذان نمودجان لبناء القصيدة احدهما من المبيت والثانى من مكسور  
الجناس :

أولا : قصيدة «هنية» : للشريف محمد بن الحسن ، وهى من  
المبيت المثلث ومن أربعة أقسام :

### 1 - دخول القصيدة :

يحسن عون العاشق لبها من حر الغيوان \* يحسن عونو كل حين نيرانومكديا  
بين الثلج امع الصهود واجمار الولفيا  
يحسن عونو بالمصادفا واصدود الهجران  
كيف ايبات يصبح مايلوراخا قطعيــــــــــــــــا  
يتشكى من ملقاه وادموعو مجريا  
يحسن عون العاشق لبها والزين الفتان  
يحسن عونو مايلواوقات يوجد اسليــــــــــــــــا  
ياك الزين السيوف له بالهجر مستقيا  
يحسن عونو لوايتيه تيه اشروود الغزلان  
يلقى تيه الزين بالهجر للقاء اتهيــــــــــــــــا  
هذا حالو مايليه فاحكامو شرعيا  
كيف املكنتى من اصباى واترك لوئى يرقان  
قبل انشوف ابهاك الريم امامن كيــــــــــــــــا  
لسعتنى قبل لوصال الغزال اهنيا

### 2 - الخربة :

نصر الله اجمال صورتك ادا بل لعيان \* أمبروم التيت لال لغزال اهنيا  
بك اغنمنا يالباها بشرا واهنيا

(I) رمز بذلك لاسمه فالهاء بخمسة والزاي بسبعة والميمان كل منهما  
بأربعين فيكون المجموع اثنين وتسعين وهى قيمة حروف م ح م د .

3 - لكراسا :

اما من كيا ابنيـــــران \* بشواظها اضحييت انصارع نيراني  
نصبح كيف انبات سكرـــــران \* من غير خمر هايم والوجد افناني  
واخبيري من هول ولـــــان \* انراقب لوصال اهنيأ يوفاني

4 - القسم الاول :

وماعن كهلى املت واحمول الحب ارزان  
يدريهم من به كان بالفركا مابيـــــا  
ايسلم عشقى اولا يزيد املام اعليا  
ومابحت ابما اخفى ودمع اعيونى طوفان  
وما ندهل ساكنى اروح الذات افهـــــيا  
فمسايغ لغرام صاك لى بجنود اقويا  
وما حرمت لمنام باشواقى من لجفان  
وما حرب بالحيوش مير العشيق اعليا  
وما من ليعات فالحشا منو مكيا  
وماغرد فالبهيم طرفى ونا يقظان  
وما راقبت لالهال فغروب الذهبيـــــا  
يطلع كوكب هلتى امعاى ابغير اخفيا  
وما بحديث لوصال بعد انحدث ادهان  
تنزهى وانقول ياهلال الزين انتيـــــا  
مالكاونا غلام يابوتيت اهنيـــــا  
ثم تتوالى الحربة والاقسام الباقية كل قسم بكرسیه ، ونذكر منها  
القسم الاخير وهو خال من الاسم والدعاء والهجاء نظرا لان بالقصيدة دريدكة.  
الصدر مرمر به يوصـــــان \* وانوابغو اتفافح زهوا ترضانى  
والضعدين ابروق لمـــــزان \* اكفوف من الكمخا وارطب من فانى  
وامقاييس زندين البـــــان \* بخويتم الذهب تكليل اعقيانى  
والبطن الطاوى اعلى اقماش الهنـــــداروان  
والسرا طاسا اوصافها فتناء امزيـــــا  
من لوريق انعوم فى اعتيق من الحميا

والرديف المالى امع لخصر وافخاذ السيقان  
 كن اسوراي فى اوصافها نفها كليـ  
 والساق المدعوج عن اقدم الوصف اهـ  
 لجمالك نهدي اعشور لوصاف ابغز وشان  
 وماوصف ابهاك ما اتحد اثناء اسجيا  
 لازلت امسلى ابصورتك صباحا واعشيا  
 نصر الله ابهاك ياوداد القلب اللهفان  
 ياقد اعلام المبارزا يوم المشليا  
 يامن لازلت اعلى اوصاف الحسن اصبيا  
 كب واملا الرايقا بالخمر الكيسان  
 هات لى حتى انقول فتمام الخمرىـ  
 بشرا واهنيا اعلى اقنوم الريم اهـ

##### 5 - الدريكة :

خذ ارأوى روض لفنان \* فمديح لال بوتيتين اهـ  
 بها زال الهول واهـوان \* صعبى واشهدت باللحظين اهـ  
 بها سعد الفال وازيسان \* سعدى وراحتى بعد البين اهـ  
 ولفى من نهوا افتيهان \* وناكبها فى تحصين اهـ  
 واتماضت اهموم لحزان \* بوجود مالكى بدر الزين اهـ  
 بودواح اسبيغ لجفان \* ذات لبها وحمى الرشفين اهـ  
 بهنيا لازال فرحان \* قلبى اوليلي اعليها فين اهـ  
 لاهنيا للذات سلوان \* هنو الريم كحل الشفرين اهـ  
 اهـ بها العنوان \* مختوم فى انهايت تضمين اهـ  
 واسلامى من غير بهتان \* لهلالها ولها فالحين اهـ  
 اعبق اشدها افكل بستان \* يهدى انسيم طيبو من طيب اهـ  
 قال ابن الحسن يعـلان \* مملوكها افزوج اتسعين (I) اهـ  
 اشريف النسب المضمـان \* لازال فى امحبـتو تمكين اهـ  
 واهل الجود احباب واخوان \* يتوادو ابطيب التفنين اهـ  
 (I) يشير باثنين وتسعين الى مجموع قيمة حروف اسم محمد .

رادف اساقى املا الكيسان \* بوجود مالكى بدر الزين اهنيا  
ياربى وانت الرحمان \* اجعل لختام حسن ليقيم اهنيا  
ثانيا : قصيدة «الذهبية» لانجار وهى من مكسور الجناح :

#### 1 - دخول القصيدة :

غدر كاسى يامديم قبل اتروح الذهبيا  
بوجود لامتى والقوم اللى لاموا  
ماجاوا لنا اخبار  
قرب لى نسطاب فرجتى بعقيق الحميا  
بشرا اعلى الرضى كاس كب امدامو  
واحنا ما بين الاشجار  
فى بستان ارفيع امحتفل وادوات الحسينيا  
فوق الروض امع الورد راها ترقص قدامو  
واتكلم فركت لطيار

#### 2 - الحربة :

غدر كاسى يامديم قبل اتروح الذهبيا \* شف لبهيم حين اتمكن بظلامو  
واغلب عن ضى النهار

#### 3 - عربى :

اساقى ساعى الزهو تحيى لقلوب \* واتسلى بالفراح بالشوق الجالسى  
اساقى صاحب لهوا عقلو مسلوب \* مولوع بالريام والكاس المالسى  
شف الحودات حين تاكت من لحجوب \* هاذيك الذى اتصول بالذكر السالى  
ولا فاتو ابحال ساعى اليوم اليالى

#### 4 - القسم الاول :

أ - دخول القسم (مكسور الجناح) :  
لله فين توجد هذا الفرجا اليوم

#### ب - لطيلعات :

لما امحضر برباب وعيدان  
بين لتشين امع الرمان

جالسين اريام اشبان

تحت لغصان

هذا الذاك سكران

ج - بيت ينتقل به للحربة :

واريامنا ايرقصو من غير اخفيا    هاجوا وهيجو قلبي صاب امرامو  
وارشفنا كاس لعقار

وتستمر الاقسام الثمانية على هذا النحو ، ونقف عند الاخير :

خذ من الدر ولزمرد عقد انقيس    يحيى روض لعشيق ويشرح الجلاس  
به انهى لجحود والى كان اعكيس    لنى حبر النظام معنوى قياس  
واسلامى للشيخ دهاث التجنيس    بالندا امع لعبير عن ساير لجناس  
من لاطاع لشيخ لابد يمساس

خذ لقماش يامن لاتدرك له سوم

محال اتوجدو فخزين اتجار

هدبه القوم الفجار

قل لهم قال انجار

هيت انجار

نغما الكل فجار

الى ادعا ابجهلو مافيه امزيا    شيخ لكلا بحدو ينبح فخيامو

ما حملوه اهل لجدار





## نظام القافية

ويطلقون عليها «القافية» و «الحرف» .

يقول الجيلاى امتيرد فى سرابة له :

قالت ناس الشعر والقوافى \* الزين ابلا تيه صورتو تعداد

ويقول ادريس الميرنى فى ثورته (I) على قيود الوزن والقافية :

أنا بغيت ننظم والحرف ابدا يغور

اعلاه مايكون الشعر ابلا حرف

وقد كانت القافية فرصة للشاعر الشعبى ان يظهر براعته . واجماع

الاشياخ أن هذه البراعة تظهر فى امرين :

**أولهما :** استعمال القافية على حرف واحد ، ووصفوا القافية التسمى

تكون كذلك بأنها على «مخها» اى لم يدخلها حرفاً آخر . وسنرى ان غير

قليل من القصائد سارت على هذا النوع من القافية الصافية اذا شئنا أن

نترجم المصطلح الشعبى .

**ثانيهما :** استعمال قوافى داخلية فى البيت ، ويذكرون لذلك نماذج

فريدة ؛ منها مانجد عند المدغرى فى «الحاجة» حيث جعله مكونا من سبعة

حروف حيث يقول :

من بك قالى قلت الحاجا

حاجا

بحواجب نقشات خرقت لهاج

واخدود طاهجا

واغوانج

واجعابها افروج

(I) سنتحدث عن هذه الثورة فى الفصل الثانى من الباب الثالث لـدى

ترجمة الميرنى .

### اعلـوج

ومنها ما نجد عند هاشم السعداني في «الساقى» حيث جعل البيت  
مكونا من أحد عشر حرفا ، يقول :  
غـدر ياساقى  
من امدامك نسقى  
يا طيب لخلعوق  
اسقيني بالريق  
والرحيق  
واشفق  
من ذاتى الشايقا  
وارحم من شاق  
للملاق  
ياك المعشوق  
حق يوفى لعشيقـو

ويقول الاشياخ ان عبد الهادى بنانى زاد فنظم البيت فى «الساحى»  
مكونا من ثلاثة عشر حرفا. والاسف انا لم نوفق فى العثور على هذه القصيدة  
أو حتى على جزء منها .

### القافية فى الأقسام :

#### أولا : البيت :

- I - المثنى : يسير فيه نظام القافية على هذا النحو  
أ - التزام قافية واحدة فى الفراش والغطاء (أ - أ) ، وقد تكون :  
I - بنفس الحركات كما عند الحاج ادريس لحنش فى «المرحـول»  
وحرـبته :

الغادى للرباط هاك اسلامى لسيادى \* اولاد الولى بن لمهيدي

- 2 - بحركات مختلفة كقول الشاوى فى حربة «الوصية» :

يا لنايم فق امن النوم راقب الفجر الطالع

قم تغنم ربحك واتفوز ابـلغنايم والطاعـا

- ب - التزام قافية فى الفراش وأخرى فى الغطاء (أ - ب) كما عند

الجيلالى امتيرد فى قصيدة «ضيف الله» وحربتها :

اضيف الله رد لجواب اصغى لى : لا تحشم رد السلام  
وكما عند ابن على فى «الهجران» :

ايلا تهجرنى اخيلتى مصبرنى لجفاها

ويلا تاهت عن اوصالها مانقطع لياس

ج - قد تسير أبيات القصيدة كلها على قافية واحدة ، وقد تخضع لبعض التغيير ، وخاصة فى «قياس لشركى» حيث تسير أبيات القسم على قافيتين ، وتكون قافية الحربة على حرف الابات الاخيرة فى القسم ، ومثلها قافية الدخول ، وتتخذ هذا الشكل :

- 1 - الدخول : ب ب (فى عدد معين من الابات)
- 2 - الحربة : ب - ب
- 3 - القسم الاول : ا - ا (فى عدد معين من الابات)
- ب - ب (فى عدد معين من الابات)
- 4 - القسم الثانى ج - ج (فى عدد معين من الابات)
- ب - ب (فى عدد معين من الابات)
- 5 - القسم الثالث : د - د (فى عدد معين من الابات)
- ب - ب (فى عدد معين من الابات)

وهكذا يبدأ القسم بعدد من الابات على قافية جديدة ويعود للقافية الاصلية التى تسير عليها الحربة ، ويسمى هذا التغيير أو بالاحرى هذا الانتقال من قافية الى أخرى ثم العودة الى القافية الاصلية «السراح والرواح» واشتقوا منه «اسرح وراح» (I) .

ومن الامثلة على ذلك «العرصة» للتهامى المدغرى .

يقول فى دخول القصيدة :

حل عينك واتنزه زرد شوف واسطاب : فى ادواح العرصا وازهارها اعجيبا  
اغصانها بالفرجات اتعانقوا بتزحاج : كيف عنق لجيب احبيب بعد غيبا  
اتمايلو وعربطو فرياضهم بشراب : من اكيوس انداهم امرونقا اسكيبا  
الزهر يضحك والطل يبكى افتنحاج : كن عاشق تضحك لبكاه شى احبيبا  
ولوتار اتجاوب بانغام عود وارباب : فيد عدرات اصوات اوتارها اطربا

(I) كذلك أطلق الاشياخ «الرواح» على نهاية القصيدة او نهاية القسم .

ويقول فى الحربه

ياالعرصا صولى فرحى ابطيب لطياب  
طيبك سيدى ولد الساكنين طيبا

ويقول فى القسم الاول

شف لبلنا صانت فى احضان سلطان  
قدها واقدرها باثنين زين فى زين

عاليا فسمها لها من لها شان  
فى احجاب احجبان مارات كيفها عين

غرسها ما حاط ابوصفو البيب فوزان  
لو يزول اقمعتى انعوتوا سنين فسنين

فى ارياض الملك امرى ابصور واصحاب  
ولياه السلسا فجداولو اعذيبا

امخت انسيم الصبح بنسيمها الهيا  
كابرا افتربت طيبا طيبا اخصيبا

ويقول فى القسم الثانى :

شف رنج التشرين اليم كن خودات  
من ابناات العربان الصايلات بالتييت

بالعقيق اعقيان امخسا اكلاذات  
ابطالها من بهم ستغاث دايم اتغيث

دى اتيه اعلى هاذى كابرات فخنات  
زايدات اعقول الى شافهم تشتيت

فالرحيل اعجبوك الراشكات للهداب  
فالهوادج وهمارو زايدا انجيبا

حايطابهم اسود السروت لنجاب  
ويح من شاط ايعاود- قصتو اغريبيا

وهكذا يستمر فى بقية الاقسام يبدأها بثلاثة أبيات على قافية جديدة

ويعود فى البيتين التالين لقافية الباء :

وليست كل القصائد تقتصر على ثلاثة أبيات ثم اثنين ، بل أنا نجد بعضها يسير على ستة بدل ثلاثة كما عند الجراري في قصيدة «المعراج» مع ملاحظة أنه في قافية الابيات الستة لم يلتزم حركة واحدة، ونمثل لها بالقسم الثاني حيث يقول :

حين وصل للقدس وعاد في احماه  
ادنا الحلقت لنبييا بعد شافها  
ثم ربط البراق اخلفو اوراه  
زاد للمسجد احضرتو اينالها  
ثم صلى ركعتين ونال مبتغاه  
بعد صلى ترك البقعا وفاتهها  
بعدها جبريل اباناء باش جاء  
من خمر والانا لخرا اختارهها  
من الحليب اروى الساكنو اظماه  
قال جبريل الفطرا حزت فالها  
ليه نصب المعراج وقال في الغاه  
عول الجولا لا مخلوق جالها  
الى حضرت من اختارك دون من اسبق  
امن الرسال الى نورك عنها اشريق  
ازداد شوق المحبوب اشاق للملاق  
حين صعد وجبريل امرنسو ارفيق  
أما الحربة فعلى حرف القاف كالبيتين الختاميين .  
وكما لاحظنا أن القافية في الابيات الاولى مختلفة الحركات —ى  
الفراش والغطاء فانا قد نلاحظ مثل هذا «القياس» ولكن بقافية مختلفة على  
هذا الشكل :

أ - ب

أ - ب

أ - ب

ج - ج

ج - ج

مثال ذلك قصيدة «الذرة» لابن علي ، وهي على حرف الباء في الحربة

والدخول :

ما ينقصو في ملك الله ما يزيـدو

أولا يليهم في ملك رب لشيـات تصـراف

كيف شا يفعل ماشا ولحكام بيـدو

أولا حدث افساير لشيـا غير باش يعرف

كان فالملك اعلى درا بجل جودو

أولا تحملو درا ولا بحمل يوصـف

غير احمل القدرا والقدرا من الرب

افلشيـات اقدرتو واعلى لشيـات غالب

كون الكونين وما من لكوان يوجب

افرض امن الدرا ما شا رب لرباب

على أنه ليس كل قصائد «قياس لشرطي» على هذا النمط في القافية

حيث نجد بعضها التزم قافية واحدة في كل القصيدة ، مثال ذلك قصيدة

للعلمي في «الحكم» يقول في حريتها :

زال تقليدو من صلى افخلف لمـام    ❧    ايلا ايكـون افسر اضمـيرو ايقين جازم

فقد التزم الميم الساكن في كل الابيات والاقسام .

2 - الثلاثي : ويسير نظام القافية فيه على هذا النحو :

أ - التزم قافية واحدة في كل الاشطار وان اختلفت الحركات على حد ما نجد

عند الفقيه العميري في «زهرة» حيث تتخذ القافية هذا الشكل :

أ - أ - أ

وهكذا في كل ابيات القصيدة ، وهي التي يقول في حريتها :

انت مكمولت لحاسن زهـرا    ❧    يارياض امزخرف بشـار

وانت زهرت الزهور وانت لغزال ازهـيرو

ب - عدم التزم القافية في كل الاشطار ، وتتخذ ثلاثة أشكال :

I - أ - ب - ب

وهكذا بأن تكون الاشطار الاوائل من حرف الشطرين التاليين من حرف آخر . مثال ذلك قصيدة «الزهو» للمدني الترمكاني ، فإنه التزم حرف الهاء في الاشطار الاولى وحرف الميم في الشطرين التاليين ، على ما يبدو من الحربة التي يقول فيها :

الزهو افلكتوب الرقات أماقال الله : واصلات المختار والفجر في وقتو والصوم  
والصح الجهاد فالنصارى يوم المعلوم  
وعلى هذا النمط يستمر في كل أبيات القصيدة .

2 أ - أ - ب

ومثاله «الساقى» لنفس الشاعر ، وفي حربه يقول :  
أساقى رادف الرحيق أعلينا ليام راضيا : بوجود الريم راضيا  
سلطان ارضى اعلى الرعى والزين الله ينصرو

3 أ - ب - ج

وهكذا يكون كل شطر بحرف في كل أبيات القصيدة على حد ما نجد عند امتييز في «هشوما» ، فقد التزم اللام في الشطر الاول والراء في الثاني والميم في الثالث ، يقول في حربة القصيدة :

غدر كاسى هات نوبتى يا ساقى واسقى الباهيا زينت نقط الخال  
لا تغفل عن رايت النصر : مصباح الوالعات ولفى هشوما  
ومثلها قصيدة «أم الغيث» للمحاج ادريس لحنش ، فقد التزم فيها الثاء فى الشطر الاول والميم فى الثانى والسين فى الثالث ، يقول فى حربتها :  
كيف اجبرى لى ياهل لهوا فى حضرت سلطانت النساء لغزال ام الغيث  
اشريف العذرات فاطما . : ملوك الزين بينهم ضعت افكاسى

3 - السباعى : ويسير نظام القافية فيه على هذا النمط :

أ - التزام قافية واحدة فى كل الاشطار على هذا الشكل :

أ - أ - أ - أ - أ

كما عند مولاي عبد الواحد فى «البتول» فإنه التزم اللام فى كل الاشطار مع اختلاف فى الحركات كما يبدو من الحربة التي يقول فيها :

أجنى بوصالك ما سخيت واتعالى \* يعداد صاحب الحال  
داوى اجوارح اعليلا \* أشوم ليمتى من افراق البتول  
ومثلها قصيدة «فارحا» للمدغرى حيث التزم الحاء مع اختلاف كذلك فى

الحركات :

دسنى تحت لخلال بين ادروك لملاح  
واللبا والددواح  
وانهداتك تفاحا

خفت ايشرفنى اعينوك ايجرحونى يافارحا  
ب - اختلاف فى قافية الاشطار كالتزام الاشطار الثلاثة الاولى لحرف  
والرابع لحرف آخر على هذا الشكل .

ا - ا - ا - ب

ومثال ذلك قصيدة «طامو» لامتيرد ، فقد سار فى الاشطار الثلاثة الاولى  
على حرف الجيم بحركة واحدة وفى الشطر الرابع على الميم ، يقول فى حربة  
القصيدة .

طامو يا طامو الحجاج \* بك اقوى عشقى وهاج  
واسكن وسط اسيار لمهاج \* وارضىيت احكاممو  
مع ملاحظة أنه يسرح ويروح ولكن ملتزما بحرف الحاء فى أول ابيات

الاقسام على هذا النحو من قوله فى القسم الثانى :

فالبهجا بين لملاح \* بها كل اعشيقى ذاح  
طاب ارياض اشداها وفاح \* وعبقت ادواحو  
ويستمر كذلك بضعة ابيات ثم يعود للقافية الاصلية فيقول :  
بحرى لام ادلال مـاج \* عذبنى مارات اغـجاج  
نردع بها قوم اللجـاج \* من لا يولامـنو

4 - الخـمـاسـى : ويسير نظام القافية فيه على هذا النمط :

أ - التزام قافية واحدة فى الاشطار الخمسة مع اختلاف فى الحركات

على هذا الشكل :

ا - ا - ا - ا - ا



مثال ذلك قصيدة «فاطمة» لابن احساين ، فانه التزم فيها الميم ، يقول

فى حربتها :

قالت يما اتقول طامــــو \* قلت وايبك يالطــــام  
ياقد اعلام فاللطــــام \* قالت ترا ايقول طاما  
ترات ايقول فاطما

ومثلها قصيدة «لغزال» للجيلالى امتيرد فانه التزم فيها الكاف ، يقول فى

حربتها :

هل لى بالفارخا ايلاكــــى \* ويبوح حيها لخليك  
لاين بوصيدها اغليك \* لغزال الشاطنا اخلاكــــى  
ما هو فنجوع خالكا

ب - اختلاف القافية فى أشطار البيت ، وتتخذ مثل هذا الشكل :

أ - ب - ب - ج - د

مثال ذلك قصيدة «أسادتى اولاد طه» للحاج ادريس بن على ، فانه جعل

الشطر الاول على حرف الهاء والثانى والثالث على اللام والرابع على الميم

والخامس على الراء ، يقول فى حربتها :

أسادتى اولاد طاهــــا \* برضاكم عالحوا الحال  
يا ناس الجود ولفضال

أنا فى عار للا فاطمــــا \* الزهرا الطاهــــرا

ومثاله كذلك قصيدة الطيب الواسترى «تاج لريام» فانه جعل الشطر

الاول على حرف الياء والثانى والثالث على الميم والرابع على الباء والخامس على

الفاء ،

يقول فى حربتها :

رغبوا تاج لملاح فيــــا \* ايحبنى غير بالسلام  
ويراعى صلت لكرام  
لاخير فاللى اجفا احبيــــو \* واغدر بعد لموالفا

### ثانيا : مكسور الجناح :

تخضع القافية فى هذا الوزن لنفس تقسيم القصيدة ، كما سبق أن رأينا ، وتسير على هذا النحو :

1 - دخول القصيدة - ان وجد - يكون على حرف قافية الحربة (أ)

2 - الحربة : على نفس القافية (أ)

3 - دخول القسم : (مكسور الجناح) على قافية مختلفة يلتزمها فى

دخول كل الاقسام (ب)

4 - لمطيلعات : وهى لا تسير على نمط معين داخل القسم الواحد ،

وتختلف حروف قافيتها من قسم لآخر .

5 - البيت المهد للحربة ، يكون على نفس قافيتها (أ) .

ويمكن الرجوع الى النماذج التى مثلنا بها لهذا الوزن فى الجزء الاول والثانى من هذا الفصل ؛ ونضيف اليها هذا النموذج ، وهو قصيدة «الجلار» للمدغرى ، وقد بدأها مباشرة بدخول القسم ، فانه التزم حرف القاف فى كل الاشطار التى دخل بها للاقسام وجعل للمطيلعات قوافى دون تقييد داخل كل قسم وجعلها تختلف من قسم لآخر ، وسار فى قافية البيت الختامى على نفس قافية الحربة وهى الرء ، والتزم ذلك فى البيت والحربة فى كل القصيدة . يقول فى القسم الاول :

أ - الدخول : مهما اتخاصم العنبر والمسك العبيق

ب - المطيلعات : واهلال عيدو البرنى والغرار

ولدام أكاس البلار

والموبرا شغل الحرار

واكدالك فوق زخار

صارى اقويم

ج - البيت :

والطماج اعليها اتكأبحوا بجهـاراً \* ايشمروا الحرب اسقاراً!

بينهم اعلى تاج الزين افلمضامـر \* شلا نحكى اليوم صـار

د - الحربة :

بين الورد والزهر والجلالار \* والظليم والحدادار  
والرخام اتفاح اقوس والشنابر \* خرجوا على عانسي احجار  
ويقول فى القسم الثانى

أ - الدخول : واسباب ما حكيت اخرجت افداج لغسيق

ب - المطيلعات : نسر فى ارياض امفتح لكمام

صبتهم ايشيروا بكلام

فى احروف امعانى واخصام

دون تدمام

عن عانسي ام احرام

جالو او جولو

ج - البيت

دخلوا ميدان كاخيول الغارار \* دالندا يعييط ورا  
بالمعانى واخصام اكثير ولمعاير \* ما حشمو ماتقاوا عار  
على أن من الشعراء من التزم فى هذا «القياس» حرفا واحدا فى قافية  
كل القصيدة سواء فى الدخول أو المطيلعات أو البيت والحربة ، مثل الحاج  
أدريس بن على حنش فى قصيدة «أم الغيث» ، فانه التزم التاء فى كل الاشطار  
والايات ، وقد سبق أن ذكرنا جزءا من قصيدته .

### ثالثا : المشتب :

يلتزم فيه الشاعر نفس القافية فى البيت والحربة ، أما المطيلعات التى يحشمو  
بها البيت فلا تنقيد بقافية سواء داخل القسم الواحد أو من قسم لآخر . وقد سبق  
أن مثلنا بقصيدة «التوبة» لابن سليمان و «قمر الدار» لعبد السلام الجربى  
فى الجزء الاول من هذا الفصل وهما من خير الامثلة على ذلك ، ويمكن أن  
نشير لنظام القافية فيهما بهذا الشكل :

القسم : أ ( - - - )

أ - ب - ج

الحربة : أ - أ - ب - ج

### رابعا : السوسى :

تسير فيه القافية على هذا النظام :

- 1 - تلتزم فى كل الاقسام قافية البيت الذى يبدأ به القسم .
- 2 - لا تخضع الاشطار المرسلة لاي تقييد سواء فى القسم الواحد أو بين الاقسام .
- 3 - تلتزم قافية الابيات التى يختم بها القسم فى كل الاقسام .
- 4 - تلتزم قافية هذه الابيات فى الحربة أو بالاحرى تكون هى على حرف الحربة ، فهى تمهيد لها وزنا وقافية . ويمكن تحديد شكل هذا النظام كالآتى :

البيت : أ - أ

المطيلعات : دون تقييد

الابيات الممهدة للحربة : ب - ب - ب - ب - ب

الحربة : ب - ب - ب - ب - ب

ويتضح ذلك من خلال القسم الذى مثلنا به فى الجزء الاول من هذا الفصل من قصيدة «الزمنية والعصرية» لحسن يعقوبى .

#### القافية فى المقدمات :

##### أولاً : السرابية :

سبق أن قلنا فى الجزء الثانى من هذا الفصل أن الكثير من «السراب» ضاع ، ولم يبق منها الا القليل . ثم ان السراب الموجودة لا تعرف قصائدها فى الغالب ، ومن هنا كانت صعوبة النظر فى قوافيها وتحديد النظام الذى تسيير عليه سواء فى أبياتها أو بالنسبة للقصيدة التى تقدم لها . وزاد فى هذه الصعوبة أن الشعراء اليوم قلما ينظمونها ، وان فعلوا فانهم يجعلونها مستقلة .

ومن فحص السراب التى وفقنا الى جمعها - وهى جد قليلة - نستطيع أن نذهب الى انها تسيير فى القافية (I) على شكلين :

(I) نلفت النظر الى أن ارتباط قافية أبيات السرابية بقافية النواصر التى تتخللها شبيه بالارتباط القائم بين قافية أقسام القصيدة وما فيها من سويرحات (انظره بعد سطور لدى الحديث عن القافية فى السويرحات)

I - أن تكون على حرف واحد فى القافية ، ومن الامثلة على هذا الشكل

سراية ابن على التى يقول فى أولها ، وهى على حرف الراء :

أقلبى كن عن امصابك صبار ❖ الصبر مفتاح الكنوز والذخيرا

ومنها كذلك سراية المدغرى التى يقول فى أولها ، وهى على حرف الحاء :

أنا الى البلغرام قلبى مجروح ❖ ولهوى منوفانى ماجبرت راحا

- أن تختلف قوافى أبياتها ، ويبدو لنا أنها لا تخضع فى ذلك لنظام معين ،

وتسير مع طبيعة النغم والايقاع ، وان كنا نلاحظ أنها تكاد تكون فى التقفية

قريبة من العروبي ، ويظهر ذلك من أول جزء فى سراية لامتيرد ، يقول فيه :

اعلاش أمحبوب خاطرى تجفينسى ❖ الجافينى واعلاش دالجفا

حببتك من خاطرى ولارديتنى ❖ كاتمنينى يا شارد لعفا

خالفت فالقول باش وعدتينسى ❖ ولا وصلت رسمى قاسيت ماكفى

قالت ناس الشعر ولقوافسى ❖ الزين ابلاتيه صورتو تعدا

والخير صاحبو يعرف

### ثانيا : العروبي :

ويسير نظام القافية فيه على هذه الاشكال :

I - أ - ب

أ - ب

ب

حيث تكون «للفراشات» قافية و «للغطاوات» قافية مختلفة ، وعلى حرف

«لغطاوات» تكون قافية «الردمة» . ومن الامثلة على ذلك ..عروبيات.. قصيدة

فاطمة لامتيرد ، ومنها عروبي القسم الثانى من القصيدة :

كان اسهيتى اتيقظى من حال اسهوك ❖ ويلاتهتى التيه اتعريك ايامو

نظرى بلامح لبصار الى سبـوك ❖ كما فرغوا يفرغ سوقك وازحامو

سيرى حتى يشرب عودك بالجامو

ويلتزم ذلك مهما كثرت أبيات العروبي على حد ما سبق أن مثلنا فى

الجزء الثانى من هذا الفصل .

2 - أ - أ

أ - أ

أ - أ

أ

حيث تكون كل الاشطار على نفس القافية ، ولكن مع ملاحظة أن حركة حرفها في «لغراشات» تختلف عن حركاته في «لغطاوات» وأن حركة قافية «الردمة» تتفق مع حركة حروف «لغطاوات» ونمثل لذلك بعروبي القسم الاول من القصيدة «التطوانية» للحاج ادريس لحنش حيث يقول :

نسعاوا الله فالنصر نعم الرحمان \* والفتح الايزول والظفر وتمكين  
واجب نتوجهو ونحتالو ببيان \* لقتال الكافرين ونسألو المعين  
افلوفق امع ليمان وينصر السلطان \* نعم المنصور سيدنا سبط الحسنين  
الله ايجود بالنصر لعلام الدين

وهنا كذلك لاغرق بين أن تكون الابيات قليلة أو كثيرة . والملاحظ أن العروبيات في القصيدة الواحدة لا تلتزم قافية معينة حيث يستقل كل عروبي بنظام معين للقافية .

### ثالثا : السويرحات :

يكون نظام القافية فيها كالآتي :

I - ان تلتزم ابياها نفس القافية وان اختلفت الحركات ، وفي هذه الحالة اما أن تتفق هذه القافية مع قافية القصيدة أو لا تتفق ، لا فرق في ذلك بين أن تكون السويرحة كثيرة الابيات أو قليلتها .

أ - من نماذج الاتفاق سويرحات «تصلية» محمد الشاوي ، وهذا مثال منها يمثل سويرحة القسم الرابع :

يعجز فوصافو كل ناشد \* وافضايلا لكثيرا شلا ينعدادو  
لو كان البحر امداد نافذ \* والارض كالواح افتمال انشادو  
والخلق ايوصف فالشواهد \* لا وصفو اعشور افضايل امدادو  
فهى على حرف الدال الذى قفيت به كل القصيدة على ما يبدو من

حربتها التى تقول :

صلى الله اعلى الشفيـع نور الحق المرشـاد  
عين الجود الطاهر الزكى ربـحى واسنادى  
طه مول التاج واللوا والحوض المورود

ب - ومن نماذج الاختلاف سويرحات قصيدة ادرسية للغرابلى نذكر منها  
«سويرحة» القسم الثانى ، وهى :

نور اجدينك نور وهـاج \* يوهج فى ادخال امهاجى فادباجو  
يعلا ويفوق نور لتـواج \* يصرع كل غاوى يفصم باعجاجو  
به الحق اشهير لبـلاج \* والى اىكون كاره هو بعاجو  
فقافية السويرحة على حرف الجيم فى حين أن القصيدة دالية كما  
يتضح من الحربة ، وهى :

غثنى واحمنى من اعدايا بدر الوقاد  
واتشافع فعييد عاصيا تاهت موكودا  
أمولاي ادريس يا هلال العز السعود

2 - ألتلزم أبياتها نفس القافية فتتخذ شكلين :

أ - قافية موحدة فى «لفراشات» واخرى «للغطاوات» لا علاقة لها  
مع قافية القصيدة ان كانت ثنائية الاشطار : أ - ب  
مثال ذلك سويرحات قصيدة «خديجة» لامتيرد ، وحربتها :  
لوصول اتوصول \* صولى يامولاتى اخديجا  
صولت عبلا وجازيا صولى ياسلطانـت الريام

وفى سويرحة القسم الثانى يقول :

عتنـون أغبت الصـلاح \* جيد أركبا رغبة شـاد  
واضعود اصوارم لكفـاح \* والصدر امحصل النهاد  
ابطن واعكون للفسـراح \* سرا وارداـف للعنـاد  
ب - على الشكل الآتى ان كانت رباعية الاشطار :

أ - أ - أ - ب

ومنه سويرحات «الدمليج» لمحمد الدمناـتى الناصرى على حد قوله

في سويرجة القسم الاول من القصيدة :

يا مسير الـلـذات ❖ بك احيات اجـذات  
فخلـوـقك لـذات ❖ فـأيقـا راح اصواـبح  
ما مثـلك فـخـنـات ❖ كـابـرا فـامـجـنـات  
نظـرا فيك اغـنـات ❖ سـالـبا لاهل اتـسـابـح  
صـول أبـو نـجـلـات ❖ فـوصـافـك نـجـلـات  
لـمـحـاسـن واجـلـات ❖ صـورـتك كـل امـصـابـح

ونلاحظ، بعد هذا امرين :

احدهما أنه قد تتفق جميع سويرجات القصيدة الواحدة في نفس القافية كما في قصيدة «التصليّة» للشاوي وقد سبق أن أشرنا اليها .  
الثاني أن يكون لكل سويرجة - داخل القصيدة الواحدة - نظام معين للقافية يختلف من واحدة لاخرى على حد ما تكشف عنه قصيدة «خديجة»، لا متبرّد ، وقد سبق أن أشرنا اليها كذلك .

القافية في الدريدكة :

نظـر فيـها من وجهين :

1 - قافية أبياتها : . والغالب أن تكون موحدة في «لفراش و لغطا» ، وإن اختلفت الحركات ، وتكون على هذا الشكل أ - أ  
وعلى هذا النحو سارت أغلب الدريدكات التي مثلنا بها .  
وقد تختلف قافية «لفراش» عن قافية «لغطا» فتتخذ هذا الشكل :  
أ - ب

ومن الأمثلة عليها دريدكة قصيدة «عنية» لمحمد بن الحسن ، فهي تسير على هذا النحو :

خـذ أراوى روض لفـان ❖ فـمـديـح لـال بـوتـيتـين اـهـنيا  
وقد سبق أن اوردناها .

2 - من حيث علاقة قافية أبياتها بقافية القصيدة وما فيها من سويرجات ، ويكون على ثلاثة أشكال :

أ - أن تتفق قافيتها مع قافية القصيدة بما فيها السويرجات ، مثال



ذلك دريدكة «تصلية» الشاوى فانها على حرف الدال اكبكية أبيات القصيدة.  
ب - أن تتفق قافيتها مع قافية السويرحات وتختلف مع قافية بقية  
أجزاء القصيدة . مثال ذلك دريدكة «مسعودة» للمدغرى ، فانها على حرف  
اللام ، وكذلك السويرحات ، أما بقية أجزاء القصيدة فعل حرف الدال .  
يقول فى البيت الاول من الدريدكة :

مسعودا تشفى المعلال \* عشقى افحبها عمرو مايتبالا  
ويقول فى البيت الاول من آخر سويرحة :

الزين احكامو اعلى حال \* حب الله فاز ابهيبا واجلالا  
ويقول فى الحربة ، وعلى قافيتها سارت كل حروف القصيدة :  
كولر المسعود ياطلوع اكواكب لسعاد  
أنا من سعدى اسعادتك وانت مسعودا  
وانتيا بدر السعود وانت لهلال اسعود

ج - أن تختلف القافية فى الدريدكة عن قافية السويرحات وسائر  
أبيات القصيدة ، مثال ذلك دريدكة «الذهبية» للتهامى المدغرى ، فانها  
جاءت على حرف الحاء فى حين جاءت قافية السويرحات ميمية وقافية  
الاقسام رائية ، يقول فى أول بيت من الدريدكة :

خذ العشق بين لفصاح \* درتو امقابل الصبورحى بفصاحو  
ويقول فى أول بيت من سويرحة أول قسم :  
شف الشمس ارخات لكمام \* عولت للرواح افتيها واقياما  
ويقول فى حربة القصيدة ، وهى على قافية الاقسام :

شوف الذهبيا اخدود هامن ذهب التشحار  
وارخات اصروع اللجام فوق الرطيان اتغير  
نعنيها شكرا امختنا من خيل المنصور

**عيوب القافية :**

وقفنا منها على ثلاثة :

**أولا : القوافى «الصيدية» :**

جرت عادة شعراء الزجل المغربى أن يستمدوا قافيتهم من موضوع

القصيدية ، وهى ظاهرة تتضح فى معظم قصائد المحبوبات حيث يكون حرف  
القافية متفقا مع آخر حرف فى اسم المحبوبة ، ومن الامثلة على ذلك قصيدة  
«كنزة» لابن على ، فانها على قافية الزاى ، يقول فى حربتها :

ماكيف اوصالك كنز \* وافضل من مال ايلا كنزوا

عالجنى ياشمس لحاسن كنزا

ومنها كذلك قصيدة «للاحسنا» لعبد الرحمن بن الفقيه ، يقول فى

حربتها :

ألا حسنا \* ماصايلا الحسنك حسنا \* أيا روامك الوسنانا

درت لحاسن \* حسنك به لبدور سنا

صولى بكمال زينك المحسون

وتتضح هذه الظاهرة كذلك فى بعض الخمريات مثل «الكاس»

للمدغرى ، يقول فى حربته :

الساقى وكض لعناس \* رادف الكاس

واسطاب امع الريام طيب اواناس \* لاترتى للبرئيس

ومثله «الساقى» للعلمى حيث يقول فى حربته :

راح الليل أعلم لفجرتاك الصبح الراقى \* ياسماقى

دور اعلى الحضر بفناجلك تزيان الموسيقى \* وازرع للساهى ايفيق

واعتبروا القصائد التى لا تسير على هذه الظاهرة معيبة وأطلقوا عليها

«قصائد صيادية» ، ومن الامثلة عليها قصيدة «طامو» للمدغرى ، يقول فى

حربتها :

نصرو رايت لكفاح \* بو وجنات الوضاحا

والشاما والخال والشفير والغنج الدباح

طامو ياقوت الروح

ومنها كذلك قصيدة «مينا» للحسن بن شقرون ، فانها على حرف الحاء،

يقول فى حربتها :

مينا باشت لمـلاح \* مينا روح ادخالى وراحت واصلاح

من اجفاها جمرى لحـلاح \* طعنتنسى دون اسـلاح

### ثانيا : اتخاذ الهمزة قافية :

على الرغم من أن شعراء الزجل نظموا قصائدهم على قوافي من مختلف الحروف ، فإننا لم نعثر لهم على قصائد في حرف الهمزة . وتبين لنا بعد بحث هذه الظاهرة أن العامية تحذف الهمزة وأن استعمال الهمزة فيها يعتبر من «البرص» الذي سبق أن تحدثنا عنه (I) ، وأن اتخاذها قافية يعتبر بالتالى برصا كذلك

ثم حدث سنة 1965 أن ولدت لجلالة الملك الحسن الثانى بنية سماها «أسماء» فأخذ الشعراء ينظمون قصائد فى التهنئة على قافية الهمزة :

من ذلك قصيدة للشيخ الجلالى من سلا ، يقول فى حربتها :

بنت اهمام الشعب سيدنا حسن الاسماء

الاميرا أسماء

مناى امع ارجائى

قرت عين احبيبتنا وراحت لقلوب املاما

ومنها قصيدة لعبد الحميد العلوى ، يقول فى حربتها :

نفحت لعبير العاطر الذكى نور النور الا يطيق يشفاه الرائى

راحت سلطان اوطانا وفرحت شعبو أسماء

ومن الامثلة كذلك قصيدة لحسن اليعقوبى يقول فيها :

آش را من لا را لوطان يوم لنبساء

بالخلوق المبروك ابقرت لمرائى

أرض من بعد ماكانت كنها البيداء

من ارمال الصحرا صبحت روض مائى

كلها حرجات وعرصات امن الرياء

امياها دفاقا واشجارها افياى

ولطيار اعليها من زينها ابغناء

هيجت الصاحى بانغامها اغنائى

---

(I) أنظر الفصل الثانى من الباب الاول .

وصار شعري ينساب امن الصميم كالماء  
فى اجداول لحراج اصاح امن احشائى  
كيف مانشدى شدو الطير وسط بطحاء  
بين ناسى واهلى واخططو املائسى  
وكيف ما يرقى شعري اعلى اللغا الخنساء  
ولبشاير بالسعد اتتنا اصدائسى  
وكيف مانطهج كيف طهجو ارجال ونساء  
ونطفح كيف طفحو لبساتن لظمائسى  
وكيف ما نستوحى ونائرى الايحاء  
لهم الكاتب والرسام والروائسى  
من اخلق المصباح الى اجلا الظلماء  
طيب لعبير العابق ساير لجوائسى

#### ثالثا : الخلط بين الحروف المتشابهة المخرج :

والسبب راجع الى أن العامة لا يفرقون بين هذه الحروف فى النطق ،  
من ذلك خلطهم بين الدال المهملة والذال المعجمة ، يقول محمد بن الوليد  
فى قصيدة فى «المدح النبوى»

لولاك لا اىغاتا لاجفا لانار لاجبر صراط امعدى

لانهار لا ليل خلف ذا افهاذا

ومنه خلطهم بين التاء المثناة والثاء المثناة ، يقول محمد ولد افريجة

فى أول قصيدة «خنائة» :

ياذات الزين الوارث ❖ امنين امجيك أمولاتى الخنة

سبحان امن انشاك أقد الرمح الصقيل ارايا فى تشجيع بن شجعان ازناتا

ومنه خلطهم بين التاء والطاء ، يقول محمد بن عمر المراكشى فى حربة

«السردة» :

وامضيغ افراسا ملا ايليه ضرسات ❖ كيملوج فمضيغو عاد تيسرطو

ومنه خلطهم بين الضاد والطاء ، يقول احمد ابجيوات فى حربة

«عرصة الرضا» :

سولتك بالفاظ \* مدرا زعما ياعرصت الرضا \* مازلت فالعز ولظا

واحجابك لغليظ \* والا ماك الغير خوضو

ونجد عند الحسن اليوسى فى «المحاضرات» نموذجا من الخلط بين

الضاد والظاء فى زجل لآحد شعراء هواراة لم يذكر اسمه ، لعله عروبي ، وهو

قوله :

ايلا ابرك لى الزمان واركت اعليه \* والى راد بى المولى نلقاه اعراضا

برك لى مركوب مانى ضاربـه

\* ما نحساب ايامى اعليا مغتاضا

نصبر لحكام المولى حتى تتقاضى

وقد علق عليه اليوسى بقوله «قوله مغتاضا من الغيظ وابدل من الظاء

عنا ضادا» (I) .

---

(I) كتاب المحاضرات ص 49 طبعة حجرية .

وعند الحلّى فى «العاطل الحالى» ان الخلط بين هذه الحروف مـ

المنوعات فى الزجل . وقد أشار فى الورقة (53) ظهر ، الى شعر لابن قزمان

فيه استعمال الظاء مع الضاد والذال مع الذال ، كما أشار فى (54) وجه ، الى

استعمال الذال مع الذال فى زجل لابن حسون المغربى .

الباب الثاني

الموضوعات

الفصل الاول

المرأة

يعتبر الغزل بالمرأة أكثر الفنون إيحاء لشعراء القصيدة الزجلية بالتعبير ، فتتح قلوبهم وعيونهم وأطلق مواهبهم وقرائحهم وأخصب ذهنهم وخيالهم ، فنظروا الى المرأة بحسهم مفتونين بجمالها ، ورسموا لها لوحة واضحة الملامح زاهية الالوان ، ونحتوا تمثالا متحرك الاطراف مكشوف الملامح دقيق القسما ، كل ما فيه رائع فتان ، يحرك القلوب ويهيج الخواطر ، اودعوه تصورهم للجمال كما تهواه نفوسهم وليس كما هو فى الواقع ، فجاء بذلك مثالا لا يعنى امرأة بعينها ، وانما نموذجا نسجوا جميعا عليه ، ولكنه مع ذلك تصور ان لم يكن منبعثا من البيئة فهو متأثر بها الى أقصى حد . فقد وضعوا المرأة فى مقام رفيع ، ونظروا اليها مخلوقا متفوقا ممتازا هو جوهر الحياة ومحور الكون . وهى نظرة مقدسة للجنس الآخر ما نظنها وليدة البيئة الحضرية التى ازدهر فيها هذا الشعر ، وانما هى وليدة البيئة البدوية الصحراوية التى نشأ فيها كما سنرى بعد . (I) وليس من شك فيما افادت دراسات البيئات من ان سكان المدن أقل تقديرًا للمرأة من سكان الصحارى والارياف حيث تتمتع المرأة بمركز اجتماعى لا يقل عن مركز الرجل ، وحيث ترتفع الى مستوى المشاركة فى العمل وتحمل أعباء الحياة .

ووصفوا حالهم محبين ضعفاء ، يعانون من عشق هذا الجمال أنواعا من الجوى والشجن والشوق ، وألوانا من اللوم والهجر والنفور ، ويسعون الى الوصال بالرجاء والاستعطاف تارة ، وبالعتاب والوعظ أخرى ، ولكنهم حين يفشلون "يلجأون الى القضاء عساه ينصفهم مما يقاسون او الى الحيلة نعلها تقربهم من الهدف الذى يسعون ، وكأننا بهم فى اصطناعهم تلك المظاهر واجتيازهم هذه المراحل لا يقصدون الى غير تعميق الجرح وتهويل الموقف والبلوغ بالمأساة الى ذروة تتعدى الترغيب والتشويق الى استدرار العطف والاشفاق . وحتى هذا الجانب النفسى من الحب بدا

---

(I) فى الباب الثالث .



عندهم متشابها ، فجاءت حكاياتهم وقصصهم واحدة ، وكذلك جاءت آلامهم وأحزانهم وما يتخذون لشفائها من علاج . ومن يدري فلعل هذا الشعركان فرصتهم للتعبير عما يعتل في نفوسهم من أدواء ليس مصدرها الحب وإنما مصدرها ظروف خارجية أخرى لا نعرف عنها شيئا .

ومن خلال كل ذلك يبدو تمثلهم للحب قويا طاغيا متجبرا لا سبيل الى فل سلاحه او هزيمته .

وفرقوا بين الشعر الذى يغلب عليه وصف الجمال وبين الشعر الذى تملأه العواطف ، فاصطلحوا على الاول العشق ، ومعظم قصائده تحمل أسماء الحبيبات ، ولم يتركوا اسم امرأة لم ينظموا فى صاحبته ، وتعتبر زينب وزهرة وفاطمة وخديجة أكثر الاسماء لهم الهاما . واصطلحوا على الثانى التغزل ، وتعرف قصائده بالمحجوب واللائم والجافى والعاشق والمرسول والشمعة والحمام والمرسم ، وهى كلها أسماء توحى بحال من أحوال الحب والهيام .

ولم يعتبروا من الغزل قصائد اطلقوا عليها « تراجم » ، اعتبرناها نحن من صميمه ، وهى كما يبدو من تسميتها قصائد ترجمها الخيال الى حبكها ونسجها دون ان يكون لها حدوث فى الواقع ، مثل الحجام والفسادة والحراز والقاضى والضيف والخلخال والدملج ، كما سيتضح من خلال الفصل ، وكانهم غلبوا فى التسمية الشكل على الموضوع ، وكثيرا ما يفعلون .

### اولا : المحبوبة

نظر الشاعر الشعبى الى المحبوبة فوسمها **بألقاب وأوصاف** تنم عن بعض ملامح جمالها أو تكشف عن عاطفة من العواطف المتأججة فى قلبه .  
فزهرة بوعمر و « هلال الدارة » :

زورينى قبل الا نقبر ❁ يا هلال الدارة (I) زهرا

(I) الدارة الشئ المستدير او الجماعة من الناس تتخذ مجلسا دائريا وتحلق ، وبهذا يحتمل وصف « هلال الدارة » مفهومين : اولهما هلال مدور مكتمل وثانيهما هلال مضى فى جماعة الفاتنات .

وهي عنده « سلطنة الابكار » :

للا سلطانت لىكار \* ما يلى سواك امرا  
وخديجة امتيرد «سلطنة الريام» يطلب منها ان تصول صولة  
عبلة وجازية :

لوصول اتصول \* صولى يا مولاتى اخديجا  
صولت عبلا او جازيا \* يا سلطانت الريام  
وجمال حجوبة ابن على يفوق الشمس والقمر والبرق :  
ياللى زينك فاق الشمس والقمر والبرق افلحجاب \* صلت بحروف اعجاب  
عالجنى بوصالك يالريم حجوبا

وجمال طاهرته يفوق جمال حور الجنان :  
صولى اعلى الريام ابدىك الغرا الزاهرا \* ما تشبه لىك الطاهرا  
حرىا تسبى امن اجنان الحور  
أما زينبه فبدر غير محجوب وشمس النهار السعيد :  
يا بدر ما غطاك احجاب \* فالدجى يا شمس النهار السعيد يا زنوبا  
شايق انشوفك يا زينب

وحبيبة ابن سليمان تاج كل جمال ومؤدبة :  
لوقات احلات \* جادت لى حبيبا  
حبيبا تاج كل زين \* اصبغت لهذاب  
حبيبا فوصافها امادبا

ولابن سليمان خديجة هى قمرية البروج وياقوتة فى تاج وريم :  
يا قمرىت لبروج \* أياقوتا فى تاج  
يا لريم خديجا \* زورينى يالحظ الدروج(I)  
امولاتى خدوج

وخديجة المدغرى - زعيم شعراء الغزل بلا مدافع - لها بهاء وهاج،  
وهى كنز ربحه وشمس ضحى مشرقة :

اسباب كيتى واهجرتى واكرايحى او تهياجى \* ذات لبها الوهاج

---

(I) الدروج : الغزال .

سلطانك الريام اغزالي بوسالفين خدوج

شمسك واضحا \* شارقا في وسط الضحى  
وانقلب اضحى

ايدوب يا كنز ارباحي \* طيبك نفجنا  
وفاطمته راية الكفاح وياقوت الروح :

نصرو رايت لكفاح \* بووجنات الوضاحا  
والشاما والخال والشفير والغنج الدباح \* طامو ياقوت الروح  
وزهرته قد الخيزرانة جميلة الاسم وراية النصر وتاج العوارم :  
دام الله ابها امحاسن ازهيرو \* قد الخزران زيت لاسم زهرا  
وهشومته سلطان كل حسن :

نصرو اسباب غيواني (I) \* سلطان كل حسن  
شاما اهشيمتي هشوم من عزها اعليا  
وحليمته ذات دلال :

اناس كلها باش اكواونا سباب اعدامي  
كي اكويتها من عند بودلال احليم

وزينبه ذهب التذهيب وسلطان الموالات :  
انا زكت فيك اذهب التذهيب \* اسلطان الوالات زنوبا  
وفروحه همام الخودات :

ياسباب الصمد ولكلاح (2) \* ياكمال الزهو ولفراح  
يا همام الخودات (3) افروح

وفارحته غصن مائس ومهر شرود :  
قولوا لصيغت اللوامح \* ياغصن ايميس فالدواح  
يامهر اشروود افلبطاح

رفدى ياللا الطايح (4) \* بالي سمالك فارحا

- 
- (I) الغيوان غير محدد المفهوم ، ويحتمل الغواية والغنى .  
(2) الكلاح : الضنا .  
(3) الخودات : الجميلات  
(4) الطايح : الواقع ، من طاح اذا وقع على الارض ، ورفده انهضه وأقامه .

أما كلثومه فترياق لسقامه وياقوتة في سلسلة من ذهب معروف  
العيار وشمس تضيء اماكنه لم يستطع عنثرة بلوغها بشجاعته وسلاحه :  
في كلثوم ترياق لسقامي \*

كلثوم كنها ياقوت في سلسلة امن اذهب تشجارو معلوم  
كلثوم شمس اضوات فرسامي \*

كلثوم ما ادركها عيسى فضخامتو اشمجيع اسناحو (I) مقيوم  
وللرجاجي « حبيبة » هي مزاج خاطر وباشت الابكار والبدر  
الساطع وتهليل العز والنصر وتاج الجمال والمحاسن :  
نصر الله بهاك يامراح خاطر \* يا توكت لبدر \* ياباشت لبكار  
اتهليل العز والنصر \* تاج الزين والمحاسن حبيبا  
وللشيخ الشاوي راضية هي مصباح دجاء وضياء عينيه ، وهي مالكة  
له ببهاؤها المكتمل :

نصرو المالكني مصباح ادجاي \* مولاتي لغزال راضيا  
مكمولت لبها اضيا عينا

ولمولاي على البغدادى خدوج هي روح راحة مهجته :  
زوريني ياروح راحت امهاجي \* بهواك ساكني هاج  
ام اسوالف ازباجا (2) \* تستاهل النصر مولاتي خدوج  
وللشيخ علال الكحيل زهرة هي باشت الصوارم والريام :  
اباشت لعوارم خناري \* امعاك شرع الله اعلى كل حال يازهرا  
مغروم بك لا اتجفيني \* اباشت الريام ازهور  
وللفقيه العميري زهور هي تاج بنات الهوى :  
هل تعطف بالرضى اسبغت لنجال \* مولاتي سلطانت الريام  
تاج ابناات لهوا ازهيرو

ولعبد السلام الجربي محبوبة هي قمر الدارة :  
واجب لي نعدار \* لا تلوموني في حال لغرام  
اناسي ما بيا \* غير قمر الدارة

---

(I) يغلب على المغاربة قلب لام السلاح نونا .

(2) سوالف ازباجة اي سوداء .

اما مبارك السوسى فله زهرة تفوقت عن عبلة وجازية وكل الابكار :  
سلبت عقلى زهرا \* ابلبها والجسمن المكمول حازت اسرارو  
بشمائل لبها فاقت عل لبكار \* فاقت عن عبلا او جازيا وامجاسن لبكور  
وملكة الغرابلى راية المملكة ومالكة وفى حماية الملك :  
أرايت لملكنا يامولاتى المالكا \* لك العبد او كسل ما املك  
نصرو ملكا احمایت الملك  
وفطومة المكى الصويرى تاج الريام ومصباح الموالات وراحة الروح  
وزهو الانظار :

نصرو تاج الريام لغزال الطام \* عانس (I) الفرج زهو انيامى (2)  
مصباح الموالات راحت روحى فطوما  
وفاطمة عبد الهادى العامرى راية الهمام وزينة الريام و «بودواح» (3)  
انا فى عار قامتك يا رايت لهمام فاللطام \* لوجيب (4) زينت لرسام  
رفقى بى اوحن واعطف يا بودواح فاطما  
وتكاد تشبهها طامو ابن عمر الكفيف :  
مدرا (5) اتزور رسمى بوسالف طامو \* مولاتى لغزال فاطما  
بودواح اروامك الزهزاما (6)  
وفضيلة مولاي احمد بن عبد السلام العلوى هلال انجمال المكتمل :  
روفى ياضى انجالى \* ياهلال الزين المكمول  
ذات لجمال افضيلا

---

(I) العانس البكر الجميلة ، وهى من الكلمات التى استعملت فى معاني غير معروفة بها فى الفصحى حيث تطلق العانس على المرأة التى طال بها المكث فى بيت اهلها دون ان تتزوج فخرجت من عداد الابكار .  
(2) النيام : العيون .  
(3) الدواح : الخرسنة أو الحلق .  
(4) لعلها الشمس من وجبت الشمس وجوبا اذا غابت او لعلها من وجب القلب وجيبا اذا اضطرب وما نظنها تصغير وجبة بمعنى الصدفة الحسنة .  
(5) مدرا كلمة للتمنى لعل اصلها : من درى او من يدري او من يدريك .  
(6) الزهزاما : الغزال ، والروامك : العيون ، وأصلها من رمق اذا نظر .

ومارية الفلوس مشموم الورد والزهر وسلطان الباهيات :

نصر الله ابهاك يا هلال الدار \* يارايت النصر يا سابغ لشفار

يا مشموم الورد والزهر \* سلطان الباهيات ولفى مريا

ولعبد الهادي بناني «زهور» هي تاج العوانس :

كولوا لدواحت لزهار \* تاج لعوانس ازهور

رفقى ابعاشقتك ونعمى بالزورا عل لوكار

وله «فاطمة» هي الغزال ومشموم البنات وجميلة الاسم ومصباح الجمال:

أيا مشموم لبنات لغزال زينت لاسم \* جد اعلى المغروم

يا مصباح الزين فاطما

**وبشمى من التفصيل ، ولكن فى أوصاف عامة ، تناول شعراء الزجل**

جمال محبوباتهم على حد ما يعرض لنا الجيلالى امثيرد فى «خدوج» ، فهى

بديعة الجمال رقيقة الملامح ، وهى فاضلة وعاطفة ، ذات حسن جميل ساطع ،

ليست لها مثيلة فى بنات جيلها ، يوافقها خليلها وتوافقها فى طاعة متبادلة :

خدوج ابديعت لجمال \* خدوج ارققت لحروف

خدوج امنارت لفضال \* خدوج انهايت لعطوف

خدوج مالها امثيل \* فبنات اليوم ابلجميع

اخليلا رايما اخليل \* طاعا وخليها امطيع

ومثل هذا يقوله ابن سليمان عن خدوجته التى لا يعرف لجمالها شبيها

فى أى زمان ومكان :

زينك ما هو فعلوج (I) \* ولا هو فمدون او لفلاجى (2)

فاللى امضى او ماجى \* ما شاهدوا اغناجى (3)

لو صبت ملتقاها بعد التهجيح

---

(I) العلوج : الاعجام ، والكلمة واردة فى الفصحى بصيغة علوج  
واعلاج جمعا لعلاج بكسر العين وتسكين اللام .

(2) الفلاجى : البوادرى

(3) الاغناج : العيون ، والكلمة واردة فى الفصحى غنجا بتسكين  
النون وضمها .

وعند المدغرى أن جمال زينبه معروف فى الشرق والغرب ، يشهد لها به  
البدر والكواكب بل ان ضوء البدر تعجب له فاحتجب :

زينب زينها فالشرق أفالغرب ❁ شاهد لها بدر الدجى واكواكب  
زينك فيه ضى لبدر اتعجب ❁ حتى ادخل امن اغشاه فاحجابو  
وتفنن المدغرى فى وصف زهرة فاعتبرها زهوا لذاته ومصباح الفاتنات ،  
حازت البهاء والثبات ، وظهرت شمساً تتجلى بحسنها وتفوق بجمالها عبلة  
وخناثة ، وفيه يزهى بها مزاج حبيبها ، تصول وقد اجتمعت فيها ثلاث خصال  
هى الحياء والطيبة والظرف . ثم انها تنتسب لاحرار أهل الجود ، فلا غرو أن  
يراهما تاج فاتنات الحضر ومصباح البساتين وقررة عينه وزهرة الورد والرياحين ،  
وسلواه وغاية ما يتنزه فيه أولو النظر الفاهمون :

زهوا زهوا للذات ❁ مصباح الخودات  
زهرا عل لبنات ❁ حازت لها واثباتا  
زهرا شمس انبات (I) ❁ بالحسن اتجلات  
زهرا من عدات ❁ زين عبلا واخناثا  
زهرا من وفات ❁ واخلاكى زهات  
زهرا بالصلوات ❁ حازت نوصاف اثلاثا

لحيا والطيب امع الظرافا من نسب احرار هل الجود الكبرا  
زهوا تاج اعوانس لحضر ❁ مصباح لغراسات قرت عينيا  
زهرا زهر الورد والزهر ❁ والسلوان أغايت لمنازه لهل النظرا  
وقريب من هذا ما وصف به الحاج ادريس بن على لحنش ياسمينته ،  
فهى ياقوتة فريدة يتضاءل أمامها الجوهر والذهب والفضة ، علا شأنها على  
جميع بنات جنسها وغدت شمس الضحى تستحى من خيالها وتغيب :  
انت اجواهرك مكنونا وامعلقا اثنيين

وانت ياقوتا والياقوت اقليل فى امثالك

والجوهر الصافى والذهب واللجين

قدام صورتك تتلاشى ويناظرو اقبالك

(I) انبات : ظهرت ، من نبا الشىء نبوة ونباوة اذا برز وارتفع عن  
الارض .

انت الذى اعلا شانك عل لبنات كاملين

الشمس فالضحى تستحيا واتغيب امن اخيالك  
وعنده كذلك حبيبة هى هيفاء ناعمة ، فازت بانهمة والسر والطيبة  
والذكاء والظرف والجمال الحقيقى والوقار والهيبة ، يشيب لرؤيتها شباب  
أهل الغرام ، وقصته معها أغرب من كل الغرائب ، لو حكاها للجبال لاندكت:  
هيفا اوناعما حازت هما اوسر اوطيبا  
والميز والظرافا والزين الى اعلى ترتيبو

سبعان امن انشاها واكرمها ابلوقزوالهيبا  
لوشاعدوا بهاها شبان هل لغرام ايشيمبو

اغربتى امعها عدات اجميع كل اغريبا  
لوجيت يا عدولى نحكيها اللجبال ايريسو  
ويخاطب عائشة بأن بهاءها غير موجود عند سلطان لاغى المغرب ولا فى  
الصين ، وبأن جمالها عربى وأخلاقها حضرية ، وان أى جمال او خلق غير ذلك  
ليس بشئ :

ابهاك الا هو عند سلطان ولا افغربنا ولا هو فانصين (I)

يزها قلبى بجمال صمورتك سبعان امن انشا  
والزین الى ما كان زین عربى واخلاك امديننت لحضر ماهوشى  
أما بنعيسى الدراز ففاطمته ليست ياقوته محصنة لا تدرك بقيمة فقط،  
ولكن مقامها عال رفعه رب السماء ، وهى ليست متفوقة بجمالها على جميع  
القاتنات ليس غير ، وانما هى تفرض عليهن الحكم والطاعة فيخدمنها ويقبلن  
أقدامها . ولكنها رغم الصولة تمتاز باللطف والذكاء والفهم ، يكفى حبيبها أن  
ينظر اليها ليحس الفوز والنخوة والاکرام ، ثم انها تسمى العفول  
بكياستها وحسن منطقها . واذا كانت تشغل الاذهان وتحير الالباب ، فانها  
تسلى عند المنادمة وتفرج الكروب :

أياقوتا امحصنا ما تدراك ابقيا \* مرفوعا فمقام

علاه ربى رافع السما

(I) الصين كناية عن اقصى مكان ، أما الغرب فالمقصود به المغرب .



لك جميع الريام طاعوا بالقهر اخديما \* واتقبل لقدام

واعلى ساير نغياد حاكما

والصول ولما لطفوا واعينافا (I) وافهاما \* من شفت المنيام

فزت بالنخو ولما كارما

تسبى لعقول ابلكياس والفاظ احكيما \* كتدهى لفهام

واتسلى فوقات لمنادما

وينظر الدراز الى زهرة انها ذخيرته وراحة خاطره ومصباح بصره

وينبوع كل خير ، تجبر الكسر بوجودها الذى يشهد لها به الكهول

والصفار ، وهى عنصر صاف اذا سقت روضا انبت واثمر :

ياراحت لخواطر \* يا مصباح لبصار

انت اذخيرتى أينبع الخير \* يا جبرت من كان اكسير

يأذآر الجود عالج اضرارى \* جودك كتحقو كهل واصغار

يا عنصر الصفا من تسقى روضو اسخار (2)

ونا ابغيت روضى يطفح بزهار \* بعد زهرو ينعم بشمار

وغالبا ما تكون مثل هذه الاوصاف العامة تمهيدا لرسم صورة المحبوبة

مفصلة الاجزاء مكتملة الابعاد ، لم يترك الشاعر جزءا واحدا من جسدها

لم يطل النظر اليه ، مبتدئا بشعرها الفاحم وعينيها الفاترتين ، ومنتهيا

الى ساقها الذعبي الممتلىء وخلخاله ، متتبعا ما بين ذلك لم يترك ملمحا

الا توقف عنده ليمعن فى وصفه وتشبيهه .

وقد برز المدغرى فى تقديم لوحات رائعة كهذه التى رسم لظامو

وهنية حيث يبدو الميسم عقدا من الجواهر تصونه الشفاه الحمر ، والقنود

مائلة يمنة ويسرة تساير التسميم فى هبوبه ، والشعر مظفرا ومسدلا

نفوح نسماته الذكية وقد لمع فيه الياقوت الرفيع ، والقرة لامعة كالبرق

أو الهلال او الشريا والنجم ، والحاجبان مقوسين كحرفى نون فى سطر

---

(I) العياقة : قوة الادراك .

(2) اسخر انتج ، ومنه قولهم : «الله اسخر» فى الدعاء بالتوفيق

والنجاح فى عمل من الاعمال .

وقد مالا على عيون ساحرة ذباجة كالسيوف تغطيها اهداب عالية الريش ،  
والخد فى حمرة طبيعية غير مصطنعة بالمساحيق كالوردة يحرسها خال  
فى لون الغلام ، والانف كزهر السوسان ، والذراعان كسيوف يحمدهما  
عنتره يوم الوطيس ، والرقبة تذكر بظلمى الفيافى النافر الحذر ، والصدر  
تقطعة من الرخام الصافى برزت فيه تفاحتان ، والبطن يأخذ قلب العاشق  
فى طياته ، والسرة ككاس سالت عنه الخمر ، والافخاذ أعمدة من ذهب  
فى قصور العمالقة واللخميين ومن يفخر بهم من الاقوام ، تعلوها قبة تفوق  
قباب السعدين ، والسيقان حمراء كلون الجمر شبيهة بقطعة من البلور  
أشعلت فيها شمعة كبيرة ، يسقى من لونها كما سقى ابن الملح  
دون خمر :

والمبسم جوهر فالشعر \* عقدو مصيون فالشفوف العكريا (I)  
واسبابى يوم انظرت لقدود اتميل اتساعف النسيم ايمين وايسار  
واسوالف واظفاير الشعر \* والياقوت الرفيع بنسوم ادكيا  
والغرا واجبين لاح فوق الوفير ابرق اهلال والتريا والغرار (2)  
والحجين نونين فاسطر \* عطفو عطف اعلى السيوف المسقيا  
والشفر الدباح بالصوارم واهداب امريشين فوق الغنج السحار  
والخد العكرى ابلا اعكر \* والخال اغلام فوق وردا محضيا (3)  
والمعطس سوسان نيل اركوبوا للمسلطان عكرو من ذهب التشحار  
والضعدين (4) اميوسف تنشكر \* عند ابن عبس فى انهار المشليا  
والركبا عراض فى افيافى مايا من حى ما يروم الغاشى حدار (5)  
وانوابغ تفاح فالصدر \* والصدر ازخامتو اصفاه امر مريا

- 
- I العكرية الحمراء ، ويطلق العكار على مسحوق الوجه وقلم الشفاء.  
(2) الغرار نجم لامع .  
(3) محضية اى محروسة وفعلها : احضا ولعل اصلها فى الفصحى  
حظى حظوة عند فلان اذا اصبحت له مكانة عنده .  
(4) الضعد : العضد (مقلوبة) .  
(5) الحدار : الغزال ، ومثله العراض ، اما الغاشى فهو الغريب ولعل  
أصله فى الفصحى غشيه غشيانا بكسر الغين اذا جاء .

والبطن الطافى اعلى لطافى يطوى قلب لعشيق طى الالو تحكار  
والسرا بالكاس تنعمر \* والكاس اجرات فى اطرافو حميا  
وافخاد اسوارى امن الذهب فمنازه لعمالق او لخم اقوم التفخار  
صانوها فى قبت النصر \* ولا توجد فى اقبوب السعديا  
والساق اسقانى اكم اسقى قيس ابن املوح من دون اعقار  
ساق احمر من واضح الجمر \* نحكى بلار فيه شمعا رطليا (I)  
ومثل هذه اللوحة يرسمها الحاج ادريس بن على لحنش لحبيبتيه  
لا يضيف اليها الا بعض اللمسات كتشبيبه القد بغصن الآس وتصويره  
ضفائر الشعر ملقاة على الاكتاف تفوح نسمات طيبها كانها تفوح من روض  
السوسان ، ووصفه العيون بفتور لا يفتر معه تعذيب العشاق ،  
وتنوينه الخد بلون الفضة المصقولة بالذهب ، وتشبيبه  
الانف بعصفور صغير ، والرقبة بالكافور وعنق الغزال ، واضافته الشنب  
الى الثغر والخضاب المنقوش الى الكفوف ، واعتباره وجود التفاح على الصدر  
فى كل المواسم حكمة عجيبة بالغة .

قدك خزان فى روض ناعم اخصب \*  
ولا اغصين من الياس هن النسيم اقطيبو  
واضفاير الشعر عل لكتاف اهوات فى تطيب \*  
نحكيه فى ارياض السوسان ايلوح فى ترحيبو  
انظرت حاجبين اوشهدت اشفاه فى تهذيب \*  
واعيون فاترا ما يفتنر لعشيقها تعذيبو  
واخدود لون قلب الفض لمثلل ابتدعيب \*  
وجنا تحت سيف اللحظ الى هدنى تهديبو  
غنجر كطوير يرنى مشروح فى تركيب (2) \*  
واغتر فيه جوهر منظوم امزين تشنيبو

(I) يقال شمعة رطلية او شمع الرطل للشموع الكبيرة ، ولعل  
الصفة مأخوذة من الرطل الذى يعنى فى الفصحى الما الذى يوزن به  
وكأنهم كنوا به عن ثقلها .

(2) التركيب : الترقب ، ويلاحظ أن القاف فى غير المدن

ركبا اشقيقت الكافور فالتجراد واستلهيب \*

اتقول عراض امشوش خايف امن اطلبيو

درعين صافيا وامعاصم واكفوف فى تخضيب \*

مكتوب فيه جدول له اجميع لعقول اينيبو

وارخامت الصدر فيها حكم بالغ واعجيب \*

طول لفصول تنظر عينك تفاحها واتصيبو

وهكذا تكاد تكون الصورة واحدة عند كل الشعراء لا يختلفون قليلا

الا فى تتبع اجزاها وتلوينها على حد ما نجد عند محمد بن عمر الكفيف

الذى لم ينس ان يرسم الاصابع كالاقلام ، ويشبه اليهود بتفاح على قدر قبضة

اليد ، والبطن بقماش صاف مرقوم ، والسيقان بسمك الشابل (I) الا انها

لم تمس الماء :

اصباع كنهم قلوب

وانهود كتفاح للكمشا راموا

...

ابطن امن اقماش صافى مرقوم

...

وافخاذ كاشوابل فالما لا عاموا

ومن لطيف تقديم اوصاف الحبيبة ما لجأ اليه التهامى المدغرى من

عكس التشبيه وجعل الاشياء التى اعتاد الشعراء ان يشبهوا بها لتحديد

ملامح المرأة ، تسعى فى خصام ومنافسة الى التمثل بهذه الملامح والتشبه

بها واعتبارها رباطا جميلا يصلها بالمرأة . ولم نجد شاعرا غير المدغرى

لجأ الى هذه الطريقة المعكوسة فى وصف المرأة ، بل لم نجد له فيها غير

قصيدة واحدة هى التى يقول فى حربتها :

بين الورد والزهر والجلار والظليم والحدار

والرخام اتفاح اقوس ولناير خرجوا اعلى عانسي الكحار

بالمغرب ينطق جيما مغلقة كنطق المصريين فى المدن للجيم ، وجرت

العادة بكتابته كافا بثلاث نقط . اما يرئى فلعلها من رئا فى الفصحى بمعنى

أطال النظر .

(I) الشابل نوع من من سمك الانهار كبير الحجم ، لا يظهر فى غير فصل

الشتاء . ويعتبر من احسن الانواع واغلاها .

قصدت هذه الاشياء الشاعر لتثبت الشبه الذى يربطها بحبيبتيه  
فادعى الورد انه شبيه بخدها ، وادعى الزهر ان شذاه قريب من نسيم  
ثغرها الباسم ، وادعى الجندار ان لونه كلون شفاها ووجنتها ، وادعى  
الظليم ان لونه من لون شعرها وشفائرها التى تعدت القار :

وادعى الورد قال الخد اشقيقى اشقيق

وادعا الزهر قال الثغر الميسوم

امن اشدها انسيمو منسوم

جاوب الجرار المفهوم

قال بقيوم

شفا بريق مختوم

لوني ولونها واحد

والوجنا اشقيقتو بتمارا

شامتو اعليه ايمارا

والظليم ادعا قال الشعر والضفاير

من لوني فاق اعلى القار

وتدخل كوكب الزهرة والبدر المشرق والقوس والمنائر فادعوا

قرابتهم مع غرة حبيبتيه وجبينها والحواجب والعيون ، وكذلك المسك

ادعى أخوته لخالها العنبرى الطيب :

واكذاك نجمت الزهرا والبدر الشريق

القوس والمنائر قالوا غرا

ولجبين أحاجب بترا

ولعيون اجتاب النحرا

عل العذرا

فقلوب هل الهجرا

والمسك فى اجياب الملوك ادعا انجالها بجهارا

طبيت شامت المسرارا

قالت ذاك العنبر هي اختو او ساقن  
عن خيتو غايت لكجار

وادعت الغزالة شبه جيدها وزعم التفاح الشبه بنهدها وزعم الموبر (١)  
شبه اديمه ولونه بصدرها وساقها ، وكذلك ادعى صارى السفينة شبهه  
بقدها :

وادوات قالت الحدارا دون النطيق  
الجيد والصدر وكذلك التفاح  
والموبر شغل الرجاح  
قل يفصاح  
قالوا جميع ياصاح  
انهود فالصدر اساق لمغيون جهازا  
حقين على لختيارا  
ريت حتى صارى قرصان بالظواهر  
فى قدو وقدها احتار

ولم يعجب الحبيبة ان تتسابق هذه الاشياء الى جمالها متخاصمة  
ومتنافسة فشكتها الى الشعاع متهمة اياها بالزور والبهتان السافرين :

وادوات قالت اصغا ياذا الحبر اللبيق  
هاذوا اتخاصموا عن حسنى بجميع  
كلها طمع ابلا تطميع  
من ابها خدى حسن ارفيع  
دايم سطيع  
فهماي اطمع ايريع  
ادعوا ابلفجور  
او قالوا من صورتى اداوا ايمارا  
شوف لامت القرقارا

---

(١) القماش الذى يطلق عليه فى مصر القطيفة .

واش شبهوا في زيني زورهم ظاهر  
لامت لبهوت ابلجهار

وأخذ يبحث القضية ويقارن فوجد قدها ناعما والصاري عودا  
يابسا ، ووجد ريش الظليم قصيرا وضوء القمر والنجم يتوارى ولا يدوم ،  
وكذلك ضوء المنائر ، اما جبينها والغرة فنورهما يسطع في كل وقت  
وحين .

زكيت في ابهاها وابهاهم نلطريق  
واجبرت قدها ناعم والصاري  
يابس اعلى عود باري  
شفت ريش اظليم اصخاري  
ابعيد شاري  
فاسواق لمشاري  
ريش اقصر  
ونظرت الكمر  
اموضحا امع الفرار  
نور زينهم اتواري  
ولجين اغرتها فاقت لمناين  
يسطع بالليل والنهار

ونظر الى الحواجب والعيون فوجد رميها أقوى واشد مما ترمى به  
الاقواس والرماح والسيوف حين تكون في يد الابطال الشجعان ، وكذلك  
نظر الى لون خدها فوجد فاق لون الورده :

وانظرت حاجب العذرا واللحظ الرشيق  
اجبرتهم يخجل منهم حمري  
امن الرما فالوكدا عذري  
بالرماح اسيف اسقطري  
ابسم يسري  
شدو شجيع دهرى

ماكيف دكت العين اجوايحتها على لعشيق ابارا

بالنشأشب البتارا

سلم للوجنا والورد ظل حاير

فى خد اهمامت لبكار

ونظر الى المسك والخمر - مهما تكن صافية فى البلور - فوجدهما من

سلع التجار ، اما خالها وشفاهها وريقها ففاقت كل تجارة :

زكيت بالنظر فالمسك أخمر الرحيق

مهما يكون صافى وسط البلار

صبتهم سلعا للتجار

. . . .

الخال والشفافى أريق عانسى المسرارا

فايتين كل اتجارا

آش جاب البلار أمسك والعواطر

لوصاف اسبيغت الشفار

ونظر الى الصدر والنهد والساق فوجدها أصفى من الذهب والفضة ،

ووجد الرخام صخرا أصم والتفاح فى الشجر عرضة للعب الاطفال ،

والموبر سلعة عند باعة الحرائر ، أما البطن فمنيح فاق كل حرير مشهور :

مكنت فالصدر والنهد ابشوف لحديق

اوساق صبتهم زهوا للنظرا

اصفا من العسجد والنقرا

والرخام اجبرتو صخرا

اصميم حجرا

تفاح فوق شجرا

به الطفال تلعب وموبر فى احوانت الحرارا

بين لامت السمسارا

والبطن فى حسن طيو رفيع ناير

يغلب لحرير مشتهار



ولم يلبث الشاعر بعد هذا البحث المقارن في المزايم المقدمة له (I)  
أن دعا كل اصحابها واتهمهم بالزور والتهجم على حبيبتة ، واخبرهم انهم  
ليسموا غير جوار لها يحق عليهم ان يخلجوا ويكفروا عما صدر عنهم ،  
ونهاهم عن التخاصم اذ يكفيه أنه يسمع مثل تلك المزايم عند الشعراء :

وانطقت قلت لهم سمعوا قول احقيق

نتهاوا كلكم اجمع احشمو

يا صجاب الزور اندموا

لاش عن بوتيت اتهجموا

أكتشتموا

ولوا لا تخاصموا

يكفا الى نسمع من امثلكم كيفها بشطارا

بين لامت الشعرا

ياك لها حسن التقويم سر ظاهر

وانتما تحتها اجوار

وقد يتخرج شاعر كعبد القادر العلوي من تتبع كل اطراف الجسم  
ويكتفى بالتشبيب العف الكريم ، يصف فيه بعض الملامح الظاهرة لا  
يتعدها ، وفي نطاق المعروف من الاوصاف والتشبيهات ، يقول مثلاً في  
البتول وقد شبه قدها براية او شجر كبير :  
امثيل قامت شى رايا قدها العالى \*

او ابلنزا احكيت فالروض المكحول (2)

زليعتنى (3) بشفار امضى من لعوالى \*

والحجين لعطاف والشفير المصقول

طال عشقى واهواى فى ابها اغزالى \*

ذات الحسن ليهيج والزين المكحول

---

(I) يلاحظ ان المدغرى لم يتتبع الادعاءات بدقة وغلبت عليه سجيته  
فاندفع فى الوصف والمقارنة غير ملتزم بها .

(2) المكحول من اكдал فى البربرية بمعنى البستان الكبير .

(3) زلع : لسع .

ومن اللطيف ان نجد المحبوبة تطلب من حبيبها ان يصفها على حد  
ما طلب «المزيان» من العلمى الذى رد بأنه لا حصر لوصافه :  
ليا قال المزيان \* وصف هذا الحسن يالى تهوانى  
قلت يا ذابل لشفار \* توصافك لا يحصار  
واكتفى فى الوصف ببعض الملامح الظاهرة على عادته فبدأ بقوله :  
ته بجمالك عل لقمار \* الشمس اتغير  
الى اتشوف زينك \* ليدر من جبينك  
والبان غار منك

وختم مؤكدا على ضرورة ستر ما عدا ذلك :  
والغير ما اتجيو هدر (I) ولا عليه تبين  
ويواجه العلمى نفس الطلب من مزيان آخر :  
قال المزيان اتصيف لى زينى \*  
امدح امحاسنى كيف ايمدحو ناس لغرام ابدور لحسان  
. . . .

ولكنه يجيب بنفس الرد ويضيف أن الهلال ونجوم الليل شاهدة  
بأنه جميل :  
شيحد (2) اوصافك يالدهينى \*  
لهلال قلت وانجوم الديجور شهدوا بين انت مزيان  
ومثل هذا نجده حتى عند بعض الشعراء الذين لا يتخرجون من  
الكشف عن المرأة ، امثال الحاج ادريس لحنش الذى تطلب منه عائشة  
أن يصف جمالها فيعبر لها عن عجزه :  
قالت لى بوسالفين وصف زينى يا عاشق لمحاسن وانما شى (3)  
قلت لها مانقو انصيف ذاك الزين اعيشا  
اعيشا ما نقدر افلوزان \* انصف ذاك ليها وابديع الزين

---

(I) الهدرا : الكلام

(2) شيحد اصلها أى شىء يحد .

(3) الانماش النقطة تكون فى الوجه ، وهى فى الفصحى النمى بفتح  
النون والميم .

أما شاعر كالفلوس فتطلب منه مارية ان يصفها فيفعل :  
 لكن يا عاشق لبها وصفنى فمناهج اللغا وامواحب لشعار  
 قلت لها يا طلعت لبدر أمر تعمال فيك روجى مسيبيا  
 وكذلك تطلب رشيدة فيلبى طلبها :

قالت يا عاشق لبها وصف زينى افطرز لنشاد  
 ومن براعة بعض الشعراء انهم لا يعرضون اوصاف حبيباتهم في  
 أسلوب مباشر فقط ، وانما يقدمونها لنا كذلك من خلال مقارنة بين حالهم  
 وحالهن ، وقد تكون هذه المقابلة بسيطة على حد ما نرى عند بوعمرى فى  
 « زهرة » حين يقارن بين قلبه المشتعل وقلبها المرتاح ، بين لونه الاصفر  
 الذابل ولونها الباهى الجميل ، بين نومه الطائر من عينيه وبين نومها  
 المغض لعينين شبيهتين بعينى مهرة :

مال قلبى يرمى بشرار \* شاعلا فى قلبى جمر  
 مال قلبك ما جاب اخبار \* واش ما وصلتك هدرا  
 مال لونى باهت مصفار \* امن اضرار اعذاب الهجرا  
 مال لونك باهى مسرار \* يالى ما مثلك كمرا (I)  
 مال نومى من عينى طار \* امن التنهيدا والزفرا  
 مال نومك نيم لشفار \* بشفار اعيون المهرا

وقد تبلغ المقابلة غاية الحبك والاتقان كما عند السدغرى الذى يقدم  
 لنا فى حوار رائع يتبادل فيه الشكوى مع حبيبته ، ومن خلال مقارنة بين  
 حال كل منهما ، وصفا لـ «راحة» على لسانها حيث جعلها تصف نفسها  
 فى ردحا على شكواه . فاذا شكا جمر نار قلبه ذكرت له جمر حدودها ،  
 واذا شكا سواد الليل وطوله ذكرت له شعرها الاسود الطويل ، واذا  
 شكا سيوف الهوى ذكرت له سيوف عينيها ، واذا شكا قلائد دموعه الهطالة،  
 ذكرت له قلائد جيدها ، واذا شكا هموم صدره الظاهرة ذكرت له التفاح  
 الناتى فى صدرها ، واذا شكا نحوله ذكرت نحول خصرها ، واذا شكا ثقل

حمله ذكرت له ثقل وركها ، واذا شكا غرقه في بحر حبها ذكرت له  
سيقانها السابحة كسحك الشابل ، واذا شكا قيود هواه ، ذكرت له  
خلخال رجلها المصياح :

امين اشكيت اجماري قالت لبدر حتى جمرى لاح  
فوق اخدودي لجلاح (I) \* زاد تلحاحي  
نار قلبك واخدودي ما تزول لحلاحا  
الى شكيت اكمال الليل الطويل قالت زين الدواح  
حتى نادون امزاح \* ليلت اشباحي  
من اشعور السالف اكحل اطويل فجباحا  
الى شكيت اسيوف اهوايا اتقول حتى نا عل لكفاح  
عندي سيفين اوقاح \* غايت اسلاحى  
فوق خدى تدمى بهدايها الجراحا  
الى شكيت اقلايد وادموع هاطل بالدمع الكفاح (2)  
قالت راحت لرواح \* صيغ توضاحي  
شوف حتى نا فاللب اقلايدو امراحا  
الى اشكيت اغدايد صدرى الناتك ووقوفى لحلاح  
قالت نهدي تفاح \* لاح وضاحي  
واقف امبند (3) شف اغدايدو الطفاحا

الى شكيت انحولى تشكى انحول ذاك الخصر افلوشاح  
واتقبل يارجاح \* تيه ومزاحي  
دابداك اولا صايب امن اقيومها راحا  
الى شكيت اتقال احمولى اتقول وركى فاق ابترجاح  
عمر لقميص او داح \* افهمت اطراحى  
اخلاكك اوركى من تقل الحمول نضاحا

---

(I) لجلاح : ملتهب .

(2) الكفاح : السائل المنهمر ، ومنه كفح الماء اذا اهرقه .

(3) امبند : بارز ، ولعل أصله في الفصحى من البند بمعنى العلم .

الى اشكيت اغروقى فبحور حبها قالت لى يا صاح  
عندى شابل سباح \* فالبجر ضاحى  
دايم احشاك أساكى فاللجوج سباحا  
الى شكيت اقيود اهوايا اتقول اسمع الخلخالى صاح  
كيف اكيودك صياح \* قال يالاحى  
اسوا لكيودك واسوايا فالنغام صياحا

ومثل هذا نجده عند عبد الرحمن بن الفقيه المراكشى الذى يبدأ  
شكواه لخديجة بقوله :

اشكيت لها من طول اشكايتى اللبدور افداجى

قالت انظر شعرى كحل اطويل وابدور اسريجا  
واذا كان جسم المرأة فى القصائد التى تصف الجمال يبدو مجردا  
عن اى تزيين مضاف ، فان الشاعر الشعبى فى القصائد التى اطلق عليها  
اسم «الحجام» والتى وصف فيها حفلات الوشم ، **زين جسم المحبوبة**  
**بألوان من الصور والرسوم** تمثل حيوانات واسلحة وابطالا وبساتين  
وخياما وهوداج وغيرها مما يوحى بالتعبير عما يكن من عواطف الحب  
وما يحس من آلام الفراق وما يتمنى من سعادة اللقاء ، وكأنه يرمز بوشم  
هذه الاشياء الى مختلف حالات المحب والمحبوب ، فالغزلان للهجر والنفور،  
والخيول والاسلحة لمدى القوة والمقاومة ، والاغراس والورود للحظات  
الوصال ، وهكذا تبدو مخيلة الشاعر ذهبت بعيدا فى تأمل أحوال المحب  
المختلفة .

فهذا ابن على العمرانى يخاطب الحجام ويطلب منه أن يختار للبياض  
الوشم المناسب ، وان يرسم بين حواجبها خمسة الكف لترد نظرات  
انحاسدين ، وعلى خدها خالا كالنون المتصل بنقطة ، وفى صدرها وحوشا  
عظيمة وخيولا ملجمة واغراسا لاشجار الفواكه وطيورا متسرنة وبسطا  
وقصورا من الخزف تكون أبوابها من الرخام تفرش بأرائك الحرير  
والزرابى واسرة النوم ، تضىء ذلك كله شموع يخسف الهلال لضوئها :  
شوف الليياض اونااسب اوشامو \*

بين لحواجب اعمل خمسا تلقى الا ايبارك فيها وايشوف

شوف الورد الوجنات فكمامو \*

وفخدها اعمل خال اوشاما نون متصل بالنقط معروف

. . .

فصدرها دير (I) اوحوش يعظامو \*

لرخاخ ولفيال وعنقات وما اعمر المخلوات ولطروف

. . .

فصدرها دير اخيول قيامو

لولا اللجومات ايطيروا لكن كلها بلجامو ملقوف

. . .

فصدرها دير اغراس تنعامو

لوزات بين شى جوزات وخوخات والنكاص ابنسمات ايروف

دير التفاح ايفوح بنسامو

ولمزح وصفرجل متضلل بينهم ضل الا هو مستقوف

فصدرها دير اطيبار ترنامو

دير العصفور افصيح لكلام

دير البوح الى باح بكتنامو

فصدرها دير ابساط لمرامو \*

من لبديع ابني اقصور امن الرخام رامت له ادفوف (2)

دير افراشات احريير فرسامو

الحواف والزرايى دير اخوامى امعروجا واتسارح واقطوف (3)

دير النمسيات (4) لمنامو

ديما اقليل نوم العاشق من حرما القاه امنامو مختوف

دير اشماع للداج واظلامو

اشمعت ايلا قابله لالهال امن اضياها يضحى محسوف

---

I) دير امر دار اى عمل .

2) الدفوف والدفيج ج : دفة وهى الباب .

3) اللحواف ج لحاف وهى متكآت محشوة بالصوف تعتبر أساس أثاث البيت المغربى ، اما الخوامى فجمع خامية وهى الستارة ، واما التسارح فما يسرح فوق اللحواف ويطلق عليها .

4) الناموسيات : الاسرة .

ومثل هذه نجده عند الشيخ محمد بن موسى في حجائه الذي  
يقول فيه :

أحجام لغزال ولقى لوجيب للا الطام \* فصدرها نيل لوشام

واعمل بين النهود عرص واركمها غايت التركيم

ويوصى ابن على حجام محبوبته بأن يعنى بالآلاته وأدواته من منديل  
مرقوم وطاس مذهب ومشارط أحد من السيوف مصنونة في أغشية رومية  
ومناشف للتجفيف :

معونك يا حجام فقوامو \*

للناس انوصفو فالميات البالغين من لبلاغ موصوف

منديلك من القماش تركامو \*

الزردخان ما يشبه ليه او بنهم من كل امثال اصنوف

طاسك حتى سوام ما سامو \*

من خالص الذهب يا حجام اولاً ايخلصوه (I) اعداك ابمصروف

وامشارط بالخزانات ينقامو \*

وامنبتين بتقات الاكيفو انقات وافرغ من كل اسيوف

واغشاهم رومي صان فرواهو \*

واجفاف لبحر منزولا تحساب من البحر الى مكفوف

دادى يوصى الحجام ان يكون منتبها حتى لا يؤلم الحبيبة :

يا حجام اوشم للزين \* كن عايق فايق فالحين

رطب يدك لا تقصح اغزالي (2) بودواح

أما المدغرى فيغضب لعدم حضور العملية وعدم استشارة الحجام  
له فيما رسم ويدعوه للقاضى ولكن تتدخل المجبوبة وتطلب منه ان  
يسامحه :

وجابك يا حجام لغزال \*

لله باش من موجب اجرحت الباهيا طاهو بوخلخال

(I) ايخلص مضارع خلس الشيء اذا دفع ثمنه .

(2) قصح : ألس .

لو كان كنت حاضر ما تمنع لي \*  
كيف تجرح زهوت نجلى \* يالحجاء وتفلت لي

. . .

هذى اكزاييت الى مثلك يدعى افلمسايل من غير اشوار \*  
اجى بلا اخفا للقاضى مداعين  
قالت الخنار اسمح لو ...  
وارضيت الحجاء بريال من بعد ما اسمحت افيقى ههما اسمعت رغبت  
دابل لشفار

ومثل قصائد الحجاء قصائد الفصادة ، وهى التى تصور الحفلات  
التى كانت تقام لاجراج الدم حيث تجضر الحسان متزينات على حد ما  
يقول امثيرد :

آش را (I) من لا احضر امع اوجوه لريام \*  
يوم حنطو فثياب العز للفصادا  
ريت ذاك الدم الوردى ابشوف لنيام \*  
زنجفور افيلار اصفا من لعقادا  
ويحاول ان يقارن بين جراح الحبيبة وقد قصدت ، والجراح التى  
أحسها الحجاء فى قلبه وهو يفصد :  
اجرح الحجاء وانجرح من غير اجراح \*  
عدت جراحهم فالقلب اجراحو  
هما تجراحهم اهطل ادماء ساح \*  
اهو فالضمير دكات ارماحو  
اما المدغرى فيجعل الحجاء ترتعد يده لرؤية ذراع الحبيبة ويفقد  
وعيه لجمالها :

امين شاف الدرعين اترعد ايدو غاب من زينت الخدادا

لمعلم عاد فشدا \* ما قدر عنهم يتعدا

به فاقوا لعوانس وتهدوا

---

(I) آش را أصلها اى شىء رأى ويقصد بها الاستفهام الانكارى .



له قالت وحدا وحدا \* مهل اعلى ديك الخودا

لا اتشوف العينين الى ايحكودو

ومثل هذه المناسبات تكون فى أيام الربيع ، وتقام فى البساتين ، وتستعد لها الحسان يبرزن فى اجمل الحلى وافخر الثياب ، يقول فضول المرئسى :

اواه يامنين اتجمعوا لريام \* فى ازمان النوار (I) وانواو الفصاذا

لپسموا من الديام(2) انواع الحجان \* فى ارياض امحتفل هزيان  
كيف راحوا ما بين اغصان

حازوا الريام اشمايل الظرافا وحروف الزين \*  
كل اغزال تقطف فالنوار ايسار ويمين

### ثانيا : المحب

يعانى الشاعر من حب هذا الجمال الوانا من الآلام والاضراء لا تنقطع منها شكواه . وقد سبق ان رأينا عند بوعمرى والمدغرى وعبد الرحمن بن الفقيه مقارنات بين حال المحب والمحبوب كشفت عن أسقام الاول وأوصاف الثانى ، ونريد ان نضيف اليها مقابلات أخرى محصورة فى نطاق معاناة المحب وعدم مبالاة المحبوبة على حد ما نجد عند المدغرى فى مقارنة بين سلوها وهنائها فى مراکش واغترابه وانشغال باله ، بين انطلاقها فى سرور دائم والتهابه على الجمر حزينا باكيا سجيئا مريضلا لا يجد طيبيا يعالجه ، بين نومها الطيب الهادى وسهره الدائم فى رعى النجوم ، بين قوتها اللذيذ وفوته المر ، بين زهوها فى صحة ونشاط ، ووهن عظمه ومزاجه :

انت امسليا فالبهجا ونا غريب لوطانى \* مفروق عمن ابغانى

انت مهنى ونا بك اجوارحى تشطنو (3)

انت اعلى اسرورك ونا فوق اللهب مكوانى \* نصلى ابدمعت اعينانى

انت معافى وناقلبي فى اكياد (4) سجنو

---

(I) ازمان النوار كناية عن فصل الربيع .

(2) الديام الثياب واصليها فى الفصحى الاديم .

(3) اتشطنو اجوارحو فهى مشطونة اى مشغولة ومهمومة .

(4) اكياد : قيود .

انت اعلى الزهو والفرجا ونا مريض لكنانى \* ولا اطبيب دوانسى  
انت ازيان حالك ونا حالى ازداد حزنو  
انت افطيب نومك ونا نرعى انجوم ديجانى \* مارام نوم لجفانى  
انت امسكنا ونابك ادواخلى اتسكنو  
انت الذاذ قوتك وناقوتى امرار بهجانى \* حتى اشفاو عديانى  
انت امختترا ونا عظمى ولخلاك وهنو  
ومثل هذا يخاطب به طامو :

مال جفنى ساهر طول البهيم \* مال جفنىك فسروور امقيما  
مال خدى ساقط ورقو اسقيم \* مال خدك ففراح انعيما  
مال حالى ناحل فانى اهميم \* مال حالك فنزايه ديما  
مال كبدي من مجرك حالجيم \* مال كبك كاسى ياريمما  
واذا تركنا مثل هذه المقارنات - وسنعود الى نوع آخر منها بعد قليل -  
نانا نجد الشعراء عبروا مباشرة عما يقاسون من احوال الحب ، فابن سليمان  
يشكو السهر والقلق ونار خدوج وسلطانها الذى سئل عليه الحسام  
فأجس بالفالج يشله :

نارك فالقلب اتروج  
واخيالى ما يخفاك عن امهاجى  
سهران طول داجى  
واعييت (I) مانراجى  
اهواك صاك لى سلطان احريج  
زادنى فالخاطر تهجيج  
سال احسامو للتوديع  
سرت مفلوج من زينها المفلوج (2)  
والشاوى يشكو بدوره من خدوج ان طرفها رماه بسهم سام ، ويطلب  
الناس ان يكلموها لتعالجه :

---

(I) اعبييت اى اعيانى .

(2) مفلوج الاولى من الفالج والثانية من فليج الأسنان .

جمرى من لهوا مسروج (I) \* والحب ياعدو لى ارمى لى وسط لمهاج

حربا مسموما حر سنها وداج

...

قولوا اللا خدوج \* روفى اعلى العشيق المجروح من لغناج

ابقى مسكين اينوح ما ظفر بعلاج

والمكى الصويرى هجم عليه سلطان حب فطومة بطغيان وأبطال زعماء

فتركه نحىلا يبكى ذاته السفيمة وحاله المذموم :

سلطان الحب صاك ببطل ازعام \* ما قصد دونى راد اللطام

وناحلى انحيل ذاتى معدوما

والحب اطفى واتركنى يافوهام \* كانغرد عن طول ايام

لا حالا اتشابه العجالى حالا مدموما

والحب كما عند امتيرد فى «بحر الهوى» اصم وابكم واعمى ، نحيل

مقيم لا دواء لدائه ، يختلط عليه الليل والنهار ويضيق به الفضاء الواسع :

مولاه اخريس اللسان واعمى من بصر الماحو \*

زيزون اطرش ما يلو اسمع (2)

تراه افلوقات افقه ادجاه امن اصبحو \*

تراه ايضيق لوسع

ناحل ساقم ساخف (3) لعضا من تمكين اجراحو \*

ما رامو فالدوايا اربع (4)

وهو كما يصوره عبد السلام الجربى فى «قمر الدارة» فى محنة دائمة

---

(I) مسروج : مشتعل .

(2) هذا تكرار من الشاعر لان الزيزون هو الاخرس وقد ذكره . اما الاطرش وهو الضعيف السمع ، فهو كذلك فى الفصحى اذ الاطرش بفتح الحاء الضم القليل .

(3) ساخف اى مرتخى وهشى عليه .

(4) اربع تحوير لربيع اقتضته القافية ، والمقصود به العشب (للدواء) .

نحيل فان نواح ، دموعه منهمة كالسواقى ونيزان قلبه هائجة ملتهبة ،  
غليل لا يجد علاجاً لجسمه المنهك ، وقد بدا غير قادر على تحمل الحب او  
على مواساة نفسه بغير البكاء ، بل انه لم يجد طبيباً لدائه العضال :

. . .

ونانحيل فانسى

غير نرتى وادموع العين حايقا (I)

من فوق الوجنت ساجقا

نعنى لسواقى

وهيجت نيران اشواقى

اولا اوجدت الداياراقى

اعجز طبى والجسم صار امهيبى

. . .

ونامالى مكدار عل لهوا ياناسى

ولا اعرفت انواسى

بالبكا اجرحت احساسى

لا اطيب ايزى كيتى امخالفا

. . .

ويشبه العلمى حاله المتقلب فى « المزيان » بسفينة تتقاذفها الامواج

وكأنها طائر مكسور الجناح :

مثلى امع لغرام اسفين ما بين موج

موجا تلوحها موجا ترفدها

ولا اقدر رايسها يرصدها

غاديا فالبحر وحدها

اعلى جهدها

مثل الطير الى اجناحو واتى

ولا اشفق من تمراتى (2)

---

(I) حايقة : نازلة . (2) التمرات : المحنة والعذاب .

اما المدغرى فيشبه نفسه فى «البترول» بقمرى سكران فارق طير  
جنسه ، واسير قيده نصرانى لا يمل من الجفاء ، وطفل فطم قبل الاوان  
يفوق نواحه نواح جميع الاطفال :

نحكى قمرى اعلى اسطاحو سكران ايظل حالت الى مضمول  
فارق طير اعليه ما نزل  
ولا شى ميسور فى اكبالو واحل والى اميسرو ليس يطول  
نصرانى فجفاه ما ايميل  
ولا صبي اصغير قبل احليبو مفطوم عن انهود معزول  
تنواحي ما نوحو اطفال

لهذا فان هواء عفيف لو حكاك للحجر لتكلم ودعا له بالشفاء وعذر  
حاله وقدر قصته التى فاقت كل قصة ، او للغراب لشباب واصفر لونه  
وجرت مدامعه وبكت عليه أمة الطير ، او لجبل رضوى لاغمى عليه وذاب  
وغدا بحرا هائج الامواج :

لو عدت اهوايا اعلى الحجر يتكلم وايقول لى الله ايشافى لضرار  
حالك من حال الى اينعذر \* عدات اقصيتك اعلى كل اقصيا  
لو عدت اهوايا اعلى الغراب ايشيب اتبكي اعلى امشيو لامت لطيار  
ويولى فى حالتو صفر \* يرقان المدامعو من الوجد اسخيا  
لو عدت اهوايا على جبل رضوى يسخف ويضحى ايدوب ابصحت لخبار  
ويولى بشكايتى ابجر \* موجو طوفان ما تسلكو بحريا  
ويعتبر بهذا حاله كقيس ويدعو الناس الى رؤية صورة ابن الملوح  
مجسمة فيه :

هذا هو قيس يالى ما شافو أجى اتشوف قيس ابعينك ما صار  
قيس اغبر فى ساير الدهن \* ونا بعد افنانى لهواويا  
ومن لطيف الشكوى ما قدم عبد الرحمن القرى المراكشى متألما من  
النيه والضنا والشغف والهيام حيث اعتبرها ملوكا للعشق استغلت غياب  
حبيبته « زهرة » لتستفر سهاما فى قلبه بعد أن قسمته بالقرعة ديارا

ومنازل ، حيث نصبت الخيام ودقت الطبول وصوتت الرعود فسالت  
جفونه مدرارا :

ملوك العشق اتمكنوا فقلبي جعلوه اقرار

عاد انزل التيه والضنا والشغف الهيام كلها الزم اقرارو

عن لسهام ابقرعت الصنابا قسموه اديار

نصبو لخيام ازامت الطبول ازكلمت ارعود هل جفنى مدرارو

وعظم الامر عليه وسعى الى الطبيب فأشار عليه بعلاج وحيد هو

وصال المحبوبة ، وارسل لها فرقت لحاله وحضرت ، فرفع اليها دعوى

ضد هذه السهام انها جارت عليه وتكتلت ضده :

لك ادعيت التيهان والضنا والشغف الهيام لبلهوا عنى جارو

اتحموا على افغيتك يا زهرت لزهار

ولكن السهام حاولت الدفاع عن نفسها فردت لتكشف عن حالها ،

وهى فى الواقع تتحدث بلسان حال المحب اذ جعلها تنطق بما يحس

وتعبر عما يكن . تقدم السهم الاول فشكا شر سلطان التيه يعظم حين

تغيب ، ورجاها ان تسكن لواعجه وتفك اسره وتعالجه بعطفها من الاسقام:

وابغيتك يازهرا اتشاهدى سلطان التيهان حين يعظم بشرارو

وقت ما غبت كيزيد بعد اللعات اشحار

. . .

وابغيتك يازهرا اتسكنى رعدى واتفكى اجوارحى من تيسارو (I)

واتدونى ابمدت لعطف تنج من لضرار

فأجابته زهرة بان التائه فى حسننها ينبغى أن يساعد ويلين ، والا

يعتبر نفسه متعب الفكر ، وبان طالب العطف والوصال ناج ، وان من شكنا

لنغالب ظهر حقه ، وان العاشق الذى لا يبحث عن دوائه ليس جديرا

بالعشقى :

وادوات ازهور قالت الذى تاه ابحسننى لا يظن فالتعب افكارو

يسعف غرض التيهان كان لاموا حالو يعدار

---

(I) التيسار : الاسر ، وفعله يسر

من طلب العطف انجا اومن اشكا للغالب حقو ايبان واضح تشهارو  
من لا يبحث فدواه ما يلىو فالعشيق افتخار  
وتقدم السهم الثانى يشكو فى كدر وحسرة ما اصابه من الضنا بعد  
أن انقضت لحظات البرور والسرور ، ويأمل ان تعجل له بعلاج ناجع  
ينقطع به السهر ومراقبة الطيف وتكف به الدموع المتهاطلة كالامطار تسقى  
اقحوان الخدود :

زاد السهم الثانى افحسرا \* شاكى امن الضنا متكدر تكدير  
قال ازهررا بعد لمبارا \* واسوايع الزهو وليت افتحسير  
راشف من خمرا اضاك غمرا \* نبغى اتبادرى لى بعلاج اجدير  
وابغيتك يازهررا اتمهلى عن صور الدمع لغزير هامع بمطار  
غرس الكحوان اعلى الخدود واستقاه امن المدرار  
وابغيتك يازهررا اتنولى عطفك الى فاندجا امراقب غرارو  
هاجر لهجوع الطيف صورتك متشخص لبصار  
فأجابته زهرة بأن من واجه ضنا القدر والشعر الاسود وسهام العيون  
وغرة الجبين الساطع فان تقبيل الخد يوافقه علاجاً يريح أعضاء ويزيل  
كدره :

قالت زهررا من صادف الضنا بين القدر اتيت ليل غاسق تعكارو  
واسهمام العين اغرت الجبين الساطع بنسوار  
تقبيل الخد وافقوا ايلا عظم اضمنا طردوا من اصميم اسيارو  
اصيب السراح فى اعضاء يرتاح من التكدار  
وتقدم السهم الثالث شاكى نار الشغاف التى تذيب جسمه شر اذابة،  
ثم لا يلبث بعد احتراقه ان يجد الثلج يحيط به والزمهريز ، ويطلب منها أن  
تعالجه باطفاء جمرة وتبريد جسمه :

والسهم الثالث دون فترا \* زاد اشكا امن الشغف ابقول اجهير  
قال ازهررا نارو الزافرا \* بها ايندوب جسمى تدواب اشيرير  
بعد ايولى فالنار قاترا \* يلقي الثلج حايط به وزمهريز  
وابغيتك يا زهررا اتعالجى من ولى مثل الحديد مهلى فجمارو  
والثلج احذاه (I) ايلا القى من الشغف تبرد اجمارو  
(I) احذاه بجانبه ولعل اصلها فى الفصحى هذا حذوه .

فاجابته زهرة بان من طفى عليه الشغف واسره وجعله يشكو  
الاضرار لا بد واجد علاجه فى خمر الشجر :

قالت لوجيبا امن اطفا عليه الشغف اجعلوا يسير واشكا بضرارو  
لا بد اعلاجو ما يكون فمصالى من لشغار  
وتقدم السهم الرابع فى النهاية فرجاها ان تؤمنه حتى لا يفنك به  
الهيام عقابا له بعد ان شكاه ، وهو غير قادر على مواجهته :  
وابغيتك يازهر ائمانى خوفى من فتكو امنائى افشيت اسرارو  
لا ايعقبنى بعد السكون ونا مالى مقدار

وكان جوابها أن أمرت بنصرة الشاكين :

وادوات المحبوبا او أمرت اسهام الشكيا ابود لعطف يتصارو  
كل سهم انظرتو ابعين لعطف سرا واجهار  
وكانت النتيجة ان اسر امير العطف ملوك العشق وانتصر على ارباب  
أهل الجور ، فلم يعد للتيه والضنا والسقم والهيام اى وجود وزال عن القلب  
همه وكدره :

جاوا ارباب هل الجور عند زهرا طلبوها افلمكار يبقى تكدارو  
فى قلبى حاربهم مير لعطف بوفوق لمزار  
ملوك العشق اضحاوا يسرا \* فسنبسل لعطف يسرهم امزارو  
ما باقى للتيه جرا \* وكذلك الضنا متضمحل اثارو  
والشغف اجنودو افكسرا \* جند لهيام كاشف لعطف عيارو

...

زالت عن قلبى الكسرا (I) \* فبساطمى اضخام فى تسوارو  
ولم يكتف الشاعر الشعبى فى التعبير عن حاله بمقارنته بحال  
محبوبته او عرضه فى نوع من الشكوى وانما لجأ الى لون طريف من  
المقابلة جعله يدخل فى حوار رائع مع بعض الاشياء الاليفة لديه على حد  
ما تجد عند امتيرد فى « الشمعة » التى يقول فى حربتها ، مستفسرا عن  
سبب نواحها :

(I) الكسرا : الغمة :



لله يا شمعا كرى واعلاش د النواح والناس افلفراخ  
وانت اجواهر ادموع ابكاك الاله اعطيتلا  
وعلى حد ما نجد كذلك عند محمد بن الوليد فى شمعته مستفسرا عن  
نفس السبب :

واعلاش يا شمعا تبكى مالك \* عدلى واشيرو اسباب ابكاك  
ونقف قليلا عند شمعة ابن على العمرانى التى يقول فى حربتها :  
لله يا شمعا سلتك ردلى اسؤالى \* واشبك (I) فالليالى تبكى مادالك اشعيل  
فهو يطلب منها أن تخبره بحقيقة أمرها مؤكدا لها أن أمره أعظم وخطر :  
ليا دون اخفا اشكى ابما فدخالك واحكى قصتك نصغى لك  
وناقصتى بها نتعداك

وقبل أن يتركها ترد على سؤاله يفترض أنها تبكى من نار أو سقم أو  
فراق ، ويقارن بينه وبينها مبينا أن نار قلبه فاقت كل نار فى جسمه العليل ،  
وأنه ورث سقمه من قيس بعد أن أفناه سقم حب ليلي ، وأنه مفروق عن حبيبته  
صابر على الفراق . ويتساءل عن سر حالها ما دامت لم تفارق خليلا أو خيلة :  
إذا باكيا من نارك نيران فى ادخالى

عدات كل نار افذاتى واجوارحى اعليلا  
ويذا باكيا بسقامك شوفى اسقام حالى  
من قيس وارثو بعد افناه اسقام حب ليلي  
ويذا باكيا بفراقك مفروق عن اوصالى

واعلى لفراق صابر شيصبرنى اعلى لعقيلا  
ونت امنين جاك احكى لى اللولى والتالى

ما فارقا اخليل ابحالى ما فارقا اخليلا  
وتجيبه بأنها كانت فى الاصل نحلة تصول فى مملكتها محجة لا تخرج  
الا فى أيام الربيع لقطف الزهور ، ولكنها هوجمت فى عقر دارها ، وأخذت  
للمعصرة حيث صفيت ليتخذ شهبها قوتا ودواء ، وليلف شمعا على فتيل  
ويوضع على حسكة (2) ويشعل ليلقى عليها قطراته ودموعه . ولكن الشاعر  
(I). واشبك : أصلها أى شىء بك . (2) الحسكة : الشمعدان

يصبرها بانها ان فارقت مملكتها وبنات جنسها فهي في صحبة قوم آخرين  
أفاضل ، حيث تسهر مع أهل المال والعشاق وفي مجالس العلم وبيوت الله .  
وتضطر الشمعة في الاخير الى الاعتراف بأن ما تقاسيه من نار ليس غير عشر  
ما يحسه ، وأن قصبتها ليست سوى احدى قصص عشقه وهواه :

صبرنى يا حير اللغا بشعارك      ليا ايخبروا بخبارك

يدريه امن ايكون اسوايا واسواك

نارى نحكيا كم لعشور افنارك      واسرارى اتجى لسرارك

قصا امن اقصىص عشقك واهواك

وكما توجه المحب الى الشمعة فكذلك توجه الى الحمام ليبيته شكواه  
مما قاسى من الجفاء ومن هجر المحبوبة لرسمه بعد أن نصبت لها الشباك ،  
كما نصبت لانشى الحمام . ويسأل الرسم فلا يجيب فينسكب دمه لان كل  
حبيب يزوره محبوبة الا هو والحمام فانهما لا ينعمان بهذه الزيارة . يقول ابن  
سليمان مخاطبا حمامه بهذا الكلام :

قرب نحكى لك يا حمام اعلى ما قاسيت بالجفا

كيف اجرى لك هكذا أجرى لى نعتاد الطير ما يزوم الغيرو خوفا

نصبو ليه الشبكات عديانى كانت فيه حالفا

ونابهم كنت ما نبالى مايحصل عندهم لولا صادفوه اصداف

طيرى ما هو طماع غير الوعد الغلاب ما اعفا

خلى رسمى يا حمام كيف اخلات النتا ارسامك بعد التولاف

سمولت المرسوم لا اخبار اعطانى والدمع ساكفا

بالتغراد ايقسم الليالى غير انا يا حمام ونت في ذا التشغاف

راكل احبيب ايجيه محبوبي ويزورو عل لوفاف

واييات افراحا اسليم سالى فاش ايجيه الرقيب لودار الفشواف

وقريب من هذا ما نجده عند ابن على الذى وجد المرسوم خاليا من

المحبوبة فقال :

جيتك يا رسم الباهيات صبتك خالى مهجور

سكانك جابونى انزورهم لله وايسن ساروا

واعطنى لخبار

ومثله الكندوز الذى يقول فى مرسمه :

جيتك يا رسم الباهيات صبتك حاجب لبدور

حجبهم عنى او شوقهم زاد القلبسى نارو

مكوانى صبار

واذا كان ابن سليمان قد قابل بين حاله وحال الحمام فان ابن على أدخل

المرسم فى المقارنة فجعل يبكى على الشمعة يقول :

أنا والمرسم يا حمام ثالثنا فالزهو انت

المرسم يبكى على الشمعاوانت تبكى على التناونا عل لغزال

فقد ألف المرسم الشمعة وطنها لا تغيب ينظر الى ضوءها كلما حضر

المحبيب ، وألف الحمام أنثاه كما ألف المحب حبيبته فى رسم لا يطأه أحد

فبر هذه المجموعة الاليفة وغير القدر المحتوم ، والفراق الذى شئت شملها

وتركها فى جال يبكى له الجماد كما بكى لسرورها الاعداء والعدال :

والفت المرسم يا حمام الشمع تحساب نابتا

وقت ما تارك لغزال اخياها شعال

ونت تننعم كيف تننعم لعقول المحدثا

والفت انتاتك كيف والفت انا لجمال

فى رسم امعظم ما اوطاوا اوطانو خيل لعت اعتا (I)

غيرانا وانت والتنا والشمع ولغزال

والوعد امحكم ولفراق اللى غيرنا امثالنا

كيفى كيفك يا حمام كيف المرسم فالجمال

لنايبكى الصم ولقصا وانبيكو اللى صامتا

كيف ابكاوا اعلى اسرورنا لعدا والعدال

ومع كل ما يعانى المحب من آلام ، فهو لا يتردد فى تقديم الطاعة عبدا

مملوكا لمحبوبته عساها أن تكون راضية عنه . فامتيرد يرى الطاعة أمرا واجبا

فى الغرام فيخاطب فاطمة بمثل هذا القول :

---

(I) خيل لعتا اعتا : لعل المقصود بها العاتية

طاعتك لازم عنى واجبا افلغرام

وابن على يتساءل عما اذا كانت ستقبله زينب مملوكا لها يلزم الباب :

يا ترى تقبلنى مملوك لازم الباب

والمدغرى يتعلق بحرم فاطمة ويرجو ألا ترفضه خادما وعبدًا على الطاعة:

زاوك افحرمك قبلينى اخديم الان طيما اعبيد اعلى الطاعا يا طيما

وهو يشهد الناس أنه غلام أم كلثوم دون ما بيع أو شراء ، لا يرى

فى ذلك أى لوم :

شهدوا باين وديت فختامى أنا اغلام كلثوم دون البيع والشرا مافيهامشى لوم

وهو فى «لعشيق ديما ينقلب» مملوك يخدم ركاب سيده يسير أمامه

ان ركب عارفا بشروط الركب وآدابه :

مملوك سرت نخدم من تحت اركابو سابق كذا مو ايلا اركيب

حافظ فضميرى اشروط الركبا

والعلمي يتمنى لو أن المزيان يبادلّه نفس الحب حتى تتساوى العواطف

ويرتاح من الجفاء مقابل مضاعفة الطاعة والخدمة دون ما تقصير :

لو كان اكما نبغيك تبغينى تنقاد (1) لمحبا تسخر للجانبين سر الصدق الامان

انتيا من لجفا اتنهينى \* ونا انزيد فالخدما والطاعا اولّا اتشاهد منى نقصان

والمزيان بدوره يوصى محبه أن يصبر على جفاء كاسبه وسلطانه وأن

يخضع ويركع بين يديه ويتأدب لجمال صورته فى همه وشان ، وهو بعد

هذا لا يريد مالا أو غنى وانما الطاعة ، وهى فى امكانه :

تصبر لجفاى ايلا اعشقتينى \*

عشاق لبها مكسوب المملوح ابلقهر ولبها سلطان

واخضع بين ايدي واهدينى \* بندق (2) اكبالتى واتأدب لجمال صورتى بالهما والشان

وامتاع الدنيا ليس يغوينى \* لكن طاعتى تملكها يا عاشق لبها بالخير والحسان

والعلمى فى «توكت لالهال» مملوك لا يخرج عن طاعة سيده ويستبشر

لاوامره ونواهيّه ، ويرى ان الغلام لا بد أن يطيع مولاه كما يشاء ويرضى :

مملوك مايلى عن باب الطاعا اخروج

(1) تنقاد : يصبح لها قد واحد أى تتساوى

(2) بندق : طأطأ وركع للسلطان

نرضى المن يكسبني ابهاه  
نستبشر عن أمرونهاه  
ولغلام ايطيع المولاه كيف يرضاه  
ومثل هذا يقوله الحاج ادريس لحنش لام الغيث :  
مانا الا عبد قلت لها وانت يا مولاتى ابشاي (I) ترضاي ارضيت  
بل هو حين يستغيث بها ويطلب منها أن ترحمه بقبلة قبل فوات الاوان  
يؤكد لها أنه عبد موروث:

قولوا الال غيث رنابك. كانستغاث  
روفي اعلى افريد احواك وغيثيه  
يا للى ببهاك اسيتيه  
لاش عل الجمار ارميته  
احميه اقبل بالغالبا قبل ايفوت الفوت  
ياك اتعرفيه الا اعبيد عندك موروث  
ويرى الحاج احمد امر يفق نفسه مكسوبا لزينب بحكم القدر المحتوم  
ولكنه راض بما كتب له :

بالحكم الواجب \* عبدها متملك مكسوب  
راضى مكتابى . شفت العين اجنات كما اكتاب  
أما الفقيه العميرى فخديم لزهيرو صابر على هجرها :  
صابر صابر الحبها اشحال ونى مملوكها اغلام  
وعاد صابر اعلى اهجيرو  
ورغم كل هذا التفانى بظل المحب يعانى من الفراق والهجر والنفور  
والغيب الطويلة ويخبر العلمى عن فراق محبوبه الذى جفاه وتركه فريدا  
بلا عقل ، براوده طيفه وخياله ، فيقول :  
كيف ايواسى اللى افرق محبوبو وابقى ابلا اعقل فى لرسام افريد  
كيف اجفانى احبيب قلبي  
ظل غير صورتو وانعوتو واخيالو

من لاعمرى انظرت زين اقلب دور ابحالو

ويصور لحظة الوداع وقد ذهل وثقل لسانه وارتخى جسمه وانهمرت  
دموعه ولم يقل شيئا لمحجوبه :

ماصبت حين ودعنى ولغى ما نقول

دهلوا اجوارحى واثقل السانى

وارتخاوا اعزوق ابدنى

وهطلوا بالدمع اعيانى

ولكن محجوبه حياه وجلس اليه وجعله يستمتع بقربه قبل أن يودعه  
وبمنحه قبلة الرضى لتركه مسلوب العقل :

أولا اسباني حتى جاني افلون قاني

واحيانى بالسلام واجلس واسطبت (I) اكادو

امين شافنى امسلى نيم شفرو وقال لى ودعتك يا سيدى

قبل بعد لوداع راضى باش املكنتى

اوهاز عقلى وامشى فى حالو

ويستعظم المدغرى فى «الکناوى» يوم الفراق ، وقد تركه أحياءه مكويا  
ينوح فى حالة تدعو الى الرحمة والاشفاق .

معظم ذاك اليوم فاش صدوا ناسى وامشاوا

تركونى نواح فى ارسيم اضميرى كاوى

يحسن عون اللى امشاوا ناسو من بعد اكوا

وهو كالعلمى لا تتركه المحبوبة فى «الفراق» دون أن تسلم عليه ، ولكن  
ليس بقبلة وانما بعناق كاعتناق حرف اللام ألف :

لا اعيد افراق المعشوق يالعشاق بعد ما عنقنى تعناق لام مرشوق

وتطول الغيبة بالعلمى ، فيشتد غرامه ويقوى عزمه ويطول كتمانته حتى

كأنه مسحور سحره راهب رومى يستحيل أن يحن قلبه فهو أقسى من الحديد،

ويتساءل عن هذا السجر أهو طلسم او تعزيز فى الجدول بخط عجمى :

اشتد غرمى واقوى عزمى

---

(I) اسطاب : استمتع ، وأصله استطاب

اعيتت نكمتي

كيف اللي داخلوا سحور اعلى قلب اجواه

والى سحرو ارحيب رومى امحال يحن ليه قلبو اقصى من لحديد

ما نعرف داسحور طلسم او اعزيم ابخط عجمى .

وهو قد اشتاق الى جمال محبوبته ولم يعد قادرا على تحمل الفراق رغم

صبره الشبيه بصبر قيس على غرام ليلى وصبر عنتره على غرام عبلة ، خاصة  
وانها لم تبعث له رسولا أو مكتوبا ، مما حيره وجعله يسأل عنها كل من لقيه :

طالت أسيدى هذا الغيبا

واتوحشت ابها

اولا قدرت للفراق امعا

...

نصير اكما اصبر قلب لعشيق النكيب

قيس لغريم فهوى ليلي

واشواق عنتر من عبلا

...

لاكتب لارسل اقدم من عند الحبيب

اجميع من القيت انسالوا

وانقول احبيبي مالو

ما بان ما ظهر بخيالو

وهكذا يبدو الفراق على حد قول المدغرى مزهقا للنفوس مجفقا للريق

مشيبا للشباب مروعا لسرور العاشقين بخيول جيشه وأعلامه ونباله الممزقة

انفتاكة ورماحه المريقة للدماء :

ريت لفراق اوعدى بالنفوس زهاق ❁ افلحلقم ريق اهل الشوق به مسروق

ريت لفراق ايشيب بالصبا ولشواق ❁ كن عاشق فصبا امن الفراق مخروق

ريت لفراق بسرور العاشقين ملاق ❁ ابلخيول افجيشو واعلام ليه موثوق

ريت لفراق انبل سهمو اسريع مزاق ❁ من اسنون ارماحو دم لعشيق مهروق

فلا عجب والبين بهذا الاثر أن يتخيله ابن سليمان حجابا بينه وبين

حبيبته فى شكل سور رواقى من الحديد عرضه خمسون ميلا ، له باب يسمى

باب الرضى ، لكنه فى الطرف الآخر قد أغلقتة الجبينة :

سور البين ارواكى امن الحديد عرضو خمسين ميل فوتاكو (I)

هذا انظن به اغزالى تضريك (2)

بابو اسميتو باب الرضى من عندو مغلوک

وعلى عادة الشاعر الشعبى الشغوف بالتنشيه والمقارنة والرمز فقد  
تخيل المحبوب الهاجر طائرا نأفرا خصه بقصائد أطلق عليها «الطرشون» ،  
وهو اسم لنوع من الطيور . يقول ابن على العمرانى متحدثا عن طرشونه الذى  
غاب وهو يخاف أن يصطاده أعداؤه فيتشفوا فيه وينتقموا منه :

طرشونى مز لى فالصيادا ماريت ابخالو لله واش ما شفت لى طير غاب لى  
خوفى ايصيدوه اعدايا ويقطعو احبالو يقدوا فيه ثار المغلوب الا ايقدل  
ويقول ابن على المسفيوى عن طرشونه الذى غدر به وجفاه فانهكه فراقه ،  
وهو يطلب من الله أن يجمع به الشمل ويحقق الامة :

طرشونى غاب ياهلى واغدرنى واجفانى وافراكو رشانى

نسعى لكريم به يجمع شملى وامنايا

والمحب لا يعانى من الهجر والنفور فقط ، وانما يعانى كذلك من اللائم .  
ونجد المدغرى يعذر لائمه لانه لم يذق من كؤوس شراب الحب ولم يجرب  
انهوى وأهواله وكياته وآلام الفراق والهجران :

لو ذقت يا لايم كيسان اشراى تعذر من روحى الشاربى

واتجرب لهوا وجمر اشراى

واتشوف كيتى وهجرتى واشغابى واجنود الهجرا الشاغبا

وامحاور لهوا او حر اشغابو

ونجد العلمى مثله يلتمس العذر للائمه الذى سلم من الجراح والظعن

واللسع ، فيقول له :

سر أمن لام

ذاتك من لجراح سالما

(I) اى فى وثاقه ، والمقصود الاساس

(2) تضريك : تستر .



ما طعنوك اشغار نايمًا

ما بهضوك اتيام

مالسك امن الصدى شى ارقيم

ويقول للائم آخر ينهاء عن اللوم حتى لا يبتلى ، ويؤكد له انه لو ضمن

سلامته من الهوى لما مل من سماع لومه أبدا :

كف للام

دعنى يالايم

حالى بلام يكفاك مشتغل

سلم يامن لام لا اتبلا

لو اعرفت لهوى بلامك يتراك

ما نقنط بلام

ما نمل من قولك هيهات ما نتخلى

ومن عجيب أن احمد ابجوات استطاع ان يؤثر على اللائم ويجعل قلبه يرق ويذهب رسولا الى فاطمة . فهو بعد أن نهاء عن اللوم وحذره من الوقوع فى الحب ، طلب منه أن يسأل ويجول ويستفسر عن الباب الذى يمكنه أن يدخل منه دون خوف . فاذا كان يريد أن ينظر فليتنظر الى حال جسمه العليل ينبئه بالخبر اليقين ، واذا كان شجاعا من الابطال فليقف الى جانبه ليحميه ، واذا كان حكيما منجما فليسلب له عقل محبوبته مقابل ان يهديه نفسه ، واذا كان يواليتها فليذهب اليها ليلومها وينهاها . كما جاء يلومه وينهاها حتى تجود له بالوصال ، وسيقيم له اذ ذاك ليلة زهو وسرور مقابل ما قدم له من مساعدة . فلم يلبث اللائم أن أخذ فى البكاء وذهب الى فاطمة يحمل لها رسالة الحبيب :

ألايم لا تلوم سلم

واعذر ناس لغرام

ليديك الله أتزطم

بالنعل افلمقام

من لا يوزن ولا يخمم

محسوب من لغشام  
والناس احوال  
والحال امن اهلو ماتحول  
نبغيك اتسال  
واتسقى (I) بعد ما تسول  
وتجول اشحال  
وتعرف الباب امناش تدخل  
ياك العقل نور من صنعت العالى  
سر به الحكماء حاكما  
القلب ايشوف والنظرا للعين السرديا  
ويلا كنت اتشوف شوف اخيالى  
شوف من حال الدات الساكما  
لعللا ايخبروك بالكتم فالسريا  
.....  
ويلا كنت اشجيع من لبطالى  
.....  
أجى فكتنافى اوكون لى فانتحزار احميا  
ويلا كنت احكيم  
نزل اشكال اسرار العاظما  
واسلب ليا عقيلها ونالك اهديا  
ويلا كنت اعلى لمليح اموالى  
سير بعدا لوم اعلى فاطما  
وانهيها كيف جيت اتنهينى وارغب فيا  
مضر اتجود لى بوصالى  
الى اتجنى بالزورا عازما  
نفرح بمجيك وانقيم ليلا زهويا  
شفيت لايمى وابكى من حالى  
.....

وارجع حتى ادى امعاه ابرا (2) بخط ايديا

(I) تستفسر ، واصلها فى الفصحى تستقصى . (2) البرا : الرسالة .

والمشاعر الشعبى لا يكتفى بالشكوى مما يعانيه وانما يحاول أن ينفذ  
الى قلب حبيبته والوصول اليها بشتى الوسائل ؛ يحاول بالرجاء والاستعطاف  
على حد ما نجد عند العلمى الذى يلتمس من محبوبه أن يحن ويشفق ويعفو  
عنه وينبهه وينهاه ويطلق سراحه ويفديه ويؤوره ، وهو مستعد لقبول كل  
الشروط :

قابل اشروطك حن واشفق واعطف لى اهوأك زورو ويزورك  
نبهو وانهيہ اينهيك سمرح مسجونك يالجافى وانعم لى ابلفكأك  
وافدى ميسورك لى حالو محسوب اعليك واعلى مغلوبك جد واصفح  
وعلى حد ما يسمعنا الطيب الواسترى الذى ضيع اوقاته (I) وافنى ذاته طمعا  
فى رضى المحبوب وتفانيا فى حبه :

ضيعت فيك اوقاتى \* وافنيت فيك وارشييت  
واعييت ما نطمع ذاتى \* برضاك يا من اهويت  
رفا ياضيا مقلتى \* رنا ابجك افنيت  
وهو لا يطمع الا فى أن يتذكره ويزوره :  
أنا افعارك أسلطانى توفى ازيارتى واتفكدنى يا عنايتى  
يامن طاعوا لىك بالقبرا نبات

وابن على المسفيوى كذلك لا يطمع من محبوبه فى غير الزيارة :  
ياهلل الزين المهيوب يا محجوب جدلى بقدامك ياضيا اهدابى  
والمدغرى يطلب من الله أن يجمع بينه وبين حبيبته فى اعتناق على النهد  
جميل :

المولى لاقى لاقى \* اقريب لاقى  
لاقى لاقى \* انعابود عناقى  
اعلى النهد مازين التعناق

والكندوز لا يرجو من جميل الخال الا أن يزوره ويصله بعد ان عذبه بتيهه :  
أيا سابغ لنجال \* عذبتنى بالتيه يا شمالى  
زر رسمى يازين الخال \* كم لى نرجو لوصال  
I لعله يقصد اوقات الصلاة كناية عن الدين

أما سيدي العربي مول الغربية فهو يزجو من أمير الهوى بعد ان ملك  
عقله وشوى كبده ان وجود على أغصانه بغيث يروى غرسه ونباته :

يامالك عقلى بك لكباد تمشواوا      جد باعطارك لغصانى انبات راوى  
وقد ترق المحبوبة وترد ولو باعتذار كما فعلت مريا التى زادها الفلوس  
نارا بشكواه ، فخافت عليه أن يذوب من كثرة السهر ، ولكنها أكدت له ما يعرف  
من أنها تحت حكم أهلها ، وأنهم لا يرضون العار ، وأن المحكوم لا بد وان  
يخضع لقدره :

وادوات اغزالي اهلل عيى قالت لى يا عشيق حسنى زدتنى نار  
خوفى غير اتذوب بالسهر      ذات العشاق دايبا بالو لفا

...

قالت لى يا عاشق لبها تدرينى تحت لجكام واهلى ما ترضى عار  
والمحكوم ايصرف لقسدر      هذا عذرى احكتلك دون اخفا  
وسألها عن الحل فى هذا الوضع فدعته الى الصبر لما فيه من حكمة خفية ،  
فما كان منه الا أن قبل الارض ورجاها ألا تحرمه من رؤيتها ، وأخبرها انه  
سيلازم الابواب صباحا وعشية :

قلت لها يا رايت لملك كيف المعمول فدنى يدامى (I) لوكار

قالت لى مصقولت الصندر      الصبر املح فيه حكما سزيا

طحت وبست الارض قلت لها ما عندى ما انقول يا من حزت توقار

لا تحرم جفنى امن النظر      هانا عند لبواب صباحا واعشيا

وقد لا تلتفت المحبوبة فيلجأ الى بعض القتاب كما فعل امتيرد وهو يصارح  
طامو بأن الافاضل يستحون من العيب وانها لم تستح ولم تكافىء ولم تكرم  
ولم تجاز ولم توف أو تواف ، ويحذرهما فتنة الجور ونهاية الظلم ويذكرها بفناء  
الدنيا وأهلها وبرحمة الله التى تشمل الجميع ويدعوها الى أن تغتنم شبابها  
وتزوره قبل فوات الاوان :

والعيب يا بدع الصورا به لفضال تحشم

وانت ما احشمت

ما كافيتى

ماكرمتى

---

(I) الدامى : الغزال

ماجازتى  
ماوافتى  
ما اوفتى  
الجورفتنا  
والظلم انهايتو الضمنا  
نهجو نهج اظليم  
والدنيا كيف اترايها ابهلها راحل وامقيم  
غنمى صغرك ربى ارحيم رحمان  
فضلمو اكثر  
وارحمتمو منشورا لعل اعبادو  
بها اجميع يرحامو  
زورى احبيب قلبك والمولى يالريم غفار  
ومثل هذا يقوله العلمى لمحبوبه يطلب منه أن يرحمه بعد ان اهلكه ،  
ويلبى طلبه لكى يجزيه الله ما دامت نجومه مضيئة وهلاله ساطعا بين الافلاك  
قبل أن تحجبه غيوم الزمان وتطفىء نوره :  
وارحم بعد لهلاك  
واطلق مطوبك  
تاجر لكريم ايكفيك  
ما حد انجومك ضاويا واهلاك بين نفاك  
من قبل اغيومك  
اينطف ضو ويخليك  
وبأعنف من هذه اللهجة يؤنب امتيرد فاطمة(I) فى عتاب ممزوج بوعظ فيأخذ  
عيناها أنها تنكرت له بعد عشرة طويلة حسنة ويكشف لها عن عيبها وقد تجلى  
أثره فى سقام جسمه، ويلفت نظرها الى أن أهل الحياء لا يصدر منهم عيب مهما  
طال بهم الحال ، وأن الجميل يساعد لتساعده الايام وأن القبيح يصادف  
نتائج أفعاله :  
I يطلق الاشياخ على قصيدة فاطمة هذه : «اتراى فاطمة»  
اى تربيتها .

بعد حسن العشر اوكمال طيب لمرام زام رعدك واهطل بفراثنو اسكيبو  
بان عيبك واغشاني فالجوارح اسقام وناس لجيا لوطال الجال ما ايعيبو  
لمليح امساعد وامساعداه ليام ولقبيح افعالو وامصايبو اتصيبو  
ولا يكتفى بهذا بل يزيد فى وعظها عساها ترق وتلين ، ويحاول ان  
يفهمها ان لكل شىء نهاية مهما علا وعظم ، وانها لو كانت قصرا ضخما على  
الحيطان لانهدمت اسواره ، ويدعوها الى أن تستيقظ من سهوها وتيهها  
وتنظر فى حال من سبقوها لتعرف انها منتهية مثلهم :

كان كنت اقصر اتعلى او حاز تضخام لو اعلات الحيطان اسوارها ايريبو (I)  
كان اسهيتى اتيقظى من حال اسهوك ويلا تهتئ التيه اتعريك ايامو  
نظري بملامح لبصار الى سبوقوك اكما فرغوا يفرغ سوقك وازحامو  
ويختم تأنيبه بمصارحتها بانها ان رفعت قدرها صغر ، وان الازب  
يدل على النسب الطيب ، وبان شمسها مهما اشرقت فان الليل لا محالة  
حاجبها ، وبان عمرها مهما طال لا بد وان شيب الكبر يصيبها ، وبانها  
مهما حكمت واستبدت فى الحكم فان ساعة الظلم لا تدوم وصاحب الظلم فان:  
ايلا اترفعى قدرك يصغار لاداب ايدل اعلى اكمال طيب النسا  
لواشرقت ولاحت فالجوشمسك اعلام لاغنى الليل اينادى خلفها احجيبو  
لو اتعيشى ما عاشو فالزمان لهرام لا غنى من لكبر ياتيكم جند شيبو  
ولو احكمت واتحكمت يفرغ لحكام سماعت انظلم اتفوت وناسها ايغيبو  
وهو لا يجاول ان يعتذر عن هذا العتاب وانما يلج عليه تانيها لها لو  
عقلته ، ويطلب منها أن تتخلى عن الصمد والجفاء وتنظر اليه وان تصون  
عرضها وتكتم عيبها وان تفى بالقول الصادق . ولا يترك خطابها الا ليؤكد  
لها عتابه وانه سيعود اليه :

حدثك لحديث للعاقل تنبيه تركى صد الجفنا اوصول فوصالى  
عرضك صوانيه وعيبك الناقص كتميه ما احلى من فا بالصدق والقول الوافى  
حافيتك بلحفا او ما زال انحافى (2)

(I) ايريب مضارع راب اى انهدم (2) الحفا : العتاب وفعله حافى .

وقد يلجأ المحب في محاولاته الى ارسال مبعوث يخبر المحبوبة بحاله وبناتيه بها ، وقد اطلق الشعراء اسم «المرسول» على القصائد التي تحكى ذلك. ومن اروعها مرسول الحاج احمد الغرابي الذي بعثه من مراكش الى فاس بعد ان أخذ منه العهد انه سيحضر له محبوبته ، ولكنه عاد بمفرده ولم يحقق الغاية من سفره ، فاسقط في يد المحب وتاه عن عقله وانهمرت دموعه ، وسأل المرسول اول ما ساله عن المحبوبة التي وعده باحضارها ضدا في العواذل ومقابل مكافأة سخية ، تلك المحبوبة التي اشتاق الى خيالها وفارق من أجلها احبابه ووطنه ومنزله وعشيرته :

ليه ارسلت ارسول اعلى او عس يبلغ قصدي امناه وايتوك اهلallo  
وايسلني بعد لفراك كيف اتسلت ازمان  
قاولني مرسولي ايحضر و امسكت العهد نوثيق واحصرت امقالو  
من البهجا لمدنت نحضر صفتو (I) عجلان  
امشي وارجع بعد حين وانويت جابو كيف قال وفا فقوالو  
وانصيب ولى افريد واعلاش امشي معا بان  
مهما سلمت اعليه طاش عقلي واخرجت عل لحوال وادموعى سالوا  
اول فكلامى قلت له واين دابل لعيان

. . .

ياك امرسولى قلت ما تولى حتى ياتي امعاك ضد افعدالو  
ونا نسخي ببشارتى (2) انهاز اتجى بالمزيان  
امرسولى واين لجبيب وين (3) الذى اشتكت اخيالو  
وافرقت احبابى ولوطان ورسمى والعشيران  
وما زال يلح على المرسول ان يخبره بحال المحبوبة وسيرتها وهل هى  
سالية او مثله مهمومة شاكية ، باكية منكدة ، حتى أنباء - بعد ان مهد له بان

---

(I) صافت وصيغت : ارسل .

(2) البشارة فى الفصحى التبشير ، وهى هنا المكافأة التى تمنح للمبشر .

(3) واين بمعنى اين ومثلها وين .

لا غنى عن الصبر لكى يهون الصعب — ان اعداءه حاموا حول محبوبته  
وانهم لا شك حرزوها ومنعوها عنه ، ولكنها تشكو افتقاده ناحية حزينة  
بالليل والنهار ، فقد استطاع المرسول أن يصل الى دارها ويبلغها كتاب  
حبيبها الذى عظم فى عينها ، فقبلته وقراته بكثير من التحقيق ودعمها يسيل .  
فكان جوابها أنه من المستحيل أن تنساء ما دام لم ينسها وانها تشفق عليه  
من المحن التى لا قبل له بها وان القدر هو الذى فرق بينهما وان لكل قدر  
كتابا واجلا وان ايام الهجر لا محالة منقلبة الى سلو وسرور ، وهى تريد منه  
ان يمهله حتى تصادف غفلة الحسود او تضلله فتلحق به ليغنى ساعة زهو  
يرتشفان فيها الكؤوس ، وتؤكد له ان ذاتها وبهاء حسنها وصورتها  
وجمالها وروحها وكل جوارحها ملك له وانها ان تخلت عنه تكن خائنة :

امرسولى لله فدنى واخبرنى عن سيرتو اوحانو واحوالو

سالى ولا كيفى اهميم شاكى باكى نكدان

قال المرسول اعاشق الزين . اصبر لا غنى والصعب يهوان  
محبوبك دارت به اليدين لا ريب حرزوه اعليك العديان  
لكن من فقدك ناحب احزين نواح فالضيا وعكاب (I) الديجان  
محبوبك اوصلت المنزلو بكتابك وارفع ملتقاه ابتقبالو

واقراء اوحق اشواهدو اودمع انجالو هتتان

قال احببى محال ينترك من بالى ونا ما اتركنى من بالو

حاشا حتى نرضى انمجنو ما يستهل لمحان

غير الوعد افرقنا وهكذا قدر مولانا او كل وعد بمجانو

وايام الهجر لا غنى اتعود اسرور وسلوان

قلو ايمهل عنى حتى انصيب نغفل لحسود او منى ينضالو

وانجيو انغنم ساعت الزهو برشيف الكيسان

ذاتي وابها حسنى اوصورتى واجمالى والروح ولعضا مكسوب لو

الى دزت ما دمت افلحيا يحسبنى خوان

ولكن المحب يرد على المرسول بانه يخاف ان تطول مدة الهجر التى

---

(I) عكاب : اى عقب .



تعد ساعتها في حسابه يوما واليوم زمانا :

جاوبت ارسولى قلت له خفت ايام الهجر اعلى اخبيرى يطوالو

عنى ساع فى عوض يوم واليوم فى عوض ازمان

كذلك قد يلجأ المحب الى القضاء عساه ينصفه من جور المحبوبة ،

وقد اطلق الشعراء على هذا اللون من انقصائد اسم «القاضى» :

وقد ذهب امتيرد الى القاضى ليفصل بينه وبين حبيبته بعد أن غابت

عنه وهجرته وتنكرت له ، وهو من حبها مروع مسحور ، ويرجوه ان ينظر

فى حاله ويطرد عنه الاكدار :

وهو ياودى جيتك يالقاضى تفرقنا ابلفصال

الى الحق فىا قبضو منى \* مال ولفى تاهت عنى

القاضى يحسن عونى \* ما افطنى ولفى اتغيب عنى

من حبها ادهانى \* سحر ادهانى

...

اهجرتنى ميلافى اخيلتى صالت عل لبدور نكرتنى ياحسرا

شوف من حالى يالفقه طرد اغيارى

ويتوجه القاضى الى المحبوبة يطلب منها أن تجيب فتزد بان المدعى لا

يسعى لغير العار ، وانها لم تكترث لامره لانه قابلها عند باب دارها يوم

كانت خارجة للزيارة ، ونظر اليها وطلب منها أن تصاحبه فى فسحة

فرفضت ، وهو اليوم بدون حياء يقاضيه بعد أن زور فى الشهادة ، وهى

تؤكد أنه مجنون وأنه لم ينظر بعينه الى جمالها ولم يظفر منزله بها ولا

اشتعل شمعها من اجلها ، وما تظنه الا يقصد المزاح :

قالت اسيدى هذا جا ايحارب العارى \* ونا يالقاضى ما جبت اخبار

غير اجبرنى فى باب دارنا يوم اخرجت انزور (I) \* وارمقنى بالنظرا

قال ياديك الهيفا ارواح تتسارى \* ونا ما ابغيت انتبعو للدار

وادعانى يالفقى ابلا احيا دار اشهود الزور . \* اشنهو دا الحكرا (2)

...

---

(I) المقصود بالزيارة زيارة المقابر واضرحة الاولياء والصالحين .

(2) الحكرة : الاحتقار .

وهو ياسيدي قالت بالقاضي هذا به لهيبال \* عمرو ما نظر زيني بالمأحو  
اولا ظفر بي مركاحو (2) \* اولاً شعل عني مصباحو  
الحب لاحو مهما اضوا امراحو \*

عنوا ابغى امزاحي \* ما هو ساحي  
وغضب القاضي لهذا الرد ، ورمى المدعى بالغدر كأنه يريد ايداءه ،  
وطلب منه أن يفارقها وان يترك الفجور والا يفوه بأى كلام :  
دار لفتيه ابغيظ رايد اشراى  
وانطق قال لى ياذاك الغدار  
فارق عنك مكمولت لبها لا تدعى بفجور  
ما نقبل لك هدرا

وحاول أن يعرب عن حقيقة حبه فطلب منه القاضي أن يحضر الشهود،  
ولكنه رد بالأشهود له غير الخليفة وطائر الحسانى وكؤوس المسطار وبعض  
انواع الخمر ، ولكن له ما يثبت به دعواه وهو الوشم الذى رسمته بين  
نهديهما ، ويمثل طيوراً احرا ولبوا وقصوراً ومنازه ، وطلب من  
القاضي ان ينظر بعينه حتى يتأكد :

كلت لو ما حضرو حتى اشهود فوكارى  
الا اخليلى وكؤوس المسطار (2)  
والحسانى والكاس كيظل عكب الديقور  
وانواع من الخمر  
وهو ياودى واسمع بالقاضى وانظر زين لغزال زكى املا محك  
فبيدع اصدرها  
فيه دارت ما يعجبها  
اكما ابغت اعلى خاطرها  
تاج لبها  
سبحان امن اخلقها

---

١) المركاح : المنزل .

٢) المسطار كما فى الفصحى نوع من الشراب حامض ولعله لم يقصد  
به غير الخمر رغم انه ذكرها .

فحروفيها انزاهها ما ننساهاها ايمرتها

نورها صيغ ياقارى

بين النهود نزلت اطيور احراز

واعملت الليث امع البيتو وامنازه واقصور

وانظر زين العفرا

واراد القاضى أن يتأكد من هذه الامارات فرفضت المدعى عليها لافتة نظره الى أن كشف العورة حرام فى المذهب وان ما يقوله لم يرد فى الكتب :

قالت اغزالي للقاضى انبين اعوارى

هذا حرام فالمذهب ما يذكر

شين قلت محذوف يافقيه ما جابوه اسطور

واغتاض القاضى ، ولكن المدعى طلب منه أن يحكم بالمشهور ، ونظر القاضى الى وشمها فتاه عن عقله وغدا خصما للعاشق واعتبره ظالما . ولكن المدعى حاول ان ينبه ضمير القاضى وان يخوفه الله :  
قلت لو خاف امن المولى واشف لضرار

انا اعشيق كيف اجرى لى نهجسار

فعاد للقاضى وعيه وحكم له بان طلب من المحبوبة ان تسامحه وتترك هجره .

واذا كان كذلك حكم قاضى امتيرد فان قاضى المدغرى حكم له حيث طلب من المدعى عليها ان تغفو وتصفح ، وخوفها ان شعور بنفس الاحساس اذا ما حضرت مجلس الحسان ، وكأنه اراد ان يحرك غيرتها ، وكذلك فعل اذ امر خدامه ان يقودوهما للدار :

قال لفقيه سامح يادلها الواضح

خوفي اتذوق ما ذاق الى شفت اريام تتمايح فمكاني

قال لفقيه فالحين الخدامو اقوام

زيدو ابدوك قدامى للمركاح

ليه سرنا من غير اشحاح

والدمع عن خدى سياح  
بالرجاح  
ونا انجى ابلقصوح  
سرنا اجميع دون اوقيح  
لبساط، شارق افتوضيح  
شل انصيف بالتصحيح  
سبخنا اعلى ابطاحو  
واريام فيه صاحوا  
بنغام رايقا تشرح من قلبو اظلام وافجا هول احزاني  
شاف الشرود (I) عند القاضى حر الخيام  
وادهاه فى ادهانو كيف ادهانى  
اتوازن اهوانو واهوانى  
اوافق هجره هجرانى  
اوقال هانى  
نكويت ليس هانى  
والى اكواوا بالنيزان  
واعذاب ليعت التيهان  
ما ضرهم شين كان  
امين شفتو رانى  
اعطفت عل العانى  
عاد لخصام صلح اطلعت بدر التمام واختمت العنوانى  
أما قاضى مولاي على البغدادى فبكى من شدة التأثر لحال المحب حتى  
أغمى عليه :  
لفقى ابكى بدموع لنيام  
من حر لهو الهيام  
حتى اغشى اعليه الجال وغاب لعشيق عن قصد امرامو  

---

I) الشرود : المغزال .

ولاحد اشياخ مراکش - لم نهتد الى اسمه - قصيدة فى خصنام بين  
شابة وزوجها العجوز رفع أمرهما الى القاضى فمالت نفسه للزوجة وحكم  
بطلاقها ، ولكن الزوج استنجد بالامير فرد له زوجته ، وهى القصيدة التى  
يقول فى حربتها :

اشهدت انيوم اعجوبا

شايب ظل امع شابا فمعاير واخصام

كان اتسالو يا حاضرين

واذا ما فشلت هذه المحاولات فان **المحب يلجأ الى الحيل** يسعى بها  
للوصول .

ومن الحيل ان يقصد الفقهاء والمنجمين ويتخذ الحروز والتمايم  
والتعاوين على حد ما فعل الشيخ الجيلالى حين عجز عن الوصول الى طامو ،  
فانه لجأ الى طالب من اولئك الذين يسطرون الجداول حاذق للفلسفة والحكمة  
وعلم التنجيم ، فاخبره بعد أن تعمق فى سر بحور علمه ان حظه من حظ  
محبوبته ، وان نجمه ظهر فى برج من ابراج النصر تلوح اضواءه :

ناديت قلت فاجى كرى يامن ايرى او يعلم

بلى اهويت ساعدنى بانوارو

شوف مالو واش اغيارو

كان يعطى حد اخبارو

القيت طالب خطاط افلافسى انعرفو مدوب احكيم

شرح معنى فى كل فن قارى علم التنجيم

غرق سرو فبحور سر وعلان

وانطق قال لى محبوبك سعدك امن اسعادو

نجمك تاك فقوامو

فى برج امن ابراج النصر يرمى اضياه سيار

وكشف له الفقيه عن سر هجر محبوبته وانها تخشى من الرقيب  
لكنها قادمة بعد الصدود ، واعطاه حرزا طلب منه أن يعلقه ويحجبه  
ويصونه ، وسوف لا يلبث اثره ان يظهر بمجيء الحبيبة ، مؤكدا ان للاسماء

سرا عظيما :

لفقيه قال لى محبوبك بعد الصدود يقدم  
هو احبيب وانت له احبيبو  
لكن ايخاف امن ارقيبو  
ها حرز التجليبو  
علقو تنظر لو بزهان  
الاسما لها سر اعظيم  
حجبو واحضيه اعلى الدوام  
تنج من كل ارجيم

وسرعان ما ظهرت نتيجة الحرز فجاءت الحبيبة تطرق الباب وتم  
الوصول .

كذلك لجأ ابن على المسفيوى الى مثل هذا الفقيه حين فاب عنه  
الطرشون وظل يبحث عنه دون جدوى فى كل احياء مراکش ، ولكنه لم  
يلبث ان سمع هاتفا يناديه ان اذهب الى باب دكالة عند الفسقية فستقضى  
حاجتك . واسرع الى المكان فى غاية الشوق والظما وشرب من ماء الفسقية  
وزار ضريح الولي سيدي لحسن ونام فى مقامه ، لكنه لم يحس الا ورجل  
يوقظه يبدو عليه من الاعيان ، فقيه نجيب شيخ منجم ماهر داهية ، فاخذه  
المحب الى بيته حيث استنحضر النجوم واستفسره عن حاله . ولم يلبث  
أن ظهر سره عجيبا اذ سطر جدولا بالهندية وعزم عليه بالسريانية ، وما  
أن انتهى منه حتى حضر الخديم (I) فاوصاه ، وغاب ليعود فى الحين  
وخلقه الطرشون ، فما كان من المحب الا ان دفع المقابل بان اقام حفلة  
فى غسق الليل دارت فيها الكؤوس وعزفت الموسيقى :

اسمعت السان حالى جاوبني يابنسانى \* بعد ما ندانى  
الحاجاشور باب دكال فالسقايا  
سرت ابشوقى الشورها او قلبى ظماني \* القوس الفوقانى  
اشربت والقيت حاجتى مقضيا فالغايا  
زرت الولي الشاهر السر افكل اوانى \* اشفا ضر احزانى  
سيدي لحسن هبتى والى من لوليا

(I) المقصود به الخديم الجنى .

فمقامو نمت ما فقهت اصاح من جاني \* يقظني نوم اجفاني

اجلست واقريت ما كتب امن الحب اقرايا

سلم اعليا ارجول مارات قط اعياني \* ظاهر من العياني

شير (I) عني او قال زيد اللهيا

افقيه انجيب شيخ ناجم ماهر دهقاني \* ضايفت فمكاني

حضر لنجوم تم والقلب امعاء ادوايا

اشكيت اعليه قصتي بعد ماسقمانى \* ورانى كتمانى

واظهر سمرو اعجيب وانعم لى بغداديا

اكتب جدول عمره بالهند ملائى \* عزم بالسريانى

حتى جاء لخديم وصاه اكل اوصايا

غاب ولى اسديع فالحين ابلا جنحاني \* فخلافو سلطاني

طرشونى عز مرسى تربيت لودايا

واعلى وجب لبشارا حضرت اوانى \* فاغسيق الديجاني

فبساط ارفع امحتفل والسطعا والمايا

ونجد العلمى حين طالت غيبة محبوبة يقصد الى ضرب الفال

وقراءة (2) الخط لبشمر بانه سيلقاه بعد سبعة ايام :

بعد ان طرحت اشكائو

واضربت سورت الفال

الخط قال لبشارا ليك اقريب

محبوبك تلقاه بعد سبع ايام اترجاه

ومن الحيل ان يتنكر المحب فى صفة شخص يطلب الضيافة على حد

ما فعل امتيرد فى « ضيف الله » حيث طرق باب دار المحبوبة فى الليل

فنهضت من نومها وفتحت له ورحبت به واكرمته على أنه ضيف الله ،

ولكنها لم تلبث ان كشفت امره فعاتبته — مداعبة — انه كذب وانه ايقظها من

نومها دون اشفاق ، وظلّت منه أن يسألها لتبادل السؤال مستغربة من

امكانه التخفى عن عيون الاعداء والعواذل الذين وقفوا له بالمرصاد ، ودعته

(I) شير : اشار . (2) يبدو انه فعل ذلك بنفسه .

الى الصفراء وخمر الشجر بعد ن اكد لها انه لا وقت للنوم فى هذه الليلة  
الهادئة الصافية التى تعادل ليلالى بما فيها من متعة ونعيم :

انت هو الضيف ما شفق حالى لكذوب اغدينا احرام  
قالت لى سالتنى انفيذك بسؤالى من بعد ستمويت لمنام  
واخفيت اذلى اعيون لعدا وانكالى لحظمرك شمدو احزام  
هات الصفرا وزيد غدر فمصالى قلت لهما ما بقى امنام  
ليلا فى ليلها المنعوم اليالى لا ربح اييب لا اغيام  
اما احمد بن الحاج فبعد ان قضى ضيفا على محبوبته عشية مكتملة  
المتعة ليس لها مثيل نادته للوداع ولتجهيز ركابه حتى لا يشعر اهلهما  
بشيء ، فقد آن وقت الرواح ، والمسافر عابر لا امل له فى المقام .  
وافترقا فى عبرات منسكبة وجذوات مضرومة بعد ان اكدت له انها لن  
تنساه مهما طالت الايام :

واغنمنا فرجت لعشيا ❀ مكدول ما لها امثيل  
نادت الباهيا اعليا ❀ قالت لوداع يا خليل  
خفت اهلى لا اتفيق بيا ❀ هات المركوب للرحيل  
هذا وقت الرواح \* لمسافر رايح \* ما ارجى امكام  
حافوا عبراتنا اسجام

قلت تبقى ابخير جذوت ضرمت افقلبنا اضريم  
قالت حاشا اندوزك اقطع واجزم نو طالت ليام  
ومن المحيل ان يتنكر المحب فى صفات مختلفة يحاول فى كل منها ان  
يكسب ثقة الحراز ، وهو الشخص الذى يحرز محبوبته اى يحسنها ويحول  
بينها وبين الآخرين ، ويكون فى الغالب زوجها ، ولكنه يرده ويطرده فى  
كل مرة الى أن يتمكن من خدعه فيدخل بيته ويتصل بمحبوبته فى غفلة منه .  
فالشاوى جاء متنكرا فى هيئة عالم فقيه مؤدب من أحبار الطلبة ،  
عارف بعلم النحو لا ينطق بغير لغة معربة فصيحة ، فى يده صحيح  
البخارى ، وخطب عليه متفنتا فى خطبته بعد أن سلم عليه ، واخبره  
أنه قصد حماه ليكرمه ويحسن ضيافته ، وان لاهل العلم اسارا مرهبة ،  
وكل من اكرم عالما فكأنما اكرم النبى . وظل يحدثه بهذا الاسلوب حتى



ظن انه سلب ليه ، ولكنه فوجيء به ينظر اليه بعيون متلوبة وينبهه الى ان مكان الفقيه هو بيت الله حيث يجدر به ان يقيم حجرا ويفيد الناس وينفعهم بعلمه لتكون له مرتبة ومكانة . اما بيته فليس له فى دخوله اية مصلحة ، وطلب منه أن يبتعد دون ما حاجة الى اللجاج والعتاب :

جيتو طالب بفعال مدوبا

حبر امن احبار الطلابا دهرى افقيه قارى علم اليعراب

نلفظ بالعلم بالفاظ معروبا

فيدي اكتاب لمام البخارى اوحالتي تعجب من لمداب

اخطبت بغنوناى المنسوبا

بعد السلام قلت اسيدى لحماك جيت قاصد زايك رغب

ليك الروح امع الذات مكسوبا

فمقامك السعيد اكرمى واحسن اضيافتى بلطافا وصواب

لصحاب العلم اسرار مرهوبا

واجميع امن اكرم عالم اكرم النبى اكم فحديث المجتاب

ودويت معاه شحال من نوبا

حتى اطمعت فيه وقلت اسلمتو ابغايت اللطافا والتلاب

وانظر فيما بعيون مقلوبا

لفقيه قال لى ايحق يسمى البيت رضى يعمل محراب

وايفيد الناس ابكل موجوبا (I)

ينفع الناس ابعلمو وابنفعو وايدز لو مراتب

فتمشت فالمحال واصعوبا

دارى ادخولها ما لك فيه اصلاح سر بعد وانف لعتاب

وجاءه فى صفة تاجر يحمل معه صناديق الذهب والفضة والاقمشة

يريد ان يصاحبه ويودع عنده سلعته ولكنه رفض صحبته واشار عليه بنور

السلعة حيث يمكنه ان يحفظ بضاعته . وجاءه فى صفة عبد سودانى يعرض

نفسه للخدمة ولكنه طرده لكرهه السواد ولان اهله اوصوه بعدم اتخاذ

(I) ابكل موجوبا : اى بكل الواجبات الدينية التى يجب على الناس

معرفةا .

الوصفاء . وجاء في صفة فارس معه شباك للصيد وخلفه عبدان ، واهداه  
غزالا وطلب ضيافته ثلاثة ايام ، فهدده وطرده ورفض قبول هديته لان عنده في  
اغراسه غزالا احسن منه . وجاء في صفة باشا ترافقه الفرسان ونصب  
قبته واعلامه وأوهمه أنه يحمل كتابا من السلطان ، ولكنه رده بحجة انه ليس  
بوزير او قائد أو أحد المسؤولين حتي ينزل عنده الباشا ، واخيرا جاءه في  
صفة هيفاء بعيون واهداب جميلة سوداء وخدود وردية وجمال يصد التائب  
عن توبته ، وصافحته بايد مخضبة بالحناء منقوشة فذهل لهذا الخضاب  
والنقش وغربت شمسها ، وسالها هو رقم على اليد ام كتاب ، فاجابته بانها  
تستطيع ان تخطط روضا عجيبا ابهي واجمل ، وله ان يسأل العجائز  
والشابات حتى يتأكد ، فمسك بها والحن عليها في أن تنقش يدي حجوبة ،  
وأدخلها الى الدار في غاية الفرح وهو لا يدري من ادخل ، وخرج مسرعا  
لاحضار لوازم الحناء . وعرفت حجوبة سر حبیبها الذي جاء في صفة هيفاء  
نقاشه ، فخلع زى التنكر بعد ان خدع الحراز ، وهدم كل بنائه ، ونعم بقرب  
حبیبته واخذها عنده وباتا في غاية الزهو والسرور يتساقيان الكؤوس على  
ضوء الشموع ونغمات الاوتار :

جيت هيفا بشفار مهدوبا

واعيون غاسقا واخدود اورد اوزين يكسر توبت من تاب

صافحت بيديا المخضوبا

بشمائل لبها وانقش الحنا امنين راه نبهض وارطاب

شمس العكلى ولات مغروبا

وادوا اوقالى يا هيفا هادى اتراكم ايديك او الكتاب

قلت اندير اريضات معجوبا

ابها اوسر ما شافت عينك سر اسأل اعكايز واشواب

شبر فيا بيدو المغضوبا

انت بشيتك اتورنى فيدين لال شى صنعات اعجاب

واتشوفى بدر الزين حجوبا

للمدار ابلعزم دخلنى فرحان ما عرف ياويجو ما جاب

واخرج يجرى باخلاك مرهوبا  
وايجيب لى اشروط الحنا وما ايخص وايوالم باستحباب  
عرفتنى لسوجيا المحبوبا  
فالحن طارت التنكيا (I) افرغ لمقام والكل جالو لكتاب  
واسلات اعضاي المرغوبا  
واديت عارمي وارشحت (2) ابجرزها او كل ما سيدراب  
بتنا فالزهو واسرور اطيوبا  
نتودو اكيوس الخمر فبساط حارساه اصوارم واجعاب  
لا واشى لا حساد مركوبا  
غير لغزال والصفرا والكيسان والوتر والشمع اللهاب  
ومثل هذا نجده عند ابن على الذي تنكر للحراز فى صفة عذراء وعالم  
وبدوية وعبد وبطل وتاجر ، ولم يوفق الا فى هيئة حكيم .  
وربما كان حراز البغدادى اشهر ما ينشد فى هذا الباب حيث قصده  
المحب فى صفة باشا ومجنوب وعبد ولم يوفق الا فى صفة الفقيه ، وهو  
الحراز الذى يقول فى حربته :  
مال حراز الدامى ما ايثق بيا هيهات \* حارس فى كل اوقات  
اعلى الدوام ايجنب ولا ايرومنى قطعيا  
وهكذا وبمختلف الوسائل والمحاولات ، يتم الوصال بعد طول عناء  
ومراة صبر ، فالطيب الواستري جاد عليه الدهر وارخى له الزمان عنائه  
مكمل سلوه وزهت ايامه يوم زاره محبوبه جودا وانعاما دون سابق اعلام ،  
قاطعا اوصال التيه والجفاء ومنكلا بالرقباء :  
الزمت الصبر ما كفى واخفيت ما فكنانى  
حتى جاد الدهر بالزهو وكمال السلوان  
والوقت ارخى لى اعنانو  
وايسامى ولات ناشطا  
بوجود الى اهويت يوما وصلت لمكانى  
من غير انويا قصر فالجفا والتيهان

(I) التنكية : النقاب والحجاب . (2) رشح به : خدعه .

جاد اعلی بحسانو  
وانعم لی من بعد ما اوطا  
محبوب القلب یامس زارنی یاعشرانی  
وانعم لی ابلوصال وانکا جمع الرقبان  
صایل عن جمع اکرانو  
ابدیع الوجنا لمنقطا

وكذلك تزور حبيبة محمد الشاهد السلاوى فينعم بالوصال ، ولكنه  
لا يقنع بمجرد اللقاء ومشاهدة الحبيبة ويريد ان يستمتع بحبه كاملا ، اذ  
عنده ان النظرة وحدها لا تطفى لهيب القلب ، وان من العبث اطالتها ،  
وان كل من شاهد الجمال يضطرب لا مجاله :

معلوم الشوف ما اطفى نار الجوف \* غير باطل قوى تشوافو  
والی شاف لمليح عمرو ما يتفا

والعلمی يتم له الوصال فيحمد الله ويشكره ان عافاه من سقمه ،  
فقد زال غمه وظهر نجمه بين الابراج كالهلال ، ونال المقصود ودان له  
وقت السرور فزهت ايامه وازهرت اغصانه بعد يبس وذبول ، وظهر بدره  
ساطعا مضيئا ، فلم يبق له الا ان يستمتع بالاعتناق والارتشاف :

لله الحمد والشكر زال اغتامي \*

واطلع بين ابروج ناير نجمی كن اهلل  
عافانی ربی ابريت امن اضرار اسقامی \*

والمقصود الی اطلببتو وفانی به الحال  
واعطف لی وقت السرور وازهات ايامی \*

والقح غصنی بعدما الوی وایبس واذبال  
واتيقظ بدری اوتاق مسراج اهمامی \*

ما باقى غير لمعانقا وارشیف الکیسان  
وعند ابن علی المسفیوی أن الوصال متى تم فانه سيلهج دون انقطاع ،  
وتحنو كاسه ، ويلذ شرابه ، ويعطرب قلبه ، وتتحسن علاقاته مع أهله  
وأحبابه ، ويخصب روضه ويزهر ، وتنمو أغصانه وتزهر ، ويفنى طائرہ ،

وينشد أنغاما حلوة شبيهة في التعبير بـخطاب المحب ، ويظهر بدوره مخترقا حجه ليضيء السهول والروابي ، ويحلو الزمان ، ويستريح البال ، ويهنا المحب في مكانه :

بك نلهج ضى اغيهوب المحبوب بك يحلا كاسى وايلذ لى شرابى  
بك قلبى زاهى مطروب ياالمحبيب بك زهرت ناسى واهلى امع احبابى  
بك روضى لاقح مخصوب المحبوب بك طهح اغصانو بالفيض والخصابى  
بك غنى طيرى فشمهوب المحبوب بك يشمد ميات ايشابهو اخطابى  
بك بدرى تاك امن احجوب بالمحبيب بك ضوى فوق الوطنيان والروابى  
بك ازيان الزمان ياراحت لكتان المحبوب والى يهواك بك يهنا فمكانسو  
ويقدم مبارك السوسى عرضا للحفلة التى سيقم ان زارته زهرة والتى  
ستستمر يوما كاملا فى روض مزدهر يعطر بشتى ألوان الورد والاشجار ،  
تعزف فيه الموسيقى وتدور تؤوس الخمر على الحسان :

يوم اتزور العذرا

بالزهو يتباشر قلبى ايلوح تكندارو

وانقيم فى ابساطى ليلا وانهار

بالآل (I) وافناجل نخمر عل لريام اتدور

وانواور مشتهرا

فى ارياض امعطر

والورد فاح بازهارو

والياسمين طهجت ما بين اشجار

...

ويستمر فى وصف الروض ، ثم ينتقل الى وصف جمهور المدعوين بل

المدعوات بقوله :

جبت اوصاف النوار      باقى وصف الجمهور

ثم يأخذ فى استعراض أسمائهن على هذا النحو :

نبدا ابراضيا او هشوم الخنار      وامهنى وافصيل اوفارحا او محلا واطهور

...

(I) الآلة تطلق فى المغرب على الموسيقى المعروفة بالاندلسية .

ومن لطيف الوصال ما تم لامتيرد مناما في شهر رمضان حيث أفاق  
بعد الفجر ليجد نفسه مضطرا الى القضاء والكفارة :

انعيد اصيامي      ونكلع كفارت لوزر  
عنقت اغزالي      فالدجا حتى بان الحال

وقريب من هذا يحدث لابن سليمان اذ زاره محبوبه في رمضان فذاق  
من شهده وجنى من ورده ، فاتهم بالافطار ، ولكنه يستفهم محاولا أن يلتمس  
لنفسه عذر المريض وأنه لا شيء عليه :

أصاح زارني محبوبي يامس كنت صايم  
شهد اقطعت واجنيت الورد قالوا كلت رمضان  
مهجور قلت ماذا لي  
أحبيب خاطر واش لمريض يفطر

واذا ما تم الوصال فان المحبوبة تخلده بتذكار تقدمه لحبيبها يكون  
في الغالب حليا ، سوارا او خلخالاً ، ولكنه لا يلبث أن يضيع له فيبحث  
عنه في عناء الى أن يلقاه .

من هذا ما يخبر به امتيرد في «خلخال اعويشة» ، وقد اودعته اياه  
على اثر الزيارة أمانة أوصته بأن يصونها ويحفظها ليحضرها يوم الوصال.  
وخبأ الخلخال في جيبه ولكنه ضاع منه ، فاحتار فيما عسى يجيب به  
صاحبه ان سألت عنه :

مهما ودعت الزيم شاق شوقي من تشواقي واهواوا بالدمع انجالي  
يوم اتودعت امع لغزال مدت ليا خلخال  
هذا أمانا ياعشيق قالت صونو واحضيه وجدو يوم اوصالي  
في مكتوبي درتو اعلى الرضا واتوضر وانشال  
خلخال اعويشا درت لبها في مكتوبي يا فهميم درتو وامشى لي  
كيف المعمول ايلا اتسالني مولات الخلخال

ثم أخذ في تقييم الخلخال وانه ثمين لا يقدر بمال ، وبدأ في البحث  
عنه في كل مكان فلم يعثر له على أثر ، واضطر اخيرا الى فقيه منجم

استطاع بكتابة الجدول وعن طريق الخديم الجنى أن يحضر الخلخال .  
اذ ذاك أرسل للمحبوبة فحضرت على التو وأقام لها حفلا مضيئا مطربا  
بألوان الغناء والانشيد ، يتساقى فيه مع محبوبته الخمر والرحيق . وفى  
هذا الجو المنعم الممتع حكى لها قصة الخلخال فأشفقت عليه وضمته اليها  
وقالت له : ان النظرة فى الحبيب خير من ألف خلخال ، فرجع أمامها  
ليبادلها القول بأن وصلها لا نفديه الاموال ، وانها كنزه وكمال فرحته  
وربحه وذخيرته وهناء وغناه وغاية رأسماله :

وارسلت المولاتى اوجات تنهد تهليل لبكار عراض الفالى  
بمحاسنها وابها اجمالها تضرب لمثال  
واعملت افراجا عن اوصولها ما بين الصفرا والرحيق والضو ايلالى (I)  
والغاني ينشد باشعار وارقايق كل اسجال  
واحنا نرها برا وخذ (2) واغزالى تدرج فالبساط واتكب المالى  
سقطت ولفى دوك النجال مدت ليا قمصال  
ارويت او طحت اعلى انهودها واحكيت لها اقصيتى اللولى والتالى  
يوم امشى لى خلخالها اوشفقت منى لغزال  
حازتنى مولاتى اعلى اصدرها قالت لى ياعشيق حسنى واجمالى  
النظرا فالمحبوب. خير لى من الف خلخال  
بندقت اوقلت اجد يالعدرا ياتاج القاصرات حرت لغوالى  
وصلك عندى يادرت ليها ما تفديه اموال  
انت كنزى واكمال فرحتى وانت ربح اذخيرتى وغايت رسمالى  
أنت لهننا والفرح ولغنا واكمال الرسمال  
ويحدثنا الفلوس عن دمليج (3) ازهيرو الذى ضاع منه ولم يعثر عليه ،  
وبعد أن بحث كثيرا عنه فى أحياء فاس قابل فتاتين أخبرته احدهما أن  
الدمليج موجود عند هيفاء سمراء عثرت عليه يوم كان يزور السلطان ،

---

(I) ايلالى : يتلألا

(2) براوخذ أى بهات وخذ .

(3) الدمليج بالميم والباء سوار يكون غليظا فى الغالب.

فقبل الارض بين يديها ورجاها أن توافيه به ، فودعته بعد أن ضربت له  
موعدا عشية يوم الجمعة بجديقة «جنان السبيل» عند الصهريج الكبير :

قالت وحدا يا عاشق لبها دمليجك موجود عند هيغا بر كيا

قالت لى صبتو انهار كان ايزور انسلطان

اوطحت اوبست الارض قلت لها لاقتى به يالريم العذريا

قالت دبا ياتيك ابلوفا واطمئنان

قلت لها ياتاج لبدر وين ايكون الميعاد ابشارا دون اخفيا

قالت يوم الجمعا الجايا تلقانا وكدان (I)

أجنا لجنان السبيل قدام الصهريج لكبير وقت الذهبيا

تم ارجنا (2) ولا اتصينا نرجاوك يعلان (3)

والتقى معهما فى الميعاد المحدد ولكن سوداء العينين شرطت عليه اذا  
اراد الدمليج أن يذهب معهما لرشف الكؤوس ، فأخذ يلتمس منها العذر  
لانه لا يقدر على خيانة محبوبته بعد عشرة طويلة ، ويرجوها أن تراقب فيه  
وجه الله . فلم تلبث أن أخرجت الدمليج ، فدعا لها ان يجزيها الله بكل  
خير ، وردت على شكره بأنه لا جميل وأن مثله لا يهان . فودعهما فرحا  
تاسيا كل ما فات :

قالت لى سود النجال دمليجك عندى دون ريب ولا شكيا

لكن ايلا تمشى العندنا تسطاب الكيسان

قلت لها ياعز لبنات مالى قدرا حتى انخون بعد الولفيا

راقبى فيا وجه لكريم نعم الحى المنان

جبدت لى دمليجى اوقلت لها ايجازيك اكل خير خالق لبريا

قالت فالحين ابلا اجميل ماشى مثلك يهان

تم ودعت الباهيات وافرح قلبى وانسيت كل ما فات اعليا

والقانى باندمليج رب لورا خالق لكوان

---

(I) وكدان اى بكل تأكيد

(2) ارجنا اى انتظرنا .

(3) يعلان اى علنا .



ولللحاج محمد العوفير « خاتم » يقول في حزبته :

خاتم ولفى تاج ليها اتوضر وامشى لى  
كيف المعقول ايلا اتسال عنو درت لجمال  
زينت لاسم ليلي

وفى القسم الذى يعثر فيه على الخاتم تكشف له المحبوبة ان بالخاتم  
نفسه أسراراً تجعله مرصوداً عليها مهما ضيعه المحب فهو يرجع اليها  
تلقائياً :

قنت لها يا سلطانت لعوالم شمالى  
صيغى بعدا لقصيتى اتحير جمع العقال  
اغريباً وطويلاً  
وابديت انعيد البودلال عن شين اجرى لى  
يسوم خاتمها ضاع لى  
وصرت افقدو معلال  
واعضاي افتتخيلاً  
ثم ضحكت الباهيا اضيا نور اهلالى  
وادوات وقالت ريع امن احوالك واغنم لوصال  
وازها دون ادبيل  
الخاتم عندى يا عشيق فخرين مالى  
واسبابو يا محبوب خاطرى يا عاشق لجمال  
فيه اسرار اجزيلاً  
مرصود اعلى اسمى اباسم الحى العالى  
وين ما خليتو ايجى العندى من غير ابدال  
بالحكمى لوصيلاً  
وامنين اعرفتك يا علاج قلبى وادخالى  
من حبى ومن افراقى خاتمى تبقى فى تدهال  
لك ابعثت ارسيلاً

### ثالثا : الحب

لعلنا من خلال هذا الاستعراض لوصف جمال الفاتنات وحال المحبين  
نستطيع أن نستخرج الصورة التي رسمت للحب في ذهن الشاعر الشعبي:  
فامتيرد يراه سيفا يقطع قبل الطعن ، ويرى فسادا أكثر من صلاحه  
لا ينفع ولا يحمل غير الشقاء والتعب :  
هذا حال الحب ولهوا ياطامع بنجاحو \*

سيفو قبل الطعن ينقطع  
وافسادو بنهايت لفعل أكثر من تصلاحو \*

اشقاه اتعبو ابلا انفع  
وهو يتخيل الحب أميرا طاغيا جائرا حاقدا مروعا يقود جنوده لقتاله ،  
وقد لمعت أسلحته وخفقت أعلامه ، وعامت خيله على خيول المحب وقهرته  
يوم المقاتلة بالسيوف والرماح والسكاكين والاشواك :  
مير الحب اطفا اوجار عنى جاب اجنود اعلى اقتالى حاكك لكلاك  
لطرارد واعلوم شاكا  
عامت خيلو اعلى اخيولى لكلاك  
بالضركا (I)

والسيف ولقنا والرمح أسكين كل ستمل جاني دكاك  
قهروني يوم لمدكا

ويتخيله كذلك بحرا لا نهاية لحدوده ، ما مخرت عبابه سفينة الا شمتت  
ألواحها ، لا تنفعها في مواجهته الاعمدة والقلاع :

لهوا بحرو مايلو انهايا توصاف اكلاحو \* حتى عاشق به ماظمع  
أمامن قرصان سار فوقو تشتات الواحو \* مانفعو صارى اولاق  
وللحب عند ابن سليمان سلطان على رأس عسكر كبير يضم جيوش  
كل القبائل جاءت مستعدة لخوض معارك من أجل الموت أو الحياة  
متعطشة للقتل :

---

(I) الضركة نوع من النبات الصلب له اشواك حادة .

من كل اكبيل جاتنى اليوم محلا (I) \*

جابهها سلطان الغيوان

ينويو الموت امع لحيا افكل امقاتلا \*

كيف شور الما للعطشان

وهو كذلك عند مولاي على البغدادى فى « خدوج » سلطان طاغية

يروع مزاج المحب ، وقد استقر فى قلبه بخيوله المتحفزة المدربة :

سلطان الحب اطفى اوروع امزاجى \*

رسى افمير لمهاج

خيولو تظل حدراجا \*

ديما امحربا عنى غير اتروج

ومثل هذا نجده عند عبد السلام الجربى فى «قمر الدارة» حيث

هجم عليه الحب بجيش جرار قاصد لصراعه دون ما عطف أو اشفاق

عليه من محنه ونحوه وفناء جسمه :

صداك بعسكر جرار \* للطام اتانى

ما يحس بمحاننى \* ونا انجيل وافانى

وهو يرى الحب راكبا فرسا ملاليا جاء يقصد قتاله وقد استعدت

خيوله وفرسانه ، كل متقلد سيفه ، وخلف هذه الخيول فرق أخرى

لا يستطيع أحد أن يواجهها . ومع هذه وتلك جيوش الهوى الذى بدا شجاعا

كميا شبيها بعنترة او ابى زيد ومعه خيول شقراء قوية :

والحب اعلى جار راكب الملالي (2)

عنوا ابغيا لقتالى

وامر لخيول اتشالى

كلها متقلد سيفو عل لوفنا

وامحال اخرى امرادفا

صاكت مراهم

---

I- المحلة الجيش

2) لعله نسبة الى بنى ملال .

ما يطيق قادر يلتصاهم  
ولهوى بجيوشو امعهم  
اكمى عذبي  
بركاب له ذهبى  
يشبه عنترا ولا بوزيد لهمام  
له اخيول اقويا  
اوكلهم اشقازا

وحاولوا من معاناة تجربة الحب أن يستخرجوا حكمة او ما يشبه  
الحكمة . وكان العلمى - شاعر الحكمة دون منازع - أكثر الشعراء طرقا  
لهذا الباب ، اذ حاول فى هدوء الحكيم المتامل أن يستنتج بعض الافكار  
ويقدم بعض النصائح . وعنده أن عشق الجمال طبع غريزى فى كل شخص  
لبيب لا يفتر عن أوصاف حبيبه يعتبرها المسك الذكى فى جيبه يتعهده  
النفس بطيبه . أما الالفة فريحتها غلابة لا داعى فيها للعتاب ، والشارب  
يعذر فى حال غيبوبته ، يسرح به الهوى فاقدًا لوعيه لا يميز داءه من دوائه :

عشق لجمال طبع اغريز افمن هو اليب  
ديما امعاه نعت احبيبو  
كالمسك الذكى فى جيبو  
متعاهد النفس ابطيرو  
والولف زيج غلاب  
متروك فيه لعتاب  
مول الشراب يعذار افحال الغيبا  
دايع به اهواه  
ما يميز داه امن ادواه

وهو يرى ان التمسك بالصبر ضرورى والتمهل لازم لبلوغ المقصود  
ونكاية الحسود ، وان ألح فى طلب الرضى لابد أن يدركه ، وان محبا  
لم ينل مراده دون تعب ، ويرى الا خوف من هيجان الحب ، فالرعد يكون  
له صوت يرهب القلوب ولكنه فى هديره مبشر بغيث يعقبه :

من لازم الرضا او طلبو لا بد ايصيبو  
والى ابغا ايغىظ احسودو يتبع ابلهمل مقصودو  
حتى ينكمل معدود

ما نال صب امرادو الا ابتعب وجهاد  
صوت الرعد يترك لقلوب ارهيبا  
بعد هدير الغاه اينبشر بانغيث امن اوراه

وهو لا يستغرب من تغير أحوال المزيان يقبل ففتحسن حاله ويدبر  
فيخسر حظه ، يزور فيشرق المكان من ضيائه ويهجر فلا يبقى لبهائه اثر.  
ويستشهد بثلاثة امثال شعبية ، يقول الاول ان الجمال لا صديق له ولا  
معاشر ، ويقول الثانى ان الذى لا يصبر للمحن لا يبلغ السلو ، ويقول  
الثالث ان الذى لا يعطى دنائير كثيرة لا يستطيع أن ينعم بالجمال (I) :  
تروف حتى ييدا حالى امعاك يزيان \*

اتفر منى ييدا سعدى امعاك خاسر  
اتزور حتى يشرق امن اضياك لمكان \*  
اتفر حتى ما يبقى امن ابهاك اثر  
كلما قالوا اصدق افلمثال اهل الزمان \*  
مايل الزين اصدق ولا ايلو امعاشر  
ما ابلغ سلوان الى ما صبر لمجان \*  
ولا املك مزيان الى ما ارخى ادنانر

---

(I) يبدو غريبا أن يستشهد العلمي بهذا المثل ويذهب لهذا الرأى  
لأنه لا أثر لعنصر المال فى العلاقة بين الرجل والمرأة كما راينا ، بل  
العكس هو الصحيح . وقد صادفنا مثلاً فى خلخال امتيرد أن اعويشه تؤكد  
له أن النظر الى المحبوب خير من الف خلخال ويبادلها الرأى فيذهب الى أن  
وصلها لا يقدر بمال . بل ان العلمى نفسه يقول له المزيان :  
«وامتاع الدنيا ليس يغوينى » ، ولعل العلمى عبر عن واقع المرأة  
فى الحياة وميلها الطبيعى للغنى والثراء ، ولعله كذلك يقصد ما تكلفه  
حفلات زيارة المحبوبة من نفقات . ومهما يكن فان مثل هذا الرأى يظل  
غير واضح .

وفي روح يبدو عليه بعض التشاؤم يذهب العلمى الى أن ورق المحب  
ساقط ، فهو دائما نحيل عليل ، يصفر لونه يوما عن يوم ، لا يجد راحة  
لاعضائه ، يهيم فى النهار ويقطع الليل بالسهر والزفرات :  
ورقت مول الجب ساقطا ديما ناحل كل يوم تنظر لونو يصفار  
كنو اعليل ما يوجد راح فى اعضاه  
وايظل ايهوم بالنهار وايبات ايقطع لبهيم ابزفرات  
وايراعى لوقات  
والسوايع حتى يفجى النهار ضو وايمد اجوانح الليل ويزهر  
بنجوم فى اسماء  
وينامو كاع (I) لبصار  
وابصارو ساهرين مسكين ايبات  
ولكنه يتراجع قليلا عن هذا التشاؤم ليرى فى « ظامو » أنه لا دوام  
لاى حال ، فكما أن الرخاء لا يدوم ، فكذلك لا تدوم الشدة ، فيوم حلو  
كالتمر ويوم مر كالحنظل :  
معلوم كيف ما دامت رخفا ما اتدوم شدا  
هذا امواجب احكام اصروف الدهر  
يوم احلا من طعم التمر  
ويوم كمثل الحنظل منر  
ويرى ان طريق العشق والزمان والايام واحد ، فمن سعدت أيامه تهيأ  
له كل شئ ووجد كل ما يريد ، واذا حسن حظ العاشق وصل سريعا ،  
واذا ساء نفر بنفس السرعة .  
العشق والزمان وليام اطريقهم وحدا  
والى اسكامت ايامو ياسعدو  
كل شئ يسخر بين ايدو  
كلما يبيغيه ايوجدو  
ولا يبعاد

إذا اسكام سمعدو دغيا (I) اتراه يوصل  
والى اعوج لو ميمونو (2) دغيا اتراه يجفل  
وعنده في «اللائم» ان بحر الغرام عميق وملاّن ، يفيض كل يوم ،  
وأن بحارة كثيرين ضاعوا في قعره ، وان ريح الهوى يذهل العقل ويبث  
داء السهر والغفلة :

بحر لغرام غارق واعميق اومالى  
كل انهار ايفيض ويحمل كم من رايس فى تخمونجلا  
نوريك طبع لهوى يامن يصفى لى  
ريح اهواه ايشوش لعقل وايقيق ضر السهر والغفلا  
وكذلك نجد عند المدغرى بعض النظرات التأملية كهاته التى يرى فيها  
أن أحدا لا يستطيع أن يهزم العشق والهوى وان كل المحبين مغلوبون ،  
وليس لهم الا أن يرضوا بالهزيمة :

لعشق الهوى مارينا غلابو \* والعاشق ديما ينگلب  
كيف ايدير اللى ما ارضى بالغلبا  
وعند المدغرى فى « للا اصفية » ان قتيل الحب لا دية له :  
من مات امن اعيون المولوع ما يليه ديا  
ويرى ابن سليمان فى «حجوبة» ان صفات الحب عجيبة وان أحدا لا  
يقدر على اخفائه :

صفات الحب اعجوبا \* يكذب من قال اغرامو يخفيه  
ويرى فى « عطوش » ان عاشق الفاتنات مجنون ، يفقد العقل  
واستدبير ان واجهته جيوش رامية ، وهو لا يستطيع ان يعمر الاوطان :  
عاشق لريام اهبيـل ريت رسمو ما ياوى  
عقلو مثل الكدرى (3) ايلا ايجيه الراى بجيوش ما تعمر به اوطان  
وعنده فى نفس القصيدة أن أساس سور الجمال مغشوش :  
اركبت اعلى سور لبها اوصبت الساسو مغشوش

---

I دغيا : بسرعة .

(2) الميمون الحظ .

(3) الكدرى : الحمار .

كذلك يرى الحاج ادريس لحنش فى « فضيلة » وهو يحاول ان ينسى قلبه همومه ، انه لا يثق بالبنات ولا يامنهن الا مجنون ، مواثيقهن باطلة ، لا تقى بالعهود منهن الاقليات ، يعرفن ميل قلب العاشق اليهن دون تغيير او تبديل فيجازينه بالهجر والتهيه والجفاء والصدود ، ويكسرن القلوب من الجور ، ويبخلن بخلا لا مثيل له ، واذا ما اختار أحد من يراها منهن عاقلة فانها تسقيه المرارة فوراً دون امهال :

وانقول ألقى انس همومك ما يامن اقلبنات غير اللى كان اهليل  
امواثيقهم حق باطلا \* من توفى منهم فالعهد اقليل  
وايعرفوا قلب لعشيق يبغيهم ويعرفوا محبتو ما فيها تبدين  
وايجزوه ابلقبلا \* بالهجر والتهيه ولجفا والتنخيلا  
ويكسرو لقلوب جور منهم ويبخلوا بالدوام بخل الانيه امثيل  
من تختار وتقول عاقلا \* تسقيك امرار خرقا لا تمهيلا

#### رابعاً : ملاحظات

لا نريد أن نختم هذا الفصل دون أن نبدى بعض الملاحظات المتصلة  
بأغزل عند شعراء الزجل :

**أولى هذه الملاحظات** ان بعض الشعراء يتغزلون فى نفس النص فى  
أكثر من واحدة ، وخاصة امتيرد والمدغرى والرجراجى ولحنش ، فانهم يبدوون  
متعلقين بمحبوبتين فى آن واحد وفى أكثر من قصيدة .  
يقول امتيرد فى هنية وهشومة :

سر احمان

كل للريم اهنيا ولغزال هشوما لوصول اتصول

كل اصل يجبد لصلو

ويقول فى تاجة واختها زهرة :

دام الله الحسن ولحاسن فغزالى تاجا \* تاجا هى اوختها زهرا بودواح

ويقول المدغرى عن طامو وهنية :

شهدوا بين ايلا افنيت واضنيت من الوجنا او خالها واخدود الجلار

والشاما والخال والشفير \* واسبابى فالريام طاهو وهنيا



ويقول فى مينا والبترول :

الله اينصررك يامينا وايدوم عزك يا الغزال البترول

ويقول الرجراجى فى طاهو واختها ازهيرو :

عازم بوصالك يامرحت الطام \* ام النواجيل الطام

انت اوختيك ازهيرو

ويقول الحاج ادريس لحنش فى أم الغيث وفاطمة :

كيف اجرى لى ياهل لهورى فى حضرت سلطانت النسا لغزال ام الغيث

اشريف العذرات فاطما \* ملوك الزين بينهم ضحت افكاسى

وليست هذه الظاهرة غريبة ما دام الشاعر حتى وهو يتغزل فى

امراة واحدة لا يقصدها بالذات وانما يقصد المثل والنموذج . فاذا كان

هذا هو القصد ، فليس يهم أن تكون الوسيلة اليه واحدة او أكثر .

**الثانية :** ان غزل الشاعر الشعبى لم يكن دائما بالمرأة وانما كان

يتجه فى بعض الاحيان الى المذكر على حد ما نجد عند محمد بن موسى فى

«لغزال» الذى قابله أول مرة بباب الكتاب ، وهو غزل لا يختلف عن الغزل

بالمرأة فى شئ من الحديث عن اللوم والحساد والهجر والوصل بل حتى

أوصاف الجمال لا نجدها تتغير وان كانت لا تتعدى ملامح الوجه والاصواف

العامة ، بل ان الشاعر يرى ضرورة اخفاء بقية الاوصاف :

من يوم فاش صدفتمو فى باب لمسيد (I)

وانظرت حاجبو واتماد

تمثيل شى اجعاب اهناد

وجبين فايلى الفرقاد

واخدود كن ورد افتتح من لغماد

والخال العنبرى والشاما من فوق اخدود

والقد امجرد غنجور باز قرنس وثغر جوهر و انضيد

واشفوف كمثل عسجد

والريق كمصل لشهاد

(I) لمسيد هو الكتاب القرآنى ، ولعلها تحريف للمسجد .

والجيد كن جيد الشاد

حد لوصاف هذا عن قصد امرادى

وبالباقي واجب نخفيه اعلى جمع لحسود وانزید انمجد

بل انه يصرح باسمه فيقول :

يا هلى رغبوى اتمادى \* ينعملى ابلوصال يسعد رسمى بوجود لغزال محمد

ومثل هذا نجده عند المدغرى الذى يقول فى حربة « غزىل » :

دام الله اجمال صورتك يا شادى \* انت اعنايتى وامرادى

اغزىل يسلب من جا ايصيدو \* زنجار فى عين سيدى محمد

وكذلك عند الحاج ادريس لحنش فى « المهجور » حيث يصف

محبوبه شابا عالما شاعرا ظريفا فصيحاً وفيما صادق القول :

محبوبى ولد الرضا انظيف \* واكذلك اخلاقو امنظفا

تالم قارى شاعر اظريف \* بفصاحا والصدق ولوفا

شلا افلحسان ما نصيف \* ما فيه الكل غر لجفا

...

شاب رضى واعذارو اىلا اهجرنى محبوبى انعود بالكشر

ويلا جاد برضاه نستبشر

وقبل هؤلاء جميعا تغزل امتيرد (طرشون) فى طالب حافظ للسور

اسمه محمد وكان قد غاب فخرج يبحث عنه فى كل مكان الى أن قابل

بعض أصدقائه فأخبره انه موجود بالمدرسة :

ها هو قاللى فالمدرسا طائب حافظ لسوار

يتباها توكت لقمار

ميمين اوها او دال وضع لهل المعنى اسميتو

زدت انصيبو اكما احكى لى \* سلمت اعليه يا كرام

قلت التاج لبها اغزالى \* ما لك ياناكر الطعام

انت بزهورك به سالى \* ونا للتعب والسقام

وقد يتبادر الى الذهن أن مثل هذا الغزل يدل على انحراف عند هؤلاء

الشعراء وشذوذ فى الجنس ، او ثنائية وازدواج فيه على أقل تقدير ، ربما

كان ذلك صحيحا ولكن الى حد ، ذلك ان مثل هذه الظاهرة قد يكون لها تعليل آخر يجعلها مجرد تنفيس عن ضغط المجتمع على الشاعر وكتبه لجماح عواطفه .

**ثالثة هذه الملاحظات** تتصل بما يقال من أن بعض هذا الغزل رمزى لا يقصد منه الى وصف جمال المرأة او حبها وانما يقصد منه الى تعبير اسمى .

من هذا ما قالوا عن «فاطمة» الحاج عمارة من أنها لا تعنى غير فاطمة الزهراء ، ولكن لنستمع اليه يقول فى حربتها :

أنا فطمونى اعلى اهواك اباشت لريام  
ونت مقطوما اعلى اعدابى يافاطما  
والى فرقنا ايلمنا ما طالت ليام  
وفىها يقول :

فاطما يا باقة البان \* ياسائف الظليم اشعوروا وفيانا  
يا لهلال ادعيد رمضان \* بقواس حاجبك اهدابك طعانا  
أفاطما سود لعيان \* ادخيل بك لك خد السوسانا  
افاطما خاتم الشفوف ايتيه من لام  
أفاطما طاستو ابخرم الريق اختيما  
واتغارو عقدين امن الدر افغايت لنظام

لعله لا يعقل أن تخاطب فاطمة الزهراء بهذه الاوصاف .

ومن هذا كذلك ما قالوا عن «طامو ابهيح الخدادا» للعلمى من انها لا تعنى هى الاخرى غير فاطمة الزهراء ، ولكننا حين نتمعن فى القصيدة نحس ان الرجل كان يقصد الى التغزل فى محبوبته ، اذ ليس من المقبول أن يقول فى بنت الرسول مثل هذه الابيات :

بتنا اوبات الخمر يتزادا  
لا اعدو لا واشى لا حراز احسيد  
فبساط امحتفل مركادو  
الكاس والشمع موقود

لى ادراعها بات اوسادا  
اوريقها بات اشراىى انرشفو ابطعم الذيدا  
ايشربو امن احلا تورادو  
غفران ربنا موجود  
ولكن ليس معنى هذا أن الشاعر الشعبي لم يرمز باسم المرأة الى  
معنى اسمى ، بل انا نجد الشيخ ابن ابراهيم (I) ينظم قصيدة فى  
« مباركة » يرمز بها الى مكة ، يقول فى حربتها :

حرمتم نعم لغنى المالك  
ديرى ياللا امعاك  
شرع المولى ايلا اهداك  
نستحسن فى ابها اجمالك  
أمولاتى امباركا  
ولهذا علق المدغرى عليها فقال بأن مباركته (2) لا تصلح خادمة  
لمباركة ابن ابراهيم .

ومثلها مباركة الكندوز التى حربتها :  
جودى يا طلعت لبدر برضاك  
حرم ادخيل من سماك  
لبها اعطاك كيف ابلانى بك ربنا يهديك  
أمباركا  
وفى آخر بيت يخل الرمز فيقول :  
واسمك ميم او كاف لغنى سماك  
واحذف باور اللى ادراك  
يعرفنى جبت لاسم للمدى هويك  
أمباركا

---

(I) وهو معاصر للتهامى المدغرى .  
(2) وهذه حربتها :

نادى نادى اليوم فالك \* واخصب بعد الجفاف لأك  
واهلالك تاك افلاك \* والوعد اعلى الضيا اصفالك  
باللى ترضى امباركا

أما آخر الملاحظات فحول مدى صدق الشاعر فى هذا الغزل وبالتالى فى حبه ، ولعلنا لن نتردد فى الشك فى صدقه وهو يتغزل فى عشرات الفاتنات وبنفس الاوصاف والاسلوب . ونخشى ان يكون الحب الذى عبر عنه مصطنعا لا حقيقة له فى الواقع وان يكون نظمه فيه مجرد صنعة ومهارة وتقليد . بل انا فى بعض قصائد « التراجم » نجد الشاعر يصرح بذلك ، فابن على يعترف فى الحجام بانه لا يعرف من أمر الوشم شيئا وأن المسألة بلاغة ومهارة :

غير ابلاغ فالشعر وانظاهو \*

عمرى ما او شمت ولا تعرف واشم ولا داخل لكلف

والفلوس يقول مثل هذا فى دمليج ازهيرو :

ليس عندى دمليج يالسائل ولا شفتو اولا اقبضتو فيديا

الا ترجما امن اتراجم الوهب اولوزان

ولكننا لا نريد أن ننفى عن الشاعر صدق الحب وبالتالى صدق التعبير، أو بالاحرى لا نريد ان نقطع بهذا النفى . فمما لا شك فيه أن اغلب هذا الغزل من النوع الاباحى المادى الذى لا يكاد يكون لصدق العاطفة فيه وجود ، وقد كانت حياة معظم الاشياخ تساعد على هذه الاباحية من سهر وشرب وما يتبعهما ، وهو جو موبوء لازال بعضهم يتنفس فيه حتى اليوم ، ولعلمهم اتخذوا الحب وشعره ذريعة لستر شهواتهم ونزواتهم واحاطتها باطار عاطفى عذب جميل وربما كان بعض الشعراء يقلدون ناسجين على منوال غيرهم دون معاناة للحب او تجريب للاباحية ، ولعلنا بالنسبة لمثل هؤلاء نستطيع ان نذهب الى تعليل نفسى مصدره الكبت الذى كان يسيطر على بعض الاوساط والذى كان ينفس عنه الشاعر بالقصيدة أو القصائد ينظمها دون ما تخرج من مجتمعه . وقد ينطبق هذا التعليل ليس على الشعراء فقط ، وانما على الحفاظ والمنشدين كذلك . ونكاد نميل الى تفسير آخر اساسه اتخاذ اوصاف الحب وحكاياته وسيلة جميلة للتسلية وملء جزء من الفراغ الكبير الذى يحسه الشاعر فى ذهنه وقلبه . ولعلنا لن نغفل فى نطاق هذا التفسير انتقال الشاعر الشعبى الى بيئة القصور ومحاولته امتاع الكبراء والامراء والملوك .

ومع ذلك فلا نستبعد أن يكون بعض الشعراء غير هؤلاء ، وأولئك تغزلوا عن حب صادق في زوجاتهم . وقد صادفنا فكرة الزواج عند أكثر من شاعر ، فبوعمر و في «زهرة» يذهب الى انه لا داعى لحيرة العاشق ، فبالصداق — وهو كناية عن الزواج — تتم العشرة ويلم الشمل :

والذى عاشق ما يحتار \* بالصداق اتم العشرا

وكذلك يذهب المدغرى في « طامو وهنية » الى أن كسب الجمال رهن بصحة الملكية ، اى بعقد الزواج يوثقه القاضى :

ما يثبت قاضى اهل النظر \* للزين اكسبتو ابصح الملكيا

وقد أكد لنا أكثر من شيخ ان قصيدة امتيرد المسماة « اترابى فاطمة » والتي سبق ان مثلنا بها لعنصر التأنيب والوعظ فى مواجهة صمود الحبيبة ، لا يعنى فيها غير زوجه ، بل ذكروا لنا أن فاطمة هذه نشأت معه فى البيت تحت رعاية أهله الى أن بلغت سن الزواج فزوجوها له ، ولم تكد تمر سنوات معدودة حتى تغيرت عليه وأذاقته الوانا من العذاب فاضطر الى طلاقها ، ولكنه لم يقدر على الفراق فنظم فيها أزيد من عشرين قصيدة ، ومع ذلك لم ترق لحاله فما كان منه الا ان أنشأ هذه القصيدة المليئة بالعتاب والتأنيب والوعظ .

ومثل هذه الاخبار والحكايات كثيرة على لسان الرواة والحفاظ ، حتى انهم يكادون يجدون تعليلا ونسبة لكل قصيدة وخاصة قصائد المدغرى ، فانهم يجعلونها قيلت فى سيدات القصر ووصيفاته ، وينسجون لذلك قصصا وحكايات أقرب الى الخيال الشعبي منها الى الحقيقة والعقل . والواقع انه قد ينطبق ذلك على بعض قصائده لا سيما وأنه كان مقربا لاسلطان المولى عبد الرحمان وولده سيدى محمد ، ولكن ليس بالدرجة التى تروى عن الحفاظ . واذا انطبق هذا الراى على المدغرى فانه لا ينطبق على غيره حيث نستبعد مثلا ما يقال عن «فضيلة» الحاج ادريس لحنش بأنها زوجته هجرته ولجأت الى قصر السلطان فنظم فيها القصيدة ، وعلم السلطان بالامر من القصيدة نفسها فطلب منها ان تكف عن الهجر وتعود الى زوجها ، فمثل هذه القصة يبدو عليها لا شك أثر خيال الرواة .

الفصل الثاني

في الحياة

الحياة طواهر وأوضاع وتيارات ، تكيف المجتمعات وتطبعها بسمات مميزة خاصة ، وتلزم الناس بالسير في ركابها راضين عنها أو كارهين . والشاعر الشعبي ، كإنسان يعيش في مجتمع ، مجبر على التزام نمط الحياة الذي تفرض معطياتها عليه ، ولكنه كفنان مرهف الحس عميق الإدراك ، ربما رفض هذا النمط وثار عليه ، وإن فعل فإن مظاهر الثورة تبدو فنى الصراع الذي يعتمل في نفسه يكشف من خلاله عن ردود فعل تمردية تختلف باختلاف نظرة الشاعر الى الحياة .

ونستطيع أن نلمس نظرة الزجال المغربي الى الحياة ، مع ما قد يكون فيها من وجوه التمرد ، واضحة في جانبها التجردى والحسى ، فيبدو في هذا راغبا في الاستمتاع بالحياة وملذاتها ، مقبلا على الشرب في ولسع واسراف دون اعتبار للتحريم الدينى وتقاليد المجتمع ، ويبدو في ذاك سماخا على الدنيا رافضا لمتعتها ، في استسلام لقضاء الله وقدره ، وفي غير قليل من من الشؤم والقسوة على الناس ، يستنكر سلوكهم السيئ يعزو اليه كل المصائب والنكبات ، ويحاول وعظهم وارشادهم واقناعهم بأن الدنيا تافهة فانية ، وبأنها ليست غير دار عبور لا داعى للتعلق بها ولا جدوى .

ومن عجيب أنا قد نصادف التيارين يختلجان في نفس الشاعر الواحد ، وكأنه بتجرده وميله الى الزهد يحاول التكفير عن افراطه في الحس والمجون . وليست هذه الظاهرة غريبة كما يبدو لأول وهلة ، فقديما عرف الشعير المعرب نماذج حية لها تجلت في اثنين من أكبر شعرائها هما أبو العتاهية وأبونواس .

ولعلنا في غير حاجة الى البحث عن مدى صدق الشاعر الشعبي في سلوكه لهذا الاتجاه أو ذاك ، اذا ما اعتبرناهما ظاهرتى تمرد على المجتمع والحياة ، وهو تمرد لاريب يظفى فيه الجانب التعبيرى اللسانى على جانب الممارسة والسلوك ، فليس ضروريا اذن أن نعرف ان كان الشاعر يعبر عن واقع حق حين يرفض الحياة أو حين يتشبث بها ، وان كنا لانخفى شكنا في واقعيته كما لم نخف من قبل شكنا في صدق حبه للمرأة والجمال . ومن يدري فلعله في مجونه انما يكمل اطار هذا الحب . وحتى بهذا الافتراض



فإننا نضل في نطاق التمرد والتنقيس عن كبت المجتمع ، دون اغفال لعامل  
التسليية وملء الفراغ من جهة وعامل امتاع المسوك والكبراء ووصف ترف  
حياة القصور من جهة ثانية ، وعامل التقليد والصنعة من جهة ثالثة ، وخاصة  
عند الشعراء الاوساط الذين لا يعبرون الا من خلال تجارب الآخرين ، وان  
كنا لا نستبعد عن بعضهم صدق الممارسة والمعاناة ، سواء لهذا التيار أو ذاك.

## الخمير والطبيعة

وجد الشاعر الشعبي لذته ومتعته في الخمير ونفسه كذلك ، فأمعن فيها النظر والفكر ، متفنناً في تسميتها ووصفها وحكاية قصتها ، ومتحدثاً عن الساقى وأواني الشرب ونظامه وأدبه وجوه ورفاقه ، محاولاً اغراء من لم يشرب بعد في حث على الاستمتاع بملذات الحياة وإغتنام متعها ، مادام الله يغفر الذنوب ويعفو عن الزلات . وكان الحديث عن وقت الشرب ومجلسه سبيله الى النظر في الطبيعة والكون اطاراً جميلاً لهذا المجلس .

### أولاً : الخمير :

وتعرف قصائدها بأسماء «الدالية» أى الكرم و «الكاس» و «الساقى» و «الساحى» و «الخميرية» و «الخمارة» .  
لم يترك الشاعر الشعبي اسماً من أسماء الخمير المعروفة لم يستعمله ، فهي مدام عند امتيرد :

آش من فرحا دون امدام  
وهى الراح والصفراء عند ابن على :  
كب ياساقى كاس الراح لعتيق

كب ياساقى هات لنسسا     طيب لمدام واسقنا بالكيسان

داروا بالصفرا يا نديم ايجاوبو اللغا فى لبهيم بالكاس اولاحوا  
وهى الرحيق عند ابن سليمان :

كاس الرحيق داير     عقلى حاير  
امعاه طاير     ندرى رشقاتو

وهي دم العنب عند المدغرى في «الكاس» :

دم العنب الصالح \* فيه اعلاج أجوارح \* ناس المعنى والصالح  
وعنده كذلك في احدى قصائد «الساقى» أنها بنت الدوالي ودم العنقود :

هاك دم العنقود افطبت لمساقى (I) \* بنت ادوالى امخت فحدايق

اعلى السقا واسراير توثيق

بل انا نجد المدغرى = وهو شاعر الخمر الاول - يستعرض معظم

أسمائها في «الساقى» الذى يقول في حربته :

قلت أصاحى هات لى الكاس اغفل وارجع لى اجأ ونخلنى يا حضار

طاح على القمصال ابلبتر \* سلك راسو وسار هربان اجهار

فيذكر منها المدام والسلافة والخل والقهوة والمسطار والمخلتم والنزيف

والقرقف والجرحون والرحيق والخندريس والنشوة والبرنيس والشتايا

والشموس والشمول والمثولة والراح والمعتقة والحميا والصارعة وبنت

الدنان والرموز والقيارة والصهباء والصفافية ودم العنقود وفاجية الهول ومغشية

الاسرار والجريال والعجوز والحمراء والمقدمة والهرمزية والمذهبة والقسيسية

والشربة وحليب الدالية ولبن العصارة وقتالة الاحزان وبنت الطرب والخمر

وراحة الافكار والمشعشعة والعراقى والصرخدى والجوهري والصندلى

والمزايجي والاصفر والعدراء والماحيا (2) والغضنفر والطاوسى والفتاك وعصار

الخدود وبوغليا والخمار واللماح ومراح البصر وبنت الكروم :

واصغ نشرح لك لمدام أوصفو وسميتو نحسبها لك اسطار

كن الطيف اظريف امشتمس \* سلفك عرضى انزيد لك دون احزارا

نحسب لمدام والخل والقهوة والمسطار والمخلتم (3) وانزيف اتجار

قرقاف اجرحون مشتمس \* ارحيق اخندريس نشوا بتارا

برنيس أشتيا والشمول اتمولا اوراح ومعتق للتخممار

حميا والصارعا اذكر \* بنت الدنان والرموز اقيارا

الصهباء والصفافيا ودم العنقود امفاجى الهول افاشى لسرار

(I) لمساقى الطعم .

(2) أى ماء الحياة والمعروف فى المغرب أنه مشروب خاص باليهود .

(3) فى م 2 ص 4I بالخاء وفى ج 108 ص 4I بالخاء .

وانجريال العكوز ابلكبسر ❖ غارت من جازيا اعروسا فمنازا  
الحمرا ومقدما وهموزيا وامذهبا وقسيسيا تذكر  
الشربا لدا المن اسكسر ❖ احليب الداليا ولبن العصارا  
قتالت لحزان دارت اقلايد فى لبا اعلى ابساط احمر من عكار  
بنت الطرب الكل من ازهر ❖ والخمرا افلبريق راحت لفكارا  
شعشعا وامشعشعا واعراقى وصرخدى اجوهري ما كيفو دكار  
الصندلى وامزايجى الصفر ❖ والعدرا ماحيا اسريعا فالغارا  
واغضنفر والطاوسى وفتاك اعصار لخدود بوغليا ياخمار  
واللماح امراحت لبصر ❖ هادو اسميات بنت لكرم اجهارا  
**والخمير فى أوصافها** على حد ما تجد عند محمد بن الوليد فى  
«الصفرا» بديعة الحسن المكمول، ودرة أسرار كأنها قمر اشرق بضياثة أو نجم،  
فرحت بها الخلاعة وبلغت منها ، يطلب منها ، أن تصول ببهاثها وقد  
ايدها الله بالقبول ، وبجلها وأثنى عليها ورفع شأنها ، بها صال الكرام،  
وفيهما وبالهامها نظم الشعراء وكل من لم يزه بها يهجر ويضيع عمره ، ثم  
انها حازت رضى الملوك وتزينت لها الفاتنات وذاع صيتها فى كل بلاد الله :

صولى صولى ببهاك يا بديع الحسن المكمول

فرحت لخلعا بك يا الصفرا وابلغت امانها

يادرت لسرار

قال يانا سيدى وانت كن قمرا

شرقت بضياها وايلا غرار

صولى يا الصفرا صولى ربى اعطاك

اعطاك ربنا لجيل

حسن لقبول والتبجيل

واسنا مراتب التفضيل

بك لكرام صالوا حتى نالوا

اعليك قالوا لكلام أوضحوه لشيخ هل المعقول

ضاع ازمانو من لازهى امعاك

ايا موعياها مبعكاه اينهجار  
وانت أرضاوك لملوك ارفعو ائناك  
غنمو افصورتك ووانك  
وبنات الزهو قدامك  
برزوا زينو لوصالك  
ونت الله شكرك وارفع قدرك شاع خبرك  
غرب اصحرا أفايجا وامداين واتلول  
بك اسجيت لكلام ساقى المايا وانشدناها  
بوجود السرار  
ويصفها ابن على فى «الصبوحى» بأنها فى لونها ذهبية كالسما ، وحبابها  
كالشهب ترمى بها الرقيب :  
والراح كالسما ذهبيا \* يرمى اعلى الرقيب اشهابو  
وقريب من هذا نجده عند المدغرى فى «الديجور» حيث يشبهها  
بالهلال :  
والصفرا تسطح كهلال واكواعبها مثل النجوم فالخمرا عاموا  
وهل الخمرا فبساط كل عذراوى حايى ريم  
وهى عنده فى «الزهو» معتقة من عهد الهرمزان :  
صف لى تدراج الكيسان \* من امدام اصرخدى ذوقى امعتقو دهقانى  
افعاهد اقديم الهرمزان  
ويحكى المدغرى قصة **الخمير** فى «الساقى» فيبدأ بالترحم على البستاني  
الذى غرس الدوالى فى روض مزهر ، وغمرها بالمياه الى أن برزت اوراقها  
واغصانها ، وبدأت فى ابتهاج متطلعة للعلو ، واعتنى بتربيتها وكأنها صبيات  
تربيهن أمهاتهن يحملنهن فى الحجر ويرضعهن من لبان ثديهن المدار ، ثم لا يلبث  
النمو أن يسرع بهن فيصبحن شابات بالغات تطل نهودهن وتنسرب شعورهن  
على الصدر ويلبسن ثياب الحرير . وما أن اكتمل نمو هذه الدوالى حتى خطبتها  
ريح الصبا للريح الغربية (I) وتزوجتها فى حفل بهيج ، انطلقت فيه مياه  
(I) الريح فى اللهجة المغربية مذكر

الصهاريج والفسقيات وعزفت موسيقى اصدااف المطر الغزير ، وحضره  
الهزار ، وقدم الفجر هديته نسيما طيبا طربت له الاطيار ورقصت أغصان  
الشجر . ثم حملت بعد ذلك وتوحدت على ثريا ضريح سيدي بلعباس ، كان  
أهداها له السلطان اثناء زيارته ، فأنجبت عناقيد شبيهة بهذه الثريا ،  
فاقت الذهب فى صفاء اللون ، ما كادت تنضج حتى جناها ولد الغرام ،  
وعصرها فى ثوب الهوى وصفها وعتقها فى صون الى أن عبت نسماتها  
تبعث على النشوة وتنفى الهجر والصد والاسقام والاكدار ، ثم خرجت  
لحضور مجلس الشرب صفراء منيرة تحيط بها الكؤوس ، وكأنها البدر يوم اكتماله  
قد التفت حوله النجوم :

أرحم اعلى الغراس يوم غرس ادوالى فى ارياض امنع بنوار  
واسقاها بمياه تنهمر ❦ ولقحت ادواحها وتاكت مسرارا  
ربها تربيت الصبيات فحجور امتهأ اعلى تهدين المدرار  
بتشرغين افغايت الصفير ❦ طلقات اضفرتها اعلى غيظ الجارا  
وبعدها بالرضا رجعت اعزيبات احكىتها ابناات المجد الجدار  
عن لبلوغ اطفحت للنكر ❦ ديك الهادى الوات بالتيه اكرارا  
بلغات اطلو انهودها واسوالفها جات حايفا عن ليمن وايسار  
لعبو فوق ارخامت الصير ❦ ولبنست اقماش سندسى عند اذكارا  
اخطبها ريح الصبا الريح الغربى عقدو أزواجها بحضور الهيزار  
فبساط الفرجات والزهر ❦ واخصوص اتفور والصهارج همارا  
بشهود الآلى وصيغت الآلا صدف الجواهر أمن المزن الغزار  
راحت فى عبروقها اخضر ❦ من فوق اسيرها زهوا للنظار  
جأب الفجر اهديثو ابطيب انسيمو غنات لو انزايه لامت لطيار  
ورقصت القطبان فالشجر ❦ وارخات اكمامها اعلى الفرج ابشارا  
تكلت اصاحى افروضها واتوحدت اعلى اتريت الطرشون الصرصار  
سيدي بلعباس يندكر ❦ أهداها لو اهمام لشراف ازيارا (I)  
ولدت شى اعناقد كفها تسطع بضياها اولا مثلها ذهب افتشحار  
(I) تطلق الزيارة على الذهاب الى الضريح وتطلق كذلك على مايقدم له من  
هدية أو نذر ، وهى فى البيت بالمعنى الاخير .

صنع الله المالك لكبير  
اجناتها ولد لغرام اعصرهما في قوب لهما وصفهما للتقطار  
عتقها في غايت لخفسر \* وعبقت انسومها ابنشوا بتسارا  
انفات المجر اصد والبين اضيق الهم والجفا واغصايص لمرار  
والسقما فالقلب ولكدر \* زالت بشعاع نورها عن لخصارا  
حضرت الصفرا اكم البدر ليلت واحأكواكبو اكيوس اضياها ستنار  
كيسان الفجر امع التبر \* منسم لبساط عل الحضرا سيارا  
وهو في «الساقى» الآخر يرسم صورة الدالية منعمة في الحدائق دائمة  
السقى ، وقد التوت أغصانها في حلقات على سرير موثق ثابت ، مائلة معربة  
في كسل وعنفوان ، وقد تدلت منها عناقيد كثريرات في السماء علقمت  
بأسلاك من الذهب :

هاك دم العنقود افطبت لمساقى \* بنت ادوالى امخت فحدايىق  
اعلى السقا واسراير توثيق  
اغصانها عربطت والتوات افلحلاقى \* فكساويها امكسلا واعبـارق  
امشرغنا بخراس التحليق  
ولعناقد مثل اتريات فالافاقى \* واقمصليها امعلقا بتعالـيق  
امن اسلوك الذهب افتوريق

أما الساقى فيراه امتيرد مولها حيران ، ويسأله فيبرد بأن السبب كامن في  
الخمير وفى الجمال الفاتن الذى ينظر اليه :

ياساقى مالك ولهان \* عدلى لا تكتم سولان \* مال حالك مالـو  
قال لي مكوانى حيران \* خاطرى والساكن دهمشان \* والى به قتالـو  
لدام أحسن الحسن \* والنظر والعشق الفتان \* والهوا واهوالـو  
ويطلب منه ابن على أن يكون مطيعا للفتانات ، وأن يلبي طلبات  
الحاضرين وأن يكون منتبها

أعمل فالحضرا ما بغينا \* طع لبها اوكن فى حالك يقظان  
ويريده المدغرى أن يكون لبيبا واعيا منتبها ، وأن ينشد مواويل  
وأشعارا حلوة رقيقة ، وأن يوقظ السكارى عساهم يفيقون ، وان ينحسـى  
امام سوداء العيون ويتقبل الارض بعينه بين يديها، وان يزهى القلوب ويحركها

بالوتر والطبوع الشيقة :

كاس دم العنقود من لبريق ساقى ❖ وابغى ساقى اليبب دهرى فايق  
فى اغزيل الموال اريقق

شم أساقى واسقى غسق ارمافى ❖ وانغم بشعار كن حربى عايق  
وگض الطايح ياك ايفيق

بندق أكبل الارض بشفر لحدافى ❖ وازها صحى لقلوب من لعلايق  
ابلوتر واطباع التشويق

وقريب من هذا يقوله العلمى لساقيه يوصيه بأن ينحني أمام المليح :  
طار اغراب الداج ولخمر فالاولانى باقى ❖ يا ساقى  
أهدى كاسك المليح واخضع لوبتبنديقا ❖ وافهم معنائى اوعيق  
ويريد المدغرى من ساقيه كذلك أن يشمر عن ساعده وأن يسقيه  
ورفاقه بفراصة حتى يفرج عنهم الضيق والهموم :

قرب الصفرا هات الكاس

امن ايديك اسقنا يا صاحب الخمر بكياسا

مزق اضنانا والتكبيس

شمر اكمامك للتوئاس

طوف واسقى واهدلنا افناجلك بفراسا

ما بحالك فالزهو اونيس

ويطلب محمد بن الوليد من الساقى أن يكون خفيفا سريعا فى الصب

غير بطيء :

الساقى ضيف الله ضيف ❖ غدر الكاس أكون اخفيف

باش تطفى هذا اللهفا

وعند محمد الشليح فى «الكاس» أن حبييته هى التى تسقيه وتسقى

جلاسـه :

كبي ياباشا رادفى كاسى من خمر لمراش

فاجى تقشواشى ❖ يا هلال الخودات اعبوش

كبي الكاس ❖ واسقى جلاسـى



طالت الفرجا يا سلطانت النسا \* بوجودك واكدنا اتسنا  
 ما كان بهاس \* فغسق حنداسى  
 بعد تكت ليلت لوصال غالسنا \* غابو اهل لفجور ولحراسنا  
 ومن نظام الشرب وأدبه ما يلفت اليه امتيرد نظر الساقى، حيث يريد  
 أن يوقظ الحسان ، وأن ينتبه لدور كل شارب والا يكف عن الصب طالما  
 الليل مسدل ستاره .

الساقى وكض لريام \* رد بالك للنوبا لا تغيب عن مولاها  
 كب واسقى مازال الليل

ويطلب منه ابن على أن يسقى ويشفع ، ففى ذلك علاج العاشق :  
 كب ياساقى الراح لعتيق واردف للعشيق هاداك اصلاحو  
 بوجود ابنت الحى كب ياساقى كاس الراح  
 أما ابن سليمان فيريد منه اذا عريد ووقع أن يوقظه بانشاد الاشعار،  
 وأن يعيده للمسكر من الرشف بمجرد صحوه :

اذا نطيج وقظنى بشعار النظام

ما نصحا حتى اتردنى بالمرشف سكران

ومن أوانى الشرب يذكر ابن على الكاس والابريق :

كب ياساقى هات لنا \* صب لمدام واسقنا بالكيسان  
 حتى طار اغراب لغسيق وارفع فوق كاس لبريق فرجا بصباحو  
 ويذكر كذلك فى «الصباحى» أوانى البلور :

كب لمدام ياساقى من بلار \* اصغ اوطف بالخمـسـارا  
 ويذكر ابن سليمان الكؤوس والفناجين الملونة :

كب اكيوس افناجل لخمـر نشهد عل للوان

ونجد ذكر الفناجين عند المدغرى كذلك :

فق اصاح هات افناجلك واغنم نشوت راحى

ويزيد عليها الطاسة :

كنت امهنى اسليم ما تعرف ياخنارى \* كاس اول طاسا اولاخمر  
 اولاندرى اشروطها فحضرت الخمارا

وعند محمد بن الوليد في «الصفراء» أن أواني الشرب أكواب مختلفة،  
منها قرفية فخارية ومنها صدفية وخزفية ومنها زجاجية وبلورية ، ومنها ذات  
ألوان صفراء وزرقاء :

وأكوابو المشتعرا

أعلى الصناف داروا

أكداك أوجاروا

أحبب حار

لض أرفيع الشراب بهم وانزاح الهول

قرفي واصداف زاجي والودع والخابوري أنزاه

والعلج أبلار

وعند العلمي في «الساقى» أنها كؤوس من زجاج عراقي (I) شفاف :

كب الخمر الخارقا \* في كيسان ابتادقا(2) \* من زاج ابلاد العراق

تظهر خمرا بارقا \* فالوانسى شارقا \* كلون اسحق الرماق

بل انا نجد ابن سليمان لا يريد من ساقية أن يقدم له الخمر فسـى

الكؤوس ، وانما يريد أن يملأ فمه ويسقيه ، ويكفيه الريق بلا خمر :

أنا ابلا اكيوس اسقيني \* عمر امراشك واعطينى \* الريق ابلا اخمريكميني

والوقت **الفضل** للشرب عند امتيرد في «الساقى» هو الليل :

زد غدر كاسك واملاه \* ليلنا بالعز اغنماه

بعد قالو ليلتنا ياالشيخ لا تنساها

وعند ابن على أنه يمتد حتى الفجر اذ يبدأ ستار الظلام يرتفع كأنه  
غراب طار وركع فوق الكؤوس والابريق ، ايدانا بالصبح حيث بدت خيوط  
الشمس الاولى مشعة تضيء غرة الفجر الندى بدا كسلطان جميل تبايعه  
الاشجار وتنحنى له ، وقد هب نسيم البستان طيبا وألقى جبين الفجر  
ضوءه على الكواكب وأخذت الطيور تغرد فوق أغصان الشجر المائل ، وفاحت

(I) يطلق في المغرب هذا الوصف على زجاج الملون .

(2) لعل المقصود بها كؤوسا مستوردة من مدينة البندقية الإيطالية .

الازهار المختلفة من ورد أحمر وسوسان منير كالمباهى بسلاحه، والخابورى (1)  
 يخبر بحكم العاشق ، والياسمين البهى الكاوى والخيلى (2) مشمرا للكفاح  
 بخيله ، والنرجس ترعى عيونه زهر «الزين والبها» فى الغدو والرواح ،  
 والخيتران تتمايل قضبانه تميم مع الرياح :  
 حتى طار اغراب لغسيق واربع فوق كاس البريق فرحا بصباحو  
 والبستان اعل انسيم الحضرا طيبو صباح  
 واجبين الفجر ضوى اعل لكواكب واطيار ادواحنا اعل ضيو صاحوا  
 فوق امنابر لغصان كل طير اغرد بفراح  
 واهمام القبلا كشرىف حاكم دار العجلا غرت مصباحو  
 امر لشجار ايباعوه لحسن بجمال الصبح  
 مالت لشجار وفاحت لزهار وغنات اطيوار اعل لفجرو تلقاكو  
 ضحكت بالفرح اتغاير الزهر فى ظل اللقاح  
 شف الورد العكرى ايفوح شف السوسان فى امصباحواتبها ابسلاحو  
 شف الخابورى اخبىر الحكم لعشيق الفضاح  
 شف ابها حسن الياسمين كيوخلانى فى حالتى امكثرتجياكو  
 شف الخيلى خيلو امشهرامشهور الكفاح  
 شف اعيون النرجس كتراعى لبها والزين فى اغداه وفرواحو  
 واقوام اقضييب الخزان يتمايل بين ارياح  
 وعند ابن على فى موضع آخر أن الليل قد أقبل سلطانه يسدل  
 الظلام بأجنحته ، ويملا الفضاء بعساكره وينصب خيامه كانه فارس سودانى  
 شجاع يمتطى فرسا أدهم ويسل سلاحه ؛ وتجاوبت معه النجوم فلاح  
 ضياؤها فى الجو ، وتحت علمه أخذت بدور الجمال طريقها للمكان وكأنهن  
 عرائس لم تنظر العين مثلهن ، وفى المكان مدت فرش ملونة بين الاشجار  
 والروض البهيج وجداوله المنسربة :  
 حضر بالك يا عاشق لبها شف اهمام الداج مد بالظلام اجناكو  
 عمر لفضا بعساكرو ودق اخباه افلبطاح

(1) هو النوع المعروف فى الفصحى بالخابور .

(2) لعل أصله الخيرى وهو الزهر المعروف بهذا الاسم فى الفصحى

نحكي سوادني اشجيع يتبختر بغفارتو اعلى ادهم سل اسلاحو  
وانجوم القبلا لاجلو فالجو اضياهم لاح  
وابدور الزين القاصرات تحت اعلامو يامن اتسال للمرسوم راحوا  
همان اعرايس كل ريم شلا شافت للمساح  
لبساط ايحير لعقل بفرشات عل للوان ما بين ادواحو  
والرياض امهيج بغرايسو اجدول بين ادواح  
أما ابن سليمان فيستمر مجلس أنسه يوما وليلة ولا ينتهي الا فسي  
العشي وقد اصفرت الشمس ، وهو وان لم يشف لوعته فان الوقت الحلو  
الذي أمضاه عل قصره خير من مائة عام :

هذا انهارنا جوزناه (I) اعلى التمام  
شمس لعشي راحت صفرا \* فالزین ما اسخت ابنظرا \* باقى ماشفت الحضر  
ليلا او يرم عندي فعواض اميات عام

وأما العلمى فى «الساقى» فيفضل الفجر :  
راح الليل اعلم لفجرتاكي الصبح الراقى \* يسا ساقسى  
دوز اعلى الحضر بفناجلكت تزيان الموسيقى \* وازرع (2) للساهى ايفيق  
وكذلك يفضل المدغرى فى «الصباحى» :  
اغتم الصباحى يانديم واسطاب ارضيع الكاس ولطيار افغناها  
لاترتى للبرنيس كب ورا (3) ربى غفار

- 
- (I) جوز بمعنى قضى وامضى ، وهى من -تاز بمعنى فات ، لاتستعمل الا فى المنطقة الشمالية من المغرب اما فى الجنوب فيستعملون دوز وداز. ويبدو غريباً أن ترد عند ابن سليمان الفاسى
- (2) ازرع هنا بمعنى صب له أو قدم له الخمر ، وهى توحى - سواء فى هذا الاستعمال أو غيره - بالحركة الخفية السريعة .
- (3) أرا بمعنى هات لاتستعمل الا بهذه الصيغة كاسم فعل الامر ، ولعل أصلها ارى مضارع راي فى المتكلم كأن الطالب يريد أن يعطى الشئ حتى يراه بعينه .

والوقت عند الحاج ادريس لحنش في «الساقى» هو العشية عند

الغروب :

روفي اعليا واحدي لنا عن فرجت لعشيا امدام المباح  
أساقى عقب النهار هذا فوز ابوقت السرور واستقنا بين ادواح  
شف الذهبي الرايح : لبست ثوب لغروب والليل اغشاها  
ومثله يريد انجاز في «الذهبية» أن يقتنم لحظات الغروب ليشرب :  
شدر كاسي يا مديم قبل اتروح الذهبي  
شف لبهم حين اتمكن فظلامو اغلب غي النهار  
ويرسم امتيرد في «الساقى» اطارا طبيعيا **لجلس الشرب** في غاية  
الروعة والجمال ، فالطيور تغرد وتسبح والحسان ينشدن القصائد والعروبيات  
والاغنيات ، والاغصان تتمايل والنسيم يهب :  
شعاع لخمير فبنات الحى باح وافشا مكنون اسرارها وطار احياها  
لاح طير الحسن الكسيل  
ذك فقصايد تنشد ذك بعروبها تلفظ والخرى بغناها  
كنعت المايا والذليل  
تألى الفجر والليل انشال ولطيّار اتسبح المن انشاهها  
ولغصان اكساهها تبجيجيل  
هب من جو لفلاك انسيم بعد طرلت لمقام البين للوداع ادعاها  
كينادي بالعزم ارحيل  
ويقول امتيرد كذلك في «فرجة لعشية» :

بالصفرا والكيسان خمرا نشروا معصورا  
ما بين العرسان ولعرايس وكيوس اتروج وعلى حضرت للملاح  
هاذى تسقى واتزيد  
والنوبا ماتنسها  
ديك اتجاوب بنشيد  
يامحلا صوت الغاها  
لخر ترقص واتميد

بغرايح شف اهوها

هادى تسحر لدهان

لخرا تفتن مبشورا

ديك اثريا ديك كمنارا فغساق اديوج

شرق اضياها وضاح فى حرجا عل للوان

بخلاعتهم مشمورا

يتمكن ويروح امن انظرهم تأيه مفلوج

يتشكى دون اجراح

مايفدهم ثمان

هل لخدود المعصورا

ملا لتفهم مانتج ماشلا فنتوج

يوم اوقرها يشحاح

ويستعرض المدغرى فى «الساقى» أنواع الطير التى اعتلت أغصان

الاشجار مغردة مسبحة لله فرحة طربة ، ويشير الى المغنى ينشد الاشعار

وعازف العود ينقر برفق فتزهى لنقره الريام ويقمن للرقص :

شف يا ساقنا لغراس : خاطبين اعليهم لطيار قاطيا عساسا

ايسبحو من له التقديس

شف لمم ابشوقو مـاس : ولبشيق ايغنى بفصحتو الغاه اتواسا

جاوب الحريل والسمريس

شف كمرى يرثى فهواس

امجاوراه امقين ابصوتها الهول اتناسا

شف كلال امثيل اعريس

شف لطيار افطيب اغراس

اكما ازهنا لاريب ازهاوا افرحوا دون اعكاسا

كل طير افمغلاه اوجيس

شف غانى ينشد عساس

شف مول العود ايزهى اريامنا بسياسا

له قاموا فرحا وارقيس

ونجده كذلك فى «الساحى» يصور جو المجلس الساحر فيذكر المغنى

ينشد بأنغام وتواشيح يصاحبها العود والرباب ورقص الفاتنات :

ماشفت أساحى ارحيق ينظم فالكاس اعقود ويضحك فالسمع النواح

والغاني بنغام فاصحا \* لوتاه احباك من الخمر الكفاحا

ماهرزك توشيح \* والبستان القيص

والعيدان اتصيح \* والرباب الى نايح

لو شفت ابتلميح \* فنجات اثلميح

بنغاييم واشطيح \* ولمقاييس وادواوح

ويضيف المدغرى فى «الصبوحى» الى هذه الآلات الجناح والجنك

والكمان والسنترى :

شف العود والقانون والجناح والجنك اكمنجا واستتر احدهما

وارباب امع الآلى ايجاوبو بنغاييم لوتار

شف الآلى موسيقتو شحات اعلى حسن انغاييمو فى ميزان احضاها

واكمل اصبوحننا على الرضا ماغزلو حرار (I)

ولكنه لا ينسى التعريجة

كب الخمر الكافح \* أصاحى واتراوح \* بالتعريجا واكباح

ومثل هذا التصوير البديع لآطار مجلس الشرب نجده عند الرجزاجى فى

«الساقى» حيث يقول :

شف البستان ارفيع مبهاج  
موجود فيه كل ماكنحتاجو

شف اغصان الزوض كعرايس داحت بدواح  
بخلاخل وادبالج اعقود الجوهر لوضيـح

وادواوح واكمامها ابلعطر تهجى واتفوح

شف البان ايبان كهفيف الزين المياح  
يتنهنا بنساييم لعطوف امرح تمرـيح

متمنع فطفاحت الشباب امورد واجموح

(I) يعنى قصيدة «الصبوحى»

شف السفرجل شامخ النهود ارخى لدواح  
بالفرحات اتعاقوا بعشيق الالوتيريج  
والتشين امقابلو امع الفرصاد الممدوح  
شف الليمون الشط والرنج من عطر وفياح  
والورد القانى ابطبتو يجلى كل اطريـج  
والورد النسرى امع الورد العكرى منصوح  
شف الجار افدوحتو امعكر قدونصاح  
وامعمم بعبارق السباني للفرج اجنيح  
والياس انوار املون بوشامو مسروح  
شف اليزيدى شف طـجـاج : وامدلك اكف لقصور غلهاجـو  
شف السوسان ابطيب نفاج : والخزان وامضل الملك ابتاجـو  
وانظر للخابورى افتبهـجـاج : والزين ولها مترونق فدباجـو  
شف المعشوق اشف عاشقو بغرامو نواح  
والنمنام ارقبهم فى قلبو جمر الفيح  
والديدى والديدحان والخطما واليربوح  
شف الشكوكى انقول عشقى شاكى لحلاح  
والخيلى خيلو امسرجا فالميدان اطفـجـج  
والباغ ابخالو وشامتو للعكرى مجنوح  
شف الجمر طاهجا البهر شاخص بلمـجـج  
يتزها فالغالب ايجول ابنظر واطمـجـج  
والحكم افحكمو ايجور ما يشفق من مكروح  
شف اليرقان اهوا ازروقا حنى انحل اوجاج  
والبهجا والفن افلمحابق زاهر وانصـجـج  
السوسان امع لقرنفل واشكرنط منقوح  
شف اجداول فهدرها سر امن الفتاح  
فخلخل لدواح جاريا تلـجـج بالتسـجـج  
واترضع فنواور خواص ابماها عذبي مسيوح



شف اترابع افكل منهاج \* وارياضنا امزخرف زاهى تفواجو  
شف امشاوات الساج والعاج \* والياسمين واسرايرها فنهاجو  
شف افرشمت حرير وادباج \* وامخاد واخدادي بالذهب انساجو  
شف اطيوار ابلنغام كتعربط ما شربت راح  
صبحت نشوانا ابلهوا تفجى هول التخليج  
بالسر المكتوم كل طير ابا فيه اينوح  
شف الحداد ابايتو ايحير عقل الرجاء  
والسمريس اتقول شى اصبى يقرأ بالتوضيح  
والنحاف ايجاب الزطوض ايشكى للروح  
شف الزرور ايتيه ويرقص وخفك ابلجناح  
يتهد ويبدل النغام اسجول اتوشيح  
ما مثلو نشاد رايق المعنى بالموضوح  
شف الهيزار ابلغتو ايحير فمسا واصباح  
ويغرد فالليل والنهار ابصوتو لفصيح  
والكلال ايروج افلقفز بنشيدو مملوح  
شف ازرويال ايتروك يفصح فوق الفصاح  
ومقنين اخادم الجنان اتوضح توضيح  
والحضر! فى غايث الزهو والعز المنصوح  
وانظر للصبح امطرده الساج \* ضوا ابرايو بيضا من تبلاجو  
والشمس امعالمها اقلبراج \* لقحت كل روض ازهرت احراجو  
وازهنا ما بين لتباج \* لا وعد لارقيب ايروع بهراجو  
شف القانون امع الرباب شف الجنك الجناح  
وانظر للكمناج اوشوف العود ارجيح  
ينغم بالموال والرصد والسانو مصلوح  
شف اصبهان امع الحسين والمايا فى تنقاج  
شف العشق الصافى الزم العفا باش اتريح  
والتوفيق من لكريم نعم الحى الصبوح

وفى الرفقة يرى ابن على أن يكون كل واحد مصحوبا بخيلته  
يزهى بها ويتسلى فى صفاء ، بعيدا عن العواذل والحساد :  
كل اخيل اقبلتو اخيلا ❖ بالعز والرضا فى ساعته لوصال  
يتسلوا فى حضرا اجديدا ❖ بقلوب صافيا رغم اعلى العدا  
كل خلية قد لبست افخر الثياب وعلا جبينها تاج كالبدر الوضاح  
مرصع بأعلى الدر والجوهر ، وقد شرب حتى عربدن ووقعن ، ولكن لم يلبثن  
أن أفقن مترنمات بأحسن الاشعار :

لبست لبسا واعلى اجبينها تاج ايحير الضمير من متع الماحو  
بالجوهر والدر النفيس تعنى بدرا وضاح  
رشفوا كيسان الخمر وعربطوا واطغوا الوالعات فالجين اوطاحوا  
ثم قاموا واتنغموا اوصاحوا بشعار افصاح  
وكذلك يرى المدغرى فى «الديجور» :

والصفرا تسطع كهلال واكواعها مثل النجوم فالخمر عاموا  
وهل الخمر فبساط كل عذراوى حايذ ريـم  
ولكنه لا يلبث فى «الساقى» أن يهوى الشرب مع جماعة الفاتنات :  
شف حضرا تسحر لغلاس ❖ شف خودات اهواويات افلهوا وناسا  
راخفات شعر داج اغليس  
ويود ابن سليمان أن يشرب مع حبيته فى جمع احبابه وأهله :  
يحلا امع القاك اشرابى ❖ ما بين لا متى واحبابى  
تنسى امحايى واعذابى

أما أنجار فيريد فى «الذهبية» أن يفوز بالشرب مع أبكار المدينة :  
أساقى فوز بالنزاهة والفرجات ❖ وازها بعوانس لحضر وافخر بهم  
نبهم للسرور وازرع الطاسات ❖ ساعف غرض الريام لك ساقيهم  
أش من فرجا اتلذهن غير الخودات ❖ زهوا للعاشقين فرحا بمجيهم  
وقد يعرض الشاعر الشعبي عن الخمر الى غيرها ، على حد ما تصادف  
عند الرجراجى الذى لا يرغب فى غير الاتاى والسكر من عيون حبيته  
وخدها :

الساقى بين ملاح كب اتأى الفراح \* ترك الخمر او لا تقربو بالتصحيح  
واسكر بعيون لمليح \* ومن الخد المرضوح  
وعلى حد ما نصادف كذلك عند الحاج ادريس لحنش الذى يريد أن  
يشرب من الخمر المباحة .

رف اعلينا يامديم واهدى لنا عن فرجت لعشيا امدم المباح  
ولكن مثل هؤلاء الشعراء سرعان ما يجدون من يغريهم بالشرب ؛  
فهذا امتيرد فى «فرجة لعشية» قدمت له الفاتنات كأسا مليئة بسائل أبيض  
مصفر شك فيه أن يكون ماء ، وادرك أنه غير مباح واعتذر عن شربه ، فعجب  
لامره وضحك ، وألحن عليه فى أن يشربه حتى تظهر له آثاره ، فهو زهو  
بنى عذرة المشهورين وسلواهم ، شاربه أكثر بطشا من السيف وأحد من  
أسنة الرماح واسرع من ريح البحار ، ينطلق لسانه وتنتشى جوارحه وتحمر  
وجناته وينزاح عنه ستار الحياء ، وكل من لم يذقه لا يرتاح :

رفعوا لى كاس املان \* ابيض وامعاه اصفورا  
هذا لماشكيت قلت لهم للعقل اخروج \* ما هو ليا مباح  
قالوا لى خذ اشرب \* تنظر واتشوف اعمالو  
قلت لهم ما تقرب \* منا فى حالت حالو  
واضحت لهم اعجب \* ضحكوا الريام وقالوا  
هذا زهو السلوان \* لبنى عذرا المذكور

مولاه ابطش من اسهام واسرع من ريح الجوج

واقطع من سن ارمباح

فوق اجوارح نشوان \* واعلى الوجنات احمورا  
ايسرح للسون واكشف لحياء للمهروج

من لاذقو ما ارتاح

وهذا المدغرى فى «الكاس» يغرى صاحبه بالشرب منكرا عليه - فى  
استفسارات - جفافه ، فهو لم يطرب للغناء ، ولم يشرب كؤوس الفرح ،  
ولم تصبه سهام العيون فى شغاف قلبه ، ولم يعض تفاح الصدر ، ولم يذق

رحيق الشنفاه ، ولم تهزه ربح الهوى ، ولم يهزمه جيشه القوى بخيوله  
المتوثبة وسميوفه القاطعة ، ولم يسهر الليالى متأوها متوجعا جريحا ، فليكف  
عن الجولان والهيام فى صباحه ومساءه ، وليشرب كأسا مترعة تمحو الهموم:

غدر كاس الراح لمتا وانت عقلك ساحى \* يا صاحى  
اسمع ما قالوا الناس فالكاس ابغير امزاحا \* واقبل منى ذا النصيح  
وانت عقلك رايح \* ماهزوك اكرايح (I) \* مادقت اكيوس لفراح  
ما عكروك الوامح \* وسط القلب الجارح \* مانكويث امن الماح  
معاضييت اتفافح \* فوق الصدر اطوافح \* مادقت اشغوف لجباح  
ما هزك ربح لهوا وغيوانو بين ارياحى \* يا صاحى  
ماهزمك جيشو امع انصالو بخيول اطفاحا \* تبرى بسميوف الذبيح  
ما هزك فالنوم من اسنون انشاشب وارماحى \* يا صاحى  
ما خلاك اعلى لفراش اوجاعك تداحا \* ولا قاصك شى اجرريح  
...

يكفأك أصاحى اتجول هايم فمسا واصباحى \* يا صاحى  
غدر كاس الراح ابلقداح اهمومك تنماحا \* اغلغل فى مرطايح

بل يذهب الى أبعد من ذلك فيعد الذى لا يشرب من الدواب :

من لاعربط سارح \* فمراتع واتسارح \* عدو من كسب لمراح

وماكاد يقدم على الشرب تحت تأثير الاغراء حتى رأى فى العرشف

صلاحه وعلاجه ، وأقبل عليه بلهفة عساه يعوض ماضع من غمره :

اسقيه اسقييه قال لى فالقمصال اصلاحي \* يا صاحى  
أرا لى نفدى الى امضى من عمرى واتماحا \* وامالى حتى انطيح

بل انا نجده فى «ساح» آخر يغرى صاحبه حتى يلين ويستجيب ويرغب،

ولكنه يتعامى عنه ولا يلبي رغبته ، ويتركه يتحرق الى أن يضيق به الحال

فيغرى رأسه ويكشف عن رغبته الجامحة ويطلب مباشرة من الساقى أن

(I) ج كريحه وهى الغناء عامة وتطلق خاصة على النوع الذى يقوم على  
قصائد الزجل .

يصب له في القدح الكبير حتى يغنم ويعوض مافات ، وأن يرمى القدح الصغير  
الفناء ؛ وما كاد يشرب حتى غاب وغابت معه همومه ، ثم أفاق وأتى على  
كل الخمر ، بل أن مغريه خافا على نفسه أن يشربه لكثرة ما أبدى من لهفة :  
فاق الساحى امن اسهوه جدد فيا الشوفا وهزنى واغمزنى بالمح  
نخلتو (I) وارجعت لو اجحسا \* جايتعاما اعليه درتو بهرجاحا  
وبعدها ضاق به حالو عرا راسو زاد للصفرا دون امزاح  
وانشلق للساقى فى امكباحا \* قال اسقنى امن الرحيق الفراحا  
كب ارالى ابلكيرياك انغنمو مافات والصغير ارميه اللمرح  
صاح اساح اغاب ما اسحسا \* واصبح هو ابكاس لدام اتماحا  
فاق ارقص ابلاخفا واضرب الرش (2) ادوا قال لى اسقيه اوسقسسيه اصاح  
واضعم فالصفرا الشارحا \* وادوالى قال لى مرتك (3) لاراحا  
شفت الساحى اشرب كل شى سلكت انهارى وخفت لايشربنى يا صاح  
وعنده أن الذى لا يشرب مصاب ، حياته فارغة ، وهو وغد شحيح  
بخيل :

من لا اشرب ارزيج \* عايش ريج افريج  
كابىر وغد اشحيح \* عاش فزمانو كالح  
ونجد المدغرى نفسه يتحدث عن مغريه بالشرب فيعتترف - فى  
مزح بين خمر العنب ومدمام الحبيب - بأنه كان يجهل كل شىء عن الخمر وأنه  
كان سليم الجسم مرتاح البال الى أن رآها فى عيون سكرى ، وشاهد  
عصيرها على خدين جذابين . وكان قبل شرب المدام - ويقصد مدام العيون  
والخدود التى كانت مطيته للمدام الاخرى - حرا مرتاحا مزهرا روضه ،  
بعيدا عن طريق الهوى ومشاكله ، لا يشرب كوؤوس الهجر ، ولا يشتعل الجمر  
فى قلبه ، ولا يعرف اللوعة والسهر ومرارة الغرام :

- 
- (I) لم أجبه من نخل نخالا  
(2) لعله الزق ، وضربه أى شربه عن آخره  
(3) مرته والمرارة التعب والمحنة .

كنت امهني اسليم مانعرف ياخنارى \* كاس اولاً طاساً اولاً خمير

ولاندري اشروطها \* فحضرت الخمارا

أنا سيدي حتى انظرتها \* من اشفار اسكارا

أنا سيدي واعصيرها \* اعلى الخدين المسرارا

أنا سيدي قبل لمدام ما داخل تحت احكام غير مرتاح

ما عرفت اللهوا جراً \* اولاً شربت اكيوس الهجر \* اولاً شعلت افقلى جمر

مطلوق معذرفى اعدير \* زهو امكدل بازهارى \* ما نعرف ليعا ولاسهر

فى طيب النوم ما عرفت اللغرام امرارا

وكان الاغراء بالشرب سبيل الشاعر الشعبى للتعبير عن رأيه فى

الاستمتاع **بهذات الحياة** فامتد يد ينصح ساقيه الحيران الموله أن يستمتع

بالحياة حين تتاح الفرصة ويفرح والفرح لا يتم بغير الشرب ووجود الحسان،

وينصحه أن يتمتع بصره ويتنزه فى هذه الوجوه على ضوء الشمع ونقرات النغم،

فقد فات أمس بسروره وشقائقه ، وقديما نصح بالايستبدل الانسان ساعة

الهناء والسعادة بالتعب والشقاء ، ويطلب منه ألا يكون بخيلاً :

قلت للساقى شد احزام \* لاتعاتب نفسك بملام

خذلك ايفاداً

افعل ما فعلو هل لغرام \* حين تعطف عنا ليام

فرحها يتزاد

آش من فرحاً دون امدام \* واش من حضراً دون اريام

للقلوب **الـ**اذاً

متع ابصارك واتزهى افوجه لحباب او مايدوى لقلوب واشتهاها

بالنغاييم واشمع اشعييل

آش باقى لك من تنكاد ليلت البارح معلوما ابفرحها واشقاها

ما يحضر امعاها تهويـل

قول فات اصحيح اسمعناه لا اتبدل ساعت لهنـا ابتعبها واشقاها

اولاً تكون عل لجواد ابخيل

كيف يذهل عقلك ويغيب وبعزائم قدامك كلها ابما عتناها  
 هب نفسك للطوع اتميل

وابن على يريد أن يفوز بالزهر والسلوان مادام الله سميعو ويغفر :  
 دبا ربى يعفو اعلىنا :: ازها وفوز هذا حد السلوان  
 وهو فى «الصبحى» يدعو ساقيه الى أن يغتنم شرب الفجر . مادام  
 الزمان فى غفلة ، وأن يشعل مصباحه بالهناء ، فمن لم يفز ويغنم لن يتسلى !  
 اغنم امع للمليح اصبحوك :: أما ترى الزمان فغفلا  
 واشعل ابلهنا مصباحك :: من لا يفوز ما يتسلى  
 أما المدغرى فيدعو الى تنزيه النظر وترك الهموم بالاخذ والعطاء واغتنام  
 وقت المنادمة بالشرب فى الطاسة فليس فى لحظات السرور والصفاء ما يقلق  
 ويزعج ويبعث فى القلب الوسائس ، وليس مثل الخمر نشوة ولا فى  
 شربها باس :

نزه ابصارك لوح الباس  
هاك ورا اغنم ازمان لمنادما بالطاسا  
ما فساعت لهننا تهويس

لا يروم اخبيرك وسواس  
كب وانشط واتزهي ما عليك فالوسوسا  
ليس يهوانا غيرك ليس  
رادف اعلينا بالوناس  
مابحال الصها تشوا اولاً فخمرك باسا

كَب وَخَضِي مَنْ كَانَ أَنْعِيسَ  
وهو يرى في «الزهو» أن متعة الحياة في البنات وسكنى القصور  
والفروسية والموسيقى والغناء واللباس والتزهر في الطبيعة وشرب الخمر:  
الزهو فبنات اشبان ❖ ولنازه والخيال أميت لوتر والغاني  
ولقماش روض اكيسان  
وأما محمد بن الوليد في «الساقى» فيشرب ليطفى لهفته :  
الساقى ضيف الله ضيف ❖ غدر الكاس اكن اخفيف  
باش نطفى هذا اللهفا

وعنده في «الصفراء» ان الخمر تذهب الوسواس والاهوال ، واتسه  
لا معنى لحياة الذي لا يروى منها ظمأه ولا يحيى نفسه بأنغام الاوتار ، بل  
ان النفس تحاسب صاحبها ان لم يجعلها تزهى وتستمتع ، وعنده ان متع  
الدنيا كامنة في الكتب والخيال والبنات ، ثم ان الله غفار :

طاب الزهو ولد الشراب واذهب وسواس الهول

فرجا بيام العز ولهنا فرجا لمن ابغاهما  
بشر يا بشار

آش را من لاکب ارو اوهاج افدولت لفحول

آش را من لاجاد وسخاوزها نفسو حياها

بنغاييم لوتار

من لازهى نفسو اتحاسبو قالوا هل لعقول

زهو الدنيا لكتوب والسروت البنات انزاهما

والمولى غفار

وقريب من هذا نجده عند العلمى فى «الساقى» حيث يرى سرور

الدنيا وزهوها فى الجمال والخمر ، ويرى الصولة والعزة فى الغنى  
والفروسيية :

اسرور الدنيا وزهوها فالزين العراقى ❖ يا ساقى

والصولا والعز فى اركوب الفرسان احقيقا ❖ وامع الفضا ولوريق

وعند أنجار فى «الذهبية» ان لحظة الزهو تحيى القلوب وتسدل بالافراح :

أساقى سامت الزهو تحيى لقلوب ❖ واتسلى ابلغراح بالشوق الجالى

والشاعر الشعبى فى اقباله على الشرب واغتنامه للذات لا ينسى وبسه

ويأمل في عفو غفرانه ، يقول ابن على :

دابا ربى يعفو اعلينا ❖ ازها اوفوز هذا حد السلوان

ويقول المدغرى .

قل للساحى ايفيق امن النوم يسمع انصاحى ❖ يا صاحى

بمعالم واريح لهوا تهدي طيب الراحا ❖ مولانا غانى اسمييح

ويقول كذلك فى «الساحى» :

فق اساحى هاك فنجالك والقاء ارشفو ارشيف ياك المولى سماح

قالت هل لوفسا السامحا ❖ من لا اشرب لدام ما فيه اسماحا



كما يقول في «الصباحي» :

اغنم الصباحي يانديم واسطاب ارضيع الكاس ولطيار افغناها  
لا تترتي للبرنيس كب ورا ربي غفار  
ويجري العلمى في «الساقى» أن الله كتب السعادة للسعيد والشقاء  
للمشقى ، وانه لا داعى لاستنكار الذنوب أو محاولة تجنبها ، ثم ان الله غنى  
مشفق رحيم :

غدر لى نسطاب فرجتى يتحقق روناقى \* يا ساقى  
خل الخل وهات لى الصهباء الكاس احديفا \* وامل لى ذاك لبريق  
كاتب مولانا السعيد ساعد والشاقي شاقى \* يا ساقى  
لا تستنكر امن اذنوب اولاتكل عن تيقا \* مولانا غانى اشفيق  
والامل عند انجار فى «الذهبية» أن يحو الله ذنوبه ويقبل توبته بجاء  
الرسول صاحب الشفاعة :

وانهايت حديث انطلبو من لاينام يحى اذنوبنا وايتوب اعلىنا  
بجاه محمد نبينا

اشفيق فينا

حشا ايهون بنا

ربى اكريم من لاتخفاه اخفيا

معلوم ابلوفا وعبيدو يرحامو

بعد النكد امع لوزار

على أن بعض الشعراء لا يقصدون من الخمر حين يتحدثون عنها غير  
الخمر الصوفية ، وأبرزهم ابن رموية والحراق وشقور ، يقول ابن رموية  
فى داليته يخاطب المريد السالك :

اشرب لازم الكيسان ووصال لالاتوان

لقد ضاق الزمان عن الجاهل لعتود

قد شربنا كؤوس زالت بها البوس

غيرنا مات اس (I) ولاعرف مقصود

---

(I) كلمة غير واضحة ولعله يقصد مات أسى .

خذ العسل الصافيا امن اجباح الصوفيا

واسقه للروحيا ولا تكن احقود

ويقول الحراق :

اغنم كاس الراح \* هاجيبك زار  
اسبق اردور \* انف الشرور \* طول الدهور  
صبلي الشراب \* فالنكد غاب \* والخبر صاب  
رشف لكواب \* امع لحباب \* عين الصواب  
فازها فيامك \* لو اتعيش انهار  
نظرا فلحبيب تمحي كل اجرايم \* والرحمان اكريم يالى نرجاه  
اذا مارضى ماتنفع اعزايهم \* لو بعمال الخير كلها تلقاه  
ويقول شقور .

من عند الغنى تغيننى \* واتنزهنى امع لحبيب ابلا فخر  
اسق يا ساقى الخمرى \* هذه ساعى الرضا  
اظنبت فيك ايلا تفدننى \* واتنزلنى فى امراتب لعلا  
ايا الساقى كب واسقننى \* وشربنى امن اكيوس الخمسرا  
هز لقلوب هزهم هزا \* يالى بيدك كل عزا  
داوى لقلوب باش تبرا \* يالى بيدك كل قدرا  
ياسادتى يا منوليا \* نظروا نظرا خالصا فيا  
أنظرت فيكم نظروا فيا \* نشرب شربا حقيقيا  
سعدى بك وارضى اعليا \* يا محمد سرك فيا  
كذلك نجد ذكر الخمر الصوفية عند الفلوس الذى يبدو مغرما بحب  
المختار شاربا من خمره ، وأية خمر هى ؟ ما أحلاها دون ساق أو كاس ،  
وجدت قبل ان يخلق الكرم ، تسرى فى روحه ومهجته وعروقه ، وهى  
سابقة عليه فى الازل :

محلا خمر الحب دون ساقى من غير اعراقى \* خمر قبل الكرم خالقا  
واسرات افزوحى ومهجتى واعروقى واسفاقى \* ليا بالازل سابقا  
بمدام الرسول الاكرم سقيت اوراقه وتفتحت أزهاره وفاح شذاها ،

وبهواه أينعت أشجاره وبالحب ترنمت الاطيار مغردة بأصوات سماوية تنشد  
تواشيح الفنون والاشواق ، وتسبح بالسنة ناطقة لا يفهم تسبيحها غير  
الخالق الكريم :

بمادامك ياسيد الرفاقى نسقات اوراقى \* وازهارى بشداك وارقا  
واشجارى بهواك طافحا فالبستان الناقى \* واغصانى فالجو خافقا  
وانهارى بشناك فسواقى ماها دفاقى \* وادواحى بالعشق باسقا  
واطيارى بالحلب كتلاغى ما بين احداقلى \* بصوات الكريم طالقاً  
بتواشح لفنون ولشواقى تنشد كزواقى \* واتسبح بلسون ناطقا  
ما يفقه تسبيحهم الا نعم الخلاقى \* من ودك بسرار خارقاً  
وقبل هؤلاء جميعا كان المدغرى فى «الكاس» قد وصف الخمر بأنها  
معتقة لم تعصر ، وبأنها سبقت فى وجودها الكرم وبأنها ألطف من  
الهوى وارق من النسيم ، يكفى شم عطرها الفياح لكى تسكر وتتلغ العقل  
وتسيل الدموع :

خمر اقديم ابلا عصير من قبل الكرم افلاحي \* يا صاحى  
الطف من لهوا ورق من لرياح لياحيا \* يتلف عقلى الى ارجيح  
من شمو تكفيه طبتو ابلعطر الفياحى \* يا صاحى  
يضحى ما بين لقطار سايح دمعو سياحيا \* ما بين الحضر اسبيح  
ولكننا لا نخفى شكنا فى أن يكون قصد الخمر الصوفية رغم النغمة  
الفارضية التى تطفئ على هذه الابيات والتى يبدو أنها مجرد صنعة ومحاكاة،  
وترجح هذا الشك بقية القصيدة التى يغرى فيها صاحبه بالشرب كما  
تقدم . وما نقوله عن المدغرى نقوله كذلك عن العلمى الذى سبق أن مثلنا  
ببعض شعره .

### ثانيا : الكون والطبيعة :

إذا كان الشاعر الشعبى قد اغرم بجمال مظاهر الكون والطبيعة  
فاتخذها اطارا لمجلس الشرب ، فانه ظل يتعشق هذه المظاهر حتى بعيدا عن  
جو الخمر ، فوصفها وصفا رائع التصوير بارع التعبير يكشف عن سلامة  
ذوق ، وصحة . وجدان ، ورقة احساس وشعور بالجمال ،

واستجلاء لحقيقته حيث وجدت . وهو فى وصفه يقارن ويشخص ويبسّر المعانى فى صور حسية ملموسة نابضة ، يبت فيها الحركة والحياة ، ويبعث فيها من ذاتيته ما يجعلها تعكس حال نفسيته وحيوية عاطفته فى امتزاج وتجاوب مع تلك المظاهر . وأطلق على قصائده فى ذلك أسماء «الذهبية» أى غروب الشمس و«الصباحى» و«الديجور» أى الليل ، وهو عندهم الداج والبهيم ؛ وأطلق عليها كذلك أسماء الربيعية ، والعروسة ، والبستان ، والمشمووم ، والنحلة . ومالى الى ذلك مما يوحى بمظهر من مظاهر الطبيعة والكون .

### 1 - الكون :

وصف المدغرى الشمس الغاربة صفراء ذهبية ، وشبهها بفرس شتراء أرخى عنانها فعدت تغير على الروابى والسهول :  
شف الذهبيا اخدودها فى ذهب التشحار  
وارخات اصروع اللجوم فوق الوطيان اتغير  
نعنها شگرا امختنا من خيل المنصور  
ويرى الحاج ادريس لحنش أن الشمس فى لونها الذهبى لبست ثوب الغروب وقد هجم عليها الليل :

الساقى عكب النهار فوز ابوقت السرور واسقنا بين ادواح  
شف الذهبيا الراحا .. لبست ثوب لغروب والليل اغشاها  
ويسبح لله الذى جعل الشمس تشرق فى كل أرض ، تزهى وتروق فى أول الضحى ، وتعلو لتلقى أشعتها على الجدران ، ثم تتجلى فى كبد السماء يخطف منها الابصار وكأنها اندراء فى عز غوها وشبابها ، لا يستطيع أحد ان ينظرالى جمالها ؛ وإذا ما حان الغروب بعد ذلك يصفر جبينها فى لحظات لتروح له لابسة أردية حمراء :

أساقى سبجان ربنا هذا الشمس افكل ارض تتجلى عل لبطاح  
واتزهى فى أول الضحى .. تنشر فوق جدار بيروز اثناها  
تبدأ بها بعد ذاك تتجلى فى كبد السما اسناها يخطف للماح  
كعدرا فاضغر طافحا .. لامن يقوا يشوف فجمال ابهاها  
ايلا حان اغروبها افسعا يصغار اجبينها اللغروب اتروح ارواح

فكساوى يا صاح ناصحاً \* عكزى مغلوق فيه تغرب فى ماها  
وهى فى حالة الغروب - وقد احمرت خدودها وغدت معصورة -  
شبيهة بالبكر التى شربت حتى ثملت وغابت عن وعيها ، فاختطفها عاشق  
كان متربصاً لها وغطاها بأجنحته ، وترك أهل الغرام يتوادعون وينوحون  
تبكي لفراقهم الطيور والأشجار ، ضارعين الى الله أن يعيد لهم اللقاء .  
وكذلك فعل حبيبه الذى أغضض جفنيه استحياء وهو يودعه، معذراً ومصافحاً  
ومقسماً أن يزوره ثانية ليتنزه وياه :

والشمس احمارو اخدودها ونعصرو نحكى اعويتها زرعت كاس الراح  
وامنين اتغامت طايحاً \* جار اعليها اوصيف عاشق وداهها  
عس اعليها ابلعيان حتى غابت عن حالها اوغطاها تحت اجناح  
واترك أهل لغرام نايحاً \* تتوادع ابلفراق والوقت ادعاها  
واطيور البستان ناحت اعلى الفراق بصوات حالها واكذلك لدواح  
رفدت العشاق فاتحاً (I) \* بكفوف اوراقها ايولى ملقاها  
شف الى نهواه نيم اشفاره واستحيا وقال لى ودعتك يا صاح  
واستعذر لى ابلمصافحاً \* واحلف حتى ايجى وننشو انزاهها  
وعند المدغرى فى «الذهبية» أن الشمس فى غروبها تذبل وتصفى  
كالحبيب الذى هجره حبيبه بعد أن وعده بالوصال ، فظهرت على خده آثار  
الفراق ، ولبس ثوب الضنا الاصفر ، وسكب الدموع ، وذبل لونه وفقد  
الصبر ، وحارت العقول فى أمره ، كلما انحدرت شمس العشية للغروب  
زاد لونه تغيراً خشية من الليل وطوله وما يكثر فيه من فزع وتنهّد وانسكاب  
الدموع ، يبوح اصفرار خده بصادق خبره ، وتزيده شمس العشية تذهيباً  
وكأنها عذراء تدور على أفلاك المحبين :

ريمت اغروب الشمس ابلهوا تذبال وتصفار  
كن احبيب امقاولوا احبيبو وارجع للغيسر  
خلاه افوكر ابلا رفيق امفرد مهجور

---

(I) وقد انما تارة اى رفح كفية ليقرأ الفاتحة ويدعو الله .

وظهرت افخدو اعلامت الفرثا من لضرار  
والبس خابورى امن الضنا واسكب دمع اغزير  
بسموا سيوف لفراڭ جرحودىما معكور  
وادبال اخيالو اوخالتو طاحت من لغيار  
فغرامو واشكايتو وعشغو لعقول اتحير  
يحسن عونو عادى الصبر بالفرثا مقهور  
ما حد لعشيا تغرب ألونو فالتكدار  
من خوف الليل الطويل والفرعا والتغيير  
والتنهاد أكيت الصبر وامدامع لبحور  
فوق الخد اصفورتو اتبوح ابصحت لخبار  
والذهيبا كاتزيد فوق اخدودو تشحير  
نعنها عذرا اعلى افلاك الغوان اتدور  
ومثل هذا الربط بين الغروب والوداع نجده كذلك عند علال الصدراى  
فى ذهبيته حيث يقول :

الشمس اغروبها اعبارا  
راحت مشمورا  
وانبات اكوكب السيارا  
كانت محصورة  
والبدر انبا ودار دارا  
ليلت عاشمورا  
والبين جار  
تفرقنا من بعد لمزار  
واتودعنا من لوكار  
واقد واجمار  
قلبى واش جاىصبرو .

ويبلغ هذا الربط عند الحاج محمد النجار حدا يجعل شمسه لا تغيب  
فقط يوم ودع أهله فى الصحراء للسفر الى فاس ، ولكن تصاب بالكسوف

فتظهر النجوم فى وضوح النهار وتنتشر الظلمات :

لله يا هلى سمحوا فى شى فات

وادعيوا لى انصيب امنايا

فى بلد فاس كنز اغنايا

عند الشراف هل لعنايا

يسقونى السقوا بعد السقوا انال تقوا

تبسط لكفوف ضى وادجا للخالق ساير لخلايق يغفر الواتى

فجميع السيات

الين آوين الشمس فالسما ريناها كسفات

حتى ظهور النجوم فالنهار الكهار العاتى

والظلما سدات .

ويصف المدغرى الليل فى «الديجور» فيدعو لرؤيته، مال ظلامه وأطلق  
كواكبه فى هالة وهمة كأنه سلطان من السودان أقبل فى حلة فخمة راكباً فرسا  
ضخماً أدهم ، بيده أمان الملك وضمانه ، وخلفه جيوش من الفرسان ملأت  
الافاق تحيط به من كل جهة ، يمتطى جنودها خيولاً دهماء ملجمة مائجة كأنها  
البحر الزاخر لابسة حللاً من ريش الغراب والظليم :

شف الديجور ارخى اكواكبو من شور القبلا ايهيل ويميل اظلامو  
سلطان امن السودان ينتقل فى هما وازكيهم  
لابس برناط فوق امن ادهم متكئضم كورى افشان صولت تضخامو  
قابط لمان امن الشريف واكبل فى زى افخيهم  
شف اجيوشو تاكو اوعمرو لافاق اييمين اشمال خلفو ومامو  
فاق اهيكل دهما اتموج نحكى زخار اطميهم  
شف اخيامو فالكور كوروا بعساكر فرسان كلها قابط الجامو

بكساوى من ريش لغراب وارياش اجناح الظليم  
والليل بسكونه وهيبته وغموضه ملجأ يأوى اليه المحبون ، بثونه  
هموم وأحزانهم . وانطلاقاً من هذه الحقيقة اتخذ المدغرى وسيلة لحوار يقصد  
منه الى تحقيق غاية وتبليغ رسالة، فهو بعد أن شبهه فى «الديجور» بالسلطان،

تخيل المحبين حضروا يقدمون له شكواهم مصطفين فى ساحة قصره ، منهم  
من يشكو الهجر ومنهم من يشكو التيه ، ومنهم من يشكو العشق ومنهم من  
يشكو الغرام ، وآخرين جاءوا يقدمون له الهدايا يرجونه ان يظل مسـالـا  
سمتاره عليهم لينعموا بملذاتهم ويستمتعوا :

شف المشهور فالحين عمروه ارباب الغوان وامر اعلى خدامو  
دارت بالشكايـا اصفوها فى حرب اتحزيم

شف الشكايـا شى اشكا بهجرو شى بالتيهان شى ابعشقو واغرامو  
شى بالفرثا شى جايـب لهديا لليل ايگيم

تقدم المهجور يشكو هجر الحبيب بعد طيب الوصال اسيرا باكيـا  
رائيا ، وقد طال صبر قلبه وأقسم الحبيب الا يفك أسره ، وهو يرجو الليل  
أن ينظر لحاله ويتدخل بلطف لديه ليكشف له عن حقيقة حال البين ، لعله  
يلين ويقبل استعطاف محبه فيرد عليه السلام ؛ ويود منه أن يجمعهما فى  
مجلس أنس يستمتع فيه بالنظر الى جمال حبيبه والاستلذاذ بكلامه ، عساه  
يرفو خرق قلبه الكلـيم . ويجيبه الليل بأن عليه - رغم الهجر - الا ييأس ،  
وأن يظل بأبواب حبيبه وفى خدمته ، وأن يلاين ويسعف هواه فى غير شؤم ،  
وأنه مهما طال به الهجر لابد وان يلتقى مع حبيبه فى مجلس شرب وأنس ،  
فكل من لازم باب الجود لابد داخله :

زاد المهجور اشكا ابهجرو • من بعد طيب لوصال ارجع مهجور  
قال اداجى قلبى امبرو (I) • هذا اشحال ونا نرتى مهجور  
والهاجر خلانى افيـرو • بشمايلو احلف لاطلق الميسور  
ابغيتك يالـيلى اتشوف من حالى واترغبو الى انجى نسعى ادمامو

يقبل تدمامى لايردنى بالقهرات اهميم  
ابغيتك يالـيلى اتقول بلطفـا لله عاشقك رد اسلامو

واتبين لو حال الصدود من بعد الوصل ادميم  
ابغيتك يالـيلى اتلمنا فبساطى نشفا ابهاه ونسمع اكلامو  
يرفى ماقطع يادجورنا من قلبى لكليم



قال الديبجور الى اطوال هجرى يخدم لجيب لايزول عن امقامو  
ويساعف غرض اهواه لا يكون افلغرام اشئيم

من لازم باب الجود لاغنالو من مدخل لو اتطول بالهجر ايامو  
يتلاقى بالمحبيب بين كاس اساقى ومديم  
وتقدم التائه يشكو حائرا مرارة الهوى وجور مالكة وتيهه بشبابه،  
ويرجو الليل ان يكلمه لعل أن يطفى نار قلبه ويعالج سقمه ، ويطرد  
محززيه ، ويعيد الماء الى مجراه ، ويقفل الباب بقلب سليم ، ويود منه أن  
يلم شملهما حتى يرتاح قلبه من اللوعة ؛ وعساه بعد ذلك أن يقبله خادما  
وعبدا له . ويجيب الليل بأن من صبر وتحمل الهجر والجرح لابد - مالم  
يمل - أن يفوز بصيده مهما طار ، وينصحه بالامهال والمسايسة والطاعة  
حتى يفوز بالنظر الى جمال حبيبه ويشرب معه :

شف التيهان اشكا ابضرو ٭ من تيه مالكو حارت لبرلسود  
قال اداجى لهوا امرو (I) ٭ من تيه امن اهويت اروييت امن الجوز  
هو تايه فشباب صغرو ٭ ونا امتبعو واين دار انسدور  
ابغيتك ياليلى اتكلمو ياك ايعالج نار ضر قلبى وسقامو  
تغنم اجر الملهوف ابلهوا ياليلى لبهيسم

ابغيتك ياليلى اتقول للمحبيب ايرد لحرور الكدامو  
والما للمجرا والرتاج الباب افقلب اسليم  
ابغيتك ياليلى اتلم شملى يفرغ قلبى ابلعتو من تخمامو  
لعل من بعد الصدود يرضانى عبد اخديم  
ادوا لبهيم اقال من اصبر وتحمل حمل الصدود وعكتر اجسامو  
يقبط صيدو ولو طار لاتمل اصدود لغريم

ارخى عنو حتى ايوالف اتبعو بسياسا اولا تخالف لكلامو  
حتى تشفا فجمال صورتو والكاس افتعويم  
وتقدم العاشق يشكو السهر ، تكشف صفرة لونه ما فى قلبه من  
داء وتكفى الفاهم للقضاء والحكم ، ويرجوه أن ينظر الى حاله مكويا

بمفاتح حبيبه ونظرات عينيه ، ما نظرت اليه الا زادت جراحه آلاما ، متلهفا الى الماء وهو  
يجرى متوفرا فى مكانه ، ويستفسره عن وسيلة لاطفاء عطشه ومعالجة رشق  
سهام حبيبه . ويرد الليل ليؤكد له أن العاشق فى حيرة مستمرة يقضى  
ليله بين الخوف والرجاء ، ويخشى الفراق حين يتم له الوصال ويظل مشغول  
البال عند الهجر دائم البكاء والالين :

زاد المعشوق اشكا ابسهـرو \* واصفورتو كتبت اعلى الخد اسطور  
واظهر فوق الوجنات سرو \* كيف يخفى اخبار القلب المضروب  
والى عايق يقضى ابنظرو \* ايجود ويصفح عن حال المعدور  
ابغيتك ياليلى اتشوف حال المكوى بمحاسنو وخزرات انيامو

وقت ماريتو كيزيدنى تجراح اتعديـم  
ابغيتك ياليلى اتشوف حال الملهوف أماه ما اخطا وسط ارسامو

صبرو راحل بغرام امن اهواه امع العشق افهيم  
ابغيتك ياليلى اتقول باش اتبرد لله رشكات اسهامو

لنى عطشان الحب ولهوا شربى شرب الهيم  
ادوا لبهيم اقال ذاك حال العاشق مشغول طول عمرو فعظامو

مايين ارجاه أخوفو كايكسم داجو تكسيم  
ايلا كان احبيبو امعاه يخشى من لفراق الصعيب من بعد امكامو

ويلا فرقو يبقى امعلق الخاطر غير ايزيم  
وتقدم المغرم يشكو القهر وأهواله الكثيرة ، ويشكو أوصاف حبيبته  
التي لاحد لها ولا حصر ، ويريد من الليل ان ينظر الى من اسود حاله  
وادلهم وطال ، شبيها بحاله وبشعر الحبيبة الطويل المرخى على الاوراق فى  
سوائف ملتوية كالشعابين تاركة باله فى كدر وسواد ، وقد الهبته نار  
الخدود ولسعته الحواجب والعيون لسع الارقم ، وكأنها فى نظرتها سيف  
ابن عيس يغرس فى قلبه ، وهو بعد هذا يشكو زندق حبيبته يلهبان نار  
حشاه وقد انهمرت دموعه غزيرة كالمزن شبيهة بالآلىء ثغر الحبيبة وجوهر  
جيدها . ويجيبه الليل بأن من اكتوى بنظرة العيون مصادف اعدامه ، ولكن  
الله يجود بالصحو بعد الغيم :

زاد المغروم اشكا ابقهـرو ۞ وادمعو امزون اعلى الخد اتفور  
قال ادا جى لهوال كـرو ۞ شلا انعيد من رمكات اليعفور  
توصافلو عندى ما نحـرو ۞ بهم جيت شاكى من غير افجور  
ابغيتك ياليلي اتشوف من هو حالو اكحل اطويل او حالك تدهامو

مثل اشعور الباهى اطويل وعلى الوركين افخيم  
واسوالفها مثل التعابن الملويا فى خاطرى اكحـلو واهامو  
والقوس السعنى من الحاجب القايس لسع ارقىـم

سيف عنـترا فدواخلى امن الخزرا فى يوم اكباح جرد صمصامو  
والهيبو من لخدود باهلى والوجنات اجحىـم

وادمعو مثل اجواهر الثغر ولاجوهـر جيدها اعلى حسن اقوامو  
والزند زند نارى افلحشا من برقو لوسىـم

وادوا لبيهم اقال امن اكوا من خزرت لعيون ذاك صادف تعـدامو  
لكن الله ايجود بالصحو من بعد التغىيـم  
وتقدم الذى هجره احبته يشكو حر نار الفراق فى قلبه وغدرهم به  
بعد أن وعدوه بالوصال تاركين قلبه ملتهبا لايعرف الطبيب له علاجـا ،  
ويسأله عما قد يفرج حوله وهيامه ، ويريد منه ان ينظر اليه بفراصة وعقل  
ويعالجه ويخبره بمكان احبته ان كانوا تحت جناحه ام فى خصب ينعمون .  
ويرد الليل بأنه ينبغى له ان يسأل ويجول ويقتفى أثر رحلتهم ، وان لم  
يقدر على ذلك فليصبر على الضيم ، فكل من يعمل يصل ، وليس أمام العاجز  
الا أن يصبر ولايشكو اذ عجزه هو سبب ما يقاسى ، والذى يتمسك بالامل

يفوز لابد بغوث من الله :

زاد المغروم اشكا ابغـدرو ۞ قلبو ابجر نار الفرتا مدعـور  
قال اليلي لحباب غـدروا ۞ بعد التفاق عن لودا و اشـهور  
تركوا قلبى كاوى ابجـمرو ۞ عكز الطبيب ما عرف الداياشور  
ابغيتك ياليلي اتفدى بفاد تفجى احوال قلبى واهيامو

وانظر فىا بفراست لعقل لك حبر احكىـم  
ابغيتك ياليلي اتعالج الصب الى رحلوا احباب قلبو فيامو  
واداوا امعاهم خاطرى اولا باقى له احلىـم

ابغيتك ياليلي اتكول لى واين صدوا لمتى واين حامـو  
لاينهم تحت اجناحك السعيد اوغى خصب انعيم

ادوا لبهيم قال سول الوجول اتبع ارحيلهم فى أثرو هامو  
كان انت ما قديت يالداعى اصبر اعلى الضيــــــــم  
من اخدم اوصل والعائز يصبر لايشكى عكزو اسباب هجرو واعدامو  
والى ما قطع اياس لاغناه ايفيشو لكريــــــــم  
وهكذا قضى الليل وحكم بفكره لارباب الهوى ، وفصل بالحق حتى  
شاع خبره فى كل مكان وجد فى العمل ساهرا يشهد له الشمع والخمر :  
أمرواحكم واقضى ابفكــــــــرو :: لرباب لهوا بالحكم المشهور  
وافصل بالحق أشاع خبــــــــرو :: الفكل فج بين امدان وادشور  
واجتهد فالخدا ابسهــــــــرو :: بشهادت الشمع والخمر المعصور  
أما الذين قدموا الهدايا - وهم أهل الانس - فجأوا يطلبون منه  
ان يطول وقد حلا النغم وشعشعت الخمر وأضاء الشمع :

جأوه ناس الفرجات ولخلاعا واهدأوه أراودوه عن طول امكأمو  
قالو لوياسلطان هل الحب ابغيناك اتقيــــــــم  
احلات الصيفا ولمدام شعشع والشمع ازهى اولاح فخدود اريامو  
والكيسان افميدان حربها تجرى فى تعويم  
ويدعو المدغرى فى «الصباحى» للتمعن فى **طلوع الفجر** ورؤية البدر  
مضيئا كعروس برز من الحجاب وحوله الكواكب فائنات يرعاهن تحظن به  
يمنة ويسرة ، ويدعو كذلك - مستغلا أسماء الكواكب فى تلاعب لفظى رائع -  
لمشاهدة المشتري ولوعا بشراء العاشقين ، له سوق عامرة بهم ، وزحل  
باعثا حمرة على الخدود كعصير الخمر ، والزهرة زاهرة خدودها يزهى  
المحبون بجمال ضوئها ، والكيوان يكوى القلوب بلانار ، والمريخ مرخى  
لثامه ، والثريا متملية من سناها بعقد والنجم يزهى العاشق بغرته ، ويبشر  
بضياء مناره ، والنسرين يسرى فى الرياض بعسكره والنسيم يفوح عطره  
منبثا بطلوع الفجر :

شف البدر الضاوى اعريس تاك افحجبا واكواكبو اعوانس يرعاها  
دارت دور المقياس به عليمين وايســــــــار  
شف المشتري له سوق عامر برقاب العاشقين والع بشراها  
شف الزحل ارقى اعلى لخدود اعصير المسطار

شف الزهرا زهر اخدودها وتزهى اصحاب لهوا عن حسن اضياها  
شف الكيوان اكوا ابكيتو لقلوب ابلا نسا

شف المريخ ارخى اللتام شف الثريا لابسا اعتود امن اسناها  
شف النسرى يسرى اعلى الرياض بساكر جمرار

شف المغرار ابمررت ايمن العاشق وامارتى تبشر بضياها  
شف النسايم اطلعت لفجر يعطوك لخبسار

أما الفجر فكسلطان راكب فرسا أشهب ، وقد مسك فى يساره مسحة  
حادة يركض خلف وصفائه فى كل مكان مشمرا عن ساعده بحزم :

شف الفجر احكيتو اشريف راكب اشهب وبلا اعلى ايسارو ممضاها (I)  
يجرى اعلى وصفانو افكل جيه ابحزم اتسار

وهو قد أشرف على الاطلاع متوثبا كانه المولى اسماعيل ، ناشرا علمه  
المنصور وضاربا بسيفه المصقول فى جيش الظلام ، يسير خلفه عسكر من

الخيول الشهباء النجبية الصاهلة :

شف الفجر اركب فوق لطلال \* قايم نعينه مولاي اسماعيل (2)  
شف اعلامو منصور قتال \* سيفو اعلى اجيوش الديجان اصقيل  
شف كم من اشهب ارفع مازل \* شيهان خاطف الكصا له اصهيل

ويقارن ابن على بين الصبح والليل ، بين الصبح كسلطان ارخى ذيل  
أزراه لابسا حلة من الديباج ، وبين الليل فى توديعه كغراب أسود شابت عذاره  
وأضاءت مناره ، بين الصبح كنسر يعلو فى تحليقه ، وبين الليل سال دمع  
غرابه وقد بدا الضوء من خلال ذلك متجليا يطرد الظلام ويزيحه ، وظهر  
حمام القبله كالامام فى المحراب ، ودار القلك بمشيئة ربه قاخفت الكواكب  
وهب النسيم من بين الظلمة والنور يحرك الاشجار :

الصبح كشرىف ارخى ذيل ايزارو \* والبس امن الديباج اغمارو  
والليل كغراب اسود شاب اعذارو \* واشعل امن اضياء امنارو  
الصبح كالنسر يتعلو \* والليل سال دمع اغرابو

(I) ما أحدها .

(2) فى رأى استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الالهوانى أن ذكر اسم  
السلطان فى مثل هذه القصائد ربما يدل على أن بعضها كان مداخل  
للمديح ولكن البرواة لم يحفظوا هذا المديح .

والضوء فى السماء اتجلى \* رسل اعلى الظلام اعقابو  
انظر اترى احمام القبلا \* مثل ليمام فى محرابو  
الفلك كيف دار ابصنعت دوارو \* واخفى اكوابو سيارا  
هب النسيم بين الداج وانهارو \* شوش ادواحنا المسرارا  
وعند المدغرى فى «الذهبية» ان الشمس أرخت أكمامها معولة على  
الرواح ، وقد أحست بالليل فارسا حازما مشمرا يجمع جيشه يريد  
الهجوم ، فركضت هاربة من بين الاشجار تبدو أشعتها كأسمك الشابل  
تلمع وتضىء :

شف الشمس ارخات لكمام \* عولت للرواح افيها واقياما  
حست بالديجور لغلام \* جمع لجيوش راد الحركا بزعاها  
وهربت وعرت لوهام \* خلالت لو الركب اشقرا بسلاما  
...

والشقرا تجرى اعلى اجهدها ما بين اشجار

والفارس تبريمتو اعجب محزوم افتشمير

وامزارج شمس لعشى اشوابل تلمع واتنور

واذا كان كذلك موقف الشمس أمام جيش الليل الجرار ، لم تطلق  
مقابلته - وما كان لشيء أن يوفق بينها وبين عبيد أسير - فان النهار قد  
اختطفها وحملها بحزم على أكتافه وغاص بها فى الغروب لتزف اليه فى عرس  
يشيع خبره فى الصباح ، ولم يترك لجيش الليل غير الضباب . وحاول هذا  
الجيش أن يعثر عليها ولكن دون جدوى ، وظل الليل يعض الندم يرمى  
بحره بالموج والظلام ، وشكت اطياره فى اوكارها باستثناء أم الحسن التى باتت  
متنغمة ، وحز فى نفسه أن يختطف النهار المشرق نجمة الانارة ويتزوجها ، وان  
يتكرر ذلك كل يوم :

شف الشكرا شافت المظلام ابعسكر جرار

واعرفها مثل الظليم ما طاقت لو بعكير

واش ايلاقى بينها اويين الميسور

حوصها جيش النهار عن كهلو فالتشهار  
واغطس بها فى اغروبها محزوم اغتشمير

خلى غير الركون والضباب الجيش الديجور

طلق الليل اعساكرو اعليه ايمين وايسار

شرق اغرب اعياء ومايوكد ومن دير الديسر

ماوجد وجرا اولاء الكاوا المنزلها شور

...

حوص خيتو ولد لهمام \* وابقى الليل بات افغصا وانداما  
يرمى بحرو موج واضلام \* بسواد فوق برناطا دار اعلاما  
واشكات اطيرو افلرسام \* من غير أم الحسن باتت نغاما

وابقات الفضا افخاطر السديجور الفوار

حين اخطف لو شارق النهار انجمت التنوير

واعمل بها عرس كان فالصبوحي مذكور

وابقى جيش الليل فالنهار ايعوم ابكدار

يخطف شمس اعشيتو ايفادى تارو بهدير

واتروح اعروسا امثيل جيش الفجر المجهور

ويصور المدغرى الصراع على النجمة بين الفجر والليل ، وكأن كلا منهما

سلطان بعسكره وجيشه ، أحدهما - وهو الليل - راكب فرسا أدهم ،

والآخر - وهو الفجر - راكب فرسا أشهب . وبينهما ظهرت النجمة

بهية مضيئة بارزة كأنها عذراء منعمة . وتقابل الجيشان ، جيش الليل بسلاحه

وخيوله ، وجيش الفجر بالقمر المضىء . وادعى الليل أن النجمة ملكه طوال

الاجيال ، وزعم الفجر أنها زوجه بالعشق الحلال وانها دائما فى رعايته

تلازمه لاتحيد عنه . وماكاد الجيشان يلتحمان فى قتال مرير حتى انتصر

القمر وحاز عروسه ولبس رداء غدا يرفل فيه :

يقظ جفئك شف شف حرب الفجر مع الليل

كن اهمام امع اهمام بين اعساكر وامعالم

واحد عن ادغم لخر اعلی اشهب مشمول  
 فالمدان اتحاربوا اعلی نجما حرب اطویل  
 والنجمنا بناتهم حسن ابهاها شعال  
 نعنها عذرا امخترا تاكت بين افحول  
 الدجا الشيط فجمالها بالعدا والخیل  
 والفجر ادغم فيه بالکمر حربو قتال  
 واتلاقت الخیل ابلتتر والسيف المسلول  
 الدجا ادعا وقال دك ملكی من جیل الجیل  
 والفجر ادعا قال دك زوجی والعشق احلال  
 فی حوزی دیمما ملازما جنبی لیس اتحول  
 اتلظمت الخیل افلكفاح ابعیط واصهییل  
 عامت الكمر اعلی اجیوش الدغم لبطال  
 حاز الفجر امروستو ولبس ایزار مرفول

## 2 - الطبيعة :

وبنفس الأسلوب الذي وصف به الشاعر الشعبي مظاهر الكون ،  
 ذاتياً نابضاً بالحياة والحركة والمقارنة ، صوره مظاهر الطبيعة ، فهذا حماد  
 الحمري في « ربيعته » يصور انهزام جيش الشتاء أمام الربيع الذي أقبل  
 كسلطان منصور حاز كل فخار ، نصفت السماء من الغيوم ورمت ثوب الحزن  
 وبدا في الأفق قوس قزح بألوانه المختلفة كأنه على خصرها حزام (I) :

بمادت لشتاتي كالجيش ايلا انهزام افلكفاح  
 من بعد زام طبلو واتنصر سار افلقفار اكسير  
 اوجا اهمامنا لسمي الربيع حاز التفخار  
 وصاب ما يصيب المنصور ايلا امشي اعداه احقير  
 ارمات السما ثوب حزنها ولبست الافتخار  
 واتعزمت بالسبع الدوان اللي اهداهما لخبير

(I) يطاق في الغرب على قوس قزح : حزام للا فاطمة الزهراء .



وهذا امتيرد يرى فى « ربيعته » أن الربيع أقبل بأنواره ، وعمت  
البركة والهناء والخير ، وغدت الأرض فى حلتها السندسية المنقوشة كعروس  
سلطانة منورة أحيائها بعد الموت بغزير الأمطار ، وبدا المطر فى تباه زوجها  
لأرض تسمد بحاسنه ؛ ويوم ضمها وسقاها حملت منه ووضعت للسرور  
ذكورا وإناثا ؛ فأزهرت الأنوار من كل صنف بقدره الله ، وخرج الناس  
للتنزه من كل مكان :

فصل الربيع قبل بنوارو

عامنا عام البركا ولهنا والخير

من بركت النبی صلی الله اعلى باهى الصورة

انقش الأرض ابحكمت اسرارو

صبحت اعروسا سلطانا امنوراتنوير

واثيا بها اسندسى وانراورها افراش منضورا

من بعد موتها احيائها \* بعوارض لمطار اسقاها

سبحان ذا الثنا والعظما والجود

لمطر كابعا يتباهى \* والأرض زوجتو فحضاها

محاسنو ابدعت لجمال اسود

فنهار ضمها واسقاها \* منو احملت فوق افضاها

وضعت للسرور اذ كورا واغبود

لنوار كل صنف اتصوارو

كيف صور واصنع من هو الكل ذنب اغفير

من طبت الجنان الساعد للساعدين بالزورا

هاج الربيع وافتح نوارو

فيه لخلايق تهدي كافا اكهل واصغير

لنزايهو اتكبل من كل ارسام له واقطورا

ثم أخذ فى وصف الاشجار والطيور على حد ما سبق ان رأينا فى اطار

مجلس الشرب .

وعند الطيب الواسترى فى سرايته الربيعية أن فى قبال الربيع

سعادة الايام وانتشار مظاهر الخير ، فقد جاد الزمان وضحك وانفجرت الاكدار وزالت الاحزان ، وظهرت الزهور المختلفة اليها ، وبدت الارض كأنها من حور الجنان ، طاب عليها السرور وهى بهذا عروس زفت اليه فجاء عليهما الزهو وغدت بارزة وأحمل الحلل :

فصل الربيع قبل الوقت ازيان	✽	واعلامات الخير للو
جاد الزمان واضحك ثغر السلوان	✽	والنكد اتفاجا اوزال
وابطايح الزهر اعلى كل الوان		تسبى من راها ابث
والارض زى حوريا من رضوان	✽	واعليها طاب لله
نحكى اعروس واعروسا فى آوان	✽	اعليهم جاد الزه
صبحات بارزا فكساوى حسان	✽	دام الله اجمالها وا

ومثل هذا نجد عند غانم الفاسى فى «ربيعنة» :

ومثل هذا نجده عند غانم الفاسى فى «ربيعينة» :

الربيع اقبل فيأمو الريح غلاب      وانكسات البيدا بكة  
كعروسامن كل اقماش زايداديباج      حانظا بشياب الكبر  
هايجا عداوويا امن احراج لغناج      ابلعاسن تسبى فاء  
جات ايام الزينا بالزهو ولفراح

اقبل فصل الربيع وايام السلوان

الزهو آتى وانشرح ا

وعنده أن الربيع من فضل الله ونفحة من نفحات الجنة  
 حال أيام الربيع من جنت رضوان     بانث لوراق والزهر  
 سبجان الوحيد عظيم الشان     بدع اجميع لشميات  
 حاد اعلمنا برحمتو والسلوان

أما ابن علي فيرى في «الزهو» أن وقت الزهو يدعو للنظ  
في أيام الربيع والامتناع بجماله كسب :

وأشجارها ، تتعانق أغصانها فى ترحاب كما يتعانق الاحبة بعد طول غياب ،  
تتمایل معربة من شراب كؤوس الندى الرائق السكيب ، وقد ضحك الزهر  
وبكى الطل كانه عاشق تضحك الحبيبة لبكائه ، تتجاوب معه نغمات  
اوتار العود والرباب المطربة تنقر عليها أيدي العذارى :

حل عينيك واتنزه زد شوف واسطاب  
فى ادواح العرصا وازهارها اعجيبا  
اغصانها بالفرجات اتعانقو ابتراحاب  
كيف عنق لحبيب احبيب بعد غيبا  
اتمايلو وعربطوا فرياضهم بشجار  
امن اكيوس انداهم امرونقا اسكيبا  
الزهر يضحك والطل ابكى افتنحاب  
كن عاشق تضحك لبكاه شى احبيبا  
ولوتار اتجاوب بنغام عود وارباب  
فيد عدرات اصوات اوتارها اطربيا  
وهو يشبه أشجار البرتقال والليمون محملة بفاتنات من بنات العرب  
الذين يسرع أبطالهم لانجاد كل من استنجد بهم ، وهن يصلن بسمرتهن ،  
تزين أجيادهن وصدورهن قلائد العقيان :

شف رنج اللتشين اليم كن خودات  
من ابنات العربان الصايلات بالتيست  
بلعقيق أعقيان مخمسا اكلاجات  
ابطالها من بهم استغاث دايم اتغيث  
ويشبه اشجار الرمان المصطفة بعرائس لابسات حللا حمراء متوجة  
الرؤوس :

شف صف الرمان ابهيح كالعرايس  
لابسات العكرى فعراشها اعلى الراس  
ويشبه أشجار التفاح بأبكار أطلت نهودهن الصغيرة ، وماكادت تطل  
حتى اخذتهن الخيرة والدهشة من اكف الشاق وتملكهن الحذر والرهبه :  
(21)

شف صف التفاح اربا افأرض لامير

كاعنابات اضمحت انهودها اصغيرا

كيف طلوا وانبهضوا حازهم تحيير

من اكفوف العشاق راهبا احديرا

ويشبه الورد بخدود أبكار المدينة عائدات من الحمام ، شعورهن مبتلة

تقطر على ماء ورد الخدود العنبرى الطيب ، يعتدلن ويملن فى ريح غلابة

كأنهن سمفن تمخر العباب :

شف صف الورد اىحاكى اخدود لبكار \* ساكنات البهجا (I) البيضاء ابناات لحضر

جايات من حمام اشعورهم قطار

فوق ماورد الخدين طيب عنبر

...

كايعدلو وايميلو ريحهم غلاب \* كاقراصن فالبحر امانزهو اسجيبا

ويشبه النخلة بعروس بكر تمتلذد الياقوت والعقيان والجواهر

تتمايل مع هبوب الريح من العريضة والسكر ، وقد أرخت شعورها مسدنة

ومضفرة ، وهى من بنات الحضر زاهية كريمة يفوق جودها الوافر جودحاتم

شف ديك النخلا نحكى اعروس بكر

امقلدا ياقوت وعقيان والجواهر

كتعربد فى اريوح احوالها ابسكرا

اشعورها مسروحا وامضفرا اضفاير

من لبنات المزيانا زاهيا وحضرا

غالبا حاتم طى ابجودها الوافر

ويشبه أحواض الزهور تكشف عن ابتسامتها من النقاب كوجنات

السكرارى :

ولحواض بنوار امبسا امن انقاب

كن وجنات السكرنات بالصهيبا

---

(I) البهجا من أوصاف مدينة مراکش .

ويشبه أديم العرصة بزرابي مفروشة للتنزه متناسقة ، زائه رقم  
حريري يفرج الكروب ، ليس من نسج الانسان ولا كتابته ، ولكنه من نسج  
الباري جلت قدرته ؛ أما جداول الماء وسواقيه فكالشعابين تجري ملتهبة  
الاجواف :

شف ارض العرصا ماكيفها زرابي \* امفرشا لنزايه هذى الذى ابنسها  
ابلحرير امرقم يفجى ادجا كرابي \* ماتنسجو بصباغ اولادخل الكتبا  
بيد مول القدرا منسوج يا حبابي \* اتفكروا واعتبروا تلقاوا كل رغبا  
شف ذاك الما فسواقى انسج صباب \* اكما التعابن تجرى واحضانها الهييا  
ونجد عند المدغرى كذلك وصفا غير مباشر للزهار والانوار فى «النحلة»  
حيث يستعرض مختلف الانواع التى تمتصها ، يقول مخاطبا اياها فى حربة  
القصيدة :

صولى ياشاما الظريفا وازهاى أغنى ودندنى وقطفى منى لزهار  
أترىاق اعلاج كل ضر \* أبنت الملك ملك هما واتمار  
وفيهما يرحب بالنحلة ويهنيها على الصولة التى تتمتع بها فى أمة  
الطير ، ويطلب منها أن تغنى بين الورود والزهور وخدود الجميلات وعيونهن  
الذباحة ؛ أوحى الله لها فى كتابه وألهمها للتجول فى السهل والوعر  
وبطاح الندى لقطف الانوار ، وجعل فى شهدها دواء وحكمة وكسبا :  
سهلا واهلا بك بالنحلا واهنيا بالصايلا صلتى عن لطيار  
غنى بين الورد والزهر \* واخدود الزين ولعيون النحارا  
اوحى لك الله فى اكتابو لهمك لبطايح النداء ولقيط النوار  
والجولا فالسهل ولوعر \* واجعل فيك الدوا وحكما واتجارا  
أما ابن على المسغوي فى «المشموم» فيدعو العاشق الى قطف الزهور  
وضمها فى باقات لتقديمها الى الحسان :  
يالعاشق قطف النوار بين لريام \* كل وحدا رثم لها افنوع مشموم

ويستعرض أنواع الزهور التي تضم الباقة وكأنها عرائس النيل  
فيقول :

من افنون النوار اجنى اعرايس النيل  
والزهرقان انسرى والشقيق والياس  
بابنوج اطماج أقرمزي افتخيل  
ولبهر والسوسان امجاور واسكلماس  
ياسمين اغنبار امع لبها افتخيل  
ولعشيق أعاشق والرنج والنجاس  
اقرنفل والخلى والورد فاح بنسام  
ولحكم دون اشريع ابغرام محتوم  
خد الجوار أشككى اشكا ابغرام  
باح سرو من عشق الباهيات بقيوم  
امشرقيا اوشامها يسحر لعقول  
وفزين ازويول الراحا اللمقال  
والباغ وابنفجيج والديدى متمول  
نشوان افغايتو وعنها ما يسلا  
والعقيون الددحان اصبح معلول  
شاف الزين لبهيج من فايق عبلا  
ولم يكن الربيع وحده الذى يتيح فرصة الخروج للتنزه والاستمتاع ،  
وانما كانت غير قليل من المناسبات تتيح مثل هذه الفرصة لاستعراض جمال  
الطبيعة والفائنات كشعبانة وعاشوراء ويوم الزيارة ، يقول امتيرد فى  
شعبانة :

يوم لتنين افشعبان السعيد يامن ييغانا  
لنزايه كبلت اعوانس لمدين الحمرا (I)  
آش را من لارا لريام يوم داروا شعبانا  
كعرايس نحكيها بارزا افحضرت كسرا  
(I) الحمرا من أوصاف مدينة مراکش .

ويقول الحاج محمد النجار في عاشوراء :

أجى اتشوف يامن لاشاف الهايجات يصداروا

كيف شافت عيني حسن يوم عاشور

ويقول الشيخ العربي الفاسي في خروج الفاتنات للزيارة يوم الجمعة :

خرجوا لبيكار

يوم الجمعة لسواحل لبحر

بالآل وانغايم لوتر

حاموا الزخار

شف امدينه سلوان (I) زاهرا

خرجوا لبنات للزيارة : واجى يامن ابغا ايزور

تهنا واتشوف دالعبارا : خرجوا في افراتن لبحور

قالوا يزهاوا بالتمارا : خرجوا بسرا لقصور

#### ملاحظة : شعر الفكاهة :

قبل أن نترك هذا الجانب الباسم المقبل على الحياة الى الجانب العابس الجاد ، نود أن نقف وقفة قصيرة عند فن من الشعر الشعبي لاشك انه تعبير عن روح الاستمتاع والابتهاج ، وهو شعر الفكاهة ، وتعرف قصائده بأسماء كـ : «الزردة» أى الوليمة ، و « الطجين » و « الفار » و « الكلب » ولكن الاسف أنا نبحث عن هذه القصائد فلا نعثر منها الا على بقايا قليلة . وقد أكد لنا الاشياخ انها ضاعت في اغلبها بسبب ما كانت تثيره بينهم من شغب وشنآن جعل المنشدين يتحاشونها وكذلك الجمهور .

من ذلك ما يحكى من أن الناس كانوا يطلبون من المنشد قصيدة

«الفار» فيقولون له :

«آنه تيجي احلو من فمك» فيرد : «اعلى اوجوهكم» ؛ ويقولون انه كان

للغالى الدمناتى قصائد في « الكلب » وكان الناس يطلبون الاستماع اليها

بمحضره بمثل قولهم «قولوا لنا الكلب دا الغالى» وكأنهم يشتمونه ، فتضايق

من ذلك وأحرق كل انتاجه في الموضوع ، وحرّم على حفاظ شعره أن ينشده .

(I) مدينة السلوان يقصد بها مدينة سلا .

ومن القصائد الباقية قصيدة «الزهو فى طبلا حسن» ، وهى تنسب  
للسلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان ، وفيها يرى أن الزهو فى مائسدة  
أكل جميلة وصينية شاي عليها برادان ، وكؤوس ملونة :

الزهو فى طبلا حسن

لبرارد زوج وكيسان

لونهم يهوانى

احكيتهم خرجت بلعمان

مهتل فوصاف الكيسان

عين علجا والخابورى (I) امع لخضر يهوانى

شمس لعشى يسحر لدهان

وفيهما يقول مستعرضا اوانى الشاي وملحقاتها من صينية وبرارىسه  
وكؤوس وزنا بيل (2) وبقاريح (3) وبابور (4) وقوالب سكر ومرشات «5»  
ومبخرة «6» :

ولبرارد نحكى شابات يافهيم اوزانى

امحزمين بهمام السلطان

ولبقارج مثل الفرسان

راكبين اسروتا وامحزمين المدانى

...

در بابور اصفر فلوان

شعل نار على كلب ابلمحبا فانى

- 
- (I) العلجا هو الازرق السماوى والخابورى هو الاصفر .  
(2) هى فى الغالب اوانى ثلاثة احداها محبوب الشاي والثانية لقطع لسكر  
والثالثة للنعناع .  
(3) بالباء أو الميم ج بقرج بفتح حرف الراء - ومد نطقه فى البوادرى -  
وهى آنية غلى الماء ، وتعرف فى المشرق كذلك بهذا الاسم .  
(4) جهاز غلى الماء ويطلق عليه فى المشرق السامور .  
(5) مرشات تملأ بماء الورد والزهر للتطيب وهى فى الغالب من الفضة .  
(6) مبخرة احراق العود .



عشق الطبل والكيسان

ولقوالب مثل الشبان

...

والزنبيل مثل البيزان

ولمراش نحكي غزلان

بارزين افطبلا والعود افلمبخرافاني

عبق اتسم بالدخان

ويقول عن الحلويات والمأكولات ذاكرة البسطيلة (1) وكعب الغزال (2)

والغريبة والمحمرات والمحشوات والمقليات والمشرملات (3) ، من ضلعة (4)

ومروزية (5) وشواء وطواجين وكسكوس بالفراخ والحمص والبصل :

در بسطيلا فالغطران (6)

واطباصل (7) من كعب اغزال من شغل مخزاني (8)

واغريبا من شغل اليمان (9)

(1) ورققات رقيقة من العجين محشوة باللوز المطحون أوقطع الفراخ والبيض،  
تطلق وتجمع على شكل دائري .

(2) قطع من الحلوى محشوة باللوز على شكل الهلال .

(3) نوع من طبخ اللحوم يشترط فيه قبل طبخها أن تشرب بالتوابل  
وخاصة الفلفل الاحمر .

(4) لحم محمر في السمن والغالب أن يكون قطعة واحدة ومن لحم الصدر،  
ومن هنا كانت التسمية .

(5) ويطلق عليها «المعسل» وهي نوع من اللحم المعسل يوضع عليه اللوز  
والزبيب .

(6) ، (7) هي الصحون .

(8) نسبة الى المخزن أى الحكومة والسلطان ، وهو وصف يقصد به الشيء  
المتقن الرفيع سواء فى مأكلا أو ملبس او غيره .

(9) تبدو هذه النسبة غريبة ولعله قصد أن أشكال هذا اللون من  
الحلوى فى اختلافها ودقتها شبيهة بأشكال الوشى أو الرقم اليمانى  
المعروف

امحمرات اثلاثا فيبيان  
امحمرات اثلاثا ومقليات اثلاثا ثاني  
امشمرات ادجاجات اسمان  
حمر الضلعا فالفران  
لمرزيا لمقليا ياكل الشبعاني  
واشبو امن لحم الخرفان  
والطواجن مثل الوصفان  
ولفرارج مثل الصبيان  
فوك لكسكسو بالحمص والبصل رويا نى  
والسمن مدوب تزمان

ومنها كذلك قصيدة «الزردة» للحاج محمد بن عمر المراكشى ، ويرى فى  
حربتها أن المضغ فن وفراسة وأن الذى لا أضرار له يظل يلوك الاكل فى  
فمه قبل أن يبتلعه :

ولمضغ افراسا من لا ايليه ضرسات ❧ كيملوج فمضيفو عاد تيسرطو  
وعنده فى دخولها أن الصديق الذى لا ينفعه بخبزتين لا يعول على  
طجينه ومرقه ، ويكتفى بشد حزامه ، مقنعا بطنه بالشبع من طعام لم  
يطبخه بنفسه ، ناسيا اياه ليعود الى قوته الذى اعتاد ، ولكنه وجده غير  
ذى طعم ولم يسغه فلفظه .

ولحبيب الا ينفعنى ابزوح خبزات ❧ مانعول عن طجينو اولا مرقطو  
انشد كرشى وانقنعها انقول شبعات ❧ امن الطعام ملاطيبتو اولا نصبتو  
انظن كرشى عمرات اولا عتيق حدجات

وانسى من بالى قوتو اولا قبلتو  
كان لى قوتى وابدانى به نسقات ❧ ما نسيبتو به امبالى اولا تركتو  
امين دقتوصبتو مافيه شى النسقات ❧ ملفاه ارميتو من بعد ما مضغتو  
وفى عروبي من القصيدة يتحدث عن الوائم التى يذهب اليها فى  
غاية الزينة حيث يجد كل ما يشتهي من موائد رصت فوقها الطواجين  
وأصناف الاكل المشبع الشافى للأمراض :

كم من زردا امشيت فيها ليس اجلست  
والقيت الى ابغيت فيها عل لنعمسات  
وادخلت الدارها امقرب وزينت  
قربت لصحونها الى قبلت  
واطواجنها امعمرات جات وحضرت  
فوق اميادي امبرجا زهوا لللدات  
وما وجدت امن اطعام اصناف اعملت  
يشفى ضر لبدان من هي زردات  
واليوم ابطون منها شبعنا واروات  
وهي قصيدة تبدو مستوحاة ومقتبسة من قصيدة في «الوصاية»  
للعلمي يقول في حربتها :  
اللعب من غير اشطارا فوق روس حريات  
هكذا مثلث ابندام في اعشرتو

وفي اولها يقول :  
لحبيب الا ينفعني افيوم حزمات \* ما نحمل عن قلبي غل امن اكلفتو  
ننساء ونترك حسو انحسبو مات \* وانعود ياراسي زليت امن اعشرتو  
ولعله واضح أن «زردة» ابن عمر ليست غير قلب لموضوع «وصاية»  
العلمي . على أن قلب القصائد ومسختها يشكل نوعا خاصا من الشعبي الفكاهي  
يرع فيه أشياخ مراكش ولاسيما الشيخ أحمر الراس ، وهو أن يأخذ  
قصائد جدية فيمسختها ويقلبها الى موضوع هزل ، ومن الامثلة على ذلك قوله في  
الابيات التي أصلها (I) :

ألازهو زهرو ازهارو \* بك الزهر الا ازهر  
صولي صولي يا غزالي زهرا  
فهو قلبها الى مايتي :  
سكران ريت يامس يلفظ بشعارو \* اسكر وطاح في دولت لبكار  
مافاق حتى اتكون العشرا

(I) من قصيدة : «زهرا» للتهامي المدغري .

ومن ذلك أنه أخذ «حراز البغدادى» :

مال حراز الدامى ما يتق بياحيات \* غير حاضى لوقات  
بالدوام امجنبنى اولاً يرومنى قطعياً

فقلبه الى الخراز :

مال خراز البالى ما يتم الكلبات \* شابات وعزبات  
كل من جات يبطش بهـا \* ويقضى لها اربح وخطيـا  
وفيه يقول مستنكرا حال الزمان وما تفشى فيه من انحلال خلقى :

اوصل الزمان فاش ابغوا اميا ملعرج قتالا

ويلا اعيوا ايولوا ايقرجطو (I) ابلا جنوى

ولكن هذا النوع ضاع كذلك بسبب ما كان يشيع فيه من فحش وعبارات  
نابية ، بعد أن ظل تداوله محصوراً فى نطاق خاص .

---

(I) ايقرجط أى يخنق . وهو هنا يشير الى واقعة كانت حدثت بمدينة  
مراكش ، مجملها أن خرازاً يسمى الحاج الاعرج كان ورعاً متديناً ولكنه كان  
يتصيد النساء الباغيات ويحتال عليهن حتى يأخذهن الى دكانه ، وكانت له  
فيه مطمورة ، فيذبحن ويلقى فيها بموتهن . ولم يكن أحد يعرف كيف  
يختفى هؤلاء النساء الى أن وقع ذات مرة أن طمر احداهن وأخذ قفطانها  
وباعه فى السوق ، ولم يكن هذا القفطان ملك القتيلة وانما كانت قد استعارته  
من احدى صواحبها ، وحين اختفت المرأة وانتظرت صاحبته القفطان فلم  
يصل ، أخذت تبحث وتساءل ، وصدفة وجدتته فى السوق فتمسكت به ،  
وانتهى البحث والتحقيق الى أن الذى باعه هو الحاج الاعرج فحكم عليه بعد  
أن اعترف بجرائمه ، وطوف فى المدينة قبل أن ينفذ فيه الاعدام ، وكان  
يصيح أثناء تطويفه بأن الفساد كثر ، وأنه لم يكن يسعى لغير الإصلاح ،  
وكان يقول بأنه لو أطلق سراحه لبضعة أيام لما بقيت باغيه واحدة فى مراكش

## الزهد والحكمة

يتمثل جانب التجرد عند الزجال المغربي فى شعري الزهد والحكمة ، يقصدهما الى الكشف عما ينفعل فى نفسه من برم وضيق بحال الدنيا وسلوك الناس ، والى وعظهم وارشادهم عما هم يحسنون هذا السلوك . وقصائده فى ذلك تعرف بـ «الوصاية» و «التوبة» و «القلب» و «الطبايع» و «الموعظة» و «النفسية» وما اليها مما يوحى بروح التأمل والتنبيه . ولاكاد نجد قصيدة لايملاها الوعظ المباشر المقصود بعيدا عن حديث الشاعر عن نفسه وتأمله لحياته فى حسرة على ما فات منها ومحاولة استخلاص العبرة له وللآخرين ، وكأنه نظر الى المجتمع فوجد الاوبئة تنتشر من مجون وانحلال ، والى الناس فألفاهم منشغلين بمفاتن الدنيا عن الدين ، فتحركت عاطفته الاسلامية واحساسه بمسؤوليته الاجتماعية ، فتصدى يعبر عما ينفعل فى نفسه وما يراه السبيل الى الاصلاح . وعلى الرغم من أن الوعظ غدا غرضا مستقلا قائم الذات ، فانه لم يتج الفرصة للشاعر أن يطيل النظر ويتعمق ويحلل فى جدل فلسفى او اقناع منطقي ، وظل مجرد حكم وعظات تتسم بالبساطة والسذاجة ، وان لم تخل من بعض التعليل وخاصة فى ذم الدنيا والتزهيد فى الحياة والنظر الى الموت ، ولكنه تعليل مصدره العقيدة فى صورها البسيطة . وكان يمكن أن ينطلق الشاعر الشعبى فى ذم الدنيا من تجربة صوفية تجعله يخلق بروحه فى أجواء العشق النبوى - ولانقول العشق الالهى فهو لا يكاد يوجد كما سنرى (I) - لا يرجو غير الاتصال بحضرته عليه السلام ومشاهدة نوره لينعم بمتعة حبه الروحى بعيدا عن متع الدنيا وملذاتها ونزوات الجسم وأهوائه طالما أنهما ثنائيان ، ولكنه لم يفعل حتى فى أضيق حدود هذا النطاق ليتأمل الكون ويدرك كنه أسرائه وما وراء حجه أو لينظر اليه ولو مشدودا الى اطار الطبيعة لا يتعداه ، واكتفى فى ذم الدنيا بنبذها والتزهيد فى

(I) فى آخر الفصل الرابع من باب «الموضوعات»

متاعها مادامت دار فناء زائلة ، ومادام الانسان مجرد عابر لها الى السدار الآخرة . وانطلاقا من هذه الفكرة المتأثرة بالدين ، رسم الشاعر الشعبي للحياة الدنيا صورة بشعة منفرة خسيصة لا يغتر بها الا مغفل مجنون لا يعتبر من الماضين ، وهى صورة نجدها فى القصائد «الجفريات» (I) التى يستوحى فيها الشاعر واقع الحياة والناس ليتنبأ بما سيقع من أحداث ؛ ونجدها كذلك فى القصائد التى صورت الوقائع ، وهى قصائد يغلب عليها الاستسلام لقضاء الله وقدره .

أما الموت فنظر اليه الشاعر الشعبى نتيجة حتمية للانسان والحياة، لاقدرة على تجنبه والفرار منه ، وسبيلا للخلاص من متاعب الدنيا ، ووسيلة الانتقال الى العالم الآخر حيث نعيم الجنة الدائم والسعادة الحق، واعتبره مقياس التسوية بين البشر . جديرا بالتأمل وان لم يكن بالشئ الغريب ، فقد طالت ألفسة الانسان له وهو ينظر فى التاريخ فيرى فناء الدول وموت الانبياء والعظماء، بل يرى الناس حوله يموتون وكذلك الطبيعة ، حقا انه يأتى بغتة ، ولكنه على ذلك سهل كالنوم .

وقد ظلت فكرة الموت وضم الدنيا سطحية عند الشاعر الشعبى لم يتعمقها ولم يفلسفها ولم يتأمل جزئياتها ودقائقها ليكشف عما يعتمل فى نفسه وكل انسان ، وعما يتطلع اليه دون أن يعرف كيف يصل اليه أو يدركه أو يعبر عنه .

يقول المغراوي فى تنبيه الانسان الى أن الدنيا فانية وإن الدوام لله وحده ، ودعوته الى أخذ العبرة من الفناء مادامت الصحة لاتدوم والشباب يخون :

مادام الملك غير للدايم لمعين ❖ وماسواه افلورا كلو فانى  
خالق لشيئات كلها رب الكونين ❖ نفنا واكداك بامرو نعم الغانى  
الصحا ماتدوم والصغر تخوين ❖ اسمع منى الصبح وافقه تيبانى  
عبر من ذاتك فالزمان ❖ واش لــــــبدان

(I) نسبة الى الجفر وهو جلد ماعز كان يستعمل فى الكتابة ويزعم الروافض أن جعفرا الصادق كتب لهم فيه ما سيكون من حوادث الى يوم القيامة .

ما زالت فالديسان \* كيف كانت اكسيل  
واعلم بان الرحمان \* رب جمع لكوان  
غانى مغنى منان \* ليس ليلو لمثيل  
واعلم بان البقا المن يحيى لعظام \* من له الملك حق دايم بدوام

ويحاول أن يبثه العبرة من الغابرين على هذا النحو :

وين نوح فسلام

وين لفضيل سام

وين يدفت أحام

...

وين أيوب افلر صام

...

وين صالح وحام

...

وين داود لهمام

...

وين ابراهيم وين اسماعيل لمجد \* وين يسحاق وين يعقوب اولادو

وينو الياس وين دانيال اهل الجدة \* وين ذا النون اسرور قلبو واعبادو

وين ادريس زال به اغيار النكد \* أذ القرنين من ابلغ فى تجهادو

وين موسى المعهود

...

وين شعيب أهود

...

وين النمرود أصولتو

...

وين جالوت ادنيتو

...

وين فرعون الامتو

...

وهو يرى ان الدنيا ليست غير دار مزاح وشقاء وبكاء، من تبعها ذهل عقله

وغدا فى تعب دائم :

الدنيا ما تصلح غير دار لمزاج

. . .

دار التعب الكلاح

. . .

ولبكا والنواح

واتبعها عقلو جاح

عمرو ما يريح

مثل الدنيا عنده كمثّل نزل يحط به المسافر أو قنطرة تعبّر نهرا أو  
سوق تعمّر بأموال التجار ، فواحد يربح وآخر يخسر ، من ضحكته له بشعرها  
لا يلبث أن يبكي شاكيا من الفقر والغدر :

الدنيا كيف شئ انزلا بين امصار ❖ والاقنطرا اتدوز عن شئ نهر  
والاسوق عامر ابدال التجار ❖ واحد في اسلعتو اربح والثاني اخسر  
لاتمن ضحكها ايلا ضحكته بشغار ❖ من ضحكته لو ابكا امن اشكاها بلفقر  
غدارا ما تدوم منى خذ لخبر

وهي عنده حسناء فاتنة ، يحبها كل من يراها وتحلو في قلبه ، ولكن الذي  
يفوز بها ويذوق عسلها لا يلبث أن يسقي منها المر :

هذا الدنيا احكيها الا طفلا ❖ حاطت ببها اشمايل الزين المكمول  
من راها دون ريب في قلبو تحلا ❖ مهما يطمع في ازمان كل اوصول  
من واغاثو اودار منها شئ خصلا ❖ بعدن يسطب اعسلها تسقيه ادفول  
وعنده أن الدنيا لا يامنها الا مجنون أغوته بالكذب ، وان شرابها الحلو  
يعود مرارة وغصة ، وأنها سرعان ما تسترد ما تمنح :

الدنيا ما تدوم يا صاحي هيهات ❖ من يامنها اهبيل اسلبتو بعد اعطاثو  
لو تسقيه لمصال ترجع بالغصات ❖ أما من امر سلبتو بعد اعطاثو  
والدنيا عند النجار دار شقاء ونكد وغرور :

دار الشقا ودار النكد ودار لغرور

أويح امن اغواثو امال ❖ عقلو امع الطمع والمال  
ولا اتفقد فيه اعمال ❖ الزاهدين دركوا فيها نهج لفلاح



بلسان الذكر والصوم ❖ واصلات النبی المعصوم  
وعند ابن علی فی «الوصایة» ان الفجار یرونها جنة وأن الصوفیة یرونها  
جحیم المومنین ، فما أسعد من تركها وتخلی عنها :

جنا الكل فاجر واجحیم المومنین شافتها الصوفیا  
یأسعدت من سلم فی أهواها وخلاه

وعند ابن سلیمان فی «التوبة» أن البقاء فیها لله :  
ما فیها من یبقى ❖ غیر نعم الباقی  
یا غفیل مالک شاقی ❖ لین تاتزید احماقی  
وعند العباس الحرار فی «وصایته» انها دار الغرور ملیئة بالآفات، سلوانها  
أحزان وسرورها غصات وضحکها بکاء وصدقها کذب :  
امن اکثر دار لغرور بالآفات ❖ ترکوا الفانیاً منها لغدر مورت  
سلوانها احزان واسرورها غصات ❖ اضحکها ابکاواصدقها افشروابھوت  
سبحان امن اخلقنا واهمنا بالموت

ومثل هذا یقول علال العلوی فی «الراس» :

...

عمرها ما عطأت العاهد الحد اولا خشات عار

دنیت لغرور ولقرار

...

یاماضحکت عن ابنادم

...

وبعدھا اتغبرر

...

ایلا تضحک غیر مرا تنکد مرات ابلکدار

...

وتقول أوام کیف صار

...

ما ظنی فی ازمان یغدر من شاقو عاد ناکرو

ومادامت الدنيا كذلك ومادام الفناء محتوما فلا داعی للتفكير فی السوت

فهو سهل كالنرم ، ذلك ما یراه ابن حماد ویدعو نفسه الیه :

أراسى يامشوم كيف ايجيك النوم • من هم الموت ما تخم يالعمما  
ما تعرف كان ترحل الليلا واليوم • تحمل واتشوف للطريق اتعاما  
أما ابن سليمان فلا يريد فى «الطبيب» أن يموت ، ونحس عنده رهبة  
من الموت لانكاد نجدها عند غيره لعل مردها الى شبابه (I) :

الطبيب يعرف دايا والدوا سومو غالى

عالجونى ياناسى لا نموت موت الغفلا

وكما أحس الشعاع الشعبى الضيق بالدنيا فكذلك أحسه بالناس ،

وهكذا يرى العلمى فى روح من التشاؤم ، أن كل أبناء جيله مطبوعون  
بطابع واحد ، فشافهم النفاق والتحايل والمصانعة والخداع ، وهى كلها

علامات الخراب :

هاذوا شروط اعلامات التخراب

عاد النفاق امودا بين الناس الكبرا

بالحيلة والمصانعة ولخدع عادت اخلاق اطبايعهم مقلوبا

مذهبهم ندرية خممت اولاد جيلنا شاع بعضا وحدا مضروبا

شاع الرياء ولم يعد وجود لاحسان والصدق والحياء والعرض

والحسب :

شاع الريا ولحسان اغبر والصدق غاب

وارتفع الحيا والعرض والحسب

وغدت الصعبة وسيلة للاغراض ، فالذى يخالط أحدا يريد أن

يشمت فيه ، يغدر به بمجرد أن تتاح له الفرصة :

ولات عند ناس اليوم الصعبا اسباب

الى اتخالطو يبغى يشمت فيك

غير تركزن لو يغدر فيك

مايخليك داير كابوس لغدر فيك يتسناك

ومن أجل هذا فهو يدعو الى معاملة الناس بالمثل :

من لا يخدع ويلطف ويصانع ويدارى لعدا ويرشى لخوان

ما يوجد حتى رايف فالرخفا والشدا ابخاوتو يستعسان

(I) أصيب ابن سليمان بداء القلب ومات وهو دون الثلاثين .

والغنى عندهم عزيز في كل مكان ، لو ظلم وقف الناس يحمونه  
ويخوضون في سبيله المحروب ، يتزاحمون لتقبيل يده ، ولكن ليس جبا فيه  
وانما في أمواله ، واذا ما افتقر انفض عنه الناس حتى الاقرباء منهم إليه :

مول الدنيا عزيز اقلقرا ولمدون \* واملل ذاك ايرفعوا بجانبو اهل البيد  
او يظلم يوجد من يكون فحماء عون \* وعليه القوم ايصارعوا الحرب الشديده  
ما بهم فيه امحبوا بحسن الظنون \* واين كان يتزاحموا اعلى بوس اليد  
ويلا افتقر واحماق به فقر ايهون \* واقريب فالنسبا ايعود منو ابعيد  
فالغنى تخضع له الهامات وتعتبر سياته حسنات ، أما الفقير فيبغضه  
الناس بلا سياته ، سواء عندهم موته وحياته ، اذا سكنت قلوبوا عنه  
انه ختال واذا نطق استعاذوا من صوته :

مول الدنيا يخضعوا له الهامات

سياطو عند هل الخدع حسنات

وقليل المال ايبغضوه ابلا سياط \* استعوا عيشو استعوا موتو  
ايلايسكت يصير ختال وبهات \* ويلا يدوى القوم تسعاض من صو و  
وفى نفس الروح وميل الى القوة يرى العلمى فى قصيدته فى «المولى  
عبد الرحمان» أن الاعمى لا يبصر جمال الضوء ، وان الاصم لا يصغى لرائع  
لافكار ، وأن الحق ليس له صديق يذكر فى هذا الزمان ، غير السيف يصلت  
فى وجه الطغاة والبغاة الجائرين :

ما يميز حسن الضو انواجل العور

ولا ايهز الصمك طيب الغا افكارو

الحق ماله اصدىق اذا الزمان يذكر

دون صدر السيف اياشتت اضمائر

من اطغى وابغى واتقوى وخالف اوجار

ابراهن الهند ابخسران لعدا اتبادر

وهو يرى ان قلب الجاهل البليد لاينبهه غير الحسام ، أما غير ذلك

فستحيل كما يستحيل أن يسك الذهب من القصدير ، أو يزول طعم المرارة

من الحنظل او يغزل خيط الحرير من الدوم ، أو يحارب بشوكة السمسم — ار ،  
أو أن يعصر الزيت من الرمل ، أو يتخذ العسل من اعشاش الزنابير :

ما يلين اقلوب الطامس تذكير

لحسام ايودب ويعلم التماسا

ما ينفرغ سك لبريز من القزدير

اولا تزول من الحنظل طيبب لمسارا

اولا ينغزل من عرق الدوم خيط لحرير

اولا تكون الحرب من شوكت السمسم

كان محال امن الرملا الزيت يعصار

اولا تكون لعسل امن اعشائش ازناير

وعنده أنه يستحق المكروه كل من لم يؤد زكاته وبغى بالفساد ، وان

الصبيان يذهبون ضحية الكبار والنساء ضحية الرجال :

يستهل من لايسخا بزكا ولعشار

واستهل من يبغ لفساد واضرورا

راح ذنب الصبيان اعلى اوقاب لكبار

وراح ذنب النسوان اقدمت الذكور

والسبب أن الدنيا بهرت الناس وأعمتهم عن الحق والصواب ، وأنها

بدأت تغرى حتى ذوى البصيرة :

بهجت الدنيا تركت كل واحد مسحور

عاد حسن ابهاها يسبى هل لبصيرا

ويرى أنه لا لذة فى حلاوة تخالطها المرارة ، ولافضل فى مدح يعقبه

الندم :

لاصلح فاللذا بعدن احلات تحرار

ولا افضل فالمدح المعكوب ابلمعاير

وعنده فى «الدار» — وقد بدا عليه الاعتدال فى الرأى — أن الحياة لا تخلو

من الحلاوة والمرارة :

يوم اشلوق اويوم اخلو اويوم زقوم ❖ اويوم مستعدل بين الطيب والزهامة  
وبمثل هذا المنطق يعبر في «طامو» :

معلوم كيف مادامت رخفا ماتدوم شدا

هذا مواجب احكام اصروف الدهر

يوم احلا من طعم التمر

اويوم كمثل الحنظل من

ويصل هذا الاعتدال عند غير العلمى الى حد الدعوة لعدم التأفف من

الزمان فالخير والشر دائما موجودان ، وليس من داع للبكاء طالما ان كتاب

الله محفوظ فى الصدور ، وطالما أن رحمة الله تمحو أوزار المذنبين :

يقول الشاد :

لا تقولو شى يا حسرا اعلى الزمان ❖ الخير والشر افكل ازمان كايينين

ما جد اكتاب الله فالصدور ❖ لاه نبيكوا اعلاه

ما قاطعين باس من رحمت الله ❖ واحبيننا الشافع رسول الله

فاش جا ذنب المخلوقيين ❖ عند واسع الغفران

وبهذه النزعة يدعو الى ضرورة المعاشمة والمعاشرة ، مادام الناس اخوة

يعيش بعضهم لبعض ، ويخدم بعضهم بعضا حتى يكونوا كالبنيان المرصوص

خوك عبدك وانت ديمما لخر كمدرك ❖ لاتأديه الله يهديك ما يؤديك

لك عايش وانتيا له كتعيش ❖ لاتكونوشى طوبافشى ابني اهشيش

عيشوا بالله والنبي ولقرآن امع لحديث

وفيهم السعى الى غير ذلك وقد جعل الله الناس طباعا مختلفة كما يقول

محمد بن الصغبر :

سيحان الله فالطبايع دالناس ❖ مابقى من لاهاج اغرامو

والناس احوال كل واحد فى حالت حالو

وشبيهه بتشماؤم العلمى تشماؤم النجار الذى مل الحياة ومحنها ولم يعد

يرجو غير الموت فهو طوال حياته يعانى من الحزن :

مل قلبى من دنيا كلها امحان ❖ اولا بقى يترجى الايموت هانسى

امن اصبايا لشبابي واسق لحزن .. ومن اشبابي لازلت أليعتى انعاني  
وهو قد خبر الناس فلم يجد فيهم غير الذئاب والشعالب الخسيســــــــــــة  
متنكرة في صورة خرفان واحمال ، كل منهم يكيده للاخر ، يبعدهم عن الادمية  
بعد ما بين السماء والارض :

غير الذيب الخاه وتعالب الخسان .. في ابطاين لغنم هذا الذاك جانى  
بين لادمى واقوام هذا الزمان .. قد ما بين الارض امع اسما الغاني  
ويحس الغربة في مثل هذا الجو ويتساءل هل هو من هؤلاء الاقوام  
أم أن وقته فات أو لم يحن بعد :

واش انا من هذا القوم يا لعرقان .. اوباقى وقتى ولا امضى الزمانى  
وقريب من هذا الروح التشاؤمى نجد عند غلال العلوى فى قصيدة  
«المجد» حيث يرى أن «المجد» - ولعله يقصد به الخير - لا وجود له ولا أثر ،  
سأل عنه فى السهول والجبال فقبل له غاب اسمه وخياله ، وسأل عنه  
العلماء والعارفين فى كل الملل فأكدوا له غيبته وأنهم يبحثون كذلك عنه ،  
وسأل عنه الذين فتشوا عنه فى كل مكان وقصدوا من أجله الاولياء فقالوا  
انه غاب حين صادف العراقيل ، وسأل عنه رجال الفن والذوق ، فأجابوه بأنه  
غاب حين كثر الكذب والبهتان ، وسأل عنه التجار وأصحاب الاموال فقالوا له  
لقد ذهب بعد أن فشا البخل ، وسأل عنه أرباب الصناعات فى مدينة فاس  
القديمة فأكدوا له أنه لن يعثر له على أثر :

اسألت اعلی اشريف لاسم ما بين اوطا مسح لجبالى  
قالوا لى غاب له الاسم وكذلك اخيالىـــــــــــــــــ

واسألت اعلیه ناس لهما واهل التنبيه افلمالى  
قالوا لى غاب حقا وكذلك اعلیه انسالو

واسألت اعلیه امن اتجول واقصد اعلیه كل والى  
قالوا لى غاب بعد وصلو صادف عرقالى

واسألت اعلیه امن اتفننوا والى بدعو الفن دالى  
قالوا لى غاب حين كثر البهوت بسجالى

راسالت عليه افلمتاجر والنهابا وهل المالى

قالوا لى غاب لاتسول لرذيل ابخالو

واسالت عليه فالصنايع وابحثت افاستا البالى

قالوا لى غاب ليس توجد منهم قلالو

ومن خلال هذه النظرة للحياة والناس يحاول المشاعر الشعبي أن

يكون ايجابيا فيقدم بعض النصائح التى يمكن أن تجنب الوقوع فى مخالف

الدنيا ومهاوى الزلات . من هذه النصائح عدم مطاوعة النفس والهوى

والشيطان فهم أعداء ، يقول ابن على فى «الوصاية» :

والنفس ولهوا والشيطان احدا لاتطاوعهم قطعيا

واش من عاقل يامن يافهم فعده

ويقول الشاوى :

لعن الشيطان \* ياغافل كما لعنو الله مولانا \* مهما ايدور بك اخزه ولعنو

ويقول عبد الوارث فى «الفياشية» :

خالف نفسك واقطع \* كل علاقا عنك

واشتهوا (I) لاتتبع \* واسقطها من ذهنك

واعروق اهواك قلبي \* ائت نفسك منك

ومنها التقتشف فى اللباس وعدم الزهو به ، يقول ابن احساين ينهى

عن لبس الحرير وما يبهى الابصار اسوة بالرسول الذى نزع «الفروج»

لاتملك افروج امن احريير وتبهى لعيان \* واعلم بين ايمان الانبيا نعم العدنانى

نزعو نزع البغض بعد جاه اهديا فالحين

ويقول كذلك :

لاتتبختر فكساك واتفايش واتانى

ولكنه لا يريد ان يتمسكن ويكون ذليلا ، فالمسكنة والذلة لليهود فى

كل وقت وحين :

لاتتمسكن فالحيات ما فالدين اتمسكين \* والمسكنا لليهود افسايرلزمانى

ومنها الدعوة الى عبادة الله واقامة الصلوات ، فعبد الله بن احساين

(I) اصلها اى شىء تهواه .

ينبه الى وجوب أدائها مع المحافظة على الصلاة الوسطى ، وهى العصر عـلى المشهور :

قم الصلا حين وقتها لاتنفس مديان ❖ والعصر عندك ايفوتك وقتوسانى  
حافظ عن جمع الصلا وهاد الوسطى تمكين

ويحث المغراوى على عبادة الله :

اعبد مولاك رب وحدانى ذا العرش ❖ اعبد مولاك لاغنى ذنك يمحيه  
ويرشد الشاوى الى صلاة الفجر وضرورة اغتنامها ، فهى ربح وفوز  
بالغنائم والطاعة :

يالنايم فق امن النوم راقب لفجر الطالع

قم تغنم ربحك واتفوز ابلغنايم والطاعة

ويلج كذلك على الصلوات الاخرى :

ابغيتك اصلات الظهر تلتقاك سابق للجامع

لا اتفرط فيها واجعل اغناك تقوى واقناعا

ابغيتك اصلات العصر لا تفوتك اوبها دافع

اهوايل الفاقا والمغرب صونها دون اضياعا

ولعشا ودها فى اوقتها بتضارع

والشفع الوتر زد لعضاك راحا وارياعا

ومثل هذا يقوله الحاج ادريس لحنش :

اتلها فالدين كن رجل ثبت اقدامك ❖ صلى بالخشوع امع الناس اوقاتك

ونجد فى بعض نصائح السلوك الصوفية ، كما عند مولاى محمد الزبادى

المنالى ، حثا على المحافظة على الصلوات وملازمة الزاوية وتلاوة الاحزاب

والايراد :

لوقات احفظها والزوايا اتلازم ❖ ابلحزاب ولوراد امرتين ببيان

يافقير اصنعتك هى الذكر دايم ❖ والصلا والسلام اعلى النبى العدنان

أو كما عند محمد بن رموية فى داليته اذ يقول :

خذ طريقنا معهودا واشيوخها موجودا

ولسرار منها تبدا للعجب السعود

...



اتجرد عن الحس وعن الحب للجنس  
واقصد حضرت القدس لبي باسم المقصود  
يا طالب الالهام امن اصدور لعلام  
افنا طول الدوام فى اشرايع اهل الجود  
بالسهر والصيام والعزلا والقيام  
والتصديق ابدا القوم انت بهم اتسود  
وعند المدنى التركمانى أن الزهو فى قراءة الكتب وأداء الصلوات  
والمحافظة على وقت الفجر وفى الصوم والحج والجهاد :  
الزهر افلكتوب أوقات ❖ واصلات المختار فى وقتو والصوم  
والحج ألهاد فالنصارى يوم المعلوم  
ومن النصائح الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يقول ابن احساين  
فى «اللقمانية» يدعو الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى شدة لاتلين  
وفى أى مكان وزمان :  
وامر بالمعروف فىن ما كنت لاتليان  
وانهى عل المناكر لقباح افكل ازمانسى  
ومنها الحث على التوكل ؛ يقول المغراوى :  
اعمل تكلك فالله ❖ لاتترجى سواه  
ويقول بوخريص فى «المدونة» :  
دير تكلك ياقانط افلغنى السلطان ❖ اتوجدو وقت ما تدعيه سامع احنين  
ويقول ابن على فى «الوصاية» :  
اياك لفلاحا والرزق الضامنو ايجييو لك اوليا تولو كيف يدير فدينيتو ورساء  
ويقول علال العلوى :  
أنا تكلى فالله يوقينى ❖ لقديم الدائم من لاينام ولاتراه اعيان  
جيد جواد الا ايحافينى ❖ المالك لكريم الغانى من لاتنطرد من بابوسعيان  
وتتضح الدعوة الى التوكل وترك التدبير عند عبد الوارث فى «الفياشمية»  
حيث يقول :

نقنط من رزقى لاش \* والخالق يرزقنى  
أنا مالى فياش \* ولى اعلىا منى

...

منى آش اعلىا \* ونا عىد مملوك  
والاشيا مقضىا \* ما فى التحقيق اشكوك  
ربى ينظر لىا \* ونا نظرى متروك

....

والارزاق اعلى الله \* ناكل من رزق الله  
يا قلبى لاتهتم \* واصرف هم الباطن  
المقدور لو محتهم \* كيف اتعى واتعاين  
سلم تسلم واعلم \* أن المقضى كاين

...

خذ الرفق ادلىك \* واترك عنك التدبير  
واستقنع بقلبك \* ياتك الله بكثير  
ذا التعب الكل اعلاش \* وقل الشى يغنى

....

قالوا لى وقتك ضاق \* والنفقا ما تكسب  
قلت ارزاق الرزاق \* من دا يقوى يحسب  
قالوا امشى للاسواق \* واتمول واتسبب  
قلت افراخ لعشاش \* خالقهم يرزقنى

ومنها طاعة الله والرسول والوالدين ، يقول الحسن :

بادر ابطاعت الله اوقوى زادك

طع الله اوطع النبى واخدم والديك \* تطفر بالنجاح ويتنور حالك

ومنها اختيار الرفيق الذى يطيع الله ، يقول ابن على :

واختر من اترافق شف الى طاع خالقو جعلو ولفيا

اعسى ايجلبك واتولى للوحيد وحده

ويقول غانم الفاسى فى «التوبة» يدعو الى العزلة وعدم اتخاذ الرفقاء

اذ لم يعودوا صالحين :

أفنبى ما بقى امع من اتصا دق \* ويكون اليبب امحتفل وعشير صادق  
عش هانى وحدك وكل فاجر انفيه \* وكل من حب اولاد اليوم زايد اشتقاء  
عش وحدك خلى لهل البلاء ابلاهم \* كان ملتى مل الطه ارفع لمقام  
كل من دازك دوزو هون به وانكيه \* بعد ما يعمر سوقو لاغنا امن اخلاء

ومنها صون اللسان وفرج ، يقول ابن على :

واحضى السانك وفرجك واعرف من انشاك ناظر فيك ، وفيها

ويقول لحنش :

لا شتم مخلوق أدب السانك لا يدك

تعبان لسان اينومت فى امهالك

ومنها غض الابصار عن المحرمات كما عند ابن على فى «الوصاية» :

غض لبصر اعلى المحرم وافشوفت المحرم كل اخطيا

اقليل من شاف وضربو الشيطان ولا اخطاه

واتسع نطاق التوصية عند الشاعر الشعبى حتى غدا ارشادا الى

ما قد يعود على الانسان بالخير فى دنياه أو الى ما يمكن أن يعتبر أدب ~~سالك~~

ومعاملة . ونصيحة العلمى أن يتحلى المرء بخمس خصال ويتجنب خمس

أخرى اذا أراد ان يكون سعيدا ، ان يتحلى بالصمت والعزلة والمسألة وترك

الملام ولقناعة وأن يتجنب الحسد والكبر والجفاء وضيق الخلق والطمع :

من حفظ خمساً دالحسنات حفظ محكام

وفيه رسخوا كرسخ نوشم افلاهماد سم

الصمت والعزلة والهدنة وترك الملام

ولقناعا من كسمبهم امن ابنادم

يعتدل ميمونو والسعد له يستقام

يرتفع بعد الخفض الهممت الضراغم

ومن اترك خمساً دالسيات ترك عزام

من اجملت المحروم الى اعليه حازم

لحسد والكبر ولجفا وضيق لشيام

والطمع بيت الدل اناصب لحشايام

كل سميا من ذا السميات ضر سام

فاق سم الحيات الرقط السنوادم

ومن النصائح التي نكاد نجدها عند كل الشعراء : صلة الرحم ، يقول  
ابن احساين يوصي بصلة الرحم ولو بعبور البحار والوديان :  
واصل رحمك وبين كان شئك لو ابحور اويدان

ويقول ابن علي :

واصل الرحيم ولا تقطع صلتك اقرب اولا بعديا

وصلو لا تقطعو اولا يصلك اخطاه

ومنها المحافظة على حسن الجوار ، يقول ابن احساين يوصي بالمحافظة على  
مال الجار وعرضه واعانته ، مشيرا الى أن الرسول ظن أنه سيورث من كثرة  
ما أوصى جبريل عنه :

أما وصي اعلى الجار جبريل افكل اوان

حتى ظن الزمزمي عل الجار فمكاني

يورث ورث الدم لون ما أتاه التبيين

مال الجار احضيه كن مالك صونو تنصان

واعلى عرضو كيراقب لجليل الغانسي

واختصار القول كل جار الجيرانو عين

ومنها الصدق والوفاء ، يقول ابن علي :

الصدق ولوفا فالكلما والعاهد ولقبول من الوهبيا

من اقبل عنو رب الكاينات هنــــــــاه

ويقول الحاج ادريس لحنش :

شد احزام الصدق ولوفا اعرف مايعنيك

ومنها التخلي عن البخل والاسراف ، يقول ابن احساين :

لابخل لا سرف كيرضى رب العالمين

ويقول ابن علي :

الرفق افلمعيشا قالوا افضل من التجارا بالف ميا

ومنها تمجيد الكرم ، يقول الشاوى فى «الجواد ولبخال» :  
يامولى عمر نعم لجواد لفضـال ۞ ولبخال اعطهم لخلا اوتـم لخـلا  
ومنها الحث على التواضع ، يقول لحنش :  
لاترفع هما اعلى لعباد اذا رفـعوا بـك ۞ بوس لقدم لاتحسب اكبر شأنك  
اياك العجب يخطر لك ببالك  
اذا عظمت نفسك كل لها مالك  
اذكر لها الموت تنهزم الذات وتهنيك  
وابقى اتجول فالى فاتوا قدامك  
ومنها عدم الفخر بالآباء ، يقول بوخريص :  
لانقول أنا بويـا كان سيد لكران ۞ شف ماتغرس من بعدو انت ابتحسين  
ومنها الحث على الصمت ، يقول العلمى :  
الصمت كيقلو لعرب حكما ۞ مجدوه اشعار القدمـا  
اسكات عام احسن من كلما ابغير ندما  
ويقول لحنش :  
واتعود بالصمت فيه سر اكثر ايقويك  
واتصب غايت الراحا من شيطانك  
ومنها تجنب الغدر والشبهة والتجسس والغيبة والنميمة والمزاح واللهو ،  
يقول ابن على :  
اياك لغدر والشبها وامواقف لشيـات الى سويـا  
خوك فالناس الى وتاك كن لوخـاه  
نوصيك لاتجس لاتغتـب لاتنـم لاتجهـل ازليا  
واعظ الخلق افوجهو لاتسبو فقفاه  
ويقول الحاج ادريس لحنش :  
واترك قيل اوقال ولمزاح اوشين يلـهيك  
خوفى اعليك تمضى فاللهو ازمانك  
لاتدخل ما بين زوج بالشر احرام اعليك  
واتشتت لحباب ابتزويق اكلامك

ومنها فعل الخير دون انتظار الجزاء ، يقول ابن احساين :

افعل الخير اولاتعابو يرجع لك تانى

ومنها عدم الرد على الشر بالشر ، يقول ابن احساين داعيا الى عدم الرد

على الشرير معللا بأنه يكفيه جزاء أنه خفف معاصي المظلوم :

من غتبك يكفيك فيه خفف عنك عصيان

ومنها الصبر على المحن ، يقول ابن احساين :

اصبر ياراسى اولا تكون عل لمعان احزين

ويقول ابن على فى سرابته .

أقلبى كن عن امصابك صبار :: الصبر مفتاح الكنوز والخير

ومنها معايشة أهل العلم والدين ، يقول ابن احساين :

واهدى واتهدا وعاشر اهل الدين وليقين

ويقول لحنش

واصحب ناس الدين لاتخالط من لا يوريك

ومنها الرفق بالصبيان والايام وتوقير الشيوخ واغاثة المحتاجين ، يقول

ابن احساين :

وارفق بالصبيان وليتيم رحمو باللى كان

والشايب نوصيك وقررو ولو نصرانى

ثت اللى استغاث بك كن اتلى الصعب اعوين

وكأنت «الجغريات» فرصة أخرى ليهجر الشعاع الشعبي من نظرتهم

المتشائمة للزعماني الذي يراه يتنكر للمستحقين ويصفو للسفلة ، وهي قصائد

بتأمل فيها أحوال المجتمع والناس ويذكر العيوب والمناكر المنتشرة ، معتمدا

فى الغالب على الرمز والتلميح والاشارة والتشبيه والمقارنة . ومن خلال تأمله

يتنبأ بما ستفضى اليه هذه الاحوال من ظروف ووقائع وأحداث

ويذكر الاشياخ للفقهاء العميرى لامية جفرية يحفظون منها قوله :

ذاك الولد المهبول :: أصلو من أناضول

الفرخ يشبه احوالو

وهو قول وجده الناس مطابقا لوضع المولى عبد العزيز (I) بعد أن هزمه أخوه المولى عبد الحفيظ (2) ، إذ أن له تركية ، مع أن الشاعر كان يعيش فى عهد المولى عبد الرحمان (3) . ومثل هذا قليل عن زازية الموقت التى أولها :

أسايلنى انفيدك بكافر باريـن . . . استفد أكن عايق واتبع الفرزا  
واعتبر ما ذكره فيها عن هزيمة فرنسا تنبؤا بما تعرضت له أثناء  
الحرب العالمية الثانية مع أنه كان يعيش فى أواخر القرن الماضى . وللموقت  
شعر جفرى يستغرب فيه للصيف غدا شتاء والربيع خريفا ، وقد تكلسم  
الطنبير . كذاية عن نطق الجهاد أو صولة الفارغين . وغدا الناس فى ضيق ،  
وانتشر الغلاء والبخل ، وقشمت المخدرات ، وكثر النهب والخطف . ولم تعد  
الدرهم غير رغو فى اليد لا قيمة لها ، وانعدمت البركة ، وأجدبت الارض  
فلا تنتج نى صيف أو شتاء ، وتمكن الحرص من القلوب ، وهبت ريح الكساد  
عاصفة على الاسواق ؛ وهو زمان ليست للوالى فيه سطوة ، وانما هو الدهر  
يتصرف فى العباد كيف يشاء ، تارة يقبل ويرضى واخرى يسخط ويعاف ،  
وليس يوجد وزير يقبل شكوى المظلوم ليلفها دون خيانة أو مقابل . وليس  
غريبا ان يرى كل هذا بعد أن غدا الدين رخوا والايان ضعيفا فى نفوس  
المغاربة ، وبعد ان علا شأن اليهود (4) وأصبحت لهم سطوة ، وأذلوا المسلمين ،

(1) تولى من سنة 1311 الى 1325 هـ . (2) تولى من سنة 1325 الى 1330 هـ .

(3) تولى من سنة 1238 الى 1276 هـ .

(4) تجدر الإشارة الى أن موضوع اليهود اثار غير قليل من شعراء  
«الجفرىات» لاسيما فى هذه الفترة . ولا يبدو ذلك غريبا فحقائق التاريخ  
تفيد أن الجمعية اليهودية فى بريطانيا كانت قد ارسلت سنة 1280 هـ  
احد اعضائها اسمه روشايل تطالب حكومة المغرب بمنح حقوق وامتيازات  
اليهود ، وأن بريطانيا ساندت هذه المطالبة بواسطة سفيرها فى المغرب ونشر  
السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ظهيرا أعلن فيه رأى الشرع ومما  
يوجب لليهود من حفظ الذمة وعدم الظلم ، فاتخذ اليهود هذا الظهير ذريعة  
للتجبر والطغيان مما اضطر السلطان الى نشر ظهير آخر يبين فيه القصد  
من «ظهير الحقوق» ، ذهب فيه الى أن الايضاء انما هو فى حق اهل المبروة  
والمساكين منهم المشتغلين بما يعنيههم وانما صعايلهم المعروفون بالفجور  
والتطاؤل على الناس والحوض فيما لايعنى فيعاملون بما يستحقون من الادب  
(انظر الاستقصاء للناصرى ج 9 ص 113 ط دار الكتاب سنة 1956) ولكن  
اليهود استمروا فى سلوكهم محتمين بالدول الاجنبية وسفاراتها وقنصلياتها  
فى المغرب .

وغدا المغرب يتخبط في متاهات العمى والغواية :

سبحان الله صيفنا ولى شتوا \* وارجع فصل الربيع فالبلدان اخريف.  
ملى فالغرب عندنا طنبور ادوا \* والناس افضيق حال ملغلا والصيف.  
ثم اتشبا الكيف وكثرت النشوا \* وافشبا فينا النهيب والهيف ولخطيف  
وادراهمنا اضحات فيدينا رغوا \* لابركا ابقات لاشتموا لاصييف  
والحرص اعلى اقلوبنا لنالقا \* وادفع ريح لكساد على لسواق اعصيف  
فزمان ما تشوف للولى سطوا \* والدهر بين لعباد كيقبل وايعيف  
ولا تلقى اوزير كيقبل شكوا \* ويبلغ مايخون مايبرى تكليف  
قلت اوعدى اضحات فالدين الرخوا \* ولى ليما عندنا فالغرب اضعيف  
ليهود قصدت لعلو دركوا سطرنا \* واقبلنا دلهم عاد الغرب اكيفيف

وقريب من هذا قصيدة الشيخ محمد بن عمر فى «لهرج ولفتان» ،

يقول فى حربتها مؤكدا ان الهرج والفتنة - كما اخبر الرسول عليه

السلام - مسجلان على هذا الزمان حيث يكثر الجور والفوضى والاهوال :

الهرج ولفتان به اخبر طه ايماننا \* حدثنا عن ازمانا  
اي جُور الزمان \* يقوا هول اتفرتنو

وفيهما يذهب الى ان الناس فتنوا بالدنيا وشغلوا بهومها فغدوا كالدواب

لا يحسون محنها ، فقد انقلب الزمان ، ولم تعد للعيش متعة او هناء ، وعمت

الفوضى ، وكثرت الفتن واتعدمت الاستقامة ، وافتقد العاقل الذى يرشد

الناس للخير وينبهم للشر :

يا اخ الولهان \* بهوم الدنيا الفاتنا

من شطنت لنا اقلوبنا \* عشنا كالحيوان

لا من فاق ابتماحو

وانقلب الزمان \* لا لذا فالعيش لا هنا

والدنيا راهنا امقدنا \* من كثرت لفتان

لا من غادى فيمينو

لا عاقل يقظان \* ينهنا عن سو افعاننا

وينبهنا ويغيدنا \* ولفساد ايبان

واعوان الوقت اتعينو



ولم يمدى لحيمن وعلى قصيدة يتقرب فيها باحتلال فرنسا للبحر،  
وفيها يصف حال الزمان كما أخبر به الاجفار ، فقد كتبت في ألواحها أنه  
في السنة الحادية عشرة ستكثر عيون المياه ويتفرعن الضفادع في الوديان.  
وتتقوى الذئب ، وتضعف السباع ، وتصل البومة على النسور ، وتنزل  
مكانة ذوى الهمة والشان ، وتعلو مكانة السفلة ، ويصبح الفجار في قرار  
مكين ، ويغدو الوجهاء والشرفاء كالحيوان ، ويظهر القول الحق تخبر به  
الاجفار معلنا دخول الفرنسيين : ( ل ف ر ن ص س )

بعد الصلا على الرسول انوضح ببيان  
شرط الساعا نوصف حال الزمان  
بها لجفار خبروا باقى السنين

نظروا فالواح باحوا بالكتمان  
في عام احداث غتخوض العيين  
ويتفرعن اجران فى اجمع الويدان  
اتقوى الذياب والسبع ارجع مسكين

حتى موكا اتصل على اجمع اليزان  
واهل الرفعا تخدم ويعلو من شين  
ناس الرفعا تعود خافضا بعد الشان  
تضحى قوم لفجور فى اقرار التمكن

واهل الجاه يضحوا مثل الحيوان  
يا اسفا الحق يبقى باين ايوان

خبروا به لجفار لام وفا ورا ونون وصاد وسين

وهو يرى - من خلال الجفر بالطبع - انه فى السنة الثامنة والعشرين  
ستخرج الجيوش ، وتكثر الاهوال والمحن والفتن ، ويضيق العيش على  
الفقراء والمساكين ، ويتولى الحكم قوم طغاة ، وتقسو القلوب بعد اللين ،  
ويبسم الحظ للاغنياء ، ويكثر البنيان ؛ ويرى أنه ستشهد الازمة فى العام  
الرابع والثلاثين ، وتدمع العيون فى السنة السادسة والخمسين حيث  
سيموت الناس خلال شهرى شعبان ورمضان ، ولكن لن تلبث البشرى أن

تظهر في العام التاسع والستين لتهب ريح النصر على العام الرابع والسبعين:

تخرج لحرك (I) في عام اثني عشرين

تكثر لهوال ولمحان امع لفتشان  
ويضيق العيش على لفقير المسكين \* ويتولوا الحكم القوم الطغيان  
ترجع لقلوب قاصدا من بعد اللين \* ايخرجوا هل المال ويكثر البنيان  
وما يقع عام اربعا وثلاثين \* بعد شد اتدوز واتعم البلدان  
تدمع العين عام ست اوخمسين \* واتموت الناس بين شعبان ورمضان  
يظهر بشار عام تسعا وستين \* فيه لبشر ايبان ما بقي تمحان  
ريح النصر في عام اربعا وسبعين (2) \* خبير الاجفار فيه يرتاد الولهان

ومن «الجفرات» قصيدة «لطف الله الخافي» للحاج أحمد الغرابي

وفيها يعزو الى ضعف الايمان فساد الزمان وتولى الطغاة بالقهر والجور :

لولا ضعف الايمان \* ما يضعاف ازمان

ويولوا الطغيان \* بالقهر جايرين

فقد شاعت المحرمات وكثرت المعاصي وغفلت القلوب عن الموت ، فكان  
طبعيا أن تظهر العلامات دون خفاء ، فتطغى الظلمات ويفشو المكر والكذب ،  
وتغر الحياة قوما يطغى عليهم حب الشهوات ، يأكلون السحت ويفسدون  
صناعيا :

بحنا بالمحرمات \* والمعاصي اقوات

واقلوب الناس اضحان \* غافلا عل الموت

العلامات انبات \* للورا ماخفات

واقوات الظلمات \* والمكر البهوت

قومان صمت واعمال \* غرتهم الحيات

تبعوا حب الشهوات \* وقت سحت اسحوت

(I) لحرك ج حركة وهي الغزوة وخروج الجيش للحرب .

(2) تجدر الاشارة الى ان تاريخ نظم القصيدة كما باخرها هوالف ومائتان

وأربعة وسبعون : «تاريخ عد شر يالفاهم» قالعين بسبعين والبدال

بأربعة والشرين بالف والرء بمائتين .

فلم يعد شيء يحب في هذه الدنيا وقد عم النفاق فلا عهد ولا ميثاق  
ولا صديق ، صعب الوقت وضاق وكسدت الاسواق ، فلا بركة في الارزاق ،  
وكيف والناس حادوا عن الطريق ، فأصبح الدين غريبا وكذلك أهله ،  
وانعدم الرغق بالضعفاء والاخوة والجيران ، وتنكر الدم لفصيلته :

ما باقى ما يعشاق \* فى ازمان النفاق  
لا عهد لا ميثاق \* اتوجدو لا اصديق  
الوقت اصعب وضاق \* كسدت لسواق  
لا بركة فارزاق \* خارجين الطريق  
الدين اغرب وانساق \* فى بعض الآفاق  
واهلو فقدو الرفاق \* ما بقى ما يليق  
والدم من دمو جافى \* ما يرق غانى بضعيف خو اوجار  
وهو يرى ان مثل هذه الشدة طبيعية طالما ان الناس لا يتجنبون المعاصى ،  
ولا يلجأون للاحسان ، ولا يخالفون الشيطان ، ولا يحسون باليقين :

ما جنبنا عصيان \* ما فعلنا احسان  
ما خالفنا شيطان \* ما حسنا بيقين  
لذلك يلزم الاستغفار فى الليل والنهار ، وفى خشوع وذل واحتقار ،  
وتلزم التوبة الى الله عساه يجبر الكسر ، ويمحو الاوزار ، ويقلل مـسـن  
العثرات ويجود بخيره وفضله الذى لا حصر له :

لزمنا الاستغفار \* فالضيا ولسحار  
بالذل والاحتقار \* والخشوع لكبير  
وانتوبو للقهـار \* كافا ابلجهـار  
وانقولو يا جبار \* اجبر اللى اكسير  
امحى عنا لوزار \* أمقيل الاعشار  
فضلك شلا يحصار \* جد عنا ابخير  
وهو لا ينسى ضعف الامة وقضاء الله وقدره ، فيرفع يده اليه بهذا  
الدعاء :

يا نعم الحى الكافى \* اكفنا شر الوقت ما نشوف اغيار  
(23)

يا مول الفضل الوافى \* فضلك مايتها ولا اتحدو إسطار  
عجل يدواك الشافى \* وارحم ضعف الاما الغارقا افلوزار  
قادر تبلى واتعاضى \* تنسخ الشدا ابلغفو اكما افلخبار  
يامول اللطف الخافى \* الطف بنا افما اجرت به القدرا

كذلك كانت الاحداث التحريرية السياسية والازمات الاقتصادية والاجتماعية تبعث الشعائر الشعبية على التأمل ومحاولة البحث عن الاسباب والمسببات واستخراج العظة والعبرة، يغلب فيها عليه أن يعتبرها قضاء وقدر، من الله، وأن يقف منها موقف الضعيف العاجز متألما باكيا رافعا اكف الضراعة الى الله أن يفرج الكرب ويوجد بالعفو.

فالكفيف الزرهونى فى القصيدة التى يذكر فيها خروج أبى الحسن الموينى الى القيروان وهزيمته يرى أن الله مالك عقول الامراء وشاد نواصيهائى كل زمان ومكان لا يدبرون الا بأمره، وان النصر رهن بطاعة الله، وان الهزيمة نتيجة حتمية للعصيان:

سبحان مالك اخواطر الامراء \* وانواصيهها كل حين وازممان  
ان طعننا عطفو لنا نصرا \* او ان اعصينا غضنا اكل اهوان  
ويرى أن قلب السلطان كالجوزاء، وان قلوب الرعية تجرى مجراه، وتتبعه وتستشير به، ان عدل فاح نسيمها يخترق الآفاق بعيره الذكى، وانكشف الحجاب وبدا نوره يسطع كالصبح بضيائه يعم أثره على الانسان والحيوان والنبات والجماد، وان جار ساد الفقر وحل الران فى القلوب:

قلب السلطان يقال كالجوزا \* وقلوب الخلق جاريا مجراه  
ان كان عادل ابرأفت العزا \* يطلع منها انسيم ايشق اذكاه  
اذا يعدل قد فتحت الغرزا \* كنو مصباح وهو اتصير لضيائه  
حتى فالسنبلا أفاالتسرى \* يظهر عدلو انعم وفالحيوان  
ون كان جابر بنا قترا (1) \* يطلع منها عل لقلوب الران

والشيخ الاكل فى قصيدته التى يتحدث فيها عن وضع المغرب والمسلمين فى القرن الثالث عشر واحتلال الجزائر (2)، يرد الامر الى قدر

(1) من القتر والافتار بمعنى الانتقار او من القتر ج «قتره بمعنى الغبار»

(2) كان احتلال الجزائر سنة 1246 هـ (1830م) ومعروف ان المولى عبد

الله ومشيئته واذنه ، فقد قضى أن يرتد العرب ويفشل المسلمون ، وان يحتل الكفار هذا الجزء من بلاد العروبة والاسلام :

العرب ابقدرت الله اتعود مرتدين  
اتعود باذن الله سكان للكفرا

ويستشهد على ذلك بقول ينسب للرسول يؤكد أن كفة المسلمين ستقلب في آخر الزمان ، وان القرن الثالث عشر سيشاهد قهرهم وذلهم:  
قال الرسول مفتاح دولت لخيار :: يابن خلوف(I) راقب شف ما يطرا  
آخر الزمان ينعكس وتنقلب ليام :: قرن ثالث عشر فيه ابني مـرا  
يتفقوا اعل ابلاد تسمى ياكـرام :: هاذك زاويا فالزمان مذكـورا  
فيها الولي لمخصص وينذكر بعلوم :: جعلو الله عساس اقبالت الكفرا  
سبحان مالك الملك الواحد لعظيم :: آخر الزمان ماذا تحوز من قهرا  
هذا القصاص مذكور عام امن اسنين :: فى قرن ثالث عشر ابلا عـبرا  
وفى استسلام لقدر الله وقضائه ينتقل للحديث عن الموت والفناء :

لروح فانيا ولجثا مرميـن :: مالك الملوك يبقى او لا بعدعا عبرا  
سبحان امن اخلقنا بعد العدم كان :: من بعد اوجدنا نضحا والثراب مدفونين  
سبحان امن اخلقنا امكون لكوان :: واجعل اوكيل عنا عزرائيل  
ويؤكد فكرة القضاء والقدر فى قوله :

يا مالك السما يا عظيم يا جواد :: واجميع ما جرى بسبب القادرا

الرحمن كان يساند الامير عبد القادر الجزائرى فى حربه مع فرنسا ، وهى حرب استمرت من 1246 الى 1264 هـ فقد قادم الامير الطاعة لسلطان المغرب على أن يتيح له محاربة المحتلين من ارض المغرب خاصة بعد ان هزموه سنة 1259 . ولكن فرنسا لم ترض عن ذلك وارادت ان تعاقب المغرب على موقفه، فقامت بحملة سنة 1260 فى «اسلى» من اعمال مدينة وجدة عند الحدود المغربية الجزائرية هزم فيها المغرب واضطر على اثر الهزيمة أن يعقد معاهدة مع فرنسا كان من أهم بنودها نفى الامير عبد القادر من المغرب ،وهو بند اضطر السلطان المغربى الى محاربة الامير الجزائرى وارغامه على التسليم ، فما كان منه الا أن سلم نفسه سنة 1264 .

(I) يخاطب الشعائر الجزائرى الاخضر بن خلوف . ونخشى أن تكون القصيدة ليست للاكل كما يرويها الحفاظ وانما لابن خلوف .

احذر اوكون مومن اوخوذ التمهيل : سلم اجميع ماكان بالرضا جهرا  
فمن علامات هذه الفترة ان يترك صوم رمضان ، ويدل المصلون ،  
والا ينهى عن المنكر ، وأن يسمع الحرام ، ويخضع المومنون لاسياد كفار،  
صابرين باكين منتظرين أن تحين آجالهم :

ثم اتنوح الخلق فيه بالتعراج  
فيه اهل الصلا مذلوليــــــــــــــن  
أكل واحد ابلحرام يلها املــــــــــــو  
اوكل واحد ينظر لاجلــــــــــــو

رمضان ينهجر ولا تبقى لوجسرا  
اي رخصوا ولا يبقى في اماكن نكرا  
والمومنين تظهر عليهم الصبرا  
يرضوا ذوك لسيد ابسكب العبرا

ولهاشم السعداني قصيدة في احتلال مدينة وحيدة «دخول وحيدة»

يقول في حربتها :

ياااسلام ابكو اعلى ادخول وجدا . دون حرب اغنمها لعدو او نال لممراد  
وفيها يرى أن ذلك نتيجة ضعف القلوب وفقدان الحرارة الايمان وقوة  
الجهاد :

وَعِنْدَهُ أَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ عَزِيزًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَعْشَى ذَلِيلًا :

موت العز فنهال اللقا وبرزوا      خير من عيش الذل افكل حين مبروز  
فلم تعد للحياة لذة ، وقد عز من حافظ على ايمانه في قلبه ، والامل أن

تمر سحابة الازمة وتنقشع ليغيب نجم النحس ويظهر هلال السعد :

مآبقات افعلش الدنيا اليوم لدا عذ من دینو ویمانو افقلب لفؤاد

امصرفين لوقت فعسى اليوم اوغدا      اغيب نجم النحس ويندا اهلل لسعداد

ولكن فيم الخضوع والصبر على الذل حبا في البقاء وتعلقا بالحياة

وہی مہما طالت فانیت ، لیست بندار مقام وانما ہی دار عبور ، کل من حل

بها راحل ، والافواج سائرة ونحن على اثرها بأمر الله وقدره

مُتًا وَاحِدًا أَقْبَا تَنَا تَصْبِرُ لِلدَّلِّ ۖ أَعْلَىٰ حُبِّ لَبِقَا وَلَفْنَا بَعْدَ أَيُّطُولِ

ما هي دار لمقام من جاكيرحـل ٭ شف القومان سايرين اكقول اكقول  
واحنا فاتباعهم ابلقدر الموصول

وليس يموت أحد دون أجله المعلوم ولو احاطت به الاخطار والمصائب،  
ومن حان أجله فلا يستطيع تأخيرهما كان غنيا ذا مال ، وليس في مقدور احد  
ان يهرب مما كتب له الله وسجل له وحكم به عليه :

مايموت افلورا مخلوق دون أجل ٭ لوايكون اوسط الغضب مايوصلو  
ومن اكمل محسوبو لو كان كاسب اموال ٭ ماينفعو الا دغيا (I) ايمد رجليو  
كيف يمنع من مكتوبو او كيف ينصال ٭ من احكم الرب اعليه وسجلو  
حقا ان مشيئة الله قد نفذت ، ولكن لابد من لطف منه يفرج الكروب،  
فلا شدة الا وبعدها فرج ، وتلك حكمة الله حتى يذكر ويحمد في كل  
الاحوال :

كل من راد الله عل لورا اتودا ٭ اولازم لطفو ايفاجي هم ضيق لنكاد  
كيف معلوم الرخفا بعد كل شدا ٭ باش يذكر الله افكل ضيق وارغاد  
ثم ان لقاء الابطال ومقابلتهم شرف ، ومن لم يلقيهم محتقر مهما علا  
شأنه :

من لايلقى لبطال لو يعلى محقور

والذي يغفل عن الاعداء ويسكت عنهم اويهادنهم مغرور :

والغافل فالزمان عل لعدا مغرور

ومثل هذا نجده عند الحاج ادريس بن علي في «التطوانية» (2) حيث

يوصي الغافل الساهي أن يستعد للجهاد بعد ان جار الاعداء :

اساهي خذ اخيـار ٭ وافهم تعبير القول ولشارا

نوصيك ياغفيل احتال لامر لجهاد لعدا جاروا

واذا شاء الله رحم الضعف ، وجبر الكسر ، وأتى بالفرج ، واتساح

للمغاربة غزو الكفار وارغامهم على الرضى بالغلب ، وبدد شملهم وكسر

سيفهم :

(I) حيننا وبسرعة .

(2) قامت حرب تطوان مع اسبانيا سنة 1276هـ (1859) في اول عهد  
السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن .

ایلا راد الستـــــــار ایفاجی عل لسلام اد لکبدار:

يَرْحَمُ ضَعْفَنَا وَايَعَاظِلُنَا اِبْلَغْرَاحِ فَعَسَى نَجِبَارُو

ونغزو فالكفار \* حتى يرضوا الغلب بجهارا

وَيَبْدَأُ لَكَرِيمِ اشْمَلِهِمْ وَسَفَوْنَهُمْ لَهْمِ يَكْسَارُوا

وعنده ان الرومي - والمقصود به الكافر - ماكر ، وهي حقيقة تسميها

بعض الناس ، فمجنون كل من يغتر به ويأمن لجواره ، فهو في مكره مثل

النار ان لم تخدم في الحين تزيد اشتعالا ، لا مثيل له في الغدر ، فهو

يطمح بجدة في مدن المغرب ، ولكن الشاعر يدعو الله الا يحقق طمعه :

والبعض انساوا ما صار • ما يعرفوا بين الرومي هل امكازا

مهبول كل من يتغرا فهذا الزمان والكافر جارو

الرومي مثل النصارى قالوا ناس التشبيه ولعباراً

إذا ما طفتها فالساعا اتزید هذا تمکارو

ليس ابحالو غدار طامع فمدون الغرب بتمارا

لہلا ایوصلو ولا یوفی له ظن هو وانظارو

وإذا كان المغاربة قد أصيبوا بهذا العدو فلأنهم شغلوا بالدينار وأنهمكروا

فِي الْإِخْذِ وَالْعِطَاءِ وَقَوَى بَيْنَهُمُ الْبَغْضَ وَالْحَسَدَ كِبَارًا وَصَغَارًا ، لَمْ يَعْرِدَا

ينهبون عن المنكر ويوقرون السادات ويزورون الاولياء ، وقليل منهم من

لا يُوْذَى جَارُهُ :

أَيُّهَا أُولَى لُبِّصَارٍ \* اَعْتَبِرُوا نَظَرُوا أَفْئِدَ الْعَبَّارِ

واتأملوا فهذا لقول اللى بان ياسيدى اثارو

لَتَهْنَا بِالْدينَارِ \* وَغِبْطُنَا بِالْدينِيَا الْبُخُودِ وَوَا

واقوى البغض وحسد افهذا الجيل فى اكبارو واصغارو

لانہی اعلیٰ المنکّار : لا توقیر السادات فزیرا

وقليل من اتصمبوا في هذا الجبل ليس كيدي جارو

وهو تعليل نجده عند الموقت في «الزازية» حيث يقول :

سكان الغرب كلهم عباد اللّٰوىز \* فيهم الى باع دينو بالخبز

ویرى الحاج ادریس ان الامل على الجهاد ، ولكن لا جهاد بدون تقوى



وصبر ، فهما كالاساس للبنيان ، وليس يكون حصينا اى بنيان بـسـدون  
أساس :

ليس ايقوم لجهاد يالامت لخوان ❖ دون التقوى امع الصبرهاذو باثنين  
تمثيل الساس للذى رايد بنيان ❖ اشمن بنيان دون ساس ايكون احصين  
وما حدث ليس غير تنفيذ لحكم الواحد القهار ، فعسى الله أن يعفو

ويطهر وينصر دين الاسلام على ملة الكفر بجاه رسوله المختار :  
من نساعوه لعفو امع اطهارا ❖ ينصر ديننا عن ملت لعدا ايجاه طه مختارو  
وللشيخ اسماعيل المراكشى قصيدة أنشأها حين فرضت حكومة الحماية  
اول ضريبة على المغاربة يقول فى حربتها متوسلا الى الله الا يلجىء الناس  
للمخلوق ، وأن وجود عليهم بعفوه ويجبرهم من الضيق :

لاتولجنا للمخلوق ياخالق ❖ جد لنا بعفوك اوجرنا امن الضيق  
ويقول فى دخولها متوسلا اليه بحرمة البسمة واسرارها أن يفرج  
كرب الزمان المظلم ، ومتوسلا اليه كذلك برسوله الا يحاسب الناس على  
تقصيرهم لانه مشفق رحيم :

حرمت البسمة واسرارها افلاناق ❖ فرج اعلينا من هذا الزمان لغسيق  
لك زكنايا الاهى اقمول لبسراف ❖ لاتحافنا بالنقصان لك اشفيق  
ومنها هذا العروبي يرجو الله فيه أن ينظر الى ضعف الناس وقـد  
ضاقـت الاحوال ، وكلت العقول ، واوثقت الصدور ، وذابت الاكباد محترقة  
بنار الشدائد ، وبكت القلوب مخفية دموع العين ، وغدت الاجسام كسفـن  
غارقة :

انظر من حال ضعفنا ضاقت لخلاق ❖ كلت لعقول افلصدور الموثوقا  
والبعض اكبادهم دابت من لحراق ❖ من نار الوقت والشدائد محروقا  
وقلوب اتنوح خائفا دمعت لرماق ❖ وامثيل اجسامنا اسفاين مغروقا  
وللشيخ ابن عمر المراكشى قصيدة فى أزمة «البون» اى بطاقة التموين  
ايام الحرب العالمية الثانية ، يرجو الله فى حربتها أن يحن ويجبر من الزمان  
وفتنه ، والا يترك الناس فى الصف بالوسائط :

حن يامولانا فينــــا ❖ اوجرنا فالزمان

اوجرنا من لفتــان ۞ ولا تخلينا في سربيس (I) بالوجهيا  
وفيها يؤكد فكرة قضاء الله الذي قدر الغلاء، ويرجوه أن يعين الناس،  
ويفرج ما نزل ، فهو وحده العاطف المشفق :  
كل شيء ابقدرت المولى ۞ من اعلىنا قدر لغلا  
ايينا بقدرتو رب لعباد ۞ عالم بنا يفجى ما تصدر بنا  
تعم المعين ۞ من غيرو مالنا احنين  
ويرى أن ما قامت به الحكومة من جمع للقمح وتنظيم لتوزيع الخبز  
الهام من الله ، وهو الذى امر ولاية المراكز أن يعينوا رجالا يشرفون على  
العملية ، يساعدون الضعيف والعاجز والمرأة والمريض والكفيف والطالب  
والشريف :

لهم المخزن من لا ينام  
ايجمع الزرع افكل عام  
حتى يامر به لكريم  
الى محتاجو افكل يوم  
ايقبضو طايب (2) منهم  
ومر الولايات كل مركز يعملو لو ارجال  
رياس ايعرفو اللفصال  
وايساعدوا ضعيف الاما  
والعاجزين والى حرما  
وايميزو الطالب ويرفعوا بالشريف  
والى مضرور امع لكفيف  
ومثل هذا يقوله نى قصيدة اخرى فى الموضوع :  
جاد المعين برحمتو وافجا كل ضيق  
بالهام من المولى قام المخزن

---

(I) سربيس أى الصف ، او ما يطلق عليه فى مصر «الطابور» ، والكلمة  
من الدخيل الفرنسى .  
(2) طايب أى ناضج .

بالزروع الى كان اخزن

بيعان المسكين احسن

افكل مسكن امراکز دارها

للمساكن أفقرا

او ماعملها لصحاب الزرع افلمطامر

الشحاتا هل لقطار

**ولمحمد لخلو قصيدة في نفس الازمة ، يرى فيها أن الزمان أصبح مرا**

والمصائب كثيرة ، وماذا عسى يفيد ؟ فقد خاض الناس في المناكر ، وعمرت  
الاسواق بالمعاصي ، وظهرت علامات كثيرة وعجائب تحير العقول ، فلا الكبير  
يهاب ، ولا الصغير يحترم ، ولا الجار يوقر جاره ، لاهياء ولاعهد - وشغل  
الشیطان الناس عن أداء صلواتهم وعن كل ما يهمهم :

هذا الوقت امرار \* ولمصاب كثر وشنهوا ايفدنا  
خضنا فالمنكار \* ولمعاصي بها عمرو اسواقنا  
علامات اكثار \* ولعجائب فيها تفها اعقولنا  
لا رهبا لكبار \* لا صغار ايحشمو في جيل وقتنا  
الجار امع الجار \* لا احيا لا عاهد حجات بايننا  
لينا الغرار \* عن اصلاات الخمسا والي ايهمنا  
شف الوقت احرار \* من افعالنا هذ الوعيد صابنا  
ويذكر بعض مظاهر الغش المتفشى في اوساط التجار ، فالجزار يخلط

لحم الغنم بالماعز ، واللبان يضيف الماء للحليب :

شف الى كزار \* كايبيع النعجا غلמי (I) افسوونا  
شف الى بكار \* بالمياه ايخلط لنا احليينا  
ويستعرض بعض مناكر الوقت فيذكر منها كثرة النساء وتبرجهن في  
جلاليب وأحذية ملونة ، يزين عيونهن وخدودهن ، وبلون أظفارهن ويكشفن عن  
اساورهن وقفاطينهن الجميلة ، وقد بدت الخواطم والايدي المخضبة بالحناء :

---

(I) تقلب بعض الالسنه نون الغنم لاما .

لعيالات اكثـار ٭ ٭ بحلاب واسباطها املونا  
ويصبغو لظفـار ٭ ٭ والدمالج فوق الكبوط باينا  
والعينين اكثـار ٭ ٭ ولخدود الحمرا تلمع باينا  
بقفاطن تشكـار ٭ ٭ ولخواتم وحنانيها امزينا

وفى الوقت الذى يبقى الرجل فى الدار تخرج المرأة بهذا التبرج ،  
وتأتى بالسكر والدخان لتكيف مزاجها به :

الرجل فالـدار ٭ ٭ ولمرا فالزنقا تمشى امشرغنا  
واتجيب السكر ٭ ٭ والدخن هذا هو ارشوقنا  
وليست الشابة وحدها التى تعرض زينتها وانما العجوز كذلك تضع  
المساحيق على وجهها ، وتصبغ شعرها ، وتظن نفسها جميلة فتأتى المنكر ،  
ثم ان الساحرات كثيرات :

لعكوزا ثـوزار ٭ ٭ كاتعكر وتقول أنا امزونا (I)  
تفعل فالمنكار ٭ ٭ والشعر اتصبغو ما هو افدينا  
السحرات اكثـار ٭ ٭ كايـسحرو ويقولو ياخدينا

ويعطينا صورة لحال العيش الضيق الذى نتج عن أزمة البطاقة ، فلا  
أقمشة موجودة ، ولا صابون للتنظيف ، واوقية السكر التى تسمح بهـا  
البطاقة لم تعد كافية ، وليست فى الدار مؤونة فلا سمن ولا زيت ولا فحم ،  
وليس فى السوق لحم الغنم او البقر أو الجمل ولا سمك «المرنا» المعروف  
وهى حياة جعلت ربة البيت تقلق وتعرب عن هذا القلق فى قول لزوجها  
بأنها ضاقت بطبخ الخضر كل يوم وخاصة البطاطس ، وكأنها موصى على  
أكلها من طرف الطبيب :

لا كثنان اظـار ٭ ٭ لا صوبين باش انگلعو اوسخنا  
أبون السكر ٭ ٭ ولوقيا ماباقشى اتقدنا  
لا عولا فالدار ٭ ٭ لا سمن لا فخر لا زيت كاينا  
لا غلمى يذكـار ٭ ٭ لا جمل لا بگرى لا حوت مرنا  
لمرا بالمعيـار ٭ ٭ كاتقول للرجل طابو اقلوبنا

(I) تصغير مزيانة بمعنى جميلة .

عيننا لخضار \* كل يوم الخضرا هي اطيابنا  
بطاطا فغطار \* واش ليطاطا نعتها اطيابنا  
ومع ذلك فكل شيء متوفر في السوق السوداء يباع في الخفاء :  
تحت الكونطوار (1) \* كل ماتبغى من لسلوع كايانا  
جيب المرشى انوار (2) \* كل سلعا مخزوننا ليس باينا  
وهو لا يرى في ذلك كله الا تنفيذا لحكم الله وقضائه ، فيرجوه ان ييسر  
الامور وينشر رحمته لتعود الاسعار كما كانت ، حتى تزهر الايام وتزدهر  
الحياة :

تصريف القهار \* ولقضا يتصرف بحكام ربنا  
يا عالم لسرار \* يالمولى يسر لنا أمورنا  
ربى يا غفار \* ليس عيبت فاللى مخلوق كيفنا  
حامل من لوزار \* لكن ارحمتك ياربى اتعمنا  
يا رازق لعمار \* يا لغنى من لا يخفاك حالنا  
ويرخصو لسعمار \* كيف كانوا تزهر لنا ايامنا  
يا نعم الستار \* جد برحمتك يالكريم غتنا  
وللحاج محمد بن عمر قصيدة في نفى محمد الخامس يقول في حريتها:

قولوا يا هلى معظم يوم السبت افلمدين الحمرا يذكرا  
عمنا لطف الله وخمد لفتاين  
وفيها يرى أن كل شيء بقدر الله ، ولا بد من تحمل هذا القدر والصبر  
عليه الى أن يفوت ، ولن يفوز بالنصر الا من رضى بقضاء الله وقبل مصيره ،  
اذ لا ينفع الهرب منه فى شيء وليس للعبد أى اختيار ، فماله الا أن يسلم  
الامر لمولاه ويدعن :

سبحان امن اقضى بقدرتو واحكم \* ابما اجرى فى جميع البشر  
قدرو مولانا واعلم كل كاين

---

(1) مدرج البيع والمائدة التى يقف خلفها البائع، والكلمة من الدخيل الفرنسى  
(2) السوق السوداء ، وهى من الدخيل الفرنسى كذلك .



فى النصر والهزيمة على السواء . وقد كشفت حرب فلسطين الاخيرة (I) عن تجاوب شعبى صادق مع هذه القضايا ، نحسبه عند الحاج محمد بن عمـسـر الذى طغت عليه عاطفته الوطنية المتأججة فحالت بينه وبين النظر الى هذه الحرب من خلال حقيقة النكبة التى أصابت العرب والمسلمين ، فهو يحمد الله على أن تالق نجم الاسلام مضيئاً فى الآفاق دون حد لنوره ، وعلت كلمة الله يسر خبرها جميع النفوس ، وظهرت أمة الاسلام فى برج النصر يؤيدها الله ، وقد توحدت جيوشها ووقفت مترابطة على طول الحدود ، ونادى حظ النصر وظهرت بشائره فسعد من كان قريبا منه؛ وهو يأسف لبعده المسائفة، ولو وجد لقطعها أجنحة لطار:

وبعدها يالامت لسلام الحمد لله اطلع النجم السانى  
واتجلى فالافاق بان ضيو ما هو محـمـد  
وارقات الكلما العاليا واخبارها سر النفوس ياجمع اخوانى  
وظهر شعب الاسلام ايدو لحليم المعـبـود  
فى برج النصر شهدوه اجيوش لسلام جات من كل اوطان  
واتحدت الاما الواقفا فمناهج لحـمـود  
نادى فال النصر وبانت ابشائرها يا سعد من اضحى دانى  
ونا ماصبت اجناح ولوصال اعليا مبعـود  
أليست دولة اليهود فانية منذ العهود الاولى للتاريخ ؟ تنقصهم القيادة  
الواعية ويخذلهم الله فتنهم فى الحياة وأذلهم فى كل مكان ، وجعلهم ضعفاء  
جبناء :  
مبطولا دولتهم ياهلى خلاهم طورا فى اماج طوفانى  
لا رايس واعى القاوا لامن بهم ايلـود  
واخذلهم مولانا افلحيات افتنهم أدلهم فى كل امكانى  
واجعلهم فالدنيا اكراف (2) لكراف انلجنود

(I) حرب الستة أيام (يونيو 1967)  
(2) الكرفا تعنى البخيل حين تطلق على الرجل وتعنى القبيحة حين تقصد بها المرأة ولكن الربط هنا بين الكرفا والجنود لا يجعل الكلمة تعنى غير الضعيف والجبان .

ثم ، أليست شوكة المؤمنين قوية ؟ وعدهم الله بالنصر والغلب على اليهود مهما انتشروا قى الآفاق ، فما كادت تسمع بشاراة الفتح الالهى تعم الامة الاسلامية ليهلك الطغاة كما هلكت ثمود من قبل ، حتى سطع نجم الاقبال وبدت علامات الفرح والسرور والسلوان تحيى النفوس والبيد ، ونهضت سائر الامم والاجناس لحماية بيت المقدس مطلقة اعتها مستعدة للقتال :

شوكت هل ليمان قويا وعدها ربى بالنصر على لجبانى  
تغلب سائر ليهود لو اكساو القفر الممدود  
مهما سمعت بشار السعادة عم لسلام بالفتح الربانى  
يهلك جيش امن اطغا ربنا كيف اهلك تمرد  
ها نجم اليقبال بان شف علامات الفرح والسرور أسلوانى  
شاع اذكرها واحيات به لمهاج امع لبدود  
قامت سائر لجناس ناهضا جات اتحامى اعلى البيت طلقت لعنانى  
محتالا على لقتال واكدا بطرارد وبندود  
واليهود لا يؤمنون ، لا عهد لهم ولا ميثاق ، والأحمق هو الذى  
لا يحتاط من أعدائه ولا يحذرهم :

بالك تامن من خالفو الحد ونقضوا لعهود  
وكذاك الميثاق ليس فيهم الى بنا ايثق يقرأ لمانى  
لحمق من يامن فى اعداء ماينجده من لنكود  
وقد بدأوا يطغون ويتجبرون ويسعون للفتن منذ مدة غير يسيرة ، ولكن  
الله سيهزمهم ويصون منهم البيت ويحميه :  
هاذى مدا ليهود باش زاغوا واطغوا افرعنو وراودوا لفتاننى  
ربى يهزمهم من البيت ويصونو من ليهود  
فأرض الشام شرفها الله وأمنها من قديم ، لذلك فهو يرجوه أن  
يحميها من اليهود الاجلاف :  
الارض الشام الله شرفوا من قادم للآن فيه سائر لمانى  
يامولانا حرسوا امن اجلاف الاما لهودود



وإذا كان ابن عمر قد نظر الى الازمة بمنظار غير واقعى فأشاد بوحدة صف المسلمين وقوة جيوشهم وبتخاذل اليهود وتشتتهم وما نتج عن ذلك من انتصار أصحاب الحق وانهزام الاعداء المتعصبين فان الشيخ ابن الكبير المراكشى كان اكثر واقعية فى النظر الى الازمة ، وتأمل أحداثها والاعتراف بانتكاس المسلمين ولمس أسبابه الحقيقية . فالمسلمون مشتتون متنازعون ، فى حين أن العدو الى جانبهم يتربص الفرص للانقضاض ، يسانده اخوته وأصدقائه يزودونه بالسلاح :

النزع ادهانا امع بعضنا بعض العدو افجنبنا يتسنانا  
وامعاه لخوت سلحوه بقنا بل للتخــــــــــــــراب  
والمسلمون فى حاجة ملحة الى الاتحاد وتوحيد الصف ماديا ومعنويا ، ومتى كانوا متفقين متراضين فان أحدا لن يستطيع مواجهتهم :

لازم للصف انوحدوه حس امعنا نتاحدو الا من يقوانا  
إذا كنا متوافقين ما يلحقنا كذاب

أما اليهود فطغاة متجبرون ، وليس من يهلكهم ويمحقهم غير الله ، وهم أقوياء مستأسدون ومتحدون لمحاربة المسلمين ، وقد نجحوا بالغدر فى اهانتهم وتشريدهم ، وإذا كانوا أقوى منهم فلان اخوتهم وحلفاءهم يمدونهم بالعون

ليهود اطلغوا اتجبروا اولامن يهلكهم غيرك العاظم مولانا  
امحقهم ابلقوا القادرا والسهم الرعنــــــــــــاب

ليهود اقواو اتنمرو واتحدوا عن قتل اخوانا وقصدوا لهاننا  
هانونا هملونا اشردونا غدرنا لكلا ب

ليهود القاوا اخوتهم عانوهم ابقوا اقويا عن اقوانا  
قوتنا هو انت اوقتك ما تحتاج اجعاب (I)

وهم لم يستحووا من انتهاك الحرمات سعيا الى تحقيق أمنيتهم ، سبوا النساء ، ومكروا بالشيب والشباب ، واتخذوا المساجد مراقص ، وأخرجوا المسلمين من ديارهم ، ونهبوا وشردوا وقتلوا :

ليهود انواو ايحققوا امنيتهم اينكونا ايسبو نسوانا  
بنواع الفحش ايعاملو الشايب منا والشباب

(I) الجعاب : البنادق ويقصد أى سلاح .

امساجدنا للرقص هيؤهم اولاد الفاجرين قصدوا منغانا

قتلوا نهبوا لخوت شردوهم افكل اهصاب  
وهو يرى ان المسلمين خدعوا فى المعركة حيث نكل بهم العدو  
وتحداهم ، فكان مصابهم عظيما ولم يشاركهم فيه أحد ، لذلك فهو يلجأ  
الى الله يرجوه اللطف بعباده الاسرى والانتقام من العدو وحلفائه ، فمتى  
نزل الضيم بالعبد فليس ينجيه ويغيثه ويفرج كربه غير خالقه الذى  
يرعاه بالليل والنهار :

لمصاب اعظيم أهل الدين لمتين اتخدعنا اولا امن ابكى لكانا  
اربى ياربى لطفك نرجاءك يا وهـــــــــــــــــاب  
عجل باللطف اعبيدك اسرى شوه بهم لعدو أراه اتحدانا  
والقى من يحميه واحنا فاحما احماك الغلاب  
العبد الا ينضام الا من اغيثو يلا خالقو اولا سواء ايفاجى لكراپ  
ولكن لابد من التعجيل بالتوبة والاستغفار حتى تكشف الغمة ويشفى  
المصاب :

الله أهل لسلام بادروا بالتوبوا واستغفروا وطلبوا مولانا  
يفجى هذا الغما اعلى لجميع ايشفى لمصاب  
ولابد كذلك أن يتخلص المسلمون من كيد الشيطان ، ويشكوه الى  
الله وقد عجزوا عن محاربته ، فهو سبب كل ويل ، أغراهم بالطمع ، واستحوذ  
عليهم فغدوا له أعوانا ، وبعدوا عن الصدق ، لذلك فهو يطلب الله الا  
يحاسبهم وان يعفو ويسامح ويصفى مآءهم ويجعلهم اخوة متحدين :  
اجعلنا من هل اليخلاص واحفظنا من كيد يبليس من قصد انكانا  
لمن نشكوه غير لك ما طفنا له احــــــــــــــــراب

هو السباب الكل ويل خدلو يارب راه يطمع كآع (I) اداننا  
كهربنا ولينا اعوان عندو واصدقنا غاب  
ياربى ياربى اولا تحافنا يا لكريم سامح اصفى مانا  
بك اجعلنا نتحدو ونضحاو للخوت احباب

(I) كآع بمعنى جميعا ، ولعل أصلها فى الفصحى القاع ، وكأن الوصول  
الى قاع الشئ يفيد جمعه كله .

وقد أوصى الله المسلمين وأنبأهم بعداء اليهود لهم ، ونبههم الى ان من اتخذهم أولياء فهو منهم ، ولكنهم خالفوا قول الله ، وخضعوا لاهوائهم ، واتخذوهم أحبابا وأصدقاء وتزوجوا منهم ، فكانوا بذلك عوناً لهم على الغلب: لنا قال المولى الكريم راليهود اعداكم ابهذا وصانا

خالفنا قول الله كلنا درناهم احباب

من ولاهم الله قال هو منهم ابلا احيا اخضعنا لهوانا

وتزوجنا منهم غلبهم كنا له اسباب

ولكنه متفائل طالما أن كل شدة لابد وأن يعقبها الفرج :

الشدا يتبعها الرخا احنا نترجاو تحقيق نصرك يوفانا

رب اللطف الخافى أنت المعطى من دون اسباب

ثم فيم الخوف والجبن ، مادام الموت حقا على الناس ، ومادام الاستشهاد

ضمانا للجنة ؟

الموت اعلينا حق ياك من مات شهيد احنا اوفاز ما يحتج اضمانا

راح اعريس الجننا افلاخرا يا سعدو يسطاب

#### ملاحظات :

نود فى نهاية هذا الفصل أن نسجل بعض الملاحظات ، عساها تكمل الجوانب التى قد تبدو ناقصة فى نظرة الزجال المغربى الى الحياة .

**الاولى :** أنه على الرغم من أن الشاعر الشعبى عاش فى حياته وفنسه متجاوبا مع مجتمعه مهتما بمشاكله وما يتعرض له من وقائع وأحداث ، فإنه يبدو وكأنه لم ينظر الى هذا المجتمع الا من علو وبعد ، لم ينزل اليه ولم يقترب منه ليختلط به ويرسم حياته اليومية ليعرض لوحة مكتملة الملامح والابعاد . قد يكون ذلك صحيحا ولكن الى حد . حقا ان الشاعر الشعبى ظل وهو يعالج مشاكل المجتمع والحياة محصورا فى نطاق خاص ، هو نطاق القضايا الكبرى التى تشغل رأى العام من انحلال يصيب المجتمع او أزمات تعترضه ، ولكننا لانريد أن نفى عنه النزول الى الشوارع والاتصال بالحياة فى أبسط مظاهرها واصغر مشاكلها ، ونكاد نجزم بأن هذا الشعر ضاع بسبب عدم رغبة الجماهير فى سماعه وترديده ، وبالتالي عدم اقبال

المنشدين على حفظه وتداوله . ونكاد نجزم كذلك بأن مثل هذا الموقف يتخذه الجماهير والمنشدون من شعر لايسيفه الذوق الجماعى للترديد والغناء جعل الشاعر بدوره يحجم عنه ولا يقدم عليه الا حين يقوى الانفعال فى نفسه ويضغط عليه ويجبره على القول وفى الحدود التى لا تزجج الذوق العام . ويبدو أن رجل الشعب - شاعراً كان أو منشداً أو مستمعا - لا يرى فى الحياة اليومية العادية موضوعاً للامتاع طالما أنه يمارس هذه الحياة ويعيشها بكل الابعاد والجزئيات . ومع هذا فان الباحث لا يلبث أن يعثر على نماذج - ولو قليلة - تثبت تجاوب الشاعر الشعبى مع مشاكل مجتمعه ومعالجته لقضاياهم . من ذلك قصيدة «المطر» (I) التى تصور قسوة فصل الشتاء على الفقير الذى لا قدرة له على الاحتماء من البرد والمطر . فالقسم الاول منها وصف لحال الجو الطبيعى ، لقد هبت الريح ، وصوتت الرعود ، ولعت البروق ، وتهاطلت الامطار ، وراح كل الى مقره ملتفاً فى جلبابه ، وغدا الحى بمشيئة الله وقدرته خاويًا بعد أن كان عامراً بالناس ، ووقف الشاعر يطل عليه من سور سطح بيته ومعه كاتبه :

حسيت بالرياح الصرصارا     والرعود افلكون ايزيم صوتها بهدير  
لبروك من القبلا شـاروا     خطفوا المن انظر لبصـور  
وابدات شى امشأتى غزارا     صابا من لسحاب الواسقا الما لكثير  
والناس كلها لقـرارو     سرى وراح فالغـبـور  
طلت عل الحى امن اسطارا     بانلى فاضى بعدن كان فيه جمع اكبير  
كلا امشى اسريع السـدار     يضحى من لمطر مستور  
سبحان امن اقدرتو جبارا     جل شان الى كيخلى الكون بعداعمير  
ويلا ايريد لو تعمارو     يضحى افساعتو معمـور  
لمطار ما عملت الفـتـارا     وناكما اصبحت افبيتى ظلت ما قدرت انسير  
وامعاى كتابى مختارو     يدري الشعر والمنشـور  
وفى القسم الثانى يطلب الشاعر من كاتبه أن ينبه الاغنياء الى أنهم

(I) سجلناها من المذيع غير منسوبة الى صاحبها، وسألنا كثيراً من الاشياخ فلم نهتد الى معرفة اسمه والغالب أنه معاصر .

مصاييح التنوير وراحة المتألم ، يجب عليهم الا ينسوا مواطنيهم الضعفاء ؛ ويرسم صورة للعامل الاجير يكدر الشتاء صفو حياته حيث يظل يدور طول النهار يبحث تحت المطر عن عمل يكسب منه قوت يومه فلا يجد . ويعود فى المساء الى المغارة التى يسكنها ويفترش فيها مع أسرته الحصى ، فيدخل خاوى الوفاض نارغ اليدين وقد تعثرت قدماء من شدة الكدر والهم ، ويلتف حوله الاطفال ، وتحس زوجته بحقيقة حاله ، وتحاول تصبيره على ما قدر الله ، فهى من أسرة نبيلة كريمة راضية بعيش الحلال مهما كان قليلا ؛ ووجود مثل هذه الزوجة فى بيت الرجل الفقير عمارة له :

قل ألكاتب لهل لغارا \* عار لفكار اعلكم يا مصايح التنوير  
انتم افشعبنا دكارو \* وانتم راحت المعكور  
الى ايظل يخدم بجارا \* انهار تاتيه الشتوا كيظل فى تكدير  
من حيث مادرك مسوارو \* او يظل افمطار اي دور  
وايعود افلعشى اللمارا \* فين يوجد لطفال وزوجتو اعلى حصير  
ويشوك اللحم واشعارو \* لوصاب لرض به تنغور  
ويزيد ابلقندام العشارا \* والدرارى به ايدورو اكبيرهم واصغير  
واتحس زوجتو بكدارو \* واتقول هكذا مقدر  
بنت لجواد نسل الخيارا \* راضيا بالعيش دالحلالون كان اقصير  
امارت لفقير افدارو \* زوجا ومنها مسرور  
وينستعرض القسم الثالث نماذج من الغرباء المشردين الذين يفدون الى المدينة ، وليس لهم فيها مأوى يجدون فيه الدفء ، منهم من يختبئ تحت الاقواس وقد ستر جسمه بازار أو لبس ثوبا قصيرا أو ممزقا يكشف عورته ، ومنهم كثيرون يذهبون الى المقبرة عساهم يحتمون من الامطار ، ومنهم آخرون يتسولون فى الطرقات يسعون الى جود الاغنياء ، ولكن هؤلاء فى دورهم وقصورهم مدفأون فى البطاطين والازر لا يحسون بشيء ، وقد نسوا الكون والخلق :

ماريت من جاوا اللمارا \* امشردين ولشاكل كطيح بالتدبير  
ماريت من جاوا اللمارا \* امشردين وصا بوالشتا ولا الفاوانير

والدفع ما لقوا اثارو \* بين لقواس داروا \*  
فيهم امن اكساتو دزارا

فيهم يالغنى من لابس ثوب عل الجسم اقصيه

فيهم امن اتبان اعوارو \* من شرگ افوسط المحصور  
واشحال منهم فالمقبيرا \* امكشين امن امشاتي كطيح بالتبدير  
واخرين فالزناقي ساروا \* يسعاوا جود هل لقصور  
وانت اكما لبخيل افدارو \* ناسى الكون والمعمور  
وانت افيشك وتفشارو \* بين لبطاطن وليزور

ونى القسم الرابع والاخير يكمل اللوحة برسم ارملة لا قوت لها  
ولا كساء ولا نور ، تظل تدور فى البساتين تلتقط الفاسد من الخضر ، ولكن  
جسدها طاهر اشترت بالجوع طهره ؛ وها قد اقبل الشتاء بأمطاره ، وهى  
تعلل اطفالها ، وتفكر فى وسيلة للتصرف فيما قدر الله ، فى حين يظل الغنى  
فى تعاليه وتعاطمه ناسيا كون الله وخلقه :

لو كان ريت كمن صبارا \* مات لها والد اولادها افيوم اعسير  
اولا بقى لها تدخارو \* لا خبز ولا كسا لا نور  
واتظل فى ابساتن خضارا \* تلتقط الطايش والعيان والجسد اطهير  
بالجوع شاريا تطهارو \* واليوم جاتها لمطور  
صبحت للدرارى حزارا \* وكتخم كيف المعمول فى اقضا القدير  
وانت افيشك وتفشارو \* ناسى الكون والمعمور

**الاحظة الثانية :** ان الشاعر الشعبى لجأ فى الوعظ الى الخطاب ، وهو  
خطاب صريح مباشر قد يوجهه الى نفسه او الى غيره . ولعل مخاطبته لنفسه  
تعتبر من قبيل التجريد المعروف فى علم البديع حيث يجرد المتكلم من  
نفسه شخصا ثانيا يخاطبه ، بل انا كثيرا ما نجد الشاعر يوجه الخطاب  
لراسه وقلبه ؛ ففي خطاب الرأس يقول ابن احساين فى «اللقمانية» :

لازلت نوصيك ولو صايعلم وعرفان \* راسى ياراسى ايلا اصغيتى لبدانى  
واعملت بوصايتى اتنال الدنيا والدين

ويقول ابن علي في «الوصاية» :

اراسى نوصيك يالزايد تعبى واشتقايا \* من خلطت هل جيلنا اعزل

ويقول ابن سليمان في «التوبة» :

تب ياراسى لا تشقى \* التاعب لابد من لفراق

لا تامن فالدنيا ابناسها غرارا

ويقول شقور :

بسم لكريم صفت انحاسى ياراسى بسم لكريم خلصتنى تخلص

ويقول المدنى التركمانى في «الزهو» :

اراسى تنها من لمزاح ابناسو شواه \* والعى هل لفساد ولخطا والفعل المدموم

ويقول علال العلوى :

اراسى واش ادلعمييا \* يزاك اخايب لفكر

الشيب اجرا اعلى الصغر \* وانت مازال افلعمييا

مطموس القلب ولبصر

وفى خطاب القلب يقول ابن علي :

يالقلب اتفكر مافات الدوى والتالى \* كيف شافوه اخرين اولا دراواليا كيف اجرا

ويقول العلمى :

عدتى يالقلب الغافل تنخطا الصواب

الصمت كيقولو لعرب حكما

مجدوه الناس القدا

واسكات عام افضل من كلما

ابغير ندما

وقد يخاطب الشاعر غيره على حد ما نجد عند المغراوى فى خطاب

الغافل :

يا غافل حضر بالك \* لاتامن اقدار لغرور اسمع نوصيك

ويقول الشاوى :

حضر لدهان يالغافل اصغى لوصيتى المزيانا

ويقول الحاج ادريس لحنش :

أغافل مثلى اعلی اصلاح اسمعنى نوصيك :: بادر تب لله وحضر بالك  
وفى خطاب الساهى يقول بوخريص :

يالساهى عما يعنيه والعمر فان :: قم واعزم واخدم يكفا امن اتفرعين  
وفى خطاب النائم يقول الشاوى :

يالنائم فق امن النوم راقب الفجر الطالع

قم تغنم ربحك واتفوز ابلغنايم والطاع

وفى خطاب الفاظن يقول العميرى :

يالفاظن مغرور الواهيا افطن

وفى خطاب محبى الدنيا يقول العباس الحرار :

أغابطين فالقانيا ام السيات :: غنموا اتوابها قبل الايفوت الفوت

وفى خطاب ابن الدنيا يقول ابن على :

لك يا ابن الدنيا خذ اوصايت الدهات الى مرويا

قول مؤمن لك اعطاها اوخوك فالله

وفى خطاب قبيح الافعال يقول محمد ولد سيدى بوعمرو :

زال حكمك من صرفك ياقبيح لفعال :: يالى عن منهاج السالكين ما يل

وفى خطاب الواله يقول الحاج محمد بن عمر :

يا أخ الولهان بهموم الدنيا الفاتنا

من شطنت لنا اقلوبنا

عشنا كالحيوان

لا من فاق ابتمحانو

وفى خطاب الصاحب يقول الشاوى :

رد بالك يا صاح اوصغ طرز لقوال :: كن عايق فايق خذ لشيئا بمهلا

وفى بعض نصائح السلوك الصوفية نجد الخطاب يوجه للمريد كما

عند ابن رموية اذ يقول :

يامريد وجه قلبك واقرا لوح الشهود



أو الى الفاهم كما عند الشريف المرباط محمد المنالى اذ يقول :

يا بهيم صنع لنظامى اوكون فاهم :: ردت نوصيك أوصايا فى طريق لخوان

**الملاحظة الثالثة : ان فكرة تنمية الغافلين المتهافتين على الدنيا جرت**

بعض الشعراء الى تخصيص قصائد للتذكير بقدرة الله وعظمته على حد مافعل

المغراوى فى قصيدة له تناول فيها تكوين الانسان وخلقته ، ومختلف أطواره؛

يقول فى أولها :

سبحان المهيّن خالق الانسان :: من ماء مهين والاصل صلصال

لآدم ابو البشر امعزوجتو صنوان :: منهم ذا النسل افلزواج نسل

سبحان امن اخلق جميع لوجودشاهد :: لله بالشنا والحمد والتوحيد

سوى امن اكفر بجهالت لاحد :: عن نهج لهذا ضل اشتقاء اعنيد

شان الله اعظيم كيف ينكر الجاحد :: واشهود اقدرتو فى اصنعتو ترشيد

وفيه يقول :

كم قد اتى افمحكم القرآن :: تطوير انشيت من حال الحال

نظفا ثم علقا افأول النشيان :: مضغا ثم لحم اعظم اوصصال

وعلى حد ما نجد كذلك عند ابن على العمرانى فى «الذرة» التى يقول فى

حزبتها :

يالساهى من نومكفق سبح الرب :: لمتا وانت تايه افلغرور لسواب

الصلا والسلام اعلى اخيار لنسب :: سيدنا محمد طه اشفيح لعراب

وفى عروبي منها يقول متحدثا عن الذرة وكيف قسمها الله أربعة

أقسام ، الاول للرسول عليه السلام ، والثانى للقلم ، والثالث للعرش ،

والرابع للكبرى :

من نور اقبط قبضا واقسمها :: اعلى ربعا اكما امن الدار حادث

القسم اللولى اللحبیب اجعلها :: وقال لها كون محمد كانبست

والقسم الثانى لقلم انشامنها :: ومن القسم الثالث العرش الثابت

والقسم الرابع للكبرى ورثها

## الفصل الثالث

# مع الناس

لكل انسان فى مجتمعه علاقات تربطه بالاناس الذين يشاركونه الحياة فيه أفرادا وجماعات ، وهى علاقات تتسع وتضيق بمدى اتساع وضيق النطاق العددي لهؤلاء الناس ومدى متانة وفتور الروابط التى تشده اليهم أو تشدهم اليه . ويمكن اعتبار هذه العلاقات عند الشاعر الشعبى من خلال مستويين ، أحدهما عام والآخر خاص . اما العام فيتمثل فى نظرتة السى الناس كجماعات واهتمامه بمشاكلهم وقضاياهم وتجاوبه معهم فى رضى عن سلوكهم أو نفور منهم فى سخط على هذا السلوك . وقد عرضنا لهذا الجانب فى الفصل السابق لما رأينا فيه من تكميل لرؤية الشاعر الى الحياة وبلورة هذه الرؤية وتوضيح لاتجاه الحكم والعظات التى نتجت عنها .

وأما الخاص فينحصر فى العلاقات التى تربطه بأفراد معينين ، قد تكون لهم فى نفسه أو فى المجتمع مكانة تقدير واكبار ، فيثنى عليهم احياء وأمواتا ، مدفوعا بالحب الصادق حينما والتقرب والتملق احيانا كثيرة ؛ وقد لا يكون لهم فى نفسه غير الشعور بالمنافسة والخلاف والخصام ، فيصب عليهم جام هذا الشعور ذما وتعييرا فى غير هوادة او لين . وهو الجانب الذى سنتناول فى هذا الفصل ، نقصد به فنونا ثلاثة هى : المدح والرثاء والهجاء .

#### أولا : المدح

من عميق ادراك الشاعر الشعبى لما هية الشعر ودوره انه ابتعد عن فن المدح انشاء وانشادا ، وفى غير قليل من الاهمال والازدراء ، وكأنه أحس بما فيه من فتور العاطفة وتكلف التعبير وزيف الدوافع ، وخلوه نتيجة ذلك من امتاع الذهن والشعور ، فلم تتفتح قريحته للنظم فيه ، وجاءت قصائده لذلك قليلة ، وهى على قلتها لم تجذب الحفاظ اليها والمنشدين ، فكان أن ضاع أكثر انتاجه فى هذا الفن ، الا ما كان منه فى مدح الرسول عليه السلام (1) ، فانه انطلق فى أجوائه ، تسعفه عاطفة خالصة اساسها

(1) خصصنا له الفصل الرابع من باب الموضوعات .

العقيدة الراسخة والحب الصادق ؛ بل انا نجد الاشياخ - شعراء وحفاظا حين يطلقون تسمية المدح او «المداحي» لا يعنون بها غير المديح النبوى • وبين ايدينا نص يفيض بهذا الروح ، يعيب فيه بوعمرو على الشعراء الذين تخلوا عن تمجيد المكارم والفضائل ، وغدوا يمدحون الناس ويصفونهم بما لا يتحلون به ، وهو يفتقد فى الممدوحين خصال الثناء ، ويرى ألا أحد يستحق المدح غير الرسول الكريم :

قال الاديب اعمرؤ \* اه اعلى الشعرا

اسمعنا عن الاعيان \* فقديم الزمان \* كانوا يمدحو الاحسان  
واليوم تمدح الانسان \* وتقول ذا فلان \* ساعا توجدو عجزان  
اصغ غايت الرقيب \* يامن هو البيب \* لك فالناس اعدو وحبيب  
تمدح ياأخى لنجيب \* وتقول ذا اريب \* وترى السعد فيه ايخيب  
امن هو البيب احسب \* فى ذا الجيل اغريب \* هذا صح ابلا تكذيب

نجم الثنا قد غاب \* عنا حقيق واغبا

وانبطلت لنساب \* رجعوا لكرام تربا

وكذلك الاصحاب \* لاتامن الصحبا

نحلفلك اعظيم ايمان \* حقيق بالبيان

ما تمدح ولا انسان \* سوى سيد الثقلان

تذلك نجد الشاعر العباس الحرار يعتز فى بيت من قصيدته الفخرية

أنه لم يرفع بقوائم شعره سطوة ملك أو طاغية جبار :

أنا اللى ما رفعت بقوايم شعرى \* سطوت مالك شامخ او اطفى جبار

ومع ذلك ، فقد وفقنا الى تدوين عدد من القصائد ، ومن أهمها مجموعة

مدح بها السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام (1) ، والمولى أبوبكر بن

السلطان الحسن الاول (2) وكان خليفة فى مراكش للمولى عبد الحفيظ(3)،

والملك محمد الخامس (4) ثم ابنه الحسن الثانى

(1) تولى من سنة 1238 الى 1276 هـ •

(2) تولى الحسن الاول من سنة 1290 الى 1311 هـ

(3) تولى من سنة 1325 الى 1330 هـ الموافق 1912 م •

(4) تولى من سنة 1927 الى سنة 1961 م ، حيث خلفه ابنه الملك الحسن

الدانى

أما الموثني عبث الرحمن فيمدحه ابن سليمان ويذكر استعدادده فـى  
مراكش للخروج الى حرب فى الحوز لم يشهد لها مثيل ، زادها وجود  
السلطان بهاء وهناء ، فابتهج الناس وانطلقت ألسنة المنشدين تلهج بشجاعته  
وجوده وعقله ودكائه :

فرجا يا بهجت لحضر وانزها \* زاد سيدنا فهناها  
اعلى اسرور الملك ايفرحو كل اعقول \* اتبشرى يا بهجت لمدون  
وهو ياسيدي وعلى ازهوك ناسك تنشد بفصاحت السون  
وهو ياسيدنا لهما بن الامام لمجد بن سيدي هشام  
اشريف امن اسلام ضى لنيام

اشجع امن الضراغم والجواد عل الخلايق  
فالحوز غنمت به طيف امنها \* صاحب لعقل وانباها  
قام حارك بها جميع لحروك امثول \* ما شافت عوضها اعيون  
ويخبرنا الشاعر بتقليد للسلطان يقضى قبل الخروج للحرب ان يزور  
على عادة أسلافه ، رجال مراكش السبعة (1) ليفوز بذخيرة أهل الكمال  
وينال مقصوده :

وهو ياسيدي ومنين وجد الحركا واسكاد الشور  
افعل ما فعلت اسلافو لفضال  
طاف عن سبعتو رجـال  
فاز بذخيرت هل لكمال  
حاجتو نال

ونجد العلمى يدعو له الله أن ينصره ويهزم اعداءه الطغاة المتجبرين :  
غث لهما ابريح النصر يالقيهار \* ونفد ادعوتو فالطغات ولجبابر  
ويتوسل اليه تعالى أن يحفظه من كل ضرر :

يامن رسى اجبال وارصدها بصخور \* وابحور الطاميا ابقهر و محصورا  
واحجب ضو النهار بظلام الديجور \* واهزم لغسيق ابلقجر باهى الصورا  
ياعالم ما بدا وما تخفى لصدور \* سلتك بملايك لحجوب المشهورا  
احفظ ذات لهما من كل اضرورا

---

(I) هم أولياء هذه المدينة المشهورون : يوسف بن علي والقاضي عياض وأبو  
العباس السبتي والجزولي والتباع والغزواني والسهيلى .

ويرجو الله ويسأله أن يكسوه حلة من نور هيئته ويؤيده بالنصر  
والحكمة ويجود عليه بما يبهجه ويسره ، وأن يسعد حظه أينما حل ، وبيارك  
فى عمره ، وأن يجعل دعاءه على أعدائه كدعاء نوح على أصحاب الطوفان :  
يا جليل اكسه حلا ابهيتك نور \* وايدوا بالغلب وكرموا ابما ايسرو  
وظفرو بالحكما اوله سكم الشور \* افكل بقعا ببارك ياربنا افعمرو  
اجعل ادعوتو دعوت نوح النبى المبرور

اعلى اصحاب الطوفان بدعوتو انبترو  
ويطلب الله أن يفتح له باب التيسير وأن يجعل الاولياء والصالحين  
جيشا لحمايته يدافعون عن كلمته ويغيرون ، وأن يعينه ويحفظ جيشه  
ويؤيد علمه بالنصر ، وأن يهزم قوم الفساد والزور المخالفين :

افتح لمام غربنا باب التيسير \* والصالحين جيش لحماه ايصيروا  
حق اعلى اكلمتوا يوكدوا ويغيروا

نعم المعين عن لهما المنصور \* واحفظ جيشوا وايد علمو بالنصر  
واهزم قوم لفساد واهزم قوم الزور \* وافن قوم لمخالفا بسنون السمر  
وقد عم الازدهار عهده فربح التاجر والمتعلم ، وغدا الصبى الصغير فى  
الكتاب يتقن تجويد القرآن الكريم :

انزايه ايامو ظهرت لو افجمع لقطار \* نال كل من اقرا واربح كل تاجر  
توجد الصبى فالمكتب اصغير محضار \* ايجود الآى تجويد لفقيه الماهر  
وبرى فيه الفقيه العميرى أميرا للمؤمنين شجاعا رفيح الشأن شريف  
النسب من قریش ، يتوسل به الى الله أن يعم الامة بالاحسان :

رفيع الشأن \* ماتهمو شجعان \* فحروب امدان

نسبتو عدنانى \* من قریش مير المومنين

أيا رحمان \* كن لى مستعان \* بمن تلا القرآن

ودنى واعطانى \* اعطاء من خير الدارين

بوجود السلطان \* مولاي عبد الرحمان \* عمنا بالاحسان

انمجذو فزمانى \* من احكم فالبرين وبحرين

انتقاد له الزمان وارضى له الدهر عنائه فاصلح احوال البلاد واعز  
الله به الاسلام :

اعطاء ازمان \* الدهر ارضى لو لعنان \* اصلح به البلدان  
حقنى وارضانى \* الله بحكامو عز الدين  
وعند عزوز اللمتوني انه اعز الملوك ، نادت مدينة مراكش بصولته  
ونصره ، فهو سلطانها ومولاها وسليل الرسول :

لك البهجا ندادت \* يابن هشام السلطاني  
صول اعطاك الله النصر يا عز الملوك \* مولاي عبد الرحمن  
انت هو السلطان \* وانت هو مولاها  
مولاي عبد الرحمان \* نخبتم لمفضل طه  
وهو خلاصة الاشراف ورأفة الله بالعباد ، أمن الخائف وأغاث اللهفان  
فغذت الايام حلوة والاوقات ضاحكة ، كما ضحكت ثغور الذين احبوه  
بجوارحهم حب الظامى للماء :

هيا خالص لشراف \* يالهام الهشامى  
بك الله عنا راف \* يامول القدر السامى  
أمن بك الخواف \* ياغيث الشرب الظامى  
ايام الدهر احلات \* واضحكت اوقات ازمان  
كيف اضحكت افواه واجوارحها حبوك \* حب الماء للظمان  
وأما الخليفة المونى أبو بكر فيمدحه محمد بن لقزين بأنه هلال ساطع  
سعدت بنوره كل المدن والقرى وجميع أركان المعمور واقطاره ، وهو  
كريم وفارس وشجاع بل هو أسد الاسود ، ومن سلالة الافاضل النجباء  
ذوى السر والعز والمكانة العالية ، وعدهم الله بالنصر وايدهم بجيوش قوية  
تبادر فى الجهاد للانقضاء واخذ الثار :

لهلال الزاهر \* به سعدت واهنات امدينت لحضر  
جوف اقبالا امع لعمارا \* والتل وسائر منازل فى كل اقطار  
ضرغم لقساور \* صيلت النجبا تفضال اهل السر  
من بهم العز والتجارا \* ناس الدرجة العليا هما هل لسرار

سطوا وادخاير \* ودهم المولى بالعز والنصر  
 واعدهم لجهاد فالنصارى \* بر زاييم (1) ولقواس وقنا اورمچ بتار  
 توكد واتكابر \* فى بحر النهوشا وفحومت السقر  
 وقت اماركبو من ليغارا \* بفديو اثار بالعزم ابلا توخار  
 صال بعساكر \* ولمدافع وارجال وخيل تنشكر  
 والشجعان امقلد ازكارا \* ابامر الله ربنا لجليل الستار  
 حلت لبشار \* بالخليف سىدى مولاي بوبكر  
 يم القرا فارس لغزارا \* مسعد لسلام كافا بالليث الغزار  
 وهو بعد هذا شريف النسب ، بحر فى العلم ، خطيب على المنابر  
 تزهى له الارواح وترقص اغصان الشجر ويفوح طيب نسمات الازهار ،  
 ثم انه لايفتا عن ذكر الله ينفى به الهموم والاكدار :

النسب الفاخر \* يم لعلوم الفالح صاحب الذكر  
 نافي شغف الهول ولكدارا \* بهازهاات الرواح جن او انس واطيار  
 ما بين امنابر \* ابلعطوف رقصت القطبان فالشجر  
 هب انسيم الروض ابلبشارا \* ونفح طيبو امن الرضا بنساييم لزهار  
 وعند عبد الرحمان ابن الفقيه الحاج الطاهر انه خليفة السلطان المولى  
 عبد الحفيظ نعم الخليفة ، بمثله تفخر الخلافة فى كل عصر ، واذا كان  
 السلطان سعيدا فى كل مناطق مملكته فهو بخلافة المولى ابى بكر اكثر سعادة  
 اخليفت المالك فى ذا الجيل \* على الهما بالتجليل  
 جل ونعم لخلافا به فالعصر تفتاخو \* ضمها العز الوافر  
 من اسعادت مولاي حفيظ ابساير لقطار \* اسعد بخليفتو اكثر  
 بتمام شفائه (2) استقام الحظ وعم السرور مدينة مراکش ، وقند  
 دعا الاشياخ للحفلات التى اقام فلبوها فرحين مبتهجين :

بكمال راحتو متسقم لنا الشور

تلقى السرور بالراحا فالبهجا \* انحمدو مرفوع الدرجا

- (1) ج رزامة وهى الصخرة الكبيرة او القطعة الثقيلة من الحديد .
- (2) يبدو أن القصيدة قيلت فى تهنئة الخليفة بالشفاء من مرض .



### كايناديننا للفرجا

فالسلا ما لبات اقلوبنا القول الذاكر \* فرحنا اضحى متكاثر

ايجاب التلبيا بسرورنا اتبشر

وتوضح غايت لخبر

وهو محروس بالسبعة بدور رجال مراکش

محروس عز لخلایق بالسبع ابدور

منهم سيدنا يوسف مول الغار

والذى بالشفأ (I) يذكار

ولهمام السبتي غيار

له سندا مركز الاوليا ابيدو داير

...

والمجد صاحب الدليل (2) اعنصر ايفور

فكفالتو يجعل احراكو واسكون

وحرم سيد التباع ايكون

له رقا واحجاب ايصون

سر وعلان

الغزواني ايققوا ببشائر

جالبين كل ادخاير

ابسيدنا السهيلي يسهل جمع لامر

فقصد مولاي بوبكر

ومثل هذا وذاك نجده عند الشيخ عمر المراكشي ، لا يضيف الا انه

نجل السلطان مولاي الحسن ، وأنه جزيل العطاء للقريب والبعيد ، وفريد  
عصره في الكرم :

نجل الملك طلعت البدر السانـي \* ياسيدنا \* سيدى مولاي بوبكر

...

يانجل الماـجد الشـريف الحـسانـي \* ياسيدنا \* ياغايت كل امن اتضر

(1) كتاب «الشفأ في أخبار المصطفى» للقاضي عياض .

(2) كتاب «دلائل الخيرات» للجزولي .

معطاك اجزىل عل القاصى والدانى \* ياسيدنا \* فالجود فارد العصر  
ومن المدح الذى قيل فى محمد الخامس مانجده عند محمد المودن  
التطوانى يصفه فيه بأنه الهام نور عينيه ، نصره الله واعطاه سطوة  
فاقت سطوة كل من سبقوه ، شبيهة بسطوة هارون الرشيد وعبد الملك  
ابن مروان ، به يفخر العصر ويباهى ، حاز الادب وحسن الخلق والتواضع  
والدين المتين ، ثم انه من ذرية الرسول عليه السلام وسلالة الملوك :

نصرو ربى يستاهل النصر \* سيدى محمد لهام نور اعيانى  
اعطاه الله سطوا عطلت سطوات \* دوك اللى فايئين فى لزمانى  
كسطوت هارون الرشيد \* ومالك بن مروانى  
اعلى لصور اتباها عصرنا \* واستفخر بذا لهام يافاهم لوزانى  
حاز الادب وحسن لخلق \* امع التواضع مايحجا الانسانى  
ثم الدين لمتين \* زاد خاصو به الرحمان  
ملك بن الملك ولد ملك \* دار الملك يا فهمم التبيانى  
من ذريت عين لوجود \* الشافع فالعصيانى  
ويتوسل الى الله ان يصلح رأيه بحرمة اسمه العظيم :

تصلح ريق يا كامل لسطعا \* حرمت اسمك لعظيم يا رحمان  
ولادريس الزمورى قصيدة خلد بها حفل (I) وضع الحجر الاساسى  
لمدارس باب شمالة المعروفة بمدارس محمد الخامس ، يمدحه فيها بأنه نهض  
بالعلم وانشأ المدارس وأقام المساجد ، فأتاح للشباب أن يتفقه فى الدين  
والعربية واللغات وعلوم العصر :

يحيا يحيا ملك غربنا سيدى محمد الشريف الحسانى  
كيف احيا لمدارس امعا العلم وامساجد للدين  
فى ايامو المبروكا لسلام العصريين اتفقوها فكل لديانى  
حتى العجم وعرب اقراوهم دركوا جاء امتين  
بوجود نعم الملك لمشرف واقف احريص ابقلب ذاتو يقظانى  
اعلى لمساجد وامدارس للقرايا واشيات اخريين

من اعلوم التوحيد وعلوم العصوريا واقرأوا القرآن

يتفقهوا فى دين لسلام واقواعدو المثبتين

فحياتو المبروكا اتزادت امساجد وامدارس اللقرايا ببيان

واتجددو لمساجد اللى اقدام ببني فى تحصين

وبعد استعراض مظاهر الاحتفال ، وصف وضع الحجر الاساسى لهذه

المدرسة التى ستكون فاتحة خير كثير ، دون ان ينسى اكتتاب سكان الرباط

لاقامتها وافتتاح الملك نهذا الاكتتاب بمبلغ مليون ونصف من الفرنكات :

من بعد هذا الخطبات وقف لهما حجت الساس فارح قلبو هانى

نزلها بلطافا فى ساسها بالفتح المبين

تحقيق دا المدرسا افغربنا فيه خير اكثير للسلام بالبيانى

آذن عنها ملك غربنا نجل الحسنين

هو الاول معدن الجود اكرم من مالو الخاص دون الكتمانى

مليون ونصف مليون اهداء سيدى ولا تونين (1)

وامر هل الترابط كلها تغنم دالاجر ولفضل يالحسانى

لاين هذا هو الخير هذا ارباح الدارين

وهو فى مدحه للسلطان يذكر انتسابه للرسول الكريم ولسلالة ملوك

هو ياقوتتها المضيئة ، وهبه الله الحكمة والعقل ، وأحبه فغدا محبوبا عند

الشعب ، لم يتقدم مثله فى المغرب سلطان :

بوجود هذا الملك ونعم ملك اصل الملوك نسب طه المدانى

هذا ياقوتتا منهم اضوات ابنور مبین

هذا الملك الله فيه اوضع حكمت واعطاء اعقل نور نورانى

هذا حاز الملك الشميخ والسعادة للمسلمين

هذا ملك محبوب عند ربى وعند العباد افلحضر والعربانى

هذا سلطان مافات فى غربنا مثلو بعقل افطين

وعند العيساوى الفلوس انه رمح فى الحروب مهند يجدد ثوب العز ،

وأنه صاحب المجد ووارث العلوم من الاجداد ، وأنه أسد تسعد بصولته

(1) دون من باعطاء المبلغ .

العباد ، اختاره الله وجعل ثناءه مخلدا في القلوب ينمّنه فيها حكمه ، وقد  
سعد من جعله عماده وسنده ، فهو ينبوع الفضل والجود ، من لم ينظر الى  
عرشه بعينه يظل بصره عليلا وقلبه متجمدا يعاني من جراح لالتئم :

العز بك تآك امجدد

رمحك افلحروب امهند

واثناك افلقلوب امخلد

يا صاحب لمجد

يا وارث لعلوم ولعنيا من جد الجد

يا ضرغم لحميا سعدت بك لعباد

واختارك لجليل الجيد

حكمك افلقلوب امنفد

يسعد امن اعليك امسند

ايلوح نكدو

يا ينبوع الجود ولفضل شلا ما ينعد

من لاشاف افعرشك ياسيدي ابليتامد

بصرو ابلا اشكوك امرمد

قلبو عل لبدا متجلمد

لازال افلجراح ايكمد

ويراه قد فاز بالانتساب للنبي الكريم وحاز جميع المزايا والمفاخر  
والامجاد ، ويدعو له الله أن يذيم صولة نوره المحمدي الذي اضاء نجم  
المغرب :

دام الله ايام صولت النور المحمدي ﷺ من به اضوا نجم غربنا سيدي محمد

حاز الفخر ومجد ولمزيا نجل المهتدي ﷺ سلطان المغرب نورنا سيدي محمد

ومن مدحه بعد هذا ماقاله مولاي احمد العلوي متغزلا في جمال صورته

وعينيه الشبيهتين بعيني الغزال :

نصر الله اجمال صورتك يانجلات الشاد ﷺ اتهليل الزين ولبها سيدي

محمد

ويقول كذلك :

الله ينصر احسان اجمالك \* يا ذات الادب واللطافا يانور اتمادي  
ولعله كان متوقعا أن تكون وفيرة حصيلة القصائد التي مدح بها محمد  
الخامس ، لما كان يتمتع به من شعبية نتيجة مساندته لكفاح الامة من اجل  
التحرر ، وما عانى من جراء ذلك ، ولكن كثيرا من هذه القصائد ضاع بسبب  
منع حكومة الحماية لترديد المحفوظ منها وبسبب اتلاف الشعراء لما دونوا ،  
خوفا من عمليات التفتيش التي كانت تقوم بها سلطات هذه الحكومة فى  
البيوت . وقد ذكر لنا بعض اشياخ فاس أن العيساوى الفلوس كان اكثر  
الشعراء مدحا لمحمد الخامس ، ولكنه اضطر تحت ضغط مضايقات السلطة  
والخوف من البحث والتفتيش الى دفن مجموعة كبيرة من قصائد هذا المدح  
فى احدى المقابر .

حقا ان عهد الاستقلال أتاح للشاعر الشعبى ان ينطلق فى مدحه ،  
ولكن اسراع الاحداث وتوالى المناسبات ورغبة اجهزة الاعلام ، والاذاعة  
خاصة ، فى أن يواكب الشعر الشعبى هذه المناسبات وتلك الاحداث ، كل  
ذلك جعل الناظمين - وهم قلة معدودة - يتكلفون مدحا يطفى عليه التقليد ،  
نثاليا من كل روح ، بل يبدو فى أغلبه وكأنه ليس غير مسخ وسلخ  
لبعض قصائد الغزل او مديح النبى وآل البيت والاولياء . وهو احساس  
نشعر به ونحن نستمتع الى القصائد التي تذاغ فى مدح الملك الحسن الثانى  
كهااته التي يقول مولاي احمد العلوى فى حربتها :

الله ينصر سلطان هل لبها الحسن \* راحت اعضاء روح الروح سود  
لعيان

ومنها قصيدة لسلام الفاسى يقول فيها :

حياك الله يالبدري السانى ياهلال نور اعيانى

ياالحسن الثانى يارفيح لاسم تاج المغرب سيدنا

ومنها كذلك قصيدة للشيخ عبد القادر مدحه فيها بمناسبة استعراض  
الجيش ، يقول فى حربتها :

فرحوا ياايخوان بالجيش الملكى اديالنا \* قايدهم لكبير سيدنا مولاي الحسن

من له لجنود طايعين

ومثلها قصيدة لعلها لأحمد سهوم هذه حربتها :

قائد الجيش اهماام الشعب نور لتماد \* تاج تيجان العصر اوسيد . لسيادى  
على اننا الى جانب هذا المدح الذى استعرضنا أهم نماذجه ، نجد  
ثونا آخر من الملح «جماعيا» اذا صحت هذه التسمية ، على حذما نصادف  
عند الحسن بن شقرون فى رجال الطريقة الفتحية (1) يمدحهم بأنهم نور  
وشعاع وضياء للعيون وعلاج للعقل والروح ، من شرب خمرتهم ارتوى فى  
حضرة الرضوان ، تسقيه كؤوسها أيدي مجبيه ، وغدا متجليا فى بساط  
السلوان ، يسلك طريقا تغمره الافراح ، وجعله الله فى مقام العز ومنحه  
السر والفضل والفتح :

ناس الفتح اللقوب نور واشعاع اضيا لعيانى  
واعلاج الروح ولعقل منهم امن اسقياه  
باح ابخمرت لحباب وارتوى افحضرت الرضوانى  
بكواب الى اتناول ببنان امن اهواه  
فيه اتجلى يشراع فى ابساط البسط السلوانى  
واسلك منهاج ابلفراح ايوا فى من راه

#### ثانيا : الرثاء :

ويطلقون على قصائده تسمية «لعزو» او «لعزا» ، وهو مثل المدح فى  
نظر الشعاع الشعبى ، لم يقبل على النظم فيه ، بل انه كان اكثر منه عرضة  
للضياع لعدم مناسبة موضوعه للانشاد والترديد . ولولا ان بعض المعتنين  
دونوا فى كتاباتهم نماذج لهذا الفن لكان ضياعه كاملا .  
ومن أقدم هذه النماذج قصيدة للحاج اعمارة فى رثاء الشاعر عبدالله  
ابن احسمين ، يبكيه فيها ويطلب من الشعر ان يبكي على أبيه كالمراة  
الشكلى وينوح كالطائر الغريب فى الليل وأن يسقى من دموعه جذور النخلة  
التي كان يجلس فى ظلها لينظم ، فلن يحلو له العيش بعد عبد الله ، ولن  
يعرف كيف يتصرف فى الشعر ويخرج من مأزقه :

---

(1) احدى فرق درقاوة منسوبة لشيخها فتح الله بنانى الرباطى .

أبك أعلی اباك اشعری ابكا دشى امرا تكلى

او نوح كینوح ورشان اغریب بوحدو فاللیل

ابك أعلی اباك اشعری واستقى اجذور ذا النخلا

اللى اشحال (1) من شعر احداها رصعوا بأك اكبیل (2)

العیش بعد عبد الله او الله كاع مایحلا

ونایلا امشى عبد الله ابقيت فالشعار اوحيل

وللحاج اعمارة كذلك قصيدة فى رثاء الشاعر **بوعمر**و يتساءل فيها

عن شعره لم لاينطلق ، وعن دمه لم سال على الخد كالنهر ، وعن ذاته لم

ارتعدت ، وعن فكره لم تجمد وقلبه لم خفق وقد جرحته الهموم :

مال دمعى عن خدى واد \* مال ذاتى فيها رعدا

مال قلبى خافق فدفاذ (3) \* جرحتو الف غدا

مال عقلى يا ويحى باد \* مال شعرى ما يتسدا

وهو يتألم ويتأوه لفراق حبيب قلبه الفذ النبیل المنیر الذى برز فى

النشدو والغناء فغدا لايعوض :

أه اعلیا يالعباد \* من افراق احبيب الكبدا

النبیل الفذ النشاد \* سيد من غنى او اشدا

بوعمر و لمنیر الوقاد \* لحبيب الا لیه افدا

ومن أهم قصائد هذا الفن واشهرها **مرثية المغراوى فى المنصور**

**السعدى** (4) ، وهى كلها حديث عن فراق الاحبة والبكاء عليهم ، لم يتعرض

فيها لذكر شئ عن الرجل ، بل ليس فيها مايوحى بالموت غير حربتها التى

أخبر فيها بأن عام موته عام حزن وأنه لم يعد للسعديين (5) مايرجعون به

كفتهم :

---

(1) اشحال بمعنى كم

(2) من قبل

(3) من فدفاذ بمعنى طار

(4) توفى سنة 1012 هـ .

(5) دامت دولة السعديين من 961 الى 1069 هـ .

عام شايب مات الذهبى اخيار لثراب \* مابقى للسعدين باش ايرجحو  
فقد رمى الفراق الشاعر بسهم غاصب من قوسه أصاب قلبه وزاد  
فضربه بسيف ضربة هدت كيانه :

لفراق ارمانى قوسو ابسهم غصاب \* ماخطانى مكن قلبى او لوحو  
بعد ما مكنى جانى ابسيف غلاب \* هذنى واهزم ديوانى وجيحو  
ولم يكتف فى الرمز لقوة الفراق بالقوس والسيف ، وانما جعله أميرا  
يصول فى حزم وشدة ، يقود جيشا ماكاد يصل حتى أطلق عليه سهام وتره  
الشديد وضربه بالحسام ضربة قاتلة :

جانى مير لفراق صايل متحزم \* واقصدنى للفنا ابجيشو واعلامو  
بوصولو لاحنى ابلبساط امسهم \* من وتر اشديد ماخطانى بسهامو  
واضربنى ضربت لمقاتل بسهامو

وهو من اجل هذا يحق له أن يسهر ويبكى بالليل والنهار ، وينوح  
نواحا تتعجب له الغربان وتشيب :

ايحق لى نبكى للفرقا النهار والليل  
\* انقطعوا ساهر وانجدد اعلى اصباحى  
وانكثرو من دمع المهرق كالسيل

\* اتعجب واتشيب الغربان امن انواحى  
ويلومه الناس على البكاء فيطلب منهم أن يتركوه فى حاله وقد بان  
عنه احباؤه ، وغدا من وحشتهم كالتائر الذى قص جناحه بعيدا عن أهله  
ووطنه ووضع موثقا فى قفص ، طأل فيه سجنه وكثرت محنه :  
دعنى يالايمى اعلى لفراق نبكى \* غابوا عنى احباب قلبى مابانوا  
رانى من وحشتهم فى حالا نحكى \* طير امقصص فارق اهلو وطانو  
فى قفص اوثيق طال سجنو وامحانو

وعنده أن فى البكاء راحة للذى التهبت قروحه ، وأن الدموع تطفىء  
ناره ، ولولا البكاء لذاب قلبه وضلوعه من لهيب الجمر المشتعل فى مهجته ،  
أما تنهده فتنهد له الشواحق وتتحطم الاشجار :



لبكا راحا للمقروح من الهيبيو ❦ عندما يبكي تخمد بالدمع نارو  
اشمواحق لو بانو بالنهذ ايريبو ❦ وارياض الناعم يتحطموا اشجارو  
مهجتي واضلوعى لولا لبكا ايدوبو ❦ اعلى الهيبيو شاعل فالقلب من  
اجمارو

ولكنه القضاء الذى جعل الفراق يعز عليه أن يرى روضا يانعا مزهرا  
فأبيسه واحرقه :

لقضا فرقنا والبين عند ماصاب ❦ روضنا متنعم حرقو وكلحو  
وتلك هى الدنيا تدور دواليها ، ممتلئة وفارغة ، محزنة ومفرحة ،  
جامعة ومفرقة ، مشغلة ومعطلة ، يكثر رزقها ويقل موقوتا ومحدودا ومقدرا  
كما يشاء الله :

هكذا الدنيا كدولاب اتحول ويتدور❦ دورها يملا ويفرغ فى كل حالا  
تارا بالحزن وتارا بفرح واسرور❦ واجتماع وفرقا وشغال ولبطالا  
وارزقها المضمون ابوقتوا يفور ويغور❦ كيف قدر بحكامو ربنا اتعالى  
وللحاج محمد النجار هريثة فى الفقيه حمدون بن الحاج (1) يترحم  
فيها عليه راجيا أن تظل البركة فى ابنه :

رحمت ربى اعلى لفقيه السى حمدون ❦ والبركا فخليفتو عز اولادو  
ويرى واجبا أن تراثيه فأس وغيرها من المدن وان ينوح عليه المحبون :  
واجب تراثيه فأس واقراها وامدون ❦ واكثير الحب فيه يقوى تغرادو  
ويذكر أن الفقيه كان معروفا بطبعه الحلو وبالجود والحياء والعلم  
والانشاد والاطلاع الواسع والتضلع فى الحديث وسنده ، وأنه ألف كتابا  
يحيى النفوس فاق فى أسلوبه ابن زيدون ، لو رآه ابن عبدون لانبهر :

---

(1) هو ابو عبد الله حمدون بن عبد الرحمان بن حمدون بن الحاج السليمانى  
المرداسى توفى سنة 1232 هـ . وقد ترجم له ولده ابو عبد الله محمد  
الطالب بن الحاج فى كتاب «رياض الورد الى ما انتمى اليه هذا الجوهر الفرد»  
وهو مخطوط بخزانة الرباط العامة تحت رقم 396 . أما قصيدة النجار  
فى رثائه فواردة فى ديوان فى الثناء على ابن الحاج اسمه «روضه  
النيلوفر ثناء الناس عليه وبعض مناقبه التى هى اعطر من الادفر»  
مخطوط بخزانة الرباط العامة تحت رقم 383 D

غاب الشيخ الشهير بالطبع الممدود\* والجود امع لحيا وعلمو وانشادو  
وانشأ حلا لشافها تنشط لبدون\* واتحلى ابلحديث واسما باسنادو  
يبهت لوراه فى احياتو بن عبدون\* سبحان اللى عطاء وارضاه وزادو  
وارقى بالفاظ رايقا عن ابن زيدون\* واعلى من باد فالحقيقا جتهادو  
كذلك نجد للكندوز قصيدة فى رثاء المولى عبد الرحمان يرى واجبا فيها  
عليه أن يرثيه بدمع لا ينقطع كالطر المتهاطل ، وأن يبقى طول عمره هائما  
حزينا عليه ، ويرى واجبا عليه كذلك أن يبكيه كما يبكي الذى فارق حبيبه  
فغدا بيته خاويا مهجورا ، ولم يعد له من حبيبه غير الخيال ، وأن يبكيه  
بكاء الذى فقد أهله ضائعا فى السهول والجبال ، يبكي تارة ويته اخرى ،  
وأن يبكيه بكاء العليل الذى فقد الصبر والعلاج ، يسهر مرة ويغيب ثانية  
ويستيقظ ثالثة :

أنا الواجب نرثى بدمعتى عن خدى طول الدوام كالودق الهاوى  
ونا الواجب نبكى طول عمرى هايم نكدان  
ونا الواجب نبكى مثل من فرق احبابو افلورى ابقى رسمو خاوى  
باقى غير اخيال لحبيب وما وجدو ما بان  
ونا الواجب نبكى ابكا المفقود اعلى ناسو وتام فربا واسهاوى  
ترا يبكى ترا يته بين اجبال او طيان  
انا الواجب نبكى ابكا المعلول اللى صبرو امضى ولاصاب امداوى  
ترا ساهد ترا يغيب ترا طرفو يقظان  
فالمصاب جلل والرزء عظيم ، لذا فهو يعزى المسلمين فيه ، فقد كان  
ينبوعا للحلم والعلم ، اديبا نبيل راجح العقل ، يعرف كيف يجرح ويداوى  
فذا فى كل شىء ، ليس فى اقطار الارض من يعوضه ، حجابا مسدلا على  
رعيته ، كم رد عنها من اخطار وأطفأ من نيران ، وكم انعم على رجال حكومته  
وحاشيته ، وكم فدا من قوم فى لحظة الموت ، وكم رقى رجال العلم ونهض  
بمجالسهم :

نفقد لهما الا انصيب عوضو فقطار الارض كان يجرح ويداوى  
أديب انبيل ارجيح افكل اشيا فذ اوديان

كم من صهديات (1) اطفأ اعلى اترعيا فالبجر ويرو لمهامه واعداوى  
وابقت احجاب الستر اعلى الغرب واللفظ ولمان  
اما لطف من قوم افلحكوما بالخير ايفوز كل من حرمو ياوى  
وما من قوم افدا افساعت الموت افكل اوطنان  
وما رقى من قوم افلمجالس دا العلم الا ايحد سامع والداوى  
واحيات امجالس العلم بين اكهول وشهبان  
وموت السلطان لم يترك اثره فى نفوس الرعية فقط ، وانما تركه فى  
خيول الركب التى غدت كالايتام مكوية بلظا جمر الفراق ، وفى المظل (2)  
الذى عاد ينوح من اليتيم والهجر بعد ان كانت أيامه هناء وسلوانا ، وفى  
البنود والاعلام ، ونفوس الجنود الابطال الذين كانوا يسيرون خلفه لابسين  
افخر الثياب كأنهم عرسان :  
خلى خيل الكاد اكم ليتام هداك الدايروم كالليث الكاوى  
بلظا جمرت لفراق ماقوا افراق السلطان  
خلى لمضل اينوح عن افراقو بلسان الحال صاب شلا ماناوى  
عاد اميتهم مهجور بعد لهنا والسلوان  
خلى لمزارك ولعلوم والرايات ولبطال كلها بندو طاوى  
كانوا فخلاف المير كيخرجو امثل العرسان  
وترك الموت أثره كذلك فى نفوس جوارى القصر النائحات وعبيد الدار  
التائبين وفى العلماء والقواد والوزراء ، وغدا المشور خاليا والاطيار نائحة  
على الاغصان ، وسكت صوت المغنيات اللائى كن يسرن خلف السلطان  
منطلقة اهازيجهن وزغاريدهن كاترعد :  
خلى لجواد اعلى افراكو ❦ ترثى اكما ارثيت انا عل لفراق  
واعبيد الدار ابقاوا تايهين امع كل طريق كلها عقلو كاوى  
ويقولوا فالغاهم سيدنا غمتو لكفان

(1) ج صهد بمعنى الحر .

(2) يعتبر المظل من أهم مظاهر الموكب السلطاني .

والطلباء والقياد واتباعها داك الدا اينوح بالدمع القاوى  
والوزرا فالغاهم كيقلو كنو ما كان  
والمشور فاضى عاد بعد توكت سيدى بن لبطل فات العلقاوى  
واطيار عل لغصان كينوحو جهر وكتمان  
خلى لغياد اصواتهم خجلو ابعده اصوات لكوان مافيهم داوى  
كانوا خلف السلطان كن رعد اقمدت حيان  
وبلغ اثر الموت حدا ادرك خف السلطان وحذاءه اللذين باتا يشكوان  
الهجر والاهمال :

وابقايات امحائى اتماكو \* مهجور ما يوالم لطلوعو ساك  
والشربيل الباهى امساكو \* مهمول عاد كيدرك (1) تدراك  
والشاعر يتمنى لو استطاع ان يفديه بروحه ، ولكن عمره انتهى  
ولامنأص لاقربائه ومحبيه من الصبر :

واسكن نعم السلطان قبرو \* لوكان ابلفدا برقبتى نفديه  
لكن نتهى حد عمرو \* الصبر واجب اعلى اللى دانى ليه  
تلك حال الدنيا الغرور ، اين هم الاقوام الماضون ، اين كسرى والظاهر  
والرشيد والقوم الشجعان؟ كلهم ذهبوا ولم يبق الا الله سبحانه ، خالق  
العباد وقاهرهم بالموت وانحاكم عليهم بالقهر :

هاذى هى الدنيا الغارا وين القوم اللى امضوا وين الكسراوى  
وين الظاهر وين ارشيد وين القوم الشجعان  
ولا دامت الا المن انشاها من قبل الا ايكون العامر والخاوى  
سبحانو جل اجليل ربنا سبحانو سبحان

سبحان امن اخلقنا وبالموت اقهرنا بعد لحيات الجليل القوى  
واحكم بالقهرا اعلى اعبادو نعم المنان  
وربما كان من جميل الرثاء واصدقه ماتحجى به ذكرى بعض العظماء  
على حد مانجد عند الفلوس فى قصيدة عن «مقتل الحسين» يقول فى حربتها  
يالحضرا سمعوا وفات نور لنوار ولد فطيم الزهرا سيدنا الحسين

(1) يختبىء ويختفى •

وهي استعراض للآحداث الإسلامية منذ وفاة الرسول عليه السلام حتى حادثة كربلاء ، يختتمه بعروبي يعتكى شكوى كان آل الحسين قد تضرعوا بها عند قبر جدهم :

مهما دخلوا ضريح لحبيب المهتاد \* قالوا يا جدي الهادي محمد  
لوريت شين صار بنا دون افناد \* في كربلا امع اجيوش الا تنجد  
قتلوا لنصار ولصحاب امع لولاد \* وابن هاشم كلها يامحمد  
قتلونا دون حق فامهامه لوهاد \* واحنا فالشوم ولعطش يامحمد  
وقطعوا روس آل بيتك هل لعناد \* تركو لشباح افلوطا يامحمد  
سفكوا دم تشراف واعصاوا الاحد \* سبوا على المرتضى يامحمد  
لوريت شين كان دار ابن زياد \* هو واهلو وشيعتو يامحمد  
طعن الحسين كل من كان افلجناد \* ولا رحمو اطفالنا يامحمد  
قطعوا راسو ولاخشاو امن الجواد \* داسو بالخيول مهجتو يامحمد  
كشفو الحريم دوك لعدا والحساد \* وبعدها اسباونا يامحمد  
داروا لنا احبال واغلال ولكياد \* ماشفقوا من احوالنا يامحمد  
وجهناهم للقوى يامحمد

ونجد كذلك عند محمد حسن التطواني قصيدة في ذكرى المنظري مؤسس مدينة تطوان ، وكانت قد احييتها جمعية «عباد الرحمان» ، يقول في أول أقسامها :

نشأت هذا الذكرى السعيدا \* السيد المنظري امجد تطوان  
قامت نخبنا جادا وكيدا \* فيام سيدنا مولاي الحسان  
نادات ابدا الحفلا الرشيدا \* واعلى راسها عباد الرحمان  
وهو يغتنم فرصة اقامة هذه الذكرى ليقتراح تكوين ثلاث لجان ،  
الاولى لترميم ضريح المؤسس ، والثانية لجمع المال ، والثالثة للعناية  
بالتاريخ يرأسها السيد التهامي الوزاني (1) :

لاتخبينا يا كريم افهذا المشروع لعظيم بجاه سيد اعجام وعربان  
اوقفنا لجمع كل خير \* وبأرك فالجميع اتخص اللجاني

(1) احد علماء تطوان الافاضل ، ويشغل فيها حاليا منصب عميد كلية أصول الدين التابعة للقرويين ، وهو مؤلف «الزاوية» .

لجنة الترميم المضريح عنها بالتوفيق لاغنى يترسم ينصان  
نضحوا بالضمير نفتخر \* فرحا لهل البلاد ببلوغ الامانى  
ولجنة جمع المال عمها بالتأييد ولعنا سرا وعلان  
ولجنة التاريخ تذكر \* ابفدوة سيدنا التهامي الوزاني  
ومثل هذه وتلك القصائد التي تحيي بها ذكرى محمد الخامس ممثلة  
في «ثورة الملك والشعب (1)» ولعل احدث ما نظم فيها قصيدة للحاج محمد  
العوفير يقول في حربتها :

أمن اعظمها ذكرا يامن اتسال تاريخ امخلد  
ثورة الملك امع الشعب يوم الاستعمار انقاه  
لكن المولى جاد اعليه ايدو واكرم مثواه

### ثالثا : الهجاء :

ويطلقون عليه «لهجو» و «الشحط» او (الدق) عند اشياخ مراكش ،  
وكلاهما بمعنى الضرب . وهو اكثر انتشارا من المدح والرثاء ، بل هو من  
اكثر الموضوعات التي الهبت قريحة الزجال المغربي وجذبت المنشد  
والجمهور ، لما يبدو فيه من صدق الدافع وانطباع شخصية الشاعر عليه ،  
ولما يترك في نفس الجمهور من احساس بالمتعة وهو يشاهد عروض المنافسة  
والصراع والخصام في أقوى وأحد مظاهرها ، وهي مظاهر غالبا مايكون  
سببها السجال الفني الصرف بعيدا عن النزاعات الشخصية ، وان كانت  
لاتخلو منها في بعض الاحيان .

واذا كان الهجاء يأتي في قصائد كاملة غرضا مستقلا قائم الذات ،  
فانه يأتي عرضا كذلك ، اذ لانكاد نجد قصيدة مهما كان موضوعها لم تختتم  
بأبيات هجائية ، على حد ما سبق ان بينا لدى الحديث عن بناء القصيدة (2)  
وتعرف قصائد الهجاء باسماء مثل «الدعى» اى الذى يدعى مالىس فيه  
و «المطموس» اى البليد ، و «الديب» و «الرامى» و «المهراز» اى المدفع و

I الواقعة في العشرين من اغسطس وهو اليوم الذي نفى فيه الى جزيرة  
كورسيكا مع اسرته عام ثلاثة وخمسين وتسعمائة والف .

2 انظر الجزء الثانى من الفصل الثالث من باب «الشكل»

«البوغاز» و «القرصان» أى السفينة الحربية ، وهى كلها أسماء تدل على أن الشاعر الشعبى كان يستوحى هجاءه من المعارك الحربية والبحرية خاصة . ويلحق بالهجاء الفخر وما يتصل به من محاولة تعجيز الخصم فى قصائد أطلقوا عليها «السولان» أى السؤال ، وهى عبارة عن احاجى والغاز يعرضها الشاعر على خصمه يطلب منه فى تحد ان يحلها

كذلك تلحق بهذا الفن قصائد تعرف بـ «الخصام» او «المحاورة» ، وهى قصائد مفاخرات ومنافرات على نحو «المدنية والعربية» او «الشابسة والعجوزة» او «الخادم والحرّة» او «الزمنية والعصرية» .

**ومن أدروع الهجاء قصيدة «صارم الطعن»** حيث يتعرض الشاوى لخصومه (1) ، يراهم مجرد حثالات ، يصيحون كالذئاب العاوية ، يلقون بأنفسهم فى المخاطر وهم دون مستوى مواجهته ، ويشبههم باليومة التى تصطنع القوة والبراز ، وبالذجاجة التى تشد ائباز من جناحه :

ريت موكا خرجت متصنعا اللكفاح \* والدجاجة شدت فالباز امن اجناحو  
ظهرت ادياب الغابا عرسو اقلبطح \* ولحتايل بعد الكلبا اليوم صاحوا  
ولكن انى لهم الهرب وقد وقعوا فى قبضة الباز ، كبلهم بسلسلة  
مهتدة غدوا يرزحون فى قيودها ، وسيفترسهم كالاسد ويتركهم مجرد  
شظايا :

لين تهرب قوم الضبعا اوشاق لمراح

\* صادهم باز اغنمهم تحت من ارياحو

لهم اصنعت سلسلا من شغل الهند

\* من عشر ادروع مالكياء معدودا

بكعوب امن النحاس واخراص اعلى الوجد

\* واميا فيها من لعنانق موجودا

دالهادا يتجبد فالغلال واحديد

\* بين خرص لكعوب اعدابها اتزادا

طاح فيهم ضرغم لوحوش فارس البية

\* اتركهم اشظايا مهما ارقى ونادا

(1) الاسف انا لم نوفق للتعرف الى اسمائهم .

وهم عمى ومدعون ومن احط المستويات واقبحها ، ولكن الايام سلطته  
عليهم تأصلت فيهم سيفه ، وهم يعرفون انهم متي وقعوا في قبضته فلن  
يطلق سراحهم :

امن الزبالا للطيفور (1) او مجرا اتبالا

✽ ماشفوا القوم العميا ابشيين فعلوا

سلطتني ليام اعلى اقباح لقباح

✽ كل داعى بالزور ابصرمى انجرحو

كلهم ايعرفوا خبرى افكل مركاح

✽ امن احصل فيدى عمرو لالقي اسراحو

ومهما بكوا بالدم وناحوا بالليل والنهار فانهم لن يرتاحوا ولن يخرجوا

من سجنه الا بالموت :

اسناسلى عنهم مطبوخا افليل وصباح ✽ كل واحد يبكى ويقول يا جياحو

ما يخرجو سجنى حتى اتغيب لرواح ✽ لو ابكاوا دموع امن الدم لارتاحوا

وعنده انه خير للجاهل بالشعر والعاجز عن خوض المعارك ان يعذر

نفسه ويترك الامر لاهله والا يحاول رفع رأسه ، فان المفلوب لا يقدر ابدا

على معاندة غالبه :

من لا يدري الغا او لا يقوى لحروب

✽ يعذر راسوا ولا يخرج امن اترابو

يخمد خمد الدياب بين اوطا واشعوب

✽ ويفارق فاللغا اسيادو وانجابو

واش المفلوب كايعانده غلابو

---

(1) الزبالة المزبلة والطيفور يقصد به شيئان متقاربان ، ففي لهجة اهل الشمال يعنى مائدة الاكل ، وفي غيرها يعنى مائدة صغيرة مقعرة تحمل بداخلها صحن الاكل أو الحلوى أو التمر والحناء أو غيرها . وغالبا ماتستعمل فى المناسبات والولائم الكبيرة . وقد استبدلت فى معظم الاوساط بالصوانى الفضية . وفى كلا المعنيين يدل التعبير على الانتقال من المزبلة الى الموائد التى تعرض أمام الضيوف ، وهو يفيد الانتقال السريع من مستوى وضيع الى مستوى عال رفيع دون استحقاق . وقد سار كالمثل يضرب فى هذا الباب .



ويمزح الهجو بالفخر في أسلوب غير مباشر ، فيرسم صورة مثالية لاشك أنه يقصد بها نفسه ، يبدو فيها دائم السهر من اجل التحصيل والغوص على المعاني والافكار الزاخرة ، يبحث جهد الامكان لارضاء غيره واسكات طنين المتفرعين ، يتجنب الجهلة وأصحاب الضغائن والاحقاد ، ويرافق أهل الفائدة ويجالس العلماء ويصاحب العقلاء يضيئون له الطريق، له اشياخ في كل مكان يطيعهم ويروى عنهم ، وهو بعد هذا يتقلد السيف ويركب السفن معلنا عن استعدادة لخوض الحرب ، وقد ساوت قوة ذراعه قوة اللسان ، أما خصمه فعلى عكس هذه الصورة ، كما يبدو من استيفاماته الانكارية :

آش را من لابات امساهر الجفن \* والفكرا جايدا اغزاخر لمعانى  
بالمفاتنا \* باش ايسود اعلى لوشا فزمانو  
آش رامن لايبحث افجهد مامكن \* واعمل مايترضى القاصى والدانى  
والفراعنا \* يقطع زياز عيطها بوزانو  
آش را من لاهل الطايلا اركن \* واترك فازوايت لهمل هل الضغاني  
والمراكنا \* واعمل هل لعلوم من رفقانو  
آش را من لاليه اشياخ افلوطن \* واروى منها كما اروينا يعلانى  
من اشياخنا \* اقليل الطاعا امزدرى شانو  
آش را من لاجرد صارم الطعن \* ويركب اسفون لحروب وايعطدانى  
ها حنا هنا \* ويكون ادراعو ابحال السانو

ولا يكتفى بهذا بل يزيد فيصف خصمه فى أسلوب مباشر ويشبهه بالنخاعة الملقاة على الارض تدوسها الارجل فى مقت ، بلغت به الخيبة والفشل أن بلل جلد دفه بعد تسخينه ، وتقلد للطعان عصى ظنها رمحا ، وتدرع بالجلد ليقيه ، كل همه مصروف ملء بطنه ، لا يغتر لسانه عن الشتم والكذب ، لا يصول مع غير المغتابين المدخنين ويتملق الحثالات :

كتنخما فالطين \* معفوسا بالرجلين \* والمقت اعليها باين  
فذك جلد اكوالو بعد ما اسخن \* قلد كلمخا وظنها رمح اثمانى  
للمطاعنا \* واعمل جلد ابني القيط اعوانو

همتو مصروفا فعمارت لبطن \* والسانو بالشتيم يصنع وايباني  
 به ماهنا \* واصوابو لعديم زاد امهانو  
 صولتو عند اصحاب الناب والدخن \* يلحس لعماش للحتايل بالعاني  
 كان شافنا \* يكشر ويعرى اعلى تبيانو  
 ابلكنوب اقلبو طاوى اعلى لخون \* تكن مهما ايتوك حر البيزاني  
 بالمعينا \* يتلف فرك اليوم عن جنحانو  
 فهو من قوم الخداع والشيطنة والكبر ، مثلهم مثل الخنافس تسكن  
 الخرائب وتعلق بالاواني البالية ، وقد حنت قفاها وهى تدب يدوسها  
 الناس ، او مثل الذباب يتجمع على جلد لبن فاسد مطروح :  
 هل لخدع واتشيطين \* وانفعا واتعرنين \* لهم اموجد تمونى  
 زيهم زى اخنافس بعضها اسكن \* فالخرب ابعضها ادرج بين اواني  
 باليا احنا \* لتعفيس اقفاه من دبانو  
 او دبان اعلى شكوا من الرغن \* بات البنها وظل من ليهاءانى  
 عافها اغنا \* عنها وارماها اعلى عديانو  
 ويحاول أن يستنتج من الموقف بعض الحكم فيرى فى احياء بالمقارنة  
 بينه وبين خصمه ، ان الزر دخان لاينسج فى الاماكن العفنة وان نبات  
 لحنفة لايشبه التحرير اترقيق ، وأن من عمى عثرت رجله فى قب برنسه :  
 ماتنسج الزردخان فامنازل لعفن \* والحلقا ما شبعت لتحرير الفانى  
 من اعمات ايامو قالوا هل لوزان \* تعثر رجلو افقب سلهامو هانى  
 جيت لاغنا \* نبطل للكهان سحر اكهانو  
 ويروى ابن حمدوش فى قصيدة هجائية يخاطب بها ادريس لحنش  
 أن كل من دق بابه واستغزه لابد وأن يجيبه ويرد عليه ، وأن كل من آلمه  
 ضرسه يصرع ثقلعه ، وأن مايقدمه الانسان من خير وشر ليس غير سلفة  
 لابد وأن يرد ، وأن لكل قول جوابا :  
 من دق الباب \* مايلو غير اجابو \* غر به من جابو  
 من ضراتو الضررسا جا الكلاب (1) \* قالت لعراب  
 الخير والشر اسلوفا كل قول بجوابو

(1) آلة قلع الاسنان .

ويرى محمد الزلايجي ان قول «الدعى» باطل ، وأن سجيته لاتساوى  
بصلة ، وأنه بالجهل يصلى نار الجمر ، وأن سور الدعوى لا أساس له ،  
وانه لابد ان يهزم جند الجهاد ، مهمة كثروا ومهما حاولوا الفرار :

قول الداعى بطل \* \* \* يهزم جند الجهاد اجمعهم لوطالوا  
لويهرب لى عرض او طول \* \* \* من صادفتو مبطول  
وما سجيتو ماتسوا بصلا \* \* \* بالجهل فوق الجمر اصلا  
سور اندعوى مالو الساس ضايع قالوا

صح عنى خذ المعقول

مروى عن هل لعقول

وهو لايعبأ بادعائه وانما يتقن مقاله ليصيب به المقل وينقل كاهل  
الجاحدين :

مايشوشنى قولت قال \* \* \* اولا نعبا بوجوه لمغالى \* \* \* امطرز امقالى  
زنجار افلمقالى \* \* \* والجاحدين لفظى عنهم ثقلا  
ويهزمه دون قتال ويرغمه على الرضى بالقهر والغلب ويقطعه اربا :  
يهزم الداعى دون انصال \* \* \* حتى يرضى بالقهرا عن افصالى  
وانفصلوا فصالى

وهو لا يهيمه الارذال مادام سوره عاليا ، وكل من حفر حفرة لابد وأن  
يقع فيها :

مايهمنى شى لردال

سورى سور عالى

والحافر كايوقع افما احفر فمدالو

أما عباس بن بوسنة فسور دعيه منهدم وشمله مشنتت :

سور الداعى مهدم وشملوا مشنتت \* \* \* راب سور الداعى واتشتت الشمل  
كلما اشتعلت نار الحرب أصابه شرارها بسبب سوء أعماله :  
كل ساعا نيران الحرب تنشعل

اعلى الداعى تزند من قبح افعالو خاب فاعلو

سعيه يخيب وغزله ينحل ، وقد بعث الله له من يجزيه عن افعاله :

خاب سعى الداعى واتحل ماغزل

عن فعلو جاب ربنا من جزالو يوم دازلو

وقع بين اوقايح الزلزلا

وأما محمد بن عمر الكفيف فقد فاز برضى الشعراء ، وغدا لذلك

شجاعا بارعا وعودا فى عين «الدعى» الوغد اللثيم :

أنا زنجار فى اعيون امن ادعا \* قل لليم الوغد الداعى

برضا ناس لقريض حزت اشجاعا وبراغا

وقد كثر الاشياخ التأفهيون الذين لايبعث كلامهم على غير المقت والمثل

يحطون به من شأن الفن ، ولو سكتوا لكان خيرا لهم :

كثروا فزمانا اشياخ الربعا \* اكلامهم ايقوى تصداعى

مهما نصفاه كانمقتو وانمل افساعا

والهرتلا امبخسين السلعا \* اعلى الغاهم اصمكت اسماعى

لو سكتوا خير مايقولوا معنى مبشاعا

ولم يعد فى هذه الصنعة مايليق بعد ان نزل الميزان ، والسبب هؤلاء

البغال الذين فضحوا سوق الشعر فى كل مكان دون حفظ أو رواية أو طبع:

ماباقى مايليق فى ذا الصنعا \* اكلام بالميزان الكراعى

...

فضحوا سوق اللغا ابغال الرتعا \* اشحال منهم املاو ابقاعى

ماحفظوا ما رواوا ماطبعوهم طباعا

ومثل هذا نجد عند مولاي احمد بن عبد السلام العلوى فى القصائد

التي كان يهجو بها خصومه (1) ، منها قوله :

بالداخل بحر المعنى ابغير تبجبال

صغ طرز ابيانى وردات افلخجالى

وقوله :

لاتقى لاشراراك \* يالداعى سيف السانى اطوال

واكشفت اسراراك \* بالمواهب رمحي شظاك

(1) ذكر لنا أنه هجا كثيرا من الاشياخ وخاصة الغالى الذماتى .

وقوله كذلك :

نداك حصولك \* يالداعي مالك منو اسلاك  
قطعت احبولك \* افلعضا نارك تكبت لك

وهي التهجاء المتبادل مانجده بين ابن علي وتلميذه ابن سليمان . ففي  
«ليل الزهو» يخاطب ابن سليمان خصمه بخيره في تحد ان بساطه في  
قلعة غطاءها وفراشتها خير ولكن لا تغطاها غير اقدامه ، فهي نفمة على كل وغد  
قبيح لا يستطيع الاقتراب من العساكر التي تحميها والرقباء :

ابساطنا في قلعا ماتوطاها اقدام

الا اقدامنا توطاها \* صعب اجبالها ووطاها \* الخير افراشها واغطاها  
نقما الكل داسر \* فيها حاصر \* ابلعساكر مادام احياتو  
مايتعدى شى احدودها من دون الرقبان

وقد داس بقدمه على قفا الظالم العاجز الذي غدا كالبومة يخمد صوتها  
الما صرصر الباز الحر :

رجلى اعلى اقفات الظالم \* من لا يكون فارس ناجم \* رانى اعلى لحروب  
املازم

آش اداء لسقارا \* يسوم الغارا \* ابقى اعبارا \* موهون افداتو  
يخمد فرغ اليوم كان صرصر حر البيزان

ويستخرب لجدول الماء يعاند بحر الطوفان ، وللضفادع تترك المستنقعات  
وتخرج للصحراء تقصد غار الشعبان ، ولاهل الوقت يرفعون شأن الكلاب  
الناحية مثلهم ويهملون الاسود :

كيف اجرا للساقيا اتعاند بحر الطوفان

...

او الله رببت الجران كيتعدا مرجاتو

اخرج للصحرا ابغى ايروم الغار الشعبان

...

اهل هذا الوقت لقباح مثل الطاروس ابنيحاتو

رفعوا له اتجاه والسبع ماداروه افشان

ويورد عليه ابن على في «الديب» يذكره بفضله وجميله عليه ، ويكنى  
عن ذلك بقصة يحكى فيها أنه خرج ليصطاد غزالا اذا به يصطاد ذئبا ،  
فأخذه لداره وعطف عليه في حنو واشفاق واطلقه فى روض الازهار وأطعمه  
وسقاه ولكنه لم يرض بالنعم العلية الحلال التى قدمها له وظلت نفسه تتوق  
نجيفة يتهمها فى خربة ، فلم يلبث أن هرب من الدار :

وأخرجت انبرى (1) اغناحيات الصيد غرضى انصيد اغزال  
حيحت لصيادا برنى يصطاد ماتجيب الوجبا \* ماجاب غير ديب وشديتو  
المسمى اديتو فالروح ارثيت له بعد الغلبا \* حنيت لو واشفقت التمريتو  
فى روض ازهارى انلت هذا الديب اشقيق الميوث واشبال  
وجبتلو لحم الضانى نحساب فى امكانى \* يرضى بانعايمى اطعمتوا واسقيتو  
وترنى دخرى ما ارضا بانعايم واللى احلال توكال  
ما كان عيشتو غير الجيفا كان صابها \* فى خربا خلى لك المقلى فى زيتو  
اهرب من وكرى واش وكرى بانى للديب يالعقال  
ولكنه له بالمرصاد يبحث عنه ، وقد وضع له مصائد كثيرة لن يستطيع  
الافلات منها مهما حاول الجرى والحيل والفرار ، والويل له ان وقع فى  
قبضته ، فهو يبشره بحرب لن يقوى على خوضها :  
وانبشروا بحرب الا يقوى له فى اهمومو يغبا \* واشفايت الدياب افتشتيتو  
تعرفنى نبرى جرتو ويلا جيتو له لهوال  
اشحال امن امصايد عندى فامخابعى وكمن خشبا \* للديب ويل بوه ايلا  
جيتو

آش جهدو يجرى ينتطع جهدو واتبور اعليه لحيال  
لم يعترف بالجميل ولم يعرف أن احسانه اليه هو الذى سيحكم  
ويتصرف ويأتى به فى الحال ، اذ ذاك سيسجنه ويقيده الى أن يموت :  
مايعرف خيرى فيه يحكم وايجييو لى الزمان والحال  
واندير له ساجور الهند اسلسلا اتقلها كورا \* حتى ايموت فالسجن ابغيتو

(1) مضارع برا بمعنى بحث .

ويستأنف ابن سليمان هجاء لابن علي فيوجه له «قرصانا» يقول في  
حربته :

هكذا قول للداعي ايدير قرصن ويخرج \* كيف من سافر بين امواجو  
واغنم وانجا

ويرد عليه ابن علي في «قرصان» آخر يغلب عليه الفخر هذه حربته :  
حجب القرصان السبع لمثاني

من عين كل معيان اذا يفها ابحسن اجمال القرصان  
ونقف وقفة قصيرة مع ابن علي في قرصانه الذي خاض به غمار  
البحور عارفا بالخارطة والبوصلة ومختلف الرياح والكواكب فاهما منتبها ،  
ميزانه النظر الذي لايمثله ميزان :  
راكب فوق اللجات قرصاني

فابحور لمعاني صاب الواري وجال فوق الجوج الطوفان  
ونا مدوب وقابض ادماني (1)

ندري انكارطا وامعلم فالبوصلا او حافظها على لتقان  
وارياح اتميز ليس تخفاني  
وكذلك لكواكب نديرها مانشوف اتراكم لمزان  
ابقسطاسي وادماني وديواني

واعلى كل ريح انسافر ماني اغشيم (2) دهرى حاضى لوزان  
عايق فايق بالشوف ميزاني

قالوا هل اللغا فالغاهم ولا ابحال شوف العارف ميزان  
فقد اطلق قلاعهم وقصد عمدا بلاد العجم والديلم والعراق واليمن ،  
وجال في البحور السبعة ، وغاص بحثا عن المرجان والياقوت في مختلف  
ألوانه :

نهضو لقلوع وجلت بالعاني (3)  
لبلاد العجم والديلم واكداك لعراق وبلد اليمان

---

(1) المقود .  
(2) الغشيم : قليل التجربة .  
(3) عمدا .

والسبع ابحور ادخلهم عانى  
ندرى احسابهم وامخير باللى ايزيد واللى فيه النقصان  
جوال عل الوجبات فازمانى  
غواص بين لجات لبحر اصاح صنعتى نصاد المرجان  
والياقوت الوهاج يرضانى  
من كل لون عدت انصيف لبيض والزرق وكذلك اليرقان  
واللون الرابع شابه القانى  
هذا مناصف اخلاكى وقت مانصيف لك اصدور الغيوان  
لم يشاهد أحد مثل ماشاهد وهو يبحث فى أعماق البحار عن الجواهر  
والعقيان والدر واللؤلؤ واللجين والزمرد والزبرجد والعقيق والحجر  
اليمانى ، وقد اجتمعت له فى خزائنه من هذه الكنوز درر مسلوكة فى خيوط  
من الذهب ، كما اجتمعت له ألوان من الاقمشة والحلل والحلى . ثم عاد  
الى شاطئ بلاده فدوت طلقات المدافع يتجاوب صداها فى كل أركان الفضاء:  
من لاشاف اكما شفت باعيانى  
بين اللجوج غير انبرى برجحتى اعلى الجواهر والعقيان  
والدر امع اللؤلؤ شهانى  
واللجين والزمرد والزبرداج والعقيق وحجر اليمان  
واللى يشبه هادوا فتبيانى  
فاخزائنى امد خر من كل ادرار ناصح فاسلوك الذهبان  
من كل انواع اوسقت حجانى  
اوسقت امن اقماش الهندى اوما يماثل فانواع الحجان  
كبلت البر ابلاد عشيرانى  
بامدافع شلا ماجوبت او جاوبو انقاضى من كل اركان  
وما أن وصل الى الشاطئ حتى رفع السنجق ولف القلاع ومد الجبال  
فجاء التحار للقائه وجاء آخرون لايعرفونه يسألون عن المرسى التى قدم  
منها ، وتم البيع والشراء ، وعاد الى مكانه وقد ناداه وقت الفرح والسرور :  
وارفعت السنجق بعد جولانى  
انقيت لقلاع واجبدت احبال مركبى واقلعت النيشان



جأت اجميع التجار تلقانى

واخرين عاد سمعوني جاو ايسولوا شمن مرسى اخرج فلان

بنعوا واشعرو اورحت لمكانى

واللى ابريد حاجا خلصها (1) من اخزاي نو بلغها ثمان

هذا وقت الفرجات نادانى

بالعز ولهنا والسطوا والفرح ولنا واسرور وسلوان

هذا قرصان الا ايلو ثانى

فالبجر المحيط اخبارو عند الدهات من يدريو القرصان

ومثل هذه المساجلات الهجائية ماتبادلها ابن ريسون والغرابلى ،

يبدأها الاول فيوجه لخصمه «الرامى» بعد ان اتقن الرماية وحضر سلاحه

مزودا بالبارود والرصاص وخرج للصيد متوسلا بالمولى ادريس يدعو

الناس للتفرج :

جال عقلى فى ترميت بالرياسا واتمزج \* ساكنى منها فى تهايجو

زايد درجا

درت شميخى مفتاح الغرب صاحب الطبع لبهيج \* هبت الواخد عن منهاجو

فى ذا البهجا

درت رنا مقيو ماياها امن ازناد امزبرج \* فى ايمىنى واللى نحتاجو

من مانرجا

درت بارود امشعر صنعت ايفادا وسنطرج \* ابلحساب وتعبير اصناجو

عقلى صنجا

درت مايكفيه امن ارمصاص فى اوجه لعدا يخرج \* لوخرجت الميدان اهراجو

تكفى خرجا

هكذا قول المن ابغى بالرمى يتفرج \* شارتو يسقطها فابراجو

حاضى مرجا

لقد شمر عن ساعده وخرج للصيد ، فويح للغراب ان صادفه فى الجو

فسيصيه بما لن يعالج منه ، وهو غراب اسود القلب والريش ، دعا عليه

(1) دفع ثمنها .

لمرلى ادريس فلايستطيع الاقتراب من أسوار البرج ، وان حاول فانه سيقع :  
عن اطرافى شهرت اخرجت للصيد ستدرج \* عل لبدا نرعى من راجو  
كنتبجا

ويح نغراب اللى فالجو صار ريشو سار امدج \* لادوا لا راقى لعلاجو  
طير الخلجا

فيه دعوت مولاي ادريس مايروم السور البرج \* غالس القلب امثيل ازباجو  
وعند لفجا

طاح افلفتال المذكور الذى شانو يوهج \* صيدو من عنقو بافلاجو  
فالسج فلجا

ويرد عليه الغرابلى فى «بوغاز» انشاء يحول دون خروج القرصان (I)  
وقد اختار لانشائه بقعة على الشاطئ بين التبال والفجوات ، وأقام مرسى  
بنى أسوارها من الحجر المنجور ، تحيط بها البساتين ، وأبوابها ثمينة  
ليست عند عجم أو خزرج ، وحول الاسوار أطلق الاسود والاشبال والنمور  
التي سمفتك بأظافرها فى المعاندين :

درت بوغازى للقرصان وقت مايزعم يخرج \* تلتقاه نفاض امن ابراجو  
يصدق وهجا

اخترت بقعا على حرف اليم بين اشوامخ والفج \* خلق مانع بفرائن هاجو  
ليس اتنفجا

انشيت مرسى وابنيت الساسا بنيان امدرج \* للصعود اترقات ادراجو  
عز ونتجا

من لاجر المنجور اسوار فاقت المرمر لبليج \* واشرارم كدور افتاجو  
ترمى وهجا

ولبساتن عن ربع اركان وانفاض الكمن برج \* درت خلف السور وتبهاجو  
دور افبهاجا

---

1) يبدو أن «بوغاز» الغرابلى رد على «قرصان» لابن ريسون وليس على  
«الرامى» ولكننا لم نعثر له على قرصان .

ذرت بيان الاهى افسر لعجام وخزرج ❖ كل باب افتقويم ارتاجو  
خزنت خوجا

واحفير اعلى السور ودور ولسود اعلى المنهج ❖ ولشبال افرادو وازواجو  
سكنت ولجا

والنمور فقلوب هل لعناد بامظافر تبعج ❖ من القاوه لتقاه اسماجو  
قطع المرجا

ويجيب ابن ريسون على خصمه فى «المهراز» الذى اقامه فى مواجهة  
البوغاز ، مرفوعا على سور منيع من الحديد ، يصعد له بألف درج ،  
لتنطلق منه على البوغاز قذائف ثقيلة تنسفه وتزعج قلب الجاحد وتنزل  
كالصواعق عليه :

فى اعراض البوغاز انشيت سور مرصود اعلى اللج  
طالع من لحديد ادراجو

ألف درجا

سور مهرازي سور امنيع سام فالبجر امزبرج  
ضن واجزم من راد احراجو

تركو نهجا

قابل البوغاز المخدوع بلعمير يتفرج  
من البومب (I) ايضاى لرتاجو

حتى يفجا

كل بومبا فيها قنطار لجعيد اتزعج  
صاعقا تنزلوا فامهاجو

وقت الخرجا

ولكن الغرابلى يرى أن خصمه بليد جاحد جاهل ، أتلغه الشيطان ،  
فغدا عاجزا عن التفكير والانتاج ، ووقع من أعلى الجبل على حجر صلد  
فتكسر :

---

(1) القنابل والقذائف والكلمة من الدخيل الفرنسى .

ريث قلب الداعي مطموس غلف ابلجحاد امسج

✽ عايهم افجهلو من تسماجو

حلکو ربجا

تلفو شيطانو واحكم اعليه عمرو ماينتج

✽ لوحو بين احياف احداجو

يبهيم ادجا

طاح من جرف اعلى منداف فوق من صلده امزدج

صادف اهراسو من تزداجو

وادلج دلجا

واذا كان يظن انه بالمهراز سينسف له البوغاز فهو مخطيء اذ قد صنع

له «غطاسا» يغوص كالسمك في البحر ، زوده بالمذافع والقذائف والمناشير ،

يهلك كل من صادفه أو اعترضه .

درتلو بابور الغطاس ضد مهرازو لعرج

✽ زى سمك ايغوص ابتمواجو

بين اللجا

ابلمهراز واصواعق والنفاض وامناشر تودج

✽ من القاوه خرقوه اوراجو

فوق الموجا

هكذا من ينشى غطاس تحت لمواج ايموج

✽ كل من صادفو قلب اصناجو

وابقى كرجا

سام بوغازى وارقى فالصعود واخنق كمن فج

✽ اعفارت الجن ابخرق امواجو

خرجت حرجا

من زعم يدخل تحت ارمائتي ابمهراز امكرج

✽ مايهم ابطالى كجكاجو

دون المرجا (1)

---

(1) ذكر لنا الشيخ بنعيسى الدراز أن لهاشم السعداني قصيدة سعى بها

ومن أشهر الهجاء المتبادل مادار بين الغرابلي والتركماني ، وهو هجاء أساسه خلاف موضوعي حول الايمان والعمل ، وهل الايمان وحده يكفي أم لابد من العمل ؟ ويطلق عليه «معارض» أى المعارضة ؛ فالغرابلي يرى فى «الدعى» أن الشهادة وحدها ليست كافية وأن العمل واجب ، فى حين يرى التركماني فى رده عليه أن فى الايمان بالله ورسوله كفاء وخيرا فى الدنيا والآخرة ، وأن نية المؤمن أفضل من عمله • ويبدو أساس الخلاف واضحا فى حربه كل من القصيدتين ، يقول الغرابلي :

يالدعى بالعرف اصغ الهل العلم افما قالوا

الشهادا من غير اعمال ليس تكفى مولاها

ويقول التركماني :

الداعى شهد والشهادا بالله ابالرسول تكفى واكفات وكافيا اوخير

فالدنيا وافلاخرا اكشر \* والمومن نيتو افضل من اعمالو

يبدأ الغرابلي فيرى أن خصمه دخل فى بحر لا يطيق هول أمواجه ، وأنه سار مع هوى نفسه ، وأنه بلغ من الهبل والعمى حتى غره الايمان وزين له الشيطان سوء الاعمال •

ويرى أن كل من صفا قلبه يعمل ، وكل من غدا قلبه مشوبا يستحلى الآثام • لقد أمر الله بالفروض ، فكيف يريد أن يتساهل فيها ؟ ثم ان الشهادة لاتكتمل بغير شروط لابد ان تستوفيها • انه يريد أن يطلق عنانا شدة الله ورسوله ، فهو ناكر شمس العلياء التى أنشأها الله من النور ،

---

الى الصلح بين الغرابلي وابن ريسون يقول فى حربتها :  
الصلاة اعلى الماحى سيد كل مافالحى ادرج \* لمفضل طه وازواجو  
زين الفلجا

وذكر لنا كذلك أن ابن ريسون كان السابق الى هذه الخصومة وأن الغرابلي لم يكن يكتفى فى الرد بالقصائد فقط وانما كان يلجأ الى التمايم ووسائل السحر - وكان بارعا فى ذلك - فتصدى لخصمه بها ويقال ان ابن ريسون ظل من اثر ذلك مدة اثنتى عشرة سنة مقعدا فى بيته مكتوف الايدى الى أن قال السعدانى قصيدته فى الصلح والتمس من الغرابلي أن يذهب عند خصمه ويقبل رأسه • فذهب وماكاد يمسك بيده حتى نهض من مكانه سليما •

يزيد فيتهمه بعدم التمييز بين الحلال والحرام وبأن حياته كلها سفه وفجور  
ويتهان وبأنه لم يجالس العلماء قط :

بالداخل في بحر الا تطبيق لمواج احوالو  
بمساعف لغراضها افغيوان احوالها  
من اهبالك غرك ليمان بالمطموس انجالو  
لك زين شيطانك سوء اعمال وبهاك  
من اصفات امرات قلبو ايدير مايجير حالو  
والذي مارايم لصفا امانتمو يستحلاها  
أمر فرضو ربى شد فيه وتبغى تسهالو  
والشهادا لهاكم من اشروط لاريب امعاها  
كيف ترخف من شد الحق بعد رشكك مرسالو  
النأ كر شمس العليا اللي امن النور انشأها  
يألى مايفرق بين لحزام حتى واحلالو  
عشتك فالدنيا الا افجور وافشر واسفأها

. . .

لا تعاتب قول اللوام حين نصحك باقوالو

يألى ماجالس عمرو هل لفوايد وانباها

ثم أخذ في شرح وجهة نظره والتدليل عليها مبينا أن العمل أصله  
النية ، وأن كل من سمى لشيء يناله وقد خاب من لا يبحث في شريعته ولا  
يعرف مقاصدها ، وأنه ينبغي معرفة ما يجب في حق الله تعالى من صفات  
الكمال وما يجوز وما يستحيل ومعرفة قواعد الاسلام ، من صلاة وصوم حتى  
يقوم الدين ويكمل ، وترد عن النفس مخالب المنكر والفحشاء ، بل انه يطلب  
منه أن يردعها وينذرها ويقهرها ان طغت بحديث الموت :

لعمال أصلو النيا ومن اطلب شى اينعطالو

خاب من لاخبر فاشريعته وحقق معناها

جيب ما يوجب في حق الجليل صفات اكمالو

او مايجوز او مايستبح كيف نبأنا طبه

جيب اوصاف اقواعد ليما نيامضي رسما لـ

اوجيب اوصاف الاسلام كان كنت (1) تقراها

فالصلاة والصوم اتها و قوم دينك واكمالو

اورد نفسك عن فعل الفحش قبل تفرق فاختاها

لومها وانذرهما فعسى اتنال زى اللى نالوا

الى اطغات اقهرها بالموت حق تدخل لجواها

حقا أن الشهادة مفتاح الدين وبدءه ولكن الفرض تمامه وكماله ، والبادئ  
للعمل دون انهاءه كالخارج للحرب وفي يده قبضة دون سيف . فالمسلم  
يقول بلسانه ويعتقد بقلبه وينفذ الفروض بجوارحه ؛ ويخشى على كل من  
فرط في الدين اذا ما حان أجله أن ينسى الشهادة ، فلا احد يضمنها عند  
الاحتضار الا من جاد الله عليه وذكرها وحافظ عليها :

الشهادا مفتاح الدين والفرايض لكالو

من ابتدا لشيا دون اكمال سار حجا فابداها

زى من راد ابقبطا دون سيف يلقي عدائو

واش من مرا للقبطا دون سيف تقضى بامضاها

القول باللسان والاعتقاد افلحديث اكما قالوا

ولجوارح تمثائل من افرض عنها مولاها

كل من فرط فالدين لقويم يوم ايجى اجالو

اعليه ايخاف ايلا يحتاج للشهادا ينساها

ماضمن حد الحد افساعت لمنيا تعطالو

غير من جاد اعليه الله وافتكرها واحضاها

ويستفهم في انكار عن تارك الصلاة او الصيام أو الزكاة أو الحج ان

كانت تكفيه الشهادة فينجو أم لا تكفيه فيحاسب ويعاقب :

جول واسأل فالخمس اوقات امن اتركها مدالو

كان فيه القول او اشهادتو اكفاتو معناها

---

(1) كان كنت بمعنى لو كنت .

جول واسأل من اترك الزكا ولا زكى مالو  
عاش فحرام او اشهادتو اكفاتو معناها  
جول واسأل من اترك الصيام واشروط اكمالو  
كان يتعاقب او اشهادتو اكفاتو معناها  
جول واسأل من وجب الحج بعد زادو فاحلالو  
كان يتحاسب او اشهادتو اكفاتو معناها  
ويطلب منه أن يتوب ويرجع عما مالت اليه نفسه ، وأن يتمسك  
بالتقوى والطاعة حتى تصفو ذاته ، وأن يتخلى عن هواه ويطرد الشيطان  
اللعين الذى يغويه ويزين له المساوىء ويلذذ الشهوات ويتسرب الى داخل  
الانسان ويسرى كسريان الدم فى الجوارح :  
تب وارجع واترك ماريت له لجوارح مالوا  
ولازم التقوى والطاعة تفوز ذاتك بصفاها  
لهوا والشيطان اعداك يالتابع عدالو  
ايبين لك لفضل حتى اتغيس نفسك فبلاها  
اللعين ايلذذ للمومنين شهوات محالو  
افلجوارح يسرى سرى الدم ويسكن فحشاها  
ولا يتركه دون أن يرميه بانجھل والعمى واتباع الشيطان ، ويسأله  
كيف يلقي ربه فى ظلمة القبر ويوم الحشر حين ينشر أمام كل واحد كتاب  
تسجل فيه الاعمال الحسنة والسيئة فيجازى عليها جميعا :  
غأبت اشموسك واهزمها اظلام جهلك باكحالوا  
لادبك الشيطان اعماك زى قومان اعمها  
باش تلقى غبت اللحد ولوقوف وتهوالو  
يوم تزفر جهنم اعلى لخلايق بالظاها  
يوم لاتنفع مرو لاشجاعتو ولا كثر مالو  
فى اصحوفك توجد لسطار دون ريب تقراها  
من ايجى بالسيا بمثيلها امن الله تجزالو  
من ايجى بالحسنى عشرا من المهيمن مجزاها



ويرد التركمانى فيتهم خصمه بأنه حمار ابن حمار ، دخل ميدان المعارضة بالجهل ، حاملا خشبة غير منجورة ولا مسواة ، وأراد أن يتطاول على من لم يكن يعرفه ولا يسمع به ، ويتساءل عن سبب ما نزل به ، أهو مصاب بخلل أم مدعو عليه فى وقت صادف باب الاستجابة مفتوحا ، أم أنه يجنى نتيجة حلف زور أو غضب الوالدين ؟

ياداخل بحر المعنى بوجادى (1) واحمار بن احمار ورافد كلخا ابلا نجير واتبع من لايلو اخبر \* ولاعمر اسمع حسك مدالو واش انت مخلول او صادفت شى دعوا امكنا ساعت لجابا اعلى الضمير او احلوف ابلا اصفا اغدر \* أو من الوالدين سوقك واضلالو ويدعوه الى الاستغفار لو كان مسلما متحققا من الشهادة يراها اعظم من أى عمل • فكم من مغرور ظل يعمل حتى اقترب من الفوز ولكنه تبع نفسه فمات كافرا بأعماله ، وكم من احد ذاق بعد الكفر حلاوة الايمان بقلبه فشهد بالله والرسول وأدرك وفاز واعتبر بفضلها شهيدا ، وكل من قالها لامحالة يسير الى الجنة يوم الحشر ومعه فضل الله ، اذ تكفيه الخاتمة ، فهى تعادل كل حياته :

استغفر لله لونت مسلم وامحقق بالشهادا ماتجعل عنها اكبير أهى من كل شى اكبر \* ولاعنها اعمال يعلى باكمالو والعمل ابكلمت الشهادا أهى به واش من عمل انفع كمن اغريير اخدم حتى شاهد الظفر \* واتبع نفسو ومات كافر باعمالو واكذاك ضدو اشحال من واحد بعد الكفر داق غسل احلاوت ليما ابليخير وانهار اتبرا من الكفر \* اشهد بالله والنبي بلغ اعمالو قالوا مات اشهيد امن افضلها واجميع من قالها افعمرو للجنة لاغنى ايسير وامعه فضل الله افلحشر \* تكفيه الخاتما اتعدل بجالو ثم انه لاينكر الاعمال ولايتركها ولايدعو الى تركها ، ولكنه يرى ان المؤمن مومن ولو كان زانياً أو سارقا أو هاجما أو قاتلا أو مخمرا ، ومهما اعتبره خصمه كافرا ، اذ تكفيه كلمة الايمان • والمومن لابد وأن يتوب مهما

(1) البوجادى بمعنى عديم التجربة •

حاد عن الطريق ، وهو يجبر اذا تاب ولايعدم الفضل طالما أنه محافظ ففى قلبه على هذه الكلمة ، فهى رأسماله وسلاحه وعزه ونصره • وهل ياترى يقبل العمل من حمار مثل خصمه لولا أن الله يستر ويعفو ويقبل عباده ويرضى عنهم بجوده وفضله ؟ :

مانكرت اعمال ماتركتو ولا عمرى انبت حد ايتركو لكبير والصغير  
الا لالايم قلت لو اعذر \* وما فالتغيب امن احكام ابمجالو  
والمومن مومن قلت لوزانى او لاسارق او هاجم او قاتل او مخمير  
نطق اللاييم قال ذا كفر \* قلت اكفاتو السابقوا وسعدت فالو  
والمومن يرجع بعد يدلع ولابد اينال فضل الكلما من لالها انظير  
ويلاتاب المومن اجبر \* ولايعدم افضل حاضى راسمالو  
والمومن من فضلو وراسماتو واسلاحو ونصرو وعز اكلمتو ليمان فالسرير  
يتلها ويحمد ويشكر \* وجعل ارجاء افلمكرم قباليو

• • •

ولعمال اصلا او صوم وازكا واجهاد وحج ياترا يقبال من امثالك لحمير  
والستار يسمح و يستر \* وقبلنا ابجل جودو وافضالو  
ويحاول أن يظهر فضل كلمة التوحيد فيراها تضم سبع كلمات تصد  
عن سبعة أبواب من أبواب الجحيم وألف ، يظفر صاحبها بالنعيم ويبلغ  
الآمال • واذا كان العمل من الفضة فكلمة الاخلاص من الذهب العالى  
العيار ، بل ان الله خلق عمودا من نور لايقربه الا من يقول لا اله الا الله :  
وكلمت التوحيد جاب لحديث اسبع كلمات ضاما ضد اسبع ببيان فالسعير  
والف تغلق باب واظفر \* مولاهها بالنعيم وابلق امالو  
والعمل ايلا ايكون فضا كلمت لخلاص ذهب يبريز امشحر خالطو اكسير  
وافضل ربى مايلو احصر \* سبحان الدايم لغنى جل اجلالو  
عمود امن النور مايلحقو الا من قال لا اله الا الله السامع لبصير  
يهتز العمود ويجهر \* يبردت وسع لفضل ومن افضالو  
وهو يرى خصمه قد ارتكب ذنبا كبيرا لن يستطيع التكفير عنه بغير  
الذهاب لمدينة مراکش مذموما حقيرا حتى ينتهى من أمره بالذبح • فسينادى  
( 27 )

بالنفير في الحمراء وغيرها من المدن والقرى والبوادي ليعلم به ، ثم يأخذه  
للحمام حيث يغسله بالقطران ويخرجه بعد ذلك في موكب مكبلا مغلولاً ،  
ويذهب به الى فندق الجلود ويلبسه جلد تيس اسود ، ويضع له أسورة  
في حجره ، وحزاما بظفائر وحذاء من النحاس الاصفر ليرقص به ، ويتوجه  
بكومة من الريش وعمامة عليها خمسة قرون طرية اللحم ، ويعلق له سبحة  
حباتها من الحلزون ، ثم يطوفه المدينة بالولاول والزغاريد ليرجمه الاطفال  
بالحجر وينكتوا عليه ويضحكوا طوال سبعة ايام ، وان تعب خلالها يعاد الى  
أغلاله ويركب حملاً :

وانصحك ماريت مايكفر ذنبيك الا اتجى البهجت لمدون امبهدل احقيير  
وانجزرك وامثالك ينجزر \* حتى نحتال عن اخلاصك وافصالو  
ونطلق البراح (1) افلمدين الحمرا وافحوزها ويمشى حتى للغرب بالنفير  
فاباد (2) امدان اوهر (3) \* يعلم بك لسلام ويرجع في حالو  
ونا نفرح بك انديك الحمام أليدب ببياض تفسل واتعوم افلغدير  
وانخرجك ابندقا وطر (4) \* ويسديك امكتفا وعنقك فاعلالو  
وندخلك الفندق لبطننا ونفرغ اعليك واحد الكسوا مكمولا اعلى الشهير  
ماقيمتها مال افلعفسر \* من عقروس اشبه القلبك فاكخالو  
وانبايل (5) افجرك طايشين ايماننا واشمال ولحزام امخالف بضفايرواعسير  
والسباط اقدم امن الصفر \* في رجلك للشمطيح ايقل امثالو  
واعلى راسك راينا ازكوا بالريش او عنها اعماما برذيل افوقها اندير  
خمس اقرون الحومها اخضر \* ومن البيوس (6) شى اتسابع يجمالو  
وانطوفك اعلى الشهاد افمراكش بالكف ولولاول وازحام اكثير ولهدير  
ويرجموك اطفال ابلحجر \* واخريين اينيبوك ولا ينظالوا

(2) البوادي .

(1) المنادى .

(3) الجبال .

(4) سبق ان ذكرنا في المدخل هاتين الآتين «الهندقة والطر»

(5) اسسورة .

(6) الحلزون ويطلق عليها كذلك الغلالة وخاصة في لهجة اهل الرباط .

سبع ايام وكل يوم تطويها فالحوما اولا ارزمتي ترجع لغلايلي ايسير  
فوق احمار زند وعتتر \* حتى يجتمعوا الناس ويحتالو  
كذلك كان الفخر عند الشاعر الشعبي جانبا في فن الهجاء وان لم  
يحظ باهتمام المنشد والجمهور ، لما فيه لاشك من انانية وحب شخصي \*  
ومن الفخر ما يذهب اليه محمد بن الصغير يخاطب حساده انهم لن يستطيعوا  
معارضة كلامه مهما اتفقوا ضده ، فشعره يحلو انشاده ويتوق الناس لسماعه  
ويطربون ، فهو غزل صافي سلس رقيق عرف كيف يسلك فيه مختلف  
المسالك والمسارب ، لا يخشى من الغرق ، وقد شيد قلاعا واعتلى القمة :  
قولوا للباغضين قولي ليام اتلاقى \* محال ايعرضو اكلامى لوجاواتفاق  
نظمى يتقال اعشاقا \* اهل الفرجات شوقوا  
غزلى صافى اسليس رتقا \* سالك منهاج كل طرقا  
وايحق امسارب الطروق  
جفنى مضمون من الغرقا \* وامشيد ابلقلوع زرقا  
وازيادا طالع اللقوق

ومنه قصيدة لعباس الحرار يفخر فيها بأنه لا ينفذ صبره عند الشدة  
يوم يضيق الناس وتعبس الوجوه ، ولا ينقطع مورده يسقى جميع الظامئين  
حيث لا وجود للماء ، ولا يغيب نجمه زاهرا مشرقا بنور ثنائه في كل مكان ،  
وبأنه لم يمدح قط ملكا أو طاغية ولم يؤذ أحدا ، ولم يفضح سرا له أو  
لغيره ، ولم يأكل غير أكل شريف حلال ، وبأن شعره لا يخلو من حكمة  
وبأنه ورث الرياسة عن أجداده وأنه لا يفر من مواجهة الاقران :

أنا اللي ماتضايق الشدا صبرى \* يوما تنقأبح لوجوه انا الصبار  
أنا اللي مايزول للظامى نهري \* مورد عذبي فامواطن لامايدكار  
أنا اللي مايزول فلك اسما ذكرى \* يشرق باكواكب الثنا في كل اقطار  
أنا اللي مارفعت باقوايم شعري \* سقطت مالك شامخ او اطغى جبار  
أنا اللي ماكويت مخلوق ابجمرى \* كاتم سرى ولانفضح الحد اسرار  
أنا اللي ما اخلات من حكما جفرى \* مشتمل اعلى قوا ايفادت كل اخبار  
أنا اللي ماتكدر اجواهر ثغرى \* لقت منان لو انجوع اسنين اشوار

أنا اللي وارث الرياسا من بكرى \* من جد الجد حزتها امن دارالدار  
أنا اللي ما اتشاهد اعداى ظهري \* يوما تتواجه لقران لفدى الثار  
وكانت على العكس من ذلك عناية الاشياخ «بالسولان» كبيرة ، وهو  
فن يتصل بالهجاء وتحدى المدعين ، حيث يوجه الشاعر لخصمه جملة اسئلة  
هى فى الغالب احاجى والغاز ، ان لم يحل رموزها فهو مغلوب وعاجز .  
وغالبا ما يمهّد للسؤال أو بالاحرى لمجموعة الاسئلة بمقدمة يخاطب بها  
المدعى او راوى القصيدة ، وكذلك يختم السولان .

فهذا ابن على فى «سولانه» يطلب من راوى القصيدة أن يفخر بالسؤال  
الذى ليس له مثيل :

باسؤالك استفخر يا حفاظى \* اولا ابحال عند اللى عارفين سولان  
ويخاطبه فى القسم الاول يؤكد عليه أن يفخر ويواجه كل معارض ،  
وأن من عاتبه أو اغتابه فكأنما عاتب الشاعر او اغتابه ، ويخبره انه ضبط  
الحروف ورتب القوافى ، ويوصيه أن يقرأ جهرا ماكتب له على كل الناس  
القريب منهم والبعيد ؛ ومن كان منهم يدعى فليجب على السؤال وليجل فى  
معانيه وليشرح جوابه حتى لا يظل مدينا فيشهد عليه العدول :

باسؤالى استفخر واتلق كل من ايعاتب

اللى ايعاتبك كنو عاتبنا

او غتبك كنو غتبنا

او هكذا فالشعر اكتبنا

اضبطنا لك لحروف والقوافى لها ترتيب

اقرا بالجهر ماكتبنا على لبعيد ولقريب

واللى داعى لنا ايرد لجواب

ايحول افلمعانى

ويشرح لسؤالنا اجابو

اولا يعود مديانى

واعليه شاهدين اعدولى

وارضى ايكون مديان

ثم يستعرض له بعض الانغاز كهذا الذى يسأله فيه عن ماهية علم الشعر  
والمواهب وكيف تتسرب للنفوس ، وعن اقسامها التى لايعتبر شاعرا من  
يجهلها ؛ وكل من غاص فى بحر الهوى يجده صعبا الا من منحه الله الموهبة  
ويوصى راويه الا يهاب المدعى بالجهل ، فهو اعجز من ان يأتى بمثل هذا  
السؤال أو هذا الشعر مهما طأل به الزمان :

وانسال امن ادعاو اعلى علم الشعر ولمواهب

واعلى اشمن (1) اسبيل يدخل لجسام

كان تهم فالخلق ارسام

قسموه الفهم اقسام

من لايدريها لايقول شاعر فالقول ايجيب

واللى داخل بحر لهوا بجهلو يلقاه اصعب

الا من ودو ربنا الوهاب

واللى ادعا اعليك ابجهلو بالك تستهابو

ما جاب عوض سولانى

ألو ايعيش هاعاش المرو ولا ايجيب لوزان

ويختم القصيدة بتحذير للمدعين ان عجزوا عن الرد - وهو عليهم

واجب - انه سيبقى دينا فى عنقهم طوال الحياة ، وأنهم لن يساوا شيئا

بعد ذلك ؛ ومن عرف كيف يحل السؤال فليشرح اجابته وليعرف بمصادره

ولينظم ذلك على نفس الميزان :

وانسال من ادعاوا بجوابى واعليهم واجب

ويذا يعجزو عنهم يبقى دين

لجواب الواضح لمبين

طول ما دمنا فالحيين

لاتحسبهم اسواوا وخذلك فالخلطا تجريب

من يفقه لشيئا اكما انشاها علام الغيب

معناوى ياتينى افصح لخطاب

ایفیدنی بشرح اسؤالی فاشمن اکتاب صابو

واعلی اطبوع میزانسی

واعلی اکواکبو وادراجو طرکان هل الغیوان

وللترکمانی «سولان» یقول فی حربته :

اصغ اوجول واتأمل یا انسان \* جاوب اسؤالی کان انت البیب فاطن  
ویسأل فیہ من جملة ما یسأل عن طائر یجول فی البر والبحر دون  
أجنحة أو زاد ، یقطع الارضین فی ساعة ویصعد للسماء بسرعة ، یبیض  
ویفرخ فی البطاح ، رأسه فی ذنبه ، ولیس لعینیه مثل بل له عین زائدة  
وأذنان ، ولكنه لا یسمع الا بوحدة ، ترى ماهو وأین یم ؟ :

عن طیر سلتک ایجول ابلا جنحان بر وایحار

وابغیر زاد اولاً لیہ ابضاعا

ویقطع لرضین افساعا

وللسما یصعد باسراعاً

وایبیض ویفرخ اقلبطح ایمین واشمال

وابراسو فی قزبتو وعینیه ابغیر امثال

بمقعد وبؤدنیه رد بالک

ویسمع غیر بودن وحدا سبحان ذا المواهب

وابعین زایدا ثانی

یندر اوحده ماندری

اکما هو اوفین کاطن

ومن استلته یستفسر عن رأى الشرع فی أمر رجل سافر الی فاس  
وترک زوجته فی القصر ، وفی یوم سفره تزوجها غیره فولدت له ، وکتبت  
للزوج المسافر تخبره بمولود رزق به وأصبح ذا مال ، وتقسم انه لیس  
ولده ولا ولد زنا وتطلب منه ان یلحق بها علی الفور ، فامتثل وحضر ولكنه  
وجد نفسه مغلوباً علی أمره وغریباً بعد ان کان قریباً :

وانهار فاش سافر غیرو خذها

وارجول سافر الفاس اخلی زوجته اقلقصر

اولدت امعاء امن ابطنها  
ولدت اكتبب انراجله  
فالكتاب قالت ولد زاد عندك واصبح ذو مال  
تالله ماهو امن ازنا ولا هو ولدك واحتال  
واقدم بالتكبرا وجسى اتبارك  
وامتائل الرجل امرها واضحا امن المغالب  
من بعد كان دخلانى  
عند الامر ارجع برانى  
والشرع باش آذن  
وبمثل ماختم ابن على ختم التركمانى فقال :  
ياحافظ الفاخذ اسؤال المن ادعا امختصر  
يعزم ابلجواب اويأتينى به  
ويرضى بالغلب اعليه  
ويقبل شرطى وانوريه

أما فى **الخصام** فيتحدثنا ابن على فى قصيدة «العربية والمدينية (I)»  
بحوار رائع بدأته بنت المدينة فرمت محاورتها بأنها كلبة الدوار ربيت فى  
الخلء ، واذكرتها بالقرب تملأها فى الصباح وبالخطب تجمعه فى النهار  
وبالرحى تسهر عليها طوال الليل ؛ حياتها تعب وشقاء ، ورجلها حافية  
متشقة ورأسها عار ، تفترش التراب عند النوم وتوسد حجر الكانون ،  
وشتان ما بينا وبين بنت الحضر تربت مصونة فى بيت العلماء . وأين هم أهل  
البدو الوسخون من سكان المدينة يعمرن المساجد وينصتون للخطب ويعثون  
ابناءهم للكتائب :

قالت لمدينا \*العربيا واش افعالكم تنسأهم  
تربيت لخلأ كلبات الدوار \*آش ايجيك لبنات لحضر واترابى لعلوم  
وانت بدويا \*ما تفكرت لكرب فالصباح تملأهم  
واتحرفى احبل لخطب كل انهار واتظلى واتباتى اعلى الرحى ما طال الديموم

(1) المقصود بالعربية : البدوية .



متعوباً مشقياً \* ارجليك ابلحفا ينشقوا افسرت اشقاها  
والراس ابلعرا عمرو ما يستار وابحال التمود ترقد من جهلك واتقوم  
كحيا مطويا \* بالرفايق كتتغطى بكفاهم  
واتوسدى مناصب كانون النار واتروحي عيانا اعلى التراب ترقدواحموم  
ما فيكم انقيا \* هكذا سيرت هل برا اسواك واسواهم  
شيخيكم لهل الظل والجدار \* وامساجد للخطبا امع الصلا وامسايد وارسوم  
وردت البدوية مشبهة الحضرية بالبومة فى الغار ، دائمة المرض  
لا يغيب عنها الطبيب ، لونها يصفر بدون داء ويذبل من أثر سم جير الجدران  
الذى ينعكس عليها فيجعل طبعها ساما كذلك ، وهى ميتة فى حياتها ، لم  
تخرج يوما الى البادية لتتعرف الى حى محاورتها تحيط به الاشجار ، وتحمية  
الخيول والسيوف والرماح والاشواك من الاعداء . ثم ان العرب موصوفون  
هاكرام للضيف وبالطبع الكريم ، وهم كذلك ينشؤون المساجد ويتخذون  
الخيام كتايب للتعليم ، وكل من زارهم ينال من خيرهم على عكس المدن  
التي لا يوجد فيها شىء دون مسأومة أو شراء :

وادوات العربيا \* قالت المدينيا يالفاهم الفاهم  
خمدى ياشبيهت موكا فالغار \* آش ايحيبك لبنات لعرب واعوالى واسهوم  
وانت بلديا \* شوف لمثالك ماعمر الطبيب يخطاهم  
وابغير ضر كتدبال وتصفار \* سم الجير ايولى اعليك مايثبه لك مسموم  
موتك وانت حيا \* ياللى ماشفت عمرك عربنا ومأواهم  
امعمرين بصوارمهم لقفار \* لوكان اتشوفى حيناً اذا صاكت قوم القوم  
بسروت محضيا \* ابلقنا والدركا يدرقو امن اعداهم  
وامثيلهم من يوصف ويذكر \* هما كرمين الضياف وهل الطبع المكروم  
وامساجد منشيا \* رخيام الطلبا واجميع كل من جاهم  
يمشى ابخيرهم يتشكر تشكار \* واش ادى اللمدون كل شى بالمشرا والسوم  
وعلى هذا النمط تسير المحاورة تتناول جوانب مختلفة من الحياة  
الاجتماعية فى كل من المدينة والبادية . تفخر المدينة بأنها محجبة تحافظ  
على الصلوات وتعيش حياة زاهية منعمة وترفل فى الحلل والحلى ، وتغير

البدوية بأنها سافرة تظل تدور فى الاسواق وترعى الابقار وتقلع نبات  
الدوم ، ليس نها ماتزهى به من النعيم والرفاه والحلى واللباس ، عيشها  
مدموم اساسه الذرة والشعير وعفنها كثير والماء عندها قليل . أما العربية  
فترى أن التقوى موجود فى القرى والمدن على السواء وتعير ساكنات المدن  
بأنهن شر الخلق ، اجتمعت فيهن كل الهوم والسيئات وأعمال ابليس ،  
ساحرات كاهنات غادرات بالاخوة والازواج ، تنفشى فيهن المناكر . وينتهى  
الحوار حين تفخر العربية بأنها من أصل قرشى معروف وأن الله وعد العرب  
بثلاث بالجنة والقرآن والرسول ، وتذكر بنت المدينة بأنها ببغضها للعرب  
تبغض الرسول ، ولكن هذه سرعان ماترد بأنه لولا موقف محاورتها مامت  
العرب بسوء لانها تنفانى فى حب الرسول وفى سبيل حبه تتغاضى عن كل  
ماقات فيها من شتائم وتطلب منها ان تستغفر .

ثم يتدخل الشاعر للمصلح ويقيم لهما نزهة ليسليهما وينسيهما الخصام:  
قلت الهم اعليا \* صلحكم وانزاهنكم كيف كنت نشاهم  
وصالحتهم وقمت الهم انهار \* كيف يشتهاو الباهيات وافجيت الهم  
اهوم

ومثل هذا الخصام نجده عند امتيرد فى قصيدته التى حربتها :  
امى احنا وايلي امى لوريت يافاهم اللغا ماذا صار البنت لحضر والعربيا  
وايلي امى لوريت يافاهم اللغا  
ولكنه يجعل محاورتيه تدعوانه ليصلح مابينهما ، فيتدخل ويرضى  
كلا منهما فيبدي اعجابه بجمال العربية الكامن فى جادبيتها وعيونها الفاترة  
وخدودها الموردة وقدها العالى ؛ كما يبدي اعجابه بجمال بنت الحضر  
الشبيهة بياقوتة فى تاج النصر مصونة فى ابهج المدن .  
ويرى أن الله كتب عليهما هذا الخصام وأنه ليس فيهما مايعاب ؛  
فلم تلبثا أن انشرحتا لكلامه وصفا قلبهما وغدتا تتبادلان اللعب والضحك :  
قالوا مرحبا جابك ربى يافصيح الشياخ اعز الماهرين  
جول اخمم فالحين فارقنا  
قلت لهم حتى عيب ماهو فيكم

زينات زينكم يرضانى

أنت اتبارك الله العربيا

امرونقا مسرارا بعيون نايماسرديا

واخدود فاتحا عكريا

والقد قد صارى

وانت يابنت لحضر

ياقوتا فى تاج النصر محضيا

فى بهجة لمداين صولى ياروح راحتى وهنيا

هاد لغيار جابو ربي

لجواد مايغيبو

حاشا يكفا من لخصام

انشرحو واصفاو لقلوب افرحو

جازونى بخير اجازيت انباهيات ساروا فى حفظ الله ديك

تلعب لخرها لها ضاحكا

ومن أروع قصائد الخصام وأشهرها قصيدة «الخادم والحر» للغرابلى

يقول فى حربتها :

قصا اجرات للخادم والحر ۞ يوم ظلو فخصام اكثير عل المعيار

وفيهما تصف الخادم (1) الحر بأنها كسولة وبخيلة وصفراء وباردة

وثقيلة ومسمومة ، دائمة الشكوى من الاضرار غير قادرة الا على الخصام

والتعجير ، كل من مسها يصير عليلا ويصفر لونه ، أمها ساحرة وأبوها

يقضى يومه فى جمع الاعشاب والبخور ، وان كانت حرة فانها هى الاخرى

قد تعتق وتظفر بالحرية . ثم ان الخادماات يكن فى الدور الكبيرة عزيزات

فيهن العلاج واللذة الطيبة ولونهن يفوق لون العنبر . وترد الحر بأنها

تستحق كل ماحصل ، فقد قبلتها للسخرة وهى كالحماره يحيط بها الويل ،

لا تخرج من المطبخ ، وتضرب بالليل والنهار ، رائحتها كريهة ، ولونها أسود .

وتذكرها بيوم مجيئها فى حال بؤس بلباس وحذاء ممزقين ، ثم انها مثار

شؤم ، كل من اقترب منها يعمى من شدة رائحتها الكريهة . ولم تكتشف

---

(1) المقصود بالخادم الامة .

الحرّة بهذا الرد وزادت فعنفت معها فى القول - الذى سنمئل به - ووصفتها بأنها عجوز بنت عجوز وبأن الله فضلها عليها ، لو قتلتها لما حدث أى شىء ، وأنها قريبة قاذورات وعلقة فى بئر ، طبّاحة تسرق اللحم من القدر ، أمها تكشف عن الحظ فى المحار وتتلهف على القديد ، وأبوها يسعى من دوار لآخر يضرب فى طاسات الحديد ، وأخوها يجول فى الحى ينفخ فى المزمار من أجل جمع قطع الخبز ليبيعها ويبقى بالجوع ، أماهى فكالخنزيرة أو القردة المسوخة . ثم تسألها هى على دين الاسلام ام كافرة ؟ وكيف تم مجيئها جائعة حافية عارية الا من فوطه ائترت بها ؟ وبأية عملة اشتراها التجار أبالملح او الودع ؟ وتذكرها بأنها حين وصلت لم تساو عشر دينار، وكم مرة دللها السمسار ، وكل من رام شراءها يأخذها لتقضى الليل عنده ويصبح وقد تضايق من رائحتها الكريهة وشخيرها الشبيه بالمنشار ، فيردها للدلال ، الى أن قدر لزوجها أن يشتريها دون مشورة . وحين أتت للبيت وجدت ربتة بارزة فى فراش قبتها ، جميلة لابسة افخر الحلى والثياب . ثم أخذت تصف جمالها وبشاعة الخادمة مقارنة بين بياض شبيه بضوء القمر ولون كقطعة من الليل ، بين سواف رائقة للتصفير وشعر مكور كحجوب الابزار ، بين خدود حمراء منقوشة وخدود مشققة كالمندوب عليها بالاظفار، بين أنف دقيق كالبار ، وانف منتفخ كالكير يوقد نار الجمر ، بين شفاه حمراء كالشهد وشفة بعير ، بين نهود صدر كبرتقال فى شجر ونهود كالباذنجان الكبير ، بين أقدام دقيقة وأقدام كاظلاف الحمير . وما ان وصلت الحرّة الى هذا الحد حتى فقدت الامة وعيها ومسكت بحجر وقذفت الحرّة ولكنها اخطأتها ، فحمى وطيس الحرّة واخذت تلطمها وتضربها كيفما اتفق بقفل حديدى كبير . وقام هرج وضوضاء فى الدار ، وكادت ان تقتلها لولا ان حضر الجار وفكت الامة من قبضة سيدها . وحين رجع رب الدار وحكى له ماوقع باع الامة واستراح وعاش بقية ايامه يزهى مع زوجه الجميلة :

قالت افلجواب الحرا مهما اطوال لكحار

سكتى يالنكرا بنت النكرا ❦ اعليك فضلنى ذا لقدر

اولو اقتلتك شى مايجرا

لاش اتصلحي ياكربت لخنز ياعلقا فى بير

طيا با طباخا او سارقا اللحم امن الطنجير

اتقول يما حافظا الكارا

امك ابلودع شوافا واعلى لكديد تسعار

واباك يالقنجارا (1) \* بالقرقا اىطل ايكوع وايدور كل دوار  
اوخوك افلمدينا داير شهرا \* كايسوط افقرن اعشارى افقاع مزمار  
وايدور افلحوم ايلم الكسرا \* ايبيعها وايقل بالجوع بن المطيار  
وانت امثل حلولا فى قفرا \* او قردا ممسوخا ساكنا افلوعار  
اعلى اضنايتك حكم المسخ اجرا \* عيى لى جنسك اسلام او كفار  
واعلى امجيك عيى لى كيف اجرا \* ابلودع ولا بالملحا اشراوك تجار  
جابوك ابلحفا والجوع ولعرا \* ولا اسويى يوم اوصلتى اعشور دينار  
ولاعليك بعد اكشيف السترا \* امتزرا بالفوطا وامتبع السمسار  
واشحال ماتدللى من مرا \* من راد ايقلب عندو اثبات فالدار  
فالصبح كيقول ايولا هي جرا \* بايتا كاتشخر شخرات زى منشار  
وصنان ريحتك خنزين شكرا \* خرجك للدلال وعاد له ماصار  
دلال امن اخواز البهج الحمرا \* اعيا ايهايت وبعدها ابقى افلكرار  
حتى جا المغرور امع القدرا \* اشرا وخلص فالساعا ليس دار بشوار  
وامنين جيت صبتينى مشتمرا \* بارزا فكساوى واحلول زهو لبصار  
وافراش قبتى ماهو فى حضرا \* كل من شاهد زينى دون قيس يعداد  
شوف ابيض لونى كضى القمرا \* شوف لونك كنقطة امن اظلام لسحار  
شوف اسوالف تعجب للضفرا \* شوف شعرك لمركب كاحبوب لبزار  
شوف انقيش عل لخدود الحمرا \* شوف لخدودك زى النادبا بالظفار  
شوف الانف باز ابطحا خضرا \* شوف انفك نحكيه كير واقد اجمار  
شوف اشفايفى كاشهدا حمرا \* شوف دوک اشلاقم لبعير جافتحكار  
شوف انهود صدرى ليم افشجرا \* شوف لنهودك دنجلات دوک لكبار  
شوف اقدامى كن خدلج واطرا \* شوف لقدامك نحكيهم افراقش احمار

تما انرا الخادم رفدت حجرا \* شيرت اعلى الحرا واتقول كلبت الدار  
زكلاتها وحركت لها الحرا \* ابقات تعطيلها بالزكروم دون ختیار  
وما اكلت من طرش ابلا فترا \* عاد رجعت لحسبها بعد بان لعوار  
بالهرج نوضت فالدار الكسرا \* امشات تقتلها لوما كان حاضر الجار  
وفكها وخرجها واتبرى \* حين جامول الدار وعاد ليه ماصار  
باعها وهنا راسو وابرا \* وسار يغنم زهوا اياموا مع الخنار  
ومثلها قصيدة «الزمنية والعصرية» لحسن اليعقوبى ، وحربتها :

آش را من لارا لبنات يوم قاموا لكحار (1)

زوج هيئات اصغار

شابا عصريا وامع الحاجبا فالجورا

وفيها نجد ثريا «العصرية» تتهم هنية «الزمنية» بالامية والتأخر ،  
لم تذهب مثلها للمدرسة ولم تحضر المجالس ، مشغولة بأعراض الناس تثتم  
وتغتتاب ، ولكن هنية ترد بأن محاورتها غير مؤدبة وبأنها مشغولة بدفاترها  
ودهن شعرها المخلوق وتسريحه ، لباسها بعيد عن الوقار ، سافرة الوجه ،  
غارية الرأس ، لاتعرف شيئا عن الطبخ وشؤون البيت :

نسمع العصرية اتقول للزمنية

يا جارتى اهنيا

سمعى منى اخبار

من يوم اسكنت احداى جارا وانتيا فاشفار

يا حسبى لله سالبيا بخصامك جمع لفكار

عمرك ماشفت اتقول شى مدرسا

اولا حضرت مجالسا

ولا اهواتك الدراسا

ايلا اهواتك

بك اعوار الناس جارحا بالسانك

فات لقياس

(1) الخصام .

مشغولا بيا  
اولا العنت شيطانك الشرير  
خوذيني نصفالك تتشتمى فيا  
جهرا ابلا اخفيا  
فالستا تاعت لعشيا  
عند اغروب النهار  
قالوا للمشتاما النار  
بالسانك قلت اعلى الشكارا (I)  
مصحوبا ديما امعايا  
ممليا ابلكتوب عل لفتخار  
سابقا بالمعيار  
كابرا اميا فالسب ولغتب والزورا  
لالك المدرسيا فايقا عل لبكار  
ياتسمعى لخبار  
يالزمنيا غشميا اموخرا للورا  
قالت الزمنيا بجهار  
يا لعصريا هذا عار  
ياك حق الجار اعلى الجار  
ماعرفت كود الهدرا (2) اعلى الشكارا  
قمت كسرا  
وزايدعا اتفلقى ابلحجار  
مخصوصا ادب يالشبانيا  
يارهط البويبا  
مشطونا ابلشعار  
السانك مطلق ما عرفت مونا  
ولا اعجنتك معجونبا

ومع اكنانشك مشطونا  
طول النهار  
أنا زمنيا او حاجبا فى دارى  
وامع الشغال طول انهارى  
ليا اصغاي  
انت ديما امقربا  
صايا فالمحزم امع اقويمجا دون اخفا امجيفك  
اكريفيطا خانقك  
وانعالا محسوب صاندالا  
للخرجا والدخول  
شرع الله امعاك يالعصريا  
مادرت اصواب ليا  
فالشعر امحلقاه تيا  
دون لغراض لقصار  
حتى الراس امع لوجه باين  
لادرا لانكباب  
قالوها مثلا اعلى ابخالك  
خرجى سوق الزحام  
آش اتعرفى فالتبائح  
طجين امحمر ابلفراخ  
ولا ميذا ولا مخرقا  
ولا بسطيلا امورقا  
لاقورما لا محنشا اشغل الدار  
زايداها تعفار  
ما تعرفى لشغال الدار  
حتى دورا  
آش غير الدهنا والراس حالقالو لشعار



## امخالف للآثار

### فالسوالف نظرا

#### ماهى ابحال بتورا

ونجيب العصرية بأنها مهتمة بالتعلم وطى مراحل الدراسة ؛ فلم تجد الزمنية غير التركيز على مظهر العصرية الذي لاتراه لاثقا وعلى معرفة الطبخ وشؤون البيت لاسيما ان جاءها ضيوف فانها تعجز عن تهيبء الطعام وتأخذهم الى المطاعم . ولكن العصرية ترد بأنها مثقفة وأن الطبخ من اختصاص الخادمة التى تتقن كل أنواع الطهى ، وتخبرها بان خطيبها راض عنها تخرج معه وقد تعرفت الى أهله وتعرف الى أهلها . وتدعوها الى ان تخرج من غمة الدار وتصبحها فى فسحة بالسيارة لتزور مدرستها . وتؤكد الزمنية أنها محجبة تتبع العادة وأنها بذلك سعيدة ؛ وهى كذلك مخطوبة ولكن على الطريقة التقليدية حيث لم ينظر اليها خطيبها ولم تنظر اليه بعد ، يقول أهلها انه شاب صغير ومن خيرة الناس ، وقد خطبها فى البيت وتولى أبوها الامر وهو يبعث لها بالهدايا فى الاعياد . ويتدخل الشيخ الجار فيصلح ما بينهما ويصارع الزمنية بضرورة مسايرة العصر ومحو الامية ، وينبه العصرية الى ضرورة تعلم شؤون البيت . ثم يعود اليهما بعد سنة ليجدهما عملتا بوصيته فتحضر له العصرية مائدة اكل شهية وتنسخ له الزمنية أقسام القصيدة .

ومن الخصام المعتاد مانجد فى محاوره بين العروس وحمااتها ، وهى محاوره لم نوفق للتعرف الى صاحبها ، تقول حربة القصيدة :

ماغظمها فالزمان قصا سارت يافاهم لخطاب

بخصام اكثير خرق عادا بين اءكوزا وشابا

فالعروس تعير الحماة العجوز بكبر السن وضعف العقل والغيرة

وتوعو عليها بألوان من العلل والامراض قبل ان تموت ، بضعف البصر

والبرد وداء الجانبين والحمى والمرض الخبيث . فقد انحنى ظهرها وشاب

رأسها وخلا فمها الا من ناب ومع ذلك مازالت نار الرجال تلتهم اعضاءها :

قالت للشايبا اكبرت واهترت يالعايبا

غرقتى اكرفت لعكاز منى يعطيك الضباب والبرد اعلمت الجنباب  
والحمى واخييت يديوك للروضا امعابا

بعد ميخنك ظهرك احنا والراس لك شاب ■ فمك مافيه غير ناب  
مازال ياخلاك نار الرجل فاعضاك تاكبا

وتحييها الحماة لتطعن فى عرضها ، داعية عليها بانقسطاع الرجاء  
فكثيرا ماوعظتها ولكنها لم تنتبه من عماها ، كانت تريدان أن تشتغل فى  
البيت كما يفعل من هن خير منها ، وتقنع بالواقع وتحمده الله عساه تعالى  
يرضى عنها كما رضيت هى عنها عروسا لولدها ، على الرغم من أن طالعها  
بان شرمها على البيت حيث ضاق العيش وارتفع الخير وشاب رأس ابنها  
الشباب ، ولكنها كلبة لاتتعط طالما ان قلبها ميت أسود ، وطالما انها لم  
نستوف دينها :

نسمع فالشايبا ونطقنت ■ قالت للبننت كيتك  
عدفنى عرضك لمشمت ■ يقطع ربى ارجيتك  
اعيت انرايك وانحدث ■ مافقى امن اعميتك  
معنيت اعليك قلت واش انفيقى ياغرت لكلا ■ واتكونى من اهل العرواب  
واتعرف بين الزمان ابعاونو يالسايبا

واتخدمى كيف لالياتك وانقبلى ابما اكتاب ■ واتحمدي عاتق الرتاب  
او طلييه يقبل اعلينا ويهون كل صعبا  
كيف اقبلنا اعليك بعد اعرفنا افدامك الزغاب ■

ملى حضروا الخير غاب

وارضيها ابلقضا وقلنا لاغرب من مكاتبنا

ادويت امعاك باللطافا من جانب رقتنا اصعاب ■

والولد اصغير كيف شاب

نبغيك اتساعفيه واتكافى من دى لمعابنا

وامنين شفت قلبك ميت اكحل امن اغراب ■

والظن اللى انويت خاب

احرام اعليك يالكلبا دينك ابلا امراتنا

وترى العروس فى ردها انها لو لم تستح من شيب الحماة للطمثها ،  
وأن كبر السن معدن كل العيوب وأن الخدمة والكنس لا يليقان بها  
وبمئيلاتها من الشواب ، وأن شغل البيت من واجب الحماة ، فهى تخرج  
بلا لثام ، وعليها ان تنفق فى السوق وتطبخ وتقدم الطاس (I) وتحضر  
المائدة . اما هى فتتعمع مع زوجها فى مجالس الاستمتاع متزينة فوق الفراش  
وعلى ضوء الشمع وأمامهما صينية الشاى يتساقيان فى سلو وتيه وضحك  
وملاعبة . واذا ما شئت الخروج للحمام أو الذهاب لفرح عند الاصهار فان  
العجوز تسير خلفها حاملة لها رزمة الملابس على ظهرها كما تفعل  
غيرها من العجائز :

نسمع فالبنت ابغير دهشا ■ للشايبا وقالت ابصوت الهيب  
ماحق اعليك غير طرشا ■ لولا استحيت امن الشيب  
ولاينى يالشاخشا ■ لكبر معدن كل عيب  
آش ابقى لى اىلا اخدمتك قولى حشمت بالشواب (2) ■

واتهون انشطب الرحاب

ولانرضى انكون لك خادم ياعجب لمعاجبا

انت بعد اىلابقيت سيم الخرجا اىلا نقاب ■

والمقضييا والطيبا

وارفود الطاس يتبع الميدا واعليك واجبا

ونا فامجالس امع ولدك فوق لفراش بالشواب ■

واعلى الماكول والشراب

والشمعا شاعلا افبيتى والصينيا امرتبا

ترا نسقيه ويسقيني بتاى اعجيب افلكواب ■

ترا نسلوا ابلحجاب

ترا بالتيه واخناات منى ترا ضحك واملاعبا

---

(I) آنية غسل اليدين قبل الاكل وبعده

(2) جلبت لهن العار ، من الحشومة بمعنى العار ، وهى كذلك بمعنى الحياء

انهار ايلض لى الحمام واحضور افراح النسب ■  
وايلا كنت امن اللباب

تبعينى ابحال لعكايز بالرزما امراكبا  
وتسير المحاورة على هذا النمط فى تبادل الشتائم ، تحاول الحماة ان  
تخط من شأن العروس والطعن فى أخلاقها ومستوى أسرتها وأن تقنع ابنها  
بضرورة طلاقها لتخطب له غيرها . وترد العروس بألوان من السباب  
تستوحيا من الشيوخوخة وآثارها المادية والنفسية على الحماة . ثم يتدخل  
الولد بعد أن حار فى الامر وكأنه يصارع الف امرأة وبعد أن بكى وقرأ ولعن  
الشیطان ، فينحني أمام أمه ، يدها خلف ظهره وخذفه فى التراب معترفا لها  
بأنه لها عبد ، ولكنها أحرقتة بالحطب والنار ، وذلك جزاء كل من يساعف  
زوجته وتهون أمه عليه وتغلبه نفسه ، وهو يفضل أن يؤدي فى الدنيا  
ويزيل غضب امه ويريحها على أن يظل متابعا فى الآخرة ليعاقب شر عقاب .  
فكان ان لانت الام وحنّت وزال عنها كل كرب . ثم التفت الى العروس  
بحزم ونظر اليها بعينين ملتهبتين ، فاعتذرت لوالدته ورجتها ان تفك رقبتها  
من العقاب وأكدت لها انها تائبة الى الله وأن اسلامها سيتم ويحسن على  
يدها :

طاح الولد يبكى ويقرا ■ ويلعن المارد الرجيم  
ويحك اعمامته ابقهرا ■ وادموعو ساكبا ابيضيم  
واتقول اتلقى ابألف امرا ■ والعز ابوجهك لكريم

اينادى بعد مد ايديه اوراه اوخذ اعلى التراب ■  
العبد اوكل ما اكساب

انا مكسوب عبه يالميما (I) وانت الكاسب  
احرقتنى ياميمتى فالدنيا بالنار ولحطاب ■  
يستاهل امن اخطا وساب  
واسعف امراتو وهان بمو والنفس اعليه غالبا

اللهم انخلص اهنا وانقول اصفنا من لغضاب ■

خاطرك ولا بقى اعتاب

ولا نبقي الاخرى نتعاقب شر لعاقبا

■ حنت وارطابت لميما وزال من خاطري لكراب

واهنا من بعد التعاب

واتلفت افلمرا بقلب امصم واعيون لاهبا

■ زاوكت فمو وقالت لها عتقى رقبا من لعقاب

منفعا واجر والتواب

واليوم انا اعلى ايديك اسلمت ولله تايبا

وقد تتعدد المحاورات فى قصيدة واحدة على حاء ما نجد فى «الخصام بين عشر جوار» لابن داوود ، وهى عبارة عن خمس محاورات ثنائية تدور بين البيضاء والسمراء ، والطويلة والقصيرة ، والسمينة والنعيفة ، والحضرية والبدوية ، والشابة والعجوز . وهى فى الواقع مجموعة محاورات مستقلة لا يخرج الحوار فيها من الثنائية الى نطاق واسع تتعدد فيه الاطراف كما يتبادر من التسمية

تبدأ البيضاء فتفخر بأن لونها كالعاج وجسمها كقطعة قطن فى يد النساج وبأن بين البياض والسواد مثل ما بين الليل والنهار ، والوسخ والنظافة ، وبأن السواد شبيه بالقار :

لوني ابيض اكما العاج ■ بدنى اكما القطن بيدين انساج

بين لبياض وبين لسواد ادراج ■ مثل النهار والنساج

انظر تفكرتك فالثوب المجلوب ■ صاحب لبياض محبوب

وما السواد من راد يتنقى ■ باطل كذاك يشقى

وانت لونك يحكى للقار ■ واديت (I) ياسودا تعاندينى

فتجيبها السمراء بأن لونها كلون الخمر فى الزجاج وكما الذهب يكتب

به التاج ، أما العاج فليست تنقش به غير القباقيب ، وفي البياض خمسة  
كلها بارد وثقيل هي الملح والجير والرخام والعاج والقداد (I) ، تداس  
مبخوسة الثمن بالاقدام ، وليس يسام غالبا غير الاسمر كالعسل والدمام  
والمسك والعنبر والتبر والبرهمان ، ولولا السواد في العين ما نظرت الى الدنيا  
يشرق اكما الخمر في قطعان الزاج ■ نسما وطيبا واعلاج  
وبماء الذهب كيتكتب التاج ■ ونقش لقباقيب العاج  
ماريت افلبياض سوى خمسا ■ معروفين بالثقل ولبراد  
ملح وجير به تكسا ■ وارحام وعاج غاليياض اقداد  
مبخوسين او قلها بخسا ■ تحت لقدام اجرعوا النكاد  
وارفاعت لسوام ⊗ تعرف للاسمر  
شهد لعسل وامدام ⊗ والمسك والعنبر  
والتبر حين يغنام ⊗ والبرهمان لحر

لولا السواد فالعين ■ ماترمقى الدنيا  
وتفخر السمينه بأنها ان جلست اشبهت جيشا وان مشيت تبخترت  
كمركب محمل موسوق ، جمالها شحمها والشحم معشوق ، لاتحتاج الى  
رداء او كساء ، ولحم السمين لذيد في حين ان لحم الميزيل مذموم مردود  
ليس غير عظام وجلود . وأما النحيقة فكالقطعة يبيت زوجها في قنط وهم  
ونكد كأنه يغسل الموتى لايلمس غير العظام والجلود ، وهي تستغرب له  
كيف يذال منها مقصوده :

تمشي مثل المركب الموسوق ■ ويذا نجلس كنى امحلا  
زيني شحمي والشحم معشوق ■ مانحتاج اردا اولا اجلا (2)  
لحم السمين ملنوذ ■ واما لميزيل مردود  
مارج اعظام واجلود

وانت يارقيفا مثل القطا ■ زوجك انراه افقنطا

---

(I) لم يتضح لنا معنى هذه الكلمة  
(2) الكساء

ايبات فلى مرتبا ❁ هايم اهميم منكود  
يغسل الموتى ❁ يلمس اعظام وجلود  
عجبنى وكيف حتى ؟، يبلغ امعاك مقصود

فترد. النحيقة بأنه شتان ما بين الغزاة والناقاة ، وبأن السيف لولا  
رقته ما قطع ، وبأنها لطيفة ظريفة الطبع . أما السمينة فلا طعم لها ، يكفى  
أن يعرق جسمها قليلا ليحمض :

كان هي لغزالا تشبه الجملا ■ او افلحضور اتجلا

...

وامن الرقا السيف كا يقطع ■ ويشطر كل من صادف بدنو  
منى هيا اللطافا ■ والطبع والظرافا  
ياصاحبت لغلافا

وانت باسلا تشبه للزقا ■ تحماض ابقل عرقا  
وتفخر الطويلة بقدها الذى يغار منه البند والرمح ، وتشبه القصيرة  
بكيس كائس لحفاة الملتصقة بارض او القردة تتدحرج فى مشيها ، وتستشهد  
بما يقال من أن الكامل الوافى فى الناس لا يغدر وأن الناقص مستعد للغدر  
وأن الكامل من الثياب يستر والناقص يكشف العورة :

نطقت الطويلا قالت بالشدا ■ مثلى ايصول بالقدا  
منى اغير بين القامات البند ■ والرمح كيف ينحد

...

ومانت ياقصيرا خنشا ■ مثل الفكرون فالتراب يحبو  
فمشيك اتدردب ■ كنك قردا

اسمع قول الناس واستعبر ■ واتأمل فيه انخبرك خبرا  
الوافى فالناس ما يغدر ■ والناقص تزيان لو الغدرا  
والوافى فالثياب كيستر ■ واللى ناقص يكشف العورا  
فترد القصيرة تشبه قامة محاورتها بقامة الزرافة وبأنها تدور  
كالمروحة حين تهب الريح ، وتفخر عليها بأن السهم على قصره يذهب ابعده  
من الرمح ، وبأنها لا تكلف زوجها كثيرا فى المأكل والملبس فيبيت فرحا ،

السهم شبر همدی ■ حصلات کیودی

اعلى الرمح كيعدى

أنا فاكلي واكسوتي نرفق ■ بالراجل وانبيتو فرحان

لَقَصْر فِيهِ انْقَاوَا وَالطَّبْعَ وَالذِّكَاوَا

وانت اعليه اطلوا

وتفخر المدنية على البدوية بأنها ليست مثلها تدير الرحي وتنام على التبن وتخرج للقطف في الصيف وتمخض اللبن ، وتغيرها بأن العرب مكشوفون دائمو العذاب والشقاء ، وتفخر عليها بأداء الصلاة واقامة مختلف شعائر الدين وبنقاء الثياب وستر الوجوه :

ما نطحن ارحى ما انبات فاغبين ■ ما نرقد اعلى اتبن

مانحترقو فالصيف بالقطا ■ ماندحاو امع امخيض شكوات

• • •

لَعْرِبٌ مَكْشُوفِينَ      فَمَا شَقَا أَكْثَرُ وَعَذَابُ

واحنا الصلا والدين ■ وانقاوت لثياب

بوجوه مستورین ■ عن لعیون فاحجاب

وتجيب البدوية بأن جمالها معروف يشار اليه لايحتاج الى ثام او سراويل ، يشرق جسمها كالياقوت أو الذهب ، وهى ليست كمعيرتها صفراء توشك أن تموت شبيهة بأعشاب الظل سرعان ماتذبذب حين تهب الريح . ثم ان سكان البادية يقضون اوقاتهم فى الصيد والحفلات ، يعمرّون الخلوات ويؤمنون الخائف . ومن راح ضيفا عندهم لابد وأن يبيت ، يتنافسوا فى الفروسية واقتناء الذهب والخيول ولا يعرفون غير السخاء والاحسان والكرم والصدق :

العربيا زينها منعوت ■ ماتحتاج الشام اولاً اسراول

وايدنها يشرق كما الياقوت ■ او الذهب النايير الشعال



وإما أنت يالصفرا قربت اتموت ■ اربيع الظل ابلهوا يذبال

...

بالصيد والفرجات ■ كنتقطعوا الازمان

وانعمرو الخلووات ■ وانأمنو الخوفان

واللى ايروح ايبات ■ من سماير الضيفان

نتعاند عل الكادا والمركوب ■ والذهب فوق لركوب

والسحا ولحسان ولكرام وصدقا ■ نزلوا جميع رفقا

ونشخر العجوز على الشابة بأنها لم تعد تلد فأراحت نفسها وزوجها

من هم الرضاع وبكاء الصغار ، طعمها لذيد يشتهيها الذوق شبيها بطعم

التين الذى لا يحلو الا بعد ييسه ، ثم ان القادة والفرسان لا يركبون الجذع

الصغير ويفضلون عليه الفرس المكتملة يذهبون بها للمبيت فى أى مكان :

اقتطعت الولدا واتهنيت ■ واتنها زوجى وصبت امنائى

مانكسب غير الزبون فالبيت ■ ماغندى مصاص ولا زواى

...

طعمى الذيد وابنين ■ للذوق فيه شهوا

...

ماكتراشى (I) التين ■ يحلا اذا يلوا

...

القدوات اضراغم الفرسان ■ افرسان الحرب والحملات

ماقط ارضوا يركبوا الجدعان ■ قالوا لك فامثالهم كلمات

اركب كارج ابيمتك فرحان ■ لاین ماعولت به اتبات

فتجيبها الشابة معيرة اياها بالتجاعيد ، تدعوها للنظر فى عينى

واسنان كل منهما ، وفى جيدها الذى تغار منه الغزالة ، والوجه المضيء

والجبين الواضح وثغرها الشبيه بالشهد وريقها الشبيه بدمام معسول ،

أما العجوز فان طبعها شرس نخر وكذلك قولها والفعل ، كما أن السم

يخالط جسمها ، وريقها مهلك ، ثم ان الناس لا يمدحون غير الفتى الصغير

سواء فى نبات أو مأكول ، أما غيره فيحطب وتوقد به النار ، ومعروف ان

العجائز لا يدخلن الجنة (I) ؛ وان الكبر مذلة ومرض اولى منه القبر ، وليس  
يحمد الكبر فى غير الدنانير :

قالت لها الصغيرا كيف اتشبهنى ■ باكما شك المتنى  
انظر اترا العينك وانظر العينى ■ وانظر اترالسنك وانظر السنى  
والجيد منو غارت الرشا ■ والوجه ايلوح ولجين اصباح  
والمرشف شاهد ويغشى ■ والريق امدام فى اعسل لجباح  
طبعك اقبيح امسوس ■ قولك امع افعلك

السم فيك مدسوس ■ ريقك كيهلك

اجميع ماهو افتى مشكور ■ فاجميع انبات الارض والمأكول  
فالتقاح الارض كلها واشجور ■ كل فتى منها ايصول وايقول  
والشارف يحطب بالشاقور ■ يصلح للنار اشهير معقول  
واللى اعجوز قطعى ■ ماتدخل للجنة  
لكبر فيه امذلا ■ ومرض ابغير علا  
لقبر به اولى

ماهو لكبير املح الا فالمضروب ■ مسكوك اموهوب

#### ملاحظة :

بلغ ولوع الشاعر الشعبى بفن الخصام انه لم يقصره على الاشخاص  
وانما تخيله فى النبات والحيوان والجماد وبعض مظاهر الكون . وقد سبق  
أن عرضنا لخصام بين الورود والازهار (2) ، ونريد ان نقف قليلا عند  
ألوان الخصام الاخرى

فمن الخصام بين الطيور ما يقدمه محمد بن على المسفيوى فى البستان  
حيث يعرض لمحاورة بين أم الحسن والكنار . فأم الحسن تتهم الكنار بأنه

---

I اشارة للحديث النبوى الشريف «اما علمت ان العجائز لا يدخلن الجنة»  
يعنى انهن يدخلنها شابات  
2 انظر الفصل الاول من هذا الباب

يحتسدها لجمالها ويعيرها بين الطيور ، وبأن محاولاته في التقرب اليها  
لن تجديه ، وسيظل جسمه يحترق بنار الاكدار تبدو آثارها على وجهه  
الذابل المصفر من هجره لوطنه ، فقد أصابه الغرور وحضر الى بلدها  
يسعى الى المجد ولكنه لم يدركه ، وهو شقى أسير مقصوص الجناح مسقوم  
الذات ، ومع ذلك يريد ان يبرز عليها ويتفوق :

ابغضتني واشمتني بالعار من لطيور

ليس انفعتك في امحبتى تحزار

مكواك في جسمك نار

ومن لكدار

عن جسمك لون الضنا ولصفرار

ومن لغرور

جيت لبلادى ولا دركت شان

ولا عمرت بك اوطان

فى كل آن

تصفار وتدبال ابلهجر يرقان

.....

طول ايامك افلشقا امع السجنان

أسير عادم الجنحان

حتى لبدان

مسقوما وانت اتعول يا ولهان

عننى اتران

ويجيئها الكنار بأنه يعذر في حاله لان العشق وهوى الفاتنات هما  
سبب الهموم الساكنة في جسمه ، فقد اتى به صغيرا من بلاد العجم  
وأدرك مقاما رفيعا لترنمه بالانغام في أوقات السرور والهناء ، حيث يتصدر  
مجالس الانس كالسلطان تحيط به الفاتنات والفتيان ، يهديهم الحنان  
ويرحبون بأنغامه المتفننة :

دار لهموم لوكان اتعرفى الساكنة افلجسام

فامصايب لعشق واغرام  
بهموى اليريام  
اتعذرى حالى اولا تزيد اكلام  
ليا اتروم  
جابونى ونا صغير من لعجام  
وادركت اعلو وامقام  
طول الدوام  
كانلاغى وقت لهنا اكل انقام  
ولا انام

.....

تلقانى وسط لبساط كالسلطان  
بين اليريام وشبان  
نهدى احنان  
واكذاك فى شغلى ابغيت اليتقان  
قالوا اهـلان

وتنطق ام الحسن بعد هذا تعيره بأن قلبه فى حريق وضيق ، لم  
يجد من رفاقه من يشفق عليه ، أخذ بحيلة وسجن وعزل عن وطنه ، لاصديق  
له بين الطيور ، هائم فى قفصه دائم الظم والجوع متغير الالوان

قلبك امن اجفاك احريق  
وانت افضيق  
ويحك ما صبت اليوم قلب اشفيق  
بين الرفاق  
سجنوك ابحىلا اولا ايليك تدريق  
مالك فالطيور اصديق  
ولا ارفيق  
عن وطنك معزول ماتعرف اطريق

.....

وانت يا عجمى اعلى لبدا ظمآن

بالجوع انخيف عيان

واعلى اللوان تختلف وانت افلققص هيمان

وسط لعفان

ويرد الكنار معيرا محاورته بأن وجهها أسود كقابها ، تخرج فى  
الليل شبيهة بالجان :

وجهك اكحل ابحال قلبك

وايلا ايبان الليل تخرج انت من لظان

امثيل جان

ثم يتدخل السمريس ويصلح بينهما ذات البين

ومن الخصام بين الجمادات ماذهب اليه خيال الحاج محمد بن

عمر المراكشى حيث تمثل حوارا بين القلة والغراف فى قصيدته التى يقول  
فى حريتها :

الخصام اكثير أفاهمين نوضح شلا يوصف ■ والكلا والغراف ■ داروا  
باتنين اخصوما

باتوا فالمعيار مارتاوا اولاهم قصصروا

وفيهما يقول على لسان الغراف يعير القلة دون خوف بأنها غدت زائدة  
لايحتاج اليها بعد ان استغنى الناس عنها بالخوابى التى تملا بالماء وتبخر  
بالعود ، وهى لم تشاهد الركوات المختلفة الاصناف تحمل فى همة وشأن  
متبختره على البغال لتملا وقد وقف عندها الحراس :

نسمع فالغراف ■ قال فاجوابو ولا خاف ■ للكلا فالتعناف

شيطت يامدموما

لخوابى بالما كايعمرو ■ بالعود اتبخرو ■ ماشفت ركوا اولاهم انظرت  
عمرى وقاف

عندو ركوات اصناف

درکوا هما واحکوما ■ دايم عل لبغال كيعمرو ■ بالما يتبخترو

وترد القلة بأنه اولى بالغراف أن يخجل وقد استغنى الناس عنه

بغراريف الخزف والبلور الجديدة (I) المحيرة ، تشتهى العين ان تراهـا  
زينة فى الدور الكبيرة تقدم فى المناسبات . أما الغراريف مثله فملقاة فى  
المطابخ شظايا معيفة :

جاوبت الكلا اسريع قالت هذا الغراف ■ من شيط ياعراف ■ ماجاتوشى  
احشومـا

ماشاف اغراف ادلبديع وبـلار ايحيرو

اعشاقا همما اتشوفهم فيهم مايتشاف ■ موجود غير الناف (2) عند  
الكبرا مفهوما

فى ساعت لفراح بستـا (3) حاشا مايتوخرو

وابحالك ترمى افلكشاعر ماين اشقاف ■ اشظايا حين اتعاف ■ طارت  
منو شلقوما

تركوه استغناو ابـلغراراف الا يتغيرو

ومن أروع الخصام بين مظاهر الكون مايتحفنا به العيساوى الفلوس  
فى قصيدة «النجمة» التى تصور الصراع (4) غايها بين الليل والنهار ،  
يقول فى حربتها :

سمعوا ! حضار ماجرا للضى البهيم

عن حسن النجما اتحاربو فى ساير لاكم

وانصار الضى وحازها الرسمو وانزاح اللوم

وهى فى الحقيقة قصيدة رمز الشاعر فيها بالنجمة للحريية وبالليل  
للاستعمار وبالنهار للوطن . فقد اشتد حزن الليل وبكاؤه وأنيته وطال  
به السهر ، وسأله قومه عن سبب حاله فأجابهم بأنه اختفاء النجمة وعجزها

---

(1) المقصود فى المحاوره الغراف المصنوع من الفخار

(2) الكلمة من الدخيل الفرنسى ، بمعنى جديد

(3) بمعنى زينة وهى من الدخيل

(4) سبق أن رأينا فى الفصل السابق ألوانا من الصراع بين بعض مظاهر  
الكون وخاصة بين الليل والنهار ولكنه لم يكن فيه خصام وحوار  
كهذا الذى نمثل به

له ، واستغربوا لذلك وقد ضم تحت اجنحته كل النجوم وطلبوا منه اسمها  
ونعتها فرد عليهم بأنها الحرية لاتخفى ، يريد أن يذهب اليها فى أى أرض  
أو بحر تكون ، فقالوا له انها كانت من قبل فى القيروان :  
والليل أقرا حزنو من الجفنى ■ كيهدر ويزيم ■ قالوا لو ناسو اشبيك  
خبرنا يالهمام

قال لهم النجما اخفات عنى ■ واهجرت النوم

قالوا لو جمع النجوم ■ تحت اجناحك لفجيم

واتقول النجما اخفات لك يا صاحب لحكام

ورالنا سمها ونعتها لاتبقى مهموم

قال الحريا ابلا اخفا سماها لعظيم

فاشمس ارض اتكون اولمافا بحور رسام

قالوا فالقيروان قاطنا كانت قبل اليوم

وذهب مسرعا الى القيروان وسائر بلاد تونس فلم يعثر لها على اثر ،  
وبعث جواسيسه يبحثون عنها فى كل مكان ، وطالت به السنون ينتظر  
وهو مهموم حزين . ثم جاءه الخبر بانها فى حوزة النهار حيث يوجد سلطان  
فى المغرب يمتطى جوادا ملجما مستعدا بجيشه للقتال . فتاقت لها نفسه  
وهيأ جيشه كذلك ، وكانت مقابلة كاد فيها سلطان النهار ان يأتى على الليل  
بسيقه ، وخاطبه بأن طالب الحرية ينبغى ان يكون فارسا مقداما وانه هو  
صاحبها منذ اليوم :

جاو الجساس جمع قالوا لو يالغريم \* جينا خبر النجما انتيا فارس ضرغام

حاجبها مير الضيا افرسمو وانت مغموم

اوجدنا سلطان فالضيا دون شكا فالغرب امكيم \*

وجندو للحرب واجدا بالرماح ولحسام

واهمام الضى اشجيع عن اجوادو امسرح ملجوم

قال السداج ابغير توقار \* لا بد ما نهور النجما بسقارو

لوطال الحرب اقليل وانهار \* عندى اجنود هما للحرب اصهار

قام الضى ابسيف بتار \* واهوا على الداج كاد يقطع اتارو

واخرج سلطان الضى للوغى ندا يا لبهيم \*

من راد الحزيا ايكون فارس حربى زظام

انا مول النجما اليوم ولا من بعد اليوم

ورضى الليل بالهزيمة وسلم أمر النجمة للنهار الذى عفا عنه وامره

بالرحيل ، ولكن الليل امهله ورجاه أن يكون له عبدا يخدمه فى كل شىء ،

فوافقته النهار ، على أن تعقد بينهما شروط تحدد مدة اقامته وتعود على

البلد بالخير (I) :

انطق الداج وقال للضى انا لك اخديم \* وانتظم لحوال كلها كعادت لغلام

أمر بجميع ما تريد انفعلو محتوم

وادوا الضى وقال للدجا هذا الامر الزيم \*

خبرنى لصلاح ارضنا شيقذك من عام

قال هك هوام ياما بالشرط المبروم

ولكن الليل لم يلبث ان تنكر للاتفاق وغدا يحشد جيوشه ويقوى

مركزه فى الساحل والداخل ويكسب له اعوانا يتقوى بهم ، فما كان من

سلطان النهار الا أن ارسل له كتابا يستفسره عن هذه الحشود ، فأجاب

الذيل بانه يسعى بكامل استعدادده لحيازة النجمة التى طالما بحث عنها

ولاقى الهموم والاهوال فى سبيلها ، ورد النهار بان نجم الحرية فى أرضه

مند الف عام كما يشهد التاريخ :

احرك الليل وجا على لبحر كيرحل ويقيم \*

وانزل فالساحل كيف ماذكرت وزاد القدام

واعمل صدقان احدها واصبح شملو ملموم \*

واخرج سلطان الضى فى امجال كفجر ابسيم

وارسل للداج اكتاب بالصواب وحسن لنقام \*

قالوا شتريد افأرضنا لاش اجمعتى د القوم

وادوا لبهيم وقال جيت للنجما بالتقويم \*

هذى مدا جوال عنها فالعرب وعجام

واحجبتها عنى وحجتها خلانى مهموم \*



خبرنا بالنجما الى اعشقتى حتى نفهام \*  
وانطق سلطان الضى للدجا قالوا يالئيم  
قال الحريا اغرامها فى قلبى مرسوم

قال اهمام الضى للدجا ياك الكذب اذميم \*  
نجم الحريا افارضنا هذى الف عام  
طالع لتاريخ الغرب شاهد اعلىنا كم ارسوم \*

وهيات الظروف لديل فحكم بسلطانه البلاد مستوليا على خيراتها  
طاغيا ومتجبرا ، يقتل ويسجن ويطرده ويشرد ، واحس النهار بقومه ثابتين  
واعين لقضيتهم فدعاهم الى ضرورة الاستعداد للانتقام وتخليص البلاد من  
الديل الخائن ، فاستجابوا ، طائعين لاوامره واعتبروا انفسهم حماة الشعب  
مستعدين للتضحية بالارواح . واعترف لهم سلطان النهار بهذه الشجاعة  
المعهودة فيهم يوم البراز . ولكنه نصحهم بان ينهضوا للتعليم وان يطيعوا  
رأى زعيمهم :

فاق اهمام الضى بالدجا خوان امن اقديم  
واثبت اليخلاص امن اقوامو وافجا لغيام  
واعرف ما دار الدجا من مكر لله مضموم

واخرج من الحجاب للكباح المحرم تعزيم  
شار اعلى قومو الخالصين ايشدو لحزام  
بلسان الحال ادوا وقال لهم اليوم اليوم

قائوا قوم الضى لاحفا قولك قول احكيم  
احنا لك ارعيا ابلا اشتر الركابك خدام  
امرنا واتشوف منا ما يفجى لهموم

نحن حماة الشعب دون شك خدام واخديم  
نحن لشبال اشهود عندنا فالتاريخ العام  
ليس انبخلو بروحنا اعلى ذا الشعب المضيوم

قال اھمام الضی للرعیاء بلسان اھلیم  
ندریکم افساعت لوغامما تخشواو آلام  
انتم المخلصین امن الصبا مانا جاحدکوم

لکن خذوا وصیتی نهضوا للتعلیم  
تبعوا رأی الزعیم صاحب الفکر واهتمام  
ھدی روحی وأرواحکم ھذا العارف یا قوم



## الفصل الرابع

في

حمى الله والرسول

ليس غريبا والشعر الشعبي مرآة تنعكس عليها نفس منشئيه ومردديه ، وان فى غير وضوح وصفاء ، وليس غريبا كذلك وهذا الشعر يقوم بوظيفة — ولو محدودة — فى نطاق التوعية الروحية والتعبير عن شعور الجماهير الدينى ، أن تكون الملائح النبوية والتوسلات من أغنى الموضوعات التى شغلت ذهن الزجال المغربى وملأت قلبه وعقله . فافاض فى القول كاشفا عن خالص حبه للرسول عليه السلام ، مادحا ومصليا ومتوسلا ، ليس له من غاية غير زيارة قبره والتملى بمشاهدة نوره عساه يكسب عطفه وينال شفاعته ويحشر فى زمرة يوم القيامة .

وقد سبق أن رأينا فى أول الفصل السابق أن الشاعر الشعبي ابتعد عن فن المدح الا ما كان منه فى الرسول عليه السلام فانه انطلق فيه ، الى حدان تسمية المدح أو «المداحى» لا تعنى عنده غير المديح النبوى .

ولم يكتف الشاعر الشعبي بارتضاء القول فى المديح النبوى ، وانما جعل منه فنا قائم الكيان ناضج الصور مكتمل الخصائص ، تناول فيه سيرة الرسول بما فيها من صفات وشماثل ومعجزات ، عرض قصصها فى قصائد أطلق عليها المعراج و «الخلق» اى ميلاد الرسول ، و «الوفاة» يعنى وفاته عليه السلام . وقد يتناولها عرضا فى قصائد التوسل والقصائد التى سماها « هول القيامة » حيث يتحدث عن شفاعته الرسول فى أمته ، وفى قصائد الحنين الى البقاع المقدسة والشوق لزيارتها ، وهى قصائد يمتزج فيها ذكر هذه الاماكن بالحديث عن الحب والوجد . كذلك غدا التوسل غرضا مستقلا مقصودا لذاته مستوية معانيه ، وان اتى عرضا فى قصائد المديح .

وكما حبذ مدح النبى فكذلك حبذ مدح ابنته فاطمة وحفيديه الحسن والحسين ومدح الاولياء والصالحين تبركا بمقاماتهم وكرامتهم وتوسلا بها الى الله .

وكانت المواسم الدينية - وخاصة ذكرى المولد النبوى والمولد  
الطريقى - أعظم مناسبة لانشاد هذه القصائد . وكان ضريح سيدى فرج  
بفاس ، منذ منتصف القرن العاشر (I) حتى اليوم ، من اهم ملتقيات  
حفاظ الملحون فى ذكرى مولد الرسول ، تسرد (2) فيه القصائد التى تحكى  
قصة السيرة وخاصة منها المطولات التى يندر تداولها ويقل اقبال الناس  
عليها ، والغالب ألا تلقى فى هذا المحفل غير قصائد كبار الاشياخ أمثال  
المغراوى والنجار وابن على وغيرهم من أعلام الفن .

### حب الرسول

عبر الشاعر الشعبى عن حبه الصادق للرسول ، فبدت فى تعبيره  
بعض سمات الحب المعروفة فى شعر الغزل والفراق والهجر والحنين والبكاء،  
تعلوها مسحة من روحية المعنى وسمو العاطفة ، وتتخللها بعض الانفعالات  
والمواجيد البسيطة الساذجة .  
فحب الرسول عند النجار علاج للقلب لا يستطيع طبيب أن يداوى  
بغيره :

يا مسعدنا به حب للقلب \* اعلاج لا امداوى من غير ادواه

اشتعلت نار غرامه واتقدت فى صميم مهجته فلا يطفئها موج البحر  
الزاهر لو فاض ، وبكت عينه من الشوق حتى رسمت دموعه سطرين  
على الخد ، وغاب النوم عن عيئه فى كل وقت ولم يعد يستطيع الاكل من  
النسيم والهيام ، وهو يطلب ممن كواهم الشوق مثله ان يعذروه ، ويبرجو  
أن يمنح نظرة فى الرسول نور الحق السامى لانه علاج دائه :

شعلت نار اغرامسى \* واكسات فى اصميم امهاجى قبل الصيام

موج البحر الطامى \* لو فاض لاطفاها بالداجل والديام

---

I انظر الفصل الاول من الباب الثالث لدى تعليق على قصيدة ابن عبود  
المعروفة بـ «الحربى» .

(2) انظر الفرق بين السرد «السراة» والانشاد فى المدخل .

واكتب دمع انيامى \* سطرين فوق سجن (I) الوجن لهل لمام  
 بعد اجفيت امنامى \* فالضى ولغياهب واضحى قوتى اصيام  
 عدرونى فهيامى \* أمن الكواو كينى واكماو اعلى السقام  
 نرجا طب اسقامى \* وانجنع النظر وانفوز بطيب لمرام  
 نور الحق السامى \* صلى اعليه ربي وعلى آلو اكرام  
 وابن على فى « جل الصلا مهديا » يعشق الرسول ومقامه منذ صباه،  
 ولكن البعد يكيد له ، فهو فى حالة يرثى لها من شدة السهر ، وقد حطم  
 الفراق جسمه وأوهن قلبه ، وفاضت دموعه حتى ان غرفة منها تفوق  
 الامطار . وعبتا حاول أن يخفى هواه ، فان عليه شواهد تكشف عن اسراره  
 الدفينة ، اذ لا ينفع فى الهوى كتمان . وعرف أهل الغرام داه ، ولكن لا  
 علاج له غير زيارة كنز غناه ومنبع سروره وسلواه :  
 عشقى امن الصبا فمقامو والبعد كد لى والبين  
 لحال حالتي مدالى نرعى اكواكب الديجان  
 هد لفراق ديوان اسيارى ولخبير (2) صار اوهمين  
 غرنا امن ابجور ادموعى ولا اعوارض من امزان (3)  
 اشحال ما خفيت اهوايا والبين افلمهاج اكين  
 خبرو اشواهدى بسرارى ما فاد افلهوا كتمان  
 وهل لغرام عرفوا ديا مالى اطبيب فالبرين  
 الا اوصول كنز اغنيا هو السرور والسلوان  
 ويعبر ابن الوليد عن حبه للرسول بأن فيه عز روحه وهواه :  
 آه اعلى بهواك \* يامن روحى فهواك عزها واهواها  
 وقد تمكن الغرام من كبده وسكن الحب جسمه ، وهو حب خفى ،  
 ولكن مرضاه كثيرون ، اصابه فشقيت أعضاؤه وحرمت عيناه النوم ، يقضى

(I) فى الفصحى : السحنة بفتح الحاء بمعنى الهيئة .

(2) الاسيار الدواخل والخبير القلب .

(3) اعوارض امن امزان اى سجب ممطرة ، وهى كذلك فى  
 الفصحى اذ العوارض ج عارض وهو السحاب الذى يعترض فى الافق ، أما  
 امزان فجمع مزنة وهى السحابة البيضاء او المطرة .

ليله من الاشواق فى مصارعة الافكار والهواجس ، عيناه ترفرفان وجوارح  
قلبه ترجو الوصال :

وانت الى اغرامك ذك تطنابو اعلى اكبادى  
والحب ولمحببا سماكن لعضا  
واخفا وكثرت المرضى  
صعن واحرمت الغمضا  
اشاق لعضا

وانبات امن اشواقى فالداج نصرع لعزايم  
والغير فى امنامو متهنى كيبات نايم  
عينى اتبات رفرافا  
واجوارحى وقلبى ترجا لوصال ليل وانهار

والحراق يخاطب محب الرسول ان يفنى فيه اذا اراد أن يتم له  
الوصال ، ويشهد نور الحضرة المحمدية ، ويرقى سعده على جميع الاكوان  
حتى يغنيه عنها بنظرة واحدة . فمن كان هذا الحبيب نصيبه فهو يشفى  
من كل الاسقام والاضرار ، وتشرق شمسوه واقماره وتأتية البشائر فى  
كل وقت وحين :

يامن ابغى اوصال احبيبو \* افنا اشفوف نور الحضرا  
وارقى عل لكوان اتصيبو \* يغنيك عنهم ابنظرا  
من كان ذا لحبيب اتصيبو \* من كل باس حالو يبرا  
تشرق افلقلوب اشمسو واقمارو \* واتجيه افكل وقت ابشارا

اما الغرايل فيشقى عقله من الحب ويشتعل جمره فى ذاته ، ولو  
فاض موج البحر لما اطفأ نار اشواقه . من ذاق طعم الهوى ينصفه ومن  
لم يذق لا يعذر ، ليس به غير حب الهادى ضوء عينيه ، فهو يتمنى أن  
ينظر اليه :

آه اعلى بلحب عقلى شاق \* واجمار البين اكادات فسفاقى (I)  
ألو فاض ابموجو بحر دفاق \* محال ايبرد نار لشواقى  
ما يعذرنى فهوى من لا ذاق \* والى ذاقوا يعطوا تحفاقى  
بما حب الهادى ضى لرماق \* هل نظرا فبهام برماقى

(I) اتقدت فى دواخله .

وعنده ان حب الرسول ملك الروح والعقل والاحشاء والاكباد ،  
وترك عيونه ساهرة ودموعه سائلة ، وليس يتمنى الا أن ينال غاية مراده  
ويرتاح مزاجه المكدر ، وهو مملوك يريد ان يكون فى كنف سيده حتى  
يعيش فى رغد وهناء ، بل انه يهرب من أخطائه يريد اللجوء الى حماه كما تفر  
من اعدائها العيس والغزلان :

حبك املك الروح ولعقل واحشايها واكبادى \* وانجالى (I) بدموع ساهدا  
هل يا مدرا انال بها غايت امرأتى \* وتتريع اخلاكى الناكدا  
آش ايلا المملوك دون سيده فحماء ايفادى \* دينال العيشا الراغدا  
اهروبنى لحماك امن اخطايا ما هرب الشادى \* والعيس الى ظلمت لعدا  
واما الفلوس فحب الرسول عنده فرض على المسلمين دائم باق ،  
به يروق أهل الايمان ، وهو رونقه وحلته المنمقة ، وهو يقوى شوقه ويروى  
المشتاقين ، بل ان حبه كان سابقا لوجوده مسجلا فى صحيفته بقلم القدر .  
ويرى أن كل من لا يملأ قلبه حب الرسول فهو عامى الابصار غارق الذات  
فى بحر اللهو ، هائم فى الشقاء ، تمزق ريعه أعضاء :

حبك فليسلاام فرض باقى عن كل اخلاقى \* به هل ليما رايقا  
حبك يا عين لوجود عندى هو روناقى \* واحلول اكساتى امنمقا

...

حبك يا سلطان كل تقى قوى تشواقى \* به اروات اقوام شايقا  
ونا قبل انكون كان حبك سابق فوراقى \* بقلم القدرا الصادقا  
قلب الا سكنو احوالك باقى عامى لرماقى \* داتو عل ليام غارقا  
فلجوج اللهو لقصيف حتى هام افلشقاى \* واعضاء ابريحو امزقا

### اوصاف الرسول وشمائله

وانطلاقا من هذا الحب الصادق العميق غدا الشاعر الشعبى يستعرض  
أوصاف الرسول صلوات الله عليه يقتبسها من شمائله وخصائصه المعروفة.  
فهو عند الحاج اعمارة غاية الجمال الهاشمى القرشى المدنى ، حبيب الله ،

(I) العيون وأصلها فى الفصحى من النجل بفتحيتين سعة شقة العين.



وقرة الابصار ، وعين الهدى الهادى ، ومصباح الانصار ، وعين الرحمة ،  
وسيد السعوىين :

زين الزين الهاشمى القرشى محبوب البارى  
المدنى قرت لبصار  
محمد عين لهذا مصباح انصارو  
عين الرحما سيد امن اسرا  
وهو عند المغراوى فى « عين الرحمة » سيد الرجال المصطفى صاحب  
الشفاعة والخاتم :

ازغرتى ازغرتى (I) اعلى المصطفى سيد الرجال  
عين الرحما صاحب الشفاعة والخاتم طه  
وهو جميل الملامح مشرق الانوار ، المخصوص بغاية الكرامة ، جعله  
الله رفعة وشأنا وبعثه رحمة :

هذا عرس اضيافت النبى محمد زين لحروف صلى الله عليه  
لازم اعلينا انجمدو اسم القيوم ابدى لكوان  
وانصلو اعلى الرسول شارق لنوار انبيننا  
المخصوص ابغيت لكرام جعلو رفعا وشان  
من بعثو رحما اوجاد من فضلوا به اعلينا  
وهو تاج المرسلين وخاتم الانبياء الكرام ، قدره كبير لم يحصر  
وصفه اكبر العلماء ، سبحان من خلق صورته وكساه الحسن والكمال ،  
ومنحه الحرمة وعلا درجته الرفيعة . والنظرة الى جماله لا تغدى بمال ، وكل  
من عشق غيره لم يجن غير الهول واللهو :

من مدحو يدخل تحت ظل يوم القياما  
لنو تاج المرسلين وانهايت لنبيا لكرام  
قدرو اكبير ما تنهى وصفو علما  
سبحان من اخلق صورتو واكساه بلحسن الكمال  
اعطاء الحرما

(I) زغردى (انظر آخر نص بهذا الفصل) .

ادرجتو العلياً علاها

نظرا للعشاق في اجمالو ما تفديها امال

هول راسو كل امن اعشق غيرو كيتلاها

وهو عند النجار سيد الدنيا ووجهها ، صاحب المعراج وخير الاولين

والآخرين ، ليس يشابهه أحد :

والغدار اجفيه واعلم سيد الدنيا اوجهها من لا حد سموه

طه مول المعراج خير من ياتو والى فاتو

انه المفضل طه خير الانام :

نحسن به اختامي \* محمد لمفضل طه خير الانام

لا مثيل لجماله ، ومادحه لا يخيب ولا يهمل غزله :

حسنو مالو ثاني \* حاشا ايخيب مداحو غزلو ما يبور

وعند النجار كذلك انه صاحب التاج واللواء والخاتم ، وانه سيد

الابرار ومشرق الانوار :

لمفضل سيد لبرار \* طه شارق لنوار

صلوا الى المختار \* محمد مول التاج واللوا والخاتم

ويصفه ابن علي بانه صاحب الكرامات خير النسب على القدر :

وانثنى بصلات لمفضل محمد صاحب لكرام بن عبد الله

خير النسب اوعلى القاسر

وهو الشفيع الذي جاء بالفرقان ، وعين الهدى وسيد البشر :

صلى الله اعلى اشفيعنا من جا بالفرقان عين لهدا رسول الله

يا عشاق افسيد لبشر \* عيننا في اصلات لمفضل طه

وهو عين الوجود ، لولاه لما كان آدم او اى مخلوق ، ولما وجدت

ارض تسكن او قفر خال ، لولاه لما أرسى الله الجبال ولما وجدت بحور

بأمواج تصوت كالرعد ، وبعجائب في أعماقها تفوق لكثرتها ما فوق الارض

وما يغطيها من موج ، لولاه لما كانت السماوات والافلاك تملأها الملائكة

تسبح بحمد الله دون انقطاع ، ولولاه لما كانت الحجب والكرسى والقلم

والعرش :

لولا عين لوجود ما يكون آدم ولا يكون حتى مخلوق امعاء \*  
لا ارض اسكان لا اقفر \* ولا كانوا اجبال لجليل ارساها  
لولا عين لوجود ما تكون ابجور ابلماج كرعود اتزكلم بمياه \*  
واعجايب فوسطها اكثر \* من فوق الشرى او موج اعطاها  
لولا عين لوجود ما تكون اسماءات اكل فلك منهم بملاك املاه \*  
مشتغلين ابدا ابلا افتقر \* في تسييح نله بصوات الغاها  
لولا عين لوجود لا حجوب الاكرسى ما يكون قلم ابأمر و نهاه \*  
سبق باسم الله فالسطر \* واسم عين لوجود مقرون امعاها  
لولا عين لوجود ما يكون العرش افعطمت استعجب مهما تنشاه \*  
خلق الحى عالم الامر \* ايسبح ادوار به دارت معتاها

ويستعرض ابن على بعض خصائص الرسول ومعجزاته ، فهو صاحب  
الشفاعة ، وهو الذى انشقت له الارض وحضرت الملائكة بين يديه ، وهو  
المؤيد بالعز والنصر ، رضى الله امته للنعيم ، وهو الذى كانت تسجد  
الملائكة لضيائه كوكبه حين يسطع ، وهو صاحب الاسرار والمعجزات من صفوه ،  
دانت له النخلة ليحبنى ثمرها ، ونبع الماء بين اصابع يده ليسقى جنود جيشه  
وقد اطعمهم من صاع تمر ، وفر اليه الغزال وكلمه الضب ففهم كلامه وآمن  
برسالته ، ودخل الغار مع رفيقه فستر بابه بنسيج العنكبوت وعشش الحمام  
وشجر اليقطين ، وغرس عودا نخرا ذابلا فعاد بذكر اسم الله مخضرا وانبث  
ثمرا طيبا :

هذا هو صاحب الشفاعة نهل الذنوب لكثيرا واعدو بها مولاه  
داخل حرمو ما يشوف شر \* ونامنو اطلبت للروح افداها  
هذا هو من انشقت اعليه الارض اجات لو املاك ابأمر امن اعطاء  
لمؤيد بالعز والنصر \* اماتو فالنعيم لجليل ارضاها  
هذا هو من كانت لملاك تنظر كوكبو حين يطلع تسجد لضيائه  
ويولى ايغيب عـل لبصر \* سبعين الف سنا ويطلع فوقها  
هذا هو صاحب لسرار امع المعجزات له ظهوروا من حـال اصباها

يوما كان افجالت الصغر \* له النخل ادنات بتمر واجناها

صلى الله اعلى من انبع من بين اصباعو الما اسقا جيشو بعد اظما  
واطعمهم من صاع امن اتمر \* من بركتو اروات والصاع اكفاها  
صلى الله اعلى امن اهرب لغزال العندو اكلم الضب افهم الغاه  
واشهد لو برسلت لبدر \* واصعد معصوم كان ملقاء اعلاها  
صلى الله اعلى امن ادخل برفيقو للغار ولهبون اطلق غزل اسداه  
واليقطين ابعرفها انشر \* واحمام العش دار بمهر وابناها  
صلى الله اعلى امن اغرس عود امسوس بعد ما ذكر لسم الله  
وارجع لو من بركتو اخضر \* واطعم بتمر مختلف طعم احلاها  
ويصفه العلمى فى « الشافى » بانه علاج كل مريض ، رفيع المكان  
سيد الموالى وقدة الافاضل ، شريف القبول سراج الهدى وكوكب  
المعالى والطاهر المطهر والصادق القول :

جد بدوايا يا طب كل معلول \* يا رفيع المأوى يا سيد الموالى  
يا قدوت لفضلا يا شريف لقبول \* يا سراج الهدى يا كوكب لمعالى  
يا الطاهر لمطهر يا الصادق القول \* ادخيل جاهك عندالله روف يانوالى  
وهو عند ابن الوليد الزاد والعون واعز الاهل ورسول الله المختار  
وسيد الابرار :

انت ارسول الله يا المختار \* منك نور لنوار \* وانت سيد لبرار  
وهو الكامل البهاء :

ياالمصطفى ضيف الله يا المختار \* ياكامل لبها نزهى فبهاك  
وجد الحسنين :

هل يا مضرا نلقاك ونشاهد نور ابهاك ياحمد ياطه يالمصطفى زين الزين  
ياجد الحسنين

وهو عنده جميل الوجه أسيل الخد أسود العينين :

انحى ذاكالوجه الجميل ونشف فالخد الاسيل ونزه فالطرف الكحيل  
وهو طيب المسك :

الصلا والسلام افكل ليل وانهار \* اعليك يا الهادى طيب لمسك

ويمدحه ابن الوليد كذلك بانه تاج المرسلين ، اعطاه الله فمنح  
الرحمة للمسلمين من عطائه ايها ، به تم الاسلام وصحت الهداية يوم  
هداه الله وتولى أمره وأجله من نوره ، وعلا درجته وشرفه ونصر به  
الدين :

وانت لكريم اعطاك \* والرحما من معطاك \* للسلام اعطاها  
بك يسلم المسلمون صح اصدق لمين  
صح لهذا بهداك \* انهار الله اهداك \* للهدى هداها  
ودها في ليلى لثمين بك المولى لحنين  
يوم الحق اتولاك \* من نور اتجلاك \* ادرجتك علاها  
شرفك وانصر بك الدين يا تاج المرسلين  
انه سيد الثقلين ، اكرم الله مثواه ورفع درجات مأواه ، وسماه  
الزكى بين الرسل ، وقرن اسمه باسمه ، وجعل الشمس تشعشع فسى  
السماء بنور ضيائه ، وتزدان به الارض والسماء :  
اكرم لكريم مثواك \* وارفع ادراج مأواك \* واسمك بين لرسال الزكى  
واسمو مقترون باسمك  
والشمس ابنور اضياك \* شعشت فسمها \* زانت السما والارضين  
بك اسيد الثقلين  
وانه طبيب روحه وعلاج دائه ونفسه ، احسن فيه الظن ليدأويه ،  
جعل الله صلاته فرضا في مجالس المسلمين ، يحدث عنه العلماء ويؤلفون  
الكتب فيه وفي الصلاة عليه :

وانت علاج روحي والروح الساكن افجسدى  
وانت اطبيبها واعلاج ادواها  
فيك حسن الظن افداها  
وانت الى الله امر بصلاتك فرض لازم  
اعلى امجالس أمتك وحدث بك كل عالم  
ولفتها (I) الولاها  
واكدايا فى اكتب النساخ امصحح افلسطار  
وهو مدد ونور وعز ورحمة للعباد ، وهو المبين الشافع فى المذنبين،  
(I) الراجع انه يقصد التأليف كما يفهم من السياق وليس اللفة .

من رأى صورته فاز بالكرامة ونال الكرم ، وتزوج الحور فى جنة النعيم ،  
وشفى وغفر الله ذنبه بالنجاة من النار :

مدر شفتك نور اعز للمعبدى  
لله الشكر يا جد الحسنين  
يا المصطفى زين الزين  
يا الشافع المذنبين  
يا المبين  
من شاف صورتك يا محمد فاز بالكرام

نال الكرام  
وازواج الحور افجنات انعام  
وابرا اراح واتعافى  
والله يغفر ذنبو واقبط النجا امن النار

وهو الامام المهدي وخاتم الشهداء وعروس الملك وصاحب اللواء  
والحمد ، رقاء الله وشرفه وناداه :

سميحان امن اكرمنا بالمصطفى الهاشمي الامام المهدي  
الشفيع لمشفع خاتم الشهداء

الظاهر لمظهر عروس الملك صاحب اللواء والحمد  
من ارقى واترقى واتشرف واتنادى

ويكشف الشاعر عن هذا النداء القدسي يخاطبه به الله ان يا محمد  
قد هديتك فأهلا بك فى بساطي فتقدم وطأه ، ليس لى حبيب يماثلك ولم  
أناد لحضرتي محبوبا ، خلقتك من نور النور ، فى صلاة أمتك عليك  
غفران لاوزارها قليلة او كثيرة ، جعلتك شفيعا لامتك يوم الحساب  
وبدأت باسمك قبل خلق الكون قرنته باسمي وقدرتي وعزتي وكرم  
جودي ، من سألني بك وجدني فى غاية الاستعداد . لولاك لما كان عرش  
او كرسي او لوح او قلم او نبي يهدي او ملائكة تاتيكم مني بالرشد ،  
ولما كانت الاغاة والجنة والنار والصراط والنهار ياتي فى اعقابه الليل ،  
ولما كانت الدنيا والبحر والارض والسماء المضيئة بالنجوم ، ولا الشمس

والقمر والكواكب الفريدة . لولاك لما كان آدم والخلائق انتمى خلقت من  
أجل العبادة ، ولما كان الايمان والصدق والمسلمون يهدون الى طريقى ،  
ولا حياة ولا ملة ولا صبر ولا زهد . لولاك لما كانت الكتب والعلوم ولا  
قضاء الحق وشهوده وشهداءه ، ولما كانت الصلاة والصوم والحج والزكاة  
الواجبة فى المال ، ولا الفروض والسنن ولا العمل والدين . لولاك  
لما كان الرعد والبرق والمطر والخصب والشجر والطلع النضيد ، ولا  
الفضل والاستنجاد والعطاء ، ولا الحكم والحاكم والملك والقيادة ، ولما نال  
الاشياخ عندي غاية مرادهم بمدحك :

ناداه ربنا سبحانه امن انشاء واهداه الى الرشده  
قال لو يا محمد هاك ليفاداد  
اهلا بك زد اوطا افبسطى يا لى ما مثلك عندي  
احبيب اولاد محبوب ليحضرتنى اتناد  
انا الى اخلفتك من نور النور تمتك فصلاتك تفدى  
اوزارها من قلل النقصان وزباداد  
انا الشفيع فيهم وانت الشافع فمتك يوم التندى  
واسمك خالقو قبل الكون ابتداء

...

قرنت اسمى واسمك بقدرتنى اعزتنى واكرام جودى  
من اسأل بك اوجدنى غايت لوجداد  
واعلم قال لو يا مختار انا الى عند ظن عبيدى  
با لمعلوم يا كرمتم لجداد  
لولاك لا عرش لا كرسى لا لوح لا قلم لا نبى عهدى  
لا ملايك منى تاتيک بالرشاداد  
لولاك لا ايفائنا لا جنا لا نار لا جسر صراط امعدى  
لا نهار او لا ليل خلف ذا افهنا  
لولاك لا بحر لا دنيا لا ارض لا سما بنجوم اتكندى  
لا شمس لا قمر الا كوكب نفراداد

لولاك ما يكون آدم او لا يكون بادي ولا عبيدى  
لا خلايق اخلقتهم لاجل لعبدا

...

لولاك لا يمان الا صدق الا اسلام يهدو النجسدى  
لا حيا لا مل لا صبر لا زهدا  
لولاك لا كتب الا علم الا شهود فالقرطاس اتودى  
لا قضا بالحق تزكى اشهود الذا  
لولاك لا رعد لا ميض اولا فيض لمزن وكم مزدى  
لا خصب لا دوح الا طلح لا نضدا  
لولاك لا صلا لا صوم الا حج لا ازكا للمال الوبدى  
لا فرض لا سنا لا دين اولاكدا (I)  
لولاك لا فضل لا صرخ ولا يكون كف لعطا بيدى  
لا حكم لا حاكم لا ملك لا اقيادا  
لولاك لا شياخ ابدحك لعزيز يا حبيبى نالت عندى  
هكذا بك اكمل لمرام والسودا

ويصفه التركمانى بانه لا مثيل له فى الارض او فى السماء ، فى  
الغيب او فى الوجود ، سبجان الذى انشاء واسعد به أمته ، هو  
صاحب اللواء والحلة والتاج والورد والفرس النجيب ، وصاحب الخاتم  
والسر والمعجزات التى لا عد لها ولا حصر . من اجله خصص روض الجنة  
رحمة للسعداء وعذاب النار للجاحدين ، لذا يرجوه أن يرأف به فانه  
صاحب الاغاثة يوم الشدة . وهو عروس يوم القيامة ، يفرج غمتها  
حين يشتد الهول ويستعصى الفداء :

انت والله ما فلرض امثيلك افالسما اوجد \* وحدك فالغيب والوجد (2)

سبجان الى انشاك واسعد بك الام الساعدا

انت المخصوص باللوا والحلا والتاج والورد \* والفرس الناجب لمجد  
والخاتم والسر أمعجزاتك شتى امشاهدا

(I) الكد والعمل . (2) الوجود ، أما اوجد الاولى ففعله .



أنت لجلتك كان روض الجنة رحماً لمن أسعد \* والنار عذاب لمن أجدد  
رافاً يا صاحب لغاثا عن ذا الشد الواكدا

...

أنت هو أعريس القياما فشهارة الهول والشك \* بين أهل القرب والبعد  
وأنت فراجها إذا اشتد الهول وعصا لفدا

أما الغرابلي فيراه نور كل الأنوار ، المبرور الصادق الأمين ، أمام  
المومنين ورحمة لأهل الإيمان ، وأول الأولين وإمام المرسلين :

أحمد يا نور كل أنوار \* صلى الله عليك يا المبرور

أنت الصادق وأنت الأمين أنت أمام المومنين \* أنت رحمة ربى لاهل ليمان  
أنت أول الأولين \* أنت أمام المرسلين \* وأعلامهم رتباً وأعز شأن  
ويخاطب الرسول عليه السلام بأن الله اختاره ورفع قدره واصطفاه  
ومنحه المعجزات ، لا سبيل الى حصر ثنائه ، لو اتخذت الأرض صحيفة  
والأشجار أقلاماً والبحور السبعة مداداً لما وصف الخلق غير عشر معشار  
قدره وجاهه ، من نظر الى حقيقته ذهل عقله مهما كان ثابتاً ، لانه بشر  
وليس كالنفس ، أخباره فى التوراة والزبور والإنجيل والفرقان وكتب  
الجنس :

يا من جعلك ربى أنبى مختار \* وأرفع قدرك عن سير الجمهور  
يا من اصطفاك الملك الجبار \* بالمعجزات الواضحة والنور  
يا من سرك وأثراك ما يحصر \* لو كانت من مداد سبع البحور  
والأرض أصحفاً والقلوم أشجار \* لا وصف الخلق أعشور من لعشور  
لو انظرت حقيقتك لبصار \* تذهل نطق الراسخ وتفور  
لنك بشار أوليس كالنفس \* وأخبارك فى التوراة والزبور  
والفرقان والإنجيل والأفكار \* خبرو بوجوه حملك المبحر  
وأما الفلوس فيصفه بأنه التقى حبيب الله صاحب الحجة الموثقة ،  
وصاحب اللواء والتاج والبراق :

صلى الله عليك يا التقى محبوب الباقي \* يا مول الحجاج الوثاق  
يا محمد صاحب اللوا والتاج والبراقى \* لغرامك لخلاق شايقاً  
(30)

### المولد

وكان مولد الرسول الاكرم وما يتصل به من أخبار تحكيها السيرة النبوية مادة خصبة لشجذ قريحة الشاعر الشعبي وبعث الهامة ودفعه الى التعبير عن كمين عواطفه نحو صاحب الرسالة عليه السلام . وتعتبر قصيدة «مولد النور» للغالى الدمناتى من أروع القصائد التى سجلت هذا الحادث العظيم، بدأها بذكر النسب النبوى من جهة الاب ، فهو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان :

هذا محمد الزكى قوشى لنسب \* ابن عبد الله بن عبد المطلب  
ابن هاشم بن عبد مناف افترتاب \* ابن قصى الدكى المدوب الارب  
ابن كلاب لوضيح بن مر المجتاب \* ابن كعب المجذ راحت القلب الكارب  
ابن لؤى التقى الراقى بن غالب

غالب ابن فهر المذكور بين لعراب \* بن المالك بن النضر دون تكذيب  
بن الكنانة من به لثال تضراب \* بن الخزيمة زخار لحسان لعجيب  
بن المدركا بن الياس در لجياب \* بن لمار ونزار الاديب لحسيب  
بن المجد ايلأ عدنان ابلختصار \* اجنود محمد هاذو سرهم سمارى  
وانتقل الى نسبه من جهة الام ، فذكر انه ابن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، ومتوقفا فى نسبها عند كلاب الجد المشترك فى سلسلة الاب :

أما ام الشفيح من لها تشريف \* أم بنت وهب بن عبد مناف  
ابن زهر المرتضى نعم المتصف \* ابن كلاب الذى اسرارو ما توصاف  
هو جد النبى اوجد مو تعريف \* كيف اروينا الحقيق من بعض العراف  
ثم ذكر نور الرسول ، وقد جعله الله يتكون فى صلب آدم ، وينتقل من فاضل لفاضل الى أن وصل لعبد المطلب ثم ابنه عبد الله :

افصلب آدم اتكون نور سيد لرسال \*

وسار ينتاقل نورو من لفضيل لفضيل

ابعد ابلغ النور الصلب الذكى المفضل \*

سيدنا عبد الملطب طب لعليل

كون المولى من صلبو اوضيح لجمال \*

آب محمد عبد الله نعم لجليل

وكان بعد ذلك زواج آمنة بعبد الله يوم الخميس فاتح رجب او

يوم الاثنين ، لم يلبث أن تلاه الحمل . وما كادت تحمل به حتى اكرمها

الله بكل خير ، اما ابوه فارلقى سعده وغدا نور جبينه يسطع ليل نهار :

او بعد عبد الله ادخل حق الآمناء \* تم حملت بشفيق القوم كامل الزين

أول رجب ليل الجمع اكما اروينا \* كان عرس آباويه اوقول ليل لثنين

سعد أمينا أم الهاشمي انبينا \* ابكل خير اكرمها نعم لعظيم لمعين

أسعد عبد الله اهلال لبها السيار \* آب طه من فاز ابغايت نوطارى

كان نور اجينو يضىو افليل وانهار \* اذن انوار المصطفى سيد انظارى

وما ان عاد الرسول نطفة حتى نودى فى السماء والارض أن النور

يسطع وأمر الله رضوان ففتح باب الفردوس ونطقت دواب قريش فى الليل

مقسمة أن الرسول قد تكون فى رحم أمه وأصاب الملوك بكم وانقلب

أمرتهم :

لا عاد الرسول نطفة يافهام \* فبطن مينا الزايقا داحت لنسوم

نودى فالسما وفلرض ابتقوم \* ندا بامر الجليل لعظيم القيوم

أن النور اسطع من حاز التفخام \* الى منو اشفيعنا نعم المعصوم

فبطن مينا اضحى افدا الليل مقيوم

وامر الله الرضوان لفضيل لوسيم \*

ايحل باب الفردوس اكما اتقول لعلام (I)

ثم انطلقت ادواب قريش وقت لبهم \*

واقسمت بين اتزاد الهاشمي افلرحام

أو كل ملك اصبح بين لخلاق ابكيم \*

اوصاب ليه اسريرو مقلوب صبح لكلام

وما كاد يمر شهران على الحمل حتى توفي عبد الله :

لما مرت من حمل مينا شهران \* مات المرحوم آب طه بالتمكين  
ورأت آمنة ليلة في المنام آتيا يخبرها أنها حملت بسيد البشر على  
الاطلاق :

مهما حملت بالتقى طيب لخلق \* آتاهما آت قال لها قول البيق  
راك احملي ابسيد لبشر بليطلاق \* قالوا فالنوم رات والرؤيا تصديق  
وغدت بعد ذلك على غير عادة النساء لا تحس ثقلا او ضيقا او وحما  
أو حريقا :

ليس شعرت بحمل ولا بثقل واضياق \* أولا بما يوقع للنساء من الوحى واحريق  
وذات يوم ، وهى بين اليقظة والنوم ، آتاهما من سالها عما تشعر به  
من الحمل ، مؤكدا لها أنها تحمل بسيد الانام . وحين اقترب الوضع عاد  
البشير وطلب منها ان تستعيد بالله من شر الحساد واوصاها اذا ما وضعت  
أن تسمى المولود محمدا :

وقالت آتاهما آت بسين نوم وافياق \*  
أقال لها كان اشعرت ابدا الحمل عيق  
ابسيد انام احملي قال جل بشار \*  
امهل اعليها قالت زينت لحوارى  
أحين قرب ميلاد المجد خير لخيار \*  
ثم آتاهما دلشمار كيف دارى  
وقال أعيديه ارب لورى الجبار \*  
من اشرار الحساد امكالب اشنارى  
ايلا وضعت طه سميته اعلى الخيار \*

سيدنا محمد امفرج لغيرارى  
وما ان بدات تحس آلام الوضع حتى رأت شيئا ابيض شبيها بجناح  
طير مسح على فؤادها فزال ما كان بها من روع وكرب ، والتفتت لتجد  
شرابا صافيا ابيض كالحليب فشربته من الظمأ ، فاذا هو حلو كالشهد :  
كاجناح الطير قالت ابيض لا تمبيت \* جا وامسح عن افؤادها فالحين ابرات  
واذهب عنها الروع واجميع الكربات

التفتت وجدت شربا صافيا ابتذعات \*  
ظنت البن لاجل لبياض كيف نظرت

بالظما كانت نور اهلال كل غيدات \*  
بعد ما شربتها مثل المصال وجدت

وتقوى المخاض فرات بياضا ناصعا يمتد بين الارض والسماء ،  
وسمعت هاتفا يوصيها بأن تصون مولودها حين تضعه من الآفات وعيون  
الناس ، ولمحت بعد ذلك قوما وقفوا في الهواء تبدو عليهم الهيبة وقد  
حملوا ابريق من الفضة كما لمحت أطيارا تغطي السماء ، مناقيرها من  
الزمرد وأجنحتها من الياقوت ، ثم تبدى لها الشرق والغرب ، وظهرت  
لها ثلاثة اعلام ، احدها في المغرب والثاني في المشرق والثالث فوق  
ظهر الكعبة :

ولمخاض اتقوى عنها وبعدها رات \*  
ابليان اذباح ابيضو ابضيع وصفت

امتد بين الارض وبين السماء وسمعت \*  
قائلن ايقول لها واحكات كيف سمعت

قال صونيه افوقت الوضع من الآفات \*  
خوف من عين الناس وبعد ذاك لمحات

قوم وقفوا فالهوا حايزين صولات \*  
فيدهم ابريق فضا او تم رمقات

اطيار غطاو اسمها سرهم ينعات \*  
من ازمرد منقرهم كيف راد واحداث

ومن الياقوت اجوانحهم ثم نظرت \*  
بامر المولى شرق اغرب كيف ذكرات

بعدها رات اعلوم اعلا لحقايق انبات \*  
اجميعها ثلث اعلوم اغدادهم حسبات

اللولى فالشمرك الثانى افغرنا رات \*  
افوق ظهر الكعب لاخوز حق واضحات

ثم خذها لمخاض وبعدها المولات \*  
بالعزم وضعت طه والفراج كبلات

وبذلك تمت ولادة الرسول قبل الفجر على المشهور أو بعده صباح  
يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول حيث يجب أن يعم الفرح  
والسرور :

أكان ميلادو قبل الفجر كيف شتهار وبعض قالوا من بعد الفجر قول وارى  
اصباح لثنين اخلاق اشفيح ناس لوزار اتناش ربيع الاول قالت لحبارى  
واجب اتفرحو لخلوقو بقلب واسيار لاین لاجلو كان الخير افلقطارى  
وهنا ينهض الشاعر ويقوم (I) ليهدى السلام للرسول الاكرم على هذا  
النحو :

حق اعلينا انسلم اعلى محمد وقت اخلوقو انقول من داخل لفؤادى  
اعليك اسلام ربنا يا محمد قد اوحوش لقفار والطير الغدفاى  
اعليك اسلام ربنا يا محمد قد لحصا والتراب واقراهب لوهادى  
وأخذ الشاعر اللمناتى بعد ذلك يستعرض بعض المعجزات التى  
ظهرت اثر الوضع مباشرة ، وأهمها اهتزاز ايوان كسرى وانهدام شرفاته  
الاربع عشرة ، وخمود نار فارس التى ظلت موقدة مدة الف عام :

حين اتزاد الرسول طه بحر العلم ظهرت من غير شك للناس اعلايم  
منها كسرى اهتز ايوانو واغتم من بعد املاكتو ابقى حابر هايم  
واشرافو امن ابنه عادواليه اردم ربعا عشر كيف قالوا اكنم عالم  
بها كسرى ابقى اضميرو متفاكم

أنار فارس خمدت يوما اخلاق لحليم بعد كانت موقودا ألف عام بتمام  
وتحدث عن قصة الرضاع وكيف ان نساء سعد سمعن مناديا يخبر  
بمولود فى مكة سيتسعد مرضعه ويسعد كافله فهرعن الى مكة . وكتب  
لحليمه ان تكون مرضعه ، وتقدمت اليه ، فاذا هو يبتسم كالللال الساطع  
تلوح أنواره ، فأرضعته من ثديها الايمن ثم أعطته الايسر فرفضه لحكمة  
أرادها الله ، وهى أن يبقى هذا الثدى لآخيه فى الرضاع :

صا بوكن اهلل اوضيح لايح انوار اكداك وجهو متبسم ذاك فالانارى

---

I — على عادة قراء المولد النبوى حين يذكرون خروجه عليه السلام  
الى الكون .

ثم حملتو فيديها ابشوق لسيار اوتدها ليمين اعطائو ابلين طارى  
اشرب منو فالحين اعطت ليه ليسار ليس زادو بحكمت امخصب الشجارى  
ابقى الشادى الخوه افلحليب هكذا سار سيرت القرشى تحكيمها افداشمطارى  
ثم ذكر بعض المعجزات التى واكبت السيدة حليلة فى طريق  
عودتها الى بنى سعد وقد حملت معها المولود ، منها أنها عوفيت من أدواء

كانت تحسها وأن الفمام كان يظله عليه السلام طوال الطريق :

ربنا عافاها من علت الجوارح لاجل المدنى طه امليح ملاح  
ولثمام امعاه اتمشى اكما لجوانسح وظلملوا يا صاحى من حر شمس لمضاح  
وما كادت تشرع حليلة فى تربيته حتى بدأت ترى له اسراراً باهرة .  
تسلم عليه الحجارة والاشجار ، وترخى هذه أغصانها عليه حين يمر  
تجتها لتظله :

أقامت احليما بترابى اهلل لفلان سيدنا محمد من عظمو المالك  
كل يوم اترى له اسرار ما تتراك وكم اعلاما شافت للنبي السامك  
وساعت امرا بسيد الخلق تحت لشجار اعليه ترخى لغصان اصاح ادلشجارى  
وابلفصاح اتسلم عنو اشجار واحجار يا سعدنا بمسلكننا من لوعارى  
وحين بلغ السن الرابعة جاءه ملكان وشقا صدره وأزالا من قلبه  
مضغة وطهراه بماء قيلت فى وصفه نعت كثيرة :

وحين كمل ربع اسنين الشفيح بتيات كان لو شق الصدر الى ادعى اعدائو  
جاتلو زوج املايك فى انهار سدات ثم شقوا صدورو وكذا صميم ذاتو  
وزولوا من قلبو مضغ ابغير تمرات وطهروه ابماكم اقوال فى انعاتو  
وأخذ بعد ذلك فى الصلاة على الرسول ، وبها أنهى القصيدة .

ومثل هذا العرض المفصل نجده مجملا فى ثانيا قصائد الصلاة  
أو المدح ، كما عند الشاوى فى «تصايفته» حيث يقول :

ليلت زاد اوحات ليه للملايك دون اعداد رفعوه افلقا من لحرير اخضروقادى

للزور لثقات له للملاك اجنود اجنود

طافوا به اعلى الكون وبلغ قصد لمراد وارجع سيد المرسلين لمقام وجدادى

وشرقت انوارو الاحت اعلى الجهات ابنود

مهما جاوا يقربوه للتمدنى انفر وابعاد . حتى جات احليمتم النسا حرت لسعادى  
بالفرحا لها انجاز وارضاهها عين الجود

سارت به الناسها اوربات اضيا لتمام حين ابلغ شدو افدات يوم اعلاج انكادى  
سار اخوه امع الرفيق يسرح مالمو مكود

له اوحى جبريل لمفضل كههدف التمجاد بالطاس البريق من انهر جنت لخلادى  
والما من كوثر ولمايك بحماه اتلود

شقوا صدر الطاهر لمطهر نعم المهتاد غسلوه انظفوه زالت المضغ للهادى  
شايين دار احكاه خوه واشنع خبر المموجود

وليس كل الشعراء يستعرضون القصة حين يتناولون مولد الرسول  
عليه السلام ، بل ان بعضهم يقف عند تمجيد شهر ربيع وذكرى المولد  
الواقعة فيه ، على حد ما نجد عند المدغرى الذى يرى انه بقدم هذا  
الشهر الانور هب النسيم يبشر بكل خير ، فاضت النعم وازهرت ورود  
البطاح ، فليس كعيد مولد النور عيد يزهو ويزهر ، تفيض بحوره وتزخر  
أمواج ذخائره ، ويستقيم السعد فيغدو الكون شاكرًا لله :

هب انسيم لعفو ايشر \* لعباد ابكل خير  
فى ربيع الشريف لنوار \* فاض الخير لكثير  
وازهى زهر لبطاح وازهر \* من لحزين لكثير  
مولود النور \* ماكيفوعيد ازها او زاهر  
فايض ببهور \* موجو زخار امن الدخاير  
واسقام الشور \* الكون اصبح لله شاكر

وعنده أن عيد مولد النبى منور ليس كنوره نور ، يفخر على الاعياد  
الكبار بوجود الرسول البشير ، ويفوق شهره كل المواسم :

عيد املود النبى امنور \* ولاكيفو امنير  
عن لعياد لكبار يفخر \* بالمرسول لبشير  
ماكيفو افلماسم اشهر \* بين انجوهو اشهير

### الوفاة :

وكما تناول الشاعر الشعبى قصة الميلاد فكذلك تناول قصة



الوفاة ، وكان الغرابلى من أكثر الشعراء استيفاء لمختلف فصولها ، وفى قصائد كثيرة كهاته التى يقول فى أولها :

يأساهى وحد رب لكون لجيل \* حتى باقى فى ملكو بالدوام لازال  
قدر اعلينا فرض الموت دون تمهيل \* مايدوم املكو يلا لغنى المتعال  
ومن أروعها القصيدة التى يقول فى حربتها :

معظم يوم يتوفى بدر التام \* سلطان النبىا بلقاسم  
يبدأها بنزول آخر سور القرآن الكريم حين جاء جبريل يختمها له،  
وعودته عليه السلام الى بيته فى صحبه يشكو من صداع حيث عصبته له  
عائشة رأسه :

وانزل جبريل بمر الجبار اعلى ارسول خير البرىا  
واتلا عليه سور ختمت لسوار انظر يا فهم الا شىا

...

واقدم المنزلو وصحبو لحلام وادخل البيت عيشا عازم  
قالت لو اشميك أقرت لنيام \* فقال امن اوجاع ساقم  
وادنت عصبته لوخو الاسلام \* وانبا غيرها بعلايم  
وامر عليه السلام بلالا أن ينادى الناس للصلاة فى المسجد حيث  
يريد ان يجمعهم ، ثم خرج اليهم وخطب ، وحلفهم الله ان كان بلغ  
رسالته بصدق ، وهدى الى سبيل الرشاد ، وأحسن القول والفعل ،  
ورأف بالايام والغرباء والارامل ، وأنبأهم بما فيه صالحهم ، فأجابوه  
بانه جاءهم بالدين القويم الواضح ، بلغه بحق لا تبديل فيه ولا تحريف،  
ودعوا له الله ان يجزيه :

يا قوم سلتكم بالله المتعال \* هل جيتكم صادق ناصح  
برسالتى او حسن القول الفعال \* واسبيل الرشاد الصالح  
واحسنت ابليتام اغربا وارمال \* وانبأتكم افكل امصالح  
قالوا جيتنا حق ابلا تبدل \* بالدين لقويم الواضح  
بجزيك ربنا بالخير ولنعام \* وانت الكل مومن راحم  
واحس سلمان كان الرسول يودع المسلمين وداع الرحيل ، وصارحه

باحساسه ، فكان رده عليه السلام أن الموت فرض ، وإن العمر محدود ،  
وإن الجميع راحلون ، لا يجزى احدهم عن الآخر :

ثم جاوبو سلمان افلمقام \* ما لك يا البدر الواسع  
كنك كتودع جمع الاسلام \* بوداع الرحيل العازم  
قال النبي احمد للماجد \* سلمان خذ لك ايفادا  
فرض لمات عنا واكد (I) \* لعمر ليس فيه ازيادا  
والقلق للرحيل اموعد \* هذا ما جرى عن هذا  
وعاد الرسول الى بيت عائشة وجمع نساءه ، وطلب منهم أن يصبرن  
وآلا ينحن لكى يعمهن الغفران ويرغد عيشهن ويزيد خيرهن :  
وادخل البيت عيشا بلقصد اوكد (2) \*  
فالجين عن ازواج نادا  
وقال لا تنوحوا والله اشهد \*  
صبروا اتمكم ايفادا  
وايكمم غفران وعيش ارغيد \*  
والخير عنكم يتزادا  
وتأخر عن الصلاة وأناب عنه ابا بكر . وخرج بعد ثلاثة ايام للمسجد  
متكئا على عثمان وعلى ، فوجد ابا بكر فى المحراب يبكى وينوح ، وأراد  
الصديق ان يخلى له المحراب ، ولكنه طلب منه ان يبقى فى مكانه حتى  
يؤم بالناس :

ندا على اتجى والعباس امعاك \* واخرج بنهم امتكى  
حتى اوصل المسجد المبارك \* واستنشق اشدها المسكى  
يوجد بابكر فالمحراب اكذلك \* اينوح ابلشواق ايبكى  
واجلس عن اخلافو درت لفلاك \* ايزيم (3) بسقام الحلاك  
راد الصديق يفرغ لو دون اشكال \* ناداه الرسول المكى  
اثبت فى اصلاتك بالناس ايمام \* تغنم جل طيب اغنايم

---

I و 2 - أكيد

(3) يثن .

وبعد ان صلى الرسول جالسا تكلم فى الحاضرين ونهاهم عن البكاء والنواح ، وسالهم عما اذا كان لاحدهم حق عليه أن يقتص لنفسه ، فتقدم عكاشة وذكر الرسول بضربة تركت أثرها فى نفسه كان عليه السلام ضرب بها ظهره يوم تبوك ظنا منه انه يريد الهرب ، فى حين انه كان يريد أن يذهب للاستطلاع :

على اجلوس طه سيد لانام \* حتى اقضى الفرض اوسلم  
واسأل عن الاما وانطق بكلام \* وانهى عن النواح الهزم  
وقال يا جميع المحضرا \* من كان له حق اعليا  
ياتى القصاص افمرا \* من قبل ما تجى افنيا  
ثم جوب باجهرا \* عكاش ابغير اخفيا  
أقال يا طلوع البدر لمير \* انا ايلى الحق الشاهر  
كنا افأرض تبوك افحرب اكبير \* واخرجت نسرح ونخبر  
ما هو اهروب منى ولا توخير \* رب لعباد حاضر ناظر  
واضربتنى الظهري دون التقصير \* ضربنا قترت فالخاطر  
فسالت دموعه عليه السلام وامر بلالا أن ياتيه بقضيب أخذه عكاشة  
غير مبال بلوم الصحابة وطلب منه الرسول ان يضربه ولكن عكاشة أجاب  
بأنه كشف ظهره قبل الضرب ، فهو لذلك يريد منه ان يفعل كذلك .  
فنزع صلوات الله عليه قميصه ، وما كاد يفعل حتى بدا الخاتم بين كتفيه  
بسطع بنور ربانى يفرج الكروب وتحار فى وصفه العقول والافهام . فلم  
يستطع عكاشة الضرب واخذ يتمسح بالخاتم والنبي الكريم يدعو له  
بالخير ودخول الجنة :

قال جزاك لكريم اعليا خير \* وارسل ابلال عند لامر  
جاب لقضيب فالساعا ابلجزام \* والدمع آمن اعينونو سجم (I)  
قبضو الشيخ عكاش دون املام \* واصحاب النبي تتلايسم  
ثم الرسول ندا بالجهر وقال \* تركوه حين مبا (2) يقبل

(I) سجم كما فى النصيحى بمعنى سال .

(2) مبا اى ما أراد وهى فى الاصل ما بغى بحذف حرف الغين ، و هو

فقال لو اتقدم والى لجدال \* واقص اجزاك منى واعدل  
وقال كيف تضرب وانت ما زال \* افتوبك انضيض مرفول  
انا اعزيت ظهري افاذك الحال \* نبغى اكمل افعلت نفعل  
نزع لقميص طه واطهر لختام \* بن لكتاف نعت الخاتم  
شلا (I) اتصيف لعقول واليفهام \* به اختص عمل لعوام  
يضوى بنور واضح يفجى لغنام \* من نور اد لجلال العالم  
لغريم نال جل انصيبو \* واظفر ابكل ما يتمنى  
مرغ على الخاتم شيبو \* واقلبد عروض المزنا  
وادعالموا بخير احببو \* واضملو ادخول الجنا  
وقال كيف تضرب قوت لهداب \* ونال اوصيف من وصفانو  
وتحكى القصة بعد ذلك كيف عاد عليه السلام الى بيته ، وكيف بعث  
الله عزرائيل لياخذ روحه ، ولكن الرسول امهله حتى يسأل شيئا يعتمل فى  
صدره ، ورفع كفه الى السماء وشكا من شوقه لجبريل الذى ما كان يظن  
أنه سيغفل عنه ويتخلى فى هذه الايام . وما كاد ينتهى من سؤاله حتى نزل  
الملك الامين وسلم عليه :

وادخل المنزلو يتسنى المكتاب \* محسوس امن اوجع ابدانو

عزريل جلا ابأدب وانقر الباب \* ثم ادوا ابفصح السانو  
وقال جيت لكم ياهل لمقام \* انزور درت بن هاشم

قال مهل اعلى نسأل بدمام \* عن شين ما افسرى كاتم  
مد لكفوف وادعا واسأل \* وقال يا سامع اسؤ الى

تعبير خاص بلهجة مدينة مراكش وقد سارت عنهم عبارة تعدد فيها هذا  
الفعل ، هى قولهم : الى بيت بيتو والى ما بيت ما بيتو الى الذى بغيت  
بغيته والذى ما بغيته ما بغيته . ومن الغريب ان يأتى مثل هذا التعبير  
على لسان الغرابلى وهو شاعر من فاش ، ولعله فعل ذلك مدفوعا بالميزان ،  
اد لا يبدو أن ذلك من تحريف الرواة ، لان ما بغى لا يستقيم معها الميزان .  
(I) فوق ما تصف ، وتستعمل المتعظيم والتكثير .

جبريل ما نويتو يغفل \* عنى امنتهى فى حالى  
ثم لامين فى الحين انزل \* واشمها اسلام نعم العالى  
اذ ذاك اطمأن الرسول وحمد الله ، واذن لعزرائيل ان يتقدم ويأخذ  
روحه مستعذبا لقاء ربه . وفى الحين صعدت روح محمد الى صدره واحس  
بغصته تضغط عليه ، وعبر عما أحس ، فاجابه الملك انه لم يذق عشر  
معشار سكرات الموت ، وامهل عزرائيل لحظة ليدعو ربه ان يخفف عن  
أبناء امته ضيق الموت وما يحس من شدة حره على ذاته ، فلم يلبث أن  
سمع هاتفا قدسيا يقسم له بعزته وجلاله بالا يذيقهم سوى ما أذاقه وان  
يجود عليهم ويعفو ويرحم ، ثم حمد الله وشهد بجهر :

احمد ربنا واشمخ ابتسام \* وقال العزرائيل اتقدم  
اعزم وخوذ نتهى لمكام \* محلا القا اعظيم الاعظم  
فالحين روح طه صعدت \* تلصدر الشريف اورسات  
وانطق بلسان امتبت \* يا ملك ما صعبها غصات  
قال لو ابحق جاهك ما دقت \* اعشور امن اعشور السكرات  
قال لو امهنتى عنى ندعو دعاء \* بلطف ولعفو لماتى  
خفف على الام ضيقت لمات \* وشد حرها عن ذاتى  
سمع اندا ابأذن سامع لصوات \* وجلال عزتى واقدرتى  
لذاقو سوى ذاقك من لمرات \* وانجود ونعفو برحمتى  
وتحكى القصة بعد ذلك ان عليا وابن العباس غسلاه ، وهو يتلألا  
كالبدر من البهاء والنور وكفناه فى ثوبه كما شاء وطيباه ، ثم دفن ، وقد  
ذهلت العقول واحتارت الالباب وغدا الناس فى دهشة وحزن :

وحارت لعقول ودعشت لوهام \* واشحال امن اضمير اتفاسم  
وتأواللقام اخصوص ولعوام \* شلا ايطيق يوصف ناظم  
ادناوا ليه وقت التفسيل \* وغسلوا لمفضل وعلى  
وجدوه كالبدر فاليكيل \* والنور امن ابهاء ايلالى  
وكفنوه فتيابو اكما قال \* وابشوع كل طيب احتفلو  
...

وبعد اذفينو اشتدت لنكال \* واشحال امن اعقول اندهنو  
وتنتهى قصة الوفاة بالكلمة الخالدة التى فاه بها الصديق ليهدىء من  
دوع المسلمين وفزعهم ودهشتهم حيث قال : «من كان يعبد محمدا فان  
محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت » :

اكثر اصياح بن الناس ولهوال \* شد لفراق عنهم حبلو  
وقام ببكر واخطب افهل البال \* خطبا لا تخطبت قبلو  
وقال فخطبا يا جمع السلام \* الموت فرض عنا لازم  
من كان يعبد الماحى سكن ارغام \* هذا وصف شأن ابدام  
ومن يعبد الحى لا يعدم \* باقى اقديم بنا عالم

### المعراج (1) :

وهكذا ، وعلى هذا الاسلوب فى عرض السيرة النبوية تناول الشاعر  
الشعبى قصة الاسراء والمعراج فى القصائد التى اطلق عليها « المعراج »  
ومن أشهرها قصيدة عبد العزيز المغراوى وعبد القادر الجرارى . يقول  
المغراوى فى أول معراجه :

لسم لعظيم ذا العرش الديان \* رافع لفلاك افلهوا دون اعماد  
من خص المرسلين ابايت البرهان \* وارسلهم ابليها اودين الارشاد  
ويقول الجرارى فى حربة معراجه :

الصلاة اعلى الهادى راكب البراق \* سيدنا مجمد لمشرف الصديق  
من اسرى من حرم الى حرم افلغسيق

وفى أوله يقول :

ابديت لسم المولى لمقسم لرزاق \* رب لكوان الحق الدايم لتحقيق  
والصلا عل الماحى طيب لخالق \* خير لورا لفضيل الماجد الشفيق  
والرضا آل والصحاب والرفاق \* وهل البيع والعهد الوافى لوتيق  
بعدها فكرى هاج وخاطرى اشتاق \* نحتك معجز كبر اكما ايلييق  
فالسرا والمعراج فغيهب لغساق \* لكن اصلات الماجد قولها اسبييق

I - كان مفروضا أن يسبق المعراج الوفاة ولكننا أخرناه لانه دونها  
عند الشاعر فى الاهتمام وهذا ما جعلنا لا نفصل فيه القول .

التصليية (1) :

ومن عميق تفانى الشاعر الشعبي فى الرسول عليه السلام وتعلقه به أنه لم يقف فى التعبير عن عواطفه الجياشة عند الحديث عن حبه وذكر صفاته وعرض مراحل من سيرته الكريمة ، وانما زاد - منوعا فى مدحه ومتفنا فيه - فخصه عليه السلام بقصائد اطلق عليها « التصليات » يصلى فيها عليه محاولا أن يبلغ بصلواته أكبر عد يمكن تصويره او تخيله ، مستعرضا انواع الكائنات والمخلوقات المختلفة ، عساه يبلغ اعلى درجات العد والحساب . ومن اروع التصليات وأقدمها تصليية محمد بن عبد الله ابن احساين ، وفيها يبلغ بصلوات الله على نبيه الكريم الى عدد ما هطلت الامطار وسقت من اشجار ، وعدد ما حملت هذه الاشجار من غلال ، وحمل النخل من تمر ، وعدد ما يوجد من بساتين وأغراس عطرة :

صلى الله اعليه عد ما هطلت من لمطارى \*

وما كتسقى امن الشجر

وحملت امن اغلول والنخل عد اثمارو \*

وما من حرجات (2) عاطرا

وعدد البحور والانهار الفائض منها والجاف ، وعدد ما فى جوف الارض من عيون وآبار لا تحصيها العين من الكثرة :

صلى الله اعليه عد لبحور امع لنهارى \*

ما واكح فيها او ما اعمر

وما فى جوف الترى امن اعيون اوعد ابيارو \*

شلا شافت عين كترا

---

I - المقصود بها الصلاة ، وقد استعملناها محافظة على المصطلحات المتعارف عليها عند الاشياخ ، والمعروف لغويا أنه لا يقال صلى تصليية فى الدعاء ، وانما يقال صلى صلاة بوضع الاسم موضع المصدر ، أما التصليية فالقاء الشيء فى النار لاحتراقه .

2 - الحرجات البساتين وهى كذلك فى الفصحى اذ يقال مكان حرج بكسر الراء وفتحها اى كثير الشجر .

وعدد لسع القر للعدار ، ولفحات الزمهرير والحر ، وعدد نسيم  
الصباح وما هب من رياح غربية فى العشايى الساحرة :  
صلى الله اعليه عد لسع القر افلعذارى \*  
وازمهرير الحر بعد قر  
واعداد انسيم الصباح او ما هب ابتطارو \*  
واغرابى لعشى الساحرا  
وعدد الرياح والاعاصير والبرق الخاطف للابصار ، وعدد الرعود  
تدق طبولها ، والبروق المضيئة تعلن شاراتها عن مطر غزير :  
صلى الله اعليه عد لرياح امع لعصارى \*  
والبرق الى خاطف لبصار  
والرعد ايلا رعدوا اطلولو وبروقو شارو \*  
واذن بالرعد الغازرا  
وعدد الغيم المتوارى الغابر ، وعدد السحاب المجمل انذى حارت فيه  
العقول :  
صلى الله اعليه عد لغيام الى متوارى \*  
ذاك الى فتوايحو اغبر  
واعدد الوارى امن السحاب الى فى كدارو \*  
كتضحى لعقول قاصرا  
وعدد نجوم الثابت والشارى ، ودوران الارض والافلاك فى كل وقت  
وحين :  
صلى الله اعليه عد نجم الثابت والشارى  
فغروب ولسمجار والفجر  
وما دام الليل فى اعقابو يا صاح انهارو \*  
منهما لحوال دايرا  
وعدد ما ظهر المريخ والمشتري ، وما اشرقت الشمس وضاء القمر ،  
وعدد كواكب زحل وعطارد والزهرة :  
صلى الله اعليه عد ما انبى مريخ ومشتري \*  
وما بانث شمس ولقمر



والزحل وكوكب لعطارد ساعت يظهر \*

ونجمت الزهرا الزاهرا

وعدد ما فى اعماق البحار ، وما من وحوش فى القفار ، وعدد الاطيوار

المحلقة باجنحة وحكمة من المبدع العظيم ، وعدد ما باضت انشى الطير :

صلى الله اعليه عد ما فدواخل لبحارى \*

وما من لوحوش افلقفسر

واطيار ابلجناح ولحكاييم ذا الباشع طاروا \*

وما باضت كل طائيرا

وعدد الحيوانات الاليفة ودواب النحر والركوب :

صلى الله اعليه عد بكم الساكن لجدارى \*

لموالف بنا امن الصغسر

واعداد الى للنحير كانوا واثلى نختارو \*

للكبا يوم لمفاخر

وعدد النحل والنمل ، وعدد انهائم من الحيوانات والحشرات ما ظهر

منها وما خفى عن العين :

صلى الله اعليه عد لهوام يا من هو قارى \*

ونحل ونمل وعد ما كبسر

وما من لهوام ما تسافو من حيث اصغارو \*

بوجود انقدرا القادرا

وعدد الذين نسوا ذكر الله من ابيض واسود واسمر واشقر واعجام

صغر ، وعدد اقوام البدع والغدر :

صلى الله اعليه عد لنفاس انساواذكارى \*

لبيض واسودها امع لسمر

وادهم وابراكا مع الشقار واعجام اصغارو \*

وقوم البدع والمفاذرا

وعدد تكور الليل والنهار :

صلى الله اعليه ضى وادجا تبقى فشطارى \*

مكتوبا من اجل انذكر

صلى الله اصلا امدوما تبلى لى فقرارو \*

فى حضرت ربى الذابوا

وعدد مدن كل الاقطار وما فيها من دور وقصور ، وعدد الصحارى

والمداشر والقبائل ودواويرها ، وعدد تلال البيد والقفار :

صلى الله اعليه عد لمدون افكل اقطارى \*

وما فيها دار اولا قصر

والصحرا وادشورها اوكل اقبيل ودوارو \*

واتلول البيدا القافرا

وعدد الهضاب والسهول والشعاب الخالية والمعمورة ، وعدد الربى

وعدد كل طول يقاس :

صلى الله اعليه عد لكدى اوحيف لغدازى \*

واشعاب القفرا او ما عمن

وانربوات او عد كل طول وقيمت مقدارو \*

بكيال الدنيا العابرا

وعدد الغابات والبرارى وما فيها من عرين الاسود والتمور ، وما بها

من ماوى وغيران :

صلى الله اعليه عد لغياب امع لبرارى \*

وعرين الاسد والنمر

والتموى دجميع امن اسكنها كل فى غارو \*

صلى الله اعليه غازرا

وعدد اكسية الحيوانات الضارية وغيرها من صوف وحرير ووبر

وريش وشعر :

صلى الله اعليه عد لكسا ذا لى هو ضارى \*

بالصوف ولحرير ولوبر

والمكسى بالريش والذى متلف بشعارو \*

والى ما ضارى ابساترا

وهو يصلى عليه بقلبه ودواخله ولسانه وعقله وفكره عدد الاكوان

التي لم يحص منها حتى العشر :

صلى الله عليه والسلام اقبلني واسياري \*

ولساني والعقل والفكر

عد الكون الى ما احصيت منو حتى معشارو \*

صلى الله عليه كاترا

وعدد ما فى علم الله وهو فوق الحصر ، وعدد الزبور الذى لم يبق

منه غير خبره ، وعدد الالواح العامرة بالحكمة :

صلى الله عليه عد علم الله افتدكارى \*

علم الله الا ايلو احصر

عد الزبور الذى الا ابقى غير اخبارى \*

والسواح ابلحكمام عامرا

وعدد الانجيل وقاربه قبل ان يحرفه ويطفئ نوره جحد الحكمة .

صلى الله عليه عد لنجيل وعد القارى \*

والقارى اكما وحي اخبار

قبل ايجيو الى امحرفينو يطفئو انوارو \*

جحد الحكماء القادر

وعدد سور القرآن الكريم وما تضم من سطور ، وعدد حكمه وبراهينه

واسراره ، وعدد ما فى السنة الطاهرة :

صلى الله عليه عد سورات القول الوارى \*

وما فالسور امن اسطرس

واعدد الحكمات ولبراهن واعداد اسرارو \*

وما فالسنا الطاهر

وعدد الرسل والانبياء فى كل عصر ، وعدد الاولياء والاقطاب

والملائكة ، وعدد الجن الذى لم تره الابصار :

صلى الله عليه عد لرسال افكل اعصارى \* والنبيا لنوار ادلبشار

وانوليا واقطاب ولمايك وين ما ساروا \* والجن الارات باصرا

ومثل هذا نجده عند المغراوى الذى يبلغ بصلوات الله على الرسول.

فى «عين الرحمة» عدد الحب وأوراق الاغصان، وعدد الفواكه التى تنتجها  
الاكوان فى كل عام ، وعدد نجوم السماء وحور الجنان ، وعدد اعشاب  
البيداء المختلفة الاصناف ، وعدد ما احاط به علم الله وكل ما هو حى  
وميت وكل ما ظهر للمعين وما خفى :

صلى الله اعليه عد اطعام الحب اوراق لغصان

واعداد الغل افكل عام من لكسوان اتجيننا

واعداد نجوم السما وحور الجن والجنان

واعشوب البيدا اعلى اصناف ايسار وايميننا

واعداد ما حاط به علم الله كيف اقضاه كان

والحى والميت او شلا شافوا عيبننا

وكذلك النجار فانه يصلى على النبى الكريم عدد النحل وشهده ،  
والاطيار المغنية فى رياض حافل بالغلال ، وعدد الجراد والنمل وما زرع  
الفلاح ، وعدد الحصى والرمل ، وعدد انفاس الخلق والالوان والصور  
المتشابهة ، وعدد اصناف الارزاق المختلفة ، وعدد اللغات والمتحدثين بها  
والسامعين ، وعدد حروف آيات القرآن وسوره والحديث الشريف ، وعدد  
ما يلقنه الفقيه لطلبته ، وما فى السماء والارض من سكان ، وعدد ما دب على  
الارض ، وعدد الرائيين والتخادين ، وعدد ومضات البرق الخاطف واصوات  
الرعود وهبوب الرياح وما تهطل من أمطار ، وعدد مياه البحور وعجائب  
الحوت ، وحب الجوهر والياقوت والمرجان وكل ما يلعب ، وعدد الاقمشة  
الهندية المزينة كالزرايبى ، وعدد نعيم الجنة والقصور ، وعدد ما فى  
علم الله :

اعليه اصلات الله دايمنا قد انحل واعفاه

وما غنت اطياف فى ارياض احفيل ابغلاتو

...

واعداد اجنود الجراد والنمل جندو يتعداه

وما زرع الفلاح ولحصا والرمل اعتماتو

ما تقوى نحصيه

واعداد انفس الخلق واللوان اصورت لشبابه

واصناف ارزاق امخالفها او كل امحدث بلغاتو

والللى يصغى ليه

واحروف آيات اسوارو ولحديث ارقت معناه

وما فاد الطلبة افقيه نجمى يدري معناـو

مهـما يلفظ بيه

وما فتخوم اسفاليها او قد الساكن فسماه

وما دب على الارض قاطبا والرياح نمباتو

والعاطف لمجيه

وما شمار البرق لخطيف والرعده اصوت انداه

وما هبت لرياح والركم اكافى مزناـو

والمتوكل بيه

وما صبت لمطار امن اسماءها وابحور امياه

واعجائب حوت فحجابها وحب الجوهـر واتقات

مرجان ايوتيه

وبديع الياقوت الرفيع وما يلمع بضياه

واقماش الهندى وما يماثل نفوار المخرجات

لـزرابى نحكيه

وانعيم الجن والمصـرور وما شى علم الله

ويذهب ابن على غنى عد صلواته الى ما خلق الله وما شمار على الارض

وعام فى البحر ، وعدد سائر المخلوقات التى لا يمكن احصاؤها ، وعدد ما

طار فى الجو من اطيـار ، وعدد النحل وما قطف من ازهار ، وعدد ما هبت

الرياح وصوتت الرعود ولمعت البروق ، وما نزل من أمطار ، وما فاض

بمائها من أنهار ونبت من أعشاب ونما من أشجار ، وعدد ما انتفع الخلق

بهذا الماء ، وعدد ما ظهرت النجوم ، وعدد اوقات الفجر ومصلية ، وما

أشرفت الشمس واضاء القمر ، وعدد الاكوان التى أخفاها الله :

صلى الله اعلى اشقيعنا عد ما خلق لكريم يدريج من فوق اتراه

وما دب افدأخل لبحر \* من مخلقات لا من يقوى يحصاها  
صلى الله اعلى اشفيعنا عد ما طارو اطيوار وارقوم الجوا اعلاه  
بقدرتو واتروح للوكر \* واعدد انجل ما قطف زهر اعفاهما  
صلى الله اعلى اشفيعنا ما هبت لرياح وارعود والبرق اشعاه  
وما نزل الارض امن امطر \* واعدد اعشوب به تقحت واحياها  
صلى الله اعلى اشفيعنا ما فاضت لنهار ابلمياه اساق ابمجراه  
وما تقحت به امن اشجر \* واعداد ما تنفع الخلق ابماها  
صلى الله اعلى اشفيعنا عد ما طلعو انجوم والفجر او من صلاه  
وما طلعت الشمس ولقمسر \* واعداد اكوان رب لعباد اخفاهما  
ولاين على تصلية رائعة يقول فى حربتها :

صلو اعلى الصديق الصادق جد الشراف نور العين  
امام لنبيا بلقاسم محبوب ربنا الرحمان  
وله أخرى يدعو فيها للصلاة الدائمة دون حصر :  
عين الرحما يا عاشقين طهلووا عليه \* اصلات الاتحصى امداو ما هي ربح اماتو  
اخاتم كل ارسال

اما ابن الوليد فيصلى عليه مائة الف مرة صلاة صافية خالصة :  
يا صاحب الشفعا صليت اعليك فى انشادى  
اميات الف من اصلا مقبولا  
ثابتا من عند المولى  
امحققا ما فيها لولا لولا ابديولا (I)

بل يصلى عليه فى كل ليل ونهار ، عدد الرياح والرعود والامطار ،  
والاقلام والالواح والافلاك والعرش والكرسى ومياه البحار ، وعدد ما خلق  
الله من اغصان دائمة الفوخ بالطيب والعبير دوام ملك الغنى القهار :  
اصلا والسلام فى كل ليل ونهار  
اعليك يا بهادى طيب لمسالك \* قد ارياح قد ارعادهما ولمطار

---

(I) اللولة : الشائبة ، والبدول : التبديل والتحريف .

واعلم القلم واللوح الفلاك \* والعرش والكرسى واكذا امياه لبحار  
واعدد ما خلق فالدنيا من ياك (١) \* دايماً ما دام الملك لغنى القهار  
بالطيب ولعبير وعنبر وامسك

ومن اروع التصليات بعد هذا تصليّة الشاوى التى يقول فى حربتها:

صلى الله على الشفيع نور الحق المرشاد

عين الجود الطاهر الزكى ربى واسنادى

طه مولى التاج واللوا والجوض المورود

#### الغاية من المدح والصلاة :

والشاعر الشعبى فى مدائحه وتصلياته مدفوع بحب يتأجج فى قلبه  
للنبي الكريم ، وهو حب لا شك فى أنه خالص صادق ، وان بدا فى التعبير  
عنه تشابه وتماثل أساسهما وحدة الرؤية من جهة ، وعدم تعمق حال  
الوجدان لاستخراج الجديد من الافكار والاحوال ، وخاصة عند الشعراء  
الايوساط من جهة ثانية . ولكن هذا الحب رغم خلوصه وصدقه ليس غاية  
فى نفسه ، وانما هو وسيلة لتحقيق هدف يطمح الشاعر اليه وهو زيارة  
مقام الرسول الاكرم والدخول فى حماه لنيل شفاعته وادراك الجنة . وقد  
يبدو فى ذلك ما يدعو الى الطعن فى صدق هذا المحب طالما انه ليس مقصودا  
لذاته ، ولكن عظمة الغاية التى يسعى اليها وبعدها يشفعان لهذا الازدواج ،  
وهو ازدواج يكاد لشدة تقاربه يوحى بالتحام الغاية والوسيلة فى وحدة  
وارتباط . ولا عجب فالمحب اى محب يسعى الى نيل رضا حبيبه ووصاله،  
والوصال بالنسبة لمحِب الرسول يتم بزيارة مقامه الشريف ومشاعده  
نوره ، اما رضا عليه السلام فدليله ان يمنح محبه الشفاعة يوم القيامة  
حتى يفوز بالجنة . لذا فلا غرابة ان يتخذ الشاعر الشعبى مديحه للنبي  
وصلاته عليه جواز عبور للبقاع المقدسة ثم الدار الآخرة عساه ينال  
فيها الجزاء الحسن .

فالمغراوى يطلب من الله أن يجود عليه بفضلته ويجعل مقامه فى الجنة

ويكرمه بالنظر الى وجهه :

١ - الايك .

يا ذا الجليل جسد علينا \* في ذى اوديك حرمت فـ  
واجعل امقامنا فالجننا \* ابهرمت الشريف ارسـ  
وارحم اسلافنا واكرمنا \* بزيادت النظر في وجه  
ويرجوه ان يعجل له بزيارة مقامه الكريم حتى تشفى  
في جماله وان يمنحه ظل لوائه يوم الحساب ليفوز بالجنة وينـ  
عجل ابنورتي امقامك نعم النظرا \* تشفى في جمالك الرو  
وانكون تحت ظل الواك انهار العسرا \* انفوز وانجنب نار  
وهو يرى في «عين الرحمة» ان مدح المختار تنزه وان  
يوم القيامة في ظله :

ربى كريم اجعل ارحمتو سبقت غضبو افلا زال  
واجعلها فقلوب هل نيمان مدح المختار انزاها  
من مدحو يدخل تحت ظلو يوم القياما  
لنوتاج المرسلين وانهايت لـ  
ويرى كذلك ان تمجيد الرسول يطرد الحاسدين ويطهر  
وأن صلاته تصفى القلوب من الكدر :

تمجادو يجرى اعلى انكودى ويطهر جمع لحزان  
اصلاتو اتصفى اولا تخلى فالقلب اغبيننا  
ويسال الله ان يلطف يوم الحشر ، فهو قادر على أن  
ويعمهم بالغفران ، وان ينجيه من شر النار المحرقة وان يسه  
وان ييسر له الطواف بالكعبة ورؤية حرمها والسعى بين الـ  
ومشاهدة مقام الرسول وطيبة . اذ ذاك يهنا ويعود طاهرا كـ  
وقد انطلقت مهجته وارتاحت روحه :

...

من نسعاوه لقبول يلطف بنا يوم لوقوف \*  
والخلق كل يفعلو



يسعدنى فدائيتى يجعلنى نمشى انطوف \*

بالكعبا وانشوف حرمها والمرى واصفا

انشاهد عين لوجود المفضل عن اجميع لفضال \*

وانشاهد طيبا اوقبتو نبصرها وانراها

نتبنا وانعود كيف نبغى ميا صافى ازال \*

اصميم المهجا ايرى والروح اتصيب امنها

ويرى النجار أن الصلاة على النبي تمحو سيئات المكث من الذنوب :

واكثر الذنب ايزيد فى اصلاتو تمحا سيئاتو

وغاية المني عنده ان يحج قبل ان يموت ، فبذلك يندى روضه

ويتفتح زهره ، وهو مشتاق لزيارة البقيع والكعبة والحجر الاسود ، لو

وجد الى ذلك أجنحة لطار ، وقد طال جرحه وليس له دواء غير الاقتراب من

باب السلام ، ولكن جسمه مثقل ، وليس له ريش يطير به ، فهو لهذا

راض بالقدر :

اتوجه يا بادى \* نوصيك للسفر واعمل قبل الموت زاد

يصبح روضك نادى \* ويفتح الزهر والسوسان من تغباد

...

ونقول آتغرادى \* اعلى لبقيع والكعبا واحجرت لسعاد

لو صبت امرادى \* واجناح طير زاعم تدنا به لبعساد

طال الجرح الكامى \* مالى اطبيب دون القرب الباب السلام

لكن ثقل اعظامى \* والريش خانى وارضيت ابما افلحكام

واين على يرجو من ممدوحه الا ينساه ، ويطمع ان يدخل فى حماه

لينجو من حر جهنم ، فقد اثقلت كاهله الاوزار فلا يستطيع تحملها جسمه ،

ومادحه يصول ويفخر ويطلب الجنة :

أمحمد لا تدوز (I) مداحك طامع فى احماك ينجا من حر الظاه

حامل عن كهلى من لوزار \* وامحمل عن اعضايا شل نقواها

أمحمد لا تدوزنى ربى يغفر للمخلق كافا الو جمع اعصاه

(I) داز فات ولعل اصلها من داس فى الفصحى .

مداحك ايصول ويفخر \* لك الجنأ اطلب وانت مولاها  
 أمحمد من ادخل افحرمك يمحي وزرو لكریم لجلك اجعل مأواه  
 فالجنأ يهنا ويستقر \* دار اليكرام ينكرم من فحماها  
 أمحمد لا تدوز مداحك طمع الخير فيك اجعل الجنأ مجزاه  
 كان اشفعتي ربنا اغفر \* للنفس الو اتعيش في وزر خطاها  
 ويرى العلمی فی احدى « جلالياته » ان الصلاة على الرسول حرزه  
 ورقيه وأمانه ، تحفظه وتصون دينه وايمانه ، ويراها زهوه ونزهته وسلواه  
 وعزه وحرمة وشأته ، هي ورده في كل وقت وحين طالما امتدت به الحياة :  
 هي حرزى ورقيتسى هي الامان \* هي حفظى اوصون دينى ويمانسى  
 هي زهوى وانزاهتى هي السلوان \* هي عزى وحرمتى هي شانسى  
 هي وردى اعلى اندوام افكل احيان \* ان شاء الله ما فاجبات ابقانسى  
 أما ابن الوليد فيطمع فى أن ينظر اليه لكى يصلح فسادة بجاء  
 مديحه ، وان يشهد له بانتسابه اليه ، ويرحب به حتى يزول عنه الكرب  
 والضيق وأن ينقذه من الاضرار ، ويدخله فى زمركه للجنة ، ويسقيه من  
 حوض الكوثر ، وتلك أقصى غايات الضيافة :

وابغيت فيك نظرا تصلح بمدادها افسادى

وابغيت فيك تشهد لى بالنسبا

بعد تلقائى بمرحبا \* اتزول عنى هاذا الكربا \* اكمل نشبا

وابغيت فيك تنقذنى من لضرار واسقايم

وابغيت فيك ندخل فزمرتك للجنان زاعم

اكمال عز امضافا

وابغيت فيك تسقينى من حوضك ما الكوثر

فاذا ما تمت له النظرة فى طه فرجت كل انكاده واغتنى بعد فقره ،  
 وعلم ان الله قبله فى جنته واعتقه من النار ، وحق له ان يصول بشرفه  
 الحسنى مفتخرا دائم الفرح ، زاهيا منتشيا ، وقد سلم من كل عيب ، وهو  
 يلج على الرسول الاعظم ان يجود عليه فى سخاء وعطف ورحمة :  
 ونا ايلا انشموك ياطه تنفجا انكادى

ونعرف بين رب البيت اقبني  
امن اعذاب النار اعتقني  
بعد فقري نصبح مغني  
اشريف حسني  
انصول ونفخر افطول ازمانني  
بفراح دايمنا  
اشريف بالزعر متخمر من كل عيب سالم  
ونتعدن الوافا جداسخ اعطف وارحمني ياطب كل اضرار  
وهو يريد ان يراه في المنام حتى يعالج من سقمه وتزهى عيناه ،  
ففي رؤيته بشري وغنية :

هل يامدرا نلقاك في انامي  
فبرا من اسقامي  
وتزهى انيامي  
نظرا فصورتك لكرمي  
بشرا على الرضا واغنيما  
أبو لال فاطما

وعنده ان النظر اليه غاية طلبه ومناه :

اخيار كل ما نتمناه  
فالدنيا شوقا فيك يا عربي  
هادك حد رغبتي  
عند لكرمي ربي

ومثل هذا يذهب اليه التركمان حين يرى ان الصلاة على النبي مفتاح  
كل المقاصد وغايتها :

طه واصلاتك الشريفا مفتاح الكل امن اقصد \* اعليك اغايت لقصد  
واما الغرابلي فيريد من الرسول ان يكون له سندا يوم القيامة حيث  
الامة كلها لائذة بحماه ، فذنوبه كثيرة ، وهو يخشى من ضيق القبر وعذابه  
ويرجو ان يقبل مدحه هدية ويرضى عنه ويرشده وينظر في حاله وياخذ

بيده حتى يصلح فسادہ ويخف حمل ذاته الثقيل :

أطه تبغيك اتكونه لي اسنيد واسنادي \* افيوم الا تجزي الوالدا  
عن مولود او لا اسنيد دونك يوم المعادي \* والاما فجماك لا يسدا  
أطه ذنبي اكثير خوفا من ضيق الحادي (I) \* يوم اتكون الذات فاقد  
لا أهل لاخوان او لا عمل او ليس التفرادي \* لا توبا للائم هسادا  
أطه تقبل اهديتي برضاك وتمجادي \* وارشدني جل لمراشدا  
انظر من حالي اوخوذ بيدي ينصلح افسادي \* ذاتي حمل اشغيف رافدا  
لعله واضح من هذا ان امل الشاعر من الرسول يكاد ينحصر في

أمرين : أحدهما الفوز بشفاعته يوم القيامة والثاني زيارة مقامه .

اما الشفاعة فقد جر موضوعها بعض الشعراء الى الحديث عن يوم  
القيامة وما يتم فيه من حساب وجزاء وعقبات ، وكيف يشفع الرسول في  
المسلمين ، على حد ما نجد عند المغراوي في «هول القيامة» حيث يذكر انه  
عليه السلام كان قد اخر دعاءه الذي طلبه منه الرب الكريم ليحييه عليه ،  
الى يوم الحشر ليجعله عاما على أمته خاصا بالشفاعة :

انجوا الهاشمي باهـج انوار \* ويقولوا جملت لأمانم  
جنا لك نطلب الشفـاع يا مختار \* يا عالي الجاه ولمقام  
ويقول انا نها واليوم الموعود \* وخرت اجواب ادعوتي عنداسؤالي  
عند امنابر ايقوم بمقام المعبود بين اكراس لوليا شمس ايلالي (2)  
ويسجد فالترا اينادي ياموجود \* وعدك بشفاعت لورا تجبر حالي  
ويقول الدايم لمسرمد \* ارفع راسك من السجود  
اشفـع نشفع يا محمد \* واطلب تعط ايجل جود  
وايقول الهاشمي لمجد \* اعجل بقضاك يا ودود  
اهل الجنا يدخلوها وهل النار \* يمشوا لها ابلـرام  
انا الشفيع فمتى وانت الفقار \* يا عالي الجاه يا سلام  
ايقول الرب كونوا افجنت رضوان \* اهنيـا جميع ما وعدت اليوم اكون

### الشوق والحنين للبقاع المقدسة :

واما زيارة مقام الرسول الاكرم فقد أتاحت لكثير من الشعراء ان  
يعبروا عن شوقهم وحنينهم للبقاع المقدسة وما يعانون من ذلك الشوق  
وهذا الحنين ، فعبد الله بن احساين دائم السهر والبكاء من الشوق ،  
معتل الصدر من التنهد ، لا شئ يطفىء من ناره غير زيارة أرض طيبة حيث  
يريد ان يمرغ وجهه على قبر الرسول ويتضرع اليه أن يمنحه الامان :

راني الله شاهد عن قلبي واللسان كل احيان

انبات كنضل ابشوقي والدمع كاينو لمـزان

بتناهدى اتعلل صدري والصعب ما بقي يليان

نمشي الارض طيبا نطفى ما فالقلب من نيران

وانمرغ لخدود ونتضرع فوق من قبر العدنان

وانقول ياشریف لاسم مداح طالبك للامان

ثم يعود الى منزله فرحان ليصلي ويصوم ويمدح الرسول :

وانعود من الحج المركاحي يا عنايتي فرحان

للمصوم والصلا وامديحك بين لحديث والقران

ويخاطب الطالب لحسن حجاج البيت ، وقد تعلق بهم قلبه وارتبط

عقله ، متمنيا ان يقف مثلهم في عرفات ويلبي :

عقلي طاش امعكم يا زيار العدناني

لجبل عرفا وانا

قلبي كيتمنى

بفضل مول المنا

نحصن بالحرم ايماني

نوقف في موقفكم

وانلبي بالرحماني

يرحمني بفضلكم

وانقول ابلغت امانى

وهو يامل ان ينادوه فيقطع المسافات ليلحق بهم :

مدرا لي بالحقان  
نربى نهج الطريقان  
ندهولى يا صدقانى  
نصبح فى حضرتكم  
مير العشاق اسقانى

ومن اجل ذلك يرجوهم ان يدعوا له الله ان تتم له مشاهدة نور  
العين والشرب من المعين ما دام يعشق وما دام الشوق يدعوه :

رغبو فيا المعينين  
انشاهد نور العين  
نروى من راس العين  
نعشق والشوق ادعانى  
فالمعلا ننظر كم  
وانشاهد من يرعانى  
كرموني بدعاكم  
خايف نفسى تسعانى

ومثل هذا نجده عند الكندوز الذى يخاطب الزائرين يرجوهم ان  
يخبروا صاحب المقام بحال مهجته الفانية وذاته النحيلة من الشوق ، يقضى  
ليله ونهاره تائه الجوارح ذاهل الروح ، لا يحلو له عيش فيرغب فيه ولا  
يناديه الموت فيرتاح ، دمه متهاطل كالمنظر لا يفتقر ، وسهره لا ينقطع من  
فراق من سلبه وملك عقله ، لا يزيد قلبه الا لظى واحتراقا وقد حالت دون  
الوصول اليه الروابي والجبال ، وهو وحده الذى يستطيع معالجة دائه :

خبروه ابحالى رامهجتى ارشأت \* من الوحش وذاتى بالشوق ناحلا  
اكما انظر انلاى (I) بالشوق كنبات \* ولجوارح تاهو والروح داهلا  
ما زهى لى عيش اولاً نادانى امات \*  
من افراق امناكم لنجال هاطلا

---

(I) اسير بدون هدف .

ليس تغتر كالودق (I) السائب الدقيق \*

تاه عقلي شى ايلاقنى ابجكم

...

وين ما سمرت انشاهد ما ريت اخيال \*

فالفكر واليقظ والذات فاهينا

اسلمنى واعلمك عقلي سميد الرجال \*

تاهت اسيار الذات امعا داويا

...

كن ساعا يزيد القلب الظا احريق \*

يا لى غيبتهم اوفين حدكم

اكما اتقيل نمشى سهران كل ليل \*

من اهوى محبوبى فاقد راحتى

...

درقوه اعليا لرواب الطواد \*

ليس من غيرو كان الليعتى اطييب

كذلك يبعث الفلوس سلامه للرسول مع الزاهب لزيارته ويطلب منه

تبليغه انه من الفراق ينحب معذب القلب هائل الدمع ملسوع الضمير ،

راجيا ان يقرب لمقامه وحماه وقد طالت غربته :

يا الغادى لمقام الهاشمى المرشاد \*

بلغ اسلامى حزم نهمى الهادى

قل اللجيب من افراقى عدت انجيب \*

وقلبى ابلفراق يا صاح متعذب

قل اللجيب دمع عيني هائل اسكيب \*

واضميرى ابلفراق لا زال امنكب

قل اللجيب ردت لمقامه تقرييب \*

هادى مد اشحال ونا متغرب

امتى لحماه فحياتى نتقرب

---

(I) الودق كما فى الفصحى المطر .

ويتوسل الى الله بمن زاروا بيته ان يزين اسمه ويزكيه وينعم عليه  
بلقب الحاج ، كناية عن أدائه الفريضة :

يا لمولى زكى اسمى باسم الحاج \* ابجاء من حج أطاف أزار حرم طه  
فما أسعد من زار مقام الرسول الكريم وادى الشهادة عنده ، وما  
أسعد من رأى سكان طيبة وفاز بالعز والرشاد ، وما أسعد من شهد نور  
الهدى المبهج ، فما مثل النظر اليه تنزه ، ولكن هل سيتمتع بصره فى جمال  
الرسول ليرقى عند رؤية صورته ؟

يا سعدات من زار امقام سيد لسياد يا سعدات من عندو أدى الشهادة  
يا سعدات من شاف امقام تلك لوهاد قوم طيبا فايز بالعز والرشاد  
يا سعدات من رانور لهدى المبهاج ما بحال النظرا فشمايلو انزاهها  
ياترى ننظر فجماالو ابشوف نغناج عاد نترقى لما صورتو انراها  
وقد تتاح الزيارة للشاعر فيحس هذه السعادة على حد ما تم للحاج  
اعماره الذى غدا سعيدا وقد حج مع الابرار ، وطلب العفو عن أوزاره ،  
وزار مقام النبى المختار ومتع بصره فى قبته ، أنعم الله عليه بالزيارة فتنور  
قلبه ، وتلا القرآن فى مسجد الرسول وسبح فى ساحته :

سعد سعدى حجت امع لقطاب لبرار سعد سعدى وطلبت لعفو عن اوزارى  
سعد سعدى زرت امقام النبى المختار سعد سعدى متعت افقتو ابصارى  
سعد سعدى نعمنى خالقى ابلمزار سعد سعدى واتنور ساكن السيارى  
سعد سعدى فى مستجدو اقريت لسوار سعد سعدى سبحت افساحتو البارى  
لذلك فما شاهد - فى رأيه - شيئا من لم يشاهد مقام الانوار ،  
وما أدرك من لم يدركه ، وما أحس من لم يحس سر الاسرار فى مقام  
المصطفى عظيم الاسرار ، وما فاز من لم يفز بالحج والذكر عند قبر النبى  
الكريم ، وما رشف من لم يرشف من ماء زمزم العذب خير الآبار ومظهر  
القلوب :

آش شافوا من لاشافوا امقام لنوار واش دركوا من لادرکوه افلعـمارى  
واش حسوا من لاحسوا بسر لسرار فى امقام المصطفى عاظم السرارى  
واش نالوا من لنالوا الحج واذكار فوق قبر الهادى لمشرفو البارى



واش رشفوا من لارشفوا افخيرليبار :ير زمزم لعذيب امطهر السيارى  
واذا ما هيئت الزيارة للشاعر فانه قد ينقل وصفا للركب ومراحل  
الحج فى قصائد أطلق عليها «المحمل» ، وهذا ما فعله عبد القادر بوخريص  
الذى وصف ركب الججاج المغاربة وهو يستعد للرحيل من فاس ، وقد  
ضم جماعات من سوس ومراكش والحوز والعرب والبربر ومختلف القبائل:  
أرواح أراسى اتشوف هذا الركب السايـر  
خلا ناس المذوق سايقا لمقام المختار  
مادامن قومان جات تمشى لدحج اتخاطر  
من سوس امراكش اللغريج جلوا الخطار  
واهل الحوز اوكل امن اتهايا واعرب وابراير  
واقبايل ثملا انصفها والطلبا لخيار  
ويعطى صورة لاطار هذا الجمع الذى برز فيه أكابر أهل فاس ،  
حيث نصبت الخيام واصطفت الخيول ولمعت الخناجر والسيوف والبنادق  
والرماح ، وحضر أبناء السلطان يحيط بهم الخدم والحشم ، ووقف رئيس  
الركب يستعد للرحيل وقد فاضت عينه بدموع كالجواهر :  
واخوايح هل فاس برزرا بضارب واسحاحر  
واخيام اعجيبا امتحفا فرجا للنظار  
واهجاين واخيول رايشا واصوارم واخناجر  
وامكاحل واسنون والسيوف اتقصر لعمار  
واولاد الملك عيدو رضى اسناهم زاهر  
حفت بهم ناس لوفنا واعبيد ولحـرار  
والحاج الطالب (I) فاض بحرو دافق بجواهر  
واتهايا للميز والسفر بالمال ولجوار

---

I - فى البحث الذى كتبه الاستاذ محمد المنونى عن «ركب الحاج  
المغربى» ان ركب هذا العام (I326) حج فيه المولى ابراهيم ابن السلطان  
المولى سليمان وان الذى ترأسه هو الحاج الطالب بن جلون (ص 15 ط.  
معهد مولاى الحسن - تطوان 1953) .  
(32)

واجمال وابغال ولحمل والصايم والفاطر

واهوارج واجحاف صاينا واعوانس وابكار

ويستعرض مختلف مراحل الحج ، وتبدأ فى رابغ حيث مكان  
الاحرام - بالنسبة للمغاربة - والشروع فى التلبية ، فالطواف بالمقام  
وتقبيل الحجر الاسود والوقوف بعرفات ، ثم الهدى والنحر فى منى  
صباح يوم العيد فرمى الجمار ، وبعد ذلك يؤدى العمرة ويقوم بزيارة  
قبر الرسول فى المدينة :

وافرابغ يحرم امن اتهيأ للحج وهاجر

ويلبى للمحى امن اصميم القلب البكار

ويطوف ابل مقام ولحجر قدامو يتجابر

وافعرفا تكمل حجتو ابرحمت الجيار (I)

وايضجى بمنى اصباح عيدو وايولى ظافر

بفرايض وامناسكو او حجو يرمى بجمار

وايجب العمرا اعلى النهايا ويطيش الزخاطر

وايجدد بالسير للشفيغ الماحى لمزار

أما اذا لم تتح الزيارة ، فيكتفى برسول يبعث معه كتابا للنبي  
العظيم ، على حد ما فعل الحاج محمد بن على المسغوى فى «المرسول» الذى  
يقول فى حربته :

من الغرب اتسير ابلكتاب بالمرسول وصلوا لحمد طه خاتم الرسالا

ويشير عليه بالطريق الذى ينبغى أن يسلك للوصول الى البقاع

المقدسة ، مع تحديد لكل المحطات التى يمكنه أن يتوقف بها ، وهو فى

البدء يوصيه ان يتجنب الصحراء لقلّة الماء وصعوبة الطريق وينصحه ان

يسلك طريق الساحل وان يظل فى ركاب الحجاج :

لا تفرق الحجاج اتنال كل تقراب فى اجمعهم تدرك لمراد دون ريبا

جنب الصحرا تنجا من هول واشغاب قلت الما فيها واطريقها اصعبا

اعلى ااطريق الساحل تقدا وصغ للقول رايد النصحك بحديثى افد لمقالا

أما الطريق في المغرب فيبدأ من الرباط فسلا فمهدية فأصيلا  
فالعرائش فطنجة فسبتة فتطوان فمليلية فجبال الريف :  
امن الرباط اخرج كركب ينفجبا ولقبول ايشمليك طيبو اعطير نفاج  
في اسلا تلقني لرجوعك نترجا دوز مهديا وزلا (I) او فوت لبراج  
من لعرايش نغنم في طنجا الحاجا ابزورت الوالي لمكني السيد الحاج  
يمن اعلى سبتا وفتطوان محفول اكون فملالا واتعود افلكفالا  
دوز فجبال الريف اولاً اترافق اجهول اترك خلفك قومان الجور وليجهالا  
ثم يعبر الحدود للجزائر حيث يمر بوهراڤ ومستغانم والجزائر  
العاصمة فعنابة ليصل الى تونس ، وفيها يزور بنزرت وتونس العاصمة  
حيث يوصيه أن يقف على مقام سيدي محرز قبل أن يأخذ طريقه لسوسة  
وسفاقس وقابس ، ومنها يدخل الى ليبيا بادئا بطرابلس فطبرق فبنغازي  
فبرقه .

دوز للغزوات بني انصاف بظهر \* وهران (2) اقبالو ينبا احصين زاهر  
مستغانم اسراسر اكبلها امنير \* كان فالتيه اتمان امديننت اتراير (3)  
بعد عنابة في بنزرت ماترى هول \* بات في تونس لها روح افلمهالا  
زور سيدي محرز واغدا متيل رقاص \* ذكر احبابي في سوسا مع اسفاقس  
في احصاهم تحظى هاني او لاترى باس \* ما نطقن اقبالك حتى اتشوف كابس  
بعد كابس في امساير اتشوف بفلاس \* من اسواحل جرب حتى طرابلس  
بات واقصد طبروق اولاً اترافق اكفول \* اتصيب بنغازي طرف اليم غلفالا  
كن في برقا حاضي لا يصيدك ادهول \* في امهامه درنا ما تلتق ادهالا  
ويصل بهذا الى الحدود المصرية الليبية ، فيدخل السلوم ومنها الى  
الاسكندرية فدمنهو فطنطا فالزقازيق فبنها فالقاهرة :

زد للسلوم اصغالي انفيدك بغراض \* ابلحديق كن افلمشمي اخفيف لعضا

I - يغلب قلب صاد أصيلا زايا

2 - يغلب على المغاربة نطق وهران بكسر الواو .

3 - يغلب على لهجات الشمال الافريقي قلب جيم الجزائر تاء وكأنها

تستثقل الجمع بين الجيم والزاي .

فى اسكندرية تلقى من لوفاحظ \* للدمنهو اتكلف ابلمشى اكبالا  
 فوت دار الرهبان تدرك عز واقبول \* بلعباس المرسى اللى افلحظا  
 زرد سیدی البدوى كان رايد اتصول \* افطنطا ما تحتاج لمراسمو ابدا  
 لى كازيك امع بنها اتصيب فالحين \* منها روح المصر يا رسول فرحان  
 ويتوقف ثلاثة ايام فى القاهرة ليزور مقام سيدنا الحسين والقلعة  
 وضريح الامام الشافعى والسيدة سكينة ويستمتع بصفاف النيل . وهو  
 خلال هذه الايام يتفرج على حفلات المحمل بقبابه وهوادجه والمشاعل  
 والعساكر فى زينا الجميل والابواق والاعلام والطبول :

سرتقام ولد الهاشمى اتصيب فالحين الجاههم اسع الرب لورا المنان  
 اطلع للقلعا لحصينا ومتع العين اعلى لخبير انفتش من به حق ستعان  
 زر لمام الشافعى اتعود مشمول بالثنا والبركا ولا تر امهالا  
 اكداك ست سكينا (I) طب كل معلول افحرمها زد اتدل غاييت الدلالا  
 اجلس تلتيام افرجا ابغيتك اتنال بنزايه بين القلعا وساحل النيل  
 كل يوم افراجا بين لكهول واطفال فى ايام المحمل اللى هو موكب احفيل  
 بالجوامر شمع يبريزها ابلهلال ولقيب وهوادج تشفى اسقام لعليل  
 ولعساكر تظهر فى زينا المكمول افلكسا وما دركت كيفها اعمالا  
 ابلعساكر واغوايط ولعلوم واطبول ايجددو داك الموكب كل ما اتبالا  
 أما الرسالة التى يحمل فسيبلغها عند شباك المقام ، حيث يوصيه أن  
 يضع يده ويخبر صاحبه الكريم انه جاء مبعوثا من محب فنى جسمه فى  
 حبه ، لو استطاع لقدم روحه مقابل وصله ورؤية نوره ، جاء برسالة منه وقد  
 تركه رهين الشوق يريد أن يتشرف بطيب اللقاء ، وألا يحرمه من رؤية  
 جمال وجهه وأر فى المنام ، فكل رغبته وكسبه أن يجود عليه بالرضا  
 والعطف :

بعدها توضع فالشباك راحت ايديك

قل لويا من روح النفس هايم افداك

(I) الذى يحفظه الرواه هو «ست ستينا» ولكن لا يعرف ضريح بهذا الاسم  
 فى القاهرة ، ورجحنا أن يكون تحريفا لـ : «ست سكينا» .

جيت من عند الملى جسمو افنا افحيك  
قال لك حق الملى بين لعباد نباك  
لو ايصيب ايبدل روجو ابطيب وصلك  
ايشوف نوراك من سجدت لو اجميع لملاك  
جيت برسالا واتركتو ارعين شوقك  
راد يتشرف يا سيدى ابطيب ملقاك  
لا تحرمو من نظرا فى اجمال وجهك  
حبها ولو فى امنامو ايشاهد ابهاك  
كان رفتلو من بعد الرضا ابعطك  
ذاك رغبو واكمال اتجارتو امن اوفاك  
ومثل هذا نجده فى القصائد التى يطلق عليها «المرحول» أو «الورشان»  
أو «الحمام» حيث يرسل الشاعر طائرا الى البقاع المقدسة يحمل رسالته  
لرسل ، مارا بنفس المراحل ومزودا بنفس التوصيات . من هذه القصائد  
«مرحول» الحاج عمر المراكشى الذى يقول فى حربته :  
أولد لحمام ادى لى عنوانى للصادق لمصدق رسول الله  
ومنها كذلك قصيدة الحاج ادريس لحنش المشهورة بـ «حمام المدينة»  
والتي يقول فى حربتها :  
هاك اكتبى يا حمام المدينة من أرض فاس سر اتزور المدنى  
ويوصيه اذا ما وصل الى الشباك أن يلقي بالكتاب ويبلغ الرسول أنه  
مبعوث من طرف عبد أثقلته الاوزار ، تحبسه وتقيده جرائم كبيرة ، وهو  
يرجو شفاعته ليل نهار :  
أوقف فالشباك الشريف الزاهر والى اكتاب للماحى تاج انصارو  
ثم قل أشافع لعباد الطاهر هذا كتاب عبد امثقل بوزارو  
محبوس امقيد فى اجرايمو لكبار يرجا اشفاعتك فى ليلو وانهارو  
**التوسل :**  
واذا كان الشاعر الشعبى قد عبر فى قصائد الحنين الى البقاع المقدسة  
والشوق لزيارتها عن حال ضعفه مثقلا بالاوزار ، فانه فى قصائد التوسل

كشفت شئ وضوح أكثر عن هذا الحال وعن رجائه الملح في الله أن ينقذه ويعفو عنه ، متخذاً وسيلته إليه أو الى رسوله الكريم وساطات مختلفة (I) .  
ومن أشهر قصائد التوسل قصيدة العلمى التى يقول فى حريتها :  
يا من ابلانى عافنى ارحمتك انال - خف ثقلى يتسرح يرتخا اعقالى  
وفيهما يطلب من الله أن يغيثه حتى ينفرج كربه ويصرف همه ويهنا  
خاطره ويسلو قلبه ، فليس له من ملجأ الا هو بعد أن فشلت كل حيلة  
وخيمت الاكدار فى ساحته ، وهو يريد أن يقضى حاجته فى الحال متوسلاً  
إليه بالرسول والأنبياء والأولياء والسادات والصالحين وكافة الاقطاب  
والابدال وجبريل وملائكة العرش وعزرائيل وميكائيل واسرافيل  
واسماعيل وابراهيم :

غثنى يتفجأ كرى انلوح لهوال \* خاطرى يتهنأ قلبى ايعود سالى  
لين يركن من بارت لو اجمع لحيال \* اوعاد منزل ديوانو ابلكدار مالى  
ادخيل لك أمولاي بالانبياء ولرسال \* ادخيل لك اسيدى بجاه كل والى  
ادخيل لك بالسادات الصالحين لفضال \* كافا لقطاب ولجراس وابدالسى  
يايلاه اسألتك بجاه حق جبريسل \* اسع املايكت العرش هل السما العالى  
اوجاه عزريل وميكائيل ويسرافيل \* كل ما نطلب لك نبغيه ينعطالى  
اوجاه اسماعيل ومول لمقام لخليل \* حاجتى نبغيها فالحين تنقضى لى  
وهو حين يتوسل الى الله يعرف أنه غير غائب حتى يرجوه أو عاجز  
حتى يعذره ، وانما هو قريب حاضر ناظر ، جزيل العطاء والاحسان ، قادر  
على أن يشفى ذات العبد من كل علة :

مانت شئ غايب نرجاك يالجليل \* اولأ انت شئ عاجز تعذر بالمولى  
اقريب حاضر ناظر معطأ احسانك اجزيل \* تقدر تشفى من ذات العبد كل علا  
أما هو فضيعف الجسم ثقيل الحمل لا يعذره الناس فى بلواه ، لا حول  
ولا قوة له ولا جهد ولا حيلة ولا تدبير فيما قضى الله :

لبدان اضعيف والحمل جابر اثقيـل \* ولخلاق ما تعذر حال من اتبلا  
مايل قوا ولا جهد ولا حـــــــــول \* ولا تدبير افلقضا ولا حـــــــــيلا

---

(I) معلوم أن للدين رأياً فى موضوع التوسل الى الله بالغير أو التوسل  
لغير الله ، ولكن ليس من شأننا أن نتعرض له فى هذا البحث .

وأمله كبير فى أن يبلغ مقصوده ، فالعبد اذا شكك لسيدده قبل  
شكواه وحرره ورفع مرتبته ، لذا فهو يدعوه ويرجو منه القبول والاسراع  
فيه ، ما دام باب الاجابة غير مقفل ، وما دامت خزائنه مفتوحة  
للسعاة مثله :

اذا اشكك العبد اعلى سيدو ايزيد يقبال \*

ايحررو ويديرو فمراتب لمعالى

باب نجابا عندك ما تسد بقفال \*

امخازنك مفتوحا للساعى ابجالى

...

من عندى انا الدعى ومن عندك لقبول \*

والحاجا ما تكون فيها تعطلا

أليس هو القائل لرسوله : «واذا سئلك عبادى عنى فانى قريب  
اجيب دعوة الداعى اذا دعانى » ؟ واذن فلن يخيب عبد دعاه وسأله ،  
فهو سريع العطاء ، تنفيذ امره رهن بحرفى الكاف والنون ، وتلك قدرة  
الجليل التى حارت فيها العقول ، وما حاول احد ان يحقق فيها الا وغاب  
عن عقله وتاه :

حق قلت يا ربى للنبي المرسول \* من ادعائك فعبيدك حق تستجب لو  
كيف يدعى عبدك واخيب بالمسؤول \* يا سريع المعطى لجميع امن اطلب لو  
أمرك بين الكاف ونون حق مفعول \* من اتحقق يحق واغيب له عقلو  
ولا عجب فقدرته وسعت كل شئ ، اذا اراد شفا العليل واغنى  
الفقير ورفع الوضيع وعلا شأنه وجاهه ، واسعد الشقى وغفر له معاصيه  
وصيره من اوليائه . لذا فالواقف ببابه يطمع فى العفو الذى وجود به  
على العصاة أمثاله :

اذا ردت بحكمتمك تشفى لعليل \* وبذا ردت لفقير يرجع ذو مالى  
وبذا ردت لوضيع يدنا للتفضيل \* ترفع جاهو ايعود فى منزل عالى  
وبذا ردت الشقى اتسعدو بالجليل \* تغفر لو افما اعصاك واتجعلوا والى  
بعفوك اتجود \* عل العصاة ابجالى

وهو يرجوه الا ينظر الى قبائح أفعاله ، وان ينظر الى ضيقه وضعف حاله ، فلن تنفع الله طاعته ولن يضره جهله ، ما دام غفارا لا يحاسب على الضلال :

لا تنظر يا كريم لقبايح فعلى \*

انظر من ضيقتى وضعف الحال

ما تنفعك طاعتي ولا ضررك جهلى \*

لنك غفار ما تحافى بضلالا

فيه رجاؤه وعليه توكله ، ولا يريده ان يسلمه الى من لا يرحمه ولا يرثى له ، هو المتعالى يعلم سر قلبه وانه لا يفكر فى غيره ، مهما ضاق به الحال وفاض قلبه فهو لا يسعى لغيره ولا يفتر عن سؤاله :  
من فيك الرجا واعليك الاستكال \* لا تولجنى اليد من لا يرثى لى  
انت تعلم ابسر قلبى يا متعال \* لا ينى ما ندير غيرك فى بسالى  
مهما يقنط ساكنى ويضيق الحال \* نسعاك اولا يغيب عنك اسؤالى  
ولا بن الوليد توسل رائع يقول فى حربته :

ناديت ابكرحتى اوصوتى \* وارفعت صوتى الرب الملكوت  
وادعيت اقللت فى ادعوتى \* يا من نجيت يونس فبطن الحوت  
اما قبل الموت وما بعد الموت ياربى كن لى افموتى

وهو يتوسل به اليه ان يسمع دعاءه ويلبى طلبه ، فقد وقف ببابه مملوكا يرجو ان يغنيه من احسانه وفضله الواسع ويهديه لذكره ويجعل هذا الذكر قوته والذ فى لسانه من كل لذى ويكتب له فى قسمته قصرا بالجنة :

انلهم ابحقك أمولاي اعليك \*

سلتك بك ياالسميع المن ادعاه

كن افطلبى اسريع اكما نطلب لك \*

يامن صورت صورتى فى شين ارضاك

انت السلطان مايلك فالملك اشريك \*

ونا المملوك واقف فى بابك نرجاك



ياربنا اسألك \* من فضلك واحسانك \* وانت الخير عندك  
ضافى اعلى اعبادك \* اغننى بفضلك \* الواسع اخزانك  
واجعل مشروبى اوقوتى \* ذكرك فلسانى اعلى من لذ القوت  
واجعل يا خالقى اقسمتى \* اقصر امؤيد افجنت لعلا موروث  
وله آخر يتوسل فيه الى الله باسمه وببعض سور القرآن الكريم ،  
يقول فيه :

نتوسل باسمك ليك اوصاد اوطه واقاف والقرآن لمبين والرحمان ياسين  
ولمولاي على شقور توسل يقول فى حربته :

ياالله نتوسل لك ابنورك يا سيدنا مولاي محمد حبيب عندك  
يرجو فيه الله ان يحن ويشفق على عباده ، والا يخيب من جهل  
بأمره والا يعاقب العصاة لانهم يلتمسون رحمته ، فكل الخلق فى قبضته  
وحكمه ، وكلهم يعرفه بقدر ما يريد هو ، بيده شفاء المريض لا يداويه  
غيره ، وبيده القبض والبسط ، واجد فى ملكه لا شريك له :  
حن واشفق اعلى اعبادك ياسيدنا \*

اولا اتخيب شئ ياسيدنا من جهلك

لا تزعج ابلعقوبا اعلى الى اعصاوك ياسيدنا \*

اوهمما ابلحبيب يرجاوا رحمتك

كل ما خلقت ياربى كلو فى احكامك ياسيدنا \*

كلها اوما بينت لو منك

والى امريض امعلال ادواء بك ياسيدنا \*

اولا ايداويه يا سيدى من غيرك

يا باسط لنعام ابسط اعبادك ياسيدنا \*

ابخيرك يا سيدى ونعمك

القبض والبسط كلو منك ياسيدنا \*

فيه القت يا مولاي عبدك

لا شريك امعاك اولاً مشرؤك ياسيدنا \*

واحد احد فى ملكك

ومن طريق التوسل الى الله لون جماعى يشترك فى انشائه اكثر  
من شاعر يطلق عليه « التويزة » او « الراحة والشفاء » (I) ، وهو عبارة  
مساجلة يقصد منها الى طلب شفاء صديق مريض ، او انتقام من طاغية ،  
يتطارح فيها الشعراء عربيات أو اقساما تكون فى مجموعها قصيدة (2)  
ومن اروعها تويزة مراكشية شارك فيها الاشياخ محمد بن لكبير ومحمد بن  
عمر ومحمد بن بوسنة متوسلين الى الله ان يشفى صديقا لهم مصابا  
بداء الضيقة النفسية ، بدأها ابن الكبير داعيا الشعراء الى طلب الرحمة  
والشفاء لهذا الصديق ومتوسلا الى الله ان يدركه بلطفه الخفى :

أسادتى اقوامى العلم الموهوب \* يامن لكريم هبكم افضل وافى  
عنكم اسلام فايق المسك افلجويوب \* يعبق عن جمعكم ياهل لقوافى  
وبعد مرو اقصدكم وجا مزعوب \* امريض النفس طالب الله ايعافى  
طلبوا له الرحمة العالم لغيوب \* اسميع امجيب ابلخطا ليس ايعافى  
هو يعفو اعليه من هذا المكروب \* يشفى ضررو افحين بدواه الصافى  
وادرك هاذ لمريض باللطف الخافى

(I) فى مراکش يطلقون على هذا اللون «التويزة» وفى فاس يطلقون  
عليه «الشفاء والراحة» . ومعنى التويزة الحصيلة ، وهو اسم شائع  
عند الفلاحين . وذكر لنا الشيخ ابن عمر المراكشى فى نشأة التويزة عند  
شعراء الملحون قصة اسطورية تقول ان ملكا كان له كنز لا يفتحه الا ايام  
المجاعة . وفى يوم من هذه الايام أراد ان يفتحه فلم يستطع فاستدعى  
العلماء فعجزوا فهددهم بالقتل . وكان احد هؤلاء العلماء متصلا ببعض  
اشياخ الزجل فحدثه عن الموضوع فقال له الشيخ : «انتم علماء الاوراق  
ونحن علماء الازواق» واخبر العالم السلطان فاستدعى هذه الطبقة من  
حملة علم الازواق — وهم الشعراء — فاخذ كل منهم ينشئ وينشد الى ان  
تيسر فتح الكنز .

(2) ذكر لنا اكثر من شيخ ان التويزة تقال قصيدة فى فاس  
وعربيات فى مراکش .

فأجابه محمد بن عمر :

واعليك السلام يا نعم المدوب \* اسلام الا يزول من عند اولافى  
استغدتنا جل قولك والمخطوب \* افشان هذا الرجول من ضرره خافى  
له نسال اعلاج ضرره دون اسبوب \* يضحى سالى اسليم هانى متعافى  
ما بين اهلوه ولامتوه فارح مطروب \* توب الراحا اكساه ليس بالوافى  
وانزلت بالسقم ما بقى مشغوب \* شفاه الله امن الضيقا متشافى  
محظوظ من لاينام وانسى كل انكوب \* وامضى ضرره وعاد بدنه صافى  
له نسال لكريم وكفى منصوب \* فدعايا كنقول يا نعم الكافى  
ادرك هاذ لمريض باللطف الخافى

ثم رد عليهما ابن بوسته متجاوبا منهما فى التوسل :

اتى مسطوركم يا لامت لنجاب \* والشرح صدرى امنين ريتو بهدافى  
افشان هذا الرجول بالضيقا موصوب \* بالراحا بشروه ضرره متنافى  
وفاء الله بعلاج ارمى لنحوب \* نجاه الله سار جرموه مترافى  
المهم ابجاه لهجيب المحبوب \* طسه عين لوجود نعم المقتفى  
اللهم ابجاه ما ضمت لكتوب \* وابجاه الساجدين فى كل افيافى  
اسألتك بك لك عجل بالمطلوب \* يامن ترى وتبين ترى كشوافى  
ادرك هاد لمريض باللطف الخافى

كذلك توسل الشاعر الشعبى للرسول على حد ما نجد عند ابن الوليد  
الذى يتوسل اليه بحرف القاف من القدرة ، وبحرف العين من اعز اصحابه  
العشرة ، وبحرف الفاء من فضل فاطمة وبحرف اللام من الملائكة المقربين :  
ادخيل لك ابقاف القدرا \* اعين عز اصحابك عشرا \* افا فضل فاطم الزهرا  
الام لملك لقرب عند مولاك

ويقف عند بابه يشكو متوسلا الى حماه ليعتق روحه من ايدى اعدائه :

هواها الخشن والشيطان اللعين :

واقف عند بابك شاكى

زكت يا محمد فحماك

فادى روحى بفدك

امن ايدين اعداها

نفسها واهواها لخشين

والشيطان اللعين

ومثله توسل الطالب لحسن الذى يقول فى حربته راجيا من الرسول

أن ينجيه من حر النار :

فكنا من صهد النيران \* يالعدنان \* يا رسول الدنيا والدين

ويطلب منه الا يفرط فيه يوم اللقاء الكبير ، فهو صاحب الفضل

والبر والشفقة ، وان ينجيه كما نجا الفارقين مثله فى الذنوب :

يا رسول العاهد لوثق \* لا اتفرط يوم الملقى

يا فصيح اقوال التصديق \* والفضل والبر اشفقا

يا مسلك من كان اغريق \* فالذنوب امثلي وابقى

ويتوسل اليه بعمر وعثمان والحسن والحسين والصديق وعلى وبقيّة

الصحابة الاركان واهل القرآن ، وبحمزة وفضلاء عقيل وبحرمة الكتاب

وصحف العلم ، يتوسل اليه بكل هؤلاء أن يفكه والمسلمين فى ساعة

الحساب :

ادخيل لك بعمر وعثمان \* بالعدنان \* والحسن واكداك الحسين

والصديق اجملت لركان \* يالعدنان \* ابعلى وهل اللبين

ادخيل لك اجملت لصحاب \* يالعدنان \* ابحمزا وفضايل عقيل

ادخيل لك ابهرمت لكتاب \* يالعدنان \* والصحوف اعلم ادليل

اتفكنا فى ساعته لعقاب \* يالعدنان \* ياشريف النسب انفضيل

ويتوسل محمد بن الحسين العلوى الى أصحاب الرسول العشرة

الشرفاء المنورين الذين سبقوا الى تصديقه :

زكت فحما نعم العشرة اخيار لصحاب \*

اصحاب محمد من لا كيفهم محبوب

زكت افحرم لصحاب نعم الاكرمين \*

من بهم طابت لمكارم فلجسنا

هما الشرفا لمكارما فالعالمين \*

هما الى نورهم لكمل اقتبسنا

هما الى صدقوا ابالحليم الامين \*

مهما نور عل لفلاك ارضا واسنا

فيما جابه صدقوا نور اشمسنا

ويتوسل الحاج ادريس لحنش الى أبناء الرسول أصحاب الجود  
والفضل ان ينظروا الى حاله حتى يظفر بأمله ويسلو وتهنأ روحه ويزول  
عنها الشقاء ، فقد جاء يسمعى حماهم ، وهم اهل الوفاء والرحمة ، ونجوم  
الدنيا الزاهرة ، عساه يقبل وينال الرضى ويزهى بالبشر حاله ، فقاصدهم  
لا يخيب ، وقد صال عليه الزمان فأتاهم شاكيا تسيل دموعه :

أسادتى أولاد طه \* شوفوا من حالى

جمعوا ذاتى امع ادواها \* نظفر بمالى

واتريح الروح امن اشقاها \* وانولى سالى

أسادتى أولاد طه \* بغى نبى من لعال

شوفوا حالى افغير حال \* رفعوا عارى اوصارخونى تهنا روحى الحايرا

أسادتى اولاد طه \* لحماكم جيت يافضال

قبلونى بالرضا انال \* يادار الجود ولوفا وانجوم الدنيا الزاهرا

أسادتى اولاد طه \* قاصدكم ما يرا انكال

لمن لبعير ولغزال \* اهرب لمقام جدكم ياهل الرحما الناشرا

اسادتى اولاد طه \* عنى هذا الزمان صال

والدمع من لعيون سال \* قبلوا من جا لبابكم شاكى يزها ابلمبشرا

فليس له من دواء غيرهم ، فى رضاهم عنه ربحه وغناه وراسماله ،

وهو يرجو ان يقبل عبدا فى حماهم للخدمة ، فهم آل النبى الاصفياء الاوفياء

المطهرون ، أعطاهم الله من اسراره الباهرة ، وهم ابنا فاطمة القرشينة

الشريفة الكريمة درة الجمال الحسنة الافعال ، الشبيهة بحور الجنان :

شيدونى ابلا دواكم ياهل لمعالى

ربحى واغناى فى ارضاكم هو رسمالى

قبلونى عبد فى احماكم نخدم مدالى

انتم اهل الصفا ولوفا وانتم اهل النبى الآل

طهركم حق ذو الجلال  
واعظاكم كامل لعطيا حسن اسرارو الباهرا  
انتم اولاد الشريف القرشيا درت لجمال  
لكريما زنت لفعال  
مولاتي فاطما البتول الحريا القاصرا  
والى اولاد فاطمة كذلك يتوسل الغرابلى فى قصيدته التى يقول فى  
حربتها :

طلبكم ضيف الله سرخنا يا اهل لحسان \*  
من يقصدكم حاشا ايخيب يا اهل انبيت العدنانى  
لشراف الحسين

وفيهما يقول متوسلا اليهم بجدهم ونورهم السننى وشانهم العظيم  
وطيبهم العطر أن يفكوا اسره ويغنوه ويجبروا كسره ويزيلوا ظلمته ويضيئوا  
نجمه ، فتفتح له أبواب الخير ويربح ويسعد فى آخرته ودنياه ، وطالما ان  
خلفهم مستر ، فهم رحمة للعصاة والمتقين ، وكل من لجأ الى حرمهم لا يخاف ،  
وهم يشفعون فى محبهم فيدخل الجنة :

نبغى اسراح يسرى \* وغنا فقرى \* اوطب كسرى  
نسعد وانفوز ابلمزيا حين ايظفوا اسياذا  
هل نؤفا ضمانى لشراف الحسين  
وابحق جدهم نسالهم الماجدين  
وابحق نورهم الوسم \* وابحق شانهم الفاخم \* وابحق طيبهم الناسم  
نبغى انلوح ظلمنى \* يضوى نجمى \* ابنور يسمى  
وابواب الخير تنفتح افربح الدنيا او لآخرا نسالهم يعطانى  
نسعد فالدارين

يا ولاد الزهرا الطاهرا الشرفا نخبة عدنان  
ما داموا فالدنيا انجالهم تقات وعصيانى  
بهم مرحومين

كيف انخافوا واحنا افحرمهم يالمت لخوان

ايشفعوا فاللبي حبيهم ويدخل الجنة عانى

يغنم حور العين

ومثل هذا التوسل بأولاد فاطمة الزهراء نجده عند الغلوس اذ يقول :

يا زلام البختار الباشمى المرسال \* لا تدوزونى يوم البعث وللهوالى  
توركم اكسا الدنيا ياهل تكراريم \* يا ترى فيها كم يتمتعوا انيام-سى  
توركم افضلو نسم لغنى الداييم \* اعل اليخان احباكم اوجاهكم سامى  
اذا عطفتو عنى روضى ايعود ناعم \* من اسقيتوه ما يبقى اكليلح ضامى  
اذا ارضيتو عنى نرمى اجميع نهوال \* ما يخيب امن اقصدكم ياهل لمعالى  
اذا عطفتو عنى قلبى ايربح والبال \* كان وصل ارضاكم على ارضى العالى

...

يا هل النور السانى جيتكم مكيود \* سر سرا سمجنى بالشراف امن اكيادى (I)  
يا هل النور السانى جيتكم مطرود \* دونكم ما عندى من ذا الغلال فادى  
يا هل النور السانى جيتكم موكود \* عاملونى يا آل المصطفى الهادى  
يا هل النور السانى جيتكم موسال \* صرخونى يكمل قصدى امع اسؤالى

#### مدح الاشراف والاوتياء :

واذا كان الشاعر الشعبى يتوسل بأبناء الرسول فهو يمدحهم  
كذلك ، فابن الوليد يطلب من المنشد ان يفخر بفاطمة بنت رسول الله  
عروس يوم القيامة ، الصائلة بجمال الشرف على سائر بنات آدم ، ويطلب  
منه أن يمدحها ويتغنى بمدحها حتى يفوز بنظرة فى جمالها ويفرح :  
صول ياغانى وافخر ابللا فاطما الزهرا بنت ارسول الله اعريس يوم القياما  
الصايلا ابزين الشرف اعلى ابنت آدم

...

وامدح للا فاطم بنت الرسول \* غنى بالمدح وامدح حتى بالمدح

تربح نظرا فزينها وافراح

...

(I) مكيود : مقيد ، والاكياد القيود . (2) سائل .

امدح يالمدح أقول أزيد قول \* عسى ان شا الله اتحوز نظرا  
افزينها واتفوز كنز امعظم افلكنوز

ولكنه لا ينسى شرف المقام فينبه مخاطبه ويطلب منه أن يتعظ  
ويتأدب ويتأمل ويمتثل ويطلب الامان ، ويهدى كلامه الجميل الى أم الجمال  
حتى يهدأ من الفتنة ويحوز الهناء وينال الغنى ويفوز بنظرتها فى المنام :  
اتعظ وتأدب وتأمل يارجول

وامتائل واطلب لمان

واهدى كلامك الحسن

لم الحسن

وارتاح من الفتنة

واطلب لهناء

اتنال لغنا

واتفوز ابغز لحلاما

ويذهب شقور فى مدحه للاشراف حفدة الرسول الى أنهم معروفون  
فى كل مكان ، لا يخفى سرهم ، من احبهم عظم وشرف وغدا سيفا مصقولا  
لا يقل ، ومن ابغضهم صار حزيننا ذليلا مهموما :  
اولادك فى اجبال ووطا ساروا بالتعريف \*

شوفوا بالناس سرهم عمرو ما يخفا

الى ايحبهم صار امعظم اشريف \*

سيفو مطحون عمرو ما يخفا

والى يبغضهم صار احزين احسيف \*

كيف المغبون الى يرفد لحفا

وفى نطاق مدح الشرفاء حفدة الرسول والتوسل اليهم ، مدح

الشاعر الشعبي مشاهير الاولياء والصالحين وتوسل اليهم (I)

---

(I) لا يخفى ان للدين رايا فى تقديس الاولياء والتوسل بهم او اليهم ،  
لا نعرض له ، فهو بعيد عن موضوع البحث . وكانت قد قامت فى المغرب



وكان المولى ادريس (I) اوفرهم نصيبا ، ويطلق على قصائد مديحه «الادريسيات» ومنها قصيدة للعلمي يصفه فيها بأنه هلال أهل الرأفة والوفاء والاحسان ، اذا رأف به نال لا شك ما فى ظنه ، وهو الامير الذي لا يعجز عن تنفيذ الاحكام ، يأمر ان عطف فينفذ أمره :

بإهلال أهل الرأفة والوفاء والاحسان \* الى اتروفا ابلا شك انال ما فظنى  
بالخير الا يعجز عن انفسود الاحكام \* ابلا اعطفت امر يعمل شرط كازم  
شهد بوجود أقدم الكرماء أمثال عدى وزيد وتاجهم حاتم ، كما تشهد  
الانس والجن والوحوش الهائمة والبر والبحر وسائر العوالم :

لك تشهد بالوجود الساخين لقدام \*

امثيل عدى او زيد وتاجهم حاتم

الانس والجن ايشهدوا ووحوش لهوام \*

ولبحور وبرين وسائر لعوالم

من العشرينات الى الثلاثينات من القرن الحالى حركة سلفية متأثرة بالوهابية ودعوة الافغانى ومحمد عبده الاصلاحية ، قادها الشيخ ابو شعيب الدكالى ، حاربت تيار الطرق والاضرحه والزوايا . وبحثنا فى شعور المعاصرين الشعبى علنا نجد انعكاسا لهذه الحركة فلم نجد شيئا حتى قابلنا شيخ مكناس السيد بنعيسى الدراز فذكر لنا انه كان مرة عائدا من زيارة ضريح المولى ادريس فقابله احد اشياخ مكناس كذلك ، يسمى مولاي احمد الدلال ، وعلم بامر الزيارة فخاطبه بعروبى فيه روح سلفى لم يبق منه فى علم الشيخ الدراز غير هذا المشطر :

اجى نوصيك يالى زاير لقب

فاجابه الدراز فى روح معاكس بعروبى لم تحفظ ذاكرته منه غير قوله:

عرك يبنيس يالى غت ابلقب

عنهم لا خوف لا حزن قول انعالى

...

عادوك هل لييمان والتقوا والحب

حب المولى اوحب خاتم نرسالى

وواضح انه يردد فى هذا العروبى الاية التى كان يتمسك بها الطريقون وهى قوله تعالى «الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (I) وفد المولى ادريس الى المغرب فارا من وقعة فسخ سنة 169 هـ ، وبايعه المغاربة سنة 172 ومات مسموما سنة 177 ، ودفن بزرهون ، وخلفه ابنه ادريس بن ادريس المتوفى سنة 217 والمدفون بمدينة فاس ، وكلاهما كان موضوع «الادريسيات» .

هو مقام الخير وكهف الاحسان والجود ، وهو القطب والسلطان  
المرفوع الاعلام ، وهو القرشي الهاشمي المرشود الوارث للفضل والحلم ،  
وهو سند المساكين والغرباء والمفقودين ، يلوذ به الفقراء والاغنياء واهل  
المدن والقرى وساكنو الخيام والاقطار المجهولة ، يتوسلون به وينادونه  
فتصيبهم جميعا رحمة الله :

يا مقام الخير وكهف احسان والجود \* يا لقطب السلطان الراقب ابنودو  
يا لحسن القرشي الهاشمي المرشود \* يا لوارث لفضل والحلم من اجدودو  
اسنيد لمساكن والغربا اوكل مفقود \* اوغانين وفقرا بك كيلودو  
اوهل لمدون وقرىات وساكنين لخيام \* واهل لقطار الا نعرف لهم اسم  
كافا ترغب واتنادى بفصيح لكلام \* اوكافا ترحام ابفضل لغنى الراحم  
ويتوسل اليه بحرا فاض مأوه على الثرى \* ويرجوه ألا يترك روضه  
يابسا وان يعطف عطفة تشفى من الادواء ، شبيهة بعطف الناقة على بكرها  
بين العيس ، ويتوسل اليه ذا منزلة عالية لا تخفض ، ونورا يسطع ضياءه  
كالشمس ، جاءه ولهان مستهائم القلب مفتاظا متعب الفكر مهموم القلب يزجو  
ان وجود عليه بالعلاج :

يا من بحرو اعلى الثرى دايم فياض \* لا تترك روض غلتى ظمان ايبيس  
اعطف عطفنا امخترا تشفى لمرض \* عطفنا نانا اعلى ابكرها بين العيس  
ياماسك امنزلا اعلاها ما يخفناض \* يامن نورو انبا اعليك اضياه اشميس  
اعزم لى ابالعلاج يا مولاي ادريس

فالذى لا يسقى غرس روضه من مائه لن يفوز بزهر جميل ، والذى  
لم يغتن أو يربح فى حماء فان جيبه يبقى خاويا ويظل مفلسا على الدوام ،  
والذى لم يعالج داءه بدوائه يظل متألما من مرضه :

من لا يسقى ارياض غرسو من ماكم \* مايدرك ماينال بهجت زهر انفيس  
من لاغنا وفاز واربح فيجماكم \* يبقى جيتوا على الدوام اصفر مفليس  
من لا يبر استقام ذاتو بدواكم \* لازال ابضر علتو معثور احسيس  
ويرى الطالب لحسن ان ببركة المفضل مولاي ادريس شاع ذكر خير  
مدينة فاس بين مدن المغرب :

امدينت فاس خيرها يتذكر بين المدون افغربنا

ابرکت بفضل عولای ادريس

ماس رمحه فظهر العز والفرح ، حيث جنب الناس الفتنة ، وملا  
صدورهم بالعلم وأبعد عنهم الوسواس :

ها زحـو ماس \* هل العز افرحا عنهم جنب لفتان

المعمر الصدور ابعلم التدريس \* ذهب الوسواس  
أما الغرابلي فيرى له مجدا قديما متأصلا يصونه كرم الجدود ، يكفيه  
النسب الطاهر الذي يقربه من الرسول :

لك المجد اقديم صايناه اكرام لجداد \* بالعرفان أغايت الرضا ماهي مجحودا  
دريا تاصلا (I) صيلها ما يحتاح اشهود

تكفيك النسب الطاهرا وقريب الميعاد \* من معدن الجود ولحظا نسبا محمودا  
مابينك أبين الزكي غير ادى لجدود

ذاعت علومه في كل مكان متقنة يرويها كل الناس ، غزيرة لا تدرك الا

بجهود :

واعلومك نائي اصقوعها في غايت لبعاد \* متقونا يروى انساجها عمراوازيودا  
مغزورا تغزير ساجيا مدروكا بجهود

وكالادريسيات «الجيلاليات» وهي القصائد التي قيلت في المولى عبدالقادر  
الجيلالي (2) على حد ما نجد عند العلمى حيث يصفه بأنه بدر لحد للمعان  
شعاعه ، يلهج بذكره الشباب والكهول والشيب في أركان الدنيا الاربعة  
من عجم وعرب وانس وجن :

بدر الا ينتهي امن اشعاعوا لمعان \* الشريف الكامل الشريف الكيلاني  
ياسميدى بك ايلغطو هل ربع اركان \* اشباب اشبابا وكهل وشيباني

...

---

I - الطائفة : الاصل ، وقد ترقق الطاء .

2 - الجيلاني (ويغلب نطقها باللام) او الكيلاني او الجيل ، ولد في  
جيلان سنة 471 هـ وتوفي ببغداد سنة 561 ، واليه تنسب الطريقة القادرية ،  
ولها عدة زوايا في المغرب .

لداين وانقري وانعجم والعربان \* اتعيط كافا باسم الجيلانى  
كيف اينادى الانس بك اينادى الجان \* سبجان الواحد لوحيد الوحدانى  
منحه الله من سره وقوته ، وولاه ملكا على كل السلاطين ، يرفع من  
اراد له الله العلو والرفعة فيصعد به الى أعلى الدرجات ويحط من شاء اهانته  
وتعظيمه فينزل به الى أسفل مقام :

ولك الحق عن اسلاطن كل اوطان \* تتبختر في امجاسن الملك الهانى  
ترفع من راد به خير لعلو امكان \* يصعد فالجين للمقام الفوقانى  
وانزل امن ابغاه يسلب ويهان \* ينحط اسريع للخصيخ السفلانى  
ويمثل للمهانين بالسودانى الذى استولى عليه الكبر ورفض طاعة  
الشيخ وقال غاضبا الا طاعة الا لله الذى ولاه ، فكان ان سلب كل شىء  
وغدا حزينا وخرج من عالم النور الى عالم الظلام ، وتبدلت حلاوة عسل  
القبول الى مرارة الهجر :

كل افحل مد ارقبتو طايح رضيان \* اسوى ما كان امن احديث السودانى  
ناغمت نفسو وقال بكلام الغضبان \* ما نعرف حد دون ربا ولانى  
ثم فالجين شاهد السلب والحزان \* راح امن انضو للمقام الظلمانى  
بدل عسل لقبول بمرار الهجران \* معلوم الكبر امن اسباب الحرمانى  
وعند العلمى ان تعظيم الاولياء جزء من الايمان ، يسلو لذكرهم خاطره،  
وبفرح مزاجه ويلين قلبه ، ويتهلل من البشر وتذهب أحزانه :

تعظيم الاولياء امن او ظايف ليمان \* ونا تعظيمكم هو سلوانى  
عند ذكركم نوجد قلبى فرحان \* كنى منكم من كثر ما زهانى  
قلبى القاسى ايلا اتفاكدكم يليان \* تتهلل ابشارتى ويذهب شيطانى  
حبه لهم قوة لساعده وحجاب يستره من عيون الحساد :

درت اشكال حبكم لعضودى عوان \* احجاب اعلى اعين لحسود اخفانى  
وهو عبد له يخدمه عساه يوفيه بعض جميله عليه وعساه يوجد عليه  
برؤية بدر وجهه فى المنام ، مثله حين يراه كمثل المرتعش من البرد ينظر  
الى قرص الشمس فيشفيه الله من داء البرد :  
عبد انخدمو انكون له من الخدمان \* اولوا نستوفا البعض من شاين افانى

من فرط الحب شقت للرؤيا زمان \* ايلانا شفت نور وجهك يكفاني  
كيف اللي شاف دارت الشمس البردان \* من ضم البرد قال لكريم اشفاني  
وكيف وفضله أعظم من ان يحصى او يحصر ، فلو اجتمع الانس  
والجن والحيوان ومخلوقات ما وراء الكون ، ولو اجتمعت دواب الارض  
وطيورها وهوام اليم وحيتانه ، لو اجتمع كل هؤلاء ومثلهم آلاف آلاف  
الاضعاف ليشرّبوا من بحره لظل بحره ملآن فائضا :

لو اجتمع آدمى او جن او حيوان \* او ماشين اورا الشد المورانى  
وادواب الارض واطيور امع الجردان \* او ما فاليم امن اهوام وحيثانى  
يرواوا اجمع والبحر يبقى مليان \* وامثلهم ضعف آلف ألف ضعفانى  
لذلك فهو يتوسل اليه بجاه الرسول عليه السلام والصحابة وكبار  
التابعين ومشاهير الاولياء والعلماء فى كل مكان ، وبجاء الملائكة والانبياء  
والاماكن المقدسة والكتب المنزلة أن يعالج سقم ذاته ويحميه ويرعاه .  
وهو يستعرض أسماء المتوسل بهم على هذا النحو :

الجيلالى حرمت جدك بولجسان \* الهاشمى لهمام ذا النور الممانى  
وابن ابى طالب الفضل روح الشجعان \* كوكب لمجاهدين رشدى وممانى  
وبابكر الزكى عمر وعثمان \* نرجا يوم اللقا ايكونوا رفقانى  
واجمع الانبياء امن ازمان الطوفان \* لزمان المجتبى اشفيغ العصيانى  
وابحق املايك نعظيم المستعان \* واسدردت المنتهى وعرش الرحمان  
حرمت طيبا امن فحضرتها سكان \* بن لهم ارجال ابلا اضمانى  
وابحق العلم ولحديث المضمن \* والايمان اوكل من لهم يانى  
بسلافك ونحفاد والاهل والجيران \* داوى ذاتى او لود بيا وارغانى  
وبمثل هذا الروح يتوسل اليه فى قصيدة أخرى يقول فى حربتها:  
لاعلاك أليت البيوت أمولاي عبد القادر \* صارخنى ماتخاف أولد رسول الله  
وقريب من هذا نجده عند الطالب لحسن الذى يقول فى حربته  
قصيدته الجيلية :

غثنى يا مولى بغداد \* ادخيل لجواد \* بك شجنى محسوب اعليك بك عانى  
ويقول فى رجال مراکش السبعة :

ليغائنا يالفضالى \* ياناس البهجا لبذور سبعة رجال  
ويقول الفقيه العميرى فى سيدى عبد السلام بن امشيش (I) راجيا  
منه الرأفة والعون ومشبها اياه بالبدر الذى لا يتوارى ضوءه على طول السنين  
وقد حجب أنوار كل الكواكب :

انا يا بن امشيش غارا بالرأفا كن لى اعوين  
يا بدر انبا اولا اتوارى يضى ما طالت السنين  
يخفى لهلال ولمنارا والسيرى الباقيين  
ويشبهه الحاج ادريس لحنش بالهلال الذى أشمرق نوره فى المدن  
والبوادي :

انمجد لهلال اللى اشرق اضياه \* بين لمدون ولديا  
ادم الوسيلا ضيف الله \* ابن امشيش غير اعليا  
ويقف لحنش بباب حمى الجزولى (2) بحر الكمال وكريم النسب  
المقرب من الرسول عليه السلام ، يرجوه أن يعطف عليه ويكرمه بشراب  
ويعطيه من فضله ما يطلب :

عطفا اويا الجزولى \* مولاي ابن اسليمان بحر لكمال  
عطفا اويامام الغربا \* العبد جالعندك يشرب  
كره و فحماك ابشربا \* واعطه ابلفضل ما يطلب  
لنك ياشريف النسبا \* من سيد لوجود امقرب  
ويتوسل محمد بن المختار الشرايبي الى الله بالتباع صاحب الخير  
العظيم والسعد الطالع والقدر الرفيع لكى يكمل قصده ويبلغ مناه ، ويرجوه  
أن يسقيه من سر بحره الفائض الذى فاقت حلاوته الشهد حتى يفوز كما  
فاز أتباعه وقد هداهم الله بسره :

---

I — هو شيخ أبى الحسن الشاذلى ، قتله سنة 625 هـ اصحاب المشعوذ  
أبى الطواجين الكتامى بجبل انعلم فدفن هناك .  
2 — محمد الجزولى صاحب «دلائل الخيرات» توفى سنة 870 هـ .

أهل الكيمياء \* لله غير أعليها  
أطلب ربي فيا \* يكمل نيا قصدي  
بنت اتوسلت لله \* راجاه رسول الله  
ندرك ما نتمناه \* أطاع السعدي  
الله ارفع قدرك \* اسقنا من سرك  
أيام فايض بحرك \* احلى من الشهيد  
أيا سيد التباع \* ربحت منك اتباع  
لاين سرك نفاع \* بك المولى يهمني

ويصف الطالب لحسن عبد الرحمن المجذوب بأنه طب كسره وصاحب

الاقوات :

في حق الله طب كسرى \* سيدي عبد الرحمان المجذوب لوقات  
وقد جاءه قاصدا متلهفا مطرودا من شدة الشقاء والتعب عماه يفك  
أسره ويبشره بزيارة لمقام الرسول عليه السلام ، فقد اشتاق له :  
غارا لله جيت قاصد لك لهفان \* مطرود ابلا طراد من شد التمحان  
يا بو لوقات سيدنا عبد الرحمن

تبشر حالي اوفك حصري \* شايق لمقام من اعليه اوحى لايات  
فشمهر رمضان بعد لسرى \* واحكم حكم لمبين فجميع الاشيات  
وللفقيه العميري توسل الى بو عسريه (I) يقول في حربته راجيا منه  
أن يجود عليه :

ضيف ربي غارا جود يا سيدي قاسم \* لمختر هيا حمر لكرون يا بو عسريا  
والرغبة التي يتوسل اليه في تحقيقها أن يكون له خلف وعقب في

---

(I) لعله أبو القاسم بن احمد بن الرشيد السفيناني المتوفى سنة سبع  
وسبعين وألف والمدفون على ضفة وادي ارضم حيث له فية كبيرة . ترجمه  
الافرائي في الصفوة (ص 157 - 158 - 159) قال : «وأصحابه يلقبونه بأبي  
عسريه لانه كان يعمل بشماله أكثر ، كان رحمه الله من المولمين في ذات  
الحق سبحانه ومن أهل الاحوال الصادقة والشطحات الربانية . وكان في  
ابتداء أمره معدودا من شجعان قبيلته ، ومن أهل الفروسية التامة فيهم » .  
ترجمه كذلك صاحب «ممتع الاسماع» ص : 134 .

حياته ، وأمله في ذلك كبير طالما أن برهان الشيخ قاطع ظهرت آثاره في كل مكان يقضى حاجة كل من قصده وبغنيه .

عنى واسرخنى آيا الشيخ أوكون امجازم

ابغيت لولاد فالدينيا انشوفهم ابعينيا

ابغيت تمنحزم امعايا أوكون فالدينيا ناجسم

الوالى برهانك بان المنحضر البديا

كايجوك من لقبائل اوسوس اوغرب تتلايم

تلها تقضى حاجتها اوكيف من جا بالنيا

اشحال من واحد نغنى اوسار فى حالو قادم

هكذاك أنايا يا شيخ واتكمل ليا

وقد يمدح الشاعر كل الاشرف أو جماعة منهم دون تحديد للاسماء ،

على حد ما فعل المدينى التركمانى واصفا اياهم بأسياده الابرار أصحاب

العز والنصر ، ومشبها اياهم بالاسود الذين لا يهابون الجائرين ، ومتوسلا

اليهم ألا يتركوه معذبا بين الثلج والجمر ، وهو عبد الدار :

واسيادى لبرار كلهم اقساور

مايههمم الجايـــــــــر

عيب عل لاسود هل العز والنصر

تبقى بين الثلج والجمر

ونسا عبيد الدار

ومثل هذا نجد عند المدثرى فى قصيدته التى لا شك يمدح بها

الاشراف العلويين ملوك الدولة ، يقول فى حريتها متوسلا الى المولى ادريس

والمولى على الشريف جد الاسرة العلوية :

غاراً مولاى ادريس بن ادريس أمفتاح الغرب والشريف الفيلاى

سيدي مولاى اعلى الشريف الينبوعو خصال

وفيهما يصفهم بأنهم المسك والعرد والورد والتدا والعبير ، وأنهم طيب

الغرس ورثوا العرش عن الرسول عليه السلام ، وأطيب سائر المخلوقات

وأنهم الاصل ، ، ومن سواهم الفرع ، وأنهم الملوك الصائلون على الدوام ،



وأنهم الفتح المبين فى قلوب العارفين الواصلين ، من لم يصل بهم تاه فى  
الظلمات ، وانهم مفاتيح كل المغلقات وعلوم الاولين والآخرين ، بهم يفتح  
العباد أقفال أبواب الله :

هما المسك انطيبو أوعود (I) والورد امع النداء اعبير فوطا واجبالى  
والجنا فاح انسيم طيبها من طيبت لفضال  
هما طيب الغرس والعرش ميراث امن انسيم لحييب راحت لنجالى  
هما طيب الثقليين جن وناس وانسا وارجال  
هما الاصل والخلق كلهم افروع من اوجسودهم وجدى يبقى لى  
هما لملوك اعلى الدوام بهم صايل من صال  
هما الفتح لمبين فى اقلوب العرفان الواصلين حضرت لوصالى  
من لا يوصل بهم تاه فالظلمة عن لوصال  
هما امفاتح لمغالقى الرقيقا واعلوم اللولين والختم التالى  
هما افبيان الله للعباد امفاتح لقفال

ومن قصائد مدح الاولياء والصالحين بعد هذا ما يطلق عليه «الجمهور»  
أو «جمهور الاولياء» وهى قصائد - كما يبدو من تسميتها - تستعرض  
مجموعة كبيرة من الاولياء ، ومن خير الامثلة عليها قصيدة العلمى يقول  
فى أولها :

يا من يشفى اضرار عبدو بعد السقم \* وايفرح من اقوات فالصدر احزانو  
وفيهما يستعرض أولياء المغرب على هذا النحو حيث يذكر بعض رجال  
مراكش كالقاضى عياض والامام السهيلي وابى العباس السبتي ويوسف  
ابن على والجزولى :

---

(I) المقصود به العود الهندى وهو نوع من البخور معروف بطيب عرفه  
حين يحرق ، وهو شائع الاستعمال فى البيوت المغربية حيث تصنع لاهراقه  
مباخر خاصة تكون فى الغالب من الفضة ، ويطلق عليه فى المغرب «العود  
نقمارى» .

قاضى عياض والسهيلى والسبتى \* ابو العباس غوثنا بسو لدروش (I)  
هو يطفى ابصرختو صهد الهفتى \* اكما يطفى الما الظاجوف العاطش  
يا يوسف بن اعلى انجيت ايلارفتى \* عيظت اعليك عيظت المرو الداهش  
الجزولى الشريف ستجب لدعوتى \* دعوت من اعلى العطف ييبحث وايفايش

لاه الله يارجال حضرة مراکش

كذلك يستعرض العلمى فى هذه القصيدة بعض كبار المسلمين على  
نحو ذكره الحسن والحسين وحمزة والعباس وسعيد وسعد وطلحة والزبير  
وأبى عبيدة وأنس وابن عوف :

ياحسينن ياسياد اجميع الناس \* عند اذكر جاهكم يصغر كل اكبير  
ادخيل اعمامكم حمزا والعباس \* واسعيد وسعد ثم طلحا والزبير  
وابجاه أبا ابييد والسيد أناس \* حرمت بن عوف لا تركونى فى ضير  
سالوا من رافتو اعلى ساير الناس \* ساعد واشقى ومعتذر واغنى وافقى  
يعطينى كل ما اطلبت اكثير الخير

ومن هذا النوع من القصائد ما يطلق عليه «المرحول» ويقصد به الرحلة  
تشدد لزيارة بعض الصالحين على حد ما نجد عند الشيخ البرى السلوى الذى  
اعتاد أن يخرج لزيارة بعض الصالحين كل عام ، يزور وزان وصلحاء ، ثم  
تأزروت ووليها سيدي يوسف ومنها الى جبل العلم حيث قبر سيدي عبد  
السلام بن امشيش ، ومن الجبل الى تطوان ليزور سيدي بركة ثم الى طنجة  
ووليها سيدي بوعراقيا ، ومنها للقصر الكبير لزيارة سيدي بوغانم ، ومنه  
الى لال ميمونا والشريف ابن منصور ، فالى مولاي ادريس الاكبر بزرهون  
وجاره سيدي محمد بلخير ثم الى سيدي بوعابة وسيدي غلال فى طريق  
عودته الى سلا :

فى كل عام نقصدهم أوفكل يوم بالحاجا مقضيا

طاحت اصبناها رقدوا احوال من طاح

(I) ابو الفقراء : اشارة الى مذهب السبتي القائل على أن « الوجود  
ينفعل بالوجود » .

أزرت وزان أشفت ارکان السعيد واضراغم لحميا  
أزرت سيدي يوسف في تارزوت مصباح  
واطلعت للجبل لمكنى جبل لعلام بصناكر اعلى النيا  
من ابن امشيش المولى عبد السلام نرتاح  
أبعدها اخرجت التطاون قابط لفيافي والبريا  
زرت سيدي بركاوالكريم فتاح

.....

من الطانجا شايلاه ابشامخ لقدر بوعراقيا  
اشكيت بالغربا واغرايبي وتكلاح

.....

من اللقصر ياصاحي خويا قلت وين الندلوسيا  
وين بوغانم وين الساكنين لبطاح  
وياك فالقصر تتغشم يا من لا اعرفت لو طويا  
لقصر برجالو طول الدوام صلاح  
منو الال ميمونا والخير ماخطا رجل ووليا(I)

اقرت معروف الله واختمت سورت افلاح  
واخرجت كانسال اعلى الحد أنا غشيم وطريقو ملويا  
ماوصلنا حتى شفنا امسايف اقباح  
منو اللعنيا بن منصور الشريف وارجال الصوفيا  
والبچارا ساداتى كلهم صلاح  
والغوث ابن ادريس اكبير الخصلا اخايلوعندي مرويا  
احداه سيدي محمد بلخير امن السياح

.....

اصبح الصباح وارمات الشمس اعلى لبطاح واخطفنا سرويا  
زرت سيدي بوغابا باللسان لحلاح  
واعلى الشجيع سيدي علال الشيخين عز المساويا  
اعمارت المعمورا والفاييز واسلاح

---

I يطلق اسم « الموليا » على المرأة .

منو البورزيم أفتوا واثبتت لمسافات المثنيا

اعلى اوصالى اسلا ثم ابرأوا لجراح  
وقد لا تناح للشاعر فرصة الزيارة فيكتفى برسول يبعثه ، وهذا ما نجد  
عند الحاج ادريس لجنش الذى بعث مرسوله يحمل رسالة الى الولي ابن  
المهيدى ، فى قصيدته التى يقول فى حريتها :  
الغادى للرباط هاك اسلامى لسيادى \* الولي بن المهيدى  
يبدأ الرحلة من فاس الى الرباط مستعرضا أسماء الاولياء الذين سيمر  
بهم فى طريقه :

أمرسولى هاك البرا (I) \* تدها لسيادنا لظهار  
من فاس الحضرا الزاهرا \* لرباط الفتاح ولسرار  
اطريقك سهل ظاهرا \* اسمع لى لبيان ولخبار  
زور الشيخ امع سيدى يعلى جارى \* والمتنقى به لاح بدرى  
باب المحروق فوتها واتوسل للبارى \* بكفيك الستار كل شرى  
بوعبد النور ولفقيه الشيخ الجرادى \* سيدى مسعود طب ضرى  
الشدادى اوبوبكر اشموسى واقمارى \* اتأدب للباقيين واسرى  
وهكذا الى أن يصل الى سلا حيث ضريح سيدى ابن عاشر وابن حسون  
وسيدى موسى ثم الى الرباط حيث زاوية الشيخ ابن المهيدى ليسلم الخطاب  
الى مقدمها الذى سيتكفل بتسليمه للسادة الشرفاء :

هاغر اسلا اقريب بلسان الحال اينادى \* وايقول اهلا زيد عندى  
ثم تدخل اقواسها \* ناشط بنسيم لعشى اتميس  
زور العارف عز ناسها \* بن عاشر والدر النفيس  
بن حسون وتابع راسها \* سيدى موسى نور اشميس  
واقطع لمدينات الرباط هم اكدارك ناسى \* فتمام الحج افدوك نفسى  
وادخل للزاويا اسعد تدفع قرطاسى \* لمقدم صافحسو اورسى  
هو يعطى اكتابنا للسادات امجادى \* للى بهم حاج وجدى  
واقصد لضريح جدهم فمان لقصادى \* بن المهيدى للصلاح يهدى

ويذكر بعض أولاد الشيخ ، من مات منهم ومن لا زال على قيد الحياة ،  
أمثال سيدي الحاج محمد وسيدي علال وسيدي عبد السلام والسيد الجيلالي  
والسيد المستل وسيدي الحاج بنعيسى :

بن لمهيدي به عزنا \* له السر الواضح المبين  
معظمها عند سلطانا \* مدامت ليام واسنين  
ولدو نال السر ولعنا \* ورث ذاك الجاه لمبين  
نعني سيدي الحاج محمد هو الثاني \* ثم الاول اسراج اعياني  
سيدي علال له جاء اعظم رباني \* كان ابري والنبى امعاني  
أوسيدي عبد السلام مع سيدي الجيلاني \* سيد الستل بدوام حصني  
يارب نعم لجميع افجنت رضواني \* واللى باقى منهم نعني  
لفحل سيد الحاج بنعيسى سرو ساني \* ادعى لى واكمل به ظني  
بن عمق شامخ لقدر جملة لعياني \* اسدى بوءهدى اشريف سننى  
.....

ايطلبوا لى الله عند اتمام لوراد \* يطلع بكمال اسرور سعدي

#### ملاحظة : العشق الالاهى

ونبحث بعد هذا عن العشق الالاهى فى شعر الزجال المغربى ، فنفتقده  
أو نكاد ، وكان الشاعر الشعبى ابتعد أو تعمد أن يبتعد عن النظر الى ذات  
الله والتغزل فيها والتعبير عن حبه لها ، حتى فى أبسط صور هذا الحب  
الخالية من التفكير والتأمل والفلسف ، وأغلب الظن أنه خشى الوقوع فى  
التجسيم وتشبيه الله بخلقه . ولعلنا لن نستغرب ذلك من شاعر شعبى  
محدود الثقافة بسيط الايمان ، يلقي بشعره الى الجماهير تنشده وتتغنى به،  
وهى بدورها لن تقبل على أى شىء لا يوافق مزاجها الساذج . ثم انه مهما  
ارتفع المستوى الفكرى للشاعر وجمهوره فانه يظل محصورا فى نطاق  
الفكر العام ، ونعرف ان الفكر المغربى طوال فترات التاريخ - اذا استثنينا  
عهد الموحدين - كان يتمسك بحرفية النصوص ويبتعد عن التأويل ، بما  
لا يتيح المجال للنظر فى ذات الله وصفاته وتعمقها وبالتالي للتغزل فيها  
والتعبير عن حبه . ومن هنا اتجه الشاعر الى الرسول عليه السلام يفجر كل  
طاقة حبه الروحى وعاطفته الدينية .

ولا يفوتنا أن نشير الى أن الشاعر المتصوف أبا الحسن الششتري ، وهو — كما سنرى — (I) احد الذين نقلوا الزجل الاندلسي الى المغرب ، كان ينظم قصائده وموشحاته وأزجاله فى مذهبه متغنيا بحب الله ووحدة الوجود، ولكن يبدو أن الناس الذين كانوا يستمعون الى أزجاله فى الاسواق وحلقات الذكر ، لم يكونوا يدركون فى هذه الازجال ما تصور من جوانب مذهبه التصوفى الفلسفى ، ولم تكن تأخذهم غير واقعيتها المتجلية فى شخصه وهو يجول فى الاسواق ينشد ويغنى ، وكذلك كان شعراء الشعب لا شك ، لا يفهمون مذهبه ، وربما كانوا سيقدمون فيه ويكفرونه لو فهموه .

ومع هذا فانا حين نتعدى نطاق هذه الطبقة من الزجالين الشعبيين الى طبقة العارفين المتصوفين ، فانا لا نفتأ نعثر على بعض ألوان حب الله . ومن هنا لم نجزم فى الحكم بعدم وجوده ، وقبلنا فى بداية الملاحظة اننا «نفتقده او نكاد» . وربما كان عبد الله الهبطى (2) أكثر من غيره تعبيراً عن هذا الحب ، يتجلى لنا ذلك فى بعض قصائده ومقطوعاته كهاته التى يقول فى أولها :

للرب شوقونى \* يا أيها الرجال

للحضر واصلونى \* حتى نرى الجمال

وكقوله من قصيدة أخرى :

ربى دايم اعظيم حصار \* قد جهلت انعوتو

ايغيب عنى مانقدر \* أو يحضر انموتو

حن لجمال عذبنى \* يا قوم العندو

قهر لجلال يقهرنى \* من قربو البعدو

من لطفو للعين \* يختفى ويبعدو

وكقوله كذلك فى «القصيدة النورانية من المسامرة الربانية» :

الحبيب فى ذى المبانى \* التى سموى وعدل

قد ظهر لى بالعيانى \* لا ترائى بعد نفعل

(I) فى الفصل الاول من باب « الاعلام »

(2) انظره فى الفصل الثانى من باب « الاعلام » .

ان تقول بعد التجلى \* ربما يسدل حجابو  
يظهر لك لكن يولى \* فى لحظا يضرب نقابو  
لا تامن عند التحلى \* أن يعرك من ثيابو

قد يقول قائل : وماذا عن القصائد التى خصصت للسلوك الصوفى  
ونصح المريدين ، أليست تعبر عن الحب الإلهى مهما كانت صور هذا الحب  
وصفاته ؟ حقا انا نشم رائحة عشق ذات الالاد فى بعض هذه القصائد ، وان  
كان يبدو من هذه الرائحة خلط بين حب الله والرسول . ونستطيع أن نمثل  
لذلك بما ورد فى دالية ابن رمويه حيث يقول فى لغة تكاد تكون معربة :

هم فى الحب واتوله وفى القلب ردد الله  
ثم غب فى الله بالله كالجلى والجنيد  
طف ابكعب لوصال وافن ذاك لخيال  
وقف عند لخيال واشرب كاس التفريد  
فحجنا مشروط وموقوف ومنوط  
على البذل والسقوط وتمام الوعود  
حجت لهوا اغالت وبالنفس اشتريست  
وعلى الصادق هانت بها نال المقصود  
اتجرد عن الحس وعن الحب للجنس  
واقصد حضرت القدس لب باسم المقصود  
اذكر ما دمت طالب وفى وصفو راغب  
حتى لا يبقى حاجب وتصل للمعهود

وحتى اذا كانت تشم من مثل هذا النموذج رائحة تتصل بالحب الإلهى ،  
فلعله واضح أنها خالية من تناول ذات الله وصفاته وعلاقة السالك بربه وما  
قد يصل اليه المرید من مشاهدة او اتحاد ، وانها محصورة فى التنفير من  
الحب الجسمى والحث على الذكر .

وقد يقول آخر : وهذه الاشعار التى تنشده فى حلقات الذكر وخاصة  
منها قصائد الحراق ومقلوعات ، أليست هى الأخرى تدور ولو من بعيد فى

فلنك حب الله والتغزل في حضرته ؟ قد تكون ، ولكننا لعدم وضوح صورة هذا الحب  
نميل في غير قليل من الترجيح الى أن الحراق لا يقصد غير حب الرسول  
عليه السلام ، ولنستمع اليه يقول انه حين جن الليل وسطعت كواكبه لطف  
الله به ووافاه بالمرغوب اذ ظهر له حبيبته وظل يمتع النظر فيه ، فهو يهديه  
روحه لا يطالب بها أبدا ، وهو له عبد مكسوب اذا رضى به :

جن الليل اعليا \* حتى ظهروا كواكبوا

والطف ربي بيا \* وافي ليا المرغوب

بان احببى ليا \* ما ذالى ونا انراقبوا

روحي ليه اهديا \* عمرى فيها مانظالبوا

ويدا يرضى بيا \* آنا لو مكسوب

وهو يرى أن كل من حلت النية في قلبه ظفر بالمحبوب :

واللى فيه النيا \* بظفر بالمحبوب

ويقول كذلك انه حين تم له الوصول وأشرق نور بهاء حبيبته نسي كل  
شئ فليس يذهب عقله غير هواه :

جاء اعنيا برضاه

لحبيب اللى حبيتوا \* زارنى وانعم لى ابلوصال

حين اشرق نور ابهاه

كل شئ بالقهر انسيتوا \* ياهلى عقلى اذا شفتوا زال

ما بى غير اهواه

ويذهب في موضع آخر الى أن ذكر الحبيب دراء يشفى من داء الارهاام ،  
به يضىء الوجود ويجلى ظلام الحب :

ذكروا حقيق للقلب ادوا \* يشفيه امن اسقاموا اوهاموا

به لوجود كلوا يضيوا \* من غسق لهوا واظلاموا

وعنده ألا أسعد ممن عشق الحبيب وخلع في حبه العذار ودار في حلقة

الذكر ينشد الاشعار في مدحه وحوله القوم سكارى من هواه :

ياسعد امن اضحى يخلع فيه اعذاروا \* وايدور فى اسواح الداروا

ينشد افلحبيب اسجالوا واشعاروا \* والقوم امن اهوا اسكارى



ويشجعنا على هذا الرأي ما شاع في قصائد الذكر عند غير الحراق من  
تمجيد للرسول صلوات الله عليه ، ومن أروعها قصيدة المغراوى التى يطلب  
فيها من مخاطبته ، لعلها حببته أو زوجه أو نفسه ، ان تزغرد فرحا وطربا  
بالمصطفى ، وأن لا تظل ساكتة ، وان تستوحى صوت زغردتها من وجده ،  
وبستغرب منها صامته كأن نغمته لم تهزها ، ويشبتها ويلح عليها فى الطلب  
ان تزغرد بصوت عال على سيد الرجال والناس :

ازغرتى ليس ساكتا \* من وجدى صيغى اوصيتى  
مالك مبكرما أو صامتا \* ما هزك غيران مايتى  
كونى زكموطا أو ثابتا \* واعلى سيد الرجال زغرتى  
واعلى سيد الناس زغرتى \* بالصوت العالى اقوام  
ويلح على ذلك أن يكون طول النهار ، ويطلب منها أن تشد حزامها  
ونكف عن المشى والحركة ، فقد حضر ضيف الحفل واشعل الشمع من  
العشى وفرشت الزرابى ورصت المخدات على اللحوف وأسدل الستائر  
على القباب ليبدأ الذكر والصلاة فى هذا الجو ، جو الفرح بضيافة الرسول :

ازغرتى لا تمل شى \* بن اصلاات الصبح ولعشا  
شد احزامك مابقى امشى \* ذا الفرجا ضيفها اغشا  
اشمعها يكدى من لعشى \* واقطوف ازرابى امفرشا  
واخذيد فوق اللحوف \* واخوامى زينا اعلى اساط القبا سجافا  
هل الحضرا اعظمو ويذكرو نعم الرؤوف \* ايدلوا اعلى خير خلق الله المصطفى  
هذا عرس اضيافت النبى محمد زين لحروف \* صلى الله اعليه والرضا لهلو والخلفا  
ما دام ادوام لغنى ينظر حضرا فينا ايشوف  
فالليله ممتعة يجب السهر فيها وقد سبب النسيم الطيب العطر ، وعين  
العاشق تنظر ، وكل من نظر الى الله ينصر :

ازغرتى لازم السهر \* ليلتنا ليلا امخترا \* هب انسيم الطيب ولعطر  
واعيون العاشق نظرا \* اللى نظر الله ينتصر

الباب الثالث

الأعلام

## الفصل الاول

# مرحلة النشأة

## اسماء ونصوص قديمة

ليس من شك في أنه من الصعب تحديد نشأة شعر اداته لهجة عامية دارجة ، وليس من شك كذلك في أن تلك الصعوبة تزداد حين لا تتوفر النصوص الأولى لهذا الشعر ، مروية كانت او مدونة ، لذا فانا نجد غير يسير علينا ان نحاول بحث اصل القصيدة الزجلية المغربية ونشأتها طالما أن الرواية الشفوية لا تمتد بعيدا عبر القرون ، وطالما أن المصادر المكتوبة لم تعن بتاريخ الآداب الشعبية وتسجيل نصوصها الا في القليل النادر .

وقد لجأنا الى هذا القليل النادر علنا نعثر فيه على ما يسعف في البحث ، كما لجأنا الى الشيوخ الرواة وتتبعنا معهم تسلسل محفوظاتهم حتى الخيوط الأولى منها عسانا نقف على مرويّات قديمة ، فتجمعت لنا من المصدرين مادة هزيلة ، ولكنها على هزالها القوت بشعاع من الضوء رقيق لا يساعد على غير تلمس السبيل في متاهات مظلمة لسرى قد يحمد عند الصباح وقد لا يحمد .

وقد حاول الاستاذ محمد الفاسي أن يحدد البواكير الأولى لهذا الشعر ، فوقف عند قصيدة نظمها ابن عبود في منتصف القرن العاشر ، واعتبرها أقدم نص . وفي هذا يقول :

« وكانت اقدم قصيدة بلغتنا عن طريق الحفظ والكنائش القديمة هي قصيدة «الحربى» للشاعر ابن عبود ، وهو من اهل فاس ، كان ايام الوطاسيين وكان مع سيدي عمرو الوطاسي قائد الجيوش الوطاسية في وقعة تادلا بين احمد الاعرج السعدي واحمد الوطاسي ، وهي التي اسفرت عن اعتراف الوطاسيين بسيادة السعديين على الجنوب ، وهذه القصيدة في وصف هذه المعركة ، وتاريخها سنة 943 هـ الموافق لسنة 1536 م (I) .

---

(I) مقال «الادب الشعبي المغربي الملحون» مجلة البحث العلمي العدد الاول السنة الاولى 1964 .

أما القصيدة ، ولم يذكرها الاستاذ الفاسي (I) ، فهي التي يقول  
الشاعر (2) في أولها :

(I) اكتفى بالتعليق عليها بقوله في نفس المصدر : « وقد اجيز ابن  
عبود على هذه القصيدة بتلبية طلبه في جعل محل بفاس رهن اشارته  
لانشاد قصائده به يوم المولد النبوي ، وهذا المحل هو ما يسمى مسيد  
سيدي فرج بسوق الحناء بفاس وقد خلفه فيه الشاعر الكبير سيدي  
عبد العزيز المغراوي . ولا زال شعراء الملحون الى يومنا يجتمعون يوم عيد  
المولد وينشدون كلام سيدي عبد العزيز المغراوي وكلام النابهن منهم ،  
ومن ادرك أن ينشد شعره في ذلك المحفل البهيج فقد بلغ المنتهى في تقدير  
زملائه له »

(2) تجدر الإشارة الى أنه تطلق على الزجالين المغاربة اسماء وصفات،  
أهمها :

أ - الشعراء : يقول ابن علي في القسم الرابع من «السولان» :  
واسلامي عن كل من احضر \* متادب في كل حال للشعرا  
هكذا سيوت هل لشعار

ب - النظام : يقول عبد الفضيل المرينسي في «الفصادة» :  
قالوا مرحبا بالنظام

ج - الاشياخ : يقول امتيرد في نهاية مجاورته :  
قال اكمى لشيخ عز الودبا حبر النظام

د - أشياخ السجية (تميزا لهم من المنشدين الذين يعرفون بأشياخ  
لكريجة) يقول المرينسي في قصيدته المشار اليها :

شافوني احضرت اكبالتهم شيروا اوندوا  
رسلوا لي الخادم قالت ليا  
من اكون اقصد النيا  
قلت لهم شيخ السجيا

هـ - أشياخ النظام (تميزا لهم كذلك من اشياخ لكريجة)  
يقول المكي الصويري في آخر « فطومة » :

واسلام الله لشيخ النظام

و - أهل النظام : يقول محمد الشاهد في آخر قصيدة « معلوم الشوف  
ما طفا نار الجوف » :

نتهى قولي امع انظامي \* من فضل الا ينم  
احسنت اعلى الرضا اقسامى \* برضات اهل النظام

ز - اهل القوافي : يقول محمد بن لكبير في «توية» :

عنك اسلام فايق المسك افلجيوب  
يعبق عن جمعكم يا اهل لقوافي

مال الخيل السدى اختلط فميدان \* صمكت هاذى الذى واهذك الهاذى  
والغبرا عمدت اكسات اعلى التيجان \* حتى عاد النهار غائس فارصادى  
ولسنا نوافق الاستاذ الفاسى على اعتبار هذه القصيدة أقدم ما وصل  
مرويا او مكتوبا فقد وصلتنا قبلها بعض النصوص ، منها ما هو من نوع زجل  
القصيدة ومنها ما يختلف عنه ، وهى نصوص سنستعرض بعضها فى هذا  
الفصل - بعد سطور - وسنترك البعض الآخر الى الفصل الثانى من هذا  
الباب .

حقا ان قصيدة ابن عبود تعتبر من النصوص الاولى للزجل فى  
الشكل الذى بدأ يستقر عليه وقد أخذ يجرز كيانه ، وحقا كذلك ان القرن  
العاشر يعتبر بداية انطلاق مرحلة جديدة بالنسبة لهذا الزجل - كما  
سنرى فى الفصل الثانى من هذا الباب - ولا نقول بدايته ، ولكننا نستبعد  
أن تكون اللغة العربية قد تم انتشارها فى القرن السادس بشكليها المعرب  
والدارج ، وتمر اربعة قرون دون أن يصدر شعر عن الناطقين بهذه اللهجة  
الفنانين ، ثم فجأة يظهر فيها نمط من الشعر مكتمل جميل . وهو رأى تدفعنا  
الى ترجيحه هذه النصوص التى وقفنا عليها ، على الرغم من انها مختلفة

---

ح - اقوامس الملحون : يقول سعيد التلمساني فى رثاء عبد العزيز  
المغراوى :

لو حد عبد العزيز قاموس الملحون \* من لاحاطوا ابشرح معناه اقوامس  
ط - اقوامس العلم الموهوب : يقول محمد بن لكبير فى استهلال  
التبوية السالفة الذكر :

اسادتى اقوامس العلم الموهوب \* يامن لكريم هبكم افضل وافى  
ى - أرباب الموهوب : يقول المرينيسى فى «الفصادة» :  
واسلام ربنا لرباب الموهوب

ك - الودبا (اي الادباء) : يقول المدغرى فى «زهرة» :  
واسلامى للشراف والطلبا قال القارى \* ما دوحث انسام لعطر  
واعلى الودبا اقوامس الموهوب الشعارا

(وانظر كذلك قول امتيرد السابق)

ومتباينة ، كما يدفعنا اليه ما ذكره الحسن الوزان (I) في كتابه « وصف إفريقيا » ، فقد لاحظ في فصل منه بعنوان « شعراء بالعامية الافريقية » (2) ان هؤلاء الشعراء كثيرون ، وانهم كانوا يتبارون لاطهار براعتهم الشعرية في مناسبة ذكرى المولد النبوى حيث يتجمعون صباح يوم العيد في ميدان رئيس القناصل (3) ويعتلون المنصة واحدا تلو الآخر لالقاء اشعارهم وقد تجمهر عليهم الناس ، ثم ينصب أميراً للشعراء من احرز منهم قصب السبق . وذكر كذلك ان السلطان المريني كان يقيم حفلا بهذه المناسبة يستدعى له رجال العلم والادب ، وان الشعراء كانوا يلقون القصائد أمامه فينعم على الفائز الاول بمائة دينار وفرس ووصيف وحلته التى يكون لابسا فى هذا اليوم ، ويمنح سائر الشعراء خمسين دينارا لكل واحد . ولاحظ الوزان بعد ذلك ان هذه العادة انقطعت منذ انهارت دولة بنى مرين (4) ، وهى فترة تمتد عنده مائة وثلاثين عاما .

وهذه أسماء الزجالين وما وصلنا لهم من أزجال او اجزاء من ازجال

على الاصح :

### ابن غرلة

قال عنه الجلي : «وقد كان ابن غرلة الشاعر المغربى ، وهو من اكابر اشياخهم ينظم الموشح والزجل والمزيم فيلحن فى الموشح ويعرب

---

(I) الحسن بن محمد الوزان (901 - 956 هـ ، 1495 - 1548 م) ولد فى غرناطة ورحل مع أسرته الى فاس وقام بجولات داخل المغرب وخارجه فى الشمال الافريقى وبلاد المشرق . اسر سنة 926 فى نابولى بايطالية وأخذ الى البابا ليون العاشر فقربه اليه لعلمه وتجاربه ، ودعاه الى المسيحية فتمسح وسمى بـ : جان ليون Jean Léon وهو الاسم الذى يعرف به فى اوربا . ويقال انه بعد موت البابا عاد الى الشمال الافريقى ونزل بتونس وفيها توفى .

(2) « Poetes en vulgaire africain » p 130 131  
Description de l. Afrique - Jean leon Africain  
Ed. C.H. SCEFER Paris

(3) Le chef des consuls لعله يقصد به رئيس القواد او الوزراء

(4) من 674 الى 869 هـ

فى الزجل تقصدا منه واستهتارا ، ويقول ان القصد من الجميع عذوبة اللفظ وسهولة السبك ، وكان الوزير ابن سناء الملك يعيب عليه ذلك ، ولهذا لم يثبت شيئا من موشحاته فى دار انطراز (1) »

وقد كان ابن غرلة يعيش فى عهد الموحدين ، بل كان معاصرا للخليفة عبد المومن الكومى ، وتذكر المصادر حبه لاخت هذا الخليفة ، وفى ذلك يقول الحلى : « فمن موشحاته المزمعة الموشحة الطنسانة الموسومة بالعروس التى نظمها عن عشقه رميلة اخت عبد المومن الاموى (2) ملك الاندلس وقتله الملك بسببها لتوهمه من مطلعها وما يليه الاجتماع بها ، والواقعة مشهورة ، وكان حسن الصورة جليل القدر ذا عشيرة » (3) وذكر له مطلع هذه الموشحة ، واوله :

من يصيد صيدا فليكن كما صيدى \* صيدى الغزالة من مراتع الاسد  
ثم زاد قائلا بعد ذلك : « وقيل انه لما اخرج الملك ليقتله نظر الى الناس وارتجل بيتا فى الوزن يستنجد به عشيرته لاخت ثأره :

طربا الاسيل \* بدت منه انوار  
طربا الكحيل \* سبل منه بتار

قد اسوت عبدا \* ولم اك بالعبد \* مت لا محالة \* فاطلبو دمسى بعدى (4)  
وقبل ان نورد بعض ما ذكرته المصادر لابن غرلة من قطع فجدلية نقف قليلا عند ملاحظة لاشك ان القارئ سيثيرها ، وهى اذا ما كان ابن غرلة مغربيا حقيقة اى من المغرب الاقصى ، ام اذا كان اندلسيا ونسب للمغرب على اعتبار ان النسبة بالمغربى كانت تشمل حتى الاندلسى نظرا للمفهوم الذى يدخل فى المغرب كل المنطقة التى تقابل المشرق ، ونظرا كذلك لان الاندلس عاشت فى وحدة مع المغرب الاقصى طوال عهدى المرابطين والموحدين .

I) العاطل الحالى الورقة 20 وجه وظهر ، وسنعود الى موشحات ابن غرلة .

(2) هذا خطأ ، والصحيح : عبد المومن الموحدى .

(3) العاطل الحالى الورقة 20 ظهر .

(4) العاطل الحالى الورقة 21 وجه .



والواقع انه ليس من السهل البت في هذا المشكل الذى كثيرا ما يعترض الدارسين لتاريخ الاندلس والمغرب وآدابهما ، ولكننا مع ذلك نرجح أن يكون ابن غرلة غير اندلسي ، ونعتمد فى ذلك على نص وارد عند الحلى لم يذكره فيه رغم اعتباره اياه من السابقين الى نظم الزجل . يقول الحلى : « . . . ومدائن الاندلس المختصة بالمسلمين دون غيرهم اربعة وهى التى خرج منها الموشح والزجل وهى اشبيلية وقرطبة وبلنسية ومالقة والذين خرجوا منها من الزجالين سبعة وهم يخلف بن راشد ابن قزمان مدغليس انجبيط البردعى الجمال ابن اللمنكة (I) »

وسبق لنا ان اثرنا هذا الموضوع مع الاستاذ الصديق الدكتور احسان عباس ، فكان رايه فى ترجيح مغربية ابن غرلة انه لو كان اندلسيا لما جرؤ على نظم موشحة فى اخت الخليفة وان ذلك لا يتصور صدوره الا من مغربي . وقد ذكر الرباط لابن غرلة فى «العقيدة الادبية» اجزاء من ازجال يقول فيها :

بنت قزمان فى خباها \* عند اباهها  
العريس خاطب اباهها \* وقد تباها  
لو يكن بزال \* كان امعاء اموال \* الا دا دجال  
بالمحال يقنى الاست البراقع (2)

ويقول فى جزء آخر :

ان كنت ريس ومالك عاقه \* هذا خبرك على الزلاقة  
اسمى \* وارمى (3)

بل انا نجد الرباط ينسب لابن غرلة قطعة « عروض البلد » التى ذكر ابن خلدون لابن عمير — كما سنرى بعد — ويمثل منها بالبيتين الاولين ، وهما :

I. المصدر السابق الورقة 22 وجه  
2) الورقة 45 ظهر ، وقد قدم لهذا الجزء بقوله : « وهذا الوزن لابن غرلة مقز من »  
3) المصدر السابق .

أبكاني بشاطئ النهر نوح الحمام \* على غصن في بستان قبيل الصباح  
وكف الطلا يحكى مداد الظلام \* وريق النداء يجرى بشعر الاقحاح  
ويقدم لهما بقوله : « وهذا الوزن لابن غرلة رحمه الله مقر من  
رباعي » (I)

كذلك ذكر له صاحب « بلوغ الامل في فن الزجل » بيتين قدم لهما  
بقوله : « ومن لطائف ابن غرلة قوله في مطلع :

بعد ذبحك يا فروجى \* واش ايفيد الجرى  
كنت يجرى من قبل ماتدبح \* وعنيقك يبرى (2) »

### عبد المومن الموحدي (3)

ذكر له الرباط قوله : (4)

يا عصفير الجنيّة \* جل ربي نشاكم  
الجمل طوله وعرضه \* لم قد يطلع احداكم

### رميلة أخت عبد المومن

قال عنها الحلي بعد ان ذكر علاقتها بابن غرلة : « وكانت هي ايضا جليّة  
القدر جميلة الخلق فصيحة اللسان تنظم الازجال الرائقة الفائقة » (5)  
ثم قال : « ومن ازجالها الرقيقة الرشيقة الزجل الذي مطلعہ :  
مشى السهر حيران \* حتى رأى انسان \* عينى وقف  
تقول في خرجة منه تصف خالا كان بخده :  
اسيمر جنان \* فى شقة من نعمان \* قد التحف » (6)

### ابن خبازة

قال عنه صاحب « الجندوة » : « ميمون بن علي بن عبد الخالق

(I) المصدر السابق الورقة 44 ظهر

(2) مخطوطة الزيتونة رقم 4467 ص 47 .

(3) تولى سنة 524 بعد وفاة ابن تومرت وتوفى سنة 558 هـ .

(4) العقيدة الادبية الورقة 38 وجه

(5) المعامل الحال الورقة 20 ظهر

(6) المصدر السابق الورقة 21 وجه .

الخطابي نسبة الى قبيلة من صنهاجة من اهل مدينة فاس ، ويعرف بابن خبازة نسبة الى خاله الشاعر المشهور بابن خبازة ، كان سريع البديهة ناعما ناثرا مع الاجادة والتفنن فى اساليب الكلام معرفة واتقانا فى هزله وجده على اختلاف اللغات (I) « ومثل هذا الكلام نجده فى «ازهار الرياض» ينقله المقرئ عن « الذيل والتكملة » فيقول : « كان متفننا فى أساليب الكلام معربه وهزله على اختلاف اللغات » (2)

وليس من شك فى أنه يقصد باللغات وهزل الكلام النظم فى الزجل ، والاسف انا لم نعثر له على أثر لذلك .

### ابن حسون

سماه الحلى ابا عبد الله محمد بن حسون الحلا المغربى ووصفه بالاستاذ وبالشيوخ (3) وذكره لدى الحديث عن اسقاط الهمزة عند الزجالين حيث اورد له بيتا من زجل يقول فيه :

كم نبت منكـد \* من هواك وهجرانك يا مليح القد

يا مليح بمن سماك اش هذا التجنى

طول ما نشتهى قربك تبعد انت عنى

ان كان الرقيب بلغ لك قضية عنى

اس انا فى ذا الجد \* شوذ بالله يا حبي الاخير هو اجود

وعلق عليه بقوله : « فقد اسقط الهمزة فى موضعين فى قوله ليـك

بمعنى اليك وفى لفظة عوذ وأصلها أعوذ » (4)

---

(I) ص 208 وقد استمرت ترجمته حتى 214 . توفى آخر سنة 637 بالرباط ودفن بسلا قريبا من الشيخ ابراهيم ابى حاجة . وقبره معروف بسيدى الخباز واليه ينسب الباب المعروف بهذا الاسم فى سلا . انظر فى ترجمته الذيل والتكملة ، ورايات المبرزين لابن سميعة ، وتحفة القادم لابن الابار ، والعدد السابع من ذكريات مشاهير رجال المغرب للاستاذ عبد الله كنون .

(2) الجزء الثانى ص 379 . (3) الورقة 36 وجه و 54 وجه .

(4) الورقة 30 وجه .

وذكر له كذلك مطاع رجل لدى حديثه عن اسقاط حرف العلة ،  
يقول فيه :

صحبة العينين السود طول صدودك ابلاني \*

انا في هواك هاييم وانت ترضي هجراني

قال بعده : « و مراده صاحبة العينين » (I)

ثم ذكره بعد هذا الاستشهاد على اقامة الخامقام خذ ، بقوله :

قد ضحك ذو الصبح \* وافتضح من النوار

لا زمان غير ذا الزمان \* الصلاة على الرسول

خْتَمُوا ذَا الْمَهْرَجَانِ \* خْتَمُوا جِرَ الذَّبُولِ

ويمكن ابداع مكان \* تفنن فيه العقول

ولقاح املح لقاح \* وثمر املح ثمار

والطيور قامت وقام \* الوقت مع الجوار

« فقوله خترا بمعنى خذ ترى ، وله مثلها في خرجة أخرى من هذا الزجل :

لا تقل شراب وراح فى الزجاج ولا عقار \*

خترأ ماء الغمام قد رجع من نور و نار» (2)

ومثل بمطلع أحد أزجاله لادخال حرف النداء على قافية الالف واللام ، وفيه يقول : (3)

اشجر بالغزال واتدلل \* واعمل ما تريد فمن بلى يحمل

كما استشهد باجزاء من ازجاله فى الوصل فى القافية ، فاشار الى قوله :

ارفع قطيعك وطيب واتملا \* والـغ عمن ولي

فالوصل الالف بعد اللام ، ثم قال فى احدى خرجاته :

وهذه عندي نصيحة في الله

فالوصل منها الجاء « (4)

ثم ذكر له مطلع زجل هو : (5)

(I) الورقة 33 ظهر (2) المصدر السابق 36 وجه

(3) المصدر السابق (4) المصدر السابق 4I ظاهر

(5) المصدر السابق 49 ظهر

لى تقدير شمسور \* منذ عشتقت الفلانية

وأخر ما أشار به الحلى لابن حسون قوله : « وجدت للشديخ الأستاذ

ابى عبد الله محمد بن حسون الجلائى زجل مطلعته :

صحبة العينين السمود طول اصدك ابلانى

يقول فى خرجة يمت منه حكاية عن قول معشوفته :

وترى سيفا مجبوز \* منتخب من اجفانى

بالذال العجمة فى لفظة مجبوز مقابل الدال المهملة فى لفظة

السمود « (I)

ويذكر مبارك شاه لابن حسون من زجل قوله : (2)

لو زيتنى حين نلتقيه \* مما نجد من شوقى ليه

نصفـر ونرعد من يديه

أما بعد هذا فنجد ذكرا لابن حسون فى ختام بحيدة الكفيف الزهوى

التي يذكر فيها هزيمة ابى الحسن المرينى فى القيروان ، حيث يقول

مخاطبا نفسه :

واستغفر يا لكفيف لابن حسون \* واتفكر ما ذكر فى عام ستا

فهو يدعو نفسه الى الاستغفار له والى تذكر ما قاله فى السنة السادسة

ولسنا نعرف هذا الذى قاله ابن حسون ، ولسنا نعرف كذلك سر ذكر

الكفيف له ، لأنه شيخه — وكانت العادة أن يهدى الشاعر السلام ويقدم

الاستغفار لشيخه — ثم لأنه سبق فى زجل له الى ذكر حوادث هذه السنة

المشار اليها ؟ والنايب آية شيخه .

أبى سبيح (3)

يقال ان ابا الحسن الششتري (4) حين وفد الى المغرب اتصل بابن

(I) الورقة 54 وجه .

(2) السفينة ج 4 الورقة 26 وجه مخطوط رقم Feyzullah 1612

مكتبة Miller اسطنبول .

(3) عبد الحق بن سبعين السبتي 613 — 669 هـ .

(4) 668\_610 .

سبعين وتلمذ عليه ، ويقال كذلك ان المتصوف المغربي اعطى تلميذه علما وطلب منه أن يتجول فى السوق مغنيا ببيت زجل يقول فيه :

ابديت بذكر الحبيب \* وعيشى ايطيب

ومضى الششتري يغنى فى الاسواق بهذا البيت وقضى يومين دون ان يستطيع اضافة شئ اليه حتى كان اليوم الثالث فاكمله وقال :

لما دار الكاس \* ما بين الجلاس

عنهم زال الباس

اسقاهم ابكاس الرضا \* عفا الله عما امضى (I)

ومثل هذه الحكاية تثبت لا شك ان ابن سبعين كانت له معرفة بنظم الزجل وان هذا الفن لم يكن غريبا على المغاربة الى حد انهم يسمعون فى الاسواق .

### ابن شجاع «النازى»

ذكره ابن خلدون على اثر ذكر فن «عروض البلد» (2) حيث قال :  
« فاستحسنه اهل فاس وولعوا به ونظموا على طريفته وتركوا الاعراب الذى ليس من شأنهم وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه أصنافا الى المزدوج والكازى والملعبة والغزل ، واختلفت اسماؤها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها » (3)

واورد له مقطوعتين ، يقول فى بداية الاولى : (4)

المال زينة الدنيا وعز النفوس \* يبهى وجوها ليس هى باهيا  
فما كل من هو كثير الفلوس \* ولوه لكلام والرتبا العليا

---

(I) انظر شرح احمد زروق على نونية الششتري التى يقول فيها :  
ارى طالبا منا الزيادة لا الحسنى \* بفكر رمى سهما فعدى به عدنا  
(مخطوط الاسكوريال رقم 4186 ص 1-2)

(2) سنشير اليه فيما بعد .

(3) المقدمة ص 530 .

(4) المصدر السابق .

ايكبرو من كثر مالو ولو كان اصغير \* ويصغرر عزيز القوم اذا يفتقر  
من ذا ينطبق صدرى ومن ذا يغير \* يكاد ينقزع لولا الرجوع للقدور  
ويقول فى بداية الثانية : (I)

تعب من تبع قلبى ملاح ذا الزمان \* اعمل يا فلان لا يلعب الحسن فيك  
ما منهم مديح غامسة الا وخان \* قليل من عليه نجس ويحبس عليك  
يهمرو اعلى العشاق ويتمنعوا \* ويستعمدو تقطيع القلوب الرجال  
وان واصلوا من حينهم يقطعوا \* وان عاهدوا خانوا على كل حال

### الكفيف الزرهوني

قال عنه ابن خلدون فى مقدمته : «وكان لهذه العصور القريية من  
فحولهم بزرهون من ضواحي مكناسة رجل يعرف بالكفيف ابدع فى  
مذاهب هذا الفن ، (2) ومن احسن ما علق لى بمحفوظى قوله فى رحلة  
السلطان ابنى الحسن وبنى مرين الى افريقية يصف هزيمتهم بالقيروان  
ويعزيهم عنها ويونسهم بما وقع لغيرهم بعد أن عيبتهم على غزاتهم الى افريقية  
فى ملعبة من فنون هذه الطريقة يقول فى مفتتحها وهو من ابداع مذاهب  
البلاغة فى الاشعار بالمقصد فى مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى براعة  
الاستهلال :

سمجان مالك خواطر الامرا \* ونواصيها فى كل حين وازمان  
ان طعنناه عطفهم لنا قسرا \* وان عصيناه عقت بكل هوان  
... (3) »

ثم ذكر له منها جملة أبيات . وقد وقفنا على القصيدة كاملة - وهى  
طويلة من واحد وتسعين واربعمئة بيت - بآخر مجموع مخطوط فى خزانة  
مراكش رقمه 184 واوله شرح المقدمة الوغليسية للشيخ زروق .

(I) المقدمة ص 530 - 531 .

(2) يعنى الفن الذى نظم فيه ابن شجاع التازى . وقد ذكر ابن خلدون  
من الذين نظموا فيه كذلك على بن المؤذن من تلمسان ولكنه لم يمثل  
لنظمه .

(3) المقدمة ص. 531 .

### المنصور الاعشى

ذكر له الحل (I) مطلع زجل هو قوله :

الحبيب ابيض يا حبيب \* وكؤوس الخمر حمير  
نعم المزج بالرحيق \* فط ما نعرف السلو  
فالحبيب فى حريق غريق \* غايم ابيض عجت لو  
فاسفنى مع زشا رشيق \* كل من راه ميجلو

### مولاي الشاد

وهو اقدم شاعر وجدنا ذكره عند الاشياخ الحفاظ ، ويقولون عنه انه من تافيلالت وانه كان يعيش فى أوائل القرن التاسع للمجرة ، وينسبون له قوله يذهب فيها الى أن «من لا يحفظ موهوب يبقى عقلو مقلوب » ، ويستنتج بعضهم من هذه القولة المبكرة ان الشعر الشعبى المغربى كان يطلق عليه « الموهوب » او «العلم الموهوب» قبل ان يسمى « الملحون » او غيرها من التسميات .

وكل ما يحفظ الاشياخ من زجل مولاي الشاد مقطوعتان قصيرتان ، يقول فى الاولى :

لا تقولوشى يا حسمرا اعلى ازمان \* الخير والشمر افكل ازمان كاينين  
ما حد اكتاب الله فالصدور \* اعلاه نبكيوا اعلاه  
ما قاطعين ياس من رحمة الله \* واحبيننا الشافع رسول الله  
فاش جا ذنب المخلوقين \* عند واسع الغفران  
ويقول فى الثانية :

خوك عبدك وانت ديما الخوك مملوك

لا تأديه الله يهديك ما يؤديك

لك عايش وانتيا له كاتعيش

لا تكونوشى طوب افشى ابنى اهشميش

عيشوا بالله والنبي والقرآن مع لتحديث

وقد علق عليهما الشيخ احمد سهوم فى حديث اذاعى نشر فى « مجلة



الاذاعة والتلفزة المغربية فاعتبرهما تمثلا للملحون «قبل ان توضع له بحوره وعروضه ، انه مجرد كلام غير موزون وغير مقفى لكنه بليغ وهادف وفيه مسحة من جمال الشعر» (I)

### عبد الله بن احساين

يقول عنه كبار الاشياخ انه كان معاصرا لمولاي الشاد وانه مثله من اضرا فى تافيلالت . ومن جملة ما يحفظون له قصيدة طويلة ، هذا نصها :

نسدا لسم الله انظامى يا الى ابغا لوزان \*

لوزان خير لى انيا من قول كسان حتى كان

ربى الى الهمنى نمدح جد الشراف يا لخوان \*

بالشعر السليس الفايز هو ايكون لى عوان

حتى اتقول ما قالوا عشاق النبى افكل ازمان \*

وانكون افلقريض الملحون انا المادحو حسان

مداح مادحو بلسانى والشموق له من لكان \*

والمادحو ابقلب اكنانو يرضاه ماعيا بلسان

الموغ واللقا واللفوا بين اللهامع اسنان \*

والجب ذا الشفيغ الشافع فالقلب ذا الدخال اتصان

رانى الله شاهد عن قلبى واللسان كل احيان \*

انبات كنضل ابشوقى والدمع كاينو لمزان

بتناهدى اتعلل صدرى والصعب ما بقى يليان \*

نمشى الارض طيبا تطفى ما فالقلب من نيران

وانمرغ لخدود وتضرع فوق من قبر عدنان \*

واتقول يا شريف الاسم مداح طالبك للامان

انت اشفيغ يا محمد والى راحم ورحمان \*

والعبد بين شافع وارجيم ايعاين لعفو نهفان

انت اشميق يا محمد والي عنا حسان \*  
ونا حسنت ظني فالحه وفيك طالب الغفران  
وانعود من الحج المركاحي يا عنايتي فرحان \*  
للمصوم والصلا وامديحك بين لحديث والقران  
تاريخ حلتني «رخل» عند ازمانها افكل ازمان \*  
والقايلين كاع امحضرا ونا فقيهم وزان  
واسمي افلامتي عبد الله بن احساين الوزان \*  
اسايدن عنى فاضرا عاصي ومعدن النقصان  
نرجا من لكريم التوبا امن الرمول فالميزان \*  
اشفاعتو الهذا الاما ونا فوسطها فرحان  
واتمام ما نظمت السميدى من ذا العقيق والعقيان \*  
اصلا موصلا للماحي ما ناح طير عل لغصان  
واسلام ربنا للشرفا واهل لهذا افكل امكان \*  
والناظمين عن ميزانى والى ايزيد لو ميزان  
ونميل الى اعتبار ابن احساين من خلال هذا النص يمثل مرحلة  
جديدة فى الزجل المغربى ، لعلها فاصلة بين ما كان من قبل وما غدا  
عليه . وسنعود اليه فى بداية الفصل الثانى ما دمنا قد اعتبرناه كذلك ،  
ونكتفى الان بملاحظتين :

**الاولى :** ان الشاعر يشير الى «كان حتى كان» فى أول بيت مقارنا  
بينه وبين «لوزان» ، ولعله يقصد بـ «كان حتى كان» نوعا من الشعر  
التمعبي يعتمد القص والحكاية كما يبدو من التسمية ، و بـ «لوزان»  
الشعر القائم على الوزن ، وهذا ما يعزز الاعتبار الذى ملنا اليه فى أن هذا  
الشاعر بدا مرحلة جديدة فى القصيدة الزجلية المغربية

**الثانية :** قوله فى الرمز لتاريخ قصيدته بـ «رخل» فالراء بمائتين  
والهاء بستمائة واللام بثلاثين ومجموعها ثلاثون وثمانمائة ، وهى سنة نظمه  
لها ، وبهذا نستطيع تحديد تاريخ مرحلة القصيدة الزجلية الجديدة .

## اصل القصيدة الزجلية

نحن بهذا أمام نصوص قليلة ولكنها على قلتها متباينة الاشكال متباعدة  
الفترات . ومع ذلك فهي تثبت وجود زجل في المغرب منذ عهد الموحدين ،  
بل الوان من الزجل مختلفة عن القصيدة المعروفة الآن ، وهي ظاهرة لا تدل  
على غير تطورهما عبر الزمان . وعلى الرغم من ذلك يبقى السؤال قائما حول  
نشأتها ، وتبقى كذلك متفرعة عنه جملة اسئلة عن الاصول التي استقت منها  
وتأثرت بها قبل ان تجرز كيائها :

- I - أهى امتداد للزجل الاندلسي ؟
- 2 - أم هي محاكاة مباشرة لفن التوشيح الاندلسي كما عرفه المغاربة ؟
- 3 - أم هي تآثر بشعر اهل الامصار العرب الوافدين الى المغرب ؟
- 4 - أم انها استمرار لعروض البلد الذي استحدثه أهل المدن  
بالمغرب ؟

5 - أم انها تطور لاغان ومرددات شعبية محلية ؟

كل هذه اسئلة تراودنا في محاولة البحث عن البذور الاولى للقصيدة  
الزجلية لا نرانا نخرج منها الا بردود لا تقوم على غير التخمين والافتراض .

اما الزجل الاندلسي فقد تأكد لنا ان المغاربة نظموا على نمطه في عهد  
الموحدين (I) ، ولكننا لا نعرف ان كانوا قد نظموه في العهد السابق . وعلى  
الرغم من ان النصوص لا تسعف ، فانا لا نستبعد ان يكونوا نظموه في  
عهد المرابطين (2) ، يدفعنا الى ذلك سببان :

**الاول :** ان المغاربة في هذا العهد - وبعد ان تمت الوحدة بين  
البلدين - كانوا يقلدون الاندلسيين ويحتنون خطاهم في مختلف مناحي  
الحياة ، وخاصة منها الحضارية والثقافية .

---

(I) من 524 الى 674 هـ .

(2) من 430 الى 524 هـ .

**الثانى :** ان الاندلس شهدت على هذا العهد ازدهار فن الزجل حيث لمعت أسماء كبار الزجالين وعلى رأسهم ابو بكر بن قزمان .  
والذى كنا نستبعده هو أن ينظم المغاربة الزجل على عهد الموحدين لما نعرف عن هذه الدولة من محاولة الابتعاد عن تقليد الاندلسيين وإيجاد كيان خاص بها يعبر عن شخصية أهم ما تمتاز به هو التأثير بالدعوة الموحدية والميل الى البساطة والوضوح والبعد عن الزخرف والتعقيد .

ويبدو ان هذه المحاولة لم تتعد الرسميات الى الشعبيات ، حيث صادفنا غير قليل من الزجالين المغاربة فى هذا العهد ، بل أكثر من ذلك وجدنا صاحب « العقيدة الادبية » يتحدث عن الاختلاف حول مخترع الزجل ويذكر من المختلف فيهم ثلاثة من المغاربة هم ابن غرلة والخليفة عبد المومن وأخته رميلة ، يقول : « اختلفوا فيمن اخترع فن الزجل فمنهم من قال ابن غرلة ، وقيل يخلف بن راشد ، وقيل ابن قزمان ، وقيل مدغليس ، وقيل عبد المومن ملك الاندلس ، وقيل رميلة اخت عبد المومن . والذى اتفق عليه الجمهور أن أول من تناشد به ابن قزمان وبعده القيم مدغليس وبعده ابن غرلة وبعده يخلف بن راشد وبعده سبع الاندلس عبد المومن وبعده رميلة » (I)

ولعلنا نستطيع ان نذهب الى أن نظم المغاربة لفن الزجل فى هذا العصر الذى كان يحاول منافسة الاندلسيين وعدم تقليدهم يدل لا شك على نظمهم له فى عصر المرابطين من قبل وان وجوده فى عصر الموحدين ليس غير استمرار لما كان من قبل .

وعلى الرغم من أنه لم ترو أرجال مغربية كاملة ، فانا من خلال النصوص الناقصة التى ذكرت لابن غرلة وابن حسون لا نرى اختلافا بين الزجل الاندلسى والزجل الذى نظم هؤلاء الشعراء ، وهى ظاهرة يمكننا أن نستنتج منها فى كثير من الترجيح أن الزجل الاندلسى انتقل الى المغرب عن طريق تبادل الوفود والرحلات . ويكفى فى التمثيل لهذا التبادل أن نذكر قدوم أبى الحسن الششتري الى المغرب ، فقد كان يتنقل

---

(I) الورقة 37 ظهر .

داخل المدن المغربية وينظم ازجالا يتغنى بها فى الاسواق كهذا الزجل الذى يقول فى مطلعہ :

شويخ من أرض مكناس \* وسط الاسواق يغنى

آش اعليا امـن الناس \* واش اعلى الناس منى (I)

فهل كان المغاربة يستمعون الى مثل هذه الاشعار تنشد فى الاسواق وحلقات الذكر دون أن يتجاوبوا معها ودون أن تهز بعض المعتنين منهم لمحاولة النسيج عليها ؟ نحن لا نشك فى أن تأثير الششتري كان قويا فى نفوس المغاربة ، وهو تأثير تدل عليه الازجال التى لا زال يرددها فقراء درقاوة حتى اليوم - وهم طائفة من الشاذلية - ، وتدل عليها محاولة بعض المتصوفة المغاربة تقليد الششتري فى بعض ازجاله على حد ما نجد عند محمد الشرقى فى قصيدة زجلية يبدو فيها التاثر واضحا بزجل الششتري السالف الذكر ، وهى القصيدة التى يقول الشرقى فيها :

انا مالى فياش \* آش اعليا منى

نقنط من رزقى لاش \* والخالق يرزقنى

كذلك تدل على تأثير أشعار الششتري عناية المغاربة بنسخها وشرحها على حد ما فعل الشيخ أحمد زروق (2) وابن عجيبة (3) ، وقد كان بعض العارفين يحثون اتباعهم على قراءة هذه الاشعار وانشادها . يقول ابن عباد الرندى (4) داعيا الى ذلك : «وأما مقطعات الششتري وازجاله فى فيها شهوة واليها اشتياق ، واما تحليلتها بالنغم والصوت الحسن فلا تسئل فان قدرتم ان تقيدوا منها ما وجدتموه فافعلوا ذلك » (5). وهذا يجعلنا لا نشك فى أن المغاربة - حتى فى نطاق التصوف - حاولوا ان ينظموا فى هذا الفن الجديد ، بل انا نكاد نجزم بذلك خصوصا

---

I ديوان أبى الحسن الششتري ص 272 تحقيق الدكتور على سامى النشار الطبعة الاولى الاسكندرية سنة 1960 .

(2) المتوفى سنة 899 هـ

(3) المتوفى سنة 1311 هـ

(4) المتوفى سنة 790 هـ .

(5) انظر مقدمة الديوان ص 4 .

حين نجد مؤرخا كأحمد بابا التميمكى (I) يقول : «وقد نسج الناس على  
مثواله كثيرا فما ابرقوا ولا ارعدوا ولا قاموا ولا قعدوا الا من قل ونذر  
لأنهم ان اصابوا علما أخطأوا حالا وبالعكس » (2)

واذن فقد عرّف المغاربة الزجل الاندلسى ونظموا متأثرين به  
ومقلدين له ، وهذه حلقة من حلقات البحث .

وما قلناه عن الزجل نقولُه عن الموشحات ، خصوصا وان عهد  
المرابطين شهد ازدهارا لهذا الفن بظهور وشاحين كبار فى الاندلس أمثال  
ابن بقمى واحمد بن على المشهور بالاعمى التطيلي وعلى بن حزمون المرسى  
وأبى بكر بن باجة ، وخصوصا كذلك وأن غير قليل من شعراء التوشيح  
وفدوا على المغرب فى فترات مختلفة أمثال الحفيد ابن زهر وابن حزمون  
والهيثم المريبطرى وسهل بن مالك الغرناطى وابن الخطيب فيما بعد .

وقد رويت لابن غرلة أجزاء من موشحات ، فقد ذكر له الحلى طرفا من  
موشحته المعروفة بالعروس (3) وهذا مذهبيها واول أبياتها :

من يصيد صيدا فليكن كما صيدى \* صيدى الغزالة فى مراتع الاسد  
كيف لا أصول \* واقتنصت وحشية  
طبيية تجول \* فى ردا وسوسية  
صاغها الجليل \* فهى شبه حورية

---

(I) المتوفى سنة 963 هـ .

(2) نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص 70 طبعة فاس سنة 1317 هـ .

(3) لاحظ استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهوانى أن هذه  
الموشحة ليست الموشحة العروس التى ذكر ابن سناء الملك فى دار الطراز  
فقال : «اذا قارنا عدد الاجزاء فى اغصان هذه الموشحة واقفالها عرفنا انها  
ليست الموشحة العروس التى أشار اليها ابن سناء الملك فتلك كما صرح  
دار الطراز تتألف من اقفال ذات سبعة أجزاء وهذه اقفالها اربعة أجزاء »  
(انظر الزجل فى الاندلس ص 113) علما بان ابن سناء الملك لم يسم  
ابن غرلة .

كذلك وجدنا في « كتاب مجموع موشحات » (I) موشحة لابن غرلة

يقول في مطلعها :

يا من حكى خده انشقاق \* وما له في البها شقيق  
تركتمى بالدموع شارق \* لما بدا خدك الشريق

ويقول في خرجتها :

بكر غدت في الدنان عاتق \* ما الحر من رقهما عتيق  
تلوح في الكاس شبه بارق \* ان مزجت صرفها بريق

واورد له الشهاب الحجازي (2) موشحة هذا مذهبها واول ابياتها :

باسم عن لآل \* باسم عن عطر  
نافر كالغزال \* سافر كالبدر  
اي طوى ريب \* اي فيه ارب  
ريقه كاضرب \* والما كالضرب  
يا له من حبيب \* باسم عن حبيب

---

(I) مخطوط مكتبة أيا صوفيا رقم 4243 - السليمانية - اسطنبول  
(الورقة 33 ظهر و 34 وجه وظهر) وقد وردت نفس الموشحة منسوبة لابن  
غرلة في كتاب « روض الآداب » للشهابي الحجازي - الورقة 98 وجه وظهر  
(مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 2293 قصر توبكابي باسطنبول) كما  
وردت في «سجع الورق المنتجة» الورقة 33 ظهر و 34 وجه وظهر (مخطوط  
مكتبة فاتح رقم 3918 السليمانية اسطنبول) ولكن منسوبة لعلاء الدين بن  
أبيك وليس لابن غرلة .

(2) كتاب «روض الآداب» الورقة 96 وجه و 97 ظهر مخطوط مكتبة  
أحمد الثالث رقم 2293 . وفي نسخة أخرى من الكتاب مخطوطة بمكتبة راغب  
باشا باسطنبول رقم III5 الورقة 190 انها لصالح الدين الصفدي ، وفي  
نسخة ثالثة رقمها 4017 في مكتبة أيا صوفيا باسطنبول (الورقة 91 وجه)  
ان الموشحة لاحمد بن حسن الموصلی .

واورد له الحجازى كذلك موشحة ثانية (I) يقول فى مطلعها :

زاير بالخيال \* زايل عن قربى  
باهر بالجمال \* ناهر بالعجب

ويقول فى خرجتها :

صديها وقال \* وهو يغنى قربى  
نحظ عيني تنال \* قلت آه واقلبى

كما انه رويت لابن حسون فى سفينة مبارکشاه (2) موشحة يقول

فى مطلعها واول ابياتها :

ما احمق \* عن قطيع من دقق  
الصباح قد اقبل والظلام قد ولى  
والنجوم قد غابت فى حجاب علم الله  
ونجوم الاغصان قد بدت ان تجلى

واذن فقد نظم المغاربة الموشحات على طريقة الاندلسيين ، وهذه

حلقة ثانية من حلقات البحث .

واما شعر اهل الامصار العرب المؤافدين على المغرب فقد حدثنا عنه

ابن خلدون فى المقدمة فقال : « فاما العرب اهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد فى سائر الاعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون وياتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر واغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء ويستطردون فى الخروج من فن الى فن فى الكلام وهذما هجموا على المقصود لاول كلامهم ، واكثر ابتدائهم فى قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون ، فاهل امصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات نسبة الى

---

I) نسخة راغب باشا الورقة I9I ظهر و I92 وجه وظهر ، فى حين انها فى نسخة مكتبة احمد الثالث (الورقة 97 ظهر) منسوبة لجمال الدين يوسف الصوفى .

2) الورقة 25 ظهر و 26 وجه مخطوط فيض الله مكتبة Millet رقم I6I2 اسطنبول .



الاصمعي راوية العرب في اشعارهم ، واهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوى « (I)

واورد من هذه الاشعار قصيدة على لسان الشريف ابن هاشم يبكي الجازية بنت سرحان ويذكر ظعنهما مع قومها الى المغرب (2)

قال الشريف ابن هاشم على \* ترى كبدى حرا شكت من زفيرها  
يعز للاعلام اين ما رات خاطرى \* يرد اعلام البدو ويلقى عصيرها  
وماذا شكات الروح مما طرا لها \* عذاب ودائع تلف الله خبيرها  
واورد منها « قولهم في رثاء أمير زناتة ابى سعدى البقرى مقارعهم

بأفريقية وارض الزاب ورثائهم له على جهة التهكم » (3) ، هذا اوله :

تقول فتاة الحى سعدى وهاضها \* ولها فى ظعون الباكين عويل  
ايا سائل عن تبو الزناتى خليفة \* خذ النعت منى لا تكون هبيل  
واورد منها كذلك « قول شبيل يذكر انتساب الكعوب الى برجم :

فشايب وشباب أولاد برجم \* جميع البرايا تشتكى من ضهادها

ومنه قوله يعاتب اخوانه فى موالاة شيخ الموحدين ابى محمد بن  
تافراكين المستبد بحجاجة السلطان بتونس على سلطانها مكفولة ابى  
اسحاق ابن السلطان ابى يحيى ... :

يقول بلا جهل فتى الحى خالد \* مقالة قوال وقال صواب

مقالة حيران بذهن ولم يكن \* هريجا ولا فيما يقول ذهب

... » (4)

وقد كان المغاربة يستمعون الى مثل هذه الاشعار تنشده وتروى ،  
وهذه حلقة ثالثة من حلقات البحث .

ونصل بعد هذا الى الحلقة الرابعة وهى « عروض البلد » ، وقد

تحدث عنه ابن خلدون فى مقدمته فقال : « ثم استحدث أهل الامصار  
بالمغرب فنا آخر من الشعر فى اعاريض مزدوجة كالموشح نظموا فيه بلغتهم

(I) ص 510 . (2) ص 511 - 512 .

(3) ص 512 - 513 . (4) ص 517 .

الحضرية أيضا وسموه عروض البلد ، وكان اول من استحدثه فيهم رجل من أهل الاندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير ، فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب ، مطلعها :

ابكاني بشاطئ النهر نوح الحمام \* على الفصن في البستان قريب الصباح  
وكف السحر تمحو مداد الظلام \* وماء الندى يجري بشجر الافراح  
باكرت الرياض والطل فيه افتراق \* سر الجواهر نى نحور الجوار  
ودمع النوار ينهرق انهرق \* يحاكي ثعابين حلقت بالثمار  
لجوا بالغصون خلخال على كل ساق \* ودار الجميع بالروض دور السوار

...

فاستحسنه أهل فاس ونظموا على طريقته وتركوا الاعراب الذى ليس

من شأنهم « (I) »

اما الحلقة الخامسة والاخيرة فالآغاني والمرددات الشعبية . وعلى

الرغم من أنه لم تصلنا نصوص لهذه الآغاني والمرددات ، فاننا لسنا بحاجة انيها لنثبت وجودها ، فلكل شعب - مهما كانت درجة حضارته وتمدنه اولية - آغانيه ومردداته ، بل «لسنا فى حاجة لان نثبت من الناحية العقلية ضرورة وجود الآغاني فى المجتمع الانسانى كله وان الآغاني الشعبية قديمة العهد بين سكان المدن والوادي وان الحياة الاجتماعية بمناسباتها المفرحة والم حزنة قد حتمت التعبير الجماعى الذى يستعين بالآلة الموسيقية وبالتنظيم اللفظى فاصطنع فن يجمع بين هذين الجانبين الموسيقى واللغة هو ما نصلح على تسميته بالآغنية الشعبية » (2)

وليس المغرب بدعا من الشعوب والمجتمعات ، فقد كانت له آغانيه ومردداته وناشيده يتنغم بها فى مختلف اللهجات المنتشرة فيه ، وبالعبارة العامة منذ ان تم استعراجه على عهد الموحدين وربما قبل ذلك .

هذه اذن حلقات اوجب علينا استعراضها ما نفترض اماكن اعتباره أصلا لنشأة القصيدة الزجلية المغربية ، فبأيها يا ترى نربطها ؟

(I) ص 529 - 530 .

(2) الزجل فى الاندلس لاسناذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الالهوانى ص 3 .

لسنا نستطيع أن نقول بأنها امتداد لتيار الزجل الاندلسي ، فالفجوة الزمنية بعيدة بين الفترة التي وصلتنا عنها نصوص مغربية متأثرة بالزجل الاندلسي وبين الفترة التي ظهر فيها الزجل المغربي محرزاً كيانه وخصائصه ، والاختلاف الشكلي ظاهر بين اللواتين وخاصة حين نقارن بين الزجل الاندلسي والزجل المغربي في المراحل الأولى لتطوره الأخير ، وخاصة عند أمثال الشاد وابن احساين .

ولسنا نستطيع القول كذلك بأنها محاكاة لفن التوشيح لانا لا نعتقد ذلك حتى بالنسبة لنشأة الزجل في الاندلس .

وإذا جاز لنا ان نتحدث عن محاكاة القصيدة الزجلية المغربية لمنظمن الانماط الشعرية فاعلم الظن أنها لعروض البلد الذي أشار اليه ابن خلدون لاستحسان الناس له ونظمهم على طريقته . ويميل بنا الى ترجيح هذا الظن الشبهة الكبير الذي نجده بين النصوص التي نظم المغاربة متأثرين بعروض البلد كما عند ابن شجاع والكفيف وبين الزجل المغربي في مراحل الأولى وقبل أن يحوز كيانه الحالي أي عند الشاد وابن احساين .

كذلك لا نخفي ميلنا الى الظن بان اشعار العرب الوافدين ، وخاصة منهم الهلاليين وحلفائهم ، القت بظلال كثيفة على القصيدة الزجلية المغربية ، فليس من قبيل المصادفة ان تكون القصيدة في شكلها الحالي ظهرت في جنوب المغرب وان يكون اغلب اعلامها من الفيلاليين الصحراويين ، ونحن نعرف ان أولئك العرب الوافدين أقاموا في الجنوب ، وليس من قبيل المصادفة كذلك أن يتخذ الزجالون المغاربة من التقاليد ذكر اسمهم في قصائدهم ، وهي عادة تعارف عليها الشعراء العرب الوافدون ، (I) بل ليس من قبيل المصادفة بعد هذا ان نجد في الازجال المغربية آثاراً للقصص والملاحم الشعبية التي جاء بها أولئك العرب ، تتمثل في الإشارة الى أسماء عبلة وجازية وعنترة

---

(I) انظر الجزء الثاني من الفصل الثالث من باب « الشكل » .

والشجعان الزناتيين (I) وفي التعليل لوجود هذه الاسماء بانها مقتبسة من القصائد الاصمعيات (2) .

ومع هذا فنحن نرجح ان تكون الاغانى والمرددات والاناشيد الشعبية المحلية هى الاصل الاول للقصيدة الزجلية ، وقد ذكر لنا الشداد ما يطلق عليه «الموهوب» كما ذكر منها ابن احساين «كان حتى كان» . وبذلك تكون القصيدة نشأت شعبية محلية نابعة من البيئة ومتأثرة بها كغيرها من الفنون والآداب الشعبية ، ولكنها ظلت محصورة فى نطاق ضيق محدود . ونرجح كذلك ان تكون هذه القصيدة اثرا طبيعيا من آثار استعراب المغاربة وانسجامهم مع اللغة الجديدة وتطويعهم وتذوقهم لها فى قالبها العامى حين عجزوا عن ذلك فى قالبها المعرب ، وهى بذلك نتيجة الازدواج فى اللغة تعاطاها العوام فيما بينهم ، ولكنها لم تصبح لونا ادبيا معترفا به اذ لم يتح لها الشاعر الفنان الذى يعمل فيه موهبته وعبقريته ويقدمها فى صورة فنية مكتملة . وظلت لذلك مدة طويلة تتنفس فى جو شعبي خالص ، وبقيت بهذا نماذجها الاولى مجهولة .

(I) على حد ما يقول امثيرد فى «خديجة» :

لوصول اتصول \* صولى يامولاتى اخديجا \*

صولت عبلا وجازيا \* يا سلطانت الريام

ويقول مبارك السوسى فى «زهرة» :

سلبت عقلى زهرا \* بالبا والحسن المكمول حازت اسرارو

بشمائل لبها فاقت عل لبكار \* فاقت عن عبلا وجازيا وامحاسن لبكور

ويقول المدغرى فى «ام كلثوم» :

كلثوم ترياق لسقامى \*

كلثوم كنها ياقوتا فى سلسلا امن اذهب تشحارو معلوم

كلثوما شمس اضوات فارسامى \*

كلثوما ما ادركها عبسى فضخامتو اشجيع اسناحو مقيوم

ويقول محمد ولد افريجة فى «خنائة» :

يا دات الزين الوارث \* امنين امجيك آمولاتى الخنتا

سبحان امن انشاك اقد الريح الصقيل أرايا فى تشجيع بين شجعان ازنا تا

(2) يستعمل الاشياخ مصطلح «الاصمعيات» دون ان يعرفوا انه يعنى

قصائد اهل امصار المغرب من العرب كما شرح ابن خلدون وكما سبق ان أشرنا لذلك .

ولكننا نرى ان الشعراء الشعبيين تأثروا بعد هذا بالازجال الاندلسية والموشحات فى محاولة للتقريب بين القصيدة كلون شعرى عامى وبين الاشعار التى كانت تلقى فى مجالس غير العوام عند العلماء والحكام والملوك ، وفى محاولة كذلك لفرض وجوده وتوسيع نطاقه واقناع الطبقات المثقفة والارستقراطية بهذا الوجود ، وهى طبقات لا شك كانت معجبة بالازجال والموشحات الاندلسية بل بكل ما هو تراث اندلسى ، لا سيما وان غير قليل من الاسر الاندلسية انتقلت الى المغرب وظلت تعيش على ماضى تعتز به وتتفخر ، وهو شعور يكاد يعم جميع المغاربة حتى الذين ليسوا من أصل أندلسى .

والغالب ان هذه المحاولة تمت حين انتقلت القصيدة الزجلية من البيئات الشعبية الصرف الى بيئات راقية ان لم نقل انها بعيدة كل البعد عن الشعب. ومثل هذه النقلة تظهر فى التفتن الشكلى الذى اصبحت عليه وزنا وقافية (I) وفى المعانى والافكار التى بدأ يصورها الزجال المغربى والتى لا تمت بصلة للشعب ولا تمثل الا حياة الرفاهية والقصور والطبقات الغنية المنعمة ، وهى حياة يكاد تصويرها ان يكون اقرب الى نسج الخيال منه الى الواقع (2) .

على أنه لا ينبغي ان ننسى عاملا آخر ساعد على التأثر بالازجال والموشحات الاندلسية ، وهو انتقال الموسيقى الاندلسية الى المغرب بنوباتها وانشيدها ، وهى موسيقى حافظ المغاربة عليها . وقد سبق ان راينا (3) انهم اضافوا الى الميازين الاندلسية الاربعة ميزانا خامسا هو الدرج وان الحاج علال البطللة استخرج طبع الاستهلال فى أوائل ايام السعديين. وكان طبيعيا ان ينظم المغاربة - لهذه الاضافات على الاقل - مقطوعات كانت

- 
- I) انظر الفصل الثالث من الباب الاول وانظر كذلك الفصل المقبل عن تطور القصيدة الزجلية .  
2) انظر فصل المرأة من باب الموضوعات وانظر كذلك الجزء الاول من الفصل الثانى من نفس الباب .  
3) فى المدخل .

بلغة عامية فى الغالب ، ولعلنا نذكر «البراول» التى سبق ان جعلناها نوعا مستقلا من الزجل المغربى لا يختلف كثيرا عن القصيدة .

وتتجلى عناية المغاربة بالموسيقى الاندلسية ومقطوعاتها - حتى بعد ذلك - فى العمل الذى قام به الحايك التطوانى فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى من جمع الموشحات والازجال التى تنشد فى هذه الموسيقى فى كتاب يعرف باسمه .

ولعلنا ان نذكر بعد هذا ان القصيدة الزجلية حين دخلت مرحلة الغناء لم تجد غير ميازين الموسيقى الاندلسية ونوباتها تقيم عليها الالحان .



## الفصل الثاني

# مرحلة التطور

رأينا فى الفصل السابق أن مرحلة جديدة من القصيدة الزجلية بدأت قبيل منتصف القرن التاسع للهجرة فى أواخر عهد المرينيين على يد عبد الله بن احساين ، وهى مرحلة تطويرية كانت القصيدة خلالها تكتسب غير قليل من الجديد وتحاول احراز كيانها الذى ستستقر عليه ، سواء من حيث الشكل أو المضمون .

وليست هذه المرحلة قصيرة ، فهى تمتد زهاء ثلاثة قرون ، ومع ذلك فانا لم نتتبع كل شعرائها وما أنتجوا من أزجال ، واكتفينا بذكر الاعلام الذين قدموا جديدا أو طوروا قديما ، ولم نقف الا عند النصوص التى اعتبرناها معالم فى طريق هذه المرحلة . والحقيقة أننا لم نقصد الى ذلك ، ولكن المادة التاريخية والشعرية لم تيسر لنا لاستعراض كامل نؤرخ به لهذا الفن ، والسبب أنها لم تدون فكان مآلها الضياع ، وما بقى منها فى أذهان الاشياخ قليل ، وهو على قلته ملئ بالتناقض والخرافات ، يحتاج الى كثير من التصفية والغربلة حتى يستخلص منه ما يمكن اتخاذه أساسا للدرس والبحث .

لهذا سنركز على القصائد نفسها ، نحاول أن نستكشف منها ملامح هذه المرحلة وما يميزها من ظواهر التطور والتجديد ، وسنتتبع نصوصها من خلال استعراضنا لاعلامها ، حتى نجمع بين التأريخ للقصيدة والتأريخ لمنشئها ، وسنبداً بعبد الله ابن احساين ونختم بالمصمودى .

### عبد الله بن احساين

من قبيلة «اضرا» بصحرَاء تافيلالت كما يصرح فى شعره . ولسنا نعرف تاريخ ولادته ووفاته ، ولكننا نستطيع القول بأنه عمر زهاء مائة عام معتمدين على أمرين :



**الاول :** ان احدى قصائده مؤرخة في سنة ثمانمائة وثلاثين ، واذا افترضنا أنها من أولى قصائده ، فيحتمل ان يكون قالها وهو بين العشرين والثلاثين من عمره .

**الثاني** أنا نجده يذيل قصيدة لاحد تلاميذه يسمى الحمري ، وهي قصيدة مؤرخة في السنة العاشرة بعد المائة التاسعة ، وليس من شك في أنه كان اذ ذاك في أواخر حياته .

ويعتبر ابن احساين - في رأى بعض الاشياخ (I) - صاحب مدرسة وأستاذ جيل ، وضع لمن جاء بعده من الزجالين غير قليل من التقاليد ابتدعها في زجله ، والاسف أنه لم تصلنا منه غير قصيدتين سنحاول منهما أن نستخرج ما يعزله من ابتداعات وأسبقيات :

**أولا - البحر المثنى :** يستشف سبقه الى النظم على هذا البحر من استهلال القصيدة الاولى حيث يقول :

نبدا لسم الله انظامي ياللى ابغا لوزان

لوزان خير لى أنيا من قول «كان حتى كان»

ربى الى الهمنى نمدح جد الشراف يالخوان

بالشعر السليس الفايز هو ايكون لى عوان

ويستشف كذلك من قوله في نهاية نفس القصيدة :

واسلام ربنا للشرفا واهل لهذا افكل امكان

والناظمين عن ميزانى واللى ايزيد لو ميزان

فهو يريد أن يقول شعرا موزونا سلسا يراه خيرا من «كان حتى كان». وقد سبق أن راينا (2) أن «كان حتى كان» ربما كان نوعا من الشعر غير منظم ولا موزون ، يقوم موضوعه لا شك على حكاية القصص والخرافات ، كما يبدو من تسميته .

والجدير بالملاحظة ان هذه القصيدة على قصرها - فهي لا تضم غير سبعة عشر بيتا - ليست معروفة الا عند كبار الاشياخ ، وأول قصيدة

---

(I) هو السيد أحمد سهوم الذى استفدنا من تقاييده غير قليل من النصوص والاخبار المتعلقة بشعراء هذه المدرسة .

(2) أنظر الفصل الاول من هذا الباب .

بحفظها أغلب المنشدين على «قياسها» هي «تصلية» ابن علي ولد اريزين  
التي يقول في حربتها :

صلوا على الصديق الصادق جد الشراف نور العين

امام لنبييا بلقاسم محبوب ربنا الرحمان

**ثانيًا - البحر الثلاثي :** نظم فيه قصيدته «اللقمانية» ، وهي - كما  
سنرى حين نتحدث عن سبقه الى تأريخ القصائد - منظومة سنة ثمانية  
وثلاثين وثمانائة ، أى أنه ابتدع هذا البحر بعد ثمانى سنوات من ابتداعه  
البحر الاول . يقول فى أول «اللقمانية» :

يا راسى نوصيك كيف وصى ولدولقمان \* وانت تصغا كيف ماصغا ولدو لبياني  
واتوصى بوصايتى المرويا قوم اخرين

**ثالثًا - البدء باليسمة :** يبدو فى أول بيت من القصيدة «المثناة»  
حيث يقول :

نبدا لسم الله انظامى ياللى ابغا لوزان

لوزان خير لى أنيا من قول كان حتى كان

**رابعًا - توجيه الشهاب الى الرأس :** يقول فى أول بيت من قصيدته  
اللقمانية :

يا راسى نوصيك كيف وصى ولدولقمان \* . . . . .

**خامسًا - الإشارة الى تأريخ نظم القصيدة :** يقول فى أواخر أبيات  
القصيدة الاولى :

تاريخى حلتى «رخل» عمدا ازمانيا افكل ازمان

والقايين كاع امحضرا ونا فقيهم وزان

حيث رمز بـ : ر خ ل ، فالراء بمائتين والحاء بستمائة واللام بثلاثين ،  
ومجموعها ثلاثون وثمانمائة ، وهي سنة التأريخ .

ويقول مؤرخا لقصيدته الشلانية ، محمدا تاريخها بالشهر واليوم :

واسمى عبد الله بن احساين نسل العدنان \*

مركاحى فاضرا وحلتى فالوزن السانى

«خرجها الى» جماد والشهر باقى لو يومين

أما السنة فروع لها ب : خ ر ج ه ل ، فالخاء بستمائة والراء بمائتين  
والجيم بثلاثة والهاء بخمسة واللام بثلاثين ، ومجموعها ثمانية وثلاثون  
وثمانمائة .

وأما الشهر فجمادى ، وأما اليوم فقبل نهاية الشهر بيومين .  
مأدسا - ذكر الاسم : يقول في قصيدته الثنائية مصرحا باسمه وبأنه  
من قبيلة «أضرا» :

واسمى أيلامنى عبده الله بن احساين الوزان  
أسايلين عنى فاضرا عاصى ومعدن النقصان  
وكذلك يقول فى «اللقمانية» مشيرا الى شرف نسبه كما يتضح من  
آخر أبيات ذكرنا منها عند التأريخ .  
سابعاً - اهداء السلام والصلاة والدعاء : يعرض ذلك فى الابيات  
الاربعة لقصيدته الاولى حيث يقول :

نرجا من لكريم التوبا امن الرسول فالميزان  
اشفاعتو الها ذا الاما ونا فوسطها فرحان  
واشفاعتو الها ذا الاما هى اذخيرت ليما  
اشفاعتو الها ذا الاما هى الضامنا لجنان  
واتمام ما نظمت السيدى من ذا لعقيق والعقيان  
اصلا اموصلا للماحى ماناح طير عل لفصان  
واسلام ربنا للشرفا واهل لهدا افكل امكان  
والفاطمين عن ميزانى واللى ايزيد لو ميزان  
ويقول فى اللقمانية :

واتمام المقصود فالصلا عن سيد عدنان \*  
زين الزين الهاشمى احمد محبوب الغانى  
والرضوان اعلى اجميع آلو وانصار الدين  
ثامناً - هتاء المخصوص : يعتبر نفسه أستاذا وسائر الشعراء له تلاميذ ،  
حين يقول فى قصيدته الاولى :  
..... والقابيل كاع امحضرا ونا غقيهم وزان

فالقائلون عنده - وهم الشعراء - امحضرا ، وهو الاسم الذى يطلق على صيغة الكتاب القرآنى ، أما هو ففقيه ، وهو الاسم الذى يعرف به مدرس الكتاب ومدرره .

**تاسعا : تذييل قصيدة التلميد :** وهو دليل اعترافه بشاعريته واجادته حيث يختم قصيدته بيتين أو ثلاثة . ويقال عنه فى الاصطلاح «اطبع لو» (I) ولا يكون الا بعد أن يراجع الشيخ القصيدة أو على حد قولهم «صفى لـ» لقصيدا» و «دوز اعليه» . ويعتبر التذييل شهادة يعتز بها الشعراء مثبتين تلمذهم على كبار الاشياخ الى حد قالوا : «شيخ ابلا اشياخا باطل شاخ» (2) . من ذلك ما نجده فى نهاية قصيدة لحمد الحمري ذيلها أستاذة ابن احساين بهذين البيتين مشيرا فى البيت الثانى منهما الى أن الحمري يحفظ معانيه :

واسلام ربنا للشرفا وهى لعلوم يا حصار  
اعداد ماهطلت امن امطار وما لقحت من تزهير  
فاشعار حافظ امعانيا حماد رايق للتشطار  
والحمد الكريم الدايم عما اعطى ابلا تقصير  
وقد قدم الحمري لبيتى أستاذة بقوله معتزا بسنده :  
والحمد والشكر فالختما واصلا اتسير للمختار  
من درع ابن احساين الحمري حماد رمزها «فلخير»  
وتجدر الاشارة الى أنه رمز لتاريخ قصيدته بالفاء واللام والخاء والراء ،  
فالفاء بثمانين واللام بثلاثين والخاء بستمائة والراء بمائتين ، ومجموعها  
تسعمائة وعشرة .

---

(I) نصادف هذا المصطلح عند محمد بن عمر الكفيف فى «الدعى» حيث يهجو الاشياخ الذين كثروا دون أن يكون لهم سند من حفظ أو رواية أو تلمذ على أشياخ يطبعون لهم ويجيزون :  
فضحو سوق اللغا ابغال الرتعا \* اشحال منهم املوا ابقاعى  
ما حفظوا مارواوا ما طبعوهم طباعا  
(2) ويقال كذلك انه «سلك الطريقان» أى حصل على تجارب وتعرف الى مختلف جوانب الفن عن طريق تلمذه على شيخه .

هذه جملة الاسبقيات التي استطعنا استخراجها لعبد الله بن احساين  
من ثنايا قصيدتين هما كل ما وقفنا عليه من زجله . وقد وجد من شعراء  
قبيلته غير قليل من السخط بسبب اتخاذ الوزن ، وهو سخط يكشف عنه  
قوله في أواخر «اللقمانية» :

من غتبك يكفيك فيه خفف عنك عصيان \*

كيغتبونى فقبيلتى عن طررز اوزانى

نرجا من ربى ايتوب عن ساير المسلمين

ولكن احتضان ابن احساين لجماعة من تلاميذه فى الفن ، سواء فى  
اضرا أو خارجها ، جعل ابتداعاته تنتشر وتفرض وجودها فى بيئة الزجل  
ويعترف للسابق اليها بالفضل ، وهو اعتراف تكشف عنه هذه الابيات التى  
رثاها بها أحد تلاميذه الفاسيين واسمه الحاج اعمارة ملقبا اياه بأبى الشعر ،  
يقول مخاطبا شعره ، يحثه على البكاء على أبيه حتى يسقى من دموعه جذور  
النخلة التى كان يجلس اليها ابن احساين لينظم قصائده :

ابك اعلى اباك أشعري لبكا دشى امرا ثكلى

اونوح كينوح ورشان اغريب بوحدو فالليل

ابك على اباك أشعري واسق اجذور ذا النخلا

اللى اشحال من شعر احداها رصعو اباك اكبيل

العيش بعد عبد الله او الله كاع مايحلا

ونايلامشى عبد الله ابقيت فالشعار اوحيل

### حماد الحمري

نعرف أنه من تلاميذ ابن احساين وأنه كان يعيش فى أوائل القرن  
العاشر كما تقدم . وقد ظل ينظم على بحرى أستاذه كما تكشف قصائده .  
فمن نظمه على البحر المثنى قصيدته «الربيعية» التى يقول فى حريتها :  
الورد والزهر واغصانو واشجار باسقا واطيار  
ايسبحو النعم الغنى والما افقلب كل اغدير

ومن نظمه على الثلاثي قصيدة «التصليّة» التي يقول فيها :

صلى الله اعليك يالهادى خاتم لرسال \*  
عد ادواب البحر والاسماك اللى فالمالى  
العائش واللى امضى ومن هو مازال اقبيل

وقد ظل كذلك يسير على جميع التقاليد التي سنّها أستاذه ، ولكنه - فى رأى الاشياخ - لم يكتف بها وأضاف لها من عنده . واذا كانت كل أسبقيات ابن احساين محصورة فى نطاق الشكل ، فان ما أحدثه تلميذه الحمري يتصل كذلك بالشكل ، ولكن يتعداه الى المضمون . ويتبين لنا ذلك من خلال قصيدة واحدة هي التي وفقنا الى تسجيلها كاملة ، وهي «الربيعية» :

#### أولاً : تطور المضمون :

ويتجلى فى كون القصيدة نظمت فى وصف الطبيعة وجمالها أيام الربيع ، وهو موضوع يؤكد كبار الاشياخ أنه لم يكن معروفاً من قبل عند الزجالين الذين كانوا لا يخرجون فى أشعارهم عن المدائح النبوية و «التصليات» والحكم والمواعظ .

وقد سبق أن مثلنا ببعض أبيات هذه القصيدة لدى الحديث عن شعر الطبيعة (I) ، ونود هنا أن نلاحظ أن الحمري جعل ربيع شعره أزهى من ربيع الزمان ، هذا ينقضى بمرور فصله ، وذاك دائم الازهار والاثمار لا ينتهى ولا يدبل ، يقول فى القسم الثانى من القصيدة :

هاك ارياض يا من لاشاف ارياض فى اقريض اشعار  
انزايه لفكار ارياضى الشعر فايق التشجير  
لخريف كايقصف لعمر والورد ويربى لزهار  
والورد والزهر فارياضى فيام لخريف اغزير  
لشجار افلخريف اتغرد واتنوح عن اشباب اقبار  
ويحف ورقها ويفدق ويصير كحطب لهجير

---

(I) أنظر الجزء الاول من الفصل الثانى من باب (الموضوعات) .

ونا اشجار روضى خضرا تسبى ارباع النظار  
فخريف ولمشاتي والصيف اربيعها اربيع اغزير  
لغصان يانعا مسرارا والسورق منها يخضار  
واقططر النداء فعروق ساير التشجير

### ثانيا : تطور الشكل :

يتمثل فى ثلاثة جوانب هى : تقسيم القصيدة ووضع لازمة لها  
استعمال الحوار .

#### 1 - تقسيم القصيدة :

قسم قصيدته «الربيعية» الى تسعة أقسام كل منها مكون من  
خمسة أبيات وهذا أولها :

سارت لمشاتي كالجيش ايلنا انهازم افلكحار  
من بعد زام طبلو واتنصر سار افلقفار اكسير  
وجا اهمامنا لمسمى الربيع حايىز التفخار  
وصاب ما يصيب المنصور ايلنا امشى اعداه احقير  
ارمات السما ثوب حزنهنا ولبتت الافتخار  
واتحزمت بالسبع الوان اللى اهدى لها لخبير  
وانعائم لغنى سبحانو واسقات منها لشجار  
شلا احصى السان الفاصح سبحان ربنا لقدير  
اعراجن ائدر فالنخلات الراكبات عل لجدار  
واعناقده لعنب فادوالى سالو عل لعصير اخبير

#### 2 - وضع الحربة :

فقد جعل لقصيدته حربة أى لازمة تلتزم فى نهاية كل قسم ، هى  
قوله :

الورد والزهر واغصانو واشجار باسقا واطيار  
ايسبحو النعم الغنى والما افقلب كل اغدير

#### 3 - استعمال الحوار :

وهو حوار بسيط وقصير أجراه فى القسم الثامن بينه وبين النحل

والفراشات ، وقد سماها «أم الوبرات» . فقد جاء على لسان الفراشات ما  
ضمنه الحمري أول بيت من هذا القسم ، وجاء في رد النحل ما ضمنه في  
الشطر الثاني من البيت الثالث ، أما هو فردده عليها يبدأ من آخر البيت  
الرابع ويكمل في البيت الخامس ، يقول :

«اهلا بالربيع اللي جانا بعد ماهزم لمطـار  
واهلا بالنسيم اللي هب حامل اشدا واعبير»  
هكذا قالت أم الوبرات الطايفات عل لزهار  
الراشفا اعطور النوار افطاست النداء نغزير  
سمعوا اقوالهم النحلات وجاوبو ابلا تستار  
«لاصيف لاخريف ابغينا الا اربيعنا لمينير»  
لكلام ابلقلوب يتسمع فشدا امرايح النوار  
ونا بقلب قلبي صغتو وانطقت قلت: «كل اغريو  
ما راد غير راسو والهاني مارتا اعلى محتار  
واللى القى اغراضو وامرادو مايسالشي عن غير»

#### محمد بن علي بوعمرو

وهو كذلك من تلاميذ عبد الله بن احساين اذ يتروح عليه في آخر  
قصيدته «عبلة» ملقبا اياه برفيق النخلة ، فيقول :  
لازم ايجي من يدري فضلى \* والفضل الخالقي فالاول والتالي  
ورحمة الله اعلى ارفيق النخلا  
ونعرف من تأريخه لاحدى قصائده أنه كان يعيش بعد السنة الثلاثين  
من القرن العاشر ، يقول في أواخر قصيدته «عبلة» :  
بوعمرو محمد لعشيق ابن علي \* والرمز «الحب اقهرني قتالي»  
فقد رمز ب : ل ح ب ق ه ر ن ق ت ل فاللام بثلاثين - وقد ذكرها  
مرتين - والحاء بشمائية ، والباء بائتين ، والقاف بمائة - وقد ذكرها كذلك  
مرتين - والهاء بخمسة ، والراء بمائتين ، والنون بخمسين ، والتاء بأربعمئة ،  
ومجموعها خمسة وعشرون وتسعمائة .



وقد أحدث بوعمرو - حسب ما انتهينا اليه فى البحث - بعض التطور على مضمون القصيدة وشكلها ، يتمثل الاول فى سبقه الى الغزل ، ويتمثل الثانى فى ابتداعه وزنين : احدهما داخل البحر المثنى ، والآخر داخل البحر الثلاثى ، كما يتمثل فى نظمه قصائد غنائية خفيفة :

#### أولا : تطور المضمون : الغزل

يعتبر بوعمرو أسبق شعراء القصيدة الى النظم فى الغزل ، ولقب لذلك ب : «العاشق» . ومن محاولاته الاولى فيه قصيدة «زهرة» التى يقول فى حريتها :

زورينى قبل الانقباز \* ياهلال الدار زهرا

وقد كان لغزل بوعمرو وقع سئى فى نفوس معاصريه الذين استاءوا منه وسخطوا عليه لاتخاذهم المرأة موضوعا للشعر ، وبالغوا فى ذلك فرموه بالزندقة والفحش على حد قول أحدهم - اسمه لمرانى - وهو من امدغرا :

زنديق ابن الزنديق الوغد اللئى ايردنا فساق

يستاهل الرجيم ابلحجر حتى ايموت بالتحقيق

ويلا ايموت يتصلب عام وبعد دلتو يحراق

وانشتتو ارمادو وانقول هكذا بغى لعشيق

فهو عنده زنديق ابن زنديق ووغد دنس الشعر بفسقه ، يستحق الرجم حتى يموت ثم يصلب مدة عام وتحرق جثته بعد ذلك وينذر رمادها جزاء عشقه وقوله فيه .

وعن مثل هذا السخط العنيف عبر أحد شعراء مراکش المعاصرين له اسمه حسون وتير فقال :

ملت امن السجيا ولى فيها العار والشنار

واغضبت اعلى الشعر الملحون اللئى ناظمو فاضرا

الفاسق اللئيم الزنديق اللئى شنع بالبيكار

أولى اجناح انفدقد وانطير له للصحرار

واندبر له الكبل واسلاسل من الهند للتشبار

وانطوفو اشهر وانحبسو عشرين عام في عسرا

فقد مل الشعر الذي غدا فيه العار والشنار ، وضاق بالملحون الذي  
بنظمه شاعر اضرا محمد بوعمرو ، وهو يرميه بالفسق واللؤم والزندقة  
والتثمينع بالابكار ، ولو كانت له أجنحة لطار اليه حتى الصحراء ليضع له  
القييد في رجليه ويكبله بسلاسل الحديد ليقوده منها ويطوفه شهرا ثم  
ليسجنه مدة ثلاثين عاما .

ولم يكن بوعمرو يسكت عن خصومه ، وكان يرد عليهم بأنهم لا  
يعرفون حقيقة ما به وأنهم لو أدركوا هذه الحقيقة لاتخذوه نبراسا يضيء  
لهم الطريق وتبعوه ، وبأن سر ما يعانى كامن في رقة قلبه ؛ يقول في القسم  
الثاني من قصيدة تأملية :

واسباب ليعتى وامصابى حتى اوصلت للتخناق

قلبي ارهيف يامكرانى طبعى ابلا اشعار ارقيق

البعض راد لى تشنيقا والبعض راد لى نحراق

والبعض راد لى نتصلب بالسلاسل حين اعشيق

تالله اون عرفوا ما ساكن فالقريب بالتحققاق

حتى انكون لهم شمعا تضوى افضيق كل امضيق

وفى القسم الاول منها يرجو الله أن يطبعه بطابع قومه أو يطبعهم  
بطابعه حتى لا يظل كالعاقل بين المجانين أو كالمجنون بين العقلاء ، وحتى  
يتفاهم مع مجتمعه الذى يحلل من الاشياء ، ويحرم ما يشاء :

يا خالق لخلايق خلقتنى بطبايع دا الخلاق

ولا اخلايقتك خلقتهم بخلايقي اتبان الطريق

ايلا انقول لهم ياناسى هامسارب التحققاق

ايجبوا اللخرايف ويقولوا هانهايت التحقيق

والعاقل لفطين ايلا كان امشى الحارت الحماماق

هو ايصير لعمق والحووق عاقلين بالتحقيق

نأفيل بين العومق واهبيل فوسط العيقاق

والشمال حبلوا من شيات وحرما ابلا تحقيق

كذلك كان يرد عليهم محاولا أن يسر الغزله على حد ما يقول فى القسم السادس والاخير من «زهرة» يسائل الذين لعنوه - فى استفسار انكارى - عن العيب الذى يمكن أن يكون فى التغنى بمحاسن المرأة ومدح الجمال ، ويطلب من الله أن يقيه شر الجاحدين :

واتمام انقول افلشعار \* ياللى لعوسى جهرا

آش من عيب اعلى لشطار \* نأفا بمحاسن لمررا

واش من حشما يالحبار \* فى مديح علوم النظرا

ياهى والجحاد اكار \* بين امدغرا وامغرا

والستر من عند الستار \* منهم يوفينى جهرا

وقبل ذلك وفى القسم الرابع يطمئن الذين يخشون من العار الذى قد يلحق بأهل حبيبته فيبين لهم أن العاشق لا يحتار فى أمره طالما أن العشرة لهم بالزواج ، وقد كنى عنه بالصدوق :

خافين اعليا من عار \* كيدل احباب البكار

والذى عاشق ما يحتار \* بالصدوق اسم العشار

ولم يقف سخط خصوم بوعمرى عند هذا الحد ، وإنما زادوا فمنعوا تداول جميع قصائده حتى ما كان منها فى غير الغزل ، فلم تعد تنشد فى المساجد والزوايا والمجالس العامة حيث كانت العادة أن تنشد قصائد تنزجل ، ولكن الشاعس استمر فى اتجاهه الجديد الذى وجد قبولا واستعسانا فى المجالس الخاصة ولاسيما عند النساء والشباب . واضطر بوعمرى الى أن يسامر جمهوره الجديد وأخذ ينظم له أغنيات خفيفة كهاته التى يؤكد بعض الاشياخ أنها ما زالت تغنى حتى اليوم فى الصحراء ، يقول فى أولها :

اتقربو الزوج اخراص \* طسار النعاس

خلونى هنا لونس \* غابوا الفاس

وسنعود الى هذه الأغنيات فيما بعد كتطور للشكل عند الشاعر ، ونبقى قليلا مع بوعمرى فى مواجهته لخصومه ، فهو لم يقنع بالمصير الذى

آل اليه شعره وظل يرد على خصومه مؤكداً تمسكه باتجاهه فنظم قصيدة «عبلة» التي يقول في حريتها :

ايلا اتعذبت اعذابي من انواجلي \* ويلانا هنيث واسعدنى فالى  
اسبابى فالفنا اغزالى عبلا

ولعله فى اختيار اسم عبلة لم يكن يقصد غير الابتعاد عن أسماء النساء المألوفة ومحاولة اقناع خصومه أنه لا يعنى بنت هذا أو زوجة ذاك أو أية امرأة بالذات .

وفى القسم الثانى يخاطب الذين شوهوا قوله ولاموه على هواه ، ويبين لهم أن الحب كدز حصل هو منه على قدر كبير ، وأن المحبة رضوان من الله يهبه للعفيف ويرفع به الوضع ويغنى به المعدم ويحول به القفار الى جنان :  
ياللى شوهتو ليا افعايلى \* لومونى افلهوا ونا فسجالى  
نوريكم حب ماتوصلو خلا

لمحبا رضوان الخالق العالى \* للى هو اعفيف الحب احلالى  
وايامو ابلهوا العذرى تحلا

ايلا ايكون اوضيع افلعباد ياللى \* ما ساق اخبار لازم اينال لمعالى  
ويعود ايلو اجنان ما كان اخلا

كم عادم فغنائه اليوم بان لى \* الحب اكنوز ياللى كايصفالى  
أنا بعدا ادركت منها شلا

وفى القسم الرابع والاخير يكشف لخصومه أن البون شاسع بين العشق والفسق ، وأن العاشق لا يمكن أن يكون فاسقا ، وأن العشق يبعث الرقة والنور فى قلب الجاهل البليد فيصير فاضلا لييبا أدبيا لا تمل مجالسته :

عاشق وفاسق ماينصاب فى اخلا \* ولا فعمارت لمـدون ولطلالى  
بين العشق والفسق عندى شلا

من اعشق يترقق لو كان كرغلى \* ويصير افضيل بين لامت لفضالى  
الييب اديب عنـو ماتسلا

ويرفع شكواه الى الله من أولئك الذين اغتابوه وهاجموه فاسودت

صفحته وساء حظه :

يا للى بقتبكم سعدى اسود لى \* واشكيا للكريم لجيل العالى

لاقولا خافيا ولافعلا

ولكنه لا يفقد الامل فيمن يدرك فضله ، فيقول فى آخر بيت من

قصيده :

لازم ايجى من يدري فضلى \* والفضل الخالقى فالاول والتالى

ورحمة الله اعلى ارفيق النخلا

وكذلك كان ، فقد جاء فيما بعد شعراء عرفوا قدر بوعمرو واعترفوا

بفضله ونزهوه عما اتهمه به معاصروه ، من هؤلاء الجيلالى المتميزه ثانسه

قال فيه :

ماوتيتى حاشا لله \* غير ساعفتى من تهواه

زاد لك اولاعا

الزهو فسطور انظمناه \* ولهوا ساقى سميناه

ولودن سماعا

ومنهم كذلك التهامى المدغرى شاعر الغزل الاول فانه قال :

لو كنت فى ازمان «العاشق» \* انكون لو الخو الشقيقتى

وانحق للجحود احقايقى \* وانقول بالنائم فقى

والحقيقة أننا حين ننظر فى قصيدة «عبلة» لبوعمرو نكاد نلتمس

العدر لثورة معاصريه الذين لم يالفوا فى الزجل غير المدائح النبوية

والتوسلات والمواعظ ، ثم فجأة يسمعون لشاعر مثل هذا القول :

انظم وانغنى سعدى اسكام لى \* وانقول افحلتى وشعرى واسجالى

فى محراب لغرام هى القبلا

ليس من شك فى أن بوعمرو كان جريئا على مجتمعه المحافظ حين اعتبر

الحبيبة قبلته فى محراب الغرام ، بل انا لا نجد شاعرا آخر من الغزلين

الذين جاءوا بعده استطاع أن يجرؤ على مثل هذا القول باستثناء التهامى

المدغرى الذى قال فى قصيدة «غينة» :

اخلعت لعدار فى محراب لهوى وصليت \* وامطارب لخمير تركع لصلاتى

ومن عجيب أن الموقف الذى اتخذه معاصروه منه بمنع تداول كل شعره وما نتج عنه من انتشار قصائده الغزلية فى بيئات خاصة حمى هذه القصائد من التلف والضياع فى حين ضاع كل ما عداها من زجله .  
ثانيا : تطور الشكل :

ويتمثل عند بوعمرى فى ابتداعه وزنا قصيرا لكل من البحرين الثنائى والثلاثى ، وفى نظام قصائد خفيفة للغناء .

#### 1 - الوزن الاول للبحر الهشنى :

ويعتبر أصغر وأقصر أوزان هذا البحر ، وقد سبق اليه فى قصيدة «زهرة» التى يقول فى حريتها :

زورينى قبل الانقبار \* ياهلال الدارازعرا  
ويؤكد الاشياخ أن أحدا لم ينظم فى هذا الوزن غير التهامى المدغرى  
فى قصيدته «فروح» التى يقول فى مطلعها :

مال ذاك الغنج الذباح \* كاي زيد القلب المجروح

#### 2 - الوزن الاول للبحر الثلاثى :

ويعتبر كذلك أصغر وأقصر أوزان هذا البحر ، وكان أول نظمه عليه  
فى قصيدة «عبلة» وهذه حريتها :

ايلا اتعذبت اعذابى من انواجلى \* وبلا نا هنييت واسعدنى فالى

اسبابى فالهنا اغزالى عبلا

ويؤكد الاشياخ كذلك أن أحدا من الشعراء لم يوفق فى استعمال هذا  
الوزن كما وفق الفقيه العميرى ، على حد قوله فى احدى قصائده :

بارت احيال لعقالا افجيلنا \* والحق اغبر ولعلايم كبالا

وعلامات المسيح لنا وصلو

#### 3 - قصائد خفيفة للغناء :

اضطر بوعمرى الى نظمها تلبية لطلب جمهوره الجديد بعد أن  
أعرض الاشياخ عن شعره ومنعوا تداوله ، وهو جمهور - كما سبق أن  
ذكرنا - محصور فى نطاق النساء والشباب . وقد وقفنا على قصيدتين  
من هذا النوع الغنائى الخفيف ، يقول فى الاولى على لسان فتاة سافر

حبيبها الى فاس وتركها وحيدة لا تكاد تنام حتى يوقظها صوت حلقات  
أذنيها لتسهر طوال الليل معذبة عليه القلب ، وهي ترجو الناس أن  
يحدثوا أباه وأمه وعمها في كولميم لينذهبوا في البحث عن حبيبها الذي  
طالت غيبته وكأنها مدة عام :

اتترنجوا الزوج احرص \* طار النعاس  
خلوني هنا لونس \* غابوا الفاس  
انبات ساهرا فالليل \* ليلي اطويل  
لو اعمل كيف كان اكبيل \* باتلي اهبييل  
تاسيت فالعذاب اشحال \* تلبسي اعلييل  
دالشي احرام أو احلال \* صدوا الخيل  
جاني البارح فالمنام \* ماشي اليوم  
واشمنو البارح افليام \* أنسيتهم  
اتقول غاب هذا عام \* وادي النجوم  
دالشي احلال أو احرام \* صدوا الخيل  
لاغيوا لي ابا وامى \* لا غيروه  
لاغيوا لي اعلى عمى \* ممن كولميم  
ايفتشوا على نجمى \* بين النجوم  
دالشي احلال أو احرام \* صدوا الخيل

ويقول في الثانية مستعرضا مجموعة من الفائنات المزدغيات في  
سن المراهقة يتحدثن باللهجة الشلحية والعربية ، وقد لمع جبينهن كالبدر  
وانطلق شعرهن الفاحم على الخدود ، وما كاد يراهن حتى أحس بدوار ،  
ودخل معهن في حوار حيث سألته عن مكان قدومه فرد بأنه من منطقة ورغة  
جاء الى امزدغا لينظر الى طحيان الجمال في خدهن وليعاني من جفائهن  
ربى حبن :

روح اتشوف الزين ياللى ما شاف الحسن فامزدغا  
طغلات افجهد لبلوغ  
صاكا صاكا دايزين اعلى ورغا رافدين صيغا  
يلغوا بشدها اولوغ

اجبين كالبدن والتيتوت مفروغين اعلى لخدود فرغا

واين اللي راهو ايروغ

مهما ريت ابهاهم دوخوا دماغى ياصاغى ولا وجدت وين انروغ

قالوا لى امنين اتكون قلت لهم أنيا من احواز ورغا جابتنى رجلى انزيغ

انشوف الزين افخدكم طاغى \* وانتما جبكم باغى

جفالات كلکم غواغيا \* مزينکم بملاغيا

والجدير بالملاحظة أن مثل هذه الاغنيات خرجت فيما بعد من نطاق

مجالس النساء والشباب ودخلت مجال الانشاد حيث اتخذها المنشدون

لخفتها مقدمات للقصائد الكبيرة يضبطون بها ايقاع النغم واللحن ، وقد

تطورت هذه المقدمات الى ما عرف فيما بعد بالسرايات كما سنرى فى

الفصل الثالث من هذا الباب .

وقد ظل بوعمر وطوال حياته ينظم فى الغزل لم يتراجع عنه الى أن

وافته المنية ، فرثاه أحد رفاقه فى التلمذة على عبد الله بن احساين هو

الحاج عمارة الفاسى بقصيدة منها هذه الايات :

مال دمعى عن خدى واد \* مال ذاتى فيها رعدا

مال قلبى خافق فدفاد \* جرحنو ألف غيدا

مال عقلى ياويحى باد \* مال شعرى مايتسدا

آح اعليا يالعباد \* من احراق احبيب الكيدا

النبيل الفند النشاد \* سيد من غنى أو اشدا

بوعمر لمخير الوقاد \* لحييب الا ليه افدا

### الحاج اعمارة

من شعراء فاس كما يصرح فى آخر قصيدته «الحجة» اذ يقول :

والذى سالك عن اسمى ابلجهار \* الحاج اعمارا مادح درت النوارى

من امدينة مولاي ادريس صيل لطهار \* امدينة العلم وأرض النور افلقطارى

وهو من تلاميذ عبد الله بن احساين ، وقد ذكر لنا بعض أشياخ فاس

أنه نشأ فى طريانة بالطالعة الصغرى ، وأنه عمر طويلا حتى قارب المائة



عام ، وأنه دفن بمقبرة باب الفتوح فى نفس المدينة . وعلى الرغم من أنا لا نعرف بالضبط تاريخ وفاته فإنه من المؤكد أنها بعد وفاة بوعمرو لانه رثاه .

وقد وقفنا من زجله على أبيات فى رثاء ابن احساين وبوعمرو سبق أن أشرنا إليها ، وعلى قصيدتين : أحدهما «فاطمة» والثانية «الحجة» . وعلى الرغم من أنه نظم فى الغزل قصيدته الأولى فإن أحدا لم يثر عليه ولم يخاصمه ، ولعل مرد ذلك لأمرين :

**أولهما :** أن ثورة الأشياخ ضد الغزل كانت قد هدأت لا شك ، ولعلمهم بدأوا يألونه ويعجبون به ، علما بأن قصيدة «فاطمة» مؤرخة خمس سنوات بعد قصيدة «عبلة» لبوعمرو الذى ربما كان توفى حين نظم الحاج اعمارة قصيدته ؛ ويتضح تاريخ نظمها من قوله :

رمز الحلا ياللى اصغى «غالى» ذاك اقوام \* مهديا لام التيوت مولاتى فاطما  
ذات الزين الفايز الدكى سلسالت لكرام

فقد رمز ب : غ - ل أما الغين فبتسعمائة وأمام اللام فبثلاثين أى أن القصيدة نظمت سنة ثلاثين وتسعمائة .

**الامر الثانى :** ان الأشياخ بدأوا يلتمسون التبريرات للحاج اعمارة ويحاولون تأويل قصيدته زاعمين أنه لا يقصد غير فاطمة الزهراء (I) .

وبامعان النظر فى قصيدتى الشاعر يتبين لنا جانبان من جوانب التطور يبدو أن الحاج اعمارة سبق اليهما ، أما الاول فوزن جديد للبحر المثنى يعرف ب «قياس لمشركى» ويظهر فى قصيدته «الحجة» وأما الثانى فمقدمات الاقسام المعروفة ب «النواعر» وذلك فى قصيدته «فاطمة» .

**أولا : قياس المشركى :**

وهو وزن من البحر الشنائى سبق أن رأينا (2) أنه أسهل أوزان هذا

---

(I) فى حين أن الواقع غير ذلك كما بينا فى الملاحظة الثانية بآخر فصل «المرأة» من باب (الموضوعات) .

(2) أنظر الجزء الاول من الفصل الثالث من باب «الشكل» .

البحر ، وكان أول ما نظم فيه قصيدة «الحجة» التي يقول في حربتها :  
يا لحضرا قولوا بالسر ولجهار \* الصلا والسلام اعلى النبي المختار  
وهي قصيدة تحدث فيها عن أدائه لفريضة الحج ، ويبدو أنه نظمها  
في البقاع المقدسة ، ومن هنا جاءت تسمية وزنها بـ «المشركي» منسوباً الى  
المشرق ، بل انا نراه يؤكد ذلك حين يقول في البيت الرابع من القسم الاول  
انه أتى به من مكة :

واش كنزوا من لاكنزوا قياص لشعار \* يوم جبتو من مكا تربت الطهاري  
ويقول كذلك في أول بيت من القسم الخامس والاخير :

هاك ياراوي درا من ادرار الشعار \* في اقياص امشركي من بلدة السراي  
والملاحظ أن شعرا لم ينظم على هذا الوزن - كما جاء به الحاج اعمارة -

أحسن من التهامي المدغري في قصيدته «فروح» التي يقول في حربتها :

مانروح اللفراج ولا نروح بالراح \* دون راحة روح اللوامح افروح

ثانيا : مقدمات الاقسام (النواعر)

لعلها ظهرت لأول مرة في قصيدته «فاطمة» التي يقول في حربتها :  
أنا فطومي اعلى امواك أباشت لريام \* وانت مقطوما اعلى اعذابى يافاطما  
والذي فرقنا ايلمنا ما طالمت ليام

فقد قدم لكل قسم بأبيات ثلاثة ابتداء من القسم الثاني دون الاول  
الذي كان يمهّد له بالمعربة على عهد الحاج اعمارة ، ثم أصبح يقدم له فيما  
بعد بالسراية .

وكمثال على ذلك نورد «نواعر» القسم الثالث من القصيدة ، وفيها  
يقول :

كم اسنين وكم امن اشهور \* واشحال من اليالى دازوا وانهاير

ونيا منسى مهبجـور \* طعمى امحايى واشرايى لراير

بعد الصبر اكتببت مسطور \* مرسول سار به وعايئت ابشايير

وبها ينتقل للقسم حيث يقول :

أناطما لله جا اکتايى فايح بنسام \* أناطما لاجواب جانسى لا تسليما

اطردتى مرسول عاشقك وانسييت ليام

أفاطما كم ليل بت انطوف ابلسام \* أفاطما كيف طاف بالكعبا لقويمما  
فيس وكيف ارجا ارجيت لايعفو من لغرام  
أفاطما هاجت لمطار بلت لى لحرام \* أفاطما والقيام زايدنى تقيمما  
لاوجهك لايدر فالسما لانجما فظلام

عبد الله بن احساين السالف

هو ولد عبد الله بن احساين السالف الذكر وعميد الزجل بعده . واذا  
كننا لا نعرف بالتحديد تاريخ ولادته فاننا نستطيع جعلها بالتقريب فى  
السنوات الاولى بعد المائة التاسعة وقبل وفاة والده بسنوات قليلة ، لانه  
يصرح فى قصيدة له فى «التصلية» انه لم يمنع نظره فى والده كناية عن  
كونه مات وتركه صغيرا ؛ فهو يقول فى القسم السادس والاخير منها داعيا  
لوالديه بالجنة :

واللى سالك عن اسمى افشعري محمد \* مامتعت افوالدى ابصر  
عبد الله بن احساين يجعل فالخلد اقرارو

وامعاه الحرا البار

ثم ان هذه القصيدة مؤرخة فى السنة السابعة والثلاثين بعد التسعمائة،  
يقول فى القسم الاخير منها :

تاريخ الحلا افرمز «غزل» قولوا للدارى \* نأبجد ما قل ماكثر

والكسدا فاضرا وروحها سادت فى زوارى \* من تركو لعيون هامرا

فقد رمز ب : «غزل» فالثمين بتسعمائة والزأى بسبعة واللام بثلاثين ،  
ومجموعها سبعة وثلاثون وتسعمائة .

فليس بعيدا أن يكون نظمها وهو بين العشرين والثلاثين من عمره ،  
وليس بعيدا كذلك أن تكون من أول ما نظم .

وقد وقفنا من قصائده على اثنتين : احدهما فى «التصلية» ويذهب  
كبار الاشياخ الى أنه سبق فيها للبحر الرباعى ؛ والاخرى فى التفرل فى  
«طامو» ويذهبون الى أنه سبق فيها للبحر الخماسى والى التجنيس والتصريف  
والتضمين والى الشعر القصصى كذلك .

### أولاً : البحر الرباعى :

فقد جعل البيت مكوناً من أربعة أشطار على حرف واحد فى القافية وبحركات مختلفة ، والتزم نفس الحرف والحركات فى كل القصيدة ، ويتضح ذلك من حربتها التى يقول فيها :

صلى الله امع املايكو عل لحبيب السارى \* وامر هل ليমান افلبشر  
بصلاة الهادى امع اسلامو بايات اسوارو \* صلى الله اعليه وافرا

فانه التزم قافية الراء فى كل أبيات القصيدة وجعلها فى الاشطار الاولى على الكسر وفى الثانية على السكون وفى الثالثة على الرفع وفى الرابعة على الفتح .

ومَن الزجالين الذين نظموا على هذا البحر بنفس الوزن محمد بن على ولد اريزى فى قصيدته «الوصية» وان لم يلتزم بنفس الحرف والحركات المختلفة ، وفى لازمتها يقول :

بعض الناس احباب درتهم نوجدهم اعدايا \* من عدالى كرهنا احصل  
واعيت انهادى افحيهم ماداروا بهدايا \* كل مادارو لنا اوصل

### ثانياً : البحر الخماسى

نظم عليه قصيدته «طامو» التى يقول فى حربتها :

قالت يما اتقول طامو \* قلت او أبيك يالطام  
يا قد اعلام فاللطام \* قالت ترا يقول طاما  
ترات ايقول فاطما

ويذكر الاشياخ أن أحدا لم يستعمل هذا البحر فى نفس الوزن الذى وضعه له ابن احساين كما استعمله التهامى المدغرى ، ومن الامثلة على ذلك قصيدته «فارحا» التى يقول فى حربتها :

سلتك ببهاك يالرايح \* مالك سكران دون راح  
ونا عقلى امعاك راح \* بايت من ليعت لجرايح  
ساهر والناس رايجا

**ثالثا : التجنيس (1) أو الجناس**

ويتضح سبق محمد بن حسانين الى استعماله فى هذا البيت من قصيدة «طامو» حيث يقول :

كيفى بنا انهار ناموا \* عينى فعيون موحرام  
واعقيل من الهام هام \* بالحال الى افقلب شاما  
فوق الورد الناسما

فالهام الاولى بمعنى الراس والثانية فعل الهيام .

**رابعا : التصريف (2) :**

وهو أن يتصرف الشاعر فى كلمة باستعراض عدد من اشتقاقاتها ، وكأنه نوع من الجناس ، ويتضح ذلك فى حربة قصيدة «طامو» .

**خامسا : التضمين (3) أو التلزم :**

وهو أن يجعل الشاعر قافيته على أكثر من حرف شبيها بلزوم ما لا يلزم فى الادب المعرب ؛ ويتضح سبق ابن حسانين اليه فى حربة طامو السالفة الذكر حيث جعل القافية على حرفى الطاء والميم .

**سادسا : الشعر القصصى :**

فقد حكى فى قصيدته «طامو» قصة حبه لها بدأها بأول لقاءهما واعجابه بجمالها الذى وصفه فى القسم الاول حيث تشجع على أن يسلم عليها ويسألها نى نهايته عن اسمها ، فقال :

قلبي فيها انقى اغرامو \* زعم نطقى اعلى السلام  
ماردت بالحيا اسلام \* جرت قبطنها ازعاما  
قلت اسمك بالناسم

فأجابته بأن أمها تسميها «طامو» ، وحين سألها بم يسميها أبوها ردت  
بأنه تارة يناديها بطامة وتارة بفاطمة ، وقد ضمن هذا الاستجواب في حربة  
القصيدة .

فزاد جوابها لوعته وسرى في جسده كالخمر وأسكره وأفقده وعيه  
وعقله ، ولكنها لم تلبث أن لاذت بالفرار وكأنها الغزال حين يحس بخطر  
الصيد يحوم حوله ، ولم تفعل كالنعامة توهم نفسها أنها بعدت عن الخطر  
بدفن رأسها في الرمال ؛ وساعدتها على الفرار أقدام شابة قوية لم يقدر على  
متابعتها لو هن عظمه ، فاختلفت عن نظره طائفة كحمامة وتركته كالقمرى  
الظامى ؛ ذلك ما يحكيه فى القسم الثانى اذ يقول :

صوت العذرا مع انغامو \* اسرا فمفاصل لجسام  
خمر ذاتى ابلا امدام \* وافقدت العقل والفهاما  
صدقته هى الفامما

دارت مدار فى اوهامو \* لغزال الراتع لوهام  
حس بالصياد به حام \* ما درق راس كالنعاما  
وإبنى طار فالسمما

الباهى عانتو اقدامو \* ونا لموهن لعظام  
ماطقت لجرى ابلقدام \* والخذوا كنها الهاما  
فتلول الرمل هايمما

حتى ختفت يا عدامو \* قلبى من ليعت لغرام  
من بعد اسلام ولكلام \* طارت كطيرت لحماما  
ثفرت كمرى لها اظما

وظل فى القسمين الثالث والرابع يحكى أثر حبها عليه معذبا مسهدا  
طوال شهر الى أن كان يوم خرج القوم للصيد وخرج معهم على حد ما يقول  
فى آخر بيت من القسم الرابع :

حتى لليوم فاش قاموا \* المصيد اسياتل لخيام

ونا مالدي امكام \* واخرجت امع اهل الزعاما

اليوت اضراغهم لهما

ويحكى في أزل القسم الخامس أن الناس تشنتوا في البطاح والآكام  
بحثا عن الصيد حتى كان آخر النهار وعاد الجميع ، وقد اصطاد بعضهم  
النعام والغزال آخرون ، أما هو فعاد ومعه فاطمة :

كلا ننساق في اقوامو \* ما بين ابطايح لوهام

وتشتتنا على لاکام \* ضلينا كافا اهياما

من مور او حوش هايما

حتى عكب الضيا اظلامو \* عدنا بجميع في اسلام

شي منا قانص النعاما \* شي جاب من لغزال لاما

ونيا جيت فاطما

أدريسي المريسي

### الثورة على قيود الوزن والقافية

من شعراء مراكش ومن معاصري محمد بن عبد الله بن احسانين كما  
سنرى من مساندته له في دعوته التجديدية ، ذلك أن المريسي ضاق بقيود  
الزجل المتمثلة في الوزن والقافية ، ودعا الى التحرر منها في ثورة عليها  
تكشف عنها هذه الابيات .

أنا ابغيت ننظم والحرف ابدا ايغور

اعلاه ما يكون الشعر ابلا حرف

غير حس او قول الكلمات

ولودن تسمع ماقلتي

ولقلوب اتغنى بفنالك

تابعا تلديد المعنى

ولا اعنات ابشى قافيات

.....

لاش نحبس فكرى فالحرف

ونحبس عقلى فالتبييت

ولفكار اتمائل لطيور

مارضات اقفز من لبيات

جايب اسلوكو من لحروف

والركايز من لقياسات

فهو فى هذه المقطوعة يوضح فكرته ويدافع عنها بروعة ، انه يريد أن ينظم ولكن القافية تخونه . ولم لا يكون الشعر بلا تقفية ؟ لم لا يكون مجرد كلمات تعبر عما يحسه الشاعر ، تسمعها الاذن ويتغنى بها القلب متجاوبا مع ما فيها من معنى رائق لذيد دون اعتماد على القافية ؟

ويتساءل فى الجزء الثانى منكرا تقييد الفكر فى القافية والعقل فى الوزن ، فى حين أن الافكار كالطيور لا ترضى أن تحبس فى قفص الابيات المشبهة أسلاكه بالقوافى وركائزه ب «القياسات» .

والعجب أن المرىنى لم يتعرض لنقد معاصريه الذين لا شك فوجئوا بهذه الدعوة التحريرية ، وربما كان السبب فى سكوتهم أن عميد الزجل فى وقته وهو محمد بن عبد الله بن احساين لم يتخذ من دعوة شاعر مراکش موقفا معاديا ولا حتى سلبيا ، بل على العكس من ذلك وقف منها موقفا ايجابيا كأحسن ما يكون الايجاب وأقواه ، فنظم قصيدة على نسق مقطوعة المرىنى دليلا على تجاوبه معه ومساندته اياه ؛ والاسف أنا لم نقف من هذه القصيدة الا على هذه الابيات القليلة التى يقول فيها :

وصف لهوا وعدو خبرو به لكتوب

اصغ انصف احساب اعدادو

للذى سول بجهادو

وجاه محال افترشادو

ونكاد نجزم بأن هذا التجديد فى نظام الوزن والابيات والقافية هو



الاساس الذى انطلق منه مكسور الجناح والمشتب والسوسى .

### عبد العزيز المغراوى (1)

عميد زجالى عصره كما يكشف وصف الاشياخ له بأنه «شجرة الكلام» عاش فى النصف الثانى من القرن العاشر وأول الحادى عشر ، وكان معاصرا للمنصور (2) السعدى ، حيث نجده يرثيه بقصيدته التى تسمى «لعزو» والتى يقول فى حربتها :

عام شايب مات الذهبى اخيار لتراتب به مابقى للسعدى بشاش ايرجحو  
وهو من آمغرا فى صحراء تافيلالت . وقد ذكر لنا الشيخ بنعيسى الدراز  
أن أحد شعراء فاس - واسمه باحدو - كان يتهاجى مع المغراوى فيعييره  
بصحراويته ، فكان المغراوى يرد عليه بمثل هذا القول معتزا بأحسله  
وشرف نسبه :

فيلالى ياحزين مانكر حسبى من جد الجد

من اقريش الى عثمان

(1) وجدنا فى بعض مصادر التراجم المغربية ذكرا لعالم يدعى عبد العزيز المغراوى من تافيلالت كان قاضى الجماعة بفاس وكان يعيش فى نفس الفترة التى عاش فيها شاعرنا الزجال ، ولكننا لا ندرى ان كان هو أم غيره ، وقد سألنا عن ذلك من عنوا بالتأريخ لعلماء فاس فلم نظفر بجواب . ومهما يكن فانا نورد ما وقفنا عليه فى تلك المصادر . يقول محمد الصغير الافرانى المراكشى فى «كتاب صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر» : «ومنهم الفقيه القاضى أبو محمد عبد العزيز بن على الفيلالى المراكنى المغراوى قاضى الجماعة بفاس ، كان فقيها مدرسا أخذ عن ابن مجير والمنجور والحميدى والسراج ، ذكره سيدى العربى الفاسى فى تأليفه المعمول فى شهادة الليف حسبما ذكره الشيخ ميارة فى شرح الزقاقية ، توفى رحمه الله عام أربعة عشر وألف» . (ص 102 ط فاسية) .

ويقول أبو عبد الله محمد بن الطيب القادري فى «نشر المثنى» : «ومنهم الفقيه العالم القاضى عبد العزيز المراكنى المغراوى الفيلالى ولى قضاء فاس بعد أبى مالك عبد الواحد الحميدى ، وفى وفاته قال المكلاى :  
فواها لاحكام توارى شهابها \* بعبد العزيز المراكنى المعزل»  
(ج 1 ص 98 - 99) .

(2) هو أحمد المنصور الملقب بالذهبى ، تولى على اثر وقعة وادى المخازن سنة 986هـ وتوفى سنة 1012هـ .

ولعله كان من العلماء على حد ما يقول عنه الادريسي في «كشف الغطا»:  
«وكان من أهل العلم وذوى الزهد والورع (1)»، وعلى حد ما ذكر لنا الكاتب  
الاشياخ من أنه كان يدرس بجامعة القرويين . ويقولون عنه انه انتقل الى  
فاس وأقام بها مدة طويلة ، وأنه خرج الى رحلة استطلاعية في بلاد الشمال  
الافريقي دامت بضعة شهور عاد بعدها الى أمّرا ، ويقولون انه خرج بعد  
ذلك بظاهرتين جديدتين في عالم الزجل هما : «الصروف» و «العروبيات» .  
**أولاً : الصروف :**

أحس المغراوي أن الشاعر اذا أراد أن ينظم قاس على قصيدة غيره ،  
ليست له قواعد أو ركائز أو ما يسمى في العروض العربي بالتفعيلات ، فدعا  
الى اتخاذ «الدندنة» مقياسا و «صروفا» لوزن الابيات . وقد سبق أن رأينا (2)  
أن هذه الدندنة تقوم على «دان داني» وانها مقياس موسيقى صرف ، أساسه  
النظم والايقاع ، كما سبق أن مثلنا لتطبيقها بمثل قولهم بالنسبة لهذا البيت  
من شمعة ابن علي :

ايلا باكيا بسقامك شوفي اسقام حالي \*

من قيس وارثو بعد افناه اغرام حب ليلى

أدان دان داني داني يادان دان داني \*

أدان دان داني داني يادان دان داني

**ثانيا : العروبيات (3) :**

وهي الابيات التي يقدم بها للاقسام ، ويذكرون للمغراوي من قصائده

- 
- (1) كشف الغطا عن سر الموسيقى ونتائج الغناء . ص : II2 .
  - (2) أنظر الجزء الاول من فصل «العروض» بالباب الاول . والجدير بالملاحظة أنه يوجد في الزجل التونسي وزن معروف يطلقون عليه «المغراوي» يدرجونه تحت نوع يسمونه «القسيم» يسير على الشكل الآتي :  
لسم المعبود في البقا واحد احسد \* لا دونو دون ابتسم خير و جرت الاقدار  
(أنظر مقالا لمحمد المرزوقي بعنوان «الشعر الشعبي في تونس» نشر في مجلة الفنون الشعبية بالقاهرة - العدد الاول - السنة الاولى 1965) .  
فلعله منسوب للزجال المغربي عبد العزيز المغراوي ، خاصة وقد عرف عنه أنه قام برحلة طويلة للشمال الافريقي زار خلالها تونس والجزائر .
  - (3) أنظر الجزء الثاني من فصل «العروض» بالباب الاول .

الأولى التي اتخذ فيها العروبيات قصبة «الغوى» التي يقول في حربتها :

رد إليك للقبلا را المال ضلوا \* وأقبل آمن الله المقرب لخطاوى

لقد قدم لأحد أقسامها بيتا السروبي :

يا راسي نب شف لمآثم يقواوا \* تب المولاك تب يا هذا المغوى

واعمل حسنات قبل لصحوف ينطواوا \* تلقاهم فارغين واتولى مكوى

يبليس مع النفس فى الغي اتواوا \* وانت ما زال غابط وزايد تهوى

راسي لله لين غادى يامغوى

أما القسم فهو :

ياللى كايستها سبوا امسور سبوا \* فارق اسهوك استيقظ لاش ذا السهاوى

ماحضا زرع الى ما حارثو افرىوا \* ولا حرث من يرجا لسوايع لفجاوى

لا اتخاف امن الذنب ايلا اتقل واقوا \* تب لله اوقم الليل ذا اتساوى

قم واستغفر للمولى افكل نجوا \* اولا تخلص نفسك تموا مع السهاوى

اترك ارضا النفس ويليس لا تنكوا \* وحلق فعلو الروح العالى السطاوى

بالشاكى من دا فالدين جالك ادوا \* ايلا اتعملو تضحى من كل دا امدواوى

ويصير المغراوى من كبار المشدء الذين برزوا فى الموضوعات الدينية،

ومن أهم قصائده، فيها «المعراج» التي يقول فى أولها :

لسم الله لعظيم ذا العرش الديان \* رافع لفلاك افلهوا دون اعماد

من خص المرسلين آية البرهان \* وارسلهم ابهدا ودين الارشاد

لسم الله ابديت نظم سمعد به \* ويعلمنى ابعكمتمو ما لم نعلم

بجاه اجلال اقدرتو وارجايا فيه \* بندينى للصواب قصدى نفسم

خالص مدح الرسول صلى الله عليه \* والآن امع اصحابو عد امواج اليم

ومنها كذلك «هول القيامة» التي يقول فى أول أقسامها :

نعم القيوم خالق اكوان الكونين \* وسير امسيرها اعلى وفق امرادو

الكون اللولى انشاء اعلى وصفين \* العلوى والحضيض ملك وابلاودو

والفوقى لسلايك جمع الثقيلين \* والسفلى كون الجمهور اعبادو

والفلك الدائم لمغيب \* فاسيار اسيار لودود

والنار لكاهرين تلهب \* بلظاها مالها اخمود

وانعيم السرمد لمؤهب \* لاهل الاسلام افلخلود

من أمن بالله والرسول لخيار \* سعدى الرحمان واستقام  
واكمل اسعادت الهادى نعم المختار \* الماحى صاحب لحسام  
وعلى الرغم مما يقال من أنه لم ينظم فى الغزل فقد وقفنا منه على  
عروبيين مرتبطين بحادث وقع له يستنتج منه الاشياخ صلاح الرجل وسمو  
نفسه وتقواه . يحكى فى هذا الحادث أن المغراوى كان خارجا من جامع  
القرويين فلقى فتاتين تتوادعان فقال لهما معلقا : «وأنا أين أذهب ؟» فردت  
عليه احدى الفتاتين : «اذهب الى الحبس» فما كان منه الا أن ذهب فعلا  
الى السجن وأقسم ألا يخرج منه الا اذا حضر الشخص الذى أمره بدخوله ،  
وكانت للمغراوى مكانة وسمعة فى فاس فاضطر باشا المدينة الى أن «يطلق  
البراح» أى المنادى يجول فى الاحياء يطلب حضور الشخص الذى دعا على  
المغراوى ، وكان خارجا من القرويين ، أن يدخل السجن . وسمع أبو  
الفتاة النداء وأخبر به أهله فعلم أن ابنته هى المعنية بالامر فذهب بها فأطلقت  
سراحه . ويقال انه بعد أن حضرت الفتاة لتسريحه أنشأ هذا العروبي  
- ويبدو أنه كان مولعا بنظم العروبيات حتى فى غير القصائد - :

ركبت اعليا عنسى من طاق الطاق

وكل طاق ابطواقو

عينى رات شى ازواق داروه الحداق

مر مر العاشقين منو يحماقو

هذا حال لغرام يا من لاذاقو

وتذهب الحكاية الى أن الاب قدم ابنته للمغراوى زوجها له ، وفى ليلة  
الزفاف دخل المغراوى غرفة زوجه ، ولكنه لم يلبث أن خرج منها دون أن  
يشعر به أهل الدار ولا أن يعرفوا من أين ولا كيف فعل ، ووجدوا مكتوبا  
على ورقة - تركها لهم - هذا العروبي :

أنا عاشق مانا فاسق

نعرف ربى احقيق

مرجان واعقيق فيدى متلاشى

### الدنيا ماتدوم سبحانه الحي الباقي

أما بعد هذا فبدأت الإشياح من كرامات المغراوي أنه حين جاء من الصحراء الى فاس كان يلبس العصامة والتقيص الصوفيين ، فضحك منه أهل فاس ، ولكنه حين جلس للدرس بهرهم . وذات يوم حاول بعض رواد درسه أن يهزأ به وسط المجلس فاتفق مع خادمة له أن تأتيه أثناء الدرس وتزعم بأن البغل مات ويحتاج الى مخرأوى ليقوده ويدفنه ، وكانت العادة ألا يقوم بذلك أهل فاس ، وجاءت بالفعل وأخبرته ، فقام الى المخرأوى - وهو يلقي درسه - وطلب منه أن يقوم لدفن البغل فلبى الطلب وخرج من الجامع وذهب مع الشخص الى المكان (I) المعين فوجد البغل قد مات بالفعل ، فأخذ المغراوي يحرقه من كراعته مارا به من حي الى آخر ، وكلما مر بحي انهدمت بيوته ودكاكينه فأدرك الرجل والناس صلاح المغراوي فأخذوا برجونه أن يتوقف عن السير .

ويحكى عن صلاحه بعد هذا أن «بلغته» ظلت جديدة طوال سبعة عشر عاما لم يلحقها التلف والبلى لانه كان يسكن المدرسة المصباحية ولا يخرج منها الا للدخول الى جامع القرويين لاداء الصلاة .

هذا وقد وجدنا في أول ورقة من كئاش (I) يضم قصائد للمغراوي فائدة بقلم كاتبها أحمد الهلالي يقول فيها : «يوجد ضريح صاحب هذا الكتاب بمقبرة تسمى باسمه بين عبد القادر الهلالي جنوبا وامبارك بن عزى شمالا ولا زالت لحد الساعة . له عائلة كبيرة بعضها في أنحاء المغرب وبعضها جالس بقصر امسيفى فرقة الغرفة ، وهم دار علم وكرم وشهامة وتقوى وصلاح ، وقبره فيه ثلاثة أمتار تقريبا وليست له قبة حيث يحكى أنه كلما بنوها عليه تهدمت . وتقصده الناس من كل حدب وصوب للبركة . ويقال : كل طويل خاوى سوى النخلة والمغراوي ، كما يزعمون أن الشقى - وقانا الله - هو الذى لا يزور قبره» .

I يقال انه هو المعروف الآن ب «زقاق البغل» وان سبب التسمية هذا الحادث .

(I) مخطوط الخزانة الملكية رقم 860 .

من كبار أشيـاخ القرن الحادى عشر ، وهو امتداد للمغراوى وعميد الزجل بعده كما تكشف القولة السائرة «المغراوى شجرة الكلام والمصمودى فرع من فروعها» . ويراه أشيـاخ الزجل النقاد مقعد الفن وحلقة وصل بين مرحلة سابقة لا يعرفون عنها الا القليل ومرحلة لاحقة كاد الركود يأتى عليها فى البداية ، ولكنها لم تلبث أن شهدت ازدهارا كبيرا سنتحدث عنه فى الفصل الثالث من هذا الباب .

والواقع أن المصمودى يعتبر آخر شعراء مرحلة التطور الذين وصلتنا أخبارهم ، فقد انتهى بنا البحث الى أنه شارك فى تطوير القصيدة بشيئين : أحدهما شكلى يتمثل فى محاولة وضع تفعيلات جديدة لعروضه ، والثانى يتصل بالمضمون وهو السبق الى أسلوب المراسلة فى الغزل .

#### أولا : مائى مالى :

اشتهر المصمودى بشورته على «دندنة» المغراوى وتبديلها ب «مالى مالى» حيث يروى عنه أنه قال «زولوا علينا دانى دانى فات وقتها واعملوا لنا مالى مالى» . وقد سبق أن رأينا (2) أن «مالى مالى» لا تكفى وحدها لضبط الإيقاع ويضطر الوازن بها الى أن يضيف إليها بعض الكلمات التى يشد بها الميزان مثل «الرادا - سيدنا - للامولاتى للا ....» وذكرنا من الأمثلة على تطبيقها قولهم فى هذا البيت من «وردة» ابن سليمان :

لا تلومونى فى ذا الحال جيت نشهد وانودى \*

يا عدولى فالـمـوت اسبابى خد الـوردا

لا يامولاتى للا ويا مالى مالى \*

لا يامولاتى للا ويا مالى مالى

#### ثانيا : المراسلة :

- 
- (1) من لطيف الاتفاق أن يطلق «المصمودى» على بعض الإيقاعات الموسيقية حيث يفرق فيها بين المصمودى الكبير والمصمودى الصغير .
- (2) أنظر الجزء الاول من فصل «العروض» بالباب الاول .

وقد ظهرت لأول مرة في قصيدته «يامنة» التي يقول في حربتها :

قولوا ليامنا تهليل العثمانيين \* مينا يامينا امعاك شرع الله

فبعد أن طالت غيبتها واشتدت لوعته بعث لها خطابا مع رسول ،  
ولكنها طوت الخطاب وطردت الرسول وهددته ان عاد الى مكانها وطلبت  
منه أن يرجع الى صاحبه ليبكي واياه ، وأقسمت بصوم عامها ألا يظفر مرسله  
بها أبدا ، فقد شامت بعد الوصل أن تهجره ، وهذا حال الجمال ولا بد  
للعاشق أن يرضاه . ذلك ما ضمنه القسم الثالث من القصيدة حيث يقول :

صفطت اللغزال ابراتى \* مرسولى امشى طرداتو

اقرالها احروف ابياتى \* قبطات مصولا عن مخطوطه

قالت لو : «ابصوم اسناتى \* بيا لا اظفر فحياتو

من ذا النهار ماتتصورمكاني \* ولي العندو ابكى انت واياه

بعد لوصال ردت انهجرو بلعاني \* هذا حال الزين عاشقو يرضاه

وارجعت اللبكا بالدمع الطوفانى \* اكتباني نطوا ودرت له اعزاه

ولكنه لم ييأس وأرسل مبعوثه مرة ثانية بعد أن حثه على عدم الملل  
وأغراه بالمقابل ان قضى حاجته . وما كاد يصل الى دارها وينقر الباب  
حتى وجدها في الانتظار وقد انهمرت دموع عينها ، والكتاب بين  
يديها مفتوح تقرأه ، فرحبت بسلامه واعترفت بخطأها معلنة توبتها الى  
الله ، وطلبت منه أن يبلغ حبيبها أنها ستلحق به يوم الاثنين ويتم  
الوصال . وكذلك كان حيث أوفت بوعدها فسعد قلبه وطابت له الحياة .  
هذا ما يحكيه في القسمين الرابع والخامس - وهو الاخير - اذ يقول:

عاود قلت : «يا مرسولى \* اترك النواح وارجع لها

بادر لا تكون املول \* لا بد حاجتى تقضيها

احكى لها وكن افضولى \* ونا بشارتك نعطيها

ولي لعند ولفى بكتابى ثانى \* نقر باب الدار صابها توجاه

وادموع عينها فانت دمع اعيانى \* واكتابى مجلول فيدها تقراه

« مرسل عاشقى هو هذا جاني \* اهلا بسلامو تايبا لله

لله يا رسول احبيبي \* ولي لو وفرج نكدو  
ولي وكر لو بذنسوبي \* واعطيه الدلال ايسعدو  
ويلا وتيت يستر عيبي \* حاشا مما نخالف عهدو  
يوم لثنين هو العاهد يرجاني \* وانتمو فرجا اعل احسان ارضاه  
وافات يامننا في عاهدنا ثاني \* قلبي من بعد الصدود طاب امناه  
اما بعد المصمودى فقد تشعب شعر المراسلة وتعدى نطاق المحبوبة  
الى نطاق البقاع المقدسة ومقام الرسول عليه السلام ، وغدت قصائده تحمل  
أسماء مثل « المرسول » و « الحمام » و « الورشان » اى الطائر ، بل  
تطور عند بعض الشعراء الى الحديث عن الرحلة والتجوال على حد ما نجد  
عند الكندوز فى « الرحلة » وابن على فى « الطوموبيل » ، وهى قصيدة  
مشهورة جال فيها بسيارته كل بقاع الارض ، وفى حربتها يقول :

سعدى زارتنى اخيلتى لغزال ام ادلال  
وازهينا بعد لوصول واركبنا طوموبيل  
واتسارينا بالجميع فالدنيا عرض وطول



بالشيخ المصمودى تنتهى هذه المرحلة فى أوائل القرن الحادى عشر  
بعد ان بدات بعبد الله بن احساين فى أوائل القرن التاسع ممتدة عبر  
ثلاث مئات من السنين شهدت القصيدة خلالها تطورا لم نستطع لضعف مادة  
التاريخ والنصوص ان نقف عند غير بعض اعلامه ومعالمه . وكان منتظرا ان  
تستمر هذه المرحلة ويظهر اشياخ كثيرون ، ويبدو انها استمرت بالفعل وان  
الركود اصاب الرواية ولم يصب النظم لانه سيتبين لنا لدى الحديث عن  
سعيد التلمسانى أنه حين قدم الى المغرب فخر عليه الزجالون المغاربة  
وعابوا عليه الموازين الجزائرية البسيطة ، وسيتبين لنا كذلك فى الفصل  
القادم انه ما كادت تمر هذه الفترة حتى انطلق الزجل ناهضا مزدهرا ،  
وما كان له أن ينطلق لو لم يستمر سيره دون توقف .



وإذا كنا نرى ذلك فانا لا ندري الاسباب التي جعلت الرواة يركدون ،  
ولعلهم لم يركدوا وانما اهتموا قصائد الزجالين المغاربة فلم يتداولوها  
وتداولوا بدلها قصائد الزجالين الوافدين من الجزائر ، والدليل على ذلك  
أن المنشدين المغاربة يحفظون حتى الآن كثيرا من هذه القصائد وان بعض  
انكنايش التي عنيت بتدوين الزجل تضم منها غير قليل . وربما كان  
العامل في هذا التحول اعجاب الرواة بانتاج الشعراء الوافدين وما كان  
لهم من مكانة عند السلاطين جعلتهم يبسطون نفوذهم على الحفاظ ويعفرونهم  
برواية قصائدهم . وتلك عادة جبل المغاربة عليها ، يؤخذون بما ياتي  
به الغريب ويبهرون به حتى ولو كان تافها غير ذي قيمة ، ينطبق عليهم  
ما يقال في المثل من ان «مغنية الحى لا تطرب» .

والاسف انه حتى بالنسبة للزجالين الوافدين ظلت الرواية محصورة  
فى شعر واحد او اثنين ، ولا سيما فى قصائد سعيد التلمسانى ، ولعل  
السبب فى ذلك انه كان متصلا بملوك الدولة .

وكم كان يكون مفيدا لو ان الحفاظ قدموا لنا اسماء اغلب الوافدين  
وكثيرا من قصائدهم ، ولو انهم رويوا كذلك الى جانبها اسماء المغاربة  
وقصائدهم ، ولو انهم فعلوا لكان فى امكاننا ان ننظر فى انتاج هؤلاء  
وأولئك ومدى التأثير المتبادل بينهما والمنافسة كذلك . حقا لقد وصلتنا بعض  
أزجال الصوفية فى هذه الفترة ، ولكنها محصورة فى نطاق ضيق يجعلها  
بعيدة عن أن تكون موضوعا للمقارنة .

مهما يكن فقد دام هذا الركود زهاء قرن ونصف لم تنقش سمحاته  
الا فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر على عهد السلطان سيدي  
محمد بن عبد الله (I) حيث بدأت فترة نهوض وازدهار هي التي سنخصصها  
بالحديث فى الفصل التالى من هذا الباب . ومع ذلك فقد لاحظنا خلال مدة  
الركود تلك ظاهرتين نرى أن نعرض لهما : الاولى انتشار الزجل فى بيئة  
المتصوفين ، الثانية قدوم بعض زجالي الجزائر الى المغرب .

(I) سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل ولد بمكناس سنة 1134 هـ  
وبويع 1171 هـ وتوفى 1204 .

اولا : زجالون متصوفون

تقدمهم لنا مصادر الترجمة المغربية لهذه الفترة ، وقد وقفنا منهم على هؤلاء : (I)

عبد الرحمان المجذوب :

سبق أن ذكرناه كشاعر «الحكمة» الاول واشربنا الى مصادر ترجمته واستعرضنا نماذج من أبياته المزدوجة في هذا النوع (2) .  
ونضيف هنا أنا وجدنا في « تحفة الاخوان ببعض مناقب شرفاء وزان » (3) لحمدون بن الطاهر الجوطي ، لدى ترجمة مولاي التهامي الوزاني وكان ايضا من الزجالين : «انه ذكر بين يديه كلام سيدي عبد الرحمان المجذوب ، وهو :

غميت نظري افنظرو \* وافنيت عن كل فاني  
حققت ما نظرت غيرو \* اورحت والقلب هاني

I ليس مقصودنا استقصاء كل المتصوفة الذين كانوا ينظمون الزجل فلعل معظم رجال التصوف كان لهم ميل الى نظمه لاتصالهم بالجمهير . ومن هنا لا سبيل الى تتبع هذه الظاهرة ، ومع ذلك نود ان ان نضيف الى من ذكرنا : السيد الغزواني . فقد وجدنا في كناية عبد الله الشمرقي (مخطوطة الخزنة الملكية رقم 5958 وهي مجموع من الكراريس والاوراق) : «ومن كلام سيدي الغزواني نجل سيدي محمد الشمرقي نعم الله بهما آمين :

ريت لعريس اتعرس ربحو ايهوس من شرق وغرب اتهوس يا بابا  
انخضر الى يابس يفجى الدحامس ابيض الى ناعس يا بابا  
جوابه لاييه نفعا الله به آمين :

هيا الراقد نض اسمال فوق المعاني \* كان اسمال نعطيك لخبصار يا بابا  
لا بد من لهوال عقبي الليالي \* مارس اعليك افحالي يا بابا ... »  
وهي قطعة من عشرة ابيات .

(2) انظر آخر الفصل الاول من باب « الشكل » لدى الحديث عن « الحكمة » كنوع من الزجل .

(3) ص 100 - 101 طبعة حجرية .

فقال مولاي التهامي رضى الله عنه: هذا انما قضى حاجة نفسه ولم  
يقض حاجة لغيره فأنا لا أقول هكذا فقليل له وكيف تقول يا سيدي ؟  
قال أقول :

من جا الحضرتنا يبرأ \* يمشى ابقلو عسثمن  
ايحيى نحاس يمشى نقرا \* وسيدنا محمد ضامن «

مهماد النورقي :

سبق ان ذكرناه كذلك في نفس الموضوع (I) ونضيف نه هنا مراسلة  
زجلية دارت بينه وبين ابي المحاسن الفاسي (2) تدل على أنه كان ينظم  
في غير المزدوجات الحكيمة ، وقد ذكرها محمد المهدي بن احمد بن علي  
ابن ابي المحاسن يوسف الفاسي في «كتاب ممتع الاسماع في ذكر الجزولي  
والتباع وما لهما من الاتباع » فقال : «وكان انشيخ صاحب الترجمة  
صاحب فيض وقوة في حاله فكان لا يعتبر أحدا يشكره لكنه اذا وجد من  
هو اعلى منه أنصف له واعترف ، وقد كان وقع له انكار في جانب سيدي  
يوسف الفاسي بسبب كلام بلغه عنه حمله على غير وجهه فكتب - اعنسى  
صاحب الترجمة - اليه كلاما يعرف فيه بحاله ويصف له مبالغ الرجال  
ويدعوه الى صحبتته ، فلما اجابه سيدي يوسف وتعرف له اعترف بتقدمه  
عليه . وذكر ذلك هنا متأكد لما فيه من وصف صاحب الترجمة لحاله  
وهو اعرف بنفسه من غيره . قال صاحب الترجمة :

الملك والملكوت وصفهم منعوت اهل الجبروت ما غيبوا عنا  
تنوح السموت على ارباب القوت بادر لا يفوت عنك وقتنا  
شموس القلوب تشاهد المحبوب في عالم الغيوب شرابها مختوم  
الشرق والجنوب في طيها مكتوب تخرق الحبوب للواحد القيوم  
رياح الصبا تاتي على غبا وارباب المحب ما خفاهم حال

---

(I) انظر آخر الفصل الاول من باب « الشكل » لدى الحديث عن  
«الحكمة» كنوع من الزجل .  
(2) المولود سنة 937 هـ بالقصر الكبير .

القلب نبا من شرك اتربا والروح جاذبا في حضرة الجلال  
نفحات المحب من رياض العرب بها لم يزل روضا زاهيا  
اذا سقيتوني اشراب الرشيف ثم انشاهدو ليلى كما هيا  
قولوا للنسوى اتبيح لهوى القلب انكوى من حبك الحراف  
انغيت النسوى وتركت ما نهوى قالوا لي الدوا في راكب البراق

فبلغ سيدي يوسف خبر هذا الكلام قبل ان يدخل يده وانه  
قاله معرفا له بحاله لما بلغه عنه وانه مع ذلك انكر حاله فكتب اليه كتابا  
يذكر له توجيه ما اراد بكلامه في شأنه وانه ليس من دأبه البحث في  
الخلق جملة فضلا عن مثله ويعلمه بانه ممن يحبه ويحسن الظن به ويعرض  
عليه حاله على جهة اتهامه لنفسه لما بلغه عنه من انكاره وتنازل معه في  
ذلك كله غاية التنازل ثم دخل يده كلامه فاجابه عنه بكلام على وزنه  
وقافيته معرفا بحاله هو نصيحة له وتادية لحق كتابه ، فقال :

الملك والملكوت في طينا منعوت حتى الجبروت لا يختفى عنا  
جملتها مبتوت حتى الرحموت وقات انوقوت هو وقتنا  
شمسو دا التحقيق قد تعطى حقيق لمن سير وصدق للواحد القيوم  
عفوف بالتوفيق فنعوتو ارشيق قل يستقى الرحيق الصافي المختوم  
رياح الصبا ما تنتهى عنا والعالم الاسنى هو مصعد الكمال  
القلب للمعنى والروح متهونا والسر يتعنى من سرذا الجلال  
نفحات المحب وكذلك المحبوب فارياض التعريف احوال مستويا  
لكن فالتهذيب يختلف المطلوب حتى في التشريف اسرار سريرا  
من هو متهنا ما يخشا لعنا بشرب يتعنى يمسى من السباق  
موصول المنا من كل ما يتمنى محفوف بالعنا في الواحد الخلاق» (I)  
هذا وينسب له بعض الاشياخ القصيدة «الفياشية» التي حربتها :

انا على فياش \* واش اعليا منى

كما ينسبها له جامع الكناش ك 3027 (I) من مخطوطات خزانة  
الرباط العامة . مع ان المعروف انها للمشيخ عبد الوارث .

محمد بن عبد الكريم بن يحيى التنازى :

ترجمه محمد بن على بن مصباح المعروف بابن عسكر فى «دوحة الناشر  
لحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر» (2) وعنه نقل الحزىكى  
فى « المناقب» (3)

قال عنه ابن عسكر : «وحدثنى بعض الفضلاء من اهل بلده قال : كان  
المشيخ رحمه الله عاشقا لا يكاد يفارق السماع ساعة واحدة ، وله قصائد  
كثيرة :

خرجنا واحد الصباح \* انشاهدو روضا ابهيا

واطيار تشهد يا صاح \* لله بالوحدانها» (4)

وقال عنه كذلك فى نهاية ترجمته : «واسه توشىحات وقصائد  
ومقطعات كلها رائقة وله على برودة الامام البوصيرى تخميس عجيب ، وله  
فى فن التصوف العجيب من النظم والنثر .. توفى فى آخر العشرة الثانية  
والله اعلم» (5)

محمد بن يحيى البهلولى :

ذكره ابن عسكر فى «الدوحة» فقال عنه : «كان هذا المشيخ ممن لازم  
باب الجهاد وفتح له منه ، وله فيه اشعار وقصائد زجلية وغيرها .. وله  
زجلية ومقطعات حسان فى البحث على الجهاد منها اللامية المشهورة  
التي خاطب بها السلطان ابا عبد الله البرتغالى ، ومطلعها :  
قل تلامير محمد يا طلعة الهلال \* الويلة فالسواحل من افضل الميالى

(I) ص : 2

(2) ص 51 - 52 - 53 - 54 ط. حجرية

(3) الجزء الثانى ابتداء من ص : 17 .

(4) ص 51 - 52 .

(5) ص : 54 .

ومنها القصيدة التي مطلعها :

ظهر الرمل مراد والعشر يا كرام \* نفسى على انجهاذ سلبت والسلام» (I)

عبد الله بن محمد انهبطى :

ترجمه صاحب « الدوحة » فقال انه « الشيخ العالم الزاهد المحقق جنيذ زمانه وقطب دائرة أوانه الهضبة الراسخة والحجة الدامغة الناسخة» (2) وان « اصله من صنهاجة طنجة من قبيلة ايمتنة (3) » وان « له تأليف عديدة بين منظوم ومنثور وله فى علم المشاهدة الشأن الذى لا يدرك ... وكان الشيخ ابو القاسم بن على بن خجو يقول هو غزالى هذا الزمان ولقد من الله علينا وعلى المسلمين به » (4) . ثم ذكر له كرامات وختم بقوله : « توفى ... سنة ثلاث وستين وقد نيف على الثمانين ودفن بزاويته بموضع يعرف بمواهب » (5) .

له « كتاب الاشادة لمعرفة مدلول كلمة الشهادة » و « الفية فى تاريخ الدولتين الوطاسية والسعدية » . وقد وقفنا فى الخزانة الملكية بالرباط على كراس ، لم يرقم بعد ، يضم له ست قصائد زجلية كلها فى انذكر والشوق للحضرة ، منها هذه القصيدة التى يقول فى اولها :

ربى اعظيم يا حضار \* قد جميلت انموتو  
ايغيب عنى ما نقدر \* او يحضر انموتو  
حب لجمال عذبنى \* يا قروم العندو  
قهر تجلال يقهرنى \* من قربو البعدو  
من لطفو للمعين \* يخففى ويبعدو

احمد بن شذرة المناسى :

ترجمه القادري فى « نشر المثنى » (6) والحضيكي فى « المناقب »

(I) ص 45 ، 46 ، 47

(2) ص 7 .

(4) ص 7 - 8 .

(5) ص 13 .

(6) ج I ص 255 .

حيث قال عنه «وله كلام ملحون يخبر بالمغيبات ظهر أكثرها ، توفي رحمه الله سنة خمس وسبعين والـف ودفن داخل مدينة مكناس » (I)

أبو البقاء عبد الوارث بن محمد الفيصلوتي :

ترجمه ابن انقاضي في « نشر المثنى » فذكر ان « له زاوية بناها قرب داره بزقاق الحجر ... بفاس يقرأ فيها اصحابه الاحزاب ، يقرأون صياحا المعشرات وحزب الفلاح وصلاة مولاي عبد السلام بن مشيش والحزب الكبير للشاذلي ، ومساء حزب الفلاح ولا اله الا الله مائتين .. وتوفي رحمه الله يوم الاحد الثالث من ربيع النبوى سنة ست وسبعين والـف ودفن بزوايته المذكورة » (2) . وقد وقفنا له على قصيدة في الذكر حربتها :  
لا اله الا الله

يقول في اولها :

الحمد لله والشكر لله على فضل الله لا اله الا الله  
استمع القول واعلى النبي صلى وابصوتك على لا اله الا الله  
يامن هو راغب فالخير وطالب افضل المآرب لا اله الا الله  
وينسب له كثير من الاشياخ القصيدة « الفياشية » التـى ذهب بعضهم انها للشرقي كما تقدم ، وهذه حربتها :  
انا مالى فياش \* واش اعليا منى

وفى اول أقسامها يقول :

انا عبد رب له قدرة \* يهون بها كل أمر عسير  
فان كنت عبد اضعيف القوى \* فربى على كل شىء قدير  
منى آش اعليا \* ونا عبد مملوك  
والاشيا مقضيا \* نا فالتحقيق اشكوك  
ربى ينظر ليا \* ونا نظرى متروك

(I) ج I ص 73 - 74 .

(2) ج I ص : 26I .

ونؤكد ما سبق ان لاحظنا فى مدخل الرسالة لدى الحديث عن الانشاد ١ هذه القصيدة جمعت بين العرب والملحون حيث نجد فى بداية كل قسم بيتين معربين يستهل بهما بعد الحربة ، وهى ظاهرة لم نعر عليها فى غير هذه القصيدة ، على أننا نلاحظ فى ازجال المتصوفين عموما سواء فى هذه الفترة او غيرها ، لغة هى اقرب فى كلماتها وتراكيبها الى الفصحى منها الى العامية ، لا تكاد تنقصها غير الحركات لتصبح معربة سليمة .

#### محمد بن على بن ريسون :

ترجم له الشيخ محمد التاودى بن سودة (I) فى فهرسته ، (2) فذكر ان ولادته كانت سنة ثمانية عشر ومائة وألف ووفاته عام تسعة وثمانين ومائة وألف ، وقال عنه : «وله كلام مؤثر فى القلوب بتحقيق معانيه ويفهمها ارباب القلوب ، فمن كلامه صدر قصيدة فى الملحون :

الى يرفقنا فمحبت سيدى الرسول \* هو احبيننا واحنا له احباب  
ومن كلامه صدر قصيدة اخرى :

انا سيدى عندى طبيب \* ويعالجنى بدواءه  
متولع احب احبيب \* سيدى رسول الله  
ومن كلامه صدر قصيدة :

الروح والجسد والقلب امعاكم \* ما خاب فيكم ظنى  
الى اتركبوه يحسب امعاكم \* واتقربوه بدنى  
الله انظركم ما عاد ينساكم \* اهل لكمال نعى  
ايا اهل لكمال قلبى يرعاكم \* هذا لكريم رادنى  
ومن كلامه صدر قصيدة :

العيون الجاريا فيض اعليا \* من ابحور محمد عليه السلام  
ومن كلامه ايضا صدر قصيدة :

ما بكيت اعليكم الا اترحمونى \* والدموع من عينى تجرى الحبكم

---

(I) المتوفى سنة 1209 هـ .

(2) مخطوطة الخزانة العباسية رقم 3388 من صفحة 86 حتى 91 .



ومن كلامه في هذا المعنى كثير .

وقد وقفنا من هذه القصائد على الثانية ، وهي من خمسين بيتا .

#### أحمد بن غلال الشمرابي المراكشي :

ترجم له الشيخ محمد القاودي بن سودة في فهرسته (I) حيث ذكر أن له ديوانا من كلامه بالملحون بين توسلات ومقامات ، وأورد له نص قصيدة مطلعها :

بسم الله الرحمن الرحيم حلا نبداها

في اسلوك الذهبان والجوهر تشرق بجمالو  
كما ترجم له عباس بن ابراهيم في « الاعلام بمن حل بمراكش واغامت  
من الاعلام » (2) نقلا عن فهرست ابن سودة . كذلك ترجم له محمد بن  
عبد الله الموقت في « السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة  
المراكشية » فنقل بعض ما جاء في الفهرسة السودية وعلق عليه بقوله :  
« ولم يذكر وفاته وما كان ينبغي ... ولا شك وانه من اهل القرن الثاني ،  
ويعمل له موسم في اوائل كل ليلة من رجب الفرد ، وينشدون  
أزجاله » (3) .

#### ثانيا : زجالون جزائريون

يبدو ان كثيرا من الزجالين وفدوا في هذه الفترة من الجزائر الى  
المغرب فارين من حكم الاتراك او منفين ، ولكن المصادر لم تغدنا بغير  
اثنين من اكبر زجالي القطر الشقيق هما : سعيد التلمساني واحمد التريكي ،  
علما باننا وقفنا على غير قليل من الذين لجأوا الى المغرب فيما بعد هذه  
الفترة ، وخاصة بعد احتلال فرنسا للجزائر ، (4) وهو دليل على أن

(I) المخطوطة السالفة الذكر من ص : 77 حتى 82 .

(2) الجزء الثاني ، ص 203 - الطبعة الاولى سنة : 1936 فاس .

(3) ص 154 - المطبعة الحلبية - مصر - سنة 1341 .

(4) خصصنا جزءا في آخر الدليل الملحق بالرسالة لقصائد الشعراء  
الجزائريين الذين وفدوا الى المغرب والذين لم يفدوا ، ولكن كانت  
قصائدهم منتشرة فيه .

هجرة المتنورين الى المغرب من ابناء هذا البلد الجار ظلت مستمرة طوال عهد الظلام المتمثل فى حكم الاتراك والاحتلال الفرنسى .

#### ابو عثمان سعيد التلمساني :

زجال تلمساني اشتهر بقصيدة فى السيرة النبوية تسمى «العقيقة» نسبة الى وادى العقيق فى الحجاز ، وفد الى المغرب فى اول الدولة العلوية وادرك مكانة عند سلاطينها وخاصة المولى اسماعيل (I) . ذكر صاحب « الدر المنضد » لدى حديثه عن المولى محمد بن الشريف (2) قال :

« وكان سخيا جوادا حتى انه اعطى الاديب الشهير المتقدم فى صناعة الشعر الملحون ابى عثمان سعيد التلمساني نحو من خمسة وعشرين رطلا من خالص الذهب جائزة له على بعض امداحه فيه ، وحكايته فى هذا المعنى شهيرة » (3)

اما قصيدته العقيقة فهى التى يقول فى أولها :  
كيف ينسى قلبى عرب لعقيق والبان و العقيق اعينى بقلايديو انهـلو  
وقد بلغت من الشهرة انها نشرت بالجزائر فى نصها العربى ومترجمة للفرنسية ،

وذكر المشرفى فى « الحسام » انها « قصيدة طويلة مشحونة باللغة والحكم وامثال العرب تنافس علماء واسطة المغرب فى شرحها ومنهم

---

(I) اخو المولى رشيد تولى سنة 1082 وتوفى سنة 1139 حيث دام ملكه سبعا وخمسين سنة. عند العربى المشرفى ان للشاعر ديوانا ضخما فى ملحون الشعر جله فى المولى اسماعيل « الحسام المشرفى فى الرد على اكنسوس المراكشى » (ميكرو فيلم خزانة الرباط العامة مصور عن مخطوطة ابن سوادة رقمه 1207 ص 423)

(2) بايعه اهل تافيلالت سنة 1050 وقتل سنة 1075 .

(3) الدر المنضد الفاخر فيما لابناء مولانا على الشريف من المحاسن والفاخر لابي عبد الله محمد بن عبد القادر بن احمد الكلالى الشهير بالكردودى توفى بفاس يوم 11 رمضان 1268 هـ (مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1584 D الورقة 113 وجه)

الشيخ ابو راس الناصري ثم المعسكرى فقد جعل عليها ثلاثة شروح اصغر  
واكبر ومتوسطا بينهما « (I)

وتوجد بخزانة الرباط العامة نسخة من احد هذه الشروح رقمها 1656 D  
تحمل عنوان :

« الآداب الرقيقة فى شرح العقيدة ، وان شئت قلت الدرة الانيقة فى شرح  
العقيدة ، وان شئت قلت التحف المهدية فى شرح السعدية » ، وتحدث  
الشارح فى مقدمة شرحه عن الناظم فوصفه بأنه «الشاعر المفلق ... الشيخ  
الربانى والهيكل الصمدانى العلامة ... فان له اليد الطولى فى آداب  
العربية ومقاييسها ومعيار حكمة الوضع وقسطاسها ، فقد كان تشد له  
فى ذلك الركاب » (2) وذكر ان المولى اسماعيل نفاه ثلاث مرات وانه  
توفى « بعد الخمسين من القرن الثانى عشر ودفن بسجلماسة فهو منداسى  
نجارا وتلمسانى منشأ ودارا وسجلماسى مدفنا واقبارا » . (3)

ونجد لسعيد التلمسانى فى أواخر « العقيدة » بيتا يفخر فيه  
بان هذه القصيدة فاقت كل قصائد المغراوى عميد الزجل فى عصره ، وهو  
البيت الذى يقول فيه :

تفنى العشاق ما تخلى عداوى \* ما ضمت مثلها خزانة مغراوى

وفى كتاب « كشف القناع عن آلات السماع » لابی على الغوثى بن  
محمد الجزائرى تعليق على هذا البيت ذكر فيه ان التلمسانى «لما قال هذا  
الشطر رأى الشيخ المذكور فى المنام معاتباً له فلما أصبح رثاه بالقصيدة  
التى أولها :

بوفارس الفارس فسى كل اعلوم \* بحر المحيط ما تنهيه اقراطس » (4)  
وفى نفس الكتاب « ان الشيخ سعيد لما قدم المغرب الاقصى ولقى  
الاكرام من المولى الرشيد ... حسده شعراء المغرب وعابوا عليه شعره قائلين  
ان موازين اشعار المغرب الاوسط يقدر على الاتيان بمثلها صبياننا لان

---

(I) الحسام المشرفى (الميكروفيلم ص 423)

(2) ص 2 . 3 ص 5 .

(4) ص 73 - مطبعة جوردان بالجزائر .

غالبها يتمشى على حرفين فلو ارتكبتما ما نرتكب من التفنن لما وجدتم معنى اصلا فعندنا من ينظم الرباعي والخماسى حتى العشارى (والخماسى والعشارى ... الخ عبارة على أن الغصن اى البيت الواحد يشتمل على خمسة او ستة او عشرة قواف) فلما رأى الشيخ سعيد رحمه الله من شعراء المغرب ذلك الانكار ذهب من فوره وقال قصيدة بليغة لا من السداسى ولا من السباعى بل من الثنائى عشر واتى بها اليهم فعملوا حينئذ انه بحر لا يطاق ولا يقاس وسلموا له . وطالما بحثت عن هذه القصيدة ولم اقف لها على خبر الى الآن « (I) .

وقد وقفنا للزجال التلمسانى على غير قليل من القصائد التى مدح بها السلطانين المولى رشيد (2) والمولى اسماعيل ، منها قصيدة فى مولاي رشيد يقول فى أولها :

حياتك ريح الصبا بالفين اسلام \* واسقاك اغمام السما رحما وانعيم  
ومنها قصيدة فى المولى اسماعيل هذا أولها :

بين اكرام الفعل والعليا ميعاد \* بيدهم يرموا على الصدق احيالو  
وقصيدة اخرى فيه مطلعها :

برقا جرد صارمو فى ساحت نجد \* ذكرنى فى امانزل اشهابو  
كذلك وجدنا فى كتاب « الكنز المكنون فى الشعر المبحون » لقاضى محمد الجزائرى قصيدة قالها حين خرج من فاس على اثر غضب المولى اسماعيل عليه ، يقول فى أول ابياتها :

هذا جد اودعنا بوفاء واكمال \* ماذا لى فالحنت نغدى وانولى  
بعد اثلاثا (3) مابقى للرد احلال \* غير ايل تفتات عسى تالى بعلى  
خليناكم بالسلاما يا لفضائل \* يا غرة وجه الشراف اولاد على

---

(I) المصدر السابق .

- (2) تولى بعد موت اخيه مولاي محمد سنة 1075 واعلن ملكا سنة 1079 بعد ان استولى على مراکش واستمر فى الملك حتى سنة 1082 .  
(3) فى هذا تأكيد لما ذكر شارح العتيقية من أن السلطان نفاه ثلاث مرات ، وهو فى الشطر الثانى من البيت يشير الى أن المرأة التى تطلق للمرة الثالثة لا تحل لزوجها الا بعد ان تنكح زوجا غيره .

وفى تقديم القصيدة ذكر مؤلف الكتاب حكاية ذهب فيها الى أن المولى اسماعيل « كان له شاعر آخر مغربى اسمه خباب فامرهما ذات يوم بنظم قصيدة يمدحان بها جارية له اسمها سلمى . اما سيدى سعيد المنداسى جعل استخارة ورآها فى المنام فحكى على حسب ما رأى ، واما السيد خباب قال من غير رؤية ، ولما تلوا القصيدة على الملك قال لخباب : سعيد افضل منك ، فأجابه بان سعيدا ولعله رآها ، وأما انا فلم ارها ، فعند هذه التهمة خرج سيدى سعيد من مدينة فاس واتى الى مدينة تلمسان فكتب له الملك ليرجع فابى وبعث له هذه القصيدة » (I)

ولكن يبدو انه عاد بعد ذلك الى المغرب بناء على ما نعرف من ان وفاته ومدفنه بسجلماسة .

والتلمسانى لم يكن شاعر ملحون فقط وانما كان شاعر موزون كذلك ، وقد ذكر له صاحب « الجسمام المشرفى » قصيدتين :

الاولى يجيب فيها بلسان المولى اسماعيل على رسالة بعث بها اليه احمد بن محمد الحاج الدلائى مستدعيا للحرب حين ثار عليه ، يقول فيها (2)

تاهب ليوم الحرب فالحرب عيد \* لنا وعليكم محنة ووعيد  
ستعلم اشقى الناس يوم لقائنا \* اذا قعقت تحت العجاج زعود  
فسل ان جهلت الناس عنا وعنكم \* متى قابلت جنس الاسود قروود  
دعوت مجيبا فارتقب ما طلبته \* فانا بما تبغى عليك نجوود  
عدمنا فحول الخيل ان لم تكلكم \* عليها من الابطال منا اسود  
اتطلب دار الملك من غير قدرة \* وانت من المجد الاثيل بعيود  
أساتم فكنا المحسنين وعدتم \* الى السيئات بالعقاب نعود  
عفونا وكان الظلم منك سجية \* ستبلغ من غى الصبا ما تريد

---

(I) ص 22-21 (المطبعة الشعالية - الجزائر سنة 1928) .

(2) الميكرو فيلم ص 422 - 423 حيث وصفت القصيدة بأنها رائعة ومشملة على سهام راشقة

والثانية فى الامام مالك وموطاء منها هذه الابيات (I) :  
فلا مالك فى الارض قام لسنة \* وشدت له بالخافقين المناطق  
سوى المدنى الطيب الاصل مالك \* نواه على الاسلام بالخراب خافق  
ترقى فوطيا بانموطا مواطنا \* سمعنا ولم يسميه للفتح سابق  
موطاء الاسلام فى الارض كعبة \* توطن بها للسالكين شواهد

#### احمد التريكي :

تلميذ لسعيد المنداسى ومن تلمسان كذلك . قال عنه الغوثى فى  
« كشف القناع » : « وقد نفته دولة الاتراك من قطر الجزائر سنة ثلاث  
وثمانين والى فذهب الى المغرب الاقصى وآوى الى جبل بنى زناتن قبيلة من قبائل  
المغرب قريبة من وجدة فمكث هناك اياما نظم هناك قصائد كثيرة يصف  
فيها حال بعده عن اهله وعشيرته واوطانه ... منها قصيدة مشتملة على  
ثمانية ابيات كل بيت يشتمل على عشرة اغصان وطالع مركب من ثلاثة  
اغصان ، يقول فى مطلعها :

طال نحى وادموعى كل يوم زراب \*

والفراق اكوانى . كيا ابلا اسباب

من اسموهو سيب لى فالدليل مشهاب \*

ما وجدت الضرى حكما ولا اطيع

شباب راسى يا ربى من افراق لهباب \*

بهم اجمع شملى ايا المير حقب (2)

وقد وقفنا من شعره على قصيدتين : الاولى فى مكة المكرمة ، يقول

فى مطلعها :

شعلت نيران اكبادى \* واعيت ما نبكى ولا انفعنى نواح

أما الثانية فربيعية ، يقول فى حريتها :

اتبسمو وضحكوا غصون اللقاح \* يسروا من اعشق ومن هو والع

---

(I) المصدر السابق من 434 حتى 438 .

(2) ص : 80 .

### الفصل الثالث

## مرحلة الازدهار

ما كادت سحابة الركود الكثيفة تنقشع ويزول كابوسها الجاثم حتى انطلقت القصيدة الزجلية فى نهضة مزدهرة وصلتها بماضيها لتستكمل معالم كيائها وملامح ذاتها ، وهى نهضة كتب لها أن تمتد فترة غير قصيرة ، تبدأ فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى وتنتهى فى أوائل القرن الحالى بعد أن فشأ فى الشعراء الضعف والوهن وأصيبوا بداء الجمود والتقليد . فقد بدأت على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذى يقال انه كان ينظم الزجل وان كنا لم نعثر له على أثر ، ولكننا لانشك فى أنه كان يحتضن هذا اللون من التراث ويشجع فدائيه . وليس غريباً أن يفعل ذلك فقد شهد عصره نهضة شاملة عمت جميع مرافق الدولة ومناحي الحياة ، وكان حظ الثقافة منها غير يسير (I) .

ثم كتب لهذه المرحلة ان تجدد ازدهارها فى الربع الاخير من القرن الثالث عشر على عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن (2) الذى كان بدوره من شعراء الزجل كما سنرى حين نتحدث عن صديقه التهامي المدغرى .

وكان آخر بريق للنهضة فى هذه المرحلة ايام السلطان المولى عبد الحفيظ الذى كان من علماء عصره وزجاليه ، وسنخصص بوقفه قصيرة . وقد بلغت هذه الفترة من الازدهار حدا جعل العارفين بالفن يطلقون عليها «الصاابا دلشياخ» اى موسم الاشياخ لانها تعتبر أخصب فترات الزجل فى المغرب لكثرة ما نبغ فيها من الشعراء . ولكننا لن نتبعهم جميعا لان مادة التاريخ والنصوص لا تسعنا لذلك ، وسنكتفى بالوقوف عند الاعلام البارزين .

(I) كان السلطان سيدي محمد بن عبد الله من العلماء والمؤلفين وخاصة فى فن الحديث ؛ ومن المؤلفات التى تنسب له :

أ - الفتوحات الالهية الكبرى (من منشورات المطبعة الملكية)

ب - الفتوحات الالهية الصغرى

ج - مواهب المنان بما يتأكد على المتعلمين تعليمه للصبيان

د - طبق الارطاب فيما اقتطفناه من مسانيد الاثمة وكتب مشاهير

المالكية والامام الخطاب

هـ - الجامع الصحيح للاسانيد المستخرجة من ستة مسانيد

(2) بويغ سنة 1276 هـ وتوفى 1290



### الجيلالى امثيرد

وهو فيلالى الاصل ، ولكنه ولد ونشأ فى مدينة مراكش حيث كان له مكان لمبيع الخضر . ولسنا نعرف بالتحديد تاريخ ولادته ووفاته ، ولكننا نعرف أنه على عهد سيدى محمد بن عبد الله كان شاعرا مكتملا ومجددا، يتبين لنا ذلك من حرازه - وهو أول حراز عرفه تاريخ الزجل - حيث يذكر من جملة الصفات التى تنكر بها ليصل الى محبوبته صفة «مخزنى» للسلطان سيدى محمد ، وفى هذا يقول :

من سمعتى ارجعت امخزنى مشمور امن اصحاب الملك  
الله ينصر سيدى محمد

ويبدو أنه عمر طويلا حتى أدرك بداية النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى على حد ما يذهب الاستاذ الفاسى من أنه توفى «فى اواسط سلطنة مولاي عبد الرحمن حوالى سنة 1840 م ودفن بمقبرة سيدى على ابى القاسم بجوار مسجد الكتبية تحت مناره (I) »

ويقال فى تعليق تلقبه بامثيرد على صيغة التصغير أنه كان ضعيف البنية نحيل الجسم ، ويحكى أن السلطان المولى عبد الحفيظ كان اذا ذكر فى مجلسه الشيخ الجيلالى بهذا اللقب علق بقوله : «بل هو متروك امعمر بالتريد» وهى قولة تدل على المكانة التى كانت للشاعر حتى بعد عصره ، واكثر منها فى الدلالة على مكانته ما قاله التهامى المدغرى :

«لو كان احضرت لامثيرد كنت انكون لو عبد اشويرد»

ولا عجب فقد كان عميد زجالى عصره - أو كما يقال فى المصطلح عندهم شيخ الاشياخ - لقبه معاصروه فى مراكش بـ «الفاكية دالشيخ» أى فاكهتهم ، ولقبوه فى فاس «عرصت لشيخ» أى روضهم ، وبلغ من تأسير قصائده على الجماهير أن المنشدين أطلقوا عليها «الشعالة» للجوئهم اليها فى تحريك السامعين واثارة انتباههم اذا ما أحسوا منهم ضيقا بما ينشدون وعدم تجاوب .

(I) مقال «الادب الشعبى المغربى الملحون» مجلة البحث العلمى العدد الاول السنة الاولى 1964

ويعزو العامة نبوغ الشيخ الجليل الى حادث خرافى يقولون فى حكايته  
أنه «كان يذهب كل عشية منفردا لصهريج ابن الحداد خارج باب الخميس  
من محروسة مراکش وهو محل مخيف فيه مياه راكدة تسكنها الضفادع ،  
وكان الشيخ الجليل يجلس هناك للتفكير والاعتبار ، فخرجت له ذات يوم  
ضفدعة وكلمته وقالت له: ياشيخ انى أريد أن تحضر عرسى وتغنى لنا فقبل وجاء  
فى يوم موعود فأغمض عينيه ووجد نفسه فى عالم آخر فأحضروا له آلة تقول  
هذه الخرافة الشعبية لم يكن له عهد بها فغنى لهم وجازوه بما يستحق ثم  
أرجعوه لصهريج ابن الحداد فوجد فى يده تعريجة فرجع الى المدينة وحكى  
للناس ما وقع له ، ومن ذلك الحين صار يأتى بالمعجز من القول ، وتظن  
العامة انه لم تكن التعريجة معروفة قبل هذا وهى من اختراع الجنة (1)  
وقد كانت لامتيرد جملة اوليات نرى حسب ما وصلنا من نصوص (2)  
أنه سبق اليها فى تطوير القصيدة الزجلية شكلا ومضمونا ، سنذكر منها  
ما أمكننا أن نستخرجه من القصائد التى جمعنا له :

أولا : فى المضمون تظهر ابتداعاته فى الموضوعات الجديدة التى  
طرقها وهى :

#### 1 - الخمريات :

يعتبر امتيرد اول الزجالين نظما فى الخمريات ، فتح لها الباب بقصيدته  
«الساقى» التى يقول فى حريتها :

الساقى وكفى لريام رد بالك للنوبا لاتغيب عن مولاها

كب يا ساقى راح الليل

وكان الشعراء قبله لا يجروون على مثل هذا الموضوع ، وبين أيدينا

نص يثبت ذلك ، نجده عند الحمري فى قصيدته «الربيعية» حيث يقول فى

---

(1) المصدر السابق

(2) نلفت النظر الى أننا فى كل ما نعزو للزجالين من اسبقيات لا نعتمد

على غير ما وصلنا من نصوص وما بلغ الى علمنا من أخبار ، وقد يكونون

مسبوقين بغيرهم فيما ننسب لهم من اوليات ولكن بين أيدينا من

نصوص وأخبار لا يسعنا فى اثبات ذلك .

آخر بيت من القسم الاول :

اعراجن اتمر فالنخلات الراكبات عل لجدار

واعناقده لعنب فادوالى سالاوا عل لعصير اخبير

فهو يذكر عناقيدالعنب فى الدوالى ولكن يحيل السامعين الى خبير يسألونه

عن عصير هذه العناقيد .

## 2 - الشمعة :

لعله أول من اتخذ من الشمعة فى احتراقها وذوبانها موضوعا للكشف

عما يعانى به المحب فى مقارنة بين حاله وحالها ، مستعرضا على لسانها

ما تمر به من مراحل قبل أن تصبح شمعة تبكى لتضىء للآخرين . ويتضح

هذا من شمعته التى يقول فى حربتها :

لله يا الشمعا كثرى واعلاش دالنواح والناس الفلراح

وانت اجواهرا ادموع ابكاك السلا اهطيا

ومن عجيب أن شمعة امتيرد لم تلق من الشهرة ما لقيته شمعة ابن

على ، وهى التى يقول فى حربتها :

لله يا شمعا سلتك ردى لى اسوالى \* واش بك فالليالى تبكى مادالك اشعيا

## 3 - الحراز :

يبدو أن امتيرد كان صاحب فكرة التنكر للوصول الى المحبوبة فى

محاولة لاغراء محرزها وإلحاق به ، وذلك فى حرازه الذى يقول فى حربته :

حراز للا لرسامو جيتو انصيب قلبو نصرانى \* كيف عارفو مـــــازال

وهنا كذلك نلاحظ أن حراز البغدادى (I) حاز شهرة أكبر من حراز

امتيرد ، وهو الذى يقول فى حربته :

مال حراز الدامى ما يثق بيا هيهات \* حارس فى كل اوقـــــات

اعلى الدوام ايجنب ولا يرومنى كطعيا

وقد تحولت عند المنشدين الى قولهم :

مال حراز الدامى ما يثق بيا هيهات \* غير حاضى لوقـــــات

فى اثيابو مسلم افعايلو روميا

(I) المتوفى فى نهاية القرن الماضى

#### 4 - الضيف

كما كان صاحب فكرة التنكر في هيئة «ضيف» للوصول الى حبيبته  
على حد ما فعل في قصيدته «ضيف الله» التي يقول في حريتها :  
أضيف الله رد لجواب اصغ لي \* لا تحشم رد السلام  
فقد طرق باب دارها ليلا يطلب ضيافة الله ولكنها لم تلبث بعد أن  
أدخلته وأزال اللثام ان تبين لها انه حبيبها لجأ لهذه الحيلة حتى يصل  
اليها .

#### 5 - القاضى

وقد كان - على ما نعلم - أول من فكر في اللجوء اليه للفصل  
بينه وبين محبوبته بعد أن جارت وطال هجرها ، يقول في حربة قصيدته  
«القاضى» :

القاضى لك ادعيت لغزال خنارى  
اعلاش دون سبا هاجر لوكار  
جفلت من رسمى قامت لقنا بودواح ازهور  
زينت لاسم زهرا

#### 6 - الخصام

ظهر أول نظمه له في قصيدة «بنت الحضر والعربية» التي يقول في  
حريتها :

امى حنا ايلا امى لوريت يافاهم اللغا ماذا صار البنت لحضر والعربيا  
ايلى امى لوريت يا فاهم اللغا

#### 7 - الخلخال

ويتبين لنا سبقه الى نظم هذا النوع من القصائد في «خلخال عويشا»  
حيث يحكى أن محبوبته بعد أن زارته قدمت له خلخالها تذكارا يحتفظ به  
لتخليد الزيارة وحتى لا ينساها ، ووضع الخلخال في جيبه ولكنه ضاع منه  
فأخذ يبحث عنه في كل مكان فلم يجده واضطر الى اللجوء لفقيه منجم يكتب  
الخط استطاع بواسطة الجن ان يحضر له الخلخال . يقول اميرد فى  
حربة هذا الخلخال :

خلخال اعويشما درت لبها فى مكتوبى يا فهمم درتو وامشى لى  
كيف المعمول ايللا اتسالنى مولات الخلخال  
وقد فتح امتيرد بهذا الخلخال باباً لمن جاء بعده من الشعراء الذين  
جعلوا موضوع قصائدهم : الخلخال او الدمليج أو الخاتم أو الضبلون ،  
وهو بهذا طور فى الواقع جانباً من جوانب القصة فى القصيدة الزجلية

### 8 - الفصادة

ففى قصيدته «لفصادا» سن لمن جاء بعده من الشعراء أن يصفوا  
الحفلات التى تقيمها النساء بمناسبة اخراج الدم حيث يبرزن متزينات  
متحليات بأفخر الحلى وأجمل الثياب ، وهى التى يقول فى حربتها :  
آش را من لاحضر امع اوجوه لريام \* يوم حنطو فثياب العز للقصادا  
ثانياً : فى الشكل تتمثل براعة امتيرد فى الجوانب الآتية :

### 1 - السرابية

فهو - حسب ما انتهى اليه علمنا - اول من اتخذها فى التمهيد  
للقصيدة ، ويذكر كبار الاشياخ أنه قبل ان ينظمها كان يقدم بأغانى بوعمرو  
الخفيفة . ومن أول السراب التى نظم امتيرد هذه السرابية التى يقول فى  
أولها :

اعلاش امحوب خاطرى تجفينى \* ألعافينى واعلاش دالجفـا  
حببتك من خاطرى ولا رديتنى \* كاتمينى يا شارد لعفـا  
خالفت فالقول باش واعدتنى \* ولاوصلتى الرسمى قاسيت ما كفا  
(قالت ناس الشعر والقوافى \* الزين ابلا تيه صورتو تعدا)  
والخير صاحبو يعرف

ويذكرون أنه يقصد بقوله «قالت ناس الشعر والقوافى» الشاعر  
بو عمرو ، ويقول «الزين ابلا تيه صورتو تعدا» شطراً وارداً فى قصيدة  
لهذا الشاعر تعرف بـ «باهى لحروف» ، وأنه لجأ الى هذا الاقتباس تخليداً  
لذكرى بوعمرو واشعاراً بأنه الموحى بفكرة السرابية .

### 2 - وزن ثلبحر المثنى

فقد وضع فى «الساقى» وزناً لثلبحر المثنى لم يكن معروفاً من قبل .

صدره أطول من عجزه ، او كما يقال فى الاصطلاح «الفراش» أطول من  
«الغطا» ، وتتضح هذه الملاحظة من حربة القصيدة التى يقول فيها :  
الساقى ونمض لريام رد بالك للنوبا لا تغيب عن مولاها  
كب يا ساقى راح الليل

### 3 - بحر السوسى

نميل الى انه أول من سبق الى النظم عليه ، وذلك فى قصيدته  
«الحراز» التى يقول فى حريتها :  
حراز للا لرسامو جيتو انصيب قلبو نصرانى  
كيف عارفو مازال

### 4 - الحوار

كما قد رأينا فى الفصل السابق أن فكرة الحوار بدأت عند الحميرى  
فى قصيدته «الربيعية» ولكن امتيرد طوره وجعله يمتد فى كل القصيدة ،  
وقد ساعده على ذلك نظمه فى موضوعات تستدعى تبادل الخطاب أمثال  
الحراز والقاضى والخصام .

### الحاج محمد النجار

من مدينة مراكش ، وهو ربيب الشيخ الجيلالى لان هذا الاخير تزوج  
أمه بعد أن توفى ابوه على النجار . ويقال ان النجار سجل قصة هذا الزواج  
ساخرا ومستهزئا فى عروبى سماه : «هولة الريب» وهو بالتالى مساعده  
فى الدكان وتلميذه فى الفن . ولعله دخل الكتاب القرآنى قبل ذلك حيث  
تعلم القراءة والكتابة وغدا فى سن مبكرة يدون لشيخه بعض قصائده .  
ومن هنا زاد تعرف النجار الى الزجل ينسخه ويحفظه ويردده ،  
ومن هنا كذلك بدأت تظهر فى النظم اولى محاولاته التى كان زوج أمه لاشك  
يتعهدا بالتصحيح والتنقيح .

ويحكى الاشياخ أنه حدث فى الوقت الذى أخذ النجار ينظم ان  
اصيبت البلاد بجفاف دام سنتين ، أصبح معه من المتعسر على النجار أن  
يظل عبثا على امتيرد ففكر فى الرحيل الى فاس ، واتفق يوم سفره أن يظهر  
كسوف فى السماء أرخه النجار فى قصيدته التى قالها فى توديع مراكش .

واشياخها . يقول فى مطلعها ملتصبا من اهله الدعاء له ان يحقق مناه  
فى فاس :

لله يا هلى سمحوا فى شى فأت  
وادعوا لى انصيب امنايا  
فى بلد فاس كنز اغنايا  
عند الشراف هل لعنايا  
يسقونى السقوا بعد السقوا انال تقوا  
نبسط لكفوف ضى وادجا  
للخالق ساير لخالق يغفر الواتى فجميع السيات  
ويقول فى حربتها :

ألين اوين الشمس فالسما ريناها كسفات  
حتى ظهوروا النجوم فالنهار الكهار العاتى  
والظلمة سدات  
ويسجل فى القسم الثانى ما أصاب البلاد من جفاف ، فيقول فى اوله:  
عامين يا هلى هاذى مرت ما اشتات  
عامين ما اعطت الصابا  
ولا ابقى احسان ايها با  
واقوا الرهط دالنها با  
وفى آخر قسم يؤرخ للقصيدة ولسفره فيقول :

تاريخ حلتى «مشقانى والدال» : دال اعلى ترتيب ابياتى واسميك المعنات  
فقد رمز ب : م ش ق ن د ، فالميم بأربعين والثشين بألف والقاف بمائة  
والنون بخمسين والدال بأربعة ، ومجموعها أربعة وتسعون ومائة وألف (I) .

(I) وهذا ما تؤكد كتب التاريخ على حد ما نقرأ عند الناصرى فى الاستقصا  
حيث يقول «وبعد صلاة العصر من يوم الاربعاء الثامن والعشرين من جمادى  
الاولى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف انكسفت الشمس وظهرت النجوم  
لكثرة الظلام ثم انجلت ورجعت لحالها بعد نصف ساعة ونحوها ، وفى اعوام  
تسعين ومائة وألف كانت المجاعة الكبيرة بالمغرب وانجس المطر ووقع القحط  
وكثر الهرج ودام ذلك قريبا من سبع سنين» (ج 4 ص 128 ط المصرية)

ويقال ان أشياخ فاس تفاعلوا بمقدم النجار لانه ماكاد يصل الى مدينتهم حتى كانت الامطار تتهاطل ، ويبدو أن من اول القصائد التي نظم في فاس قصيدته التي يقول فيها مخبرا انه سكن منطقة فاس البالي :

دعت اهلي وارسامسى ❖ واسكنت بلد فاس البالي دار لهما

القوم ارجأت اذما مسى ❖ ونا ما نزول انراعى لها الدمام

ولسنا نعرف شيئا عن أخباره في فاس ، وكل مانعرف انه استطاع أن يفرض وجوده ويصبح «شيخ الاشياخ» و «مداح النبى» .

ونقف قليلا عند اللقب الاخير الذى اكتسبه لكثرة مدحه للرسول عليه السلام ، فان بعض الاشياخ اعتمدوا عليه وذهبوا الى أن النجار لم ينظم فى غير هذا الموضوع ، وهو رأى جانب الصواب .

حقا ان جل قصائد النجار فى المديح النبوى والصلاة والتوسل ، ولكن له قصائد فى الغزل ، لعلها ليست كثيرة ولكنها كافية فى اثبات ما نقول . فقد وقفنا له على «البتول» و «ام كلثوم» و «مسعودا» . يقول فى حربة

.. البتول .. :

داوى اجوارح اعليلا ❖ أشوم ليعتى بفراق البتول

ويقول فى أول قصيدة «ام كلثوم» :

الأيمنى فهوى اشبهت الدامى دعنى او كف خلى اجوارحك اسليما

واعذريا لايم حال المفروم

ويقول فى حربة «مسعودا» :

ما فالخودات ريم اتشابه مسعودا ❖ مسعودا رايت النصر بأشت كل املاح

مسعودا مولوعا او ساعدا

ومن يدري فلعل هذا التنويع فى الموضوع حدث بعد أن استقر بى فاس وطابت له بها الحياة ، بل انا حين ننظر فيما بين أيدينا من شعره نلاحظ ظاهرة لاشك أنها متأثرة بحال عيشه فى مراكش وما آلت اليه حياته فيما بعد بفاس . هذه الظاهرة هى طغيان النفس التأمل الجاد - والمتشائم فى بعض الاحيان - على قصائده فى مراكش وأول مدة اقامته فى فاس ، ثم



تغير هذا النفس بعد ذلك ، وقد علته مسحة من التفاؤل . وتؤكد لنا هذه الظاهرة حين ننظر في قصيدتين : احدهما فى تأمل الناس والحياة ، والثانية فى يوم عاشوراء . يقول فى أول القصيدة التأملية وقد مل الدنيا ومعناها ولم يعد يتمنى غير الموت :

مل قلبي من دنيا كلها احسان      ولا ابقى يترجى الا ايموت هانى  
ويقول فى حربة القصيدة الثانية فرحاً مبهجاً :

أجى اتشوف يا من لاشاف الهايجات بسماری

کیف شفق عین حسنِ یوم عاشقـــــــــــــور

عبد القادر بن عبد الرحمن بوخريص

فيلاي الاصل لكنه ولد ونشأ في فاس ، وهو تلميذ للنجار كما يقول  
 في أول القسم الثامن والآخر من قصيدته «مرحول للمشرق» :

نهيت القطعا الرايقا واسمى عبد القادر

ابن عبد الرحمن بن خريص تلميذ النجار

ويعتبر من الزجالين الذين كان لهم حظ وافر من الثقافة، بل يزعم بعض الاشياخ أنه كان من كبار العلماء وأنه تولى قضاء مدينة فاس، في حين أن القاضي غير الشاعر، وهو سميه وحده، كان قاضيا بفاس، توفي سنة

II88

كان بوخريص متأثراً أشد التأثير بالنجار من حيث الاكثار من النظم فى المدايح النبوية والتوسلات والمواظ خاصة الى حد يطلق الاشياخ على قصيدته فى الوصاية «المدونة» وهى التى يقول فى حربتها :

يأساهي عما يعنيه والعمر غان .. قيم واعزم وأخدم يكفي أمن اتفرعيز  
ويتأكد هذا النفس المشيع بعاطفة الدين في قصيدته «مرحول للمشرق»

وهي التي يقول في حربتها :

أرواح أراسي اتشوف هذا المركب السايير

خلا نأس الذوق شايقا ل مقام المختـ

وكما لاحظنا عند النجار نلاحظ كذلك عند تلميذه ، فهو لم يقصر نظمه على الموضوعات الدينية والتأملية كما يظن غير قليل من الاشياخ ، ولكنه نظم فى غيرها على حد ما تثبت قصيدته «الجار» التى يقول فى حريتها :

جارى                      يا جارى                      \*                      حن واشفق واكرم من له جار  
واعطف                      لو كـارى                      \*                      اولا اتخلى رسمى مهجـور

هذا وقد وقفنا عند أحد كتبي فاس على ديوان لبوخريص بخطه ، يضم حوالى مائة قصيدة كلها فى التوسل ومدح النبى والاولياء ، كان جد ضنين به لم يسمح لنا بغير تصفحه ولبضع لحظات ، ومازلنا لحد الساعة نقاوضه فى اقتنائه ، واذا ما تهيأ لنا الحصول عليه فانا ننوى أن نحققه ونقيم دراسة خاصة عليه .

### محمد بن على العمرانى

ويكنى ولد ارزين ، يصرح هو نفسه بذلك على حد ما يقول فى نهاية قصيدة «الشمعة» مؤكدا شرف نسبه :

واسمى انبينو ما يخفى موضوع فى اسجال

محمد الشريف ابن على ولد ارزين صيلا

وعلى حد ما يقول كذلك فى آخر قصيدة «حجوبة» :

واسمى محمد ولد ارزين القـب تلقاب                      \*                      وافضل من كل انسـاب  
حق                      نسـابى                      \*                      من اولاد المختار الى اعليه منسوبـا

وهو من تأليلت حيث ولد فى مسيفة على ما يؤكد جل الاشياخ ، وهم يذهبون الى أنه نشأ فى بيت علم لان والده كان صاحب كتاب قرآنى اتاح له فيه فرصة التعلم وحفظ القرآن الكريم وبعض المتون التى جرت العادة بحفظها فى الكتاتيب وقد قضى فى هذا الكتاب وبجوار والده فترة لاشك أنها لم تكن قصيرة ، ظهر خلالها نبوغه المبكر متجليا فى سرعة الحفظ والادراك ومحاولة نظم ما يتلقى من فوائد وقواعد على طريقة نظم المتون . ولم تنته هذه الفترة الا بسفره مع أسرته الى فاس لتتسنى له الدراسة فى جامع القرويين . وعلى الرغم من أننا لا نعرف طول المدة التى قضاهـا

طالباً في القرويين ، فانا لانشك في انه حاز حظاً وافراً من العلوم المختلفة التي كانت تدرس بها ، وفي أن تكوينه الثقافي انعكس على بعض شعره وخاصة في قصائد «السولان» و «الوصاية» و «هول القيامة» و «الندرة» بل انا نجده في بعض قصائده يصرح أنه يستقي من الكتب ويقتبس منها على حد ما يقول في اوائل القسم الثاني من «حجوبة» :

ثم نبغيك اتشوفيني افعين من يعرف لمرمات ❖ وامطالع كل اكتاب  
حق اكتابسى ❖ فارس افايتى واتراجمى افلكتوبسى  
ويقال انه ما كاد يقضى بضع سنوات في فاس حتى هلك والداه فأحس قسوة الوحدة والغربة على الرغم من أنه كان قد تعرف الى النجار واتخذ صديقاً وأستاذاً ، فعاد الى مسقط رأسه في الصحراء حيث نظم قصيدة في مدح مولاي علي الشريف جد الملوك العلويين ، تعتبر من أروع المدح على الرغم من أن ابن علي لم يكن الا مبتدئاً ، وهي التي يقول فيها مخاطباً ممدوحه :

ياحلاوة تمر الصحرا ويا حفيد امام العشرا

يا سنا الصحارى يا مولاي علي الشريف  
ولكنه لم يلبث أن عاد الى فاس لينظم القصيدة تلو الاخرى وليصبح «أعظم شعراء فاس في القرن الثامن عشر (I)» ويحرز لقب «المعلم» قبل وفاته سنة 1237 هـ (1822م) وقد تجاوز الثمانين (2) .

وقد كان ابن علي مكثراً ومجيداً ومنوعاً في موضوعاته ، ومن اللطيف أن نجده في قصيدة «حجوبة» يستعرض أسماء بعض قصائده ، وهي التي يقول في حريتها :

يا لي زينك فاق الشمس والقمر والبرق افلحجاب ❖ صلتى بحروف اعجاب  
صغ لوجابسى ❖ عالجنى بوصولك يا لريم حجوبا  
ففي القسم الثاني منها يخاطب حجوبة ، بعد أن وصف مجلس الانس

---

(1) Anthologie d'auteurs arabes par M. Bekhoucha et A. Akkal p 74.

المطبعة المهدية - تطوان سنة 1934

(2) «مقال الادب الشعبي المغربي الملحون» للاستاذ الفاسي العدد الاول من

مجلة البحث العلمي سنة 1964

الذى يتمنى ان يجمعهما ، يريدان ان تستمع فيه الى قصيدتين له فى «الحجامة» وقصيدتين فى «المرسم» وقصيدة «القاضى» و «الورشان» وقصيدتين فى «السالف» وقصيدة «الشمعة» و «الحراز» و «جمهور البنات» يقول فى هذا القسم :

ثم نبغيك اتسمعى «حجامة» اللولى والتالى باسمباب ❖ ما غتبتهم غتساب  
دون غتاببى ❖ اولاً يردوا قولى الا اعقول مقلوببى  
ثم تبغيك اتسمعى «لمراسمى» ابزوج «اقاضى» للباب ❖ و «الورشان» الخباب  
ماسك اكتاببى ❖ «والسوالف» زوج «أشمعا» اضوات مرغوببى  
ثم نبغيك اتسمعى «حراز» حارسو فمناصف لجواب ❖ دور افذهب التذهاب  
ايحير الصاببى ❖ وقت مايتذكرو اتصيب لحمود مرهوببى  
ثم نبغيك اتسمعى «جمهور لبنات» اتمعنى وداب ❖ فيه اسميات اغراب  
طرز بغراببى ❖ كيف ننحل ماياتى فالنظام معروببى  
واذا ما أمعنا النظر فيما بين ايدينا من قصائد لابن على فاننا نلاحظ  
خمس ظواهر :

الاولى : أنه - على ما نعلم - أول من نظم زجلا سياسيا على حدة  
ما تثبت قصيدته «المصرية» التى يكاد يجمع كبار الاشياخ أنه قالها فى حملة  
نابليون على مصر ، والاسف أنا لم نعر على أثر لهذه القصيدة التى لاشك  
تكشف عن تجاوب المقاربة مع اخوانهم المصريين فى هذه النكية التى حلت  
بهم .

الثانية : أنه ربما سبق الى قصائد «السولان» يوجهها لخصومهم  
يحاول تعجيزهم ان لم يستطيعوا حل سؤالها بل الاسئلة التى تتضمنها ،  
وهى فى الغالب معميات والغاز ، منها قصيدته التى يقول فى حربتها :  
بسؤلك استفخر يا حفاظى ❖ اولاً ابحال عند الى عارفين سولان  
وفى أحد أقسامها يسأل من جملة ما يسأل عن ماهية علم الشعير  
والمواهب وكيف تتسرب للنفوس ، وعن أقسامها التى لا يعد شاعرا من  
يجهلها ، ويرى أن كل من غاص فى بحر الهوى يجده صعبا الا من منحه  
الله الموعبة ، ويوصى راويه الايهاب الداعى فهو أعجز من أن يأتى بمثل

هذا السؤال أو هذا الشعر مهما طال به الزمان :

وانسمال امن ادعا داخل علم الشعر والمواهب

واعلى شمن سميل يدخل لجسام

كان لهم فالخلق ارسام

قسموه الفهام اقسام

من لا يدريه لا يقول شاعر فالقول ايجيب

والى داخل بحر لهم اجهلو يلقاه اصعب

الا من ودو ربنا الوهاب

والى ادعا عليك اجهلو بالك تستهايو

ما جاب عوض سولانى

الو يعيش ماعاش المرو ولا يجيب لوزان

الثالثة : انه وضع وزنا للبحر المثلث فى قصيدته «زينب» التسمى

يقول فى حربتها :

يابدر ماغطاك احجاب ❖ فى ادجايا شمس النهار السعيد يازنوبا

فناين العهد يا زينب

وهو فى الواقع تطوير للوزن الذى وضعه إمتيرد للبحر المثنى فسمى

قصيدته «الساقى» التى يقول فى حربتها :

الساقى وخض لريام رد بالك للنوبا لا تغيب عن مولاها

كب يا ساقى راح الليل

فقد لاحظ أن «الفراش» أطول من «الغطا» فجعله قسمين .

الرابعة : أنه عدل بعض الشئ فى «قياس لشركى» وجعله على نحو

ما نجد فى قصيدته التى يقول فى أولها :

يا حلى ريت اجبال الغرب غيبو ❖ وجبال الصحر! اتبان غير العظمت

وقد نظم أغلب مطولاته على هذا الوزن ، ويقال ان الغالى إدمناى كان

أكثر الشعراء تقليدا له فيه على حد ما يبدو فى قصيدته التى يقول فى

أولها :

ياهل البيت اسيدى لامت لشراف ❖ زكت لهماكم قبلو زوكت لوصيف

وكان هذا «القياس» قبل ذلك على نحو ما تكشف عنه قصيدة  
«الحجة» لابن احساين ، وفي حربتها يقول :

يا حضرا قولوا بالسر ولجهار ❖ الصلا والسلام اعلى النبي المختار

**الخامسة :** أنه - حسب ما تثبت النصوص التي وصلتنا - أول من  
أطال القصائد فجعلها «ملاحم» كما يقولون . حقا ان للمغراوى قصائد طويلة  
مثل «هول القيامة» فان أبياتها وصلت الى مائتين ، ولكن ابن على تعدى هذا  
الطول بما يزيد على ضعفه . ومن خير الامثلة على قصائده المطولة «الندرة»  
التي ضمنها ما كان معروفا في وقته من معارف كونية ، فهي تضم ثلاثة  
وستين وخمسمائة بيت ، يقول في دخولها :

سبح المولى تسبيح اللسان والقلب

وقدس المولى تقديس النجاة لقراب

سبح المولى ماشرق الضياء وغرب

قدس المولى مادام الضياء وغيماب

ويقول في حربتها :

يا لساهاى من نومك فبق سبح الرب

لمنا وانت تايه فالغرور لواب

الصلا والسلام اعلى اخيار لنسب

سيدنا محمد طه اشفيح لعرباب

ويقول في القسم الثانى منها :

منها اللوح انشاء ابقوتو وحولو ❖ ومنها الروح والعقل كيف شأ وقدر

اللوحة جعلو خمسين الف اسنا فطولو ❖ والفين فى عرضو كيف جا امعبر

ولقلم طولو ألف اسنا ايقولو ❖ كلهم فالكرسى نقط الديام فبحار

لقلم والكرسى واللوحة مكتوب ❖ والسموات ولرضين والتلول وارواب

ولحجوب ولشيا فالعرش كل تذهب ❖ خرس منسى فقفر قال النبى الاواب

وقد سبق ان راينا فى المدخل ان مثل هذه القصائد لم تكن تنشد فى المجالس وانما كانت تسرد فى بعض المناسبات وخاصة فى ذكرى المولد النبوى .

واشتهر ابن على بعد هذا بالمعارك الهجائية التى كانت له مع تلميذه ابن سليمان ، وقد تعرضنا لها فى الفصل الثالث من باب الموضوعات

#### هتفه بن سليمان

من زجالى فاس ، وهو تلميذ ابن على وخصمه الذى خاض ضده معارك هجائية شهيرة ، لم ينس فى غمرة حديثها اعترافه بالفضل لشيخه على حمد ما يشب هذا البيت ينصفه فيه :

رجلى اعلى اقفات العكلى (1) حجا ايلا او طيت ابن على  
ولكن جاء بعض الاشياخ فقلبوه هيماء وقالوا فى جناس بين اسم  
الشاعر والنعل الذى يلبس :

رجلى اعلى اقفات بن على حجا ايلا او طيت ابن على

ويذهب الاشياخ فى حكاية قصة حياته الى روايتين : تقول الاولى ان اياه الحاج ادريس بن سليمان كان رجلا رقيق الحال يشتغل بالدرزة ، وتقول الثانية ان والده كان من اكبر اغنياء وأعيان فاس ، وأنه كان محبا للطرب الملحون يحيى لياليه فى بيته ، وأنه كان صديقا للشيخ ابن على .

ونحن نميل الى هذه الرواية بل نذهب الى أن ابن سليمان الابن تأثر لاشك - وهو طفل صغير - بهذه الليالى التى كان يقيم والده ، والى أن تلمذه لابن على بدأ فى هذه الفترة ببيت والده .

وتحاول هذه الرواية أن تربط بين وضع أسرته وما ترتب عنه من تأثير كبير على حياة الابن فتضيف أن والده توفى وترك له ثروة طائلة كان فيها وارثه الوحيد ، فلم يلبث - وهو فى أول الشباب - أن انطلق للحياة

(1) البليد .

اللاهية الماحنة في غلو واسراف كانت نتيجهما أن أصيب بداء القلب الذي  
أودى بحياته ولما يتجاوز الثلاثين من عمره

وتعتبر قصائده التي نظم في حال مرضه وهو طريح الفراش من  
أروع ما أنشأ الزجالون صدقا وابداعا ، تشم منها رائحة الموت تكاد تخنقه  
وهو يحاول الفرار منها في خوف وتشميت بالحياه . ومن أهم قصائده في هذه  
الفترة «الطيب» و «الوردة» ولعلهما آخر ما نظم قبل موته ، يقول في حربة  
الاولى :

الطيب يعرف دايا والدوا سموو غالى

عالجوني يا ناسى لا نموت موت الغفلا

ويقول في حربة الثانية :

لاتلوموني في ذا الحال جيت تشهد وانودى

يا عدولى فالموت اسبابى خد الورد

وقد كانت لابن سليمان عناية بأسلوب زجله تمثلت في اكثاء من  
التضمين - وهو كما سبق أن رأينا (I) بناء القافية على حرفين - ومن الامثلة  
عليه عنده قصيدة «الرعد» فقد التزم في قافية الاشمطار الاولى للابيات حرفي  
الياء والميم على حد ما يقول في هذه الابيات من الدخول :

الرعد زام طبلو من بعد اقناطر الصمايم

والبرق سمل سيفو ويخيل في اخيول لمران

والريح فالرس ايشالى

عن اعيون العلفات اعلى اللغا امشمم

لقزاح شد بندو للمرجا اعساكروا تلايم

واحرك ابلمطار البيدا حتى اجرات ويدان

قلبي ابجها سالى

كل فح اصبح من ذاك الضباب خضر

---

(I) انظر الفصل الثاني من الباب الاول ، وانظر كذلك الفصل الاول من  
الباب الثالث لدى ذكر محمد بن عبد الله بن احساين .





ويقول في أول بيت من قصيدة «الزين» :

هيا هيا ويين • يا من ردى السلطان  
بسيوف الضعدين • لو طاروا ما طقونى

ويقول في حربة قصيدة له يمدح بها المولى عبد الرحمان :

بوجود السلطان • مولاي عبد الرحمن  
عمنا بالاحسان • نمجد فزمانى  
من حكم فالبرين ويحترين

الثانية : سبقه (2) الى النظم في «الجفريات» ، وهي - كما سبق أن رأينا (3) - قصائد يتأمل فيها الشاعر أحوال المجتمع والناس ويستنتج منها تنبؤات بما يحتمل أن يقع . ومن جفريات العميرى قصيدته التى يقول فى أولها ، رامزا بالصوف والقطن الى طبقات من الناس :

لا اتوطن فالغرب اتخلط لوطن  
الصوف امع القطن عاد فابطانا تحت ابطانا  
ابرزلهوا املايس قفطانو

ومنها لاميته التى يقول فيها :

ذاك الولد المهبول • أصلو من أناضول  
الفرخ يشبه اخوالو

وقد وجد الناس هذا القول مطابقا لوضع السلطان المولى عبد العزيز بعد أن هزمه أخوه السلطان المولى عبد الحفيظ لان أمه تركية ، مع أن العميرى كان يعيش فى عهد المولى عبد الرحمن .

واذ كانت هذه القصائد تعتمد على الرمز والتلميح والاشارة ، فإن العميرى بسبقه الى النظم فيها كان سابقا كذلك الى هذا النوع من الاسلوب فى القصيدة الزجلية

---

(2) حسب النصوص التى وقفنا عليها

(3) انظر الجزء الثانى من فصل «فى الحياة» من باب الموضوعات.

ما انتاشي عاجز نمرجهسرك يالجليل

ما انتا شمي غايب تعذار ياــــــــــــــــــــــلوني  
فذكر أنه كان يريد شرحها ، وفي ذلك يقول : «قلت له يا سيدني  
فاتتني الخدمة لك بيدي أردت أن أخدمك بقلمي اين لي في شرح هـذا  
التوسل ، ومرادى ان تذكر مناقبه وجملة نافية من كراماته فامرني  
بتراءتها عليه وهو سأكث ، فلما اكتملت قال لي : من قال هذه القصيدة  
هي لي ؟ ولم يقل : ما قلتها ولا ليست لي ، بل مهما كررت عليه قولتي

(I) قد يختلط اسمه مع اسم أحد أشيخ فاس المعاصرين يسمى قدوة العلمي ويعرف بـ «طقطان» وقد توفي منذ حوالي عشرين سنة .

(2) الجسمام الشرقي في الرد على أكتيوس المراكشي (مخطوطات: خزنة  
الكتاب العامة ك 2276 من 288 - 289 290)

286 52 (2)

فى شأن شرحها يقول : ومن قال هى لى ؟ ويسكت . فلما لحيت عليه القول قال لى : نم وغدا ان شاء الله يظهر لنا ولك ما يكون عند فسكت وما سألته بعد ذلك الا ما يكون من أمر الدهاء الصالح « (I)

وترجمه المؤرخ المرحوم عبد الرحمن بن زيدان فى «أتحاف أعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس» (2) باعتباره من صلحاءها فذكر أنه «عبد القادر بن محمد بن أحمد بن بلقاسم الادريسي العلمى الحمدونى ... نشأ فى صيانة وعفاف بمكناسة الزيتون فى حجر والده بالدار التى اتخذها بعد وفاة والده زووية وبها أقبر ... وكان رحمه الله من أهل المقامات العالية والاحوال السنية لا يعرف لعبا ولا لهوا ولا ما يرجع لزخرف الدنيا وزينتها كثير التطوف على أضرحة الصالحين وزيارة الاحياء منهم والاموات » (3)

ونقل ابن زيدان عن ابى عبد الله محمد الامين الصجراوي المراكشى فى «مقدمة الارتجال فى مشاهد ومشاهير سبعة رجال» قوله : «قال لى السولى سيدي عبد القادر العلمى انه مكث بضعا وعشرين سنة وكان بمراكش وكل يوم يزور سبعة رجال او يزور الاربعة المتقاربة : سيدي ابى العباس السبتى وسيدي محمد بن سليمان الجزولى وتلميذه سيدي عبد العزيز النباغ وتلميذه مولانا عبد الله الغزواني ، او يقتصر على زيارة ابى العباس السبتى (4) » وزاد ابن زيدان : «وقد لازم دهرًا طويلا زيارة ضريح المولى ادريس الاكبر وبالاخص يوم الجمعة لم يتخلف عن صلاتها بمسجده فى صيف ولا شتاء مدة من ثلاثين سنة ، و كان ذهابه لزعمون كل جمعة على أتان له وكان يتطارع على شريف تلك الاعتاب ويتضرع الى مولاه فى تنوير سريره وصفاء باطنه وتطهيره من الرعونات النفسانية ثم بعد مدة لازم داره وصار لا يخرج منها الا يوم الجمعة . وفى آخر عمره لما كبر سنه وهن عظمه واعتراه ما اعتراه من الجذب وذلك قبل انتقاله لدار النعيم بنحو أربعة أعوام ... ترك حتى الجمعة وكان يتحرى صلاتها بجامع الزيتونة اجد المساجد الشهيرة بمكناس (5) »

(I) ص 289 - 290

(2) الجزء الخامس من ص 336 حتى 352 (الطبعة الاولى - الرباط) .

(3) ، (4) ص 336 . (5) ، ص : 336-337 .

وقد اعتمد في تحديد مدة جذبه على ما ورد عند الطبيب محمد غريبط - وهو من تلاميذ العلمى وملازميه - فى رجز له يسمى «رياض انس الفكر والقلب» قال فيه (I) :

والجذب معه نحو اربع سنين ••• وبعضنا به من المستيقنين  
ومع ذا سائر الاذكار ••• يصادع بالليل وبالنهـار  
حتى قضى بقرب فجر الاثنين ••• ليلة يوم سادس وعشرين  
وذهب ابن زيدان الى أن السلطان المولى عبد الرحمن كان «من خصامة  
محبي المترجم ومعتقديه يذهب لزيارته كلما حل بالحضرة المكناسية ويستشير  
فى كل مهم عن له ويقف عند حد اشارته ، وقد شاهد له كرامات وخوارق  
عادات (2) » .

وقال عنه كذلك انه كان «سيدا حصورا لم يحتلم قط ولا عرف معنى  
الالتذاذ كما أخبر هو بذلك عن نفسه لا فى صغره ولا فى كبره ، ولا يأكل  
دسما ، جل قوته الخبز والزيتون ... وقد ظهرت له رضى الله عنه كرامات  
وأسرار وقصده وفود الزوار من سائر الاقطار (3) » .

وذكر له من مشايخه : (4) العارف السيد الحاج المختار البقال المتوفى عام  
خمسة وخمسين ومائتين وألف ، وسيدى على بن عبد الرحمن المعروف بالجمال  
دفين فاس المتوفى عام أربعة وتسعين ومائة وألف ، والشيخ بدر الدين ،  
ومولاي الطيب الوزانى ، وسيدى محمد ابن أحمد الصقل المتوفى عام اثنين  
وثلاثين ومائتين وألف . وذكر له من تلاميذه السيد فضول ابن عزوز والسيد  
فضول السوسى والسلطان مولاي عبد الرحمن والسيد محمد غريبط والعارف  
محمد بن عبد الحفيظ الدباغ والامام محمد صالح الرضوى وسيدى عمر  
بن المكى الشرقى والسيد عبد الرحمن بن التهامى الادريسى الزرهونسى  
وسيدى العربى بن السائح الشرقى دفين الرباط .

(1) ص : 337 . (2) المصدر السابق .

(3) ص : 339 .

(4) ص : 341-342 .

ثم تناول شعره فقال : « وما ينسب للمترجم من الازجال هو له حقيقة ، وقد كان له رواة يتلقونه منه ويكتبونه عنه منهم العلامة السيد محمد غريب والسيد الحاج قاسم بن المير والسيد الحاج احمد الدقيوق وغيرهم حيث أن المترجم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب . ومع ذلك قد ضمن تلك الازجال من أنواع فنون البلاغة ودقائق المعاني ما أخرس الفصحاء وأخجل البلغاء وودعها من الحكم والمواعظ والامثال ما حير اولى الالباب وألزم المعاند الحجة . أما تغزلاته فقد أزرت بنسيم الصبا ووسيم الصبح وكلها اما فسى الحضرة العلية أو النسمة النبوية أو الاكابر من الاولياء والصالحين ، شششنة فطاحل العرب والصحابة التابعين وسلف الامة وخلفها المتقين فى تغزلاتهم فسى أشعارهم الفائقة الرائقة لا فيما يفهمه بعض الاوغاد من أنه فى معين لا يحل حاشا أهل الفضل والدين من ارتكاب ذلك والحوم حول ولوج وخيم تلك المسالك . ولو دون جميع ما قال من الازجال لجاء فى عدة أسفار ولكنه منه ما لعبت به أيدي الاتلاف ومنه ما مات بموت حفاظه ومنه ما أحرق على عهد المترجم بأذن منه ، وما بقى انما هو قل من كثر (I) .

وذكر له من شعره نماذج فى موضوعات مختلفة ، أتبعها قبل أن ينهى الترجمة بذكر ولادته ووفاته فقال : « ولد بمكناسة الزيتون سنة أربع وخمسين ومائة وألف ... توفى عن مائة وأثنى عشر سنة بداره الكائنة بقصر درب ابن العواد من مكناس فى البيت يمين الداخل قرب فجر يوم الاثنين ليلة سادس وعشرى رمضان المعظم عام سته وستين ومائتين وألف ، كما صرح بذلك تلميذه غريب المذكور فى رجزه بقوله :

حتى قضى بفجر يوم الاثنين .. ليلة يوم سادس وعشرين  
من رمضان سته وستين .. والف اثـنـسـر مائـتين ثـنـتين  
وصلى عليه بجامع الزيتون ودفن بدار والده التى صيرها زاوية قيد  
حياته بحومة ابى الطيب (2) .

(I) ص : 340 - 341 .

(2) ص 351 . كذلك ورد تاريخ وفاته بمكان دفنه فى الاستقصا للناصر ، ج 4 ص 201 (الطبعة المصرية) .

كذلك كتب عنه المستعرب بوري بحثا بيوغرافيا في مجلة هسبيريس (1) ذكر فيه أن سونيك نشر قصيدة للعلمي في «أغاني المغرب العربية» (2) هي المسجلة في الرقم الثاني عشر ، وان فيشر في مجموعة الاغاني المغربية التي نشر (3) اورد له قصائد في الارقام السابع عشر والسادس والعشرين والتاسع والعشرين والرابع والثلاثين وان كان لا يذكر اسماء مؤلفي أغاني مجموعته . ثم نقل كلام الناصري في «الاستقصا» عن وفاة العلمي وبعض ما جاء في ترجمة ابن زيدان له . كما نقل من مؤلف للشيخ عبد الحى الكتاني كان أطلع عليه عنوانه «مواهب الرحمن» في صحبة القاضي أبي محمد عبد الرحمن» أن العلمي توفي في السنة السادسة والستين ولكن عن مائة وعشرين سنة وأنه كان على اتصال بقاضي الجن شمهروش الذي كان صديقاله وروى بوري عن شخص من فاس الجديد حكاية مفادها أن العلمي كان حاضرا في أحد الاعراس ، ورغب بعض المدعوين في الاستماع الى قصيدته «طامو ابهيح الخدادا» ولكن المنشد لم يجزؤ على تلبية هذه الرغبة لانه كان يعرف أن صاحب القصيدة موجود وأنه لا يليق انشاد قصيدة غزلية فى حضرته ، وعلم العلمي بالامر فاذن بانشادها مؤكدا أنه لا يعرف لا طامو ولا فطومة .

وختم المستعرب المذكور بفائدة عشر عليها نفي كناش يضم قصائد للعلمي يقول كاتبها ان السلطان المولى عبد الرحمن أراد أن يعرف ان كان العلمي في أواخر حياته مازال ينظم فبعث له وزيره سيدي محمد بن ادريس يطلب منه بعض قصائده تبركا ، وقابل الوزير اول الامر تليذه محمد غريط . فأكد له أن الشيخ لم يعد يعنى بالنظم ، وكذلك قال العلمي نفسه للوزير ولكنه أبدى استعدادا لتلبية رغبة السلطان التي اعتبرها أمرا تجب طاعته وطلب من السيد غريط أن يكتب ما يملئ عليه ، وأخذ يرتجل القصيدة التي أولها :

- 1) M. T. BURET : Hesperis 1038 1er trimestre, dans ; communications « Sidi quaddur El-Alami - Notes biographiques »
- 2) Sonneck : Chants arabes du maghreb
- 3) A. Fischer : Das liederbuch eines marokkanischen sangers (Leipzig 1918)

عشق لجمال طبع اغزير افمن هو البيب

ولعلنا من خلال هذه الاخبار ومن خلال ما يروى على ألسنة الاشياخ وعامة  
الناس ، ثم من خلال ما وصلنا من شعره ، وهو غير قليل ، نستطيع أن  
نتحدث عن العلمى من خلال خمس نقاط :

الأولى : أنه كان شاعر الحكمة الاول وفيلسوف الزجل دون منازع  
ولكن يبدو للكثيرين أن فلسفة سلمية يائسة تقوم على التشاؤم من الناس  
والحياة ؛ والواقع أنها ليست كذلك أو بالأحرى ليست دائما كذلك . حقا  
اننا نجد روح التشاؤم تطفئ على العلمى فيرى أن كل أبناء جيله مطبوعون  
بطابع واحد ، فشا فيهم النفاق والتحايل والخداع والرياء وانعدم الاحسان  
والصدق والحياء والعرض والحسب ، وهى كلها علامات الخراب :

هاذو اشروط اعلامات التخراب

عاد النفاق امودا بين الناس الكبرا

.....

بالحيلة والمصانعا ولخدع عادت اخلاق اطبايعهم مقلوبا

.....

مذهبههم ندرية خممت اولاد جيلنا كاع بعضا وحدا مضروبا

شاع الريا ولحسن اغبر والصدق غاب

واترفع لحياء والعرض ولحسب

ويرى أن الصحبة غدت وسيلة للاغراض وأن من يصاحب شخصا

يريد أن يشمت فيه بمجرد أن تتاح له الفرصة :

ولات عند ناس اليوم الصحبا اسباب

الى اتخالطو يبغي يشمت فيك

.....

غير تركزن لو يغدر فيك

ما يخليك داير كابوس لغدر فيك يتسناك

وهو لهذا يرى ضرورة معاملة الناس بالمثل :

من لا يخدع ويلاطف ويدارى لعدا ويرشى لخوان

ما يوجد حتى رايف فالرخفا والشدا ابخاوتو يستعان



ولكنه لا يلبث أن يعتدل في نظرتة فيرى أن الحياة لا تخلو من الحلاوة

والمرارة ، فيقول في قصيدة «الدار» :

يوم اشلوق ويوم اخلو ويوم زقوم      ويوم مستعدل بين الطيب والزها  
ويقول في «طامو» :

معلوم كيف ما دامت رخفا ما تدوم شدا

هذا امواجب احكام اصروف الدهر

يسوم احلا من طعم التمر

ويوم كمثل الحنظل مر

ثم ان فلسفته لم تكن دائما سلبية حيث نجده يقدم نصائح ايجابية

في أدب السلوك يدعو فيها من أراد السعادة أن يتحلى بخمس خصال ويتجنب

خمسا أخرى ، ان يتحلى بالصمت والعزلة والمسالة والقناعة وترك الملام ،

وأن يتجنب الحسد والكبر والجفاء وضيق الخلق والطمع :

من احفظ خمسا دالحسنات حفظ محكام

أفيه رسخوا كرسخ الوشم انلمعاصم

الصمت والعزلا والهدنا وترك للام      ولقناعا من كاسبهم امن ابنادم

يعتدل ميمونو والسعد له يستقام      يرتفع بعد الخفض الهمة الضراغم

ومن اترك خمسادالسيات ترك عزام      من اجملت المحروم الى اعليه حارم

لحسد والكبر ولجفا وضيق لشيام      والطمع بيت الدل امناصب لحشايام

كل سيا من ذا السيات ضر سممام      فاق سم الحيات الرقط السوامم

الثنائية : ان العلمى كان ينظم في الغزل ، ولكن الناس يذهبون الى أن

هذا الغزل غير حسى لم يقصده الى المرأة ، ويحاولون بذلك تأويله كقولهم

ان قصيدته «طامو بهيج الخدادا» لا يعنى فيها غير فاطمة الزهراء ، وقد سبق

أن لا حظنا (I) أن مثل هذه القصيدة لا يمكن أن يكون قالهافى بنت الرسمو

وفيهامثل هذه الايات .

بتنا وبات الخمر يتزادا

---

(1) انظر فصل المرأة من الباب الثانى .

لا عدو لا واشى لا حراز احسيد  
فبساط امحتفل مركادو  
الكاس والشمع موقود  
ليا ادراعها بات اوسادا  
وريقها بات اشرايى انرشفو الذيد  
يشربو امن احلا تورادو  
غفران ربنا موجود

ونحن حين نذهب الى هذا الرأى لانريد أن ننفي عن العلمى صلاحه  
وولايته ، ولكننا نريد فقط أن نجعل فى حياته مرحلتين : الاولى مرحلة  
عادية كان فيها يعيش حياة انسانية ، يحب ويستمتع بحبه ما أمكنه ، وفيها  
نظم قصائده الغزلية والخمرية ، ولعل الشعر الذى ذكر ابن زيدان أنه  
أحرق باذنه كان صادرا عنه فى هذه المرحلة . والثانية مرحلة زهد وانقطاع  
عن الدنيا وابتعاد عن متعها ولذاتها ، وفيها نظم معظم توسلاته ومدائح  
النبوية ومواظله ووصاياه .

ولعل حادثا ما لا نعلمه جعل الرجل يغير اتجاه حياته ، وان كنا نستأنس  
بما ذكر لنا بعض الاشياخ من أنه حين نظم قصيدة «المحبوب» وحربتها :  
كيف ايواسى الى افرق محبوبو وبقي ابلا عقل فى لرسم افريد  
كيف اجفانى احبيب قلبى ما احلا غير صورتو وانعوتو واخيالو  
أمن لا عمرى انظرت زين الملبدر ابخالو  
عارضها أحد معاصريه - لا نعرف اسمه - بقصيدة فى مدح الرسول  
عليه السلام قال فيها :

كيف ايواسى الى عشق محبوبو وبغى ازيارتو لكن جاء ابعيد  
وناكيف اعشقت سيدي العربى ما نهوا غير صورتو وابها حسنو..  
فكان لهذه المعارضة تأثيرها عليه ، آلى بعدها على نفسه الا ينظم فى غير  
الابتهالات والتوسلات والمواظله ومديح النبى والاولياء .

الثالثة : انه كان يقابل احترام السلطان له ومحبتة اياه بغير قليل  
من التواضع يمدحها بلى مدحه ومساندة حذبه ولوفاء لندرة العلوية . ومن

لامثلة على ذلك قصيدته التي يقول في حريتها :  
 غث لهما ام ابريج النصر بالقهار \* ونفذ ادعوتو غالطفاة ولجبايسر  
 وفيها يدعو للسلطان بالنصر والتأييد وطول العمر حيث يقول في

أول القسم الخامس :

يا جليل اكسه حلا ايهبتك نسر \* وأيدو بالغاب وكرمو ابسا ايسرو  
 وظفروا بالحكما وله سكم الشور \* افكلى بقعا بارك يا ربنا افعمرو  
 اجعل ادعوتو دعوة نوح النسي المبرور \* اعلى اصحاب الطوفان بدعوتو انبترو  
 ويظهر وفاء العليم لهذه النبوة وما ذكرها في قصيدته التي يقول في

حريتها ناصحا بزيارة قبر سيدي محمد بن عبد الله جده المولى عبد الرحمن ،  
 وكان عاصره كذلك :

لذ ابجد لشراف لهماام السلطان \* ابن عبد الله كوكب الغرب الجوان

وفي سويرحة القسم الاول منها يقول

يمم للزاويا الشريفيا \* واعلى اصلاحيها اتطوف  
 والقبا الباهيا النظيفة \* تبسط في بابها لكفريف  
 وامدح بسرارك اللطيفيا \* مولاهما لا غنى ليسررف  
 يا نجاد السيد لعفيف \* أمن قولي امن الخوف -

**الرابعة :** أن كثيرا من الاشياخ الرواة يذهبون الى أن بعض القصائد  
 التي تنسب للعلمي ليست له وانما هي لبعض تلاميذه أمثال الطيب  
 الراستري (I) ومحمد بن هاشم العلوي (2) وعزوز اللمتوني (3) ، وهم  
 من أشياخ مكناس. ويمثلون بذلك لقصيدتين يزعمان أنهما من نظم الراستري

(I) كان من كتاب العلمي ، وقد اشتهر بسرابة ربيعية تعتبر أحسن سرابة  
 نظمت في «الربيع» ، يقول في أولها :

فصل الربيع قبل والوقت ازيان \* علامات الخير المبرى بانو  
 وله كذلك قصيدة «المحبوب» التي يقول في حريتها :  
 أنا فعارك أسلطانى توفي ازيارتي \* واتفكدنى يا عنايتنى  
 يامن طاعوا لك بالقهرا لبنات

(2) اشتهر بقصيدة «أم كلثوم» التي يقول في حريتها :  
 الايمنى فهوإى اشبهت الدامى دعنى أو كف خلى أجوارحك اسليبا  
 واعذر يا لايم حال المبروم

(3) له قصيدة في مدح السلطان المولى عبد الرحمن ، يقول في حريتها :  
 صل اعطاك الله النصر يا عز الملوك \* مولاي عبد الرحمن

هما «الجافي» و «المزيان» .

أما الأولى فتقول حربتها :

رف ادا بل لعيان

يا بو حجبين امعرقا وزينا

زر لعشيق يزاك امن التيهان ياغزيل بستاني

واما الثانية ، فتقول حربتها :

حن واشفق واعطف برضاك ياالمزيان

لاسماحا ميعاد الله يالهاجر

وأخبرنا شيخ مكناس السيد بنعيسى الدراز أن بعض الشعراء كانوا

حقيقة ينظمون وينسبون للعلمي ، ولكنه كان يقول في حقهم داعيا عليهم

بالفقر والمرض والموت على غير ملة :

«الى ايقولنى شلا قلت الله ايرزقو القلا والعلا والموت من غير ملا» .

وذكر لنا الشيخ الدراز كذلك أن الطيب الواستري حاول أن يضيف

لاحدى قصائد العلمي الادريسية هذا العروبي :

ياناظر دا البيات بشعاع المقلات

اقراهم بالتبات تصطاب اكلامي

اتصيب من التقات نلى جيبك احلات

اتبين للدهات كالبدر السامي

مصيون عل لوشات بسيوف وحربات

مفهوم للدهات عراف انظامي

للحافظها احلات وللكتاب زهات

والسامعها ادوات

قالت افوهامي يوجب عنى انقول رحو العلمي

وعلم سيدي قدور بذلك فقال له في انكار: «واش انا شكارتي اخوات؟»

يقصد : هل خوى وفاضه حتى يحتاج لغيره يكمل له . وفي هذا مايرجح أن

تكون القصيدتان المذكورتان للعلمي وليستا للواستري كما يظن .

كذلك وجدنا بعض الاشياخ يخلطون بين قصائد العلمى وقصائد أحد معاصريه ، واسمه محمد بن الوليد التنسيطي الدرعى العلوى ، وهو من كبار الزجالين ، وقفنا على غير قليل من شعره ، ولكننا نستبعد هذا الخلط لان ابن الوليد يذكر اسمه فى كل قصائده ، على عكس سيدى قدور .  
**الخامسة :** ان العلمى لا يسمى نفسه فى قصائده ، وهذه حقيقة ؛ ولكننا عثرنا على قصيدتين يذكر فيهما اسمه ، الاولى قصيدة «الشافى» التى حبرتها :

الصلا والسلام اعلى النبى المبرور     ❦     عد ما خلق الله اميات الف مر  
فانه يقول فى آخرها :  
وبالبحث عن اسميتى بعد السلوان     ❦     عبد لقادر اعلام رب الفوقانى  
والثانية قصيدة «بسم الفتاح المعبود» وحبرتها :  
يارسول الله غثنا يا يمام لرسال  
خذ بيدي واعتق حالى امن النكاىـــــــــــــــــل  
فانه يقول فى آخرها :  
وارحم سماج لقصيد العلمى

### محمّد الحراق

ألف عنه تلميذه أبو عبد الله محمد بن العربى الرباطى (I) كتاباً سماه «النور اللامع البراق فى ترجمة محمد الحراق» وقفنا منه على نسخة

---

(I) الدلائل المجاطى المتوفى بالدار البيضاء يوم الجمعة 15 شوال 1285هـ (1868م) ، وكان هو أيضاً من الزجالين ، وقفنا من قصائده ومقطوعاته على خمس ، كلها فى الصلاة والذكر ، وفى أول احدى هذه المقطوعات يقول مخاطباً شيخه الحراق :

مير لغرام أساقى هيج اشواقى     ❦     ناديت يا حراقى يا بابـــــــــــــــــا  
هاذ لمدام الباقي يروى اذواقى     ❦     والوقت حين ايلاقى يا بابـــــــــــــــــا  
اذا شربت الراقى تزها اخلاقى     ❦     فسبيل هل لنواقى يا بابـــــــــــــــــا

مخطوطة بمكتبة تطوان العامة تقع فى سفر متوسط ، وهو عبارة عن مجموع يضم رسائل الحراق وتقاييده وقصائده وشروحه لبعض كلام العارفين ، جعله المؤلف على خمسة أبواب وخاتمة :

الاول : فى الرسائل .

الثانى : فى الحكم .

الثالث : على التقاييد على آى قرآنية وأحاديث نبوية وكلام بعض أئمة الصوفية .

الرابع : فى قصائده وتواشيحه وأبياته ومقطعاته مرتباً ذلك بحراً بحراً .

الخامس : فى شروحه لبعض كلام العارفين وذلك كالصلاة المشيشية والحزب الكبير لآبى الحسن الشاذلى وبعض كلام الششتري ونبذة من شرح الحكم العطائية .

الخاتمة : ذكر فيها بعض دعائه وقصائد مدحه بها بعض تلامذته .

ثم ان المؤلف صدر كتابه بمقدمة عرف فيها بالحراق قال فيها عنه أنه «العلامة القدوة . الفهامة مصباح الظلام وحجة الاسلام شيخ الطريقة ولسان الحقيقة شريف النسبتين ومفتى المذهبين الشريف الحسنى القطب الربانى أبو عبد الله ... محمد بن محمد الحراق» (1) وأنه كان «اماماً جليل القدر متضلعا فى علم الظاهر والباطن انتهت اليه فيه الرياسة مشاركا فى فنونه من تفسير وحديث وفقه وفتوى ومعقول بجميع فنونه . واما الادب والشعر كاد ان ينفرد به فى عصره قد شهد له بذلك كل من عاصره او خالطه أو وقف على كلامه (2) » .

وتحدث عن طريقته التى أخذها عن مولاي العربى الدرقاوى (3) فقال بأنه جعلها «بين شريعة وحقيقة حتى سهلها للسالك ونهجها فى

(1) ص : 11 .

(2) ص : 2 .

(3) أبو عبد الله محمد العربى الدرقاوى 1150 - 1239 هـ .

أوضح المسالك وأتى فيها بالعجب العجيب من علم الإشارة بالطف بيان ووجز عبارة وكشف غوامض من اشارات القوم وحل رموز ما ليس بمعلوم وأسس طريقته على أربع قواعد : ذكر ومذاكرة وعلم ومحبة (I) « وقد أخذ هذه الطريقة عن الحراق » خلق كثير لا يعد كثرة من طلبة العلم وأعيان الناس وأهل الاعتناء بدينهم من حاضرة فاس ونواحيها كصفرو والبهاليل وجبل كندر وقبائل الغرب وأهل الجبال والمدامر من نواحي تطوان وجم غفير من أهل تطوان . واما شفشاون فكاد أهلها كلهم ان يدخلوا في طريقته ، وانتشر مدده الى ان بلغ الى الرباط مع أنه لم يصلها بنفسه (2) . واستمر يدعو الى طريقته « الى أن توفي ... يوم واحد وعشرين من شعبان سنة احدى وستين ومائتين وألف ، فتحصل ان مدة عمره ثلاث وسبعون سنة .. وفي رواية عن بعض ملازميه ان عمره خمس وسبعون سنة (3) .

وللحراق ديوان صغير (4) متداول يضم سبعة أزجال وعددا من الموشحات والقصائد المعربة ، وهي في أغلبها مقطوعات قصيرة في حب الرسول عليه السلام والتغزل في حضرته والسكر من خمرة ، أنشأها لاشك لتتشهد في مجالس الذكر وحلقاته ، على حد قوله في ذكر الحبيب وان حبه يشفى من داء الاوهام ويضيء الوجود ويجلي ظلمة الحب :

الحب احقيق للقلب ادوا    يشفيه امن اسقامو اوهامو  
به لوجود كلو يضمو    من غسقى لهوا وظلامو  
وعلى حد قوله كذلك وقد تم له الوصال مع حبيبه وأشرق نور بهائه فنى كل شيء :

---

(I) المصدر السابق .

(2) ص 10 وتجدر الإشارة الى أنه توجد بالرباط زاوية يطلق عليها «الزاوية الحراقية» يجتمع فيها فقراء هذه الطائفة وهم فرقة من درقاوة .

(3) ص 12 ونشير الى أن السيد التهامي الوزاني ذكر الحراق في اماكن متفرقة من كتابه «الزاوية» (مطبعة الريف تطوان 1942، ضمن منشورات مكتب النشر) .

(4) توجد منه طبعتان : احدهما على الحجر بفاس ، والثانية من نشر وتوزيع مكتبة المعارف بمكناس .

جـاد اعلـيا برضاه

لحبـيب الـى حـيـتـور \* زارنى وانعم لى ابلوصال

حين اشرق نور ابهاه

كل شى بالقهر انسيتو \* يا هلى عـقلى اذا شفتـوه زال

ما بيا غير اهواه

ومن قوله فى الخمر الصوفية :

اغـنـم كـاس الـراح \* هـاحـبـيـبـك زار

اسـقـق او دور \* انـف الشـرور

طول الدهور

صـل الشـراب \* فـالنـكد غـاب

والخبر صاب

رشف لكواب \* امـع لـحبـاب

عين الصواب

فازها فيامك \* لـو اتـعـيش انـهـار

نظـر اـفـالـحبـيب تمـحى كل اجـرايم \* والرحمن اكرـيم يـالى نـرجـاه

اذا مارضى ما تنفع اعزايـم \* لـو بـعـمال الخـير كلـها تـلقـاه

أما موشحاته فمنها هاته التى يقول فى أولها :

زال عن قلبى توله الفنا \* وصفا أمرى

اذ غدا لى كل ربع وطننا \* وانتفى نكرى

كل ماء قد حوته شربتى \* فأنا ريان

لست يوما أحتسى من خمرتى \* وأنا نشوان

من رآنى ثابتا فى حيرتى \* ظننى وسنان

وأما قصائده المعربة فأشهرها وأطولها تائيته التى يستهلها بهذه الابيات :

أطلب ليلى وهى فىك تجلت \* وتحسبها غيرا وغيرك ليست

فذايله فى ملة الحب ظاهـر \* فكن فطنا فالغير عين القطيعة

ألم ترها القت عليك جمالها \* ولو لم تقم بالذات منك اضمحلت



تقول لها ادن وهى كلك ثم ان ٭ جبتك بوصل او همتك تدلت  
عزيز لقاها لا ينال وصالها ٭ سوى من يرى معنى بغير هوية

### التهامى المدغرى المسعودى

أصله من امدغرة بتافيلالت كما هو واضح من اسمه ، ولكنه نشأ وعاش  
فى مدينتى فاس ومراكش . وكان صديقا للامير سيدى محمد بن عبد  
الرحمان وملازما له أيام الدراسة ثم حين ولاء أبوه الخلافة ، ولكنه لم  
يدرك عهد سلطنته لأنه توفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف قبل أن يتولى رفيقه  
الامير الملك بأربع سنوات (I) .

وقد بلغت الصحبة بين التهامى المدغرى وسيدى محمد بن عبد الرحمن  
حدا من العلاقة جعل المولى عبد الرحمن يضيق بها ويخشى منها عليه أن  
تفت فى تربيته وسلوكه فلا يقدر على تحمل أعباء الملك بعده . ويحكى أنه  
سأل مرة أحد وزرائه ان كان ابنه مجدا فى دراسته فأجاب بأنه «بين الشقى  
والعاصى وملذذ المعاصى» يقصد بالشقى مولاي السعيد وبالعاصى أخاه مولاي  
المطيع وبملذذ المعاصى صديقه التهامى المدغرى ؛ ويروى تكملة لهذه  
الحكاية أن المدغرى علم بها فاغتنم مرة كان فى حضرة السلطان وحاول  
بلباقة أن يجعله يشير الموضوع ليرد عليه ويصحح ما وصفه به الوزير فقال :  
«بل أنا ملذذ المعانى يا مولاي» .

وتتجلى هذه العلاقة واضحة فى غير قليل من القصائد قالها المدغرى  
فى صديقه الامير ، منها قصيدة «غزيل» التى يقول فى حربتها :  
دام الله اجمال صورتك ياشادى ٭ انت اعنايتى وامــــــرأدى  
اغزيل يا سالب من جا ايصيدو ٭ زنجار فى عين حاسدى سيدى محمد

---

(I) فى «اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» لابن زيدان  
(ج 3 ص 575) أنه توفى بفاس ضحوة يوم الاحد 2I محرم 1273 ؛  
وقد ذكر لنا الاستاذ عبد السلام بن سودة أنه سجل فى وفياته المسماة  
«اتحاف المطالع» أن المدغرى توفى سنة 1271 .

ولم يكن المدغرى ينظم فى الزجل فقط ، وإنما كان ينظم فى الشعر المعرب كذلك . قال عنه المشرفى فى «الحسام» مبرزاً مكانته عند الامير ومدى ذبوع شعره : «هو الشاعر المفلح الحائز لفصاحة المغرب والمشرق ، ملحوته من الهموم يبرى ، وموزونه على أبحر الخليل يجرى هو والله واسطة عقد الدهر فنى صناعة الشعر الملحون والموزون ، كان بهما يسلى قلب المحزون ، شاعر تاج الدولة العلوية المنسوب اليه والمشهور به لانه الذى جذب بضبعه ورفع من قدره وألقى عليه شعاع سعادته حتى سار شعره فيه سير الشمس والقمر وطار كلامه بالملحون فى البدو والحضر وكادت الليالى تنشد له والايام تحفظه «I» .

ثم ذكر له من شعره المعرب قصيدتين طويلتين (2) فى صديقه الامير :

الاولى قالها حين ختم جامع البخارى ، مطلعها :

حديشى غريب عن تواتر لوعتى \* وأمرى عجيب عن غرامى بميتى  
روته عدول عن تلاق وسجلات \* سجدوا بأخدود الخدود وأدت  
وأثبت قاضى الوجد رقى بجيرتى \* وقد كان رقى ما نويت بهجرتسى

وفيهما يقول متحدثا عن البخارى :

تراجمه كأنما النخل أينعت \* قلائدها لم ازدت وتدللت  
وأحكامه الوقادة التبر أحكمت \* يداها لعمري منتقى كل حكمة  
الا فاضربوا أكبادكم لصحيحه \* وجدوا كما جدت مطى الاعنة  
والثانية أنشأها بمناسبة ختمه كتاب اقليدس (3) سنة 1271 ، يقول

فى أولها متحدثا عن الهندسة :

برزت على قدر لنا أشكالها \* من خدرها فى طيها أشكالها

(1) ص 380 - 381 (المصورة 1207)

(2) الاولى وارده فى ص 381 - 382 - 383 (المصورة) والثانية فى ص 271

272 - 273 من المخطوطة ك 2276

(3) وهى وارده كذلك فى «اتحاف أعلام الناس» (ج 3: ص 575 - 576)

وحكت مقالتها المقادر بعدمها \* صحت نتائجها وصح مقالها  
 أشكالها تحكى قباب محللة \* تحت الخليفة خيلها ورجالها  
 أوخلتها شجرا صغيرا مثمرا \* فاجن الثمار ولو أبت عدالها  
 أو خلتها خيلا بدت عريضة \* برباطها قبل العدا أبطالها  
 ما شئت من قوس رنت أو تارها \* ترمى البغاة سهامها ونصالها  
 رنت وأنت فسى فنا أفكارها \* وحثت مناشرها الحما ونضالها

الى أن يقول :

فانظر لهندسة تلاشى حصنها \* لولا الخليفة ما بدت أضلالها  
 لولا الخليفة بثها فى غربنا \* غربت ضعيفة شمسها وخيالها  
 وعلى هذا النحو يستمر فى إبراز ولع الخليفة بالهندسة وحيائه لها  
 ولعل شهرة المدغرى فى الزجل طغت حتى غطت على ما سواه ، وهى شهرة  
 لم يدركها غيره حيث كان يعتبر شاعر المرأة والخمر الاول ، ليس فى هذه  
 الفترة فحسب وإنما على كل فترات الزجل ، ويعتبر بالتالى أكثر الشعراء  
 قبولاً لدى الجماهير ، وهى ظاهرة جعلت كثيراً من قصائده يصل إلينا سواء  
 عن طريق الرواية أو التدوين ، على أنه من المؤكد أن بعض شعره قد ضاع  
 أو اختلط مع شعر غيره لانه لم يكن يذكر اسمه فى قصائده . وقد سبق  
 أن رأينا (I) فى سبب ذلك أن صديقه الأمير كان ينظم الزجل كذلك وكان  
 لا يريد أن يعرف ذلك عنه ، ولعله كان يخشى من والده ، فاتفقا على أن  
 ينظما القصائد دون ذكر الاسم على غير عادة الزجالين حتى تنسب كلها  
 للمدغرى ، وهذا ما يجعلنا فى ريب من أمر غير قليل من شعره ، فليس من  
 شك فى أن بعضه من إنتاج سيدى محمد بن عبد الرحمن ؛ فقد ورد أنه  
 «برع فى نظم الأزجال وفاق ، يأتى بالتخييلات العجيبة والتشبيهات البديعة  
 والنوادر» (2) وقد تنبه بعض الاشياخ لذلك وحاولوا تحديد بعض هذا

(I) انظر الجزء الثانى من الفصل الثالث من باب «الشكل» .

(2) الاتحف ج 3 ص 368

الانتاج ، فذكروا منه قصيدة «عزبا وشابا» (I) فانهم لا يرونها للمدغرى  
- وان نسبت اليه - ويقولون ان سيدى محمد بن عبد الرحمن نظمها على  
اثر زيارته لاضرحة فاس عشية يوم جمعة وكان قد شاهد فى طريقه بزقاق  
الحجر فتأتين تطلان من شباك . وهذه القصيدة تقول حربتها :  
أنا عشيت الجمعا شاب أشبابى ۞ هلكتنى عزبا وشابا  
من شاهدهم يسخا بشبابو

ومثلها قصيدة «الزهو» التى يكاد يجمع الحفاظ على أنها لسيدى  
محمد وليست للسى التهامى ، وهى التى أولها :  
الزهو فى طبلا حسن ۞ لبرارد زوج وكيسان  
لونهم يهوانى ۞ احكىتهم خرجت بلعمان  
ولسنا فى حاجة الى الكشف فى هذا الفصل عن شعر المدغرى ، فقد  
بسطنا عنه القول فى باب الموضوعات ولا سيما ما يتصل منها بالمرأة والخمر ،  
ولكننا - اتماما لذلك - نضيف بعض الجوانب عساها تكمل التعرف اليه .

**أولا :** كان المدغرى ولوعا بقافية الحاء الى درجة لقب بـ «حياح الحاء»  
ويحكى أنه سئل عن ذلك فأجاب بأن هذا الحرف يجسم كل أحوال الانسان  
وأنه - قاسم مشترك بين المتعة والالم لان الانسان اذا ارتاح أو التذ قال :  
«أح» واذا تألم أو تعذب قال «أح» كذلك ؛ والامثلة على ذلك أكثر من أن  
تعرض ، فجل قصائده على هذه القافية ؛ ونكتفى بالاشارة الى قصيدتين :  
الاولى «فارحا» ، وفى حربتها يقول :

دسنى تحت لخلال بين ادروعك لملاح  
واللبا والدواح وانهداك تفاحا  
خفت ايشوفونى ايجرحونى يا فارحا

الثانية «رابحة» وفى حربتها يقول :

---

(I) وتسمى كذلك : «عشية الجمعة» .

زين الدواح عطفى بالغزال رابحا

يا عين الدامى السارح أطاوس فادواح

يا بدر اضوا ابكوكب اوضيح

وقد دفعه ولعه بهذا الحرف الى أن يتخذ منه قوافى داخلية ، كما هو واضح فى الحربتين ، بل ان هذا الولع جعله يقع فى عيب من عيوب القافية (I) ، وهو ألا يكون حرفها موحيا بالموضوع ، ويتبين لنا ذلك من قصيدته «زينب» التى يقول فى حربتها :

زينب كنزى وارباحى \* زينب للقلب اصلاحى  
زينب زهوى وافراحى \* زينب للسعد افراحى

فقد كان لازما ، حتى تسلم القافية من هذا العيب ، أن تكون على حرف الباء ، ولكنه أتى بها حائية . ومثلها كذلك قصيدة «طامو» التى يقول فى حربتها :

نصرو رايت لكفاح بو وجنات الوضاحا

والشاما والخال والشفير والغنج الدباح

طامو يا قوت الروح

فهى على حرف الحاء ، وكان يجب أن تكون على قافية الميم .

ثانيا : سبق (2) المدغرى الى «النشب» (3) وهو استهلال البيت بكلمة أو شطر من البيت السابق عليه ، ويتمثل فى قصيدته «فارحا» على حد ما يقول فى القسم الثانى منها :

رفدى ياللا الطايح \* بهواك اعيابقولت آح  
ما بين الهيض والنواح \* سرو بين لحسود بايـح  
كدامك يالمالـحـا

سرو بين لحسود بايـح \* يا كنز الكنز والربـاح

---

(I) انظر الجزء الخاص بالقافية من آخر فصل فى الباب الاول (قوافى صيادية)

(2) على ما نعلم .

(3) انظر الجزء الثانى من فصل «اللغة والفنية» بالباب الاول .

ياروح الروح والتجـاح : يا دامى فالفجوج سايح  
بين ازهارو اللامحا

يا دامى فالفجوج سايح : كمن مغروم بك سـاح  
حس الخلخال به صـاح : صاح الخلخال والدواوح  
فى تحياح لمكـابحا  
صاح الخلخال والدواوح : من حسو ما يلى انجـاح  
ما ريت الغاه فاكـباح : فالليل ايـهيج اللوافح  
وسط المهجا الـلافحا

فالليل ايـهيج اللوافح : ما يقبل غـالـهوى الحـاح  
رحمى يا رايس لـلاح : رحمة الله الذى ايـصافح  
ويدارى بالمـصافحا

**ثالثا :** كان المدغرى بارعا فى نظم السرارب ، ويحفظ الاشياخ  
منها سراية يعتبرونها من أروع ما نظم فى هذا الفن ، يقول فى أولها :  
أنا الى ابلغرام قلبى مجـروح : ولهوا منو فانى ما جبرت راحا  
أش اعمالى انبات مجروح انوح : طول داجى وادموع انواجلى سياحا  
من فلكد الى اهويت نعت الدبدوح : ياترى تعطف لى واتجود بالسماحا  
**رابعا :** يظن الكثيرون أن المدغرى لا ينظم الا فى الغزل  
والخمريات ، ولكننا وقفنا على بعض قصائده فى غير هذين الموضوعين ،  
نذكر منها :

I - قصيدة «ربيع النبوى» نظمها فى ذكرى مولد النبى عليه السلام ،  
يقول فى حربتها :

لله الحمد جاد من هو فتاح : فاتح الببان ابمفتاحو  
مفتاح الخير والرضا والرحما الفتاحا

2 - قصيدة فى مدح «العروسة الشريفة» يقول فى حربتها :  
ابهاك اشهد لجباحك : صفى امصفيا واصفيا من برهمان  
شهدا من طيب امصالك : شهدا امصفيا من نسبا قـرشيـا  
3 - قصيدة فى مدح الاشراف ، يقول فى حربتها :

غاراً مولاي ادريس بن ادريس أمفتاح الغرب والشريف الفيلاي

سيدي مولاي علي الشريف الينبوع خصال

وقد استطاع المدغري بهذا وغيره أن يشغل عصره ويغطي على كثير

من الاشياخ الذين عاصروه ، نذكر منهم :

I - ابن ابراهيم : وهو من مراكش ، وقد اشتهر بقصيدة «مباركة»

التي يقال انه رمز بها لمكة المكرمة ، وفي حريتها يقول :

حرمت نعم لغنى المالك ❖ ديري ياللا امعاك

شرع المولى ايلا اهداك

نستحسن في ابها اجمالك ❖ أمولاتي امباركا

2 - الفقيه ابن الفاطمي المراكشي : ذكر لنا الشيخ محمد بن عمر

المراكشي أنه كان صاحب كتاب قرآني بحى ازبظ بمراكش . وقفنا من

زجله على قصيدتي «الرياض» و «الجافي» .

3 - الرجرجاجي : وقفنا على غير قليل من قصائده .

4 - الحاج عبد الفضيل المرينسي المكناسي : وقفنا له على قصائده

«جمهور الخودات» و «المحبوب» و «الفصادة» ، وكان تلميذا

للنجار علي حد ما يصرح به في القصيدة الاولى حيث يقول :

واسمى معروف الحاج عبد الفضيل المرينسي الا اخفات اخبارو

الذكي تلميذ النجار

5 - علال الكحيل المراكشي : يقال أنه كان شيخ الاشياخ في مراكش،

له قصيدة «زهور»

6 - محمد الحبابي الفيلاي : اشتهر بقصيدتي «مباركة» و «خانة» .

7 - محمد الشاوي : من أشياخ فاس ، وقفنا من قصائده على

«الحراز» و «صارم الطعن» و «عيشا» و «الوصاية» وقصيدة خامسة فسي

الهجاء .

8 - الطاهر فعييس : لعله من مراكش ، لم نقف من شعره على شيء .

9 - الجيار : ولعله من مدينة الرباط .

IO - الفقيه القريعي .

II - أحمد امريفق المراكشي : ذكره الادريسي في «كشف الغطا» فقال انه كان شيخ الاشياخ (I) له «زينب» و «راضية» و «وآمنة» . ذكر لنا بعض الحفاظ أنه كان من العلماء وأن له قصيدة «الخادم والحسرة» وقصيدة «بستان الفكر» يقول في حربتها :  
دير الوجهك امرايا شف صنعت الله

I2 - أحمد ابجيوات : وقفنا من زجله على قصيدتين : «عرصة الرضا» و «فطامة» .

I3 - أحمد بن علي الغنيمي : ترجم له محمد الكانوني في «جواهر الكمال في تراجم الرجال» - وهو القسم الثاني من «تاريخ أسفى ومسا اليه -» فذكر أنه «كان أستاذا حافظا للقراءات السبع عارفا بأحكامها معروف الصلاح مشهور الاحوال من رجال الفضل والدين والسماحة ، له قصائد ملحونة (أزجال) منها ما هو فى المدح النبوى ، ومنها ما هو فى أحوال الزمان الحاضرة والمستقبلة ... توفى حوالى سنة 1290 ودفن بمقبرة أسلافه» (2)

### أحمد الكندوز

من كبار أشياخ الزجل ، وهو من الرباط ولكنه انتقل الى فاس حيث أقام مدة طويلة . كان يعيش فى عهد السلطان مولاي عبد الرحمن وابنه سيدى محمد أى فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، ويثبت لنا ذلك أن له قصيدة يرثى بها مولاي عبد الرحمن ، وهى التى يقول فى حربتها:  
الله اعظم اجرنا واجركم يالاسلام فالشريف العلوى

ينبوع الحلم وعلم نعم مولاي عبد الرحمن  
وقد امتدت به الحياة حتى أوائل القرن الرابع عشر حيث عاصر الغرابلى والتركماني على حد ما يثبت هجاء هذا الاخير لهما فى أواخر قصيدته «الداعى» حيث يقول :

وللشيخ الكندوز اخرج فعراضى نحسبو اعقيل وامودب ذوقى صارمو اصقير  
واحمد لغرابلى افشر لين منو سمعت لعراض او قالوا

وقد شرح لنا الشيخ محمد بن عمر سر هذا الهجاء فذهب الى أن



الغرابلي حين خاطب التركماني بقصيدته التي حربتها :

يالداعي بالعرف اصنع الهل العلم افما قالوا

الشهادا من غير اعمال ليس تكفى مولاها

لم يصرح باسمه فيها أول الامر وشيع أنها للكندوز ، ولكن التركماني

عرف أنها للغرابلي فجمعهما في الهجاء . ولم يصف الغرابلي اسمه الى

القصيدة الا بعد أن كشف الامر . وقد علل الشيخ ابن عمر محاولة التستر

هذه باحساس الغرابلي بالضعف والخوف من الشيخ المدني .

ويحكي الاشياخ أنه قيل مرة للكندوز : «انك تنكر فضل ابن علي ،

ولو كان حيا لما جرؤت على ذلك» فقال ينصفه :

قالوا تنجحد ابن علي وشهدو بعقود الزور

ونا لو جبرت الزاد كل يوم انجدد لمزارو

واجب لو يزار .

وربما كان في هذا ما يدل على أنه أدرك ابن علي العمراني وتلمذ عليه.

وقد اشتهر الكندوز في فنين :

**أولهما :** التضمين والتجنيس .

فقد كان أبرع الشعراء في استخدامهما حتى قيل عنه أنه «رايس

التضمين والتجنيس» . أما التضمين - وهو جعل القافية على أكثر من

حرف - فيظهر في قصيدته «غاسق لنجال» وهذه حربتها :

أيا غاسق لنجال عذبتني بالتيه يا شمالا

زر رسمى يا مول الخال كم لى نرجا لوصال

يقول في أول القسم الثانى منها :

احكم ابتيهانك يا خليل

لكن بعد التيهان جد واعطف

قلبي امعاك نخطف

نبغى ابهاك نقطف

نقطف من الورد الناسم

وانقبل الجبين الواسم

وانقول يا رفيع الاسم  
لنا اسمائتك احجاب

ويظهر كذلك فى قصيدته «البتول» التى حربتها :

كبل يا رقاى للرضا واحتال \* لوصول بوشفر قتال  
لـسـرواح تـال \* حسن ابهاها لالا البتول

وأما التجنيس فيتبين من قوله فى القسم الاول من «غاسق لنجال» :

بجفاك عمدا لى عدت انحيل

ما شفق تعذبنى اولا امحانى

سيف لجفا امحانى

لعباد لامحانى

فامحانى الاولى جمع محنة والثانية من المحو والثالثة من اللمح (I) .

**الثانى :** ذكر حمادشة .

وهى قصائد نظمها لينشدتها «حمادشة» فى حلقات ذكرهم ، ويطلق عليها «الدرع» ويحكى الاشياخ فى تعليق هذه التسمية أن الكندوز لم يكن يعتقد فى الطائفة الحمدوشية أو غيرها من الطوائف الطرقية ، ولكن كان له ولد ينتمى لهذه الطائفة ورآه يوما يمر فى استعراض الطوائف فى حالة حماس وجذب فأخرجه من الصف وحاول منعه من الاستمرار فى هذا الاستعراض ، ولكن الولد استطاع أن يفلت من أبيه ويعود الى ماكان فيه . أما أبوه فأصيب للحين فى ذراعه التى ظلت مريضة منتفخة نتنة من القيح الى درجة أنه اضطر - لشدة الرائحة الكريهة التى كانت تصدر منها - الى ان يعتزل الناس فى غرفة عالية . وذات ليلة صعد اليه فى الغرفة مؤذن جامع الحى - وكان حمدوشيا - وضربه على ذراعه فكان فى هذه الضربة شفاه ؛ ومنذ ذلك الحين تراجع عن رأيه بالنسبة لهذه الطائفة وبدأ ينظم القصائد للحمدوشيين . والاسف انا لم نوفق فى الوقوف على نماذج من هذه القصائد .

### محمد الموقت

من أشياخ مراکش ، ولعله والد المؤرخ ابن الموقت صاحب «السعادة

(I) انظر الجزء الاخير من الفصل الثانى من باب «الشكل» .

الابدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية» . ويبدو أنه كان معاصرا للعميرى حيث وجدنا فى الكناش الذى وردت فيه زازيته المعروفة بـ «الساھى» تعليقا على هامش الحربة كتب فيه : «على قصيدة الموقت» (I) كأنها قيلت فى معارضتها أو الرد عليها . أما الحربة فيقول فيها العميرى :  
اشروط عل لنقلاب بشرا امقلزا ❦ أوجوه اصلاب ولقلوب افتكريز ولجيا انزا  
والمسكين بين لشواق كيتحزا  
وقد اشتهر الموقت بجفرياتة، وخاصة قصيدته «الزازية» التى يقول  
فى حربتها :

أسايلنى انفيدك ابكافر باريز ❦ استفد أكن عايق واتبع الغرزا  
وله كذلك من الجفريات عروبي مشهور تحدث فيه عن الواقع المؤلم  
الذى أصبحت عليه الاحوال ، يقول فى أوله :  
سبحان الله صيفنا ولى شتوا ❦ وارجع فصل الربيع فالبلدان اخريف

### مولاي علي بن أحمد شقور الحسنى العلمى

ذكر لنا السيد هاشم السفينانى الشاونى أنه ولد بالشاون «شفشاون» سنة ثمانية وعشرين ومائتين وألف وأنه توفى بها سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف حيث دفن بزاوية تعرف باسمه لازال أتباعه يقيمون بها حلقات ذكر كل يوم جمعه . وذكر لنا كذلك أنه كان ناسجا ويمارس الفلاحة والبيطرة فى نفس الوقت وأنه كان ولوعا بالطرب يعزف على آلة الكمبرى . وحين زار السلطان مولاي الحسن الاول مدينة الشاون سنة سبع وثلاثمائة وألف أعجب بالشيخ شقور فاستضافه مع عشرة من رفاقه المطربين مدة تسعة أيام فى قصره بفاس ، وأهداه وصيفا وكسوة وبغلا وخمسمائة ريال وأخرج له مردود «قاعة» (2) الشاون ، كما أهدى كسوة لكل من رفاقه . وكان الشيخ شقور يطعم من هذا المردود فقراء المدينة كل سبت حيث يقدم لهم الخبز «والبيصارة» (3) بالزيت .

(I) انظر الكناش المخطوط بخزانة الرباط العامة رقم : I65 قصفحة 509

(2) السوق الخاصة يبيع السمن والعسل والزيت .

(3) شربة الفول ، وينطقها أهل الشمال بفتح الباء.

ويعتبر مولاي على شقور من كبار أشياخ الزجل فى الشاون ،  
وقد ترك وردا لاتباعه وديوانا صغيرا يضم أربع عشرة قصيدة ومقطوعة  
معظمها فى الذكر والشوق لحضرة الرسول عليه السلام والسكر من  
خمرة . وقد تفضل السيد السفينى فانتسخه لنا عن مخطوطة لديه .  
ومازال أتباعه فى الزاوية ينشدون هذه القصائد ويذكرون بذلك الورد .

يقول فى احدى مقطوعاته :

بسم لكريم نظرا فيكم	✽	وهو الحاكم فيكم
سبحان امن اتجلى فيكم	✽	كريم الا اينوم
لا تصحب من لا ايدوم	✽	لا بد ايفر بك النوم
يا وافي كل مظنون	✽	يا معاهد لفنون
ما بين الكاف والنون	✽	اذا يقول كن اكون
لا اله الا الله	✽	لا اله الا الله
والله بالله يا لله	✽	ما يكون غير ماكون الله

ويحفظ أشياخ الشاون قصيدة فى مدح مولاي على شقور من نظم  
محمد العملى ولد زيطانة ، يقول منها فى نفس جفرى :

مولاي احمد اعلا امقامو	✽	اهدى اهديا امن امكانو
امحابق من اشغلنا	✽	موكا ولات ابلقفاطن
هل الضلعا اتغنو	✽	فالصولا ارجعنا للحرطين

كذلك يحفظون فى مدحه قصيدة معربة لعبد الهادى الصقلى ، يقول  
فيها :

وتحية أنسية قدسية	✽	تهدى مع الرضوان فى المنشور
لفريد هذا العصر قطب زمانه	✽	ووحيد بالمنصب المشهور
بحر المعارف والعوالم شمسها	✽	من أشرقت أسراره كالنور
ذاك الوالى الواصل الفرد الذى	✽	حاز العلا مولى على شقور

### شاعرتان من شفشاون

أخبرنا عنهما صديقنا الدكتور عبد السلام الهراس :

**الاولى : الشاعرة التوردانية**

وهى ابنة الفقيه التوردانى (I) الشفشاونى ، كانت تعيش أيام سيدى محمد بن عبد الرحمن وعمرت حتى أدركت عهد الحسن الاول ، وكانت تنظم الشعر ملحونا ومعربا ، وكانت متزوجة بالسيد أحمد بوجنة . ومن أبياتها فى مدح امرأة ريسونية اسمها العزيزة بنت أحمد ، وكانت جميلة وغنية :

للا لعزيزا يابنت احمد ❦ يابنت الجاه العالى

**الثانية : الشاعرة الوردية**

من اسرة الوردية ، ومما يحفظ لها قصيدة فى مدح سيدى محمد بن الحسن الريسونى المتوفى سنة 1131 هـ تقول فيها :

القطب لهمام ❦ شافتو عينى افلمنام  
لابس لحريير ❦ دايرتو خضرا

**أحمد بن على الدكالى السلاوى**

ترجمه والدنا حفظه الله فى الجزء الاول من كتابه : «أعلام الفكر المغربى المعاصر فى العدوتين : الرباط وسلا» فقال انه : «كان ذا زهد وورع وتعفف مع أدب وفكاهة، يحسن علم التوحيد ويتقن التلاوة ، وله معرفة بالملحون على اصطلاح أهله .. وهو جد المؤرخ الكبير أبى عبد الله محمد بن على الدكالى .. أخذ عن جماعة كالعلامة العربى أحضرى والعالم أبى عبد الله ، وكان أديبا متقنا ، توفى عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف» (2) .

وأخبرنا الشيخ بنعيسى الدراز أن ابن على كان من كبار زجالى عصره وأنه كان من جلساء السلطان «الحسن الاول وأنه اشتهر بقصيدته «زينت الغبا» التى يقول فى حربتها :

يا زينت الغبا حزت من لغزال الرحبا

يا توخمت الرحبا نسل لقراهب

زينك ورانا اعجايب واستولى ابلحكام عل لقلوب .

---

(I) اندثرت هذه العائلة من شفشاون . (2) مخطوط المؤلف ، ص 51 .

## الحاج ادريس بن علي السناني لحنش

أكبر شعراء الزجل بعد التهامي المدغري ، كان ينظم في كل الموضوعات فيجيد على ما يبدو من النماذج المتعددة التي مثلنا بها من قصائده في «باب الموضوعات» ؛ وأغلب شعره محفوظ . وهو من العلماء المؤلفين ، له رسالة بعنوان «المقامة المغنية عن المدامة المسماة بروضة المدامة والايناس في لطف محاسن وادي فاس (I) ، وله كذلك ديوان من الشعر المعرب أسماه «الروض الفائح بأزهار النسيب والمدايح (2)» نقتطف منه قوله في مدح آل البيت (3) :

بربك هل تحت ظل السماء \* أناس كأنجمها ذى السناء  
وأبهى من الشمس وقت الضحى \* ومن دارة البدر حال الضياء  
سوى آل فاطمة اذ لهم \* لباب المعالي وكنه العلاء  
فمن مثلهم فى الورى «منصباً» \* أما قدرهم والسما ذو استواء  
وان شئت قل قدرهم فوقها \* تكن قد أصبت مرامى السماء

(I) تقع فى ثمانى صفحات مطبوعة على الحجر بفاس .

(2) فرغ من جمعه سنة 1316 هـ ، عدد صفحاته ثمانية عشرة وأربعمائة تضم احدى عشرة وثلاثمائة مقطوعة وقصيدة مرتبة على حروف المعجم . توجد منه نسخة مخطوطة بخزانة الرباط العامة رقمها ك 1678 ، وهى بخط ابنه محمد الرضى السناني ، انتهى من نسخها سنة 1327 . كذلك أورد له ابنه المذكور مقتطفات من شعره فى كتابه «الشذرات» المسمى «التقاط الفوائد وغرر العوائد» وهو مطبوع فى جزءين بمطبعة بوشنتوف فى الدار البيضاء (ص 28 من الجزء الاول وص 39 - 143 - 156 - 163 - 164 من الجزء الثانى) وقد وردت له أيضا قصيدة تقريرية بآخر كتاب «الابتهاج بنور السراج» وهو شرح للسيد أحمد بن المأمون البلغيشى على منظومة سيدى العربى بن عبد الله المسارى (ص 228 - مطبعة محمد أفندى مصطفى بمصر سنة 1319 هـ) والقصيدة موجودة بالديوان كذلك من ص 225 الى 229 وهذا أولها :

شرحت سعاد صدورنا بمزار \* فبدت محاسنها بلا أستار

(3) ص : (IO) .

وقوله متوسلا الى الله (I) .

يارب عاملنا بعطف شامل \* بصباحه ليل المكاره يدمغ  
يا رب ألبسنا لباس سلامة \* من حفظك الكافي علينا يسبغ  
يا رب هب أمانا لنا ووقاية \* ننجو بها وحمى أمانك تبلغ  
انا تشفعنا بأعظم شافع \* قد فاز وجهه فى حماه يمرغ

وقوله متغزلا (2)

يا رب سائلة الاطراف غانية \* مليحة من ذوات المجد والحسب  
غزالة قد غزا الاكباد ناظرهما \* بصارم سل قصد الفتك والعطب  
تختال كالرمح أو كالغصن قامتها \* تلفعت بلباس الحسن والادب  
.....

جاءت تميل بكاس الراح قائلة \* أجب لكأسك يا ادريس واقترب  
فأطربت بلذيد اللفظ واحتجبت \* فغاب عقلى لما قد نلت من طرب  
حكى لنا بعض الاشياخ انه كانت للحاج ادريس مساجلة مع شيخ سلا  
عبد الرحمن بن حمدوش أثناء زيارته لفاس حيث استضافه جماعة من  
الاشياخ كان من بينهم الحاج ادريس ، وهو الذى «قام» (3) الاتاى ، ولكنه  
حين وزع الكؤوس مد للضيف كأس «التشليلة» (4) فسكت ابن حمدوش  
ووضع الكأس بجانبه ونظم قصيدته التى حربتها :

من دق الباب \* ما يليه غير اجابو \* غربه من جابو

من ضرتو الضرسا جا الكلابو

ويقال ان كل الاشياخ ردوا عليه وان الحاج ادريس برز فى رده الذى

ضمنه القصيدة التى حربتها :

قصر لعنان يالى غرتو نفسو وطول السانو

وابغى ايكون شيخ ابقوة لغنان

كانت وفاته سنة تسع عشرة وثلاثمائة وألف .

(I) ص : 372 (2) ص : 48

(3) قام الاتاى : هياه (الاتاى : الشاى)

(4) تطلق التشليلة على الماء القليل الذى ينظف به البراد بعد أن توضع

فيه حبوب الشاى . وقد جرت العادة أن يصب فى كأس تبقى فى

الصينية ، وكثيرا ما تختلط بكؤوس الشاى لاتخاذها نفس اللون .

(42)

ترجم له عباس بن ابراهيم المراكشي فى الجزء الثانى من «الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام (I)» فنقل ما كتب عنه الحاج عبد العزيز بك المصرى فى رسالته المسماة «مختطفات الشوق من مقتطفات الذوق» (2)، حيث قال : «اجتمعت بشيخ ذاكر مذاكر مغربى الجنس والمقام وأدبى الخلق والكلام يقال له الشيخ أحمد الحداد بن عاشر صحبته رضى الله عنه أياما بعد رجوعه من الحج والزيارة فوجدت فى ظاهر أحواله على عمارة باطنه أكبر اشارة ووقع بينى وبينه من المحبة والالفة ما أهلنى لأخذ أوراده جميعها من غير كلفة ، وقد كفانى فى فضله ما رأيت له من الاوراد والصلوات الالهامية مع ما هو عليه من الامية والعامية كما اتى استدلت مما يظهر عليه من الوجد والهيام الذى ينجذب له كل من رآه من الانام ان الشيخ رضى الله عنه خارج من حضيض أراضى الطبائع والعادات عارج فى أوج السعداء والسادات (3)» وذكر ابن ابراهيم أنه وقف له على مجموع أحزابه ويسمى «مجموع الاحزاب وتيقظ أولى الالباب ومفتاح الابواب لمن أراد القرب من رب الارباب» وقال انه سكن مدة أربعة أعوام مدينة مراكش حيث قال متوسلا برجالها السبعة قصيدته التى حررتها :

أهل البهجة الحمراء اسيوفكم بطار \* مال سيفى ما بين اسيوفكم قاصم  
وفى دخولها يقول :

أهل لحما فحماكم زايكت اوزار \* واش ماعار اعليكم سربت لغنادر  
أليوت الحضرا يا باهيين لسراد \* بالنبي تتشفع خير لورى الطاهر  
أنجوم اضياها ويا سحوب لمطار \* للذى أرضو عطشاننا ابشوم قاهر  
ثم ذكر أنه تولى فى تاسع ربيع الثانى عام ست وعشرين وثلاثمائة وألف .

(I) الترجمة 129 من صفحة 271 الى 276 (الطبعة الاولى - المطبعة الجديدة - فاس)

(2) مطبوعة مع الحزب الاعظم للمقارى شارح الشفا سنة 1300

(3) ص : 272



كذلك ترجمه والدنا حفظه الله فى الجزء الاول من «أعلام الفكر  
المغربى المعاصر بالعدوتين : الرباط وسلا (I)» حيث ذكر أنه دفن بالزاوية  
الحراقية بدرب الزهراء فى الرباط .

### محمد بوزيان

من كبار أشياخ فاس فى نهاية القرن الثالث عشر وأوائل الرابع  
عشر الهجرى ، اشتهر باستعمال نشب الكلمة على حد ما تثبت قصيدته  
«المحبوب» التى يقول فى أولها :

محبوب خاطرى من فكدو عمدالى    عمدالى والنوم ضاجر من لنجال  
لنجال عل الخند دمعها سلسالى    سلسالى تهوا كما لمطر هطال  
هطال من افرق اللى زاد اهبالى    اهبالى من فكد من اهويت اغزال  
اغزال اقلبها غيرو ما يحلالى    يحلالى وصلو ايلا انعم ابلوصال

### الحاج أحمد الغرابلى

من فاس ومن كبار أشياخ هذه الفترة ، كان يشتغل بالدراسة ثم  
تركها للاشتغال بكتابة الحروز والتمائم . كان بارعا فى «التضمين» كما  
يتضح من قصيدته «ملكة» التى يقول فى القسم الثالث منها وقد ضمن  
القافية حرفى الدال والكاف :

ايلا اوفا ميعادك

روحى انهب لفداك

ننكى اعداى واعداك

نبغى اتودنى من ودك

وازيارتى اجعلها وردك

حتى احبيب مالى بعدك

يامن اقوام قدك

مرهاف اصقيل هازم اعدوك

ويحد من ايحدوك

اضفاير اسوالف بالطيب انسيهما ادكا

تسبى عقل الى ايشاهدك

واترصع لدرار دى اتناسب ديك

كذلك كان بارعا فى نشب الكلمتين على حد ما تثبت هذه الاشطار من

قصيدته «عين الرحمة» :

أعين الرحما الرحما يا قرت لنيام

يا قرت لنيام جد لى يا بحر التعظيم

يا بحر التعظيم والفضل يا عين الرحما

وقد كانت له مع معاصره ابن ريسون منافسة شديدة تجلت فى خصومتها

التي سبق أن ذكرناها (I) والتي تدخل هاشم السعداني (2) لا صلاحها

بقصيدته التي يقول فى حربتها :

الصلاة اعلى الماحى سيد كل ما فالحي ادرج ❧ لمفضل طه وازواجـ

زين الفلجـ

وكانت له أيضا مع احمد المدنى التركمانى المراكشى (3) مساجلة

مشهورة دارت حول الايمان والعمل سبق أن ذكرناها (4) ، قال فيها شاعر

مراكش قصيدته التي حربتها :

اللايم خلى لعباد كل واحد فى حالـ

الشهادا بالله وبالرسول تكفى مولاهاـ

---

(I) الفصل الثالث من باب «الموضوعات» لدى الحديث عن الهجاء

(2) من كبار أشيخ هذه الفترة ، يقال أنه كان يتاجر فى البلغة بسوق

السباط فى العطارين ، وكان له كناش بالدكان يدون فيه قصائده .

ووقع مرة حريق فى السوق فأحرق الدكان والكناش . وقد نقل عنه

أنه قال بأنه لا يستطيع من حفظه أن يعيد كتابته ، وبهذا ضاع غير

قليل من إنتاجه . وقد اشتهر بقصيدته «دخول وجدة» التي يقول فى حربتها:

يا لاسلام ابكوا اعلى ادخول وجدا ❧ دون حرب اغنمها لعدو ونال لمراد

(3) كان درازا بحى أبى صالح بمراكش

(4) الفصل الثالث من باب الموضوعات

وقال فيها شاعر فاس قصيدته التى حربتها :

الداعى بالجهل اصغ الهل العلم وما قالوا

الشهادا من غير اعمال ليس تكفى مولاها

وزد التركمانى بقصيدته التى يقول فى حربتها :

الداعى شهد والشهادا بالله وبالرسول تكفى

واكفات وكافيا وخير فالدنيا ولاخرا اكثر

والمومن نيتو افضل من اعمالو

ومن القصائد التى اشتهر بها الغرابى قصيدته «لطف الله الخافى»

التى يقول فى حربتها :

يا لطف الله الخافى \* لطف بنا فما اجرات به القدرا

وقصيدته «ملكة» التى يقول فى حربتها :

أرايت ملكا يا مولاتى المالك \* لك العبد وكل ما ملكك

نصرو ملكا احمايت الملك

وقصيدة «المرسول» التى حربتها :

خبرنى يا مرسول عن اسراج اعيانى \* وشمس انهار نظف بوصالو عراض الزين

الله ينصر مولاي المزيان

وقصيدة «الخادم والحر» وهى التى حربتها :

قصا اجرت للخادم والحر \* يوم ظلوا فخصام اكثر على المعيار

وقصيدة «لشرف الحسين» التى يقال انه نظمها فى مسجد سيدنا

الحسين بالقاهرة ، وكان يزورها فى طريق عودته من الحج ، وقد ضاع منه

زاده ؛ ولكنه لم يلبث أن عثر عليه بعد توصله بأبناء فاطمة الزهراء ؛

يقول فى حربتها :

طالبكم ضيف الله سارخونا يا هل احسان

من يقصدكم حاشا ايخيب يا هل البيت العدنانى

لشرف الحسين

كذلك اشتهر بنظم قصائد للذكر كهاته التى يقول فى حربتها :

يا حب الهادى ضى لرمماق \* مللى نظرا فيها برماقى

كان للفرابي تلاميذ أشهرهم محمد جيسوس وعبد الهادي العامري الذي وقفنا من شعره على قصيدة «فاطمة» ، وهما من أشياخ فاس . وكان له معاصرون لم يرقوا الى درجته ، منهم :

1 - الحاج العربي الرحوي الفيلاي : من فاس ، يقال له «المعلم» وهو من فقراء طائفة احماشة ، اشتهر بقصيدته في «المحمل» ، وفي حربتها يقول :

غارا لله يالوالى \* مولى مكناس جد برضاك اعليا

2 - عبد الهادي بناني : له قصيدتان مطبوعتان على الحجر بفاس ، أخبرنا بهما الفقيه الباحث سيدي ادريس بن الماحي :

الاولى : «الدرة البهية في مدح رجال الشاوية» في ثمانى صفحات.

الثانية : في شرح ما وقع عند الفتنه التى حدثت عند خلع المولى عبد العزيز ، في أربع صفحات . وقد وقفنا من شعره على جملة قصائد .

3 - عبد السلام الزفري : من أشياخ القصر ، ولكنه أقام مدة فى

فاس ، اشتهر بقصيدته «خلخال يامنا» التى يقول فى حربتها :

خلخال يامنا تفكيرا خلأتو وامشى لى \* عجبى افيوم توفى واتقول أراه مانقول

وله كذلك «الساقى» الذى يقول فى حربته :

كعب يا ساقى كاس السراح \* كاس اعراقى فعرافى

وتض الى طايح \* وكعب للساهى باش ايطيح

4 - الغالى الدمناتى : من فاس ، وكان رفيقا للزفري وتلميذا له كذلك ، له

قصيدة «مولد النور» التى يقول فى أولها :

ابديت بسم المولى نعم لغنى الستار

باسمو نستفتح يا صاحى فاشعارى

وله قصيدة فى المدح والتوسل يقول فى حربتها :

يا رسول الله غثنى فنهار الميعاد

يا رسول الله ما يلى دونك حد اسنيـد

وقد اشتهر بقصيدة فى مدح آل البيت والتوسل ، هذه حربتها :

يا هل البيت اسياى لامت لشراف

زكت فحماكم زوكت لوصيف

لا تدوزونى يوم الموقف لعصيف

### السلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي

هو ابن السلطان الحسن الاول (I) ، كان خليفة في مراكش لـأخيه المولى عبد العزيز الذي تولى من سنة احدى عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة الى خمس وعشرين ، ثم اعتلى العرش بعد موت أخيه حتى سنة ثلاثين حيث تنازل لأخيه المولى يوسف بعد أن أمضى عقد الحماية الفرنسية على المغرب (2) يعتبر من العلماء والمؤلفين ، له :

I - العذب السلسبيل في حل ألفاظ خليل  
2 - كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع (في الرد على أصحاب الطرق)

3 - نيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح  
وهي كلها مطبوعة ، وله كذلك :

I - منظومة في مصطلح الحديث  
2 - الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع (في أصول الفقه)  
3 - ياقوتة الحكام في مسائل القضاء والاحكام

وكان المولى عبد الحفيظ الى جانب علمه وتأليفه شاعرا زجالا ، له ديوان طبع على الحجر بفاس دون تاريخ ، يضم تسعا وثلاثين قصيدة أغلبها في الغزل ، وبعضها في الهجاء والتوسل .  
ويبدو في غير كثير من هذه القصائد ميل الى العناية بالاسلوب يتجلى في استعمال النشب والتضمين .

(I) يقال ان ابنا آخر للسلطان الحسن الاول كان ينظم الزجل وهو المامون ، وكان خليفة لوالده في فاس . وتنسب له قصيدة «زعريرا» التي يحكى أنـ» قالها اشتياقا لزوجته حين تركها في مكناس وسافر الى مراكش . وهذه القصيدة هي التي تقول حربتها :

خاطري سلبتو لي يا ولد سيدنا زعريرا      ابقات في مكناس الجمـرات  
وتنسب للتهامي المدغرى .

(2) كان عقد الحماية في II ربيع الثاني سنة 1330 الموافق 30 مارس 1912 وكان تنازل المولى عبد الحفيظ لأخيه في 13 غشت من نفس السنة .  
أما وفاته فكانت سنة 1937 في انجان لوبان حيث كان مبعدا عن المغرب ثم نقل جثمانه الى فاس .

أما التضمين فنظم عليه قصيدته «زهرة» على حد قوله فى القسم الاول  
منها جاعلا قافيته على حرفى الياء والسين :

وهو ياسيدى واهواك زاد ليا واعيت امعاه افلمقايس  
وافنيت من اشغل هجرك اياسى : كيف ما يعياوا اعياس  
لاش مانفها فقياس

ننشى قولى من سر صورتك ما يسلب لكياس  
كيف ايسلبو فكرى اعيونها من دون القياس  
من اتيه اشغال الزين والكياسا

امتا انشوف وجهك ما بين اغراس حق ياسى  
فرياض طابت الياسو

الورد والزهر والخيلى كحوان جار ياسى  
وأما النشب فيتضح من حربة قصيدته «الحاجبة» حيث يقول ناشبا  
بكلمتى الراس والناس :

من اسموم الهجرا واليه شاب لى راسى  
راسى الحاجبا يهوى بدر الناس  
الناس الى تعشق حالها ما تعدر بقياس

يا حسرا الانفاسى  
وقد ساورنا شك كثير فى أن يكون المولى عبد الحفيظ ناظم هذا الديوان  
حقيقة ، وسألنا غير قليل من الاشياخ فوجدناهم يشكون كذلك ، بل أخبرنا  
بعضهم أن الديوان نظم له أيام كان خليفة لاختيه فى مراکش ، وأن الذين  
نظموه هم ثلاثة من كبار زجالى هذه المدينة كانوا من جلسائه ، وهم :

1 - الحاج أحمد الزغبات

2 - الكبير بن عطية الذى يقال انه كان كاتبا للبasha ابن داوود وأنه  
توفى فى نهاية الربع الاول من هذا القرن ، وهو صاحب  
قصيدة «بودلال اهنيا»

3 - الاحمر المرياق الذى كان معروفا بالوجد والذى يقال انه توفى  
سنة خمس وستين وثلاثمائة وألف .

والواقع أن سبب الشك عندنا يرجع الى جملة ظواهر لا حظناها في

الديوان :

**أولها :** وجود قصائد بأكملها في الهجاء بالاضافة الى أن معظم

قصائد الديوان مختومة به ، فهو يقول في حربة أحد أزجاله :

لاش تظلم قوسك تركو المن اعتن • من لا يسبح في ابحور امواجو محسوب تحشنا

خلي ريحو ما قلبت اسفان

وفي دخوله يقول :

مادري رمز امعاني نايم الجفن • ولا يوصل للدواخل لمدارك في اعلومنا

من لا يدرك نهج اعيانو

مادري كيف ارقاوا الناس فالدهن • حتى صادوا من امعانيها كنز ما فنا

بنيان ابنا اقويم عن تيقانو

مادري من لا عتق الجسد من اسجن • يرمى جهل لعلوم فاقفر خليان من ابلادنا

يقطف مسموم ويهيج في تفنانو

واش تعتدا بفكرت الجاهل الفن

من لا يقرأ اكتب علمانو فاهم كيف اصنعنا

وقت ما يروى ايزيد امحانو

ويقول في آخر قسم من «المرسوم» :

شتم اقديم شاننى • ما نرضاشى ابقولهم

نفخما هلك تركنى • من شاتم في انظامهم

من يتعاضم ما يلوشان • حسبو ادميم مالو فالخلق امزيا

ما يرقى في ادروج اسنان • طبعو ابهيم ما فاز اكل انويما

حتى لو طالوا بهتان • فالحين ما يرجعو الا مخزيما

ويقول كذلك في القسم الخامس والاخير من قصيدة «كنت هانى» :

كل دعوا بفنون القول صاهضا • ناس الدعوات ما يلهم تفويض

ماداروا امعاني ترجيح ولقضا • حتما ليا انجبهم في تربيض

كل مايا يفصح بها امخوضا • ليس يسوا اكلام ناس التخويض

ما نبالي بكلام الدور افلفضا • حق لهم جيت معراض اعريض

ولسنا نتصور شخصا جمع بين مركزين عظيمين : الملك من جهة بما يفرضه من سلطة وسلطة ، والعلم من جهة ثانية بما يكتسى من صبغة التجلّة والاحترام ، ثم يكون له في نفسه هذا الاحساس بالمنافسة وما يترتب عليه من خصام وهجاء لرجالين آخرين ، مهما علا شأنهم فهو دون الملك العالم ، وما نظنهم كانوا يجروؤون على مواجهته أو مبادلته نقدا أو معارضة بله الخصام والهجاء ، وهو فن لا شك يقوم على المواجهة والتبادل .

**الثانية :** تغزله في نساء يذكر أسماءهن مثل :

«حجوبة» التي يقول في حربة قصيدتها :

واعلاش يا محجوب نساك وافراقك عز اعليا

وادموع اعيانى لضناك ساهرا داج

و«رقية» ويقول في حربة قصيدتها :

اليوم نبغى ارمزك يلمع بالشفير ❖ زورى رسمو ايزول حقا تخمامـو

بشرى بمجيك يالريم ارقيا

ويقول فيها قصيدة أخرى هذه حربتها :

كنت امسلى اقديم من قبل انشوف ابصارو

من صالت بالزيين ولفخـر

تستاهل فالريام تعظيم النصر ارقيا

و«امينا» التي يقول في حربتها :

شير بحداقـى ❖ واعط امدام صافى بالرضا الاشواق

بوجود امينا ليلت لبها شارقا

و«لالا ربيعا» وفي حربتها يقول :

الله ينصر زهو اللحظيين ❖ والظرافـا مصباح الزين لالا ربيعا

لوجيبـا نور المطبوع

وله فيها قصيدة ثانية يقول في حربتها :

ربيعا قوت الروح ❖ من اهوها نرجا منو اصلاح

يوم اتواصل بعطوف عاينا بفصاحا

و«زهرا» وهذه حربتها :



لازلت امن اهواك فانزاييه واعراس  
كيف نقطع منك يا زهرا اياسى  
وله فيها قصيدة ثانية هذه حربتها :  
عنوا اليوم زارت زهرا لرسام ناكرا  
نكوا قلب اللى ما ادرى  
من خزرات اللحظ منها واسهوم  
و«هنيا» ويقول فى حربتها :  
دام الله ابها امحاسنك من فاقت لهلال  
قد اسهوم البين والمزارك دون ادزيى  
من لازال القلب كايراجى بك اهنيا  
وهى ظاهرة نراها تتناقض مع تقاليد الملوك العلويين التى تقتضى عدم  
الكشف عن نساء القصر والتصريح باسمائهن حتى لا يعرفن ، وخاصة من  
تكون لهن مكانة فى نفوسهم .

**الثالثة :** المعاناة من الحب واطهار الخضوع والطاعة للمحبيب  
على حد ما يبدو من حركات القصائد المشار اليها سالفا ، وعلى حد ما يقول  
فى الابيات الاولى من قصيدة «الغروب» :  
ذكرنى لغروب فى اصفورتو لونو مغير  
ظن اخليل اصفا من اقوال العادل بهديس  
واتوارى لحجاب ترك رسمو منو مهجور  
وافجات اسرارى وحالتو عديت المدرار  
من طعنوه اشفار الريام باللعنا فاضمير  
واتهدم صبرو لادري من حكمو مشهور  
واتمادى هولوا من اسكاب ادموعى فسحار  
واتحكم قولوا افساكنى واسرع بالنذير  
يا حسرا لسموم مالكى من صعبو بالنفور  
ما حادر عيبى ولا فهم ابشارت لشفار  
كن اظلام الليل حامل من قبحو تغيير

خلانى بضناه فى امهامه حكمو مقصور

وافنايا واصفورت ورقتى يعطوك لخبار

لاش اتزيد اتسال امن احوالو يكفيك اخبير.

والعارف من شوفت لعيون ايميز مدعور

ويقول فى حربة قصيدة «زهرة» :

بالتيه ولبها والشفيرين اتزاد هول اعايطو

من يوم فيه زارت زهرا ونا فى احكام شطط

ويقول فى آخر قسم من قصيدة «هنية» :

من بايع للزين واللبا والتيه الدلال

وامطايب لحديث كاتخامر به اغنياسا

ما مثلو سلطان امن اسلاطن سعدويا

فمثل هذا الشعور لا يحسه ملك ما نظن الا أن الحياة كانت متيسرة

له بمختلف امكانيات اللهو ووسائل الامتاع ، وأنه كان يأخذ منها ، ان لم

يكن فى اسراف ، فيما يكفيه لوعة الحرمان . وحتى ان كان يحس شيئا من

ذلك الشعور فتخوة الملك تحول دون اظهاره والتعبير عنه ، الا أن يكون

حديثه فى ذلك من باب المحاكاة والتقليد .

ومع هذا فنحن نلاحظ ظاهرتين لعلهما تحولان دون ترجيح الشك الذى

ساورنا ان لم تنفياها :

**الاولى :** ان الديوان طبع فى عهد سلطنة المولى عبد الحفيظ كما

يتضح مما كتب فى الصفحة الاولى عنوانا له ، حيث نقرأ :

«هذا ديوان فائق ومجموع رائق بارع عظيم الشأن شامل الدرر المعانى

وفحوى البيان جمع من الملاحاة أصفاهها وأعلاها ومن الرقائق والحكم أوفاهها

وأغلاها فأصبحت به نفوس ذوى الادب فى ابتهاج وهمم العوانى فى تحريك

وانزعاج ، وكيف لا وهو من بنات افكار من لا يضاهى نجاره ولا يماثل

فخاره ، كوكب الادب الوقاد ، الناظم الناصر ، المشارك الحجة النقاد سلطان

البلغاء الذى تاهت العقول فى تصانيفه وحارت الاوهام فى فنون تصاريفه

أمير المومنين ناصر الملة والدين سيدنا مولانا عبد الحفيظ ، لازال حسامه

منتصبا لكل فظ غليظ ، أدام الله نصره وتأييده وخلد ملكه وماثره العديدة  
آمين» .

**الثانية :** تتجلى في النفس الذي يعلو هذه الازجال ، وهو  
نفس - يبدو من الشعر الذي سبق أن مثلنا به - أنه غير طبعى ، نحس فيه  
بعض التكلف ، كأن الناظم ، لطغيان اللغة المثقفة عليه ، يجد صعوبة فسي  
استعمال اللهجة الدارجة وتطويعها للتعبير . ثم انا لا نلبث نلاحظ بعض  
التعابير العربية التي لم نألفها عند الزجالين ، منها استعماله «حيص بيص»  
في آخر بيت من أول أقسام قصيدة له في التوسل والاستغاثة حيث يقول :

من اعلا واطقى اتهد ذاتو يا لجليل  
حتى يبقى ايشوف نفسو لدليلا  
في حيص وبيص ما سالى بالحيلا

واستعماله المثل العربى «الصيف ضيعت اللبن» في آخر دخول  
قصيدة له في الحكم حيث يقول :

عاد يبحث الشخص افغير ما تقن \* قل المن جايرمى اشهاقو فى اكلامنا  
الصيف ضيعت البانو

واستعماله «خبط عشواء» في أواخر أبيات قصيدة «الداعى» حيث  
يقول :

لاتعانء جاهل يهوا امخابط \* خبط العشوا ما يمثل تخباطك  
والى معدور ما يخيظ اخياط

### أدريس العلمى

شيخ أشياخ فاس بعد الحاج احمد الغرابلى ، أخذ عن الشيخ التهامي  
الغرفى الفيلالى الذى كان مقيما فى فاس يحترف البناء . كان يقصد  
الأشياخ من كل مدن المغرب ليأخذوا عنه كلامه ، ومن خارج المغرب كذلك  
حيث يقال ان بعض أشياخ الجزائر كانوا يقدون عليه أمثال الحاج محمد  
العلقا وقاضا الكصاب وعبد الكريم دالى والمنور التلمسانى ومولاي الجيلالى  
الزيانى .

كان بارعا فى قصائد «التصلية» ومدح الرسول عليه السلام ، على حـد

ما تثبت قصيدته «عين الرحمة» التي يقول في حربتها :

يالهادى عين الرحما الحال ضاق     غشنا يا محمد طيب لخلـوق

ومن تصلياته هذه التي يقول فيها :

صلى الله اعليك يالماحى محمد ياشريف لاسم سيد لملاح

يا من بك الناس فارحـا

من شهد بك نال ربحو واصلاحو

اصلاتك كنزى ورأس مالى وربحى واذخيرتى اصلاتك هى المفتاح

تفتح لى لقفال قاصحا

واتلين لقلوب بعد يقصاحو

وكان بارعا كذلك فى قصائد التأمل والموعظة ، ومنها قصيدة وقفنا

منها على هذه الابيات :

لا غنى يرحم ابلفقير معتنا لقلوب اقساها

اقسى من لحجر يفجر سيل ابمـا

لا صغير ايوقر لكبير قلت الناس احياها

والخمر والميسر والزنا جاهم يا محـلا

لاصلا فى اوقتها ولامن فيهم اداها

من غير الغيبا امع اشتهم والكذاب الخـا

غرتهم الفانيا وعادت لهم انزاها

ولا انساوا الآخرا وكل واحد ماذا يرجـا

ابسطنا لكفوف للذى خالقها مولاها

وينجينا سامع الدعا من شر ويـلا

يكرمنا بالدين وليقين والخمسا واصلاها

والتقديس والحمد وشكر للمعبود اللـه

وقد ظهر تفوقه فى الغزل من قصيدة «غارو لعواتق» التي لم نوفق منها

الا الى هذه الابيات :

غاروا لعواتق من اجمالك ياد البدر الشريف يازهو العاشق

ياللى زينك ما رينـا

مكوانى فايق امن اجفاك أولفى جفنى وسيف تيهانك واسق

كل كهلى بحمول اسفـا

مدرا يا حادق واش قلبك عن محبوبو اشفيق من حالو شافق  
ياللى غيرك ما نهواه

بالقول الصادق يالبدر عوضك مالى اصدىق لن حبك سابق  
افلكنان امورث مثواه

والسابق لاحق امن اجبينى كتب اقلام اترفيق سبحان الرافق  
ما يواخذ عبدو بخطاه

وقد وقفنا في أوراق للشيخ أحمد سهوم على قصيدة في رثائه لم يذكر  
ناظمها ، نسوق منها هذه الابيات :

وكتحت لعيون يا حبيبي من لدموع  
والقلب من لفراق محسوك امقطع  
والجسم ابد العذاب يا سيدي مصروع  
والعقل امع الضمير بالشوق اتزعزع  
واسياري واهنا اوجدانى ملسوع  
والنفس املاحقا افصدري للميع  
والروح السايبر امع النعش المرفوع  
يمتا تسخا ابذاك لضريح اترجع  
الصبر اعلى لفراق ما عطاني طوع  
بعد ما كان عند الشدات امطوع  
باكى شاكى افريد ما رايم لجموع  
انقيـل فالضنا ونمسي نتزع

#### مجهده المدغرى المكنى العيساوى الفلوس

آخر كبار أشياخ فاس ، توفي سنة خمس وخمسين وتسعمائة وألف  
وهو دون الستين . انتسخنا غير قليل من قصائده من كتابين لحد حفاظ  
شعره كان يشتغل معه في الدرازة هو السيد ادريس المروني الفاسي .  
كان ينظم في كل الفنون ، ولكنه اشتهر بالقول في الموضوعات  
الدينية ، ومن خير الامثلة على ذلك قصيدته التي يقول في حربتها ، وهي

فى مدح الرسول عليه السلام :

صلى الله اعليك ياالتقى محبوب الباقي \* يا مولد الحجا الواثقا  
يا محمد صاحب اللوا والتاج والبراقى \* لغرامك لخلق شايقا  
وقصيدته التى يقول فى الشوق للديار المقدسة ، وهذه حربتها :

يا مولى زكى اسمى باسم الحاج \* ابجاء من حج وطاف وزار حرم طه  
وقد اشتهر كذلك بقصائده الوطنية ، ومنها هذه القصيدة التى مدح بها  
محمد الخامس ، وفى حربتها يقول :

دام الله ايام صولت النور المحمدي

من به اضوا نجم غربنا سيدى محمد

حاز الفخر ومجد ولمزيا نجل المهتاد

سلطان المغرب نورنا سيدى محمد

ومنها قصيدة «النجمة» التى رمز بها للحرية ، وقد جعل الليل والنهار

يتصارعان من أجلها ، يقصد بالليل الاستعمار ، وبالنهار الوطن ، يقول فى  
حربتها :

سمعوا يا حضار ما جرى للضى البهيم

عن حسن النجما اتحاربو فى ساير لاكم

وانصار الضى وحازها الرسمو وانجاز اللوم

وقد ذكر لنا الفقيه السيد محمد بن الهاشمى الفاسى - وهو من حفاظ

شعر الفلوس - أن كثيرا من قصائد هذا الشاعر الوطنية ضاعت بسبب

احجام المنشدين عنها لخوفهم من سلطة ادارة الحماية ، بل ان الفلوس نفسه

خشى الامر بعد أن حذره رجال السلطة فأخذ مجموعة من قصائده الوطنية

ودفنها فى احدى المقابر حتى لا يعثر فى بيته على شىء منها اذا ما فتش ،

علما بأنه كان غالبا ما يخفى اسمه «محمد» فى قصائده بمثل هذه الرموز :

(1) اسمى لللا والبا .

(2) اسمى كعب .

(3) اسمى عبك .

وهى كلها كلمات مجموع قيمة حروفها اثنان وتسعون ، وهى قيمة

حروف م ح م د ، ولكن السلطات الاستعمارية كان لها من عيونها —  
وجواسيسها من يدركون مثل هذه الرموز .

### بنعيسى الدراز

أكبر زجالي مدينة مكناس منذ بداية القرن ولا يزال ، وهو رجل  
مسن يناهز الثمانين وأمي ، كان يشتغل بالدرازة ومنها اكتسب لقبه ، زارنا  
في بيتنا بفاس لمدة أيام أملى علينا خلالها بعض قصائده وقصائد غيره ، وأفادنا  
بأخبار ومعلومات كثيرة يتصل جلها بمعاصريه .  
يكاد كل شعره يكون في الغزل ، ومن قصائده التي يعتز بها «زهرة»  
التي يقول في حريبتها :

بمزاري بمزاري • جدلي بوصالك نبراً

يا مولاتي زهراً

ويقول في دخولها •

سلطان حبك اسكن لي فصميم السيار

يا راحت لعقل يا قرت لبصار

يا طلوع البدر السيار

شف دمعى هاوى مدرار

ورخ اسطار

فوق لخدود بجهار

والبين زاد حسراً

وكند جمرأ

اكدات حمراً

ما تطفئها امياه لنهارى

ولا اطبيب يوقى من ذا التشحار

ثمضارى ثمضارى \* افنا ونرجا مول القدرا \* يشفى ذاتى تبرأ

### الحاج محمد بن عمر المالحونسى

شيخ أشياخ مراکش ، زرناء في بيته حيث قضينا معه يومين أملى

علينا خلالها من كنانيشه مقتطفات من قصائده وغير قليل من الفوائد. وقد ذكر لنا أنه تلمذ على الشيخ اسماعيل عميد الزجل في وقته ، وأنه كان ينظم في ملاح مولاي يوسف (I) جند الملك الحسن الثاني ، وإن عمره الآن يقرب من الخامسة والسبعين . وهو على جانب غير يسير من المعرفة فضلا عن القراءة والكتابة ، وينظم في كل الفنون . وقد واكب بزجله الحركة الوطنية في مراكش ونظم قصائده في أزمة نفى محمد الخامس سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وألف .

وفهمنا من كلامه في السرابه أنه خير من نظم فيها من أشياخ العصر . ومن سرابة له يصف فيها ثورة الشعب على اثر نفى السلطان نسوق هذه الأبيات :

يا علي معظم يوم السبت بانت ارجال  
فالمدين خرجت بطراردها كاتقاتـــــــــــــــــل  
شبان افحول خالرجين اكفول  
ذالها جذبان الحال سار في حال  
كل واحد بلسانو كيصرخ قايل  
وينادي فالحججايف ولحفول  
يا هل الشعب المغربي اكهول واطفال  
ما بقى بعد اليوم اصبر يا لسايل  
به الشبان بالجميع اتقول  
يوم لخميس (2) امضى وابقى الحرب مازال  
عمر الثورا ماتنها الشعب حامل  
واليوم اهلو سيبو لحدول  
والشيخ ابن عمر لا يتجاوب مع أحداث وطنه الصغير فحسب ، وإنما هو يتجاوب كذلك مع وقائع الوطن الكبير على حد ماتتبت قصيدة قالها في حرب فلسطين الأخيرة (3) ، هذه حربتها :

---

(1) تولى على اثر تنازل أخيه مولاي عبد الحفيظ سنة 1330 هـ الموافق سنة 1912 م وتوفي سنة 1346 هـ الموافق 1927 م حيث خلفه نجله محمد الخامس .

(2) إشارة الى أن النفي تم يوم الخميس (20 غشت 1953) .

(3) خامس يونيو 1967 .



صوموا بيت المقدس يا رجال النجدا نصروا الدين يا أهل ليما  
واحموه من لعدا اتفر منو ساير ليهود  
ومن أروع ما للشيخ ابن عمر بعد سراربه ووطنياته قصائده الغزلية  
كما تثبت هذه الابيات من «أمينا» :

أمينا حبك نيران	✦	اعلى نيران
كاديا فميم الوجعان	✦	وسط اكفان
أمينا عاذى لوزان	✦	أو الطوفان
فوق خدي أو الويدان	✦	فالجرياني
أمينا قلبي لهفان	✦	جسمي سخران
لاتخليني فالحرمان	✦	راء اضناني
أمينا مانى نعدان	✦	مانى يقظان
كيف بت انقى ولهان	✦	وسط امكانى
أمينا قلبي ملاق	✦	محننا واحزان
مابقى ينفعنى كتمان	✦	بين امكانى

### مشهورات الزكري

أكبر شيوخ الرباط المعاصرين ، وممن كانت تشده اليهم الرحلة .  
والاسف أنا لم ندركه حيث كان قد توفى حين بدأنا نعى بهذا الفن .  
كان كثير النظم في الازمات السياسية والاقتصادية على حد ما تكشف  
عنه قصيدة له فى التوبة ، يقول فى حربتها :

يا طالب لمان	✦	تب واعمل ما أمر به ربنا
وفى بعض أقسامها يقول :		
حدثك بلسان	✦	ساكن الساكن كان اتريد وعظنا
والى زاد ايبان	✦	ما حضر قبر اللي يكرهنا
قالوا ناسى ازمنا	✦	ولا بنى لنا قصر الى ايجنا
لو طاروا جنحان	✦	ما يلو قدرا لنفعنا وضرنا
واش اللي مديان	✦	كيدان أمرو معروف عندنا
ما وافق صدقان	✦	غير من كره اغلب ايدى املينا
سال اهل التبيان	✦	والحديث ايبخبروك ابغاي لنا

وانصت للقرآن \* لا تجسس على لقوام المؤمن  
واجز هل لحسان \* ابلحسان او بدعوت خير عمنا  
لا تشهد نقصان \* افلعباد الى بالمولى اميقنا  
لا تعمل عديان \* غير زوج الى هم اسباب اذنبنا  
لفسق والشيطان \* خالف امرهم قبل انشاهد لفنا  
ومن شعره في غير هذا الموضوع قصيدة في الهجرة النبوية ، هذه  
حربتها :

يا محمد يا خير خلق الله \* صلى الله اعليك يا طه

### عبد القادر الجراوي

من كبار أسياد الرباط وأحد أعضاء جوق الاذاعة للطيرب الملحون ،  
وهو تلميذ الشيخ عثمان الزكي ، تذاكرنا معه غير ما مرة فأفدنا منه ؛ ولعله  
أكثر الاشياخ المعاصرين ثقافة ومعرفة بأصول الزجل وقواعده . له دكان في  
حي فران الزيتونة يبيع فيه الدقيق ، وكان من قبل يحترف فيه النجارة .  
من انتاجه قصيدة في أزمة البون «بطاقة التموين» يقول في حربتها :  
حرت ابلت لبزار والفاخر  
والزيت والسمن والصابون امع السميد عاد اهموم السكر  
وقصيدة في الذكر حربتها :

اللهم صل على النبي راكب البراق

محمد الزكي نعم المجيد التقى  
وله في معارضة «الداعي» (I) لعباس بوسنة المراكشي قصيدة هذه  
حربتها :

تاڭ بشار السعد وفرحنا اكمل

ومن اظلمنا القى افعالو واعمالو

الويل رام لو \* ولى عند الناس فالمهمل

(I) وحربتها :

راب سور الدعى واتشنت الشمل \* وارجالو ما جزوا ليه اعلى مالو  
جاء عاملو \* لمرقى شانو افكل اعمالا

وفى أحد أقسامها يشير الى فرنسا وما لاقت من ويلات فى الحرب العالمية  
وما واجهت من الوطنيين فى حركة «اللطيف» المشهورة ، فيقول :  
يامن اعياء كهلو بتقال ادلحمل \* فالحين ارميه جاب ربى حمالو  
اللى ايحملو \* ملا كان افطرقتو لحمالا  
غير جاير كان امن الجور ليس مل \* ويقول اهمام ابلجيوش وعمالو  
ومن احتملو \* وارضواوا اشروطو ابغير ايমা  
كان ظنو باقى دالشرط ينكمل \* لكن الله جاب لو من رتمالو  
ابشر دام لو \* بسيفوف اللطيف والبسملا  
بعد عزو فيامو صادف لهممل \* ضاع املكو وزاد بهلو وابمالو  
الهم شاملو \* عاد يشتهى طرقت الحمالا  
بات ملك واصبح ينكس لخممل \* ويختم فى ابلاه شى ايكون اعمالو  
واسقام لو \* ليس اوجد لبدو اولاً لكمالا  
ومن أروع شعره قصيدة «ألف باء» تتبع فيها حروف الهجاء ، ليس فى  
أول الايات فحسب وانما فى القافية كذلك ، يقول فى حريتها :  
يا راسى من لوزار تب \* واسترجع من وهم لعيوب  
تنتهى واترك فعل الذنوب \* خاف الله التواب  
يبدأها بقوله على حرف الالف :  
أسم المولى فالمبتدا \* ساس النظام افما انشأ  
واللى بها جيحو املاً \* يدرك بها مرتساب  
الى أن يقول على حرف الياء :  
يارب كمل لى ارجى \* جاوز عنى وامحى اخطاى  
يوم اسؤلى ايحضر و امعـى \* ليس يعجز افعـى  
ثم يختمها بتوسل يتتبع فيه الحروف على هذا النحو :  
بالالف الف بيننا \* وآتى بالنصر الديننا  
انتبعو منهاج ايقيننا \* ايعود احكمننا غلاب  
.....  
بالياء يسر أمر الضعيف \* عبد القادر يمشى اخيف  
تسم الميسر الشريـف \* ثم يفتتح تسمساب

وواضح أن القصيدة بائية حيث جعل الروى باء في كل الابيات ، ولكنه نوع في قوافي الاشطار الثلاثة الاولى من كل بيت . وقد ذكر لنا أنه يطلق على هذا الأسلوب اسم الدربلة والعزودة والمرشوش (I) والشيخ الجبرارى بعد هذا مشهور بقصيدته في «المعراج»

### الشيخ المشهور المعروف

شيخ أشياخ الرباط والرئيس العالى جوق «الطرب الملحون» بالاذاعة المغربية ، وهو على قسطن لا بأس به من المعرفة ويشتمل معاصرها على السموى الرئيسية للخضر . أطلعنا على بعض كتاباته التى اتسمت بنفسه وأخبرنا أن أكثر نظمته فى الغزل ، من ذلك قصيدته «فوزية» التى يقول فى حريتها :

صل بجمالك عن جمع لبنات يا قد الرايا  
ياخدود الورد المفتوح ياغزالى فوزيا  
وقصيدته «نزهة» وهذه حريتها :

أش يزها من لايزها ايزين مولاتى نزها  
أش را من لاغنم امع لغزال فرجا وانزها  
وقصيدة «كريمة» وفى حريتها يقول -

جسد ابفايت لمرام : يا مصباح الخودات لالا كريميا  
بمردنى رانا المشروم : نضحى سالى مكرم  
ومن أروع قصائده «الحمام» ، يقول فى حريتها :

بالله يا حمام ادى عنوانى امع السلام  
لسبيغت النواجل آمنة زينت السميما

و «الخاتم» وحريته :

خاتم وفى تاج لبها اتوفر وامشى لى -

كيف المعمول ايتا اتسأل عنو درت لجمال  
كما أن له بعض القصائد ينظمها فى المناسبات الوطنية كقصيدته التى قدم فى الصيف الماضى بمناسبة ذكرى «ثورة الملك والشعب» فى العشرين

(I) الدربلة المرقعة ؛ العزودة : دودة سوداء مخططة بالاصفر ؛ المرشوش : شغل أبهى من الغزل بالرائع الخرم .

من غشت ، والتي يقول في حربتها :  
من اعطاهم ذكرى يامن اتسال تاريخ امخلد  
ثورة الملك امع الشعب يوم الاستعمار الغاه

لكن المولى جاد اعلميه أيدي واكرم مشواه

### نظم أسودن آتشرون

نبغ من المعاصرين كثير من الرجالين غير من ذكرنا ، منهم من وقفنا  
على نماذج من إنتاجهم (I) ، ومنهم من لم نشف لهم على شيء ، نرى تكملة لهذا  
الفصل أن نستعرض أسماء بعضهم مرتبة حسب مدتهم :

#### أولاً : عراكش :

I — العباس الحرار : صاحب «الشيبيبة» التي يقول في حربتها :  
ياغابط فاحوال الفانيا استرجع ❖ شف الدحيا بعد اكجالتا بياضت  
وله «الفجر» ، يقول في حربته :  
يقل جفئك يانايسم ❖ قم اتودي حق لكريم من لاينام  
مولانا خيرو دايم

وقد وقفنا له من قصائده على «الوصاية» وعلى قصيدة فخرية .

2 — أحمر العراس : كان بارعا في قلب القصائد ومسجها ، وقد  
سبق أن مثلنا لذلك (2) .

3 — عباس بن بوست : كان قهوجيا ، وقفنا من شعره على ثلاث  
قصائد ، أحدها في أحوال الناس والفتان في الهجاء . له كذلك قصيدة  
تأملية يقول في حربتها :

لاتنرب فانغرب امع فخرابسا ❖ الغرب اغريب سايرا فيه اغريبا  
من اغرايبو عن اهلو غربا

كان كثير الميل الى الحكمة والموعظة ، ومن أشهر أبياته التي سارت  
كالمثل قوله :

- 
- (I) انظر الدليل الملحق بالرسالة .  
(2) انظر آخر الجزء الاول من فصل «مع الحيات» من باب الموضوعات  
بملاحظة من شعر الفكاكة .

يحصد حب لكذوب من ازرع المحال

4 - محمد الروداني : له «خديجة» ، وفي حربتها يقول :

يا هلي رغبو فيا بوشغار وداجيا      شمس الضحا الواضح كمرأ في داج

في داجي في داجي كان راجي لك اخدوج

5 - محمد بن موسى الشريف : كان بارعا في النظم على وزن مكسور

الجناح ، ومن شعره نسوق هذه الابتهالات :

مرغت في ابواب رحمتك هاذ لخدود

وانويت فيك يا سيدي ظن اكميل

ايلا اعصيت أنا عبد اذليل

طامع فالخير اقريب اجزيل

ما نخاف امن الدنيا ايلا اصفات ايماني

ومن اطلب شئ ايقصدو ايلا اصفات النيا

وقد وقفنا من قصائده على : «لغزال محمد» و «الحجام» و «زينب»

6 - عبد الرحمن بن الحاج الطاهر : كان دباغا ، توفي منذ نحو ربع

قرن ، له «شمعة» ولكنه جعلها خصاما بين بنت البر وبنت البحر ، اذ

أن الشمع اما ان يتخذ من شهد النحل أو مسحوق السمك ، وهي فريدة

من نوعها ، يقول في حربتها :

غنمي غايت لفراح ألسمعا بك أبنت الطميم لخلق زاهيا

عيمي لي سبت لبكا من قادم للآن

7 - ولد احجام .

8 - مولاي ابيه .

9 - محمد بن لكبير : من كبار الاشياخ المعاصرين ورئيس «جمعية

هواة المصنون» ، قابلناه في إحدى زيارتنا لمراكش ، وهو مسن يناهز الثمانين

ومن قصائده التي يعتز بها قصيدته في حرب فلسطين الاخيرة

وهذه حربتها .

الله أهل لسلام بادروا بالتوبا واستغفروا وطلبوا مولانا

يفجى هذا الغما اعلى لجميع ايشفى لمصاب

10 - محمد المختار الشرايبي : اشتهر بقصيدته «مول الكمية» التي

قالها فى الشيخ عبد العزيز التابع . ونذكر - ونحن فى سن الطفولة - أنه كان يزور السيد الوالد كلما حل بالرباط وانه كثيرا ما كان ينشد قصيدته المشار اليها و«الفاشية» ، وكنا نحفظ غير قليل من أبيات القصيدتين لكثرة ما كان ينشدهما .

وهو ينظم فى المعرب كذلك ، ومن شعره فيه قصيدة يمدح بها السيد فتح الله بنانى الرباطى شيخ الطريقة الفتحية الدرقاوية ، يقول فى أولها :

آل فتح لكم جمال بديع \* طاب أملا ومنه طابت فسروع  
لاثحا فى الوجود بدرا منيرا \* ماله مشبه ولا من يروع  
طلعت شمسه على الكل بالفتح يراها \* من كان فيه ولسوع  
طبق الارض ذكره وله \* فى كل افق من الفتوح جموع  
بل ان اللغة المعربة كانت تطفى عليه حتى فى زجله على حد ما يبدو

من الابيات الاولى لقصيدته «مول الكمية» حيث يقول :

أمول الكمييا \* لله غير اعليا  
اطلب ربى فييا \* يوفى ليا قصدى  
بك اتوسلت لله \* وبجاء ارسول الله  
قدرك ما نتمناه \* أطالع السعد

II - محمد بن بوستة : من الاشياخ الناشئين ، قابلناه فى بيت شيخه الحاج محمد بن عمر بمراكش فأملى علينا نص «التويضة» التى اشترك فى نظمها مع الشيخين ابن الكبير وابن عمر والتى تقول ردمتها (I) :

وادرك هاد لمريض باللفظ الخافى

ثانيا : فاس :

I - الهادى بنانى : كان عطارا

2 - محمد الجابرى : كان درازا وكان معروفا بالوجد ، له «فاطمة» .

3 - محمد لحلو : صاحب قصيدة «البون» التى حربتها :

يانعم الستار \* جد برحمتك ياالكريم غشنا

توفى منذ سنوات قليلة

(I) للتويضة «ردمة» كالمروبي ، وهو الاسم الذى يطلق على آخر شطر .

4 - عبد العزيز بن ادريس الوزاني : وقفنا له على قصيدة «سابع الشفر»  
وأخرى في المدح النبوي ؛ ويقال ان له قصيدة في «الزهو» فاق فيها التهامي  
المدغري . ومن أشهر شعره قصيدة في مدح الرسول عليه السلام ، يقول  
في حربتها :

عول ياساهي اعلى الرحيل احتال \* اصغ افايت الرسال هاك لمشال  
واتعلق فالماسي اوزوكة فالبتول اترك لخديل

5 - عبد العزيز اعنون : وقفنا من شعره على «أم كلثوم» .

6 - محمد الشنتوي : له «الياسمين»

7 - الطيب الدباغ : له التوسل الذي يقول في حربته :

عاري اعليك يا محمد \* لله لا اتشافي فيا لعدا

8 - محمد الدباغ .

9 - غلال العلوي : هو أخو محمد بن عرفة الذي نصبته حكومة  
الحماية الفرنسية سلطانا على المغرب بعد أن نفت محمد الخامس . وهو  
مقاوم في البناء ، قابلناه في فاس ، ووقفنا من انتاجه على قصيدة «المجد»  
من مطالع قصائده قوله :

أنا تكلّي فالله يوقيني \* لتقديم الدائم من لا ينام اولا اتراه اعيان  
جيد لجواد الا ايحافيني \* المالك لكريم الغني من لا تنطرد من بابوسعيان  
ومن قوله في المدح النبوي قصيدة هذه حربتها :

صلوا على الرسول التقى طه ايمام هل ليقين

محمد الشفيع الشافع من جا ابشير بالقران

ومن شعره في الوعظ قصيدة «الفجر» التي يقول في حربتها :

يارب جد جدلي \* بالتوبا أباسط المستر

نخلف ما ضاع افلعمر \* نفدي ما ضاع لي

اخطيا وانعود امقابل لفجر

أخبرنا شيخ مراكش الحاج محمد بن عمر المالحوني أن الشيخ العلوي هو  
أحسن زجالي فاس المعاصرين .

10 - عبد القادر الودغري : تلميذ بوزيان ، كان درازا في فاس ثم

انتقل إلى الرباط موظفا بدار الاناعة . من شعره الذي قوله من قصيدة .



المومن ايكون اعتقادى اصحيح فالله

عند باب التوحيد احبب حق يحميه

ولو ايكون انحلقيه الليث فاتح الهاه

ينفضا ابقدرة السميع ما يحاديه

ولو ايكون افمنصب طجار حاط بعضاه

يتعدى مفدى ابراهيم ما اتاديه

ولو ايكون اعلى نحرو سمن سيف مضاه

ينفدا مفدى اسماعيل طوع ابييه

ولو ايكون ادخل بطن الحوت بست اخطاه

ينفدا مفدى ابن كنعان يونس انبييه

هكذا حال امن اختبرو الحى مناز

للصبر ينحاز افراجو ايبادر ايهون

ومن شعره الغنائى قصيدة «جمهور البنات» وفيها يقول :

آش را من لا را هيغلان \* بلسد لخر فيها واثبات

بالكياسا والميز اكما اشهوتى \* والباقا فالزهو الا فيها باس

وكل وحدا تنهض فرحا ابزورتى \* بجفال امنظما للزهو انفس

غير لوتارولخ الفا اسجيتسى \* من صوت الباهيات ونض حساس

حيث وقفوا للرقص افجات كمربتى \* دى عن هاذى اتميس كغصن الياس

II - أحمد سهوم : من أشياخ فاس المقيمين فى الرباط ، كان له

طوال سنة خمس وستين وتسعمائة وألف برنامج يقدمه فى الاذاعة بعنوان

«ركن الادب الشعبى» استفدنا منه . وقد أطلعنا على بعض الاوراق والتقاييد

فأفدنا منها غير قليل من النصوص والمعلومات . وفيها وقفنا له على قصيدتين :

احدهما «محكمة الضمير» والثانية فى تحية مؤتمر القمة العربى الذى

انعقد بالدار البيضاء فى سبتمبر من السنة المذكورة .

ومن شعره كذلك قصيدة قالها فى مدح الملك الحسن الثانى بمناسبة

الدروس التى يحييها فى شهر رمضان المعظم ، يقول فى حربتها :

ياراحت لرواح ولقلوب امع لفكار

والمهجات ولكباد يا رمز وحدة شعبنا

يا تاج اوطانا الحسن الثانى

وله من القصائد الغزلية «سعاد» ، وفي حربتها يقول :

ياللى سعدى بك اسعاد \* فى اركابك ساير لسعاد  
سعداتي ياسعاد منك اسعادي \* سعد سعدى بهلال اسعود السعديا

### ثالثا : الرباط :

1 - الشيخ فاضل : كان حجاما

2 - الشيخ التهامى : ابنه ، ويذكرون أن له قصيدة جفريه قالها  
فى التنبؤ باحتلال فرنسا للمغرب تسمى «الموندو» ، والاسف أنا لم نهتد  
اليها

3 - المعطى بن صالح الشرقى : وقفنا من شعره على قصيدتين فى  
«الذكر» .

4 - محمد بن احمد الشرقاوى : شيخ عثمان الزكى ، له قصيدة فى  
قبة بناها السلطان الحسن الاول يقول فى حربتها :

فرحوا يا اهل النيا جل افرايح \* اعلى فرحتنا يفرح كل اوطان  
اعلى قبتك ومولاى الصالح \* بانيتها لهما سيدنا مولاى الحسن  
5 - الشيخ محمد الضعيف : وقفنا من شعره على قصيدة فى مدح  
الرسول عليه السلام .

6 - التهامى بنانى : كان «مجادليا» أى حرارا وكان من الذاكريين  
وأهل الجذب ، وهو شيخ الريش

7 - المكى الريش : كان ينظم فى الذكر وهذه حركات بعض قصائده .

أ - اللهم صل اعلى لحبيب المحبوب التقى \* محمد خير لورى انعشقهو

ب - يا عشاق النبى الماحى \* صلوا وسلموا اعلى كوكب للماح

ج - تهاما ناس لحسان \* نسعى من قلبى ولسان

غارا يا قنديل وزان \* يامولاى عبد الله

8 - بوعزة الدريبكى : من قصبة الودايا ، اشتهر بقصيدته التى

حربتها :

عذرونى يا هلى ولاش اتلومونى هكذا افحالى

سروا خلوا كل حال ايسير اعلى حالو

9 - محمد بن يوسف : انتسخ لنا من شعره قصيدة فى الملاح

النبوى .

10 - محمد الفلوس العلمى : كان خرازا ، اشتهر بالذكر ، وهذه

حربة بعض قصائده فيه :

يا عشاق النبى الهادى \* صلوا وسلموا اعلى شافع لعباد

11 - الشيخ لحلو : اشتهر بقصيدته «زهرة» التى يقول فى حربتها:

أنا امزواجك افزينك أسلطانت لبدور

ألا ازهور

من بك طلعت الزهرا \* وانت لالا ازهيرو

12 - الطاهر افقير : كان حرارا

13 - ادريس بن بوشعيب : ويعرف بالغياط مازال على قيد الحياة

ويقول فى المناسبات .

رابعا : سلا

1 - أنجار : صاحب «الذهبية المشهورة» .

2 - محمد الشليخ : له قصيدة «الكاس» .

3 - الحاج محمد بن على : وهو غير محمد بن على المسفيوى نزيل عنده

المدينة ودفينها

4 - العربى معينو : ذكر الادريسى فى «كشف الغطا» (I) أنه كان

صاحب كتاب قرآنى .

5 - الشيخ البرى : له «المرحول» لزيارة بعض الصالحين .

6 - حمان النجار

7 - حسن اليعقوبى : اشتهر بقصيدته «العصرية والزمنية» .

خامسا : أزمور :

I - احمد بن رقية : وقفنا من شعره على قصيدة «الشمعة» . له

قصيدة في «الزهو» يقول في حربتها :

الزهو فكتوب التنزيل والسرار الى موهوبا من لجليل العالى  
ولفراسا فى هل لعقول

2 - البصير الزمورى : انتقل الى العرائش وبها توفى ودفن ، يقال  
ان له «الحراز» و «الادريسية» و «اليوسيفية» وهى قصيدة فى  
سيدنا يوسف .

3 - ادريس الزمورى : يعتبر من كبار الاشياخ ، ولكن شعره نبذ  
لاتصاله بسلطة الحماية ومدحه لرجالها وأعوانها . وقفنا مسن  
شعره على قصيدة قالها فى تدشين محمد الخامس لمدارس باب  
شالة . وهو أخو المرحوم أحمد الزمورى الذى تولى قضاء مدينة  
الدار البيضاء .

#### سادسا : تطوان :

I - محمد المودن التطواني : له قصيدة فى مدح محمد الخامس .  
2 - محمد حسن : أمدنا بغير قليل من النصوص ، وله قصيدة فى  
ذكرى المنظرى مؤسس مدينة تطوان .

#### سابعا : أسفى :

I - ابراهيم السوفانى .  
2 - محمد بن على الدمناتى : انتقل الى سلا وبها توفى ودفن ، وقفنا  
على جملة من قصائده .

#### ثامنا : وزان :

عبد العزيز الوزانى : أحد أشياخ هذه المدينة وعلمائها ، له قصيدة  
فى الشوق لزيارة البقاع المقدسة يقول فى حربتها :  
الرباح فى اصلا تو هما واتجارا  
أيارب لعباد كمل قصدى نمشى انحج ونطوف  
ونشاهد لبقيع والبيت وعرفا

#### تاسعا : شفشاون :

محمد العلمى ولد زيطانة : وقفنا من قصائده على «فاطمة» و «التوبة» .

**عاشرا : تصانيفه :**

سيدى أحمد الحبيب : ذكر الادريسي فى «كشف الغطا» (I) أنه من طبقة عبد العزيز المخرأوى .

**الحشادى عشر : صفرو :**

الحسن الصفريوى : يقال انه نظم فى احدى الليالى ست قصائد فى «الزهو» . توفى منذ حوالى خمسة عشر عاما .

**الحشادى عشر : بسنى ملال :**

مولاي عبد الرحمن بوقطيب .

**الحشادى عشر : اندر البضاء :**

مولاي أحمد بن عبد السلام العلوى : من علماء هذه المدينة العدول ، أطلعنا على ديوان له نظم أغلب قصائده فى فترة الشباب وقبل أن يبدأ دراسته بالقرويين . اتصلنا به أكثر من مرة وحاولنا مذاكرته فى الفن ولكنه كان يصرح لنا بأنه لم يعد يخوض فيه .



ويجده ، فإذا كان لنا أن نقول كلمة عن القصيدة الزجلية فى العصر الحديث فهي أنها تجمدت فى صور ونماذج غدت لها سيطرة على هؤلاء الاشياخ الذين ذكرنا وعلى غيرهم ممن لم نذكر ؛ خضعوا لها مشدودين الى من سبقهم من الشعراء ، يتبعون ظلمهم ويحتدون نماذجهم ، قانعين برؤيتهم لا ينظرون الا من خلالها ، وبتعابيرهم وأساليبهم لا يحددون عنها ، عاجزين عن الانطلاق فى ميدان التجربة والابداع ، لا نجد عندهم غير أفكار وصور متكررة تتردد بنفس اللفاظ ، بعيدة عن احساسهم الذاتى وعن روح العصر . وحتى الذين عانوا تجربة ما فانهم لا يحاولون استيعاها والتعبير عنها من خلال واقع حالهم الوجدانى وتعمقه لاستخراج أفكار ومعانى وأقوال جديدة ، ويكتفون بالنظر الى ما عند غيرهم يقتبسون منه دون محاولة لتكييفه أو تطويره ، وتلك أقصى درجات الجمود والتقليد ، لا يعقبها الا الفناء والموت .

المصادر

مصادر عامة

أولا - المخطوطة :

- I - ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب  
لعبد الرحمن الفاسي  
خزانة الرباط العامة : نسختان 326 ك - 2302 ك
- 2 - أعلام الفكر المغربي المعاصر فى العدوتين الرباط وسلا  
لعبد الله بن العباس الجرارى (والدنا حفظه الله)  
مخطوطة المؤلف (الخزانة العباسية)  
3 - الاقنوم فى مبادئ العلوم  
لعبد الرحمان الفاسي  
خزانة الرباط العامة : نسختان II 2I د - I5 ك
- 4 - بلوغ الامل فى فن الزجل  
مخطوط الزيتونة 4467  
5 - ثمرة أنسى فى التعريف بنفسى  
لسليمان الحوات  
مخطوطة خاصة للاستاذ سعيد أعراب
- 6 - جميع نواميس الكنيسة والقانون المقدس  
المكتبة الوطنية بمديرية 4879
- 7 - الحسام المشرفى فى الرد على اكنسوس المراكشى  
للمعربى المشرفى  
أ - مخطوطة خزانة الرباط العامة ك 2276  
ب - نسخة مصورة بخزانة الرباط العامة رقمها I207
- 8 - الدر المنضد الفاخر فيما لابناء مولانا على الشريف من المحاسن  
والمفاخر  
لابى عبد الله محمد بن عبد القادر بن احمد الكلالى الشهير

بالكردوى

خزانة الرباط العامة رقم 1584 D

9 - الروض الفائح بأزهار النسيب والمدايح (ديوان شعر معرب)

للحاج ادريس بن علي السناني لحنش

خزانة الرباط العامة 1378 ك

10 - روض الآداب

لاحمد الحجازي - ثلاث نسخ :

مكتبة أيا صوفيا (السليمانية - اسطنبول) 4017

مكتبة أحمد الثالث (قصر توبكابي - اسطنبول) 2293

مكتبة راغب باشا (اسطنبول) 1115

11 - رياض الورد الى ما انتهى اليه هذا الجوهر الفرد

لمحمد الطالب بن الحاج

خزانة الرباط العامة 396

12 - سجع الورق المنتجة في جمع الموشحات المنتجة

للسخاوي

مكتبة فاتح (السليمانية - اسطنبول) 3918

13 - السفينة (الجزء الرابع)

لمباركشاه

فيض الله Feyzullah مكتبة ملت Millet (اسطنبول) 1612.

14 - شرح على نونية أبي الحسن الششتري

لاحمد زروق

مكتبة دير الاسكوريال 4186

15 - شرح القصيدة العنقية لسعيد التلمساني وتسمى : «الآداب

الرقيقة في شرح العقيقة ، وان شئت قلت الدرة الانيقة في شرح

العقيقة ، وان شئت قلت التحف المهدية في شرح السعدية»

لمحمد بن ناصر المعروف بابي رأس

خزانة الرباط العامة 1656 د

- 16 - العاقل الحالى والمرخص الغالى  
لصفى الدين الحلى  
مكتبة بايزيد (اسطنبول) 5542 (علما بأنه مطبوع ، نشره  
هوينر باخ)  
17 - العقيدة الادبية فى السبعة فنون المعنوية  
لاحمد الرباط  
مكتبة اسعاد أفندى (السليمانية - اسطنبول) 2867  
18 - فتح الانوار فى بيان ما يعين على مدح المختار  
لابراهيم التادلى  
خزانة الرباط العامة 3285 د  
19 - فهرسة  
لمحمد التاودى بن سودة  
الخزانة العباسية رقم 3388 (خزانة السيد الوالد) .  
20 - كتاب الحايك فى الموسيقى الاندلسية  
الخزانة العباسية (غير مرقم) .  
نشره فرناندو مارتينيز ولكنه اقتصر على ايراد كلام الحايك فى  
التعريف بالنوبات وترجمته دون ايراد النصوص (انظره فى  
المطبوعات الاجنبية) .  
21 - كتاب مجموع موشحات .  
مكتبة أيا صوفيا (السليمانية - اسطنبول) 2243  
22 - لحن العامه  
لابن هشام اللخمى  
مكتبة دير الاسكوريال - نسختان : 46 - 99  
23 - مجموع قصائد وموشحات فى المديح النبوى مرتبة على نوبات  
الانشاد .  
لاحمد بن محمد العربى أحضرى المراكشى (مخطوطة خاصه  
بالكاتب)



24 - مسالك الابصار وممالك الامصار

للعمرى

جامعة اسطنبول AY 4355

25 - منظومة فى الموسيقى

للحوات

المكتبة الملكية بالرباط 4229

26 - موسوعة المغرب العربى (يشرف عليها المكتب الدائم للتعريب بالرباط

مادة : الآلة (الموسيقى)

لعبد الله بن العباس الجرارى

27 - النور اللامع البراق فى ترجمة محمد الحراق

لمحمد بن العربى الدلائى الرباطى

مكتبة تطوان العامة (وتوجد نسخة بخزانة الرباط العامة

رقمها 960)

ثانيا : المطبوعة :

أ - الكتب العربية :

28 - الابتهاج بنور السراج (شرح على منظومة سيدي العربى المسترى)

لاحمد بن المامون البلغيشى

مطبوعة محمد أفندى مصطفى - مصر 1319 .

29 - ابن سناء الملك أو مشكلة العقم والابتكار فى الشعر

للدكتور عبد العزيز الاهوانى

مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة 1962 .

30 - البيان والتبيين

لابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1948 .

31 - البيان المغرب فى أخبار المغرب

لابن عذارى المراكشى

طبعة لبنان

- 32 - اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس  
لعبد الرحمن بن زيدان  
الطبعة الاولى - الرباط .
- 33 - أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم  
للمقدسى  
طبعة ليدن 1909
- 34 - الاحكام فى أصول الاحكام .  
لعلى بن حزم الظاهري  
الطبعة الاولى - مطبعة السعادة - مصر
- 35 - الزاوية  
للتهامى الوزانى  
مطبعة الريف - تطوان - 1942
- 36 - أزهار الرياض فى أخبار عياض  
لاحمد المقرئ - تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم اليبيارى وعبد  
الحفيظ شلبي نشر المعهد الخليفي للابحاث المغربية - بيت  
المغرب - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1940
- 37 - الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى  
لاحمد بن خالد الناصري  
طبعة القاهرة 1894 - طبعة دار الكتاب 1956 (الدار البيضاء) .
- 38 - الاعلام بمن حل بمراكش واغمت من الاعلام  
لعباس بن ابراهيم  
الطبعة الاولى (المطبعة الجديدة) فاس 1936 .
- 39 - الانيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب  
لمحمد بن الطيب العلمى  
طبعة حجرية
- 40 - الانيس المطرب القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة  
فاس

لمحمد بن عبد الحلیم المعروف بابن أبی زرع  
طبعة حجرية

41 - تاج العروس من جواهر القاموس

لمحمد مرتضى الزبيدي

42 - تاريخ خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر

لمحمد المحبى

المطبعة الوهبية - مصر - 1284

43 - تاريخ عبد الرحمن بن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ

والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى

الشان الاكبر)

مطبعة بولاق

44 - الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا

لابى القاسم الزيانى

نشر عبد الكريم الفيلاى - وزارة الانباء - المغرب 1967 .

45 - التشوف الى رجال التصوف

ليوسف بن يحيى التادلى المعروف بابن الزيات - تحقيق

أدولف فور

نشر معهد الابحاث العليا المغربية - 1958

46 - تفسير القرآن العظيم

لاسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى

الطبعة الثالثة - مطبعة الاستقامة - القاهرة 1375 (1956)

47 - جذوة الاقتباس

لابن القاضى

طبعة حجرية

48 - جواهر الكمال في تراجم الرجال (القسم الثانى من كتاب :

أسفى وما اليه)

لمحمد الكانونى

المطبعة العربية - الدار البيضاء

49 - دائرة المعارف الاسلامية

الترجمة العربية - القاهرة

50 - دوحة الناشر لمحسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر

لمحمد بن علي بن مصباح المعروف بابن عسكر

طبعة حجرية

51 - ديوان أبي الحسن الششتري

تحقيق الدكتور علي سامي النشار

الطبعة الاولى - الاسكندرية 1960

52 - ذكريات مشاهير رجال المغرب (العدد السابع)

لعبد الله خنون

53 - الرحلة

لابن بطوطة

طبعة باريس

54 - رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا

لاخوان الصفا

طبعة صادر - بيروت

55 - رسائل موحدية

نشر ليفي بروفسال

56 - ركب الحاج المغربي

لمحمد المتونى

طبعة معهد مولاي الحسن - تطوان 1953

57 - رياض النفوس

لابي عبد الله المالكي - تحقيق د . حسين مؤنس - القاهرة 1951

58 - الزجل في الاندلس

للدكتور عبد العزيز الاهواني

نشر معهد الدراسات العربية العالية - القاهرة 1957

- 59 - السعادة الابدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشيه  
لمحمد بن عبد الله الموقت  
المطبعة الحلبيه - مصر - 1341
- 60 - سلافة العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر  
لابن معصوم  
طبعة مصر
- 61 - الشذرات (التقاط الفوائد وتمرر العوائد)  
لمحمد الرضى السناني  
مطبعة بوشنتوف - الدار البيضاء
- 62 - صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر  
لمحمد الصغير الافرانى  
طبعة حجرية
- 63 - الطقاطيق الشعبية  
لبهجة صدقى رشيد  
نشر اللجنة الموسيقية العليا - سلسلة تراثنا الموسيقى  
القاهرة .
- 64 - العربية دراسات فى اللغة واللهجات والاساليب  
ليوهان فوك Johann Fück ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار  
مطبعة دار الكتاب العربى - القاهرة 1951
- 65 - فى اللهجات العربية  
للدكتور ابراهيم أنيس  
الطبعة الثانية - لجنة البيان العربى - القاهرة 1952
- 66 - القاموس المحيط  
لفيروزبادى
- 67 - قصة الموال  
لميلاد واصف  
القاهرة

- 68 - القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجذوب  
تصنيف نور الدين عبد القادر  
المطبعة الشعالبية - الجزائر
- 69 - كشف الغطا عن سر الموسيقى ونتائج الغناء  
لادريس الادريسي  
الطبعة الاولى - الرباط 1935
- 70 - كشف القناع عن آلات السماع  
لابي علي الغوثي بن محمد الجزائري  
مطبعة جوردان - الجزائر
- 71 - الكنز المكنون في الشعر الملاحون  
لقاضي محمد الجزائري  
المطبعة الشعالبية - الجزائر 1928
- 72 - لحن العوام  
لابي بكر محمد الزبيدي - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب  
الطبعة الاولى - القاهرة 1964
- 73 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر  
لضياء الدين بن الاثير  
طبعة الحلبي - مصر 1939
- 74 - المحاضرات  
للحسن بن مسعود اليوسبي  
طبعة حجرية
- 75 - مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن  
لمحمد العربي بن أبي المحاسن الفاسي  
طبعة حجرية
- 76 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب  
لعبد الواحد المراكشي - تحقيق سعيد العريان ومحمد العلمي  
طبعة القاهرة

- 77 - المغرب فى حلى المغرب  
لابن سمعيد تحقيق الدكتور شوقي ضيف  
طبعة دار المعارف - القاهرة
- 78 - المقدمة  
لابن خلدون  
مطبعة بولاق
- 79 - ممتع الاسماع فى ذكر الجزولى والتباع وما لهما من الاتباع  
لمحمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن الفاسي  
طبعة حجرية
- 80 - المناقب  
لمحمد بن أحمد الحضيكي  
الطبعة الاولى
- 81 - المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم  
الوارثين وظهور المهدي وتاريخ الموحدين  
لابن عبد الملك البرجى المعروف بابن صاحب الصلاة - تحقيق  
عبد الهادي التازي
- 82 - نشر المثاني  
لمحمد بن الطيب بن عبد السلام القادري  
طبعة حجرية
- 83 - نقد النشر  
لقدامة بن أبي جعفر - تحقيق الدكتور طه حسين وعبد الحميد  
العبادي
- نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1938
- 84 - النهاية فى غريب الحديث والاثار  
للمبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الاثير
- 85 - نوبة الاصبهان  
تنظيم Aracadio de Larrea بمساعدة الفريد البستاني

نشر معهد الجنرال فرانكو للابحاث العربية الاسبانية -

تطوان 1956

86 - نيل الابتهاج بتطرين الديباج

لاحمد بابا التمكنى

طبعة فاس 1317 هـ .

87 - وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان

لاحمد بن خلکان

طبعة القاهرة 1355

ب - الكتب الاجنبية :

A. BEL 88

La religion musulmane en Berbérie (établissement  
et développement de l'Islam en barbarie).

E.F. Gautier 89

Les siècles obscurs du Maghreb

Fernando Valderrama Martinez 90

EL concionero de EL-HAİK

Instituto General Franco de estudios E investigation  
hispano-arabe Tétuan 1954.

H. de castries 91

Les gnomes du Medjdoub - Paris 1896.

Jean Léon Africain 92

Description de l'Afrique :

Ed. CH. SCEFER - Paris

J. Scelles - Millie et B. Khalif. 93

Les quatrains de Medjdoub le sarcastique, poète  
maghrébin du XVI S

G. P. Maisonneuve et Larose - Paris 1966.

Louis Brunot : 94

a- Sur le thème verbal F'al en dialectal marocain.

Mélanges W. Marçais - Paris 1950.



- b- Introduction à l'arabe marocain. 95  
G.P. Maisonneuve et Cie Paris 1950.  
M. EL FASSI 96  
Chants anciens des femmes de Fés  
Editions Seghers - Paris 1967.

ج - المجلات :

- 97 - مجلة الاذاعة والتلفزة المغربية - العدد 12 السنة الثانية  
يوليوز غشت 1966  
(الملحون بين ماضيه وحاضره لاحمد سهوم)  
98 - مجلة البحث العلمي - العدد الاول - السنة الاولى ، يناير -  
أبريل 1964 (المغرب)  
(الادب الشعبي المغربي الملحون لمحمد الفاسي)  
99 - مجلة البحث العلمي - العدد الرابع والخامس - السنة الثانية،  
يناير غشت 1965 .  
(لغة الملحون لمحمد الفاسي).  
100 - مجلة البيئة - السنة الاولى - العدد الرابع - غشت 1962  
(المغرب)  
(نظرة عن الادب الشعبي بالمغرب لمحمد الفاسي)  
101 - مجلة تطوان - العدد الخامس 1960 (المغرب)  
(من أدبنا الشعبي لعبد الله كمنون)  
102 - مجلة هسبرس (المغرب)  
Hespéris TX 1930 Fas 1 ( G.P.S. Colin : notes de dialecto-  
logie arabe )  
103 - مجلة هسبرس  
Hespéris 1938 1<sup>er</sup> trimestre (M. T. Buret : «Sidi quaddur EL-  
alami notes biographiques» dans : communications)  
104 - مجلة الفنون الشعبية - العدد الاول - السنة الاولى -  
القاهرة 1965

أ - (المأثورات الشعبية للدكتور عبد الحميد يونس)

ب - (الشعر الشعبي في تونس لمحمد المرزوقي)

105 - مجلة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد - العدد الخامس 1957

(الدكتور محمود مكي)

Egipto y la historiographia arabico - espagnola

106 - مجلة معهد المخطوطات (جامعة الدول العربية - القاهرة)

المجلد الثالث 1957

(الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة)

للدكتور عبد العزيز الاهواني .

Annales de l'institut d'études orientales Faculté des 107  
lettres de l'université d'Alger T. 4 1938 - P 8

(مقال حول تعريب الشمال الافريقي لوليام مرسى)

W. Marçais)

### مصادر النصوص الزجلية

أولا : المخطوطة (مجاميع وكنائش)

أ - مجموعة الخزائن العامة :

1 - خزانة الرباط العامة :

108 - مجموع رقم 774 حرف د

109 - مجموع رقم 960 حرف د

110 - كناش رقم 1518 حرف د

111 - كناش رقم 1656 حرف د

112 - كناش رقم 2067 حرف د

113 - قصيدة رقم 1115 حرف د (الجمهور للعلمي)

114 - قصيدة رقم 1458 حرف د (دالية ابن رموية)

115 - قصيدة رقم 1480 حرف د (ذكر لعبد الورات)

116 - ديوان في الثناء على حمدون بن الحاج (روضة النيلوفر نناء

الناس عليه وبعض مناقبه التي هي أعطر من الادفر) : رقم

383 حرف د

- 117 - كناش رقم 108 حرف ج  
118 - كناش رقم 595 حرف ج  
119 - كناش رقم 1644 حرف ك  
120 - كناش رقم 3027 حرف ك  
121 - كناش رقم 165 حرف ق  
122 - قصيدة رقم 1017 حرف ق (الفياشية)

2 - مكتبة تطوان العامة :

- 123 - مجموع رقم 589  
124 - مجموع رقم 866

3 - خزانة مراکش :

- 125 - قصيدة الكفيف الزرهوني في هزيمة أبي الحسن المرينسي  
بالقيروان في آخر مجموع رقم 184

4 - المكتبة الوطنية بمدير :

- 126 - مجموع اشعار غير مرتب رقم 5307

5 - مكتبة دير الاسكوريال :

- 127 - مجموع رقم 523

ب - مجموعة الخزائن الخاصة :

1 - المكتبة الملكية بالرباط :

- 128 - مجموعة قصائد للمغراوي رقم 860  
129 - كناشة عبد الله الشرقي رقم 5958  
130 - كناش رقم 1502  
131 - كناش رقم 2097  
132 - كناش غير مرقم يضم قصائد لعبد الله الهبطي

2 - خزانة الاستاذ ادريس بن الماحي :

- 133 - كناش أغلب قصائده لعبد القادر العلمي (رمزنا له ب : م 1)  
134 - كناش يضم قصائد للتهامي المدغري (رمزنا له ب : م 2)

3 - خزانة الاستاذ عبد السلام بن سمودة :

I35 - كناش (رمزنا له ب : س)

4 - خزانة الفقيه محمد الهسكوري :

I36 - كناش رمزنا له ب : هـ

5 - خزانة الشيخ الزجال مولاي احمد بن عبد السلام العلوي :

I37 - ديوانه (رمزنا له ب : ع)

ج - مجموعة الكاتب الخاصة :

I38 - كناش رقم 1

I39 - كناش رقم 2

I40 - كناش رقم 3

I41 - كناش رقم 4

I42 - كناش رقم 5

I43 - كناش رقم 6

I44 - كناش رقم 7

I45 - كناش رقم 8

I46 - كناش رقم 9

I47 - كناش رقم 10

I48 - كناش رقم 11

I49 - كناش رقم 12

I50 - كناش رقم 13

I51 - كناش رقم 14

I52 - كناش رقم 15

I53 - كناش رقم 16

I54 - كناش رقم 17

I55 - كناش رقم 18

I56 - كناش رقم 19

157 - كناش رقم 20

158 - كناش رقم 21

159 - كناش رقم 22

160 - كناش رقم 23

161 - كناش رقم 24

162 - كناش رقم 25

**ثانيا : المطبوعة :**

163 - ديوان الاخضر بن خلوف (الجزائري)

164 - ديوان فائق ومجموع رائق للسلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي  
طبعة حجرية

165 - ديوان محمد الحراق

أ - طبعة حجرية

ب - طبعة مكتبة المعارف بمكناس .

166 - كتاب نفع الازهار ووصف الانوار وأصوات الاطيوار ونغم  
الاولتار .

**Anthologie d'auteurs arabes**

اختيار القال عبد الرحمان وبخوشه محمد

المطبعة المهدية - تطوان 1934

Sonneck - 167

chants arabes du Maghreb - 885

A. Fischer - 168

Das liederbuch eines marokkanischen Sangers ( Leipzig 1918 )

**ثالثا : المسموعة :** (انظر كذلك فهرس الاذاعة الملحق بالدليل)

169 - شريط تسجيل بأربعة وجوه رقم 19 (تسجيلات الكاتب الخاصة)

170 - شريط تسجيل بأربعة وجوه رقم 21 (تسجيلات الكاتب

الخاصة)

## الفهرس

د	نصدير للدكتور عبد العزيز الالهواني
	مقدمة :
1	دوافع تناول الموضوع
2	متاعب ومصاعب :
2	موقف المهققين
4	المصادر
7	منهاج البحث
9	عرض الدراسة
19	مدخل : القصيدة الزجلية والغناء الشعبي
20	أنواع الغناء في المغرب
21	انشاد القصيدة الزجلية
24	الآلات المصاحبة للانشاد
28	كيفية الاداء
35	طريقة السرد
37	شعبية القصيدة الزجلية
	الباب الاول : الشكل
45	الفصل الاول : مفهوم الزجل وأنواعه
46	أولا : مفهوم الزجل
46	معنى الكلمة
47	أصل التسمية
50	سبب استعمالنا لكلمة زجل

54	أسماء أخرى :
54	الملاحون (أصل التسمية به)
57	العلم الموهوب
58	السجية
58	لكلام
59	النظم أو النظام
59	الشعر
60	القريض
60	لوزان
60	الغيا
61	العلم الرقيق
61	تكريحة
62	ثانيا : أنواع الزجل
62	تقسيمات مختلفة :
65	البرولة
67	العروبي
69	المزوكي
70	الموال
70	السلامات
70	العيضة
75	الطقطوقة
77	أعيوع
78	الدقة
79	غيموان بن يازغة
81	أبيات الحكمة

الفصل الثاني : اللغة والفنية

84

85

مراحل التعريب

96

نشأة العامية

103

خصائصها

104

خصائص عامة

108

ظواهر خاصة

111

جوانب بلاغية :

111

البلاغة والشعر العامي

114

التجنيس أو الجناس

115

التصريف

116

التضمين أو التلزييم

117

النشب

118

استخدام نوع معين من الكلام

121

فنية الاسلوب :

121

التشبيه والمقارنة

123

الحركة والحياة والتشخيص

124

الحوار

125

القصة

126

الرمز

127

لمحات نقدية

130

الفصل الثالث : العروض

131

البحور :

131

أساس بحور الزجل

133

تفعيلات خاصة

135

المهيت



140	مكسور الجناح
142	المشتب
144	السوسى
147	بناء القصيدة :
147	مقدمة القصيدة : السراية
149	أجزاء القصيدة
160	القسم الاخير
167	الدريكة
169	نموذجان للايضاح
174	نظام القافية :
174	البراعة فى التقفية
175	القافية فى الاقسام
185	القافية فى المقدمات
189	القافية فى الدريكة
190	عيوب القافية
	<hr/> <b>الباب الثانى : الموضوعات</b> <hr/>
197	<b>الفصل الاول : المرأة</b> <hr/>
199	أولا : المحبوبة
199	ألقاب وأوصاف
204	أوصاف عامة مفصلة
207	صورة مكتملة
217	أوصاف من خلال المقارنة
219	الوشم
223	ثانيا : المحب
223	الشكوى

233	الطاعة
235	المعاناة
241	محاولة الوصول :
241	بالرجاء والاستعطاف
242	بالتعاب
245	بارسال مبعوث
247	بالقضاء
251	بالحيل
257	الوصول
264	ثالثا : الحب
264	صورته
266	حكمة من تجربة الحب
270	رابعا : ملاحظات :
270	التغزل في أكثر من واحدة
271	الغزل بالمدح
273	الرمز بالغزل
275	مدى الصدق في الغزل
277	<u>الفصل الثاني : في الحياة</u>
280	الخمر والطبيعة :
280	أولا : الخمر
280	أسماءها
282	أوصافها
283	قصتها
285	الساقى
287	نظام الشرب وأدبه

287	أواني الشرب
288	الوقت المفضل للشرب
291	مجلس الشرب
296	الرفقة
296	الاعراض عن الشرب
297	الاعزاء بالشرب
300	الاستمتاع بمناذات الحياة
302	الاستغفار
303	الخمر الصوفية
305	ثانياً : الكون والطبيعة
306	1 - الكون :
306	الغروب
309	الليل
314	الفجر
315	بين الصبح والليل
318	2 - الطبيعة :
318	الربيع
320	الازهار والاشجار
324	مناسبات التنزه
325	ملاحظة : شعر الفكاهة
331	الزهد والحكمة :
332	النظرة الى الدنيا
335	الموت
336	الضيق بسلوك الناس
341	نصائح وتوصيات
345	أدب سلوك ومعاملة
348	الحفريات والتساريم

354	الاحداث والتأمل
369	ملاحظات :
369	مدى التجاوب مع المجتمع
372	الخطاب في الوعظ
375	قصائد للتذكير بعظمة الله
377	<u>الفصل الثالث : مع الناس</u>
378	المدح
389	الثناء
397	الهجاء :
404	هجاء متبادل
412	لعراض أو المعارضة
419	الفخر
420	السولان (السؤال)
423	الخصام
441	ملاحظة : تخيل الخصام في غير الانسان
451	<u>الفصل الرابع : في حمى الله والرسول</u>
453	حب الرسول
456	أوصاف الرسول وشماله
466	المولد
472	الوفاة
478	المعراج
479	التصلية (الصلاة)
487	الغاية من المدح والصلاة
493	الشوق والحنين للبقاع المقدسة
501	التوسل

511	مدح الاشراف والاولياء
525	ملاحظة : العشق الالهى
531	<u>الباب الثالث : الاعلام</u>
533	<u>الفصل الاول : مرحلة النشأة</u>
534	أسماء ونصوص قديمة :
537	ابن غرلة
540	عبد المومن الموحدى
540	رميلة أخت عبد المومن
540	ابن خبازة
541	ابن حسون
543	ابن سبعين
544	ابن شجاع التازى
545	الكفيف الزرهونى
546	المنصور الاعمى
546	مولاي الشاد
547	عبد الله بن احساين
549	أصل القصيدة الزجلية :
549	الزجل الاندلسى ؟
552	الموشحات ؟
554	شعر العرب الوافدين ؟
555	عروض البلد ؟
556	الاجانى والمرددات الشعبية ؟
561	<u>الفصل الثانى : مرحلة التطور</u>

- 562 عبد الله بن احسانين  
567 جهاد الحمري  
570 محمد بن علي بوعهرو  
578 الحاج اعمارة  
581 محمد بن عبد الله بن احسانين  
585 ادريس المريني  
587 عبد العزيز المفاوي  
592 المصمودي  
594 ركود في نهاية هذه المرحلة  
596 زجالون متصوفون :  
596 عبد الرحمن المجذوب  
597 محمد الشرقي  
599 محمد بن يحيى البهلوي  
600 عبد الله بن محمد الهبطي  
601 عبد الوارث الياحموتي  
602 محمد بن ريسون  
603 احمد بن علال الشرايلي  
603 زجالون جزائريون :  
604 أبو عثمان سميع التلمساني  
608 أحمد التريكي  
  
609 الفصل الثالث : مرحلة الازدهار  
  
611 الجيلالي امتيرد  
616 الحاج محمد النجار  
619 عبد القادر بن عبد الرحمن بوخويص  
620 محمد بن علي العمراني

625	محمد بن سليمان
627	محمد بن قاسم العميري
629	عبد القادر العلمي
639	محمد الحراق
643	التهامي المدغري
649	بعض معاصريه
650	أحمد الكندوز
652	محمد الموقت
653	مولاي علي شقور
654	شاعرتان من شفشاون
655	أحمد بن علي الدكالي السلاوي
656	الحاج ادريس بن علي السناني لحش
658	أحمد بن عاشر الحداد
659	محمد بوزيان
659	الحاج أحمد الغرابلي
662	بعض تلاميذه ومعاصريه
663	السلطان مولاي عبد الحفيظ
669	ادريس العلمي
671	محمد العيساوي الفلوس
673	بنعيسى الدراز
673	الحاج محمد بن عمر الملحوني
675	عثمان الزكي
676	عبد القادر الجبراري
678	الحاج محمد العوفير
679	زجالون آخرون :
679	مراكش
681	فاس

684	الرباط
685	سلا
685	أزمور
686	تطوان
686	أسفى
686	وزان
686	شفشاون
687	تافيلالت
687	صفرو
687	بنى ملال
687	الدار البيضاء
688	المصادر
704	الفهرس





## تنبيه واعتذار

نلفت نظر القارئ الكريم الى :

1 - أننا عمدنا الى كل الكلمات التي يستهل نطقها بسكون ، فبدأنها

بحرف ألف حتى يسهل الاهتداء الى هذا النطق .

2 - أننا لم نتمكن في كل الرسالة من كتابة القاف التي تنطق جيا

مغلقة كافا بثلاث نقط ، كما جرت العادة بذلك ، والسبب ان

التصنيف تم في ثلاث آلات ( اللينو ) لم تكن تتوفر منها على

الكاف المنقوطة الا واحدة . كذلك حاولت الثانية تميزه بكتابه

بالاسود ، اما الثالثة فلم تميزه وكتبته كافا مجرداً

ونعتذر له عن الاخطاء المطبعية التي قد يصادفها والتي حاولنا جهد

الامكان تلافيها بالتصحيح اكثر من مرة . كما نعتذر عن

بعض الهفوات التي حدثت عند الطبع النهائي ، والتي لاحظنا منها

خلال المراجعة السريعة اثنتين :

1 - في صفحة 593 سطر 9 وقع خلط في عجز البيت ، وصوابه :

قبطات لسكتاب اطواتو

2 - في صفحة 630 نسيت كتابة سطر ، محله بعد السطر الثاني وهو :

الله فنمت الى الصباح فوجدت القار اكل سواد الصحيفة دون

بياضها